

# كتاب التوحيد

شرحه الشيخ /

أبو الحسن علي بن محمد الأعروقي المطري حفظه الله تعالى .

اعتنى به وخرج أحاديثه /

أبو مالك محمد بن عبد الله الكباري .

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين

أما بعد :

فهذا يعتبر أول درس من كتاب التوحيد لشيخ الإسلام الإمام المجدد أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التيمي المشرفي النجدي المولود سنة ١١١٥ من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فرحمه الله رحمة واسعة على ما قام به من الجهاد ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن الصدق بكلمة الحق ومن العلم والتعليم وإفادة المجتمع فلا زالت آثاره معلومة وواضحة معالمها إلى يومنا هذا ، وهذا إن دلّ فإنما يدل على إخلاصه نحسبه والله حسيبه فنقول : رحمه الله رحمة واسعة ورحم علماء المسلمين أجمعين على ما قدموا من الخير لهذه الأمة ،

فابتدأ المؤلف كتابه ب : بسم الله الرحمن الرحيم ، وعادة المؤلفين من علماء الإسلام يبتدئون تأليفاتهم بهذه العبارة العظيمة القليلة في ألفاظها العظيمة في معناها ، ويؤيدون أو يذكرون هذا لأمرين اثنين :

١. الأمر الأول : إقتداءً بكتاب الله عز وجل فإنه مبتدأ ب : بسم الله الرحمن الرحيم .

٢. ثانياً : إقتداءً بسنة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء في صحيح البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم راسل هرقل عظيم الروم (١) ، وكسرى ملك الفرس (٢) ورأسل كثيراً من عظماء العرب فكان يكتب إليهم : من محمد رسول الله إلى فلان بن فلان بسم الله الرحمن الرحيم فكان صلى الله عليه وسلم يأمر كاتبه أن يكتب هذه العبارة ( بسم الله الرحمن الرحيم ) والمعنى في ذلك أن هذه العبارة تقتضي بركةً ويمناً لمن ابتداء بها فلقد قال العلماء في معنى ( بسم الله ) لا بد أن يناسب حالاً من الأحوال التي أنت تقوم بها والأصل في كل شيء التسمية فإن أردت أن تأكل فيكون المعنى بسم الله حال كوني آكل متبركاً بهذا الاسم أو أشرب أو أتوضأ أو أدخل أو أخرج أو أنام أي شيء من ذلك فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الآكل أن يقول : بسم الله وهكذا كان إذا أخذ مضجعه قال : { باسمك اللهم أموت وأحيا } (٣) ويقول : { باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه } (٤) والباء في قوله بسم الله قيل : للاستعانة بآء تسمى بآء الاستعانة والاسم قيل : مشتق من السمو وهو العلو وقيل : من السمة بمعنى العلامة ويكون إعراب بسم الله جار ومجرور لأن الباء حرف جر واسم مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره حسب الحال إن كان الذي نطق بالبسملة يقرأ فيكون الحال بسم الله ابتداءً قراءتي أو ابتداءً قراءتي ببسم الله متبركاً باسمه وهكذا يقدر فعلاً على حسب الحال قراءة أو دخولاً أو أكلاً أو شرباً وما شابه ذلك جاء حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا خلع أحد ثوبه أو ملابسه أن يقول بسم الله } (٥) وأما لفظ الجلالة فهو الاسم العلم الدال على الذات الإلهية وهو من اختصاص الله عز وجل

١ - البخاري (٧) (٢٧٨٢) (٤٢٧٨) (٥٩٠٥) ومسلم (١٧٧٣) وأبو داود (٥١٣٦) وغيرهم .

٢ - البخاري (٢٧٨١) (٤١٦٢) (٤١٦٢) ومسلم (١٧٧٤) والترمذي (٢٧١٦) وغيرهم .

٣ - البخاري (٥٩٦٥) وأحمد (٢٣٣١٩) (٢٣٥٠٦) وغيرهما .

٤ - البخاري (٥٩٦١) وأبو داود (٥٠٥٠) والترمذي (٣٤٠١) وغيرهم .

٥ - الترمذي (٦٠٦) والمعجم الأوسط (٢٥٠٤) ومسند البزار (٤٨٤) وانظر مشكاة المصابيح للألباني برقم (٣٥٨) وفي صحيح الجامع برقم (٣٦١٠) .

وهو لفظة الله ومعناه الإله العظيم الذي تأله القلوب محبة وتعظيماً **وهل هو مشتق أو ليس بمشتق ؟** القول الصحيح من أقوال أهل العلم أنه مشتق وليس بجامد فهو متصرف من أله يأله ألوهية وهذا قول سيويه وقول كثير من أصحابه وحققه كثير من العلماء وهذا من أشرف أسماء الله سبحانه وتعالى قال عز وجل : (( هو الله الذي لا إله إلا هو )) ( ١ ) وقال سبحانه : (( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها )) ( ٢ ) فهو من أشرف الأسماء ومن أعظمها بل قيل : هو الاسم الأعظم (( الله لا إله إلا هو الحي القيوم )) ( ٣ ) .

وأما الرحمن : . فهو صيغة مبالغة أي أنه ذو الرحمة الواسعة العظيمة فهو رحمان الدنيا وكذلك الآخرة وأيضاً هذا الاسم يختص به الله سبحانه وتعالى فمن حيث الاسمية خصوصاً لله عز وجل ليس إلا ومن حيث الفعلية هو عام من حيث أنه رحمان الدنيا والآخرة .

وأما الرحيم : . فهو عام الاسم خاص الفعل فهو سبحانه وتعالى يرحم باسمه الرحيم المؤمنين يوم القيامة كما قال سبحانه : (( وكان بالمؤمنين رحيماً )) ( ٤ ) ويجوز أن يتسمى بذلك أحد من خلقه فيقال : هذا رجل رحيم ولا يجوز أن يقال : هذا رجل رحمان وقد أنكرت العرب اسم الرحمان كبراً وإلا فهو اسم معروف لكنهم قالوا : لا نعرف إلا رحمان اليمامة فقال الله عز وجل : (( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمان أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى )) ( ٥ ) على أن العرب قبل الإسلام كانوا يعرفون كما قال شاعرهم في الجاهلية :

فإن يشأ الرحمن يعفو ويطلق

هذا فيما يتعلق بهذه العبارة التي ينبغي على المسلم أن يحرص عليها وهو أن يكون الأصل في هذا الإنسان متبركاً ومتيمناً بهذه الأسماء العظيمة : ( بسم الله الرحمن الرحيم ) والقول الصحيح من أقوال أهل العلم أنها نزلت للفصل بين السور كما صح ذلك عن ابن عباس فيما رواه أبو داود قال : { كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الفصل بين السور حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم } ( ٦ ) وأجمع العلماء على أنها بضع آية بعض آية من سورة النمل كما قال ربنا سبحانه : (( إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم )) ( ٧ ) وهكذا ينبغي لمن ألف أو كتب أو أرسل برسالة أن يأخذ بهذه السنة العظيمة أن يبدأ بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم أما ما ورد من الآثار في ذلك فقد جاء في ذلك حديث وهو { كل أمرٍ ذي بالٍ { أي ذي شأن } لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع } ( ٨ ) هذا حديث ضعيف لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولكن كما تقدم أن الأصل في كل شئ هو التسمية وهو أن تذكر اسم الله سبحانه وتعالى وأن تقوم بما قام به النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الألفاظ المباركة قبل أن تتوضأ وقبل أن تأكل وقبل أن تنام وحينما تخلع ثوبك وحينما تباشر عملاً من الأعمال الشرعية أو المباحة فأنت تبتدئ بـ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) .

١ - الحشر آية ( ٢٢-٢٣ ) .

٢ - الأعراف ( ١٨٠ ) .

٣ - البقرة ( ٢٥٥ ) وآل عمران ( ٢ ) .

٤ - الأحزاب ( ٤٣ ) .

٥ - الإسراء ( ١١٠ ) .

٦ - الحاكم ( ٨٤٥ ) ( ٨٤٦ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٢٢٠٧ ) .

٧ - النمل ( ٣٠ ) .

٨ - موضوع وانظر السلسلة الضعيفة برقم ( ٩٠٢ ) .

فائدة أخرى :

**هل بسم الله الرحمن الرحيم من سورة الفاتحة ؟**

خلاف بين أهل العلم والصحيح أنها ليست بآية من سورة الفاتحة .

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين فإذا قال العبد : الحمد لله قال الله حمدني عبدي } ( ١ ) هذا موضع الشاهد من الحديث يقول الله : حمدني عبدي وسر اختلاف العلماء في الجهر والإسرار بها متفرع من هذه النكتة فمن رأى أنها ليست بآية من سورة الفاتحة قال : بالإسرار ومن قال : أنها آية من الفاتحة قال بالجهرية لكنك حينما تتأمل في كلام أهل العلم تجدهم يصفون صلاة النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يكون أحد منهم قد أفصح على أن أنس بن مالك يقول : { صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين } ( ٢ ) وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : الجهر بالبسملة في الصلاة بدعة ، لكن علماءنا يتعاملون مع الجهر وعدمه مراعين في ذلك المصلحة والمفسدة فإن كانت ستحصل مفسدة وهرج ومرج وصياح في بيوت الله ينبغي للإمام أن يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم حتى يربي الناس ويعلمهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان الناس لا يعنيه ذلك أو إنهم قد ألفوا فالأولى أن يسر ببسم الله الرحمن الرحيم وبعض الناس يقول ربما يقول : الصلاة باطلة وهذا من الإفثات ومن الجهل المطبق من تقول على الله بلا علم من أين له أن الصلاة باطلة فيمن أسر ببسم الله الرحمن الرحيم ؟ بل بعضهم يقول إذا أردت أن تعرف السلفي من غيره انظر هل هو سيجهر أولم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهؤلاء . برك الله فيكم . ما أوتوا إلا من قلة علم بل من الجهل الذي هم عليه لكن على طلاب العلم وحملة الشريعة أن ينقلوا للناس مثل هذه الفوائد فإن الناس إذا عرفوا الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم صار عندهم شيء من الفقه ومن العلم ما يؤهلهم أن يتقبلوا .

<sup>١</sup> - مسلم ( ٣٩٥ ) وأبو داود ( ٨٢١ ) والترمذي ( ٢٩٥٣ ) والنسائي ( ٩٠٩ ) وابن ماجه ( ٣٧٨٤ ) وأحمد ( ٧٢٨٩ ) ( ٧٨٢٣ ) ( ٩٩٣٤ ) وغيرهم .  
<sup>٢</sup> - مسلم ( ٣٩٩ ) ورواه البخاري ( ٧١٠ ) لكن بلفظ : { أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين } .

## كتاب التوحيد

ثم قال المؤلف رحمه الله :

كتاب التوحيد وكتاب يكون خيراً لمبتدأ محذوف تقديره هذا كتاب التوحيد ويصلح أن يكون مفعولاً به على تقدير فعل محذوف بمعنى أعقد كتاب التوحيد أو أكتب كتاب التوحيد أو أقرأ كتاب التوحيد تقدر فعلاً محذوفاً في ذهرك ولك أن تقدره مجروراً أيضاً فتقول : أقرأ في كتاب التوحيد ، فلا بأس أن ترفع أو تنصب أو تخفض إن كنت تستطيع أن تعلل هذا التعليل ، خيراً لمبتدأ محذوف أو مفعولاً به أو مجروراً بنزع الخافض كما يقال وكتاب : مصدر كتب يكتب كتاباً وكتابةً ومدار هذه الكلمة على الجمع ومن هذا تكتب بنو فلان أي تجمعوا والكتيبة لجماعة الخيل أو لأفراد من الجنود ( كتيبة بني فلان ) ، وقد قال أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إن امرأتي انطلقت إلى الحج وأنا اكتتبت في كتيبة كذا وكذا قال : { انطلق فحج مع امرأتك } ( ١ ) فمن ذلك يسمى الكتيبة ، والكتابة سميت بهذا الاسم لاجتماع الكلمات والحروف ، وسمى الكتاب كتاباً لأنه يحتوي على أبواب وفصول وتعرفون الباب لغة : لما يدخل ويخرج منه ، واصطلاحاً : اسم لجملية علمية مختصة من الكتاب . والفصل في اللغة : بمعنى الحاجز ، واصطلاحاً : اسم لمسائل علمية يمتاز بعضها عن بعض ، هذا فيما يتعلق بتعريف كلمة كتاب .

وأما معنى التوحيد : فقد ذكر صاحب المختار ومجمع المقاييس والتهذيب وصاحب لسان العرب : أن الواو . و الحاء . و الدال تدل على الانفراد كلمة وحد ، و ح د تدل على الانفراد ، هذا من حيث اللغة كلمة التوحيد بمعنى الانفراد لأن مادة الواو والحاء والدال تدل على ذلك ، وأما في الاصطلاح فهو : إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات هذا فيما يتعلق بتعريف التوحيد لغة واصطلاحاً .

فلو قال قائل : ما الفرق بين علم العقيدة وعلم التوحيد ؟

الجواب : الفرق من وجهين اثنين :

من حيث اللغة : فإن التوحيد كما تقدم أنه بمعنى الانفراد لأن مادته تدل على ذلك الواو والحاء والدال .

أما العقيدة : فهي مشتقة من العقد أو من العقد وهو الربط بقوة وإحكام مشتق كلمة عقيدة .

وأما في الاصطلاح : فهو الاعتقاد الجازم الذي لا يتطرق شك لدى معتقده .

ثم نجد أن باب العقيدة أشمل من باب التوحيد .

فالعقيدة أعم من التوحيد باعتبار أنها تأتي على توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وسائر ما ثبت من أمور الغيب علمية أو عملية أو قطعية فيما شجر بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد أهل السنة في ولاية الأمر اعتقاد أهل السنة والجماعة في نزع الروح اعتقاد أهل السنة والجماعة في عذاب القبر اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصراط والميزان وحوض النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد أهل السنة والجماعة في الحشر والنشر ولقاء الله سبحانه وتعالى

<sup>١</sup> - مسلم ( ١٣٤١ ) وصحيح ابن خزيمة ( ٢٥٢٩ ) وصحيح ابن حبان ( ٣٧٥٧ ) ومصنف ابن أبي شيبة ( ١٥١٧٥ ) .

واعتقاد أهل السنة في أسماء الله وصفاته اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم و اعتقاد أهل السنة والجماعة في ما يتعلق بأمر الجنة والنار وفي منكر ونكير بل أدخل أهل السنة بعض مسائل الخلاف فيما يتعلق مثلاً بالمسح على الخفين ، أدخلوها في مسائل العقيدة لأن الرافضة شذت عن أهل الحق فجحدت سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم على أن أحاديث المسح على الخفين متواترة كما قال السيوطي :

ومما تواتر حديث من كذب  
وممن بنى لله بيتاً واعتمر  
ورؤية شفاعة والحوض  
ومسح خفين وهذا بعض

فيكون هذا هو الفرق وإذا أخذت كتاباً في العقيدة وكتاباً في التوحيد بان لك الفرق ، خذ كتاب العقيدة الطحاوية وكتاب التوحيد خذ كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب وخذ كتاب العقيدة للطحاوي فتجد أن كتاب التوحيد وإن كان قد ذكر شيئاً من توحيد الأسماء والصفات لكن جل المادة التي وضع لها الكتاب يهتم بأمر التوحيد بخلاف كتاب العقيدة الطحاوية فإنه كتاب عام شامل ، هذا . بارك الله فيكم . فيما يتعلق بالفوارق بين العقيدة والتوحيد والله سبحانه وتعالى أعلم .

فأمر التوحيد والعقيدة من أهم ما يكون من الدين لأنه أول ما يجب على المسلم معرفته وآخر ما يجب كذلك فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : **ما الموجبتان ؟** . ومعنى ما الموجبتان أي : **ما الذي يوجب الخلود في النار أو يوجب الخلود في الجنة ؟** . قال : { من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار } ( ١ ) . فحقيقة كما قيل : التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون ونحن في هذا الزمان حينما تكالب أعداء الإسلام على المسلمين وتكالت الفرق المنحرفة على منهج أهل السنة والجماعة بحاجة ماسة إلى معرفة التوحيد الصحيح الذي كان عليه الأنبياء ونبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الكرام الميامين كانوا على التوحيد الصافي الصحيح الذي لا يخالجه شيء من الشرك وأنتم تعلمون أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

**١- توحيد الربوبية :** ومعناه إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله بمعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي تفرد بالخلق والملك والتدبير ، فهو الذي أوجد الخلق من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين والأدلة على ذلك كثيرة منها : قوله سبحانه : (( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذي من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون )) ( ٢ ) وقال سبحانه : (( وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا )) ( ٣ ) وقال جل وعلا : (( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير )) ( ٤ ) **فمن الذي تفرد بالخلق ؟** الله كما قال الله :

(( ألا له الخلق والأمر )) ( ٥ ) وسمع إلى قصة رجل يتحاور مع سيدنا إبراهيم خليل الرحمان قال جل وعلا : (( ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت )) قال هذا الرجل كما ذكر الله عز وجل على لسانه : (( قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب )) قال

١ - مسلم (٩٣) وأحمد (١٥٢٣٧) (١٥٢٤٧) (١٨٩٢٠) (١٩٠٦١) ومسنند أبي يعلى (٢٢٧٨) وغيرهم .

٢ - البقرة (٢١-٢٢) .

٣ - الفتح (٧) .

٤ - الملك (١) .

٥ - الأعراف (٥٤) .

سبحانه : (( فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين )) ( ١ ) فهذا القسم من التوحيد هو توحيد الربوبية وما حصل في هذا خلاف لم يحصل في هذا خلاف إطلاقاً فهذا القسم من التوحيد لم يحصل فيه شيء من الاختلاف من قبل المشركين إذ أن المشركين أيضاً الذين بعث فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المعين الذي يجيب دعوة من دعاه والذي هو على كل شيء قدير لأدلة كثيرة منها : قوله سبحانه : (( ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم )) ( ٢ ) وكما قال جل وعلا : (( فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين )) ( ٣ ) في هذا دليل على أنهم يؤمنون بوجوده وهكذا أيضاً كانوا يقسمون به و لكنهم جعلوا الأنداد والأوثان واسطة أو وسيلة بينهم وبين الله والله لا يحتاج إلى ذلك قال جل وعلا حاكياً عنهم : (( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )) ( ٤ ) فهذا النوع من التوحيد هو توحيد الربوبية أن يعتقد العبد أن الله تفرد بالخلق وبالمملك وبالتدبير وحده لا شريك له .

**٢. وأما القسم الثاني فهو توحيد الألوهية** وتستطيع أن تقول أن هذا الكتاب وجل كتب التوحيد إنما يناقشون هذا القسم من التوحيد لأن هذا هو الذي حصل به الجدل من قبل المشركين إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى العرب وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً وما من قبيلة إلا لها صنم يعبد من دون الله كما قال ربنا سبحانه : (( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ )) ( ٥ ) هذه أصنام تعبد مثل الأصنام التي كانت تعبد في زمان قوم نوح حينما قالوا لبعضهم البعض (( وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا )) ( ٦ ) فهذه أصنام عبدت من دون الله فكان هؤلاء المشركون يقيسون بعقولهم القاصرة كيف نترك ما كان يعبد آباؤنا وأجدادنا من قبل يخافون من التعبير وكان بعضهم يدرك أن رسول الله على حق وأنه على صراط مستقيم و لكن أنفة وكبرياء وبعضهم يحتج بالآباء والأجداد كما قال ربنا سبحانه حاكياً عنهم : (( قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة )) أي على ملة وطريقة (( وإنا على آثارهم مقتدون )) ( ٧ ) .

وأبو طالب لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : { ياعم قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله } فيقول : تعيرني قريش وكان عنده أبو جهل الكافر وعبد الله بن أبي أمية كافر أيضاً يقولان له : **أترغب عن ملة عبد المطلب ؟** فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ( ٨ ) عياداً بالله هو على ملة عبد المطلب على أنه يدرك أن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم هي الطريقة الصحيحة حتى إنه يقول في قصيدة :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ثمال اليتامى عصمة للأرامل ( ٩ )  
ولقد علمت بأن دين محمد      من خير أديان البرية ديناً

١ - البقرة (٢٥٨) .

٢ - الزخرف ( ٩ ) .

٣ - العنكبوت ( ٦٥ ) .

٤ - الزمر ( ٣ ) .

٥ - النجم ( ١٩ - ٢١ ) .

٦ - نوح ( ٢٣ - ٢٤ ) .

٧ - الزخرف ( ٢٣ ) .

٨ - البخاري (١٢٩٤) وابن حبان (٩٨٢) ومسنند الشاميين (٣٠٣٣) .

٩ - البخاري (٩٦٣) وابن ماجه (١٢٧٢) وأحمد (٥٦٧٣) وابن أبي شيبة (٢٦٠٦٧) .



لولا الملامة و حذار مسبة

لوجدتني سمحاً بذاك يقيناً

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوسد في التراب دفيناً

ولكنه ضلال ، وقال قائلهم : (( أجعل الآلهة إلهاً واحداً )) ( ١ ) هذه الآلهات التي نعبدنا من دون الله نجعلها إلهاً واحداً واحداً ، وماذا لو جعلوه إلهاً واحداً ؟ وهو الله سبحانه وتعالى لكنه الضلال وإلا فقد قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : { قولوا كلمة تدين لكم بها الأمم العرب والعجم } ( ٢ ) وكان يقول لهم :

{ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا } ( ٣ ) بمجرد أن يقولوا لا إله إلا الله يحصل لهم الفلاح لكنهم هاجوا وماجوا وأبوا إلا أن يدعوا مع الله سبحانه وتعالى إلهاً آخر فكان الواحد منهم يدعوا صنماً ويذبح لصنم وربما كان هذا الصنم من حجارة أو من أترية و ربما كان من تمر فإذا حصل له الجوع أكل هذا التمر أكل هذا الإله الذي نصبه يدعوه من دون الله ، وآخر كان له صنم وقد علق على هذا الصنم سيف من أجل أن يدافع هذا الصنم عن نفسه فإذا بشعبان يصعد على هذا الصنم حتى وصل إلى رأسه وبال الشعبان على رأس هذا الصنم فأدرك ذلكم الأعرابي أن هذا صنم لا يضر ولا ينفع فارتجز قائلاً :

أرب يبول الشعبان برأسه

لقد ذل من بالت عليه الشعبان

فكان هذا القسم من التوحيد هو توحيد الله بأفعال العباد وذلك أن يصرف العباد عبادتهم لله وحده لا شريك له من صلاة وركاة وحج وعمرة ودعاء ورغبة ورهبة وخشوع ونذر وخوف في السر والعلانية يصرفون هذه العبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له كما قال ربنا سبحانه : (( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين )) ( ٤ ) واجب على العباد أن يصرفوا جميع الطاعات لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له وإذا صرف صرف منها شيء لغير الله عد ذلك من الشرك ، والشرك لا يغفره الله كما قال ربنا سبحانه : (( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً )) ( ٥ ) وفي آية أخرى : (( فقد افترى إثماً عظيماً )) (( ٦ ) وفي صحيح مسلم : { أن الله سبحانه وتعالى يقول للمشرك : **أرأيت لو كان لك ملئ الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به ؟** فيقول : بلى فيقول الله : قد أخذت عليك العهد والميثاق وأنت في ظهر أبيك آدم ألا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك } ( ٧ ) نسأل الله السلامة والعافية .

وقال سبحانه حاكياً على لسان لقمان : (( يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم )) ( ٨ ) فما أحوج المسلمين اليوم إلى أن يفقهوا هذا القسم من التوحيد توحيد الألوهية : صرف العبادة لله سبحانه وتعالى وعلى ذلك لا يجوز للعباد أن يدعوا ابن علوان أو أبا طير أو الخمسة أو حتى يدعى رسول الله من دون الله فيعتبر هذا من الشرك الذي لا يغفره سبحانه لأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : (( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي

١ - سورة ص آية ( ٥ ) .

٢ - الترمذي ( ٣٢٣٢ ) وأحمد ( ٢٠٠٨ ) وابن حبان ( ٦٦٨٦ ) وغيرهم وقال الألباني : ضعيف الإسناد .

٣ - أحمد ( ١٦٠٦٦ ) ( ١٩٠٢٦ ) ( ٢٣٢٤٠ ) وابن حبان ( ٦٥٦٢ ) والحاكم ( ٣٩ ) ( ٤٢١٩ ) وسنن الدارقطني ( ١٨٦ ) وغيرهم وانظر صحيح السيرة النبوية النبوية للألباني صفحة ( ١٤٣ ) .

٤ - الأنعام ( ١٦٢ - ١٦٣ ) .

٥ - النساء ( ١١٦ ) .

٦ - النساء ( ٤٨ ) .

٧ - البخاري ( ٣١٥٦ ) ( ٦١٨٩ ) ومسلم ( ٢٨٠٥ ) ومسنند أبي يعلى ( ٤١٨٦ ) .

٨ - لقمان ( ١٣ ) .



سيدخلون جهنم داخرين )) ( ١ ) ومعنى داخرين أي حقيرين وقال سبحانه : (( وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني )) ( ٢ ) وقال نبينا صلى الله عليه وسلم :

{ إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك وإن اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك رفعت الأقلام وجفت الصحف } ( ٣ ) فلا بد أن تكون هذه عبادة راسخة و ثابتة في القلوب أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وما قضاه الله فلا بد أن يكون وأن العباد لن يغنوا عنك من الله شيئاً

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبتن إلا خالي البال  
ما بين ومضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

ومن التجأ إلى غير الله سبحانه وتعالى فإنه يكون قد أوقع نفسه في الهلاك وفي الدمار وفي الضياع وفي الضلال يقول سبحانه : (( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون )) ( ٤ ) وصدق وصدق من قال:

من يتق الله يحمد في عواقبه ويكفه شر من عزوا ومن هانوا  
من استجار بغير الله في فزع فإن ناصره عجز وخذلان  
فالزم يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان

**٣. أما القسم الثالث من أقسام التوحيد فهو توحيد الأسماء والصفات** وهذا النوع من التوحيد معناه : أن لا نسمي ربنا ولا نصفه إلا بما سمى نفسه أو سماه رسوله صلى الله عليه وسلم أو وصف نفسه أو رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل على حد قوله سبحانه :

(( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )) ( ٥ ) نفي مجمل وإثبات مفصل وهذا القسم من التوحيد ما حصل حوله نقاش من الكفار ولا في القرون الثلاثة المفضلة لكن حينما دخلت فلسفة اليونان أيام المأمون بن هارون الرشيد وتسرب علم المنطق والفلسفة إلى بلاد الإسلام أثر هذا على عقيدتهم وعلى مناهجهم فكان من ذلك طائفة تسمى بالجهمية زعيم هذه الطائفة الجهم بن صفوان وشيخه الجعد بن درهم ثم كانت السلسلة تنتهاها إلى لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان من ذلك المعتزلة الذي يتأسسهم واصل بن عطاء أبو صفوان الغزال أحد تلامذة الحسن البصري اختلف معه في صاحب الكبيرة أهو في الجنة أو في النار فكان قول الحسن هو قول أهل السنة أن صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله (( يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً )) ( ٦ ) وكان هذا الرجل واصل بن عطاء يقول : لا ، هو في منزلة بين المنزلتين ، لا نستطيع أن نقول هو في الجنة ولا نقول هو في النار واعتزل هذا وطائفته عن حلقة الحسن والله المستعان فكان الشر يتبع بعضه بعضاً فكانت طائفته تثبت الأسماء مجردة عن أوصافها يقولون الله لا ندري

١ - غافر ( ٦٠ ) .

٢ - البقرة ( ١٨٦ ) .

٣ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .

٤ - الأحقاف ( ٥ ) .

٥ - الشورى ( ١١ ) .

٦ - الإنسان ( ٣١ ) .

معناه ، السميع لا ندري معنى السميع ، البصير لا نقول إنه يبصر ، والعليم لا نقول إنه يعلم أثبت اسماً دون صفة .  
والجهمية جحدوا الأسماء وكذلك الصفات وعطلوا الباري سبحانه وتعالى .

ثم القدريّة ظهرت في البصرة وكان زعيمها معبد الجهني وأثر على هذا الرجل سوسن النصراني فأدخل عليه بعض الشبه في عقيدته فتوسع في باب القدر فنفي علم الله السابق . ثم الأشاعرة أثبتوا سبع صفات ونفوا ماعداها من الصفات ثم دخلوا فيما يسمى بعلم المنطق وعلم الفلسفة وعلم الكلام فهاجوا وماجوا وضاعوا حتى إن الإمام الشافعي رحمه الله يقول : كل ذنب عسى الله أن يغفر لصاحبه إلا الشرك أو رجل لقي الله بعلم الكلام .

وكان يقول : حكمي على أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال وأن يطاف بهم بالأسواق حتى يقال : انظروا هذا جزاء من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من ضحايا هذا الرازي إلا أنه تاب في آخر عمره وهو القائل

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسوننا وغاية دنيانا إذا ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

ثم قال : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تشفي عيلاً ولا تروي غليلاً ثم اتجهت إلى علم الكتاب والسنة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فإنه الرئيس في هذا الباب إقرأ في باب الإثبات (( الرحمن على العرش استوى )) ( ١ ) (( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه )) ( ٢ ) إقرأ في باب النفي (( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )) ( ٣ ) قال : وهأنذا أموت وبجانبي صحيح البخاري أو أموت على عقيدة عجائز نيسابور أو عبارة نحوها .

وهكذا أيضاً الشهرستاني صاحب الملل والنحل الذي جمع من هذا العلم ثم بعد ذلك أفضى به إلى الحيرة فوجد نفسه في غاية من الحيرة لماذا ؟ لأنه ترك علم كتاب الله وعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقول :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقنٍ أو قارعٍ سن نادم

فقال له بعض أهل السنة : يا أستاذ

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن والاه من كل عالم

فما خاب من يهدي بهدي محمدٍ ولست تراه قارعاً سن نادم

فحصل لهؤلاء الضياع و حصل لهم الشقاء والعياذ بالله في الدنيا وهم على شقاء في الآخرة إذا لم يتوبوا حينما تابعوا أناساً قاسوا صفات الله وما يتعلق بأمر الله سبحانه وتعالى من توحيد الأسماء والصفات ومن صفات الكمال والجلال بعقولهم قالوا : كيف ثبت ؟ لأننا لو أثبتنا لزمن ذلك التشابه والتماثل والله عز وجل هو الذي أثبت لنفسه مثلاً السمع قال الله

١ - طه ( ٥ ) .  
٢ - فاطر ( ١٠ ) .  
٣ - الشورى ( ١١ ) .

سبحانه وتعالى عن نفسه : (( وكان الله سميعاً بصيراً )) ( ١ ) **فمن أعلم أنت أعلم أم ربنا سبحانه وتعالى؟ والنبى صلى الله عليه وسلم؟**

قال أبو موسى الأشعري : قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال :  
 { إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام بيده القسط يخفضه ويرفع حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه  
 أحد أو بصر أحد من خلقه } ( ٢ )

هذا نبينا صلى الله عليه وسلم يصف ربنا سبحانه وتعالى بهذه الأوصاف ويقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث  
 عثمان في سنن ابن ماجة : { ما من عبد يقول إذا أصبح وإذا أمسى بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا  
 في السماء وهو السميع العليم } ( ٣ ) شوف { وهو السميع العليم } إثبات صفة السمع والعلم و إثبات العلمية أيضاً أنه  
 سميع وأنه عليم . وهكذا من حديث ابن مسعود في مسند أحمد يقول نبينا صلى الله عليه وسلم :

{ ما من عبد يصاب بهم أو غم أو نصب أو نصب ثم يقول : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض  
 في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو  
 استأثرت به في علم الغيب عندك } ( ٤ ) تأمل إلى هذه الأوصاف { أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته  
 في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك } .

#### فماذا نقول في مثل هذا ؟

فكان الله سبحانه وتعالى أعلم بنفسه من غيره ونبينا صلى الله عليه وسلم أعلم بربه من غيره فهو القائل صلى الله عليه  
 وسلم : { إني لأخشاكم وأتقاكم وأعلمكم بالله أنا } ( ٥ ) هذا ما يسمى بتوحيد الأسماء والصفات وهو أن لا نصف الله  
 إلا بما وصف به نفسه ولا نسميه إلا بما سمى به نفسه أو رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونأخذ طريقة السلف أنهم  
 كانوا يجرون آيات وأحاديث الصفات على المعنى اللاتق دون أن يعترضوا لها بشيء ما كانوا يتعرضون لها بشيء إنما  
 يقولون ما قال الله أو قاله رسوله صلى الله عليه وسلم .

في هذا الزمان مثلاً على سبيل المثال حديث أبي هريرة في صحيح مسلم : { إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا  
 حينما يبقى الثلث الآخر فيقول هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه } ( ٦ ) فبعضهم  
 ربما استشكل قال : طيب عندنا هنا ليل وفي المغرب مثلاً نهار في المشرق ليل والعكس في المغرب نهار **فكيف يكون**

**هذا ؟**

لا ينبغي أن نستشكل إطلاقاً لأننا نقول : إنه لا تشبيه ولا تمثيل فليس المراد بالنزول الذي هو الدنو إلى أسفل ، لا هذا  
 نزول يليق بكمال الله و بجمال الله فإن الله جميل وهو ذو الجلال والإكرام فلا نعلم كنه الصفة ولا بد أن نقطع الأطماع

١ - النساء ( ١٣٤ ) .

٢ - مسلم ( ١٧٩ ) وابن ماجة ( ١٩٥ ) وابن حبان ( ٢٦٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٧٢٦٢ ) .

٣ - صحيح : أبو داود ( ٥٠٨٨ ) والترمذي ( ٣٣٨٨ ) وابن ماجة ( ٣٨٦٩ ) وأحمد ( ٤٤٦ ) ( ٤٧٤ ) ( ٥٢٨ ) وابن حبان ( ٨٥٢ ) ( ٨٦٢ ) وغيرهم وانظر  
 حديث رقم : ٥٧٤٥ في صحيح الجامع .

٤ - صحيح : أحمد ( ٣٧١٢ ) ( ٤٣١٨ ) وابن حبان ( ٩٧٢ ) والحاكم ( ١٨٧٧ ) والبزار ( ١٩٩٤ ) وابن أبي شيبة ( ٢٩٣١٨ ) وغيرهم وانظر السلسلة  
 الصحيحة برقم ( ١٩٩ ) .

٥ - البخاري ( ٢٠ ) .

٦ - مسلم ( ٧٥٨ ) ( ٧٥٨ ) وأحمد ( ٣٦٧٣ ) ( ٣٨٢١ ) ( ٩٥٨٩ ) ( ١١٣١٣ ) ( ١١٤٠٤ ) وغيرهم .

التي تحاول معرفة كنه الصفة المعنى ربما كان واضحاً جلياً مثل مثلاً الغفور صفة المغفرة ومعنى المغفرة أي أنه يغفر فهو سبحانه وتعالى يغفر الذنوب كما قال ربنا سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : { يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً } ( ١ ) ومعنى يغفر أي : أنه يمحو ويتجاوز **لكن كيف صفة المغفرة؟** هنا لا يجوز إطلاقاً وهذه هي عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وعلى هذه العقيدة درج أئمتنا في كل عصر ومصر ولم يخالف في ذلك إلا الأشاعرة والجهمية والمعتزلة ومن كان على شاكلة هؤلاء فهذا فيما يتعلق بهذه الأقسام الثلاثة من أقسام التوحيد والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - مسلم (٢٥٧٧) وابن حبان (٦١٩) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٢٧٢) وغيرهم .

## وقول الله تعالى (( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )) ( ١ )

قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله تعالى ونفعنا بعلمه ورحم موتانا وموتى المسلمين أجمعين :

### وقول الله تعالى (( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )) ( ١ )

ففي قوله : وقوله عطف على التبويب الأول وهو قوله كتاب التوحيد فيكون كتاب مضاف والتوحيد مضاف إليه وقول الله معطوف على التوحيد فابتدأ المؤلف رحمه الله كتابه بهذه الآية المباركة من آخر سورة الذاريات والمراد بالخلق هو الإيجاد أوجد الله عز وجل الجن والإنس لا من أجل أن يطعموه أو أن يتكثر بهم من قلة أو يعتز بهم من ضعف أو جبن بدلالة الآية (( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )) ( ١ ) فهذه هي الحكمة ثم بين ذلك سبحانه وتعالى مؤكداً (( ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين )) ( ٢ ) والمراد بالجن : هم عالم غيبي خلقهم الله سبحانه وتعالى من نار وأصلهم إبليس أبو الجن هو إبليس والجن فيهم الصالحون وفيهم الفاسقون كما قال ربنا سبحانه حاكياً عنهم : (( وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً )) ( ٣ ) وقبلها يقول الله : (( وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قديراً )) ( ٤ ) وقد جاء في كتاب الخلق من صحيح البخاري وهو الجزء السادس من كتاب الفتح من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها قالت : قال نبينا صلى الله عليه وسلم :

{ خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم } ( ٥ ) أي من تراب ومعنى الجن هو مشتق من الإجتان وهو الخفاء لأن مادة الجيم والنون تدل على ذلك ومن ذلك سميت الجنة جنة لاستتارها بما فيها من الفناء والأسوار ومن ذلك سمي الجنين في بطن أمه لأنه غير مرئي . ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة الإيمان بهذا العالم الذي هو عالم الجن والشياطين نؤمن بذلك وهم خلق لهم عاداتهم وتقاليدهم ولا يجوز لمسلم أن ينكر هذا لكن بعض العقلايين يفسر الجن أو عالم الجن والشياطين بأنه عبارة عن الحشرات وعن الميكروبات وهذا يعتبر مصادماً لأمر الله ولأمر النبي صلى الله عليه وسلم فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته فجاء الشيطان بلهب من نار يريد أن يدفعه في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فخنقه عليه الصلاة والسلام حتى وجد بردة لسانه على يده قال : { لولا دعوة أخي سليمان (( رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي )) لربطته إلى سارية من سواري المسجد } ( ٦ ) والحديث في صحيح البخاري وهكذا أخبر بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم بأن هناك جنياً يلبس عليه صلاته قال : { ذاك شيطان يقال له خنزب فإن حسست به فافتل

١ - الذاريات ( ٥٦ ) .

٢ - الذاريات ( ٥٧ - ٥٨ ) .

٣ - الجن ( ١٤ - ١٥ ) .

٤ - الجن ( ١١ ) .

٥ - مسلم ( ٢٩٩٦ ) وأحمد ( ٢٥٢٣٥ ) ( ٢٥٣٩٣ ) ومصنف عبد الرزاق ( ٢٠٩٠٤ ) وشعب الإيمان ( ١٤٣ ) وغيرهم .

٦ - البخاري ( ٤٤٩٩ ) ( ١١٥٢ ) ( ٣٢٤١ ) ( ٤٥٣٠ ) ومسلم ( ٥٤١ ) وأحمد ( ٧٩٥٦ ) وابن حبان ( ٦٤١٩ ) والدارقطني ( ١٦ ) وغيرهم .

عن يسارك ثلاثاً { ( ١ ) } فهو أمر لا شك فيه ولا امتراء عالم غيبي وهناك سورة تسمى بسورة الجن وهكذا أيضاً يقول سبحانه: (( وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين )) ( ٢ ) وقد جاء الجن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم إلى الله وتلا عليهم من القرآن فسألوه الطعام فقال : { لكم كل عظم ذكر عليه اسم الله { وسألوه علفاً لدوابهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { رجيع دواب الإنس علف لدوابكم } ( ٣ ) لذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء أو الاستجمار بعظم أو روث لأن العظام طعام للجن والأرواث طعام لدوابهم أفصحت بهذا سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأما الإنس فسمي بذلك قيل : لأنه يأنس بعضهم إلى بعض سمي الإنسان إنساناً لأنه يأنس بعضه إلى بعض **وما هو السر في تقديم الجن على الإنس ؟ هل الجن أفضل من الإنس ؟**

لا وإنما باعتبار الخلقة فكان وجود الجن قبل وجود الإنس لأن الله سبحانه وتعالى أخر خلق آدم فكان آدم من آخر المخلوقات تواجداً أوجده الله سبحانه وتعالى بعد خلق إبليس والسموات والأرض والملائكة والجنة والنار أمور كثيرة جداً. ثم قال سبحانه وتعالى : (( إلا ليعبدون )) فهذه اللام تفيد التعليل المبين للحكمة وليس المبين أو الملازم للمعلوم التعليل الملازم للمعلوم مثل قولك : أتيت زيدا ليكرمني فما جئت إلى زيد إلا من أجل الإكرام ، أو صليت ليغفر الله لي فأنت ما صليت إلا من أجل مغفرة الله سبحانه وتعالى أو صليت ليدخلني الله الجنة فهذه تعتبر لأمّاً تعليلية ملازمة للمعلوم .

#### وما الفرق بينهما ؟

الفرق بينهما أن التعليل الملازم للمعلوم يكون واجب الوقوع بخلاف التعليل المبين للحكمة فقد يقع وقد لا يقع كما هو الحال فالله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس من أجل العبادة لكن من الجن من لا يعبد الله وكذلك من الإنس من لا يعبد الله لكن الأصل والحكمة والغاية من خلق الجن والإنس هو أن يعبدوا الله سبحانه وتعالى إذن هذه اللام تسمى تعليلية غائية وليس تعليل ملازم للمعلوم وقد تقدم لكم الفرق .

و أما العبادة فقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله : أن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وهي خمسة أقسام :

١. **إعتقادية** : فيما يعتقد الشخص من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر والعقيدة العامة الشاملة كما قيل :

إن العقيدة في قلوب رجالها من ذرة أقوى وألف مهند

٢. **وعبادة بدنية** : كتأدية مناسك الحج والعمرة والصلاة هذه تسمى عبادة بدنية .

٣. **وعبادة مالية** : وهو إخراج الزكاة لأن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة وتعرفون أن أبا بكر الصديق قاتل مانعي الزكاة وسميت هذه الحرب بحرب المرتدين أو حرب الردة .

٤. **وعبادة قولية** : وهي التلفظ بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والأذكار وقراءة القرآن يدخل في ذلك .

١ - مسلم (٢٢٠٣) وأحمد (١٧٩٢٨) والحاكم (٧٥١٤) والمعجم الكبير (٨٣٦٦) (٨٣٦٨) وغيرهم .

٢ - الأحقاف (٢٩) .  
٣ - مسلم (٤٥٠) والترمذي (٣٢٥٨) وأحمد (٤١٤٩) وابن حبان (٦٥٢٧) وسنن البيهقي الكبرى (٣٠) (٥٢٨) .

**٥. عبادة تركية:** ما أمرك الله بتركه من الحرام من المكروهات تركته ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً تتركه هذه تعتبر عبادة تركية إذن أقسام العبادات خمسة عبادة اعتقادية وعبادة بدنية وعبادة مالية وعبادة قولية وعبادة تركية ومدار هذه أو منقسمة على أمور ثلاثة منقسمة على القلب وعلى اللسان وعلى الجوارح فالعبادة الإعتقادية محلها القلب والعبادة القولية اللفظية محلها اللسان ثم عبادة في الجوارح وهو ما يتعلق بالعبادة البدنية والمالية والتركية . والعلماء يقولون إن أمر العبادة تجري فيها الأحكام الخمسة والمراد بالأحكام الخمسة هو :  
الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح.

**١. فالواجب:** في اللغة: بمعنى اللازم أو الساقط .

واصطلاحاً: ما أمر الله به أو رسوله صلى الله عليه وسلم على وجه الإلزام كالصلوات الخمس .  
وحكمه : يثاب فاعله امتثالاً ويستحق العقاب تاركه .

**٢. والمندوب:** لغة: بمعنى المدعو ويقال عنه مستحب ويقال عنه أيضاً مسنون .

وتعريفه : ما أرشد إليه الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم ليس على وجه الإلزام كالنوافل .

وحكمه : يثاب فاعله امتثالاً ولا يستحق العقاب تاركه لأنه مندوب إن أتيت به آجرك الله وإن لم تأت به فلا حرج ولكن الأفضل أن تأتي به لأنه هو أحد معاني قول الله عز وجل : ((ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله )) (١) فقد قيل في السابق بالخيرات هو الذي أتى بالفرائض وأتى بالنوافل وترك المحرمات والمكروهات فكان أرفع مقاماً من المقتصد والشخص لا بد أن يسعى إلى الكمالات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وتعرفون حديث أبي هريرة :

{ يقول ربنا سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : وما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه } (٢)  
فالنوافل بعد الفرائض تكسبك يا عبد الله ولاية الله تبارك وتعالى والمراد بالولاية : الحفظ والنصرة والتأييد والخير العميم **فمن الذي يأبى على نفسه ذلك ؟**

**٣. وأما الحرام فهو لغة:** المحذور أو الممنوع.

واصطلاحاً : ما نهى الله عنه أو رسوله صلى الله عليه وسلم على وجه الإلزام بالترك كعقوق الوالدين .  
وحكمه : يثاب تاركه امتثالاً ويستحق العقاب فاعله .

**٤. أما المكروه لغة:** المبغض .

واصطلاحاً: ما نهى الله عز وجل عنه أو رسوله صلى الله عليه وسلم ليس على وجه الإلزام بالترك .  
وأما حكمه : يثاب تاركه امتثالاً ولا يستحق العقاب فاعله لأنه مكروه ما وصل إلى درجة الحرام .

**٥. وأما المباح فهو لغة:** المعلن والمأذون به شرعاً.

واصطلاحاً : ما لم يتعلق به أمر ولا نهى لذاته .

<sup>١</sup> - فاطر ( ٣٢ ) .

<sup>٢</sup> - البخاري ( ٦١٣٧ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٦١٨٨ ) ( ٢٠٧٦٩ ) .



وحكمه : على حسب نية فاعله هولا يتعلق به أمر ولا نهى لذاته لكن أيضاً كما قال السعدي في رسالة له بعنوان أصول الفقه : هو مستوي الطرفين إن أكلت طعاماً وقصدت بأكلك الطعام وأكل الطعام مباح كما قال الله : (( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة )) ( ١ ) الأصل في الطعام والشراب الإباحة ، أكلت ونويت بهذا التقوي على طاعة الله فهنا تكون مأجوراً ، إن أسرفت في الأكل وصل بك الأمر إلى حد الإسراف والتبذير وهو محرم قال الله تبارك وتعالى : (( إنه الله لا يحب المسرفين )) ( ٢ ) وقال سبحانه :

(( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا )) ( ٣ ) وقال سبحانه : (( ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين )) ( ٤ ) وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال } ( ٥ ) هذا ما يتعلق بأمر العبادة التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعالى عالم الجن و عالم الإنس ولأجل هذه العبادة خلق الله السماوات والأرض من أجل إقامة أمره في أرضه .

فمن أراد أن يسعد في الدنيا وأن يسعد في الآخرة فليلزم عبادة الله سبحانه وتعالى لأنه كما قيل : إرضاء الناس غاية لا تدرك وعبادة الله لازمة لا تترك فمن أراد الخير كله في الدنيا والآخرة فليلزم عتبة العبودية كما لزمها الأنبياء من قبلنا وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حينما قال الله في حقه : (( واعبد ربك حتى يأتيك اليقين )) ( ٦ ) فلقد لزم عبادة الله سبحانه وتعالى حتى خرج من هذه الدنيا بل وهو في مرض موته يأتي يهادى بين العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما حتى أوقف في الصف ( ٧ ) وهو العبد المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ( ٨ ) وهذه العبادة لا تكون مقبولة إلا بشروط خمسة أهم هذه الشروط الإخلاص والمتابعة ثم يلي ذلك المحبة والخوف والرجاء هذه خمسة شروط لا بد أن تتوفر .

أما دليل الإخلاص فيقول سبحانه : (( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين )) ( ٩ ) وأما من السنة فقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى } ( ١٠ ) وباب الإخلاص باب واسع والعلماء لهم عدة تعاريف فيما يتعلق بالإخلاص وخلاصة ذلك : أن تتعبد لله سبحانه وتعالى لا ترجو ثواباً إلا من الله سبحانه وتعالى فتكون بهذا العمل قاصداً وجه الله جل وعلا لا تقصد أحداً من الخلق من الذين ينظرون إليك أو لا ينظرون إليك فإنما تريد من وراء ذلك رحمة الله و إرضاء الله سبحانه وتعالى .

وأما الإتيان فتتابع في ذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم لأن العمل إذا كان فيه إخلاص وليس فيه اتباع فهو مردود وإن قال صاحبه : أنا قصدي طيب ونيتي حسنة لا يلتفت إلى هذا لأنه لا يكفي فلا بد من إخلاص ولا بد من إتيان قال نبينا صلى الله عليه وسلم : { من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد } ( ١١ ) وتقول عائشة : سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

١ - الأعراف ( ٣٢ ) .

٢ - الأنعام ( ١٤١ ) والأعراف ( ٣١ ) .

٣ - الأعراف ( ٣١ ) .

٤ - الإسراء ( ٢٦ - ٢٧ ) .

٥ - البخاري ( ١٤٠٧ ) ( ٢٢٧٧ ) ( ٥٦٣٠ ) ( ٦١٠٨ ) ( ٦٨٦٢ ) ومسلم ( ١٧١٥ ) ( ٥٩٣ ) وأحمد ( ٨٣١٦ ) ( ٨٧٠٣ ) ( ٨٧٨٥ ) وغيرهم .

٦ - الحجر ( ٩٩ ) .

٧ - البخاري ( ٦٨١ ) ومسلم ( ٤١٨ ) والنسائي ( ٨٣٣ ) وابن ماجه ( ١٢٣٢ ) ( ١٢٣٥ ) وابن حبان ( ٢١٢٠ ) وغيرهم .

٨ - لقوله تعالى : (( ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر )) [ الفتح ( ٢ ) ] .

٩ - البينة ( ٥ ) .

١٠ - البخاري ( ١ ) ( ٥٤ ) ( ٢٣٩٢ ) ( ٣٦٨٥ ) ( ٤٧٨٣ ) ( ٦٣١١ ) ( ٦٥٥٣ ) ومسلم ( ١٩٠٧ ) وأبو داود ( ٢٢٠١ ) والترمذي ( ١٦٤٧ ) والنسائي ( ٧٥ ) وغيرهم .

١١ - مسلم ( ١٧١٨ ) وأحمد ( ٢٥٥١١ ) ( ٢٦٢٣٤ ) والدارقطني ( ٨١ ) عن عائشة رضي الله عنها .

{ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } ( ١ ) .

ويقول سبحانه وتعالى : (( اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون )) ( ٢ ) .

ثم أمر المحبة هو أساس في كل شيء أساس في الأعمال كلها المحبة أساس في كل عمل ولا يمكن أن يكون الشخص منتجاً عملاً طيباً ولو كان عملاً دنيوياً إلا إن كانت عنده الرغبة العامة الشاملة وهكذا أيضاً لن تكون من ورثة جنة النعيم إلا أن تكون قد أحبت الله وأحبت الجنة وأحبت الدار الآخرة وهذه المحبة محلها القلب ففيها تعظيم وتقديس وتنزيه للذات الإلهية فتحبه وتحب كتابه وتحب لقاءه وتحب أوامره .

وأما الخوف والرجاء فكما قال ابن القيم رحمه الله : هما كالجناحين للطائر إن انكسر أحدهما فلا يستطيع أن يطير وهكذا العبد فلا بد أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمة الله ويخاف أن تحبط أعماله أو أن تقل درجته في الآخرة فيكون في خوف مستمر كما قال سبحانه وتعالى في أسرة آل زكريا : (( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين )) ( ٣ ) وهكذا كان عمر بن الخطاب إذا صلى بالناس صلاة الوتر كان يقول : [ اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق ] ( ٤ ) وعلى هذا . بارك الله فيكم . كان نبينا صلى الله عليه وسلم لكن علماؤنا يقولون : إن كثرت حسنات الشخص فلا بد أن يغلب جانب الرجاء وإن قلت حسناته وكثرت سيئاته يغلب جانب الخوف أما في آخر أمره وفي خروجه من هذه الدنيا فلا بد أن يغلب جانب الرجاء لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله } ( ٥ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { يقول الله تبارك وتعالى : أنا عند حسن ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله } ( ٦ ) فلا بد أن تظن بالله عز وجل ظناً حسناً وهكذا . بارك الله فيكم . أساس ذلك كله تنقية القلوب من الشرك من الحقد من الحسد من الغش من البغضاء من كل مفسد ورواسب الدنيا والأطماع والشهوات والملذات وأن يكون القلب نظيفاً نورانياً لأن القلب محل نظر الرب سبحانه وتعالى إليه كما في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم : { إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم } ( ٧ ) جاء في صحيح الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { دخل رجل الجنة بعدق أو بغصن نحاه عن طريق الناس } ( ٨ ) وليس العبرة هاهنا بالعمل هذا عمل يسير جداً لكنه عظيم عند الله سبحانه وتعالى وليس النظر إلى العمل كما قال قال بعض الفقهاء : ليس النظر إلى العمل وإنما النظر إلى خيرية وجدت في قلب هذا الرجل فما جاءه هذا من فراغ وإنما جاءه من عمل صالح فما أحوجنا جميعاً إلى أن نصلح قلوبنا ونصلح ما أفسدنا بيننا وبين ربنا سبحانه وتعالى فكما كان بعض الصالحين يوصي بعضهم إلى بعض يقول : [ من أصلح سريره أصلح الله علانيته ومن أصلح ما بينه وما بين الله أصلح الله ما

١ - البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) وأبو داود (٤٦٠٦) وأحمد (٢٦٠٧٥) (٢٦٣٧٢) وابن حبان (٢٦) (٢٧) والدارقطني (٧٨) وغيرهم .

٢ - الأعراف ( ٣ ) .

٣ - الأنبياء ( ٩٠ ) .

٤ - عبد الرزاق (٤٩٦٩) وابن أبي شيبة (٧٠٢٧) (٧٠٣١) وشرح معاني الآثار (١٣٧٠) وانظر إرواء الغليل ( ٢ / ١٦٥ ، ١٧٠ ) .

٥ - مسلم (٢٨٧٧) وأبو داود (٣١١٣) وابن ماجه (٤١٦٧) وأحمد (١٤٦٢٠) وابن حبان (٦٣٨) والطيالسي (١٧٧٩) وغيرهم .

٦ - صحيح : أحمد (٩٠٦٥) وابن حبان (٦٣٩) وانظر حديث رقم : ٤٣١٥ في صحيح الجامع .

٧ - مسلم (٢٥٦٤) وأحمد (٧٨١٤) (١٠٩٧٣) وابن حبان (٣٩٤) وغيرهم .

٨ - البخاري (٦٢٤) (٢٣٤٠) ومسلم (١٩١٤) والترمذي (١٩٥٨) وغيرهم بلفظ : { بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له } وأحمد (٩٢٣٥) بلفظ : { دخل عبد الجنة بغصن شوك على ظهر طريق المسلمين فأماطه عنه } .

بينه وما بين الناس ومن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه [ فما أحوجنا جميعاً إلى أن نلازم العبادة ملازمة صحيحة وأن ندعوا الناس إلى أمر العبادة كما دعا إليها الأنبياء والمرسلون من قبلنا ولاقوا ما لاقوا في سبيلها .

أما في قوله : (( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )) ( ١ ) فلقد قال بعضهم : المراد بالعبادة هاهنا التوحيد فيكون معنى ليعبدون أي ليوحدون والمراد بالتوحيد هاهنا توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات لأن الآية عنت التوحيد على وجه العموم والشمول وهل يجوز أن تفسر بما فسرنا به من أمر العبادة أيضاً تشمله لأن القرآن الكريم يحمل هذه المعاني كلها وهي معاني طيبة والنبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى عبادة الله وإلى إزالة الشرك ودعا إلى الصلاة وإلى صلة الأرحام وإلى إفشاء السلام وإلى قيام الليل وإلى بر الوالدين ودعا إلى مكارم الأخلاق بل يقول صلى الله عليه وسلم : { إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق } ( ٢ ) فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، فالتوحيد والأخلاق والصلاة يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكرمنا وإياكم بملازمة العبادة وأن يجعلنا وإياكم من المقبولين ، و بهذا القدر نكتفي ونتابع في الدرس اللاحق إن شاء الله وفق الله الجميع لما يحبه ويرضى وأخذ بنواصينا جميعاً للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١ - الذاريات ( ٥٦ ) .

٢ - أحمد ( ٨٩٣٩ ) والبخاري في الأدب المفرد ( ٢٧٣ ) وابن أبي شيبة ( ٣١٧٧٣ ) وشعب الإيمان ( ٧٩٧٨ ) بلفظ : { إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق } وسنن البيهقي الكبرى ( ٢٠٥٧١ ) ومسند الشهاب ( ١١٦٥ ) بلفظ : { إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق } .

وقوله : (( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )) ( ١ )

قال الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله :

وقول الله سبحانه : (( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )) ( ١ ) ،

لا زال المؤلف يدندن على الترجمة الأولى التي هي كتاب التوحيد وقول الله سبحانه :

(( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )) ( ٢ ) ثم ذكر بعدها مباشرة هذه الآية الكريمة وهي قول ربنا سبحانه وتعالى : ((

ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )) ( ١ ) .

ففي قوله : لقد : تسمى هذه اللام موطئة للقسم ويستفاد منها أيضاً التأكيد وأعقب الله سبحانه وتعالى هذا التأكيد بمؤكد آخر وهي قد التي تدخل على الفعل المضارع فتفيد التحقيق أو التقريب فهنا أفادت التحقيق أي أنه تحقق بعثة الأنبياء والرسل من أجل عبادة الله واجتناب الطاغوت .

وقوله سبحانه : (( بعثنا )) المراد بالبعث هو الإثارة والتحريك فالله عز وجل بعث أي أنه : أرسل ثم عمم الله عز وجل هذا الإرسال قائلاً :

(( في كل أمة )) والمراد بالأمة هاهنا الطائفة وتأتي كلمة أمة في القرآن ويراد بها الطائفة كهذه الآية ويراد بها المدة الزمنية كما

قال ربنا سبحانه وتعالى : (( وادكر بعد أمة )) ( ٣ ) وتأتي ويراد بها الطريقة أو الملة كما قال سبحانه حاكياً عن أهل الشرك : ((

إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون )) ( ٤ ) وتأتي كلمة أمة ويراد بها الإمامة في الدين قال جل وعلا في محكم

كتابه : (( إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم )) ( ٥ ) .

وفي قوله : رسولا الرسول هو إنسان من بني آدم بعثه الله عز وجل برسالة وكلفه بتبليغها هذا هو تعريف الرسول وقد وقع

الإجماع على أنه لا يمكن أن يكون من الرسل امرأة بل جميع الأنبياء ذكور رجال .

والفرق بين النبي والرسول قولان مشهوران للعلماء :

١. القول الأول : أنه لا فرق بينهما .

٢. والثاني وهو الصواب : أنه يوجد فرق بدلالة قول الله سبحانه وتعالى : (( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي )) ( ٦ )

فحصل التفريق بين النبي وبين الرسول فيكون الرسول من بعثه الله بشرع جديد وأمره الله بتبليغه والنبي من جاء مقررراً لشريعة

من قبله كما أفاد ذلك الإمام الألوسي في تفسيره وخاتم الأنبياء والرسل هو محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ربنا سبحانه :

(( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين )) ( ٧ ) فإن زعم زاعم وقال : محمد خاتم النبيين وليس

١ - النحل ( ٣٦ ) .

٢ - الذاريات ( ٥٦ ) .

٣ - يوسف ( ٤٥ ) .

٤ - الزخرف ( ٢٣ ) .

٥ - النحل ( ١٢٠ - ١٢١ ) .

٦ - الحج ( ٥٢ ) .

٧ - الأحزاب ( ٤٠ ) .

بخاتم المرسلين كما هو حال كثير من الأفاكين و الدجالين ، نقول إن كانت النبوة قد انتفت فمن باب أولى انتفاء الرسالة هذا أمر .

أمر آخر يقول نبينا صلى الله عليه وسلم : { إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول } ( ١ ) على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أثبت أنه يكون بين يدي الساعة ثلاثون دجالاً كلهم يزعم أنه نبي وليس نبي قال صلى الله عليه وسلم : { لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كل يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي } ( ٢ ) وقد كان بعض هؤلاء الأفاكين الدجالين عنده شيء من الذكاء مجرداً من الزكاء فقال : هو لا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

{ ولا نبي } فهذا كان يقول : لا يعني هو اسمه لا فيكون نبي أو رسول باسم لا وما أشبه هذا بقول الأفاك الدجال الضليل بيان بن سمعان الذي كان يقول للناس : إنه النبي المختار بدلالة آية من سورة آل عمران : (( هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين )) ( ٣ ) كان يقول اسمي وارد في القرآن الكريم وقد كان من هؤلاء كثر زمن الخليفة المأمون فقد كثر من هؤلاء الدجالين حتى إن واحداً منهم خرج يقول للناس إنه نبي ورسول فأمر المأمون بسجنه فسجن ثم قال لهم الخليفة : أعطوه من الدجاج وأعطوه من البيض أكلوه وأكرموه فبعد ثلاث أيام استدعاه قال له : **ما أنت ؟** قال : هو نبي قال هل أوحى إليك بشيء في هذه الثلاثة الأيام قال : أوحى الله إلي أن الزم هذا المكان الذي حبستموني فيه ، **لماذا ؟** لأنه يأكل الدجاج ويأكل البيض ، فعرف الخليفة أنه رجل مجنون فقال : فكوا له وأطلقوا سراحه ، وآخر سجن فور خروجه فقال الخليفة : **هل عندك شيء وأوحى إليك به أو إلى من أرسلت ؟** قال له : **يا أمير المؤمنين وهل تركتموني حتى أرسل وأبعث ؟** أنا بمجرد أن ظهرت سجنتموني مباشرة وهكذا . بارك الله فيكم . لا زلنا نسمع إلى يومنا هذا ، و لكننا نعتقد عقيدة راسخة في أعماق قلوبنا أن خاتم الأنبياء والمرسلين هو محمد سيد الأولين والآخرين وخليل رب العالمين .

وفي قوله : (( أن اعبدوا الله )) أن هذه تسمى تفسيرية وضابط أن التفسيرية : هي التي تسبق بجملة فيها معنى القول دون حروفه كما ذكر ذلك ابن هشام في قطر الندى وغيره .

وقوله : (( اعبدوا الله )) هذا أمر والمراد به عبادة الله وحده لا شريك له وهو التوحيد بأقسامه الثلاثة ربوبية وألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ولفظ الجلالة " الله " علم على الذات الإلهية وهو مشتق من أله يأله ألوهية ومعنى اسم الله أنه الإله المعبود الذي تأله القلوب محبة وتعظيماً .

وقوله : (( واجتنبوا )) من الإجتنب وهو الإبتعاد لفظة اجتنبوا في القرآن أبلغ من لفظة حرام أو تركوا أو ابتعدوا لذلك يقول الله حاكياً على لسان إبراهيم :

(( واجتنبني وبني أن نعبد الأصنام )) ( ٤ ) ويقول سبحانه : (( إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون )) ( ٥ ) فلفظة اجتنبوا فيها من الزجر والتنفير والإبعاد ما ليس عند العبارات الأخرى التي تفيد

١ - صحيح : الترمذي (٢٢٧٢) وأحمد (١٣٨٥١) والحاكم (٨١٧٨) وغيرهم وانظر حديث رقم : ١٦٣١ في صحيح الجامع .  
٢ - صحيح : أبو داود (٤٣٣٤) وأحمد (٥٩٨٥) ومسنند أبي يعلى (٥٩٤٥) ومسنند البزار (٢٢٢٦) بدون لفظة : { كل يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي } بل بلفظ : { كلهم يكذب على الله وعلى رسوله } والمعجم الأوسط ( ٨٣٩٧ ) ومسنند الشاميين (٢٦٩٠) بلفظ : { وإن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي } وانظر السلسلة الصحيحة ( ١٦٨٣ ) وانظر حديث رقم : ٢٠٤٨ في صحيح الجامع .  
٣ - آل عمران ( ١٣٨ ) .  
٤ - إبراهيم ( ٣٥ ) .  
٥ - المائدة ( ٩٠ ) .

تفيد هذا المعنى فالله عز وجل يقول : (( واجتنبوا الطاغوت )) وهذا فعل أمر ، والطاغوت : فسرهُ الكثير من أهل العلم بما يسمى بالتفسير المثالي فبعضهم يقول : هو الشيطان وآخر يقول : هم الكهان وآخر يقول : هو من ادعى علم الغيب وبعضهم يقول : علماء السوء وبعضهم يقول : الأصنام ، والتعريف الجامع المانع الشامل لكلمة الطاغوت من حيث اللغة : الطاغوت : مأخوذ من الطغيان وهو مجاوزة الحد كما قال ربنا سبحانه و

تعالى : (( إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية )) ( ١ ) أي ارتفع الماء على قمم الجبال فلما ارتفع حمل الله سبحانه وتعالى نوحاً والمؤمنين وكانوا قرابة ثمانين رجلاً وامرأتان في هذه السفينة التي صنعها نوح وكانت معجزة له ثم ما قاله ابن القيم : هو كل ما جاوز به العبد الحد من معبود أو متبوع أو مطاع ، فكلمة معبود تشمل الأوثان والأصنام وما شابه ذلك ، ومتبوع يدخل في ذلك العلماء الذين يتابعون لغير دليل ولا برهان ، أو مطاع الأمراء الذين يتابعون على غير حجة ولا برهان لكن هكذا كما قال ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( قالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً )) ( ٢ ) فمن أفضى بشيء من العبادة لقبر أو صنم أو وثن يكون قد عبد الطاغوت ، ومن قلد عالماً لغير حجة ولا برهان وإنما هو تقليد أعمى أفضى به ذلك إلى الطاغوت وهكذا من تابع أميراً أو حاكماً لغير دليل ولا حجة ولا برهان يكون والعياذ بالله قد تابع الطاغوت فالله سبحانه وتعالى حرم علينا متابعة الطواغيت وكان رؤوسهم خمسة : فأول الطواغيت ورئيسهم هو الشيطان الرجيم ، ثم من عبد وهو راضٍ ، ثم من ادعى علم الغيب ، ومن دعا إلى عبادة نفسه فيكون هؤلاء هم طواغيت **لماذا ؟** لأنهم والعياذ بالله قد صرف العباد هذه العبادة لهؤلاء إما للشيطان وإما للكاهن وإما لمن دعا إلى عبادة نفسه أو من عبد وهو راضٍ أو من رضي بأن يتابع على جهل فيكون والعياذ بالله من الطاغوت الذي حذرنا الله سبحانه وتعالى منه كما قال ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( واجتنبوا الطاغوت )) وأما من حصر ذلك بالشيطان أو بالساحر فنقول كما هو حال كثير من الآيات والأحاديث تجد أن كل عالم يفسر هذه الآية أو هذه اللفظة بشيء من التفسير أو بجزء من التفسير فهذا يسميه العلماء بالتفسير المثالي فلا نطعن ولا نقدح إذ أنه كل واحد على حسب علمه وما أعطاه الله سبحانه وتعالى والأئمة المتقدمون ما كانوا يعتنون بهذه التعاريف الجامعة المانعة الشاملة هذا ما عرف إلا عند المتأخرين إذ أن علم المتقدمين كان علماً سهلاً وميسراً وما كان مثل الآن يحتاج الشخص إلى أن يضع إحترازا ويضع عدة إحتتمالات وأيضاً يحاول أن يعالج عدة أبواب يخشى أن يدخل عليه الخصم منها بخلاف المتقدمين فكان كلامهم قليل وعملهم كثير فاعتكس الحال عند المتأخرين ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين .

وقوله سبحانه : (( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه )) ( ٣ ) قضى بمعنى أمر أو بمعنى حكم أو وصى .

والقضاء على قسمين :

**١. قضاء كوني :** وهذا ما قضاه الله سبحانه وتعالى وقدره في الأزل كما قال ربنا في هذه الآية : (( وقضى ربك )) أي حكم سبحانه وتعالى بهذا هذا القسم الأول وهو القضاء الكوني الذي جرى به قلم التكليف كما في حديث ابن عباس الثابت في جامع الإمام الترمذي : { رفعت الأقلام وجفت الصحف } ( ٤ ) وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيح

١ - الحاقة ( ١١ ) .

٢ - الأحزاب ( ٦٧ - ٦٨ ) .

٣ - الإسراء ( ٢٣ ) .

٤ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .



مسلم قال نبينا صلى الله عليه وسلم : { إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء } ( ١ ) وحديث عبادة بن الصامت عند الترمذي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن أول ما خلق الله القلم قال : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : ما كان وما يكون إلى قيام الساعة } ( ٢ ) فهذا ما يسمى بالقضاء الكوني .

٢. وأما القسم الثاني فهو القضاء الشرعي : والمراد بالقضاء الشرعي هي الآيات والأحاديث وأوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد يقول قائل :

**ما الفرق بين القضائين ؟ ما الفرق بين القضاء الكوني والقضاء الشرعي ؟**

الفرق بينهما أن القضاء الكوني واجب الوقوع بخلاف القضاء الشرعي فقد يجب وقوعه وقد لا يجب وقوعه أعطيكُم زيادة في الإيضاح : قضى الله في الأزل أن يعبد وحده لا شريك له كما في الحديث القدسي : { أن الله سبحانه وتعالى يقول للكافر يوم القيامة أو للمشرك : **أرأيت لو كان لك ملئ الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟** فيقول : بلى يا رب فيقول الله : قد أخذت عليك الميثاق وأنت في ظهر أبيك آدم ألا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك } ( ٣ ) فالقضاء الكوني واجب الوقوع بمعنى أن ما قضاه الله من الأرزاق والأنفاس والآجال تقع لكن القضاء الشرعي مثل الشرك مثلاً قد أخذ الله سبحانه وتعالى العهد والميثاق على العباد أن لا يشركوا به شيئاً لكنهم أشركوا مثل قوله سبحانه : (( وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون )) ( ٤ ) وقلت لكم إن هذه اللام التعليل المفيد للغاية المبين للحكمة وليس للملازم للمعلوم وهكذا قوله سبحانه وتعالى : (( وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى )) ( ٥ ) هذا أيضاً أخذ عهد وميثاق من بني آدم كلهم أن يعبدوا الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له لكنهم عبدوا غيره سبحانه وتعالى فاستحقوا العذاب عياداً بالله فيكون القضاء الكوني واجب الوقوع مثل الخلق الرزق الأجل المصائب كما قال سبحانه :

(( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير )) ( ٦ ) ومن هذا ما قالته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان حديث ثابت في صحيح مسلم قالت :

[ اللهم متعني بزوجي رسول الله وبأخي معاوية وبأبي أبي سفيان ] فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليها هذا ، من جهة أولاً أنها اختارت ألفاظاً دينوية بحتة ولا بد أن ترتفع الهمم في باب الدعاء ، الأمر الثاني : أنها سألت أموراً مفروغاً منها قال النبي صلى الله عليه وسلم : { يا أم حبيبة لقد سألت الله آجالاً مضروبة وأياماً معلومة فلو أنك سألته أن يدخلك الجنة وأن يباعذك من النار لكان خيراً وأفضل } ( ٧ ) وهكذا حديث أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن روح القدس القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وتستوفي أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن

١ - مسلم (٢٦٥٣) والترمذي (٢١٥٦) وأحمد (٦٥٧٩) .

٢ - الترمذي (٢١٥٥) (٣٣١٩) والحاكم (٣٨٤٠) والطيالسي (٥٧٧) والمعجم الكبير (١٢٥٠٠) وغيرهم .

٣ - البخاري (٣١٥٦) (٦١٨٩) ومسلم (٢٨٠٥) ومسند أبي يعلى (٤١٨٦) .

٤ - الذاريات (٥٦) .

٥ - الأعراف (١٧٢) .

٦ - الحديد (٢٢) .

٧ - مسلم (٢٦٦٣) وأحمد (٣٧٠٠) (٣٩٢٥) (٤١١٩) (٤٢٥٤) (٤٤٤١) والحاكم (٣٤٤٠) وابن أبي شيبة (١٢٠٢٩) (٢٩١٣٩) وغيرهم .



أحدكم استبطاء رزق أن يطلبه في معصية الله فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته { ( ١ ) } وحديث أبي الدرداء في مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ إن الله فرغ إلى كل عبد من خمس من رزقه وأجله وعمله وأثره وشقي أو سعيد { ( ٢ ) } وهكذا حديث ابن مسعود الثابت في صحيح البخاري و مسلم قال حدثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : { أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع كلمات كتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ثم ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها { ( ٣ ) } فهذا كله يدل على أن القضاء الكوني واجب الوقوع بخلاف القضاء الشرعي الشرعي فقد يقع وقد لا يقع على أن الله سبحانه وتعالى يريد وقوعه ويحب وقوعه كما قال سبحانه وتعالى : (( ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم )) ( ٤ ) .

#### ● هاهنا مسألة: ما الفرق بين القضاء والقدر ؟

هذه من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت مثل الفقير والمسكين والذنب والمعصية والبر والتقوى والإسلام والإيمان فإذا قلنا هذا قضاء فهو قدر وإذا قلنا هذا قدر فهو قضاء لكن لو قلنا هذا قضاء وقدر دل القدر على علم الله السابق ودل القضاء على تنفيذ القدر لاحقاً عن طريق القضاء هذا فيما يتعلق بالفرق بين القضاء والقدر .

١ - مصنف عبد الرزاق (٢٠١٠) ومسند الشهاب (١١٥١) وحلية الأولياء (٢٧ / ١٠) انظر حديث رقم : ٢٠٨٥ في صحيح الجامع .  
٢ - صحيح : أحمد (٢١٧٧٠) والمعجم الأوسط (٣١٢٠) بلفظ : { إن الله عز وجل فرغ إلى كل عبد من خلقه من خمس من أجله وعمله ومضجعه وأثره ورزقه } وانظر ظلال الجنة للألباني (٣٠٣) (٣٠٥) (٣٠٨) .  
٣ - البخاري (٣٠٣٦) (٣١٥٤) (٧٠١٦) ومسلم (٢٦٤٣) وأبو داود (٤٧٠٨) والترمذي (٢١٣٧) وابن ماجه (٧٦) وغيرهم .  
٤ - الزمر ( ٧ ) .

وقوله : (( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً )) ( ١ )

(( وقضى ربك ألا تعبدوا )) أي ألا توحّدوا وقد تفيد الآية العبادة بالمعنى العام وهو : هي : الاسم الجامع الذي يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ثم قال : (( إلا إياه )) أي هو وحده سبحانه وتعالى لا شريك له ثم قال : (( وبالوالدين )) والمراد بالوالدين الآباء والأمهات وهذا إن دل إنما يدل على عظم حق الأبوين كما قال ربنا سبحانه في كتابه الكريم :

(( ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً )) ( ٢ ) وهكذا في آية أخرى : (( أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير )) ( ٣ ) .

ثم قال : (( إحساناً )) والإحسان على مراتب ثلاث أو على مرتبتين :

**أولاً :** كما في الحديث : { أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك } ( ٤ ) فالإحسان بمعنى مراقبة الله سبحانه وتعالى في السر والعلانية ثم من حيث الإحسان بمعناه الشامل ما قاله ابن المبارك قال : هو بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه عند اللقاء ويكون إحساناً مع الخالق بأن تعبدك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ثم إحسان مع المخلوق ويكون مع الوالدين أولاً ثم مع أقربائك ومع جيرانك ومع ضيفك ومع الناس كلهم كما قال سبحانه و تعالى : (( وقولوا للناس حسناً )) ( ٥ ) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

{ **خمس كلمات من يتعلمهن ويعلم من يتعلمهن ؟** قال أبو هريرة : أنا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي وعد خمساً فقال : اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب } ( ٦ ) وهكذا أيضاً يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث : { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه } ( ٧ ) وهكذا في حديث حديث مشهور : { إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته } ( ٨ ) فالإحسان يكون حتى مع الحيوان حتى مع الكلب ومع الدجاج ومع الحيوانات كلها فلا بد من إحسان لأنك ستؤجر على هذا الإحسان الذي أنت تقدمه في هذه الدنيا فإن الله سبحانه وتعالى يجازيك به في الآخرة والجزاء من جنس العمل ثم قال سبحانه وتعالى : (( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربني ارحمهما

١ - الإسراء ( ٢٤ ) .

٢ - الأحقاف ( ١٥ ) .

٣ - لقمان ( ١٤ ) .

٤ - البخاري ( ٥٠ ) ( ٤٤٩٩ ) ومسلم ( ٨ ) ( ٩ ) وأبو داود ( ٤٦٩٥ ) والترمذي ( ٢٦١٠ ) والنسائي ( ٤٩٩٠ ) ( ٤٩٩١ ) وابن ماجه ( ٦٣ ) ( ٦٤ ) وغيرهم .

٥ - البقرة ( ٨٣ ) .

٦ - صحيح : الترمذي ( ٢٣٠٥ ) وأحمد ( ٨٠٨١ ) والمعجم الأوسط ( ٧٠٥٤ ) ومسنند أبي يعلى ( ٦٢٤٠ ) وشعب الإيمان ( ٦٢٤٠ ) ( ١١١٢٨ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٩٣٠ ) .

٧ - البخاري ( ١٣ ) ومسلم ( ١٥٩٩ ) والترمذي ( ٢٥١٥ ) والنسائي ( ٥٠١٦ ) ( ٥٠١٧ ) ( ٥٠٣٩ ) وأحمد ( ١٣٩٩٥ ) والدارمي ( ٢٧٤٠ ) والمعجم الأوسط ( ٨٢٩٢ ) وغيرهم .

٨ - مسلم ( ١٩٥٥ ) وأبو داود ( ٢٨١٥ ) والترمذي ( ١٤٠٩ ) والنسائي ( ٤٤٠٥ ) ( ٤٤١١ ) ( ٤٤١٢ ) ( ٤٤١٣ ) ( ٤٤١٤ ) وابن ماجه ( ٣١٧٠ ) وغيرهم .

كما ريباني صغيراً)) (١) ومعنى لا تنهرهما أي لا يصدر منك قول أو فعل قبيح ولا حتى أدنى مراتب القول السيئ وهي كلمة ( أف ) إن أزعجك أبوك ببعض ألفاظه أو أمك لا يجوز لك أن تقول كلمة أف التي هي أصغر كلمة كما قال ذلك العلماء وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد منبره فقال :

{ آمين يكررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ثم قالوا له : على ما أمنت يا رسول الله قال أتاني جبريل فقال لي : رغم أنف امرئ أدرك والديه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخله الجنة قل : آمين فقلت : آمين ورغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك قل : آمين فقلت : آمين ورغم أنف امرئ دخل عليه رمضان ثم أنسلخ ولم يغفر له ذنبه قل : آمين فقلت : آمين { (٢) ومعنى رغم أي التصق أنفه بالرغام وهو التراب والحديث يفيد أي : الخسارة والويل والهلاك لمن لم يبر أباه أو أمه أمه وخرج من هذه الدنيا صفر اليدين ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم { رضى الرب في رضى الوالدين وسخط الرب في سخطهما } (٣) والحديث رواه الترمذي وهو حديث صحيح وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه فقال : { **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟** فقالوا : بلى قال : الإشراف بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس ثم قال ألا وقول الزور ألا وقول الزور ألا وقول الزور { (٤) وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم فقال :

{ أن تجعل لله نداً وهو خلقك } (٥) ثم سألته عن أحب الأعمال إلى الله قال : الصلاة لأول وقتها قلت : **ثم ماذا يا رسول الله ؟** قال : وبر الوالدين { (٦) فمن أعظم الطاعات بعد طاعة الله سبحانه وتعالى أن يكون العبد باراً بوالديه وأن يفرحهما ويدعن لهما إلا أن يأمرهما الأبوان بمعصية الله أو بالإشراك بالله فهنا يقول الله : (( وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً )) (٧) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : (( إنما الطاعة بالمعروف )) (٨) وعلى العبد أن يكثر من الدعاء لوالديه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدرك أن أمه ماتت على الشرك فكان قد سأل ربه سبحانه وتعالى أن يستغفر لها فأبى الله عز وجل عليه ثم استأذنه أن يزور قبرها فأذن الله سبحانه وتعالى له بزيارة قبرها (٩) وهكذا بارك الله فيكم حال المسلم مع أبيه ومع أمه لأنه يلتبس من وراء ذلك جنة عرضها السماوات والأرض من خلال بره بأبيه وأمّه ، وبهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١ - الإسراء (٢٣ - ٢٤) .

٢ - البزار (١٤٠٥) وصحح الألباني في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (١٥) بلفظ : { ارتقى النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر درجة فقال آمين ثم ارتقى الثانية فقال آمين ثم ارتقى الثالثة فقال آمين ثم استوى فجلس فقال أصحابه على ما أمنت قال : أتاني جبريل فقال رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين فقال رغم أنف امرئ أدرك أبويه فلم يدخل الجنة فقلت آمين فقال رغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له فقلت آمين { .

٣ - شعب الإيمان (٧٨٣٠) وانظر حديث رقم : ٣٥٠٧ في صحيح الجامع .

٤ - البخاري (٢٥١١) (٥٦٣١) ومسلم (٨٧) وأحمد (٢٠٤٠١) وشعب الإيمان (٧٨٦٦) .

٥ - البخاري (٤٢٠٧) (٤٤٨٣) (٥٦٥٥) (٦٤٢٦) (٦٤٦٨) (٧٠٨٢) (٧٠٩٤) ومسلم (٨٦) وأبو داود (٢٣١٠) والترمذي (٣١٨٢) (٣١٨٣) وغيرهم .

٦ - البخاري (٥٠٤) (٢٦٣٠) (٥٦٢٥) (٧٠٩٦) ومسلم (٨٥) والترمذي (١٧٣) (١٨٩٨) والنسائي (٦١٠) (٦١١) وغيرهم .

٧ - لقمان (١٥) .

٨ - البخاري (٦٧٢٦) (٦٨٣٠) ومسلم (١٨٤٠) وأبو داود (٢٦٢٥) والنسائي (٤٢٠٥) وأحمد (٦٢٢) (٧٢٤) (١٠١٨) وغيرهم .

٩ - مسلم (٩٧٦) وأبو داود (٣٢٣٤) والنسائي (٢٠٣٤) وابن ماجه (١٥٧٢) وغيرهم بلفظ : { استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ... } .

وقوله : (( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً )) ( ١ ) وقوله :

(( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً )) الآيات ( ٢ )

يقول المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله :

وقول الله سبحانه و تعالى : (( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ))

فلا زال رحمه الله يدل على وجوب التوحيد وأهميته ففي قوله سبحانه :

(( واعبدوا الله )) أي وحدوا الله ويكون التوحيد هاهنا بأقسامه الثلاثة ربوبية وألوهية وأسماء وصفات ، وفي قوله :

(( ولا تشركوا )) نهى ، ينهى الله سبحانه وتعالى عن الإشراك به وقد جعل الله سبحانه وتعالى الشرك محرماً وإن كان شيئاً يسيراً وهذا يكون واضحاً جلياً من قوله سبحانه : (( ولا تشركوا به شيئاً )) فإن شيئاً نكراً في سياق النهي تفيد العموم كما يقول ذلك علماء الأصول أن النكرة إن كانت في سياق النفي أو النهي أو الاستفهام فإنها تفيد العموم والشرك محرم كله الصغير منه والكبير كبائره وصغائره فكله حرام وكله صاحبه على خطر قال سبحانه : (( إن الله لا يغفر أن يشرك به )) ( ٣ ) ( فلو كان الشرك أصغر فهو عظيم وإن كان أكبر فهو عظيم وغير مغفور لصاحبه لأن أن وما دخلت عليها في تأويل مصدر نكرة في سياق النفي )) ( إن الله لا يغفر أن يشرك به )) أي لا يغفر شركاً به وهذا إن مات صاحبه وهو مصر على الشرك ، وقد جاء في حديث أنس : { أن الله تبارك و تعالى يقول : يا ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً إلا أتيتك بقرابها مغفرة } ( ٤ ) .

ويقول سبحانه : (( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً )) في هذه الآية يأمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول للناس : تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فالرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن ربه سبحانه وتعالى فيقول سبحانه وتعالى آمراً نبيه :

(( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً )) وقد تقدم لكم معنى قوله : (( ألا تشركوا به شيئاً )) ومعنى قوله : (( وبالوالدين إحساناً )) والإحسان إلى الوالدين يكون بالمحبة والتودد والرضى التماس رضاها وأيضاً يكون بإعطائهما ما يحتاجان إليه من أمور الدنيا فالله سبحانه وتعالى قرن طاعته بطاعتهما لما لهما من الأجر ومن الفضل لهذا الابن كما قال ربنا سبحانه في كتابه الكريم : (( ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً )) ( ٥ ) فكان للوالدين حظ عظيم في وجود هذا الابن فكان واجباً على الابن أن يعطف على أبويه والجزء من جنس العمل فمن أطاع والديه وخضع لهما بجناحه جاءت ذريته وجاء أولاده مثل ذلك تماماً ومن حاول والعياذ بالله العصيان أو التأفف من الوالدين كان ولا حول ولا قوة إلا بالله الجزء أيضاً من جنس العمل كما ذكروا في كتب

١ - النساء ( ٣٦ ) .

٢ - الأنعام ( ١٥١ ) .

٣ - النساء ( ٤٨ ) ، ( ١١٦ ) .

٤ - صحيح : الترمذي ( ٣٥٤٠ ) وأحمد ( ٢١٣٥٣ ) ( ٢١٤٠٦ ) ( ٢١٥١٠ ) ( ٢١٥٤٤ ) والدارمي ( ٢٧٨٨ ) وشعب الإيمان ( ١٠٤١ ) وغيرهم وانظر

حديث رقم : ٤٣٣٨ في صحيح الجامع .

٥ - الأحقاف ( ١٥ ) .

التأريخ والسير أن رجلاً مرض عليه أبوه مرضاً شديداً فأعيا ابنه هذا المرض فقرر وصمم هذا الابن العاق أن يتخلص من والده فخرج به إلى الصحراء خرج به إلى الصحراء فقال له : لقد أتعبتني وأسهرتني وخسرتني أموالي ولقد قررت أن أذبحك وأن أتخلص منك فقال له : **هل فكرت فيما تقول ؟** قال : نعم وكان قد أخذ سكيناً فأرى والده العاجز الشيخ الهرم أراه السكين قال أذبحك بهذه السكين فقال : يا بني إن كنت لا بد فاعلاً فاذبحني هناك عند تلك الشجرة قال : **ما الفرق بين هنا وهناك ؟** قال : لقد ذبحت أبي في ذلك المكان ولك يا بني مثلها والجزاء من جنس العمل والله المستعان .

وقوله سبحانه : (( ولا تقتلوا أولادكم من إملاق )) ( ١ ) يعني من فقر المراد بالإملاق هنا : الفقر وقوله : (( نحن نرزقكم )) ( ٢ ) بدأ برزق الآباء قبل الأبناء لأن الفقر محقق بخلاف الآية الأخرى (( ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم )) ( ٣ ) فإن هناك فقط مجرد تخوف ولا يجوز قتل الأولاد على ما كان عليه أهل الجاهلية يئدون البنات خشية العار كما قال سبحانه : (( وإذا المؤودة سنلت )) ( ٤ ) وكانوا يقتلون الأولاد خشية الفقر فإله سبحانه وتعالى ضمن للآباء الرزق وهكذا أيضاً للأبناء فلا ينبغي للشخص أن يحمل هذا الهم وقد كفانا الله سبحانه وتعالى قال عز من قائل : (( نحن نرزقكم وإياهم )) ( ٥ ) وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

(( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين )) ( ٦ )  
 ( ٦ ) فإن كان الله عز وجل قد قدر نسمة في رحم المرأة فاعلم أن لهذه النسمة رزقاً ورب جنين خرج من بطن أمه فكان سبباً في رزق أبويه وعلى ذلك يجب على الشخص أن يرضى وأن يسلم وإن كثر أولاده وهكذا أيضاً لا ينبغي لما يعلن به الآن من مسألة تحديد النسل هذا الأمر الطاغوتي الذي نادى به كثير من أبناء المسلمين تقليداً للغربيين فإنهم ينادون بتقنين وتحديد النسل لا بد أن يكون للشخص فقط ولد و بنت كما هو حال الشعب الصيني أو كثير من الشعوب التي قد كثرت سكانها لكن العالم الغربي بالعكس من ذلك فعندهم المرأة إذا حملت وولدت يعطونها مكافآت لكنهم يشجعون المسلمين على تحديد النسل وهكذا أيضاً على محاربة التعدد تعدد النساء بالزواج لكنهم يوافقون ويشجعون من شأن الفضيحة واتخاذ الخدينات و الصديقات هذا أمر عندهم مشجع وله مؤسسات كبرى تدعمه إما عن طريق الفندقية أو السياحة أو القنوات الفضائية أشياء كثيرة جداً فالقانون يحمي مثل هذا السراب عياداً بالله لكنهم يحاربون التعدد الذي عناه الله عز وجل بقوله : (( فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع )) ( ٧ ) وربما بعضهم يقول : من أين للشخص للشخص إذا كان عنده زوجتان أو ثلاث أو أربع وهذا ما قاله جمال عبد الناصر كان يقول : **أنا من أين لي مليون رغيف للشعب المصري؟** كان يخشى أن يصل الشعب المصري إلى مليون ، الآن الشعب المصري قرابة مائة مليون أو خل ثمانين مليون ، لأن التعداد السكاني عندهم قبل ثمان سنوات إلى سبعين مليون والآن لهم أكثر من عشر سنوات فربما ازدادت أعدادهم **فمن يرزق هؤلاء ؟** إنه الله سبحانه وتعالى ،

١ - الأنعام ( ١٥١ ) .

٢ - الأنعام ( ١٥١ ) .

٣ - الإسراء ( ٣١ ) .

٤ - التكوين ( ٨ ) .

٥ - الأنعام ( ١٥١ ) .

٦ - الذاريات ( ٥٦ - ٥٨ ) .

٧ - النساء ( ٣ ) .

توكل على الرحمن في الأمر كله  
فما خاب حقاً من عليه توكلنا  
وكن واثقاً بالله واصبر لحكمه  
تفر بالذي ترجوه منه تفضلاً

فعندنا الآن الكثير من المسلمين ومن أبناء المسلمين يتخوفون من كثرة الأولاد من كثرة البنات فما أشبه هذا بما كان عليه الجاهليون قبل الإسلام يئدون البنات أحياء فالآن أيضاً من المسلمين من يئد البنات والأولاد عن طريق الإجهاض عن طريق الحبوب العقاقير الإبر عن طريق الربط أشياء كثيرة جداً والله المستعان .

وقوله سبحانه : (( ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن )) ( ١ ) هذا عام لكل فاحشة ظاهرة أو خفية وجب على المسلم أن ينأى بنفسه عنها .

وقوله : (( ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق )) ( ٢ )

النفس التي حرمها الله عز وجل هي أربعة أنفس :

نفس المؤمن . ونفس الذمي . ونفس المعاهد . ونفس المستأمن بكسر الميم .

**نفس المؤمن** حرم الله عز وجل قتله قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ... ))

( ٣ ) وقال سبحانه : (( وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ )) ( ٤ ) وجاء في حديث ابن مسعود في الصحيحين أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة } ( ٥ )

فالثيب الزاني : المحصن إن زنا رجلاً أو امرأة هنا لولي الأمر الحق أن يرحمه حتى الموت كما في الآية المنسوخة لفظاً وتلاوةً وباقية حكماً وشرعاً إلى يوم القيامة (( والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم )) وقد كان بعض الصحابة يقول : إن طال العمر ربما لا يجدون الرجم في كتاب الله ( ٦ ) وإنها لآية كانت تتلى لكن رفع لفظها أو تلاوتها وبقي حكمها .

وهكذا أيضاً من قتل نفساً وإن كان من أهل الإيمان وجب على الحاكم أن يقاخص به لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

{ الحدود كفارة } ( ٧ ) فمن قتل مسلماً فوجب على ولي الأمر وقد رفعت القضية إليه ولم يتنازل أولياء الدم وجب عليه

أن يقتل هذا لأنه كما قال الله سبحانه وتعالى :

(( فقد جعلنا لوليهِ سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً )) ( ٨ ) .

١ - الأنعام ( ١٥١ ) .

٢ - الأنعام ( ١٥١ ) .

٣ - النساء ( ٩٣ ) .

٤ - النساء ( ٩٢ ) .

٥ - البخاري ( ٦٤٨٤ ) ومسلم ( ١٦٧٦ ) وأبو داود ( ٤٣٥٢ ) والترمذي ( ١٤٠٢ ) ( ١٤٤٤ ) وغيرهم .

٦ - ابن ماجه ( ٢٥٥٣ ) وأحمد ( ٢١٢٤٥ ) ( ٢١٦٣٦ ) والدارمي ( ٢٣٢٣ ) وابن حبان ( ٤٤٢٨ ) ( ٤٤٢٩ ) ورواه البخاري ( ٦٤٤٢ ) ومسلم ( ١٦٩١ ) بلفظ بلفظ : { فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف } .

٧ - البخاري ( ٦٤٠٢ ) والترمذي ( ١٤٣٩ ) بلفظ : { ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته } والحاكم ( ٣٦٨٢ ) بلفظ : { وما أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا } وسنن البيهقي الكبرى ( ١٧٣٧٣ ) بلفظ : { الحدود كفارة } .

٨ - الإسراء ( ٣٣ ) .



المفارق لدينه أي : من كان مسلماً فارتد عن دين الإسلام إلى دين يهودي أو نصراني أو مسيحي أو شيعي أو بوذي أو أي شيء على غير دين الإسلام فهنا يكون دمه حلالاً يقول صلى الله عليه وسلم: { من بدل دينه فاقتلوه } ( ١ ) .

**وأما نفس المعاهد :** فهو الذي دخل بلاد المسلمين بعهد وأمانة ذلك أن يعطى فيزه دخول إما عبر المنفذ الجوي أو المنفذ البحري أو المنفذ البري فهذا عنده العهد فلا يجوز لمسلم أن يقتله لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في الترمذي من حديث ابن مسعود : { المسلمون تتكافأ دماؤهم أي تتساوى دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ويغير أدناهم على أقصاهم } ( ٢ ) وأم هانئ لما جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في عام الفتح وهو صلى الله عليه وسلم يغتسل ضحى وفاطمة تستره بثوب فقالت : السلام عليك يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { وعليك السلام ورحمة الله مرحباً بأم هانئ فقالت : يا رسول الله إن فلاناً يزعم أنه سيغدر بمن استجار بي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ } ( ٣ ) فهذا صاحب ذمة إما أن يكون في بلاد المسلمين وإما في غير بلاد المسلمين يكون بينهم ذمة .

أما المعاهد : فهو أن يكون بين المسلمين وبين هؤلاء الذميين يهود أو نصارى يكون بينهم عهد فهؤلاء لا يجوز أيضاً خرق هذا العهد إلا أن يخاف المسلمون من هذا العهد يخافون من هؤلاء أن يغدروا فلهم في ذلك أن يردوا إليهم عهدهم كما قال سبحانه وتعالى : (( وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء )) ( ٤ ) قل هذا عهدكم انتهي بيني وبينكم هذا الأمر وتربهم العداوة والبغضاء من نفسك أما ما زالت بينك وبين هذه الدولة عهد وإن كانوا كفاراً فهنا . بارك الله فيكم . لا يجوز الغدر إطلاقاً .

**وهكذا المستأمن :** رجل دخل بلاد المسلمين من أجل أن يسمع عن الإسلام أو من أجل أن يتعرف على بلاد المسلمين فهذا مستأمن فالله تبارك وتعالى يقول :

(( وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه )) ( ٥ ) أي لا تغدر به لا بد أن تسفره حتى حتى يصل إلى بلاده ولقد كان فيما مضى من الزمان قرابة مائة عام أو أقل كان التجار من بلاد حضرموت من بلاد اليمن يرحلون إلى تركيا وإلى أندونيسيا وإلى كثير من بلاد العالم فأدخلوا أولئك الناس في دين الله ما ذهبوا لقصد الدعوة إلى الله وإنما ذهبوا لقصد التجارة والبحث عن العيش الطيب وهذا عناء الله سبحانه وتعالى بقوله : (( وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله )) ( ٦ ) فلا بأس أن تضرب في الأرض ولو إلى مشارق الدنيا ومغاربها تبحث عن فضل الله سبحانه وتعالى فتأثر أولئك الناس بهؤلاء المسلمين بأخلاقهم بعبادتهم بسلوكهم فدخلوا في دين الله رب العالمين فنحن بحاجة ماسة أن نري الأمم عدل الإسلام وسماحة الإسلام ونور الإسلام حتى يرغبوا فيه فالله سبحانه وتعالى يقول :

١ - البخاري (٦٥٢٤) وأبو داود (٤٣٥١) والترمذي (١٤٥٨) والنسائي (٤٠٥٩) (٤٠٦٠) (٤٠٦١) (٤٠٦٢) (٤٠٦٣) (٤٠٦٤) (٤٠٦٥) وابن ماجه (٢٥٣٥) وغيرهم .  
٢ - أبو داود (٢٧٥١) وابن ماجه (٢٦٨٣) وابن أبي شيبه (٢٧٩٦٨) (٢٧٩٦٩) وشعب الإيمان (١٤٤١) وسنن البيهقي الكبرى (١٥٦٨٨) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٦٧١٢ في صحيح الجامع فقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله .  
٣ - البخاري (٣٥٠) (٣٠٠٠) (٥٨٠٦) ومسلم (٣٣٦) وأبو داود (٢٧٦٣) وأحمد (٢٦٩٣٦) (٢٦٩٥١) (٢٦٩٥٢) (٢٧٤١٩) (٢٧٤٢٨) وغيرهم .  
٤ - الأنفال (٥٨) .  
٥ - التوبة (٦) .  
٦ - المزمل (٢٠) .



(( ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق )) ( ١ ) وعليه فما يفعله الجهاديون من التفجيرات والتفخيخات سواء في بلاد اليمن أو في بلاد الحرمين أو في غيرهما من الدول من دول الجوار الدول الآمنة التي أدخلت هؤلاء الناس بحصانة وهي فيزة الدخول فهذا عمل لا يقره مسلم عاقل فضلاً عن مسلم عالم وهذه فتوى هيئة كبار العلماء في بلاد الحرمين فهذا منكر عظيم وأمر شنيع وعلى المسلم أن يتقي الله سبحانه وتعالى وهكذا ما يفعله بعض المتحمسين ينزل واحد من هؤلاء المعاهدين من على سيارته فيأتي يركب سيارته وينطلق بها هذا أيضاً لا يجوز لأن هذا المال يعتبر معصوم وليس بمباح أن تأخذه وقد يتعلل متعلل إن هؤلاء دخلوا بقصد الإفساد في بلاد المسلمين نقول قد يكون الأمر صحيحاً ما جاء هؤلاء إلا بقصد الإفساد والتبرج ويجعلون نساءهم تتبرج وتسفر وتفتن المسلمين نقول : نعم ولكن هذا منكر يجب إزالته على ولاية الأمور فيجب عليك أن ترفع هذا إلى ولي الأمر وولاية الأمر يكون هذا أمراً في أعناقهم سوف يسألون عنه بين يدي الله سبحانه وتعالى يقول نبينا صلى الله عليه وسلم :

{ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته } ( ٢ ) فولاية الأمر مسئولون عن شباب المسلمين وعن بنات المسلمين وعن فتيات المسلمين من فتنة هؤلاء الكفار لكن أن نغير نحن المنكرات بأيدينا فهذا من الفوضى

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة لهم إذا جهالهم سادوا

ثم يقول سبحانه : (( ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون )) ( ٣ ) ثم قال سبحانه : (( ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده )) ( ٤ ) هذه - بارك الله فيكم - وصية للقائمين على أموال اليتامى و أنه لا يجوز لهم أن يأكلوا منها إلا بالمعروف ومن أكل بغير ذلك فقد حرم الله عز وجل فقال سبحانه : (( إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً )) ( ٥ ) قد يقول قائل : أنا لا أأكلها وإنما اشتري بها سيارة أو ... نقول هو محرم كله وعبر الله سبحانه بالأكل لأنه أكثر ما تستخدم هذه الأموال في شراء المأكولات والمشروبات .

(( وأوفوا الكيل والميزان بالقسط )) ( ٦ ) الكيل كل ما يكال والوزن كل ما يوزن و ما يكال أيضاً وسواء كان هذا الكيل والميزان سواء كان أموراً معنوية أو حسية فوجب على الشخص أن يكون عنده العدل و الإنصاف في ذلك وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

(( ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين )) ( ٧ ) فنحن مطالبون بالعدل والقسط والإنصاف في أمور دنيوية أو في أمور شرعية معنوية فوجب على الشخص أن يكون عنده العدل والإنصاف ورحم الله امرءاً أنصف من نفسه قال سبحانه : (( لا نكلف نفساً إلا وسعها )) ( ٨ ) وهذا دليل العدل والرحمة الإلهية أن الله سبحانه وتعالى لا يطالبك بأكثر من طاقتك قال : (( وإذا

١ - الأنعام ( ١٥١ ) والإسراء ( ٣٣ ) .

٢ - البخاري ( ٨٥٣ ) ( ٢٢٧٨ ) ( ٢٤١٦ ) ( ٢٤١٩ ) ( ٤٨٩٢ ) ( ٤٩٠٤ ) ( ٦٧١٩ ) ومسلم ( ١٨٢٩ ) وأبو داود ( ٢٩٢٨ ) والترمذي ( ١٧٠٥ ) وأحمد ( ٤٤٩٥ ) ( ٥١٦٧ ) ( ٥٩٠١ ) ( ٦٠٢٦ ) وغيرهم .

٣ - الأنعام ( ١٥١ ) .

٤ - الأنعام ( ١٥٢ ) والإسراء ( ٣٤ ) .

٥ - النساء ( ١٠ ) .

٦ - الأنعام ( ١٥٢ ) .

٧ - المطففين ( ٦ - ١ ) .

٨ - الأنعام ( ١٥٢ ) والأعراف ( ٤٢ ) .

وإذا قلتم فاعدلوا (( ١ ) لا بد أن يكون عندك أيضاً عدل في قولك وإياك أن تتجاوز على أخيك أو على غير أخيك المسلم فلا بد أن يكون عندك أيضاً عدل الكلمة مع الموافق ومع المخالف مع صاحب ومع العدو بل ومع الكفار يجب أن يكون عندك عدل في القول ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : يحفظ الله الدولة الكافرة العادلة ويزلزل الله الدولة المسلمة الظالمة فالعدل محمود (( إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى )) ( ٢ ) فأنتم مطالب بالعدل حتى مع نفسك لا بد أن يكون عندك عدل وإنصاف لا تجهدها ولا تكلفها فوق طاقتها ومع أولادك وهكذا إن كان عندك أكثر من زوجة وجب عليك أيضاً أن تعدل يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

{ من كان له زوجتان فمال إلى أحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل } ( ٣ ) أو كما قال عليه الصلاة والسلام وهذا في الأشياء الحقة والكبيرة وإن كان أمراً هيناً فإنك مطالب به قال : (( وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى )) ( ٤ ) أي صاحب قرابة .

(( ويعهد الله أوفوا )) ( ٥ ) والمراد بعهد الله يعني أمر الله سبحانه وتعالى ما عهده الله سبحانه وتعالى إلينا من الشريعة (( ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )) ( ٦ ) وأجمع الأقوال في تعريف الصراط المستقيم : هو كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن فيهما الكفاية والهداية والسداد قال نبينا صلى الله عليه وسلم : { تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي } ( ٧ ) والنبي صلى الله عليه وسلم قالوا له : أوصنا قال : { أوصيكم بتقوى الله وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور } ( ٨ ) وقبل ذلك يقول سبحانه وتعالى :

(( طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى )) ( ٩ ) أي لا يمكن أن يكون شقاء لمن تمسك بالقرآن لمن حفظ القرآن لمن سلك سلك طريق القرآن الكريم ويقول سبحانه وتعالى :

(( فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى )) ( ١٠ ) ويقول سبحانه : (( فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون )) ( ١١ ) فهذا هو المراد بالصراط المستقيم قال : (( فاتبعوه ولا تتبعوا السبل )) ( ١٢ ) فلما كان الحق واحداً كان محصوراً

١ - الأنعام ( ١٥٢ ) .

٢ - النحل ( ٩٠ ) .

٣ - صحيح : أبو داود ( ٢١٣٣ ) والدارمي ( ٢٢٠٦ ) وانظر صحيح الترغيب والترهيب ( ١٩٤٩ ) .

٤ - الأنعام ( ١٥٢ ) .

٥ - الأنعام ( ١٥٢ ) .

٦ - الأنعام ( ١٥٢ - ١٥٣ ) .

٧ - الدارقطني ( ١٤٩ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٢٠١٢٤ ) وقال الألباني في : ( منزلة السنة في الإسلام [ ١ / ١٨ ] ) : رواه مالك بلاغا والحاكم موصلا بإسناد حسن .

٨ - صحيح : أبو داود ( ٤٦٠٧ ) والترمذي ( ٢٦٧٦ ) وابن ماجه ( ٤٢ ) ( ٤٣ ) وأحمد ( ١٧١٨٢ ) ( ١٧١٨٤ ) ( ١٧١٨٥ ) والدارمي ( ٩٥ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٢٥٤٩ في صحيح الجامع .

٩ - طه ( ١ - ٢ ) .

١٠ - طه ( ١٢٣ ) .

١١ - البقرة ( ٣٨ ) .

١٢ - الأنعام ( ١٥٣ ) .

في صراط الله المستقيم ولما كانت مسالك الشيطان كثيرة جعلها الله سبحانه وتعالى كثيرة قال: (( ولا تتبعوا السبل )) ( ١ ) وسبل الشيطان كثيرة جداً يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

{ وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة } ( ٢ ) وعند هذا الحديث جاء من حديث ابن مسعود عند أحمد والنسائي والترمذي وغيره ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خط بيده خطأً مستقيماً هكذا ثم جعل خطوطاً عن جانب ذلك الخط هكذا وهكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: { هذا صراط الله المستقيم ثم قال عن هذه الخطوط وهذه سبل الشيطان ما من سبيل إلا وعليها شيطان يدعو إليه } ( ٣ ) فيكون الطريق الآمن صمام الأمان هو الطريق الموصل إلى الجنة وهو طريق الكتاب والسنة ليس إلا ،

فدعني من بنيات الطريق

فهذا الحق ليس به خفاء

وإذا الإنسان حاول أن ينحرف عن الصراط المستقيم فإنه يتعب كثيراً ويحترار كما احتار غيره من اليهود والنصارى ومن الفرق الإسلامية المبتدعة التي تعبت وهكذا أهل الفسق والفجور والعريضة فإنهم يعيشون في عيشة نكدية وذلك حينما انحرفوا عن منهج الله وعن دين الله سبحانه وتعالى وعن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلى وأعلم وأعز وأكرم وبهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

إتماماً لفائدة الأنفس التي لا يجوز انتهاك حرمتها وهي نفس المعاهد والمستأمن والذمي جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وعن أبيه في صحيح البخاري أن نبينا صلى الله عليه وسلم قال: { من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً } ( ٤ ) وجاء في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { من قتل معاهداً في غير كنهه حرم الله عليه الجنة } ( ٥ ) .

١ - الأنعام ( ١٥٣ ) .

٢ - صحيح : ابن ماجه ( ٣٩٩٣ ) وأحمد ( ١٦٩٧٩ ) والحاكم ( ٤٤٣ ) ( ٤٤٤ ) والمعجم الكبير ( ٨٨٥ ) والمعجم الأوسط ( ٧٨٤٠ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٢٠٤٢ في صحيح الجامع .

٣ - صحيح : أحمد ( ٤١٤٢ ) ( ٤٤٣٧ ) والدارمي ( ٢٠٢ ) وابن حبان ( ٦ ) والحاكم ( ٢٩٣٨ ) ( ٣٢٤١ ) والطيالسي ( ٢٤٤ ) وغيرهم وانظر مشكاة المصابيح ( ١٦٦ ) وتحقيق الألباني لشرح العقيدة الطحاوية صفحة ( ٥٨٧ ) .

٤ - البخاري ( ٢٩٩٥ ) وابن ماجه ( ٢٦٨٦ ) والبخاري ( ٢٣٨٣ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٦٢٥٩ ) ( ١٨٥١٢ ) وانظر حديث رقم : ٦٤٥٧ في صحيح الجامع .

٥ - أبو داود ( ٢٧٦٠ ) والنسائي ( ٤٧٤٧ ) وأحمد ( ٢٠٣٩٣ ) ( ٢٠٤١٩ ) والدارمي ( ٢٥٠٤ ) والحاكم ( ٢٦٣١ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٦٤٥٦ في صحيح الجامع .

قال ابن مسعود رضي الله عنه :

[ من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : (( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً .. )) إلى قوله : (( وأن هذا صراطي مستقيماً )) ( ١ ) [ ( ٢ ) .

ثم قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

قال ابن مسعود ،

وابن مسعود هو عبد الله بن مسعود بن حبيب الهذلي يكنى بأبي عبد الرحمن هو من السابقين الأولين حضر بدرًا وأحد والخندق وبيعة الرضوان وهو من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأمره عمر بن الخطاب على أهل الكوفة فكان أميراً وعالمًا فاضلاً وتعرفون ما لابن مسعود من الفضائل يكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم زكاه بأن يؤخذ عنه القرآن فقد جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ من أراد أن يأخذ القرآن غصاً طرياً كما نزل فليأخذه من ابن أم عبد { ( ٣ ) وهو لقب لابن مسعود ، وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه سعد مرةً على شجرة فكانت الشجرة تتراقص أغصانها فتحرك ابن مسعود لخفته ولخفة ما يحمله من اللحم كان نحيفاً فضحك الصحابة رضي الله تعالى عنه لدقة ساقيه فقال صلى الله عليه وسلم :

{ أتضحكون من دقة ساقيه إنهما ليزنان يوم القيامة مثل جبل أحد أو كجبل أحد { ( ٤ ) أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل : [ أيها الناس من أراد أن يستن فليستن بمن قد مات فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة ] ثم قال :

[ عليكم بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وإنما يطلب علمهم للعمل ] ( ٥ ) وهو الذي قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : [ اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق ] ( ٦ ) وكان وكان يعتبر مرجعاً لأنه من العلماء الفضلاء تعرفون قصته مع أبي موسى الأشعري في رجل توفي وترك بنتاً وأختاً وبنت ابن فجاءوا إلى أبي موسى فقال :

[ للبنت النصف وللأخت النصف وأتوا ابن مسعود فسيتابعني فلما جاءوا ابن مسعود أخبروه بقضاء أبي موسى قال :

[ لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين أقضي فيها بقضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم للبنت النصف ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت ] فجعل الأخت عصبه وهذا ما يعبر عنه بالعصبية بالغير كما قال صاحب الرحبية :

والأخوات إن تكن بنات فهن معهن معصبات

فلما أخبر بذلك أبو موسى من تواضعه قال : [ لا تسألوني ما دام هذا الجبر فيكم ] وهذا في صحيح البخاري ( ٧ ) وتعرفون قصته أيضاً مع أبي موسى لأنه كان في الكوفة فرأى قبل الفجر وكان أولئك الناس يحضرون لصلاة الفجر مثل ما

١ - الأنعام ( ١٥١-١٥٣ ) .

٢ - الترمذي ( ٣٠٧٠ ) والمعجم الأوسط ( ١١٨٦ ) وشعب الإيمان ( ٧٩١٨ ) .

٣ - ابن ماجه ( ١٣٨ ) وابن خزيمة ( ١١٥٦ ) وابن حبان ( ٧٠٦٦ ) ( ٧٠٦٧ ) والحاكم ( ٢٨٩٣ ) ( ٢٨٩٤ ) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة ( ٢٣٠١ ) فقد حسنه الألباني رحمه الله تعالى .

٤ - أحمد ( ٩٢٠ ) ( ٣٩٩١ ) وابن حبان ( ٧٠٦٩ ) والحاكم ( ٥٣٨٥ ) والبخاري في الأدب المفرد ( ٢٣٧ ) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة ( ٢٧٥٠ ) .

٥ - قال الألباني في مشكاة المصابيح ( ٤٢ / ١ ) ( ١٩٣ ) : ضعيف .

٦ - صحيح : الدارمي ( ٢٠٥ ) والمعجم الكبير ( ٨٧٧٠ ) وصححه الألباني رحمه الله عند حديث رقم ( ٥٣٣ ) في السلسلة الضعيفة .

٧ - البخاري ( ٦٣٥٥ ) والطيالسي ( ٣٧٥ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٢٠٩٠ ) وأحمد ( ٣٦٩١ ) .

نحضر الآن لصلاة الجمعة كان الناس يكتضون لصلاة الفجر الآن لا حول ولا قوة إلا بالله التساهل حاصل إلا ما رحم الله وقليل ما هم وكما قيل :

وقد كانوا إذا عدوا قليلاً فصاروا اليوم أقل من القليل

الحاصل أن أبا موسى دخل المسجد فرأى أناساً حلقاً حلقاً وفي كل حلقة رجل يقول : سبحوا مائة ومعهم حصي فيسبحون مائة كبروا مائة فيكبرون مائة إحمدوا الله مائة فيحمدون الله مائة قولوا لا إله إلا الله مائة وهكذا وهذا ظاهره خير فنظر إليهم أبو موسى وما كان يجرأ أن يصدر شيئاً دون ابن مسعود فخرج من المسجد وذهب إلى بيت عبد الله بن مسعود فوجد عند داره رجلين فقال : **أنتم أبو عبد الرحمن ؟** يعني داخل لأن ثم هنا ظرف أي هناك كما قال سبحانه : (( وإذا رأيتم رأيتم )) ( ١ ) ليس ثم ثم من حروف العطف تفيد الترتيب مع التراخي لكن ثم بمعنى هناك أو هنالك أو هنا فقال : **أنتم أبو عبد الرحمن ؟** أي لا زال في الداخل قالوا : نعم فخرج قال : فاكشفناه إلى المسجد فقلت له : [ يا أبا عبد الرحمن إن أناساً في المسجد من حالهم كذا وكذا ] قال : [ هل قلت لهم شيئاً ] قال : [ لا وأنا أنتظر رأيك ] فقال له : [ أما قلت لهم : يعدون سيئاتهم وتضمن لهم ألا يذهب من حسناتهم شيء ] فلما وصل ابن مسعود إلى المسجد وقف على رؤوس هؤلاء وقال : [ يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هذه ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبل وآنيته لم تكسر وأصحابه متوافدون فإما أن تكونوا أهدى طريقاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإما أن تكونوا قد ضللت ] قالوا : يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال : [ كم من مريد للخير لم يوفق له ] ( ٢ ) فابن مسعود كان مرجعاً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد رآه عمر يوماً فقال : [ كيف ملئ علماً ] ( ٣ ) وكيف لا يكون كذلك وهو القائل :

[ لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم إثنين وسبعين سورة من القرآن ولو أعلم أن رجلاً تصل إليه مطي الإبل أعلم مني بكتاب الله لرحلت إليه ] ( ٤ ) فكان عنده من التواضع الشيء الكثير هذا الإمام العظيم روى عنه الترمذي الترمذي بالسند المتصل إليه أنه قال : [ من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : (( قل تعالوا أتأمنون ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ... )) الآية التي في سورة الأنعام إلى قوله : (( وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه .. )) ( ٥ ) ( ٦ ) ولكن هذا الأثر ضعيف في سنده داود بن يزيد الأودي وهو ضعيف ضعفه البخاري وابن المديني وغيرهما فهو أثر ضعيف وحكم بضعفه أيضاً العلامة الألباني رحمه الله تعالى ومن حيث المعنى صحيح فالآيات التي ذكرت فيها من مقام العبادة والنهي عن الإشراك وهكذا أيضاً ما يتعلق بأمر التوحيد والسلوك أمور كثيرة جداً فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص بشيء معين وإنما هذا اجتهاد من ابن مسعود وقد قال رجل لبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : **هل خصكم أنتم بيت رسول الله صلى**

١ - الإنسان ( ٢٠ ) .

٢ - قال الألباني في السلسلة الصحيحة في كلامه على حديث رقم ( ٢٠٠٥ ) أخرجه الدارمي ( ١ / ٦٨ - ٦٩ ) وبخشل في تاريخ واسط صفحة ١٩٨ .... راجع كلامه على هذا الحديث فقد صححها هناك .

٣ - الحاكم ( ٥٣٩١ ) والمعجم الكبير ( ٩٧٣٥ ) وقال الألباني في إرواء الغليل ( ٧ / ٢٨٠ ) : وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهو كما قال .

٤ - البخاري ( ٤٧١٤ ) وأحمد ( ٣٩٠٦ ) والطيالسي ( ٤٠٥ ) والمعجم الكبير ( ٨٤٢٨ ) ومسنند البزار ( ١٨٧٢ ) والآحاد والمثاني ( ٢٠٤٨ ) .

٥ - الأنعام ( ١٥١ - ١٥٣ ) .

٦ - الترمذي ( ٣٠٧٠ ) والمعجم الأوسط ( ١١٨٦ ) وشعب الإيمان ( ٧٩١٨ ) .

**الله عليه وسلم بشيء من العلم ؟** قال علي بن أبي طالب : [ لا إلا بما في غماد سيفي هذا ] فأخرج صحيفة فيها بعض أمر الدييات وفيها حديث أيضاً :

{ لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من غير منار الأرض ولعن الله من لعن والديه ولعن الله من آوى محدثاً } قال : [ لا إلا هذا أو رجل يؤتيه الله عز وجل فهماً لكتابه ] ( ١ ) أو كما قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه ولما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الأجل قال : { هاتوا لي كتاباً أكتب لكم لاتضلوا بعدي أبداً } فاختلفوا فقال بعضهم : لعل رسول الله لا يدري ما يقول قال بعضهم أعطوه كتاباً فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا قال : { اخرجوا عني فالذي أنا فيه أشغل مما أنتم فيه } ( ٢ ) أو كما قال صلى الله عليه وسلم **وهل كان سيكتب لهم شيئاً ينقصهم من الدين ؟**

لا دين الله عز وجل شامل وكامل هذه عقيدتنا وهذا منهجنا نلقى به ربنا سبحانه وتعالى في الآخرة لأن الله عز وجل يقول : (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً )) ( ٣ ) وإنما كان سيوجه بعض الأشياء كأمر الخلافة والإمارة وما إلى ذلك ثم اختار الله سبحانه وتعالى ألا يكتب شيئاً فحسم الأمر بعد موته صلى الله عليه وسلم بالصديق والفاروق ومن إلى هذين الصحابين المهديين .

<sup>١</sup> - مسلم (١٩٧٨) وأحمد (٩٥٤) (١٣٠٦) وابن حبان (٦٦٠٤) والحاكم (٧٢٥٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٧) وشعب الإيمان (٧٨٦٨) وغيرهم .  
<sup>٢</sup> - البخاري (١١٤) (٢٩٩٧) (٥٣٤٥) ومسلم (١٦٣٧) وأحمد (١٩٣٥) (٣١١١) وابن حبان (٦٥٩٧) ومصنف عبد الرزاق (٩٧٥٧) (٩٩٩٢) وغيرهم .  
<sup>٣</sup> - المائدة ( ٣ ) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي : { يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ } قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : { حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله : أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً } قلت : يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس ؟ قال : { لا تبشروهم فيتكلموا } أخرجاه في الصحيحين ( ١ ) .

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والإنس .

الثانية : أن العبادة هي التوحيد ، لأن الخصومة فيه .

الثالثة : أن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله : (( ولا أنتم عابدون ما أعبد )) .

الرابعة : الحكمة في إرسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة : أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله : (( فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى )) .

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل ، أولها : النهي عن الشرك .

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الإسراء ، وفيها ثماني عشر مسألة : بدأها الله بقوله : (( لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً )) وختمها بقوله : (( ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً )) ونبهنا الله إلى عظم شأن هذه المسائل بقوله : (( ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى : آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله : (( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً )) .

الثانية عشرة : التنبيه على وصية الرسول صلى الله عليه وسلم عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حق الله علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه .

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسره .

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

<sup>١</sup> - البخاري (٢٧٠١) ومسلم (٣٠) والحاكم (١٩٠١) .



التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الإرداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

ثم روى عن معاذ بن جبل ،

ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه هو أنصاري خزرجي ويكنى أيضاً بأبي عبد الرحمن وهو من الصحابة المشهورين قد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم :

{ أعلم الناس بالحلال والحرام معاذ بن جبل } ( ١ ) وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن معلماً هو وأبو موسى فقال لهما :

{ تطاوعا ولا تختلفا ويسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا } ( ٢ ) وتعرفون قصة هذين الصحابين لما جاء إلى اليمن زار معاذ أبا موسى فوجد رجلاً مكتوف الأيدي قال : **ما هذا يا عبد الله بن قيس ؟** قال : هذا رجل ارتد عن الإسلام قال فإني لا أنزل حتى يقتل قال ما أتينا به إلا لذلك فقتل الرجل ثم نزل معاذ ضيفاً عند أبي موسى فقال له : **كيف أنت مع القرآن ؟** فقال له أبو موسى : أقرؤه قائماً وقاعداً وعلى جنب وعلى راحتي أتفوقه تفوقاً والتفوق معناه تارة بعد تارة والمراد بالتفوق المدة الزمنية بين الحليتين كما قال الله سبحانه وتعالى : (( هل ينظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق )) ( ٣ ) قال : **وأنت ؟** قال : أما أنا فأقوم أول الليل وأقوم آخره فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي على الله سبحانه وتعالى ( ٤ ) وهذا الأثر ثابت في صحيح البخاري وهذا الصحابي الجليل انتقل بعد ذلك من اليمن فكان في المدينة فترة ثم رحل إلى بلاد الشام و قيل : إنه توفي هناك رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

يروى معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، والرديف أي أنه راكب خلف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار و المراد بالحمار هاهنا الحمار الأهلي المعروف ، هذه الحمر الإنسية ليس الحمار الوحشي الذي يعيش في الغابات و الصحراء فإنه لا يركب أصلاً وهذا دليل على تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فقد ركب البراق وكان صلى الله عليه وسلم يستطيع ويحق له ذلك وليس عليه من حرج أن يركب البغل أو الخيل أو الفرس أو أشياء غير ذلك لو سأل من ربه سبحانه وتعالى ولكنه تواضع صلى الله عليه وسلم فركب على حمار ثم أردف معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه وأرضاه ففيه تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعني بقوله سبحانه :

<sup>١</sup> - الترمذي (٣٧٩٠) وابن ماجه (١٥٤) وأحمد (١٢٩٢٧) (١٤٠٢٢) وابن حبان (٧١٣٧) (٧٢٥٢) والطيالسي (٢٠٩٦) والمعجم الصغير (٥٥٦) ومسند أبي يعلى (٥٧٦٣) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٢٢٤) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٢٨٧٣) ومسلم (١٧٣٣) وأحمد (١٩٧١٤) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٩٣٧) .

<sup>٣</sup> - سورة ص (١٥) .

<sup>٤</sup> - البخاري (٤٠٨٦) (٤٠٨٨) وشعب الإيمان (٢٢٠١) .

(( وإنك لعلی خلق عظیم )) ( ١ ) فمن الأخلاق العظيمة التواضع وخفض الجناح للآخرين .

فقال لي : { يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ }

ومعنى أتدري أي أتعلم يا معاذ ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ ما حق الله على العباد أمر معلوم ولا غبار عليه يعني ما هو الحق الذي يطالبنا به سبحانه وتعالى لأنه خلقنا ورزقنا وأعطانا ومنحنا ، خلق لنا الأرض والسماء وأنزل الغيث وأمدنا بجميع النعم

(( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار )) ( ٢ ) .

ثم قال : ما حق العباد على الله ؟ هنا استشكل هل للعباد حق على الله سبحانه وتعالى ؟ هذا من باب الامتنان يمتن الله سبحانه وتعالى أن يكون لنا حق عنده سبحانه وتعالى وهذا خلاف ما تقوله المعتزلة في بعض أصولهم الخمسة التي هي :  
١. إنفاذ الوعد بمعنى إذا وعد الله مؤمناً بالجنة فلا بد أن يوفي وإن وعد الله العاصي بالنار فلا بد أن يوفي تحكم على الله سبحانه وتعالى ، وإلا فالله سبحانه وتعالى له الأمر من قبل ومن بعد ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كما قال الشاعر :

ما للعباد عليه حق واجب كلا  
و لا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعده أو نعموا  
فبفضله وهو الكريم الواسع

فإن عذبهم فذلك هو العدل (( وما ربك بظلام للعبيد )) ( ٣ ) وإن نعمهم فهو فضل منه سبحانه وتعالى وليس للعباد حق على الله سبحانه وتعالى ولكن هذا من باب الامتنان وفيه أيضاً فائدة للمعلمين وهو إن أراد المعلم أن يجعل للإجابة وللعلم وقفاً في نفس الطالب أن يسأله وأن يقدم بين يدي فائدته سؤالاً حتى تشرئب النفوس إلى معرفة هذا السؤال فالنبي صلى الله عليه وسلم قال : { يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ فقال معاذ بن جبل : قلت : الله ورسوله أعلم } وهذا فيه حسن الجواب من معاذ بن جبل إذ أنه لم يعلم فرد العلم إلى عالمه وهو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وهنا فائدة :

إذا سئلت بمسألة هل يجوز أن تقول : الله ورسوله أعلم ؟

في ذلك تفصيل أن كانت المسألة مسألة كونية مثلاً قال لك قائل : متى يأتي فلان ؟ أو متى تقوم الساعة ؟ أو متى ينزل عيسى بن مريم ؟ أو متى يخرج المهدي ؟ أو متى يخرج الدجال ؟ متى يحصل كذا وكذا من الأمور الكونية التي مرتبطة بعلم الغيب ؟ فهنا لا تقل : الله ورسوله أعلم وإنما تقول : الله أعلم فإن كان الأمر مرتبطاً بأمر شرعي فقل : الله ورسوله أعلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً يعلم عن ربه سبحانه وتعالى من أمور الشرع لأن الشرع إنما جاءنا عن طريق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إن كان الأمر يتعلق بعلم الكون يعني أمر غيبي سئلت عنه متى يأتي فلان ؟ متى تقوم الساعة ؟ فهنا تقول : الله أعلم وإن كان الأمر يتعلق بالشرع مثلاً : ما حكم الاستئذان ؟ ما حكم السلام ؟ وما حكم الرد على من سلم ؟ وكم شروط الصلاة ؟ وكم أركان الوضوء ؟ أسئلة شرعية هل يجوز للرجل أن يجمع بين المرأة وعمتها ؟ هل

١ - القلم ( ٤ ) .

٢ - النحل ( ١٨ ) .

٣ - فصلت ( ٤٦ ) .

**يجوز للرجل أن يخزن القات مثلاً ؟** فأنت تقول : الله ورسوله أعلم لأنه أمر شرعي بعض أهل العلم يقول : بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لا تقول : إلا الله أعلم وبعضهم يقول بهذا التفصيل إن كان كونياً فقل : الله أعلم وإن كان شرعياً قل : الله ورسوله أعلم .

فقال نبينا صلى الله عليه وسلم : { حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً } ويعبدوه أي يوحدوه و يلزموا عبادته والعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ولا تكون العبادة صحيحة إلا بخمسة شروط :

الإخلاص . والإتباع . والمحبة . والخوف . والرجاء

قال : { ولا يشركوا به شيئاً } والشرك من أعظم الذنوب قال سبحانه :

(( إن الشرك لظلم عظيم )) ( ١ ) وسأل ابن مسعود النبي صلى الله عليه وسلم عن أعظم الذنب قال له : { الإشراك بالله } قال : **ثم أي ؟** قال : { أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك } قال : **ثم أي ؟** قال : { أن تزاني حيلة جارك } رواه البخاري ومسلم ( ٢ ) فمن أعظم الذنوب الإشراك بالله وفي قوله شيئاً نكرة في سياق النهي تفيد العموم أي سواء كان شرك أصغر كيسير الرياء أو أكبر كدعاء غير الله والاستغاثة بغير الله وما إلى ذلك .

قال : { وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً }

يعني من أهل التوحيد إن جاء العبد بالتوحيد الخالص من الشرك فإن الله سبحانه وتعالى لا يعذبه لكن لو جاء العبد بالتوحيد الخالص وعنده بعض الكبائر كالخمر والغيبة والنميمة والزنا وفحش القول وما إلى ذلك من المعاصي الظاهرة والباطنة والصغيرة والكبيرة **هل يعذب ؟** معتقد أهل السنة في ذلك أنه تحت المشيئة كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

(( يدخل من يشاء في رحمته والظالمين )) أي المشركين (( أعد لهم عذاباً أليماً )) ( ٣ ) فالمشركون إلى النار مباشرة أما أهل التوحيد فإن عذبهم الله عز وجل بعدله فمصيبرهم إلى الجنة لأن الموحّد صاحب لا إله إلا الله الذي سلم إيمانه من الشرك ومن البدعة ومن الرياء فمآله إلى الجنة وإن عذب .

قال معاذ : قلت : **يا رسول أبشر الناس ؟**

فيه استحباب البشارة و أن يكون الشخص مبشراً لإخوانه قال : { لا تبشرهم فيتكلوا } فيه جواز كتمان العلم للمصلحة والنبي صلى الله عليه وسلم قد جاء في صحيح البخاري أنه قال لعائشة رضي الله تعالى عنها : { يا عائشة لولا أن قومك حديثوا عهد بشرك أو بجاهلية لنقضت الكعبة وجعلتها على قواعد إبراهيم وجعلت لها باباً شرقياً أو غربياً يدخل الناس منه } ( ٤ ) فهنا حصل شيء من كتم العلم للمصلحة وهكذا يقول أبو هريرة : [ لقد حصلت من

١ - لقمان ( ١٣ ) .

٢ - البخاري ( ٤٢٠٧ ) ( ٥٦٥٥ ) ( ٦٤٢٦ ) ( ٧٠٩٤ ) ومسلم ( ٨٦ ) وأبو داود ( ٢٣١٠ ) وابن حبان ( ٤٤١٥ ) وغيرهم .

٣ - الإنسان ( ٣١ ) .

٤ - البخاري ( ١٥٠٩ ) ومسلم ( ١٣٣٣ ) والنسائي ( ٢٩٠٣ ) وأحمد ( ٢٥٥٠٢ ) ( ٢٦٠٧١ ) وابن حبان ( ٣٨١٦ ) ( ٣٨١٨ ) وغيرهم .

الرسول صلى الله عليه وسلم وعائين من العلم أما وعاء فقد بثته وأما وعاء لو بثته لقطع هذا البلعوم وأشار إلى أحبال في عنقه [ وهذه اللفظة في صحيح البخاري ( ١ ) .

فما كل ما تعلمه تقوله بل حاول أن ترغب الناس وأن تدخلهم في دين الإسلام وأن تترفق بهم لأن الله سبحانه وتعالى طالبنا بأن نكون رفقاء ورحماء بالناس قال الله عز وجل : (( فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر )) ( ٢ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله } ( ٣ ) ويقول : { إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على ما سواه } ( ٤ ) فلا بد أن يكون الداعية عنده من الرفق بالناس لا بد أن يكون عنده في قلبه رقة ورحمة بالناس والله سبحانه وتعالى ذكر عبده الخضر عليه الصلاة والسلام قال :

(( آتياه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً )) ( ٥ ) فلا بد أن يكون الداعية رحيماً بالناس .

فعلى أية حال يجوز كنتم العلم للمصلحة فإذا رأى أن المصلحة التي كان يروجها قد أزيلت فهنا يجب عليه أن ييثه لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (( إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون )) ( ٦ ) فإذا دعت الضرورة لأن تأتي بدليلك وبرهانك بالآية أو بالحديث أو بالعلم وجب عليك أن تسارع إلى ذلك .

وفي قوله : { فيتكلوا } ،

أي أنه ربما يتكل الناس على أعمالهم بل قد قال بعض الصحابة : **يا رسول الله إن كان أهل السعادة للجنة وأهل الشقاوة في النار فلم العمل ؟** والقصة في صحيح مسلم قال : { اعملوا فكل ميسر لما خلق له فأما من كان من أهل السعادة فسيوفق لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ قول الله عز وجل : (( فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى )) ( ٧ ) } ( ٨ ) .

قوله أخرجه أي أنه متفق عليه أو رواه البخاري ومسلم والبخاري أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن المغيرة بن بلاد بخاري وهي في بلاد سمرقند هذه البلاد التي في جهة روسيا كان رحمه الله تعالى من أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أطبقت الأمة على فضل كتابه وعلى أنه أصح الكتب بعد كتاب الله وصحيح البخاري أصح من صحيح مسلم على أن صحيح مسلم يعتبر في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري وكان مسلم تلميذاً نجيباً للإمام البخاري رحمه الله وكان سيكثر من الرواية عنه لكن حصلت فتنة بين البخاري وشيخه محمد بن يحيى الذهلي في مسألة خلق القرآن وقال محمد بن يحيى الذهلي : من كان يحضر حلقة محمد بن إسماعيل فليعتزل حلقتنا فقام مسلم على رؤوس الطلاب وعليه رديف يحمله

١ - البخاري (١٢٠) .

٢ - آل عمران (١٥٩) .

٣ - البخاري (٥٦٧٨) (٥٩٠١) (٦٠٣٢) (٦٥٢٨) ومسلم (٢١٦٥) والترمذي (٢٧٠١) وابن ماجه (٣٦٨٩) وأحمد (٢٤١٣٦) وغيرهم .

٤ - مسلم (٢٥٩٣) وابن حبان (٥٥٢) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٥٨٦) .

٥ - الكهف (٦٥) .

٦ - البقرة (١٥٩) .

٧ - الليل (٥-١٠) .

٨ - البخاري (١٢٩٦) (٤٦٦١) (٤٦٦٣) (٤٦٦٤) (٤٦٦٥) (٤٦٦٦) (٥٨٦٣) (٦٢٣١) (٧١١٣) ومسلم (٢٦٤٧) وأبو داود (٤٦٩٤) وغيرهم .

وخرج من المسجد ثم أرسل بكتب محمد بن يحيى الذهلي وكتب الإمام البخاري ولم يرو عن هذين الرجلين على أنه قد جاء أنه كان يسأل البخاري ويقول له : **يا أستاذ الأستاذين ويا طبيب الحديث بعلمه ما حكم حديث كذا وكذا ؟** وقال الإمام الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر بن مهدي رحمه الله قال : لولا البخاري لما جاء مسلم ولا ذهب ومما يدل على تفضيل صحيح البخاري أن صحيح البخاري رحمه الله تعالى عليه جاد فيه من حيث قوة رجاله وأما مسلم فقوة كتابه من حيث إخراج الطرق الكثيرة في الباب الواحد كما قال بعضهم :

تشاجر قوم في البخاري ومسلم لدي وقالوا أي ذين تقدموا

فقلت لقد حاز البخاري صحة كما حاز في حسن الصياغة مسلم

والفتن لا يخلو منها زمان ولا مكان ولا غرابة في وجودها ولكن الغرابة فيمن يثبت أمامها لأنها تتحدى وتعلن التحدي على المسلمين فقد جاء في سنن أبي داود من حديث المقداد بن الأسود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 { إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواها } ( ١ )  
 أسأل الله عز وجل أن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

<sup>١</sup> - أبو داود (٤٢٦٣) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٤٣) .

## باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى : (( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )) ( ١ ) .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التيمي النجدي رحمه الله :

## باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

أما كلمة باب فنحن نكررها من أجل أن تحفظ وما أظن واحداً من الطلاب ما قد فهم ما معنى كلمة باب لغة واصطلاحاً وإعراباً أما في اللغة : فسمي الباب بهذا الاسم لما يدخل ويخرج منه و اصطلاحاً : اسم لجملية علمية مختصة من الكتاب ،

وإعراب كلمة باب لها ثلاثة إعرابات :

**أما الإعراب الأول :** فيكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هذا باب .

**الإعراب الثاني :** مفعول به لفعل محذوف تقديره أقرأ باب فضل التوحيد أو أعقد باب أو انظر باب المهم تقدر لهذه الكلمة فعلاً محذوفاً وهذا جائز في اللغة العربية .

**الإعراب الثالث :** تقدر لها حرف جر محذوفاً أقرأ في باب فضل التوحيد وهذا هو الباب الثاني من كتاب التوحيد فالباب الأول ما يتعلق بوجوب التوحيد سرد في ذلك أدلة من القرآن منها قوله سبحانه : (( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )) ( ٢ ) ومنها قوله : (( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه )) ( ٣ ) ومنها قوله : (( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً )) ( ٤ ) و حديث معاذ في الصحيحين لما كان خلف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار أهلي فقال له : { يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ } قال : الله ورسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً فقال معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم : **أفلا أخبر الناس بذلك يا رسول الله ؟** قال : لا تخبرهم فيتكلموا فأخبر بها معاذ قبل موته تأثماً { ( ٥ ) } بمعنى يخشى أن يكون كاتماً للعلم وإنما كتم هذا العلم للمصلحة وقد بينت لكم أنه ما كل ما تعلمه تقوله فلا بد من مراعاة المصالح والمفاسد إستناداً إلى حديث عائشة في الصحيحين قال نبينا صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس بربه وأعلم الناس بالشرع : { يا عائشة لولا أن قومك حديثوا عهد بشرك لنقضت الكعبة ولجعلتها على قواعد إبراهيم } ( ٦ ) وهكذا أيضاً : درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة وعلي بن أبي طالب يقول كما في البخاري :

<sup>١</sup> - الأنعام ( ٨٢ ) .

<sup>٢</sup> - الذاريات ( ٥٦ ) .

<sup>٣</sup> - الإسراء ( ٢٣ ) .

<sup>٤</sup> - الأنعام ( ١٥١ ) .

<sup>٥</sup> - البخاري ( ٢٧٠١ ) ومسلم ( ٣٠ ) والحاكم ( ١٩٠١ ) .

<sup>٦</sup> - البخاري ( ١٥٠٩ ) ومسلم ( ١٣٣٣ ) والنسائي ( ٢٩٠٣ ) وأحمد ( ٢٥٥٠٢ ) وابن حبان ( ٣٨١٦ ) ( ٣٨١٨ ) وغيرهم .

[ حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ] ( ١ ) وهكذا في صحيح مسلم في المقدمة من قول أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : [ ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ] ( ٢ ) وفي هذا الباب يريد أن يذكر فضل التوحيد وإذا ذكر المؤلف أو المحاضر فضلاً لعمل من الأعمال لا يدل ذلك على أن هذا ليس بواجب لا يدل ذلك على أن هذا العمل ليس بواجب هو واجب من جهة لكن له فضل وثمرة تترتب على هذا الواجب الذي أنت تقوم به فصلاة الجماعة مثلاً فريضة وواجبة على القول الصحيح من أقوال أهل العلم كما قال ربنا سبحانه : (( واركعوا مع الراكعين )) ( ٣ ) وهكذا يقول سبحانه : (( في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار )) ( ٤ ) فهؤلاء الناس ما حافظوا على الصلاة ولم تلههم تجارتهم ولا بيعهم إلا لأنهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار فحافظوا على الصلاة لعلمهم بوجوبها وهكذا أيضاً لما جاء عبد الله بن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : **يا رسول الله إني شاسع الدار وليس لي قائد يقودني فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟** وهو رجل أعمى فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فلما ولى قال : { أعيدوه قال : **هل تسمع النداء ؟** قال : نعم قال : فحيهلا وفي رواية لا صلاة لك إلا من عذر وفي رواية : فأجب { ( ٥ ) وهكذا حديث : { لقد هممت أن آمر مؤذنا فيؤذن ثم أمره فيقيم ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار { ( ٦ ) جاءت أحاديث في فضل صلاة الجماعة منها :

{ من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة { ( ٧ ) ومنها :

{ صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد . يعني الفرد . بسبعة وفي رواية خمسة وعشرين درجة { ( ٨ ) فكونه سبحانه وتعالى ونبينا صلى الله عليه وسلم رتب أجراً لحضور الجماعة لا يدل ذلك على أنها ليست واجبة بل هي واجبة وهكذا التوحيد واجب على المسلم أن يتعلمه وأن يعلم الناس وأن يدعو إليه كما قال الشاعر :

ندعو إلى التوحيد طول زماننا ونحارب الشرك الخبيث في الحضور والمشهد

وجب على المسلمين جميعاً أن يتعلموا هذا وهذا يعتبر من أوجب الواجبات ومن أعظم المهمات وتعرفون . بارك الله فيكم . أن دعوة الأنبياء كانت لتقرير هذا الأمر كما قال ربنا :

(( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )) ( ٩ ) وكما قال ابن الأمير الصنعاني رحمه الله تعالى في كتابه تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد قال : ما من نبي بعثه الله إلى قومه إلا كان أول ما يقرع آذانهم بهذا الأمر

١ - البخاري معلقاً (١٢٧) .

٢ - مسلم ( ١٠ / ١ ) .

٣ - البقرة ( ٤٣ ) .

٤ - النور ( ٣٦ ) .

٥ - مسلم ( ٦٥٣ ) والنسائي ( ٨٥٠ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٤٧٢٥ ) ( ٤٧٧١ ) وغيرهم .

٦ - البخاري ( ٦١٨ ) ( ٦٢٦ ) ( ٢٢٨٨ ) ( ٦٧٩٧ ) ومسلم ( ٦٥١ ) وأبو داود ( ٥٤٨ ) والترمذي ( ٢١٧ ) وغيرهم .

٧ - صحيح : أحمد ( ٦٥٧٦ ) والدارمي ( ٢٧٢١ ) وابن حبان ( ١٤٦٧ ) وشعب الإيمان ( ٢٨٢٣ ) ومسند عبد بن حميد ( ٣٥٣ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٧٨ ) .

٨ - مسلم ( ٦٥٠ ) وأحمد ( ٤٦٧٠ ) والنسائي ( ٨٣٩ ) وابن حبان ( ٢٠٥٣ ) ومسند أبي يعلى ( ٦١٥٦ ) وغيرهم .

٩ - النحل ( ٣٦ ) .



(( أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره )) ( ١ ) ولقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمة كلها فكان يقول للمشركين : { قولوا لا إله إلا الله تفلحوا } ( ٢ ) فما طالبهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل التوحيد بشيء فكان هذا أول واجب يجب على المسلمين معرفته وتعرفون لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى بلادنا اليمن قال له : { إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه لا إله إلا الله } ( ٣ ) وفي رواية : { إلى أن يوحدوا الله } ( ٤ ) .

وإن قلنا هو واجب فيترتب من جراء هذا الواجب ومن خلاله أثر وفضل عظيم كونك من أهل التوحيد ما شاء الله لك الفضل ومن فضائل التوحيد فضائله كثيرة لكن أعظم ما يكون ما يكفر الله سبحانه وتعالى به من الذنوب على العباد ولقد استدل المؤلف بقول الله سبحانه وتعالى : (( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )) ( ٥ ) وهذه الآية ذكرها الله سبحانه وتعالى بعد مناظرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه آزر وقومه من سورة الأنعام وهكذا حصل من هذه المناظرة والمجادلة في آيات من سورة مريم فدل على ذلك بهذه الآية : (( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )) ( ٦ ) هذا من فضل التوحيد أن يكون لصاحبه الأمن في الدنيا والآخرة وهكذا أيضا الهداية التامة في الدنيا والآخرة ولقد جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية جاء الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله أينما لم يظلم نفسه ؟ فقال : { ليس كما تفهمون أو كما تقولون ألم تسمعو قول العبد الصالح : (( يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم )) ( ٧ ) } ( ٨ ) .

ففهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الآية مطلق الظلم وهو ظلم النفس يظلم واحد نفسه بأن يكثر عليها من الطاعات أو يلطخها ببعض المعاصي والسيئات أو يشد عليها ببعض الأعمال الدنيوية المباحة هذا يعتبر من الظلم والظلم وضع الشيء في غير موضعه كما أن العدل عكسه وضع الشيء في موضعه فلذلك نفى الله عز وجل عن نفسه الظلم فقال سبحانه : (( وما ربك بظلام للعبيد )) ( ٩ ) وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( ولا يظلمون نقيرا )) ( ١٠ ) ووصف الله عز وجل نفسه بأنه عليم حكيم فهو صاحب الحكمة أي أنه يجعل الأمور في محلها المناسب لها فهذا من حيث المعنى وأعظم الظلم هو الإشراف بالله سبحانه وتعالى وهذا إذا تعلق القلب بغير الله سبحانه وتعالى دعاء ورجاء و خوفا وتوكلا وتملقا يتعلق القلب بغير الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

من يتق الله يحمد في عواقبه ويكفه شر من عزوا ومن هانوا

١ - المؤمنون ( ٣٢ ) .  
٢ - صحيح : أحمد ( ١٦٠٦٦ ) ( ١٩٠٢٦ ) ( ٢٣٢٤٠ ) وابن حبان ( ٦٥٦٢ ) والحاكم ( ٣٩ ) ( ٤٢١٩ ) وسنن الدارقطني ( ١٨٦ ) وغيرهم وانظر صحيح السيرة النبوية للألباني صفحة ( ١٤٣ ) .  
٣ - البخاري ( ١٤٢٥ ) ( ٤٠٩٠ ) ومسلم ( ١٩ ) وأبو داود ( ١٥٨٤ ) والترمذي ( ٦٢٥ ) وغيرهم .  
٤ - البخاري ( ٦٩٣٧ ) .  
٥ - الأنعام ( ٨٢ ) .  
٦ - الأنعام ( ٨٢ ) .  
٧ - لقمان ( ١٣ ) .  
٨ - البخاري ( ٣٢ ) ( ٣١٨١ ) ( ٣٢٤٥ ) ( ٣٢٤٦ ) ( ٤٣٥٣ ) ( ٤٤٩٨ ) ( ٦٥٢٠ ) ( ٦٥٣٨ ) ومسلم ( ١٢٤ ) والترمذي ( ٣٠٦٧ ) وغيرهم .  
٩ - فصلت ( ٤٦ ) .  
١٠ - النساء ( ١٢٤ ) .

فإن ناصره عجز وخذلان

من استجار بغير الله في فزع

فإنه الركن إن خانتك أركان

فالزم يديك بحبل الله معتصماً

القسم الثاني : الظلم الذي فهمه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ظلم العبد نفسه بالمعاصي والسيئات وبتحميلها من العمل ما لا يطاق هذا لا يجوز إطلاقاً هذا يعتبر من الظلم وهذا يكون أيضاً بين العبد وبين ربه سبحانه وتعالى

١. فالنوع الأول ظلم لا يغفر إن مات صاحبه وهو متلطخ به كما قال سبحانه :

(( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً )) ( ١ ) هذا النوع الأول.

٢. النوع الثاني : الظلم الذي يغفره الله وهو ما يكون بين الناس وبين ربهم سبحانه وتعالى فهنا يقول عز من قائل في كتابه الكريم : (( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات )) ( ٢ ) ويقول : (( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله )) ( ٣ ) ويقول : (( وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى )) ( ٤ ) فما كان كان بينك وبين ربك سبحانه وتعالى من أمر فإن الله عز وجل إن تبت إليه قبل توبتك وكانت توبتك نصوحة بأن تحظى بشروطها ومن شروطها : الإخلاص والصدق والإقلاع والعزم الأكيد الذي يحملك على أن لا تعود إلى الذنب والندم وقد جاء في حديث صحيح : { الندم توبة } ( ٥ ) .

٣. وأما القسم الثالث من الظلم فهو ظلم لا يتركه الله وهذا ظلم العبد للناس يأخذ أموالهم يقدر في أعراضهم كما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال وليس بخارج منها حتى ينزع مما قال } ( ٦ ) ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم : { درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية } ( ٧ ) ويقول صلى الله عليه وسلم : { الربا اثنا وسبعون باباً أدها مثل إتيان الرجل أمه وأرأى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه } ( ٨ ) وجاء من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : { يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله } ( ٩ ) .

١ - النساء ( ١١٦ ) .

٢ - الشورى ( ٢٥ ) .

٣ - الزمر ( ٥٣ ) .

٤ - طه ( ٨٢ ) .

٥ - صحيح : ابن ماجه ( ٤٢٥٢ ) وأحمد ( ٣٥٦٨ ) ( ٤٠١٢ ) ( ٤٠١٤ ) ( ٤٠١٦ ) ( ٤١٢٤ ) وابن حبان ( ٦١٢ ) ( ٦١٣ ) ( ٦١٤ ) والحاكم ( ٧٦١٢ ) ( ٧٦١٣ ) ( ٧٦١٤ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٦٨٠٢ في صحيح الجامع .

٦ - صحيح : أبو داود ( ٣٥٩٧ ) والحاكم ( ٢٢٢٢ ) والمعجم الكبير ( ١٣٤٣٥ ) ومصنف عبد الرزاق ( ٢٠٩٠٥ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٦١٩٦ في صحيح الجامع .

٧ - أحمد ( ٢٢٠٠٧ ) والدارقطني ( ٤٨ ) ( ٥٠ ) ومصنف ابن أبي شيبة ( ٢٢٠٠٤ ) وشعب الإيمان ( ٥٥١٨ ) والآحاد والمثاني ( ٢٧٥٩ ) وانظر حديث رقم : ٣٣٧٥ في صحيح الجامع .

٨ - المعجم الأوسط ( ٧١٥١ ) ومصنف عبد الرزاق ( ١٥٣٤٥ ) ومصنف ابن أبي شيبة ( ٢٢٠٠٥ ) وانظر حديث رقم : ٣٥٣٧ في صحيح الجامع .

٩ - أبو داود ( ٤٨٨٠ ) وأحمد ( ١٩٧٩١ ) ( ١٩٨١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ١٦٧٥ ) ( ٧٤٢٣ ) وشعب الإيمان ( ٦٧٠٤ ) ( ٩٦٦٠ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٧٩٨٤ في صحيح الجامع .

ويقول صلى الله عليه وسلم : { إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا } ( ١ ) ويقول : { بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه كل المسلم على المسلم حرام } ( ٢ ) فهذا ظلم لا يتركه الله سبحانه وتعالى وفي حديث آخر في صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم : { لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء } ( ٣ ) ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم : { من كان له مظلمة لأخيه فليتحللها اليوم قبل أن لا يكون الدينار و الدرهم وإنما هي الحسنات والسيئات } ( ٤ ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصة رجل خرج مجاهداً في سبيل الله فأخلف جاره على أهله فرنا الجار بحليلة جاره قال : { فما زال يؤخذ من حسناته ويعطى لصاحبه أي هذا المجاهد هذا يوم القيامة حتى إذا فئت حسناته أخذ من سيئات صاحبه ووضعت على سيئاته فطرح في النار ثم التفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه قائلاً : ما ظنكم إن حصل هذا ؟ } ( ٥ ) ومن حديث ابن مسعود في صحيح مسلم قال نبينا صلى الله عليه وسلم وقد سئل : أي الذنب أعظم ؟ قال : { الإشراف بالله } قال : ثم أي ؟ قال : { أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك } قال : ثم أي ؟ قال : { أن تزاني حليلة جارك } ( ٦ ) وتزاني أبلغ من كلمة تزني فالزني ربما كان عن اغتصاب أما تزاني فيحمل معه إفساد الزوجة على زوجها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : { ليس منا من خب امرأة على زوجها } ( ٧ ) وذلك أنه يغريها إما بجماله وإما بديناره وإما بشيء من الكلام المعسول فيبغضها لزوجها فيزني بها عن رضى واقتناع وهذا من الحقوق وهذا من الظلم الذي لا يتركه الله سبحانه وتعالى فهذه هي أقسام الظلم الثلاثة : ( ظلم لا يغفره الله وهو الشرك . ظلم لا يغفره الله وهو ما كان بين العبد وربّه إذا تاب العبد وحسنت توبته . وظلم لا يتركه الله وهو ما كان بين الناس ) وفي حديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء } ( ٨ ) حقوق .

فمن فضائل التوحيد أنه يسبب لصاحبه الأمن وكذلك الهداية وهذا الأمن يكون في الدنيا ويكون أيضاً في الآخرة أمن مطلق وهداية مطلقة (( الذين آمنوا ولم يلبسوا )) أي لم يخلطوا إيمانهم بشيء من الظلم قال سبحانه : (( أولئك لهم الأمن )) مطلق الأمن (( وهم مهتدون )) هداية عامة شاملة في الدنيا والآخرة وإن حصل شيء من الظلم الذي يغفره أو الذي لا يتركه فحوسبوا بذلك وأؤخذوا به لكن مآلهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض .

وفي هذا الباب وهذه الترجمة فائدة مهمة جداً وهو أن فيها رد على الخوارج وعلى المعتزلة على الخوارج الذين يقولون بتخليد صاحب الكبيرة في جهنم وكذلك أيضاً المعتزلة في الذين يقولون : أن صاحب الكبيرة منزل بين منزلتين وهذا

<sup>١</sup> - البخاري (٦٧) (١٠٥) (١٦٥٢) (١٦٥٤) (٤١٤٤) (٥٢٣٠) (٦٦٦٧) (٧٠٠٩) ومسلم (١٦٧٩) والترمذي (٢١٥٩) (٣٠٨٧) وابن ماجه (٣٠٧٤) (٣٩٣١) وغيرهم .

<sup>٢</sup> - مسلم (٢٥٦٤) والترمذي (١٩٢٧) والمعجم الكبير (١٨٣) وشعب الإيمان (٦٦٦٠) وسنن البيهقي الكبرى (١١٢٧٦) (١٦٩٠٦) .

<sup>٣</sup> - مسلم (٢٥٨٢) والترمذي (٢٤٢٠) وأحمد (٧٩٨٣) (٨٨٣٤) (٩٣٢٢) ومسند أبي يعلى (٦٥١٣) وسنن البيهقي الكبرى (١١٢٨٥) .

<sup>٤</sup> - البخاري (٢٣١٧) وسنن البيهقي الكبرى (٦٣٠٥) .

<sup>٥</sup> - مسلم (١٨٩٧) وأبو داود (٢٤٩٦) والنسائي (٣١٨٩) وأحمد (٢٣٠٢٧) وابن حبان (٤٦٣٤) وغيرهم بلفظ : { حرمة نساء المجاهدين على القاعدين القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم ؟ } .

<sup>٦</sup> - البخاري (٤٢٠٧) (٥٦٥٥) (٦٤٢٦) (٧٠٩٤) ومسلم (٨٦) وأبو داود (٢٣١٠) وابن حبان (٤٤١٥) وغيرهم .

<sup>٧</sup> - صحيح : أبو داود (٢١٧٥) والمعجم الأوسط (١٨٠٣) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٩٩٤) وشعب الإيمان (٥٤٣٣) وانظر حديث رقم : ٥٤٣٧ في صحيح الجامع .

<sup>٨</sup> - البخاري (٦٤٧١) ومسلم (١٦٧٨) والترمذي (١٣٩٧) والنسائي (٣٩٩١) (٣٩٩٣) (٣٩٩٤) (٣٩٩٥) (٣٩٩٦) وابن ماجه (٢٦١٥) (٢٦١٧) وغيرهم .

ضلال يعني لا هو في الجنة ولا هو في النار **فين ؟** يعني على آراء المعتزلة وكأنهم حرس على الجنة أو على النار عياداً بالله عقول زائغة والخوارج الذين أخذوا بآيات الوعيد فسموا أيضاً بالوعيدية ويسمون بالحرورية ويسمون بالأزرقية عدة أسماء والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { الخوارج كلاب أهل النار } ( ١ ) هؤلاء يقولون : إن صاحب المعصية في النار خالداً مخلداً فيها أبداً ومعتقد أهل السنة هو المعتقد الصحيح وهو أنهم يجعلون أهل التوحيد ما حكم لهم به الله سبحانه و تعالى أو النبي صلى الله عليه وسلم بأن مآلهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض وإن حصل لهم شيء من التعذيب كما أفصح بذلك الآيات والأحاديث الكثيرة في ذلك بل الأحاديث التي تثبت خروجهم إن لم تصل إلى حد التواتر فهي إلى حد الشهرة أو الإشتهار وذلك أنهم يمحسون بقدر ما اقترفوا من الجرائم والسيئات إن لم يتداركوا بعفو من الله ورحمة منه نسأل الله عز وجل أن يعفو عنا وأن يغفر لنا جميعاً لكن مآلهم إن شاء الله إلى جنة عرضها السماوات والأرض ولما حصل لبعض القدرية شيء من هذه الأوهام أرسل عمر بن عبد العزيز بورقة فيها سورة الإنسان إلى هذا الرجل من أجل أن يقرأها لأن في آخرها :

(( يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً )) ( ٢ ) أسأل الله عز وجل بمنه وكرمه وبأسمائيه الحسنی وصفاته العلی أن يجعلنا وإياكم من أهل الأمن والهداية في الدنيا والآخرة ، وهنا كلام لابن القيم رحمه الله تعالى قال ابن القيم رحمه الله :

قوله : (( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )) ( ٣ ) قال الصحابة: **أينا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم ؟** قال : { ذلك الشرك ألم تسمعون قول العبد الصالح : (( إن الشرك لظلم عظيم )) ( ٤ ) } ( ٥ ) لما لما أشكل عليهم المراد بالظلم فظنوا أن ظلم النفس داخل فيه وأن من ظلم نفسه أي ظلم كان لم يكن آمناً ولا مهتدياً أجابهم صلوات الله وسلامه عليه بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك وهذا والله الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها والأمن والهداية المطلق هما الأمن في الدنيا والآخرة والهدى إلى الصراط المستقيم فالظلم المطلق التام رافع للأمن والإهداء المطلق التام ولا يمنع أن يكون الظلم مانعاً من مطلق الأمن ومطلق الهداية فتأمله فالمطلق للمطلق والحصة للحصة انتهى ملخصاً .

١ - ابن ماجة (١٧٣) والمعجم الكبير (٨٠٤٢) والمعجم الأوسط (٩٠٨٥) والمعجم الصغير (١٠٩٦) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٣٣٤٧ في صحيح الجامع .

٢ - الإنسان ( ٣١ ) .

٣ - الأنعام ( ٨٢ ) .

٤ - لقمان ( ١٣ ) .

٥ - البخاري ( ٣٢ ) ( ٣١٨١ ) ( ٣٢٤٥ ) ( ٣٢٤٦ ) ( ٤٣٥٣ ) ( ٤٤٩٨ ) ( ٦٥٢٠ ) ( ٦٥٣٨ ) ومسلم ( ١٢٤ ) والترمذي ( ٣٠٦٧ ) وغيرهم .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل } أخرجاه ( ١ ) .

فهذا هو الفصل الثاني أو الباب الثاني من كتاب التوحيد لشيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التيمي النجدي رحمه الله تعالى وهو : ما يتعلق بفضل التوحيد .

لأن الباب الأول يتحدث عن وجوب التوحيد والباب الثاني عن فضل التوحيد وقد تقدم لكم في الدرس السابق أنه وإن ذكر المؤلف أو الخطيب أو الواعظ فضلاً لعمل لا يدل ذلك على أن العمل ليس بواجب فالوجوب شيء وفضل هذا العمل شيء آخر وبعد أن عقد الباب وترجمه بفضل التوحيد وما يكفر من السيئات إستدل بقول ربنا جل وعلا من سورة الأنعام : (( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )) ( ٢ ) ثم أتبع ذلك بما يوافق المعنى بحديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وأرضاه وهو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي يكنى بأبي الوليد وهو أحد النقباء حضر بدرا وهو صحابي مشهور من السابقين الأول رضي الله تعالى عنه وأرضاه هذا الصحابي الجليل يروي لنا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال : { من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق و النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل } ( ٣ ) ،

ففي قول نبينا صلى الله عليه وسلم : من : هذه تسمى شرطية وهي من أسماء الشرط المتفق عليها من ومهما و إذما تسعة أسماء للشرط متفق على إسميتها ولا بد أن تجزم فعلين الأول فعل الشرط والثاني يكون جواباً له وجزاء .  
وقوله : شهد : الشهادة هي الإخبار بالشيء عن علم به ويقين مع اعتقاد صحته وثبوته وإلا كانت هذه الشهادة مرفوضة باطلة لذا كذب الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين يخالف بواطنهم ظواهرهم قال الله عز وجل : (( إذا جاءك المنافقون

<sup>١</sup> - البخاري (٣٢٥٢) ومسلم (٢٨) وأحمد (٢٢٧٢٧) وابن حبان (٢٠٧) وسنن النسائي الكبرى (١٠٩٧٠) (١١١٣٢) .

<sup>٢</sup> - الأنعام ( ٨٢ ) .

<sup>٣</sup> - تقدم تخريجه .

قالوا نشهد إنك لرسول الله (( قال الله : (( والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون )) ( ١ ) فلم تكن شهادتهم مبنية على اعتقاد وإنما هي شهادة من الألسن ،

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيل

فلا بد أن تكون الشهادة بحق عن علم و يقين واعتقاد صحة حتى تكون هذه الشهادة مقبولة هذا على وجه العموم سواء كانت شهادة كلمة التوحيد أو شهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصدق الرسالة والنبوة أو ببراءة عيسى من أن يكون ولد زنا أو أن تشهد على حقوق الناس وما إلى ذلك فقد جاء في الجزء الثامن من إرواء الغليل بتحقيق العلامة الألباني رحمه الله أن عمر بن الخطاب قال : [ من يعرف فلانا قال رجل أنا قال : هل سافرت معه ؟ هل عرفته بليله ونهاره ؟ هل عاملته بالدينار والدرهم ؟ قال : لا قال : إذن أنت لا تعرفه ] والله سبحانه وتعالى يقول :

(( ستكتب شهادتهم ويسألون )) ( ٢ ) ويقول سبحانه : (( إلا من شهد بالحق وهم يعلمون )) ( ٣ ) إذا فلا بد من التحري وقد تقدم لكم في الدورة السابقة من تدريس هذا الكتاب قولاً لبعض السلف أن بعض السلف قال : كانوا يضربونا على الشهادة ، وما ذلك إلا لأهميتها وقديماً قالوا:

أنت يا أستاذ موفور الأدب لا تزكي كل من هب ودب

فلا بد من التحري ولا بد من الإنتباه ولا بد من العلم واليقين والإعتقاد ولا تحابي في ذلك أحداً فقد ذكر ابن مفلح في الآداب الشرعية أنه قال : إرضاء الناس بخلاف ما تعتقده وبال في الآخرة .

و في قوله : { من شهد أن لا { هنا أن تسمى مخففة من الثقيلة واسمها يكون ضمير الشأن محذوف وغلط أن تثقل أو أن تشدد كما يقول بعض المؤذنين أشهد أن لا إله هذا غلط بل لا بد أن تطبق في أحكام التجويد أن هاهنا عليها سكون وبعدها لام من حروف الإدغام الكامل بغير غنة فلا بد أن تدغم أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ المشددة لا يجوز حذف اسمها أما هذه أن التي هي مخففة من الثقيلة و تعمل عمل إن يجوز حذف اسمها كما قال الشاعر :

كأن ثدياه وصدر مشرق اللون كأن ثدياه حقان

أي كأن هو وآخر أيضاً قال :

بأنك ربيع وغيث مريع وأنت هناك تكون الشمال

على حد قوله كما ذكر هذا ابن هشام في قطر الندى ومنه قوله سبحانه وتعالى : (( علم أن سيكون منكم )) ( ٤ ) في آخر سورة المزمل فأن هاهنا مخففة من الثقيلة و أن لا إله أي أن لا مألوه ثم قال : إلا الله هذا استثناء ففي هذا نفي وإثبات . أن لا إله إلا الله . لا إله نفي لجميع الآلهات ، لا إله ثم إلا الله فالكلام فيه نفي وفيه إثبات للألوهية الحقّة للذات الإلهية وهو ربنا سبحانه وتعالى فلو كان نفياً محضاً لاقتضى التعطيل لا إله يقتضي التعطيل كما هو حال الصوفية في مساجدهم الصف الأول يقول : لا إله لا إله لا إله . الصف الثاني يقول : إلا الله إلا الله إلا الله هذا ذكر غير مشروع بل لا بد من عبارتين وكلمتين ملتصقتين لا تنفك إحداهما عن الأخرى لا إله إلا الله ولو كان إثباتاً من غير نفي لم تمتنع المشاركة لو

١ - المنافقون ( ١ ) .

٢ - الزخرف ( ١٩ ) .

٣ - الزخرف ( ٨٦ ) .

٤ - المزمل ( ٢٠ ) .

كان نفياً محضاً لوجب عدم الآلهة ولو كان إثباتاً محضاً ما كان في ذلك نفى للمشاركة فلما كان هناك نفى مطلق وإثبات ألوهية الله سبحانه وتعالى تبين أن ألوهية ربنا سبحانه وتعالى هي الألوهية الحقّة كما قال ربنا سبحانه وتعالى : (( ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير )) ( ١ ) فلا بد من هذين الركنين وأن هذه الكلمة مبنية على هذين الأساسين نفى وإثبات لا إله إلا الله ومعنى هذه الكلمة أي : لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى وإن عبد غيره فباطل هذا هو التعريف الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة ومذهب السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهذه الكلمة تعرفون وهذه من بدائيات علوم الطلاب أن لها سبعة شروط كما قال الناظم :

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

وما زاده حافظ أحمد حكيم في معارج القبول قائلاً :

وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأشياء قد ألقاها

فلا بد من هذه الشروط السبعة :

١. العلم المنافي للجهل لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (( فاعلم أنه لا إله إلا الله )) ( ٢ ) .
  ٢. ولا بد من اليقين المنافي للشك كما قال الله سبحانه وتعالى : (( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا )) ( ٣ ) .
  ٣. الإخلاص المنافي للشرك أو الرياء قال الله عز وجل : (( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين )) ( ٤ ) .
  ٤. ولا بد من الصدق المنافي للكذب كما قال سبحانه : (( ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين )) ( ٥ ) .
  ٥. ولا بد من المحبة المنافية للبغض كما قال سبحانه : (( ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله )) ( ٦ ) .
  ٦. الإنقياد المنافي لعدمه كما قال سبحانه : (( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً )) ( ٧ ) .
  ٧. سابعها القبول المنافي للرد أو للترك أو لعدمه كما قال سبحانه وتعالى : (( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً )) ( ٨ ) .
- والعلم بهذه الكلمة قد يكون أمراً غريزياً فطرياً كما قال ربنا سبحانه : (( فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله )) ( ٩ ) وكما قال نبينا صلى الله عليه وسلم :

١ - الحج ( ٦٢ ) .

٢ - محمد ( ١٩ ) .

٣ - الحجرات ( ١٥ ) .

٤ - البينة ( ٥ ) .

٥ - العنكبوت ( ١ - ٣ ) .

٦ - البقرة ( ١٦٥ ) .

٧ - الأحزاب ( ٣٦ ) .

٨ - النساء ( ٦٥ ) .

٩ - الروم ( ٣٠ ) .



{ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه } ( ١ ) وإما أن يكون أمراً مكتسباً من خلال النظر في في الآيات البصرية والآيات السمعية كما قال الناظم :

وفي كل شيء له آية      تدل على أنه واحد  
فيا عجباً كيف يعصى الإله ؟      أم كيف يجحده الجاحد ؟

ولا إله إلا الله كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى وغيره من أهل العلم : لأجلها خلقت السماوات والأرض والكون كله ومن أجله حقت الحاقة وتقوم القيامة وانصرف الناس فريق في الجنة وفريق في السعير ومن أجلها نصبت الموازين للخلق في عرصات القيامة فهذه الكلمة العظيمة لها شأن رفيع حتى قال رجل لوهب بن منبه وهذا الأثر في صحيح البخاري قال له :

**أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟**

قال : " بلى مفتاح الجنة لا إله إلا الله ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، ، ( ٢ ) فلا بد من معرفة شروطها فإنها لا تنفع فقد قالها أناس ومع ذلك ما نفعتهم ما تنفع هذه الكلمة إلا بأن نعرف شروطها وأركانها ونعمل بمقتضاها وذلك أنها تنفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى وتثبت الألوهية الحق له وحده لا شريك له فإذا كان الأمر كذلك فإن العبد يحظى بها في ذلك اليوم كما جاء في حديث البطاقة وهو ثابت في جامع الإمام الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { ينشر للعبد يوم القيامة تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم توضع هذه السجلات في كفة وإذا ظن العبد أنه هالك يقال له : بقي لك بطاقة عندنا فيؤتى ببطاقة مكتوب عليها لا إله إلا الله فتوضع في كفة فتطيش بتلك الصحائف كلها } ( ٣ ) .

ومن فضائل هذه الكلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعنه أبي طالب : { يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله } ( ٤ ) وتسمى بالكلمة الطيبة و بالعروة الوثقى وتسمى أيضاً بكلمة التقوى وكلمة التوحيد والنبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى الناس لا سيما أيام الموسم فيقول : { أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا } فقد روى ابن حبان من حديث طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي صغير قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في عكاظ ومجنة وذو المجاز وهو يقول : { أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا } ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه وعرقوبه فقلت : **من هذا ؟** قالوا : هذا عبد العزى أبو لهب فقلت : **ومن هذا الذي قد أدمى رجله وعرقوبه ؟** قالوا : هذا غليم عبد المطلب قال وسمعتة يقول للناس : { أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا } ( ٥ ) إذن لا بد من معرفة هذه الكلمة لا بد من معرفتها ولا بد من تكرارها فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

{ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب } ( ٦ ) ولا بد عند الضيق والكرب أن نلجأ إليها كما جاء من حديث ابن عباس في البخاري أن النبي صلى الله

١ - البخاري (١٣١٩) ومسلم (٢٦٥٨) وأبو داود (٤٧١٤) والترمذي (٢١٣٨) وأحمد (٧١٨١) وغيرهم .

٢ - البخاري باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ( ١ / ٤١٥ ) .

٣ - صحيح : الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) والحاكم (١٩٣٧) والمعجم الأوسط (٤٧٢٥) وانظر حديث رقم : ٨٠٩٥ في صحيح الجامع .

٤ - البخاري (١٢٩٤) ومسلم (٢٤) وابن حبان (٩٨٢) بلفظ : { يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله } والمعجم الكبير (٨٢٠) بلفظ : { كلمة أحاج لك بها عند الله } .

٥ - أحمد (١٦٠٦٦) (١٩٠٢٦) (٢٣٢٤٠) وابن حبان (٦٥٦٢) والحاكم (٣٩) (٤٢١٩) وسنن الدارقطني (١٨٦) وغيرهم وانظر صحيح السيرة النبوية النبوية للألباني صفحة (١٤٣) .

٦ - البخاري (٦٠٤٠) ومسلم (٢٦٩١) وابن حبان (٨٤٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٧٦) .

الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : { لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش الكريم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم } ( ١ ) ومرة يخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه والقصة في صحيح البخاري ومسلم فينزل تحت شجرة ويتفرق أصحابه ويعلق النبي صلى الله عليه وسلم سيفه على شجرة فيأتي أعرابي فيخترط السيف ثم يقول للنبي صلى الله عليه وسلم : **من يمنعك مني؟** فاحتمي نبينا صلى الله عليه وسلم بالله سبحانه وتعالى وباسمه قال : الله الله الله فشلت يد الأعرابي فسقط السيف من يده ثم أخذه النبي صلى الله عليه وسلم وهزه في وجه الأعرابي قال : { **من يمنعك مني يا أعرابي ؟** } قال : كن خير آخذ فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ثم قال لهم لقد حصل كذا وكذا ( ٢ ) .

والشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم التجأ إلى الله وهذا من مدلول لا إله إلا الله ما قال : يمنعني أصحابي وهكذا ما جاء في مسند الإمام أحمد { أن رجلاً انتمى إلى الإسلام ورجل انتمى إلى تسعة أنفس فقال الأول الذي انتمى إلى العصبية والطائفة قال : أنا فلان بن فلان بن فلان بن فلان عد تسعة أنفس قال للآخر : **من أنت لا أم لك ؟** فقال الثاني : أنا فلان بن فلان بن الإسلام فأوحى الله إلى ذلك النبي أن يخبر هذين المنتسبين أن يقول للأول : انتسبت إلى تسعة فأنت عاشرهم إلى النار وقال للآخر : انتسبت إلى ثلاثة أو إلى اثنين أنت ثالثهم أو رابعهم في الجنة { ( ٣ ) وهكذا أيضاً كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تقلب في الليل يقول : { لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار } ( ٤ ) جاء من حديث عبادة في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير { وفي خارج الصحيحين [ يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ] ( ٥ ) الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر أستجيب دعاؤه فإن صلى قبلت صلاته { ( ٦ ) فهذه الكلمة لا بد أن نكثر منها ومن فضائلها أنها إذا ختم لك الله عز وجل بها كنت من أهل الجنة كما في الحديث الصحيح يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة { ( ٧ ) وهو تفسير لقوله سبحانه وتعالى :

(( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء )) ( ٨ )

فأكثر من لا إله إلا الله أكثر منها وعود لسانك على أن تمرنها عليها وهكذا أيضاً جاء حديث حسنه الشيخ الألباني كما في مقدمة الترغيب والترهيب وهو المعروف بحديث السوق :

<sup>١</sup> - البخاري (٥٩٨٥) (٥٩٨٦) (٦٩٩٤) ومسلم (٢٧٣٠) والمعجم الكبير (١٢٧٥٠) والمعجم الأوسط (١٠١٠) وسنن النسائي الكبرى (٧٦٧٥) (١٠٤٩٠) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٢٧٥٣) (٣٩٠٥) (٣٩٠٦) (٣٩٠٨) ومسلم (٨٤٣) وأحمد (١٤٣٧٤) (١٤٩٧٠) (١٤٩٧١) (١٥٢٢٧) وابن حبان (٢٨٨٢) (٢٨٨٣) وابن حبان (٤٥٣٧) وغيرهم .

<sup>٣</sup> - أحمد (٢١٢١٦) ومسند عبد بن حميد (١٧٩) وانظر حديث رقم : ١٤٩٢ في صحيح الجامع .

<sup>٤</sup> - صحيح : ابن حبان (٥٥٣٠) والحاكم (١٩٨٠) وسنن النسائي الكبرى (٧٦٨٨) (١٠٧٠٠) وانظر حديث رقم : ٤٦٩٣ في صحيح الجامع .

<sup>٥</sup> - هذه الزيادة صحيحة وانظر حديث رقم : ٦١٥٦ في صحيح الجامع .

<sup>٦</sup> - البخاري (١١٠٣) وأبو داود (٥٠٦٠) والترمذي (٣٤١٤) وابن ماجه (٣٨٧٨) وأحمد (٢٢٧٢٥) وسنن الدارمي (٢٦٨٧) وابن حبان (٢٥٩٦) وسنن البيهقي الكبرى (٤٤٤٣) وسنن النسائي الكبرى (١٠٦٩٧) .

<sup>٧</sup> - صحيح : أبو داود (٣١١٦) والحاكم (١٢٩٩) (١٨٤٢) والمعجم الكبير (٢٢١) وشعب الإيمان (٩٤) (٩٢٣٧) وانظر حديث رقم : ٦٤٧٩ في صحيح الجامع .

<sup>٨</sup> - إبراهيم ( ٢٧ ) .

{ أن من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله عز وجل له ألف ألف حسنة ورفع له ألف ألف درجة وحط عنه ألف ألف خطيئة { ( ١ ) فمن الذي يرغب عن مثل هذا الخير الكثير ؟ } وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى له كلام طويل جداً حول هذه الكلمة وما فيها من الخير للعبد في الدنيا والآخرة وتأملوا إلى العرب لما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منهم أن يقولوا هذه الكلمة عرفوا معناها لأنهم كانوا عرباً سليقة يفهمون معاني ووقع أو ألفاظ اللغة العربية فأبى بعضهم أن يقولوها وهو محروم كما قيل :

،، ولكن اللئيم عن المكارم يشغل ،،

لا حول ولا قوة إلا بالله والذين نطقوا بها ولفظوا بها فازوا بخيري الدنيا والآخرة وهكذا . بارك الله فيكم . يجب على الشخص أن يفتق لسان أولاده بلا إله إلا الله وأن يكثّر من النطق بها هو لا سيما أدبار الصلوات فقد جاء من حديث ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا انتهى من صلاته يقول : { أستغفر الله } ( ٢ ) فقيل : كان يستغفر الله ثم يقول { لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد } ( ٣ ) قيل للزهري : كيف يستغفر ؟ قال : يقول : أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله وهكذا أيضاً : { لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون } ( ٤ ) هذه أدبار الصلوات ، وهكذا فيما يتعلق بأذكار الصباح والمساء وما يتعلق بأذكار النوم وليس كما قال ابن القيم : ليس ليس الأذكار عبارة عن كلام يردد صباحاً ومساءً وإنما هو عبارة عن توحيد يهتف به لله عز وجل صباحاً ومساءً بهذا القدر إن شاء الله سبحانه وتعالى نكتفي .

قوله صلى الله عليه وسلم : { وأن محمداً عبده ورسوله } :

أي من شهد أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر يتصل نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم من شهد أن هذا الرجل ذا النسب الزاكي الطاهر الشريف من شهد أنه عبد لله ورسوله وقد جمع هاتين اللفظتين في جملة واحدة دفعا للإفراط والتفريط وقد كان الناس في هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائف :

**١. فطائفة غلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم والغلو هو المبالغة في الشيء ومجاوزة الحد ويعبر عنه بالتشدد والتنطع والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :**

{ هلك المتنتعون هلك المتنتعون هلك المتنتعون } ( ٥ ) فطائفة غلت في رسول الله وهذه الطائفة تسمى بالصوفية فرفعوا نبينا صلى الله عليه وسلم إلى مقام الألوهية والربوبية بل ربما جعلوه أرفع من الذات الإلهية وهذا لا يجوز ثبت عن

١ - حسن : الترمذي (٣٤٢٨) (٣٤٢٩) وابن ماجه (٢٢٣٥) والدارمي (٢٦٩٢) والحاكم (١٩٧٤) (١٩٧٤) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٦٢٣١ في صحيح الجامع .

٢ - مسلم (٥٩١) والنسائي (١٣٣٧) وابن خزيمة (٧٣٨) وسنن النسائي الكبرى (١٢٦٠) (٩٩٦٧) ومسنن الشاميين (١٠٨٨) .

٣ - البخاري (٨٠٨) (٥٩٧١) (٦٢٤١) (٦٨٦٢) ومسلم (٥٩٣) وأبو داود (١٥٠٥) والنسائي (١٣٤١) (١٣٤٢) وغيرهم .

٤ - مسلم (٥٩٤) والنسائي (١٣٤٠) وأحمد (١٦١٥٠) ومسنن أبي يعلى (٦٨١١) وغيرهم .

٥ - مسلم (٢٦٧٠) وأحمد (٣٦٥٥) ومسنن أبي يعلى (٥٠٠٤) (٥٠٠٧) (٥٢٤٢) ومسنن الزوار (١٨٧٨) وغيرهم .

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { لا تطروني . أي لا ترفعوني فوق منزلتي . كما طرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله } ( ١ ) فهؤلاء بالغوا في رسول الله وأخرجوه عن مقام العبودية إلى مقام الألوهية بل أرفع من ذلك كما قال البوصيري في أبيات يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدة تسمى بالبردة قال :

يا أكرم الخلق مالي من ألؤذ به  
إن لم تكن آخذاً يوم المعاد يدي  
سواك عند حلول الحادث العمم  
فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم  
فإن من جودك الدنيا وضرتها . وضرة الدنيا الآخرة .

فإن من جودك الدنيا وضرتها  
ومن علومك علم اللوح والقلم  
قال ابن رجب رحمه الله : هذا ما ترك الله شيئاً جعل علوم اللوح والقلم لرسول الله وباتفاق بل بنص القرآن والسنة وبإجماع المؤمنين أن رسول الله لا يعلم الغيب أما من القرآن فيقول الله سبحانه وتعالى : (( ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون )) ( ٢ ) وأما من السنة فقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تنشد شعراً بمناسبة فرح من الأفراح وهي تقول :

أعد لها كبشا في المريد  
وفينا رسول الله يعلم ما في غد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا يعلم ما في غد إلا الله } ( ٣ ) ولما سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة قال : { ما المسؤول عنها بأعلم من السائل } ( ٤ ) ويقول سبحانه : (( قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا )) ( ٥ ) فرسول الله صلى الله عليه وسلم بشر مريب وفيه جميع الصفات البشرية التي في عباد الله ما عدا شيئاً واحداً فهو يكون ممتنع في حق النبي صلى الله عليه وسلم وذلك سفايف الأخلاق ورذالتها فرسول الله صلى الله عليه وسلم أرفع من ذلك وقد كان يدعو الله سبحانه وتعالى يسأله أن يعطيه مكارم الأخلاق وأن يزيح عنه أسافلها أو سفايفها وإلا فهو بشر من البشر الفارق بيننا وبينه أنه يوحى إليه ولا شك أن الله قد أوجب علينا طاعته قال سبحانه : (( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليهم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه )) ( ٦ ) أي اتجهوا إليه بالدعاء والخوف والرجاء وإلا فأنا بشر مثلكم فهو عبد ولما ذكرت هذه العبارة لينفى عنه أن يكون شريكاً مع الله وهو رسول الله ليس كاذباً على الله سبحانه وتعالى قال سبحانه :

(( سبحانه الذي أسرى بعبد ليلاً )) ( ٧ ) وقال سبحانه : (( وأنه لما قام عبد الله يدعوه )) ( ٨ ) وقال سبحانه :

(( الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً )) ( ٩ ) فهناك طائفة كما أسلفت وهي الصوفية شذت في هذا الباب وألهمت الرسول ورفعت فوق منزلته وهو صلى الله عليه وسلم يقول : { أفلا أكون عبداً شكوراً } ( ١٠ ) فلا يجوز

١ - البخاري (٣٢٦١) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم .

٢ - الأعراف (١٨٨) .

٣ - المعجم الأوسط (٣٤٠١) والمعجم الصغير (٣٤٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٤٤٦٦) (١٤٤٦٧) وانظر آداب الزفاف للألباني (١٠٩ - ١١٠) .

٤ - البخاري (٥٠) (٤٤٩٩) ومسلم (٨) (٩) والترمذي (٢٦١٠) وابن حبان (١٥٩) (١٧٣) وشعب الإيمان (٩) وغيرهم .

٥ - الأعراف (١٨٨) .

٦ - فصلت (٦) .

٧ - الإسراء (١) .

٨ - الجن (١٩) .

المغالاة فيه وليس بصحيح أنه نور كما تقول الصوفية في قصائدها أنه نور في الصحيحين من حديث عائشة أنها كانت مستندة أي معترضة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : [ فإذا قام بسطت رجلي فإذا سجد غمزني فقبضتهما وليس في البيوت آنذاك مصابيح ] ( ٣ ) وما أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أخبر أن رسول الله نور وليس بصحيح أنه قال لجابر : { يا جابر إن الله نور عرشه من نور نبيك يا جابر } ( ٤ ) هذا كذب على رسول الله فرسول الله صلى الله عليه وسلم بشر جعله الله عبداً ورسولاً بل هو خاتم الأنبياء والمرسلين كما قال سبحانه وتعالى : (( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين )) ( ٥ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :

{ إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول } ( ٦ ) فلا يجوز في حقه التنطع وإطراؤه ورفع فوق منزلته

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فهذا هو القسم الأول من الناس وهو الإفراط .

**٢- القسم الثاني : التفريط** والمراد بالتفريط الترك فكم من الناس اليوم من نأى و أبى أن يتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل : { كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : **ومن يأبى يا رسول الله ؟** قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى } ( ٧ ) ويقول سبحانه في كتابه الكريم : { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم } ( ٨ ) فالواجب أن تأخذ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

**٣- والقسم الثالث من الناس هم المتبعون له المتمسكون بسنته** وهم أهل السنة والجماعة من المؤمنين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة إذن عندنا ثلاثة أقسام : مفرط . ومفرط . ومتبع .

القسم الأول بالغ والقسم الثاني ميع وترك و القسم الثالث اتبع ، اتبع النبي صلى الله عليه وسلم فهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويعتقد في رسول الله أنه عبد الله ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وتحمل الأذى في ذات الله حتى قال صلى الله عليه وسلم :

{ لقد أوذيت وما يؤذي أحد } ( ٩ ) وكان صلى الله عليه وسلم يخرج من داره فيرى الأذى والأشواك والأربال بجانب بيته فيقول : { **يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟** } لا يزيد على هذه العبارة لأنه من أحلم الناس ومن أحسن الناس أخلاقاً يقول : { **أي جوار هذا يا بني عبد مناف ؟** } ( ١٠ ) وكان ساجداً في مكة وينظر إليه ابن مسعود وهو ضعيف وفقير ومضطهد فقال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأبو جهل : من ينطلق إلى جزور بني فلان فيأتي بسلاها فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فذهب أشقاهم وجاء بالسلا سلا الإبل وهو قطعة كبيرة من السلا فيضعه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم

١ - الكهف ( ١ ) .

٢ - البخاري ( ١٠٧٨ ) ( ٤٥٥٦ ) ( ٦١٠٦ ) ومسلم ( ٢٨١٩ ) ( ٢٨٢٠ ) والترمذي ( ٤١٢ ) والنسائي ( ١٦٤٤ ) وابن ماجه ( ١٤٢٠ ) وغيرهم .

٣ - البخاري ( ٣٧٥ ) ( ٤٩١ ) ومسلم ( ٥١٢ ) والنسائي ( ١٦٨ ) وأحمد ( ٢٥١٩١ ) ( ٢٥٩٢٦ ) وابن حبان ( ٢٣٤٢ ) .

٤ - وانظر كلام الشيخ الألباني في تضعيف الأحاديث التي تدل على أن النبي ﷺ نور في السلسلة الصحيحة عند حديث رقم ( ٤٥٨ ) .

٥ - الأحزاب ( ٤٠ ) .

٦ - صحيح : الترمذي ( ٢٢٧٢ ) وأحمد ( ١٣٨٥١ ) والحاكم ( ٨١٧٨ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ١٦٣١ في صحيح الجامع .

٧ - البخاري ( ٦٨٥١ ) والحاكم ( ٧٦٢٦ ) .

٨ - النور ( ٦٣ ) .

٩ - صحيح : الترمذي ( ٢٤٧٢ ) وابن ماجه ( ١٥١ ) وأحمد ( ١٢٢٣٣ ) ( ١٤٠٨٧ ) وابن حبان ( ٦٥٦٠ ) ومسند أبي يعلى ( ٣٤٢٣ ) وغيرهم وانظر حديث

رقم : ٥١٢٥ في صحيح الجامع .

١٠ - السيرة النبوية لابن كثير ( ١٢٣ / ٢ ) ( ١٤٨ ) .

عليه وسلم فما زال ساجداً حتى جاءت ابنته فأزالته ثم أقبلت على المشركين تسبهم فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال : { اللهم عليك بعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأبي جهل بن هشام } قال ابن مسعود : [ والله لقد رأيت أولئك النفر صرعى يوم بدر ] ( ١ ) دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فالطائفة الثالثة والقسم الثالث من الناس حضي بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فكان متمسكاً لخطاه جعل النبي صلى الله عليه وسلم قدوة وقيادة له في هذه الدنيا من أجل أن يحظى بالخير الكثير يوم القيامة وقد روى البخاري في كتاب البيوع من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن عبد الله بن عمرو بن العاص وجد زاملة يوم اليرموك فيها " إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً و حرزاً للأمين أنت عدي ورسولي سميت المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلهما ولكن يعفو ويتجاوز ولن أقبضه حتى يقيم الملة المتعوجة بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً " ( ٢ ) هذا ثابت في صحيح البخاري وفيه أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وأما أسماؤه : فهو محمد بنص القرآن كما سبحانه : (( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم )) ( ٣ ) وكما قال سبحانه : (( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل )) ( ٤ ) وتسمية أخرى بشارة عيسى : (( ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد )) ( ٥ ) وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال : { أنا العاقب والحاشر والمحي . الحاشر يحشر الناس على عقبيه والمحي يمحو الله به الكفر . ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة } ( ٦ ) هذه أسماؤه وأوصافه صلى الله عليه وسلم ونقول : لا خيرية ولا فلاح ولا سعادة ولا خير في الدنيا ولا في الآخرة لأي عبد من الناس إلا بمتابعة سيد الأولين والآخرين و خليل رب العالمين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين والذي جعله الله سبحانه وتعالى حريصاً على الأمة كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم )) ( ٧ ) فهو حريص على المؤمنين في الدنيا كما جاء جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم : { مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الجراد والهوام يقعن فيها وهو يذبهن عنها قال : وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تغفلون من يدي } ( ٨ ) ومن حرصه يوم القيامة أنه إذا جمع الله الأولين والآخرين كما جاء من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان على طعام فنهس نهسة من الذراع وكانت تعجبه فقال : { أنا سيد ولد آدم ولا فخر **أتدرون من ما ذاك ؟** يجمع الله الأولين والآخرين فيقول بعضهم لبعض أنظروا من يشفع لكم إلى الله فيأتون آدم يقولون : أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه إشفع لنا إلى ربك فيقول آدم : إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن أكل الشجرة نفسي نفسي إذهبوا إلى أول رسول إلى أهل الأرض إذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيعتذر ثم إبراهيم فيعتذر ثم موسى فيعتذر عيسى فيقول لهم عيسى : ءأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه

١ - البخاري (٤٩٨) ومسلم (١٧٩٤) وسنن النسائي (٣٠٧) وسنن البيهقي الكبرى (١٧٥٠٧) وسنن النسائي الكبرى (٢٩٦) .

٢ - البخاري (٢٠١٨) (٤٥٥٨) وأحمد (٦٦٢٢) وغيرهم .

٣ - الأحزاب (٤٠) .

٤ - آل عمران (١٤٤) .

٥ - الصف (٦) .

٦ - البخاري (٣٣٣٩) (٤٦١٤) ومسلم (٢٣٥٤) (٢٣٥٥) والترمذي (٢٨٤٠) وأحمد (١٦٧٨٠) (١٦٧٩٤) (١٦٨١٦) (١٦٨١٧) وغيرهم .

٧ - التوبة (١٢٨) .

٨ - مسلم (٢٢٨٥) وأحمد (١٤٩٣٠) (١٥٢٥٠) ومسند الطيالسي (١٧٨٤) .



وما تأخر فإذا جاءت الخلائق وسألته الشفاعة العظمى وهو إراحة الناس من موقف عظيم ومشهد مخيف يوم القيامة يقول صلى الله عليه وسلم : أنا لها قال : فأخر تحت العرش ساجدا فأحمد ربي بمحمد لم أكن أعلمها من قبل فيقول الله : محمد أي يا محمد إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول : ربي أمتي { ( ١ ) } حريص عليهم في الدنيا وهو الحريص عليهم أيضاً يوم القيامة سبحانه الله حريص علينا و الواحد منا ربما لا يحرص على متابعتة صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإن الكثير من الناس ربما يتسبون في نقض هذه الشهادة شهادة أن محمداً رسول الله يعني بعض الناس تقول له : **تشهد أن محمداً رسول الله ؟** نعم يشهد أن محمداً رسول الله وربما يعرف المعنى أيضاً أنه لا متبوع بحق إلا رسول الله وغير رسول الله إن اتبع فيما لا دليل عليه فاتباعه باطل ويعرف أنه يجب طاعته فيما أمر والإنتهاء عما نهى عنه وزجر لكنه يأتي بنواقض ينقض بها هذه الشهادة وأعظم النواقض ناقضان اثنان :

١. **أما الناقض الأول :** فمطلق الذنوب والمعاصي مخالفة لرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

٢. **وأما الناقض الثاني :** فهو الإبتداع في دينه وفي سنته لأنه صلى الله عليه وسلم يقول :

{ تركتكم على مثل البيضاء { ( ٢ ) } ويوم القيامة حينما يزدهم الناس يريدون أن يشربوا من حوضه قال : { فتأتي ملائكة فتدودهم عن الحوض فأقول : ربي أمتي فينقطع ما بيني وبينهم فأقول : ربي أمتي أمتي فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقاً لمن غير وبدل { ( ٣ ) } نسأل الله السلامة والعافية .

مشكلة كبرى يا إخوان البدعة في الدين أمرها خطير وعظيم فما بعد البدعة إلا الكفر .

والمراد بالبدعة : الاختراع الإبتداع بمعنى الإختراع ، وفي الاصطلاح : هو التعبد بما لم يشرعه الله أو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون من أخطر ما يكون أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد سن لنا أموراً وبين لنا سنناً وترك لنا سنة وخيراً فتأتي نحن ونقدم عقولنا أو أقوالنا أو بعض المبررات وبعض الناس ربما قال : هذه من السنن الحسنة ورسول الله لا يحتاج إلى سنة سيئة ولا إلى سنة حسنة لأن دينه شامل وكامل قال سبحانه وتعالى : (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً )) ( ٤ ) والنبي صلى الله عليه وسلم قال للصحابه يوم الحج يوم عرفة وهو يخطب بهم وكانوا زهاء مائة ألف قال :

{ **هل بلغت ؟** } قال الصحابة : نعم قال : { اللهم فاشهد } ويشير بأصبعه السبابة إلى السماء إعترافاً واعتقاداً أن الله عز وجل في السماء فيقول : { اللهم فاشهد } ( ٥ ) فهو بلغ وأدى وما حصل شيء من التقصير بل قال بعض الصالحين : من ابتدع في الدين بدعة يزعم أنها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ، وجاء رجل إلى مالك بن أنس قال له : تناظرني قال مالك : إن غلبتك قال : اتبعك قال : فإن غلبتني قال : اتبعني قال مالك : إني على يقين من ديني أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل نترك ما جاء به جبريل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وأبى أن

١ - البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٣) (١٩٤) والترمذي (٢٤٣٤) وأحمد (٩٦٢١) وغيرهم .

٢ - صحيح : ابن ماجه (٤٣) وأحمد (١٧١٨٢) والحاكم (٣٣١) والمعجم الكبير (٦١٩) (٦٤٢) ومسند الشاميين (٢٠١٧) وانظر حديث رقم : ٤٣٦٩ في صحيح الجامع .

٣ - البخاري (٦٢١٢) ومسلم (٢٢٩٥) وأحمد (١١٢٣٦) (٢٢٩٢٤) والمعجم الكبير (٦٦١) .

٤ - المائدة ( ٣ ) .

٥ - صحيح : ابن ماجه (٣٠٧٤) وسنن الدارمي (١٨٥٠) وصحيح ابن خزيمة (٢٨٠٩) وابن حبان (٣٩٤٤) وسنن البيهقي الكبرى (٨٦٠٩) وسنن النسائي الكبرى (٤٠٠١) وغيرهم وانظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني رحمه الله برقم (٢٤٩٤) .



ينظره وقال : أنا على ثبات من ديني ، وأعظم شيء في هذا الزمان أن تكون متابعا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ويتمثل هذا بعلماء أهل السنة والجماعة لا سيما في هذا الزمان اللجنة الدائمة هيئة كبار العلماء العلماء الكبار الذين لم يتركوا شيئاً من الدين إلا بينوه فيعض على مثل هؤلاء بالنواجذ ولا ينبغي متابعة المبتدعة من صوفية أو شيعية أو من القوم الذين يتحزبون لحزبياتهم ولطرفهم فينبغي أن ينأى المسلم على وجه العموم وطالب العلم على وجه الخصوص حتى يكون قد أَرْضَى الله سبحانه وتعالى وحضى بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم لأن متابعتة صمام أمان كما قيل :

ظنوا النجاة بغير دين محمد  
العز بالإسلام يا دنيا اسمعي  
تبا لهم من ذلك الظن الردي  
والنصر معقود بمبدأ أحمد  
من حاد عن نهج الكتاب وما به  
لا خير فيه وبالمذلة مقتدي

قول نبينا عليه الصلاة والسلام : { وأن عيسى عبد الله ورسوله } أي من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وكذلك شهد أيضاً أن عيسى عبد الله ورسوله وعيسى عليه الصلاة والسلام نبي من الأنبياء جعله الله عز وجل آية يتتلى بها من شاء من خلقه فقد خلقه الله عز وجل من أم من غير أب وكان الله عز وجل الحكمة البالغة والقدرة العظيمة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن قال سبحانه : (( وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين )) ( ١ ) فكان الله عز وجل آمرا هذه الكلمة أن يخلق منها هذا النبي الكريم بقوله كن فيكون فحملت به مريم بنت عمران البتول العذراء الطاهرة الزكية النقية فضربها المخاض وكان من أمر الله ما قصه علينا في كثير من سور القرآن : (( فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا )) ( ٢ ) إنها مواقف عظيمة ولكن الله سبحانه وتعالى ثبتها وجعل لها من المعجزة ما يؤيد طهرها ونزاهتها أشارت إلى هذا المولود الغلام الصغير قال ربنا :

(( فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا )) ( ٣ ) ثم قال سبحانه :

(( ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم )) ( ٤ ) فكان نبيا رسولا مكلما بعثه رب العالمين إلى بني إسرائيل متمما لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام وكان الله عز وجل قد أيدته من المعجزات ما تعجز ما كان في ذلك الزمان من الطب والدواء فكان ببرئ الأكمه والأبرص يأذن من الله وهكذا يحيي الميت يأذن من الله سبحانه وتعالى ابتلاء واختبارا ولما أراد الله عز وجل رفعه كان بنو إسرائيل قد انقسموا فيه ثلاثة أقسام فكان من بني إسرائيل من يقول : إنه ولد زنا وهم اليهود وكان من بني إسرائيل من يقول : هو ابن الله وثالث ثلاثة ، ومن بني إسرائيل من يقول : هو عبد الله ورسوله .

١ - المائدة ( ٤٢ - ٤٥ ) .

٢ - مريم ( ٢٧ - ٢٨ ) .

٣ - مريم ( ٢٩ - ٣٣ ) .

٤ - مريم ( ٣٤ - ٣٦ ) .

فطائفة إسرائيلية تسمى باليعقوبية قالت : هو ولد زنا ، وطائفة ثانية من بني إسرائيل تسمى بالنسطورية تقول : إنه ابن الله ، وطائفة ثالثة هم المسلمون يقولون : هو عبد الله ورسوله وهذه هي عقيدتنا في عيسى بن مريم النبي الذي بشر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه وتعالى حاكيا عن عيسى : (( وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد )) ( ١ ) ولما ذهب جعفر بن أبي طالب إلى النجاشي ملك الحبشة فارين هو وأصحابه بدينهم وكانت هذه الهجرة الأولى من مكة إلى أرض الحبشة أرسلت قريش عمرو بن العاص وآخر فاجتمعوا بالنجاشي وحاولوا أن يشوهوا سمعة الصحابة فلما عجز ما عندهم من الحيل والدلائل قالوا : أيها الملك إنهم يخالفونك في أمر عيسى فقال ملك الحبشة : **ما تقولون في عيسى ؟** فإذا بجعفر بن أبي طالب يتلو آيات من سورة مريم فيبكي ملك الحبشة وقال : والله لا نعرف إلا هذا ( ٢ ) ، وهكذا حال اليهود والنصارى اليوم ، والنصارى في أيامنا هذه لا يقولون إنهم نصارى باعتبار أن كفر النصارى يفصح به صريح القرآن لكنهم يقولون مسيحيون ولو قالوا مسيحيون ما يقبل منهم هذا ، فعيسى بن مريم يدعو إلى توحيد الله فوجب على من كان يتسمى بالنصراني أو بالمسيحي أن يخضع لدين الحق وأن يخضع لدين محمد صلى الله عليه وسلم فإنه بالبعثة النبوية الشريفة نسخ جميع الأديان السابقة قال الله سبحانه وتعالى :

(( ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين )) ( ٣ ) وقال نبينا صلى الله عليه وسلم :

{ افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة و النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة } ( ٤ ) فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن هناك أمة اليهود وقد انقرضت وأمة النصارى وقد انقرضت وستكون أمته آخر الأمم وجاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { ما يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم يموت يوم يموت ولم يؤمن بي إلا كبه الله على وجهه في نار جهنم } ( ٥ ) فمن كان يدعي المسيحية نقول : أنت كاذب في دعواك لأن عيسى مصدق بنبوة محمد ويدعو إلى دين محمد وفي آخر الزمان ينزل عيسى بن مريم كما في الحديث الذي رواه البخاري أن نبينا صلى الله عليه وسلم يقول : { يوشك أن ينزل عيسى بن مريم - ينزل من السماء - حكما مقسطا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويأمر بعبادة الله وحده لا شريك له } ( ٦ ) ثم يكون عيسى بن مريم يحكم الناس بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم يقولون له : { صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة } ( ٧ ) أو كما يقول ، فالشاهد أنه يقود الناس إلى الله سبحانه وتعالى على كتاب الله وعلى سنة محمد عليه الصلاة والسلام ولما أراد بنو إسرائيل أن يقتلوا عيسى جعل الله عز وجل له شبها في واحد من بني إسرائيل ورفع الله إليه فيكون مكتوبا عند الله في الحكم الشرعي أن بني إسرائيل قاتلون لعيسى أما في الحكم القدري فهم ما قتلوه

١ - الصف ( ٦ ) .

٢ - القصة بطولها في مسند الإمام أحمد ( ١٧٤٠ ) ( ٢٢٥٥١ ) وشعب الإيمان ( ٨٢ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٨٢٠٧ ) ومسند إسحاق بن راهويه ( ٢١ ) وقد صححها الإمام الألباني في تحقيقه على كتاب فقه السيرة صفحة : ( ١١٥ ) .

٣ - آل عمران ( ٨٥ ) .

٤ - ابن ماجه ( ٣٩٩٣ ) وأحمد ( ١٢٢٢٩ ) ( ١٦٩٧٩ ) والحاكم ( ٤٤٣ ) ( ٤٤٤ ) والمعجم الكبير ( ٣ ) ( ٨٨٤ ) ( ٨٨٥ ) والمعجم الأوسط ( ٧٨٤٠ ) ومسند أبي يعلى ( ٤١٢٧ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٢٠٤٢ في صحيح الجامع .

٥ - مسلم ( ١٥٣ ) وأحمد ( ٨١٨٨ ) ( ٨٥٩٤ ) ( ١٩٥٨٠ ) والحاكم ( ٣٣٠٩ ) ومسند الطيالسي ( ٥٠٩ ) وغيرهم .

٦ - البخاري ( ٢١٠٩ ) ( ٢٣٤٤ ) ومسلم ( ١٥٥ ) والترمذي ( ٢٢٣٣ ) وسنن ابن ماجه ( ٤٠٧٨ ) وأحمد ( ٧٢٦٧ ) ( ١٠٩٥٧ ) وغيرهم .

٧ - مسلم ( ١٥٦ ) وأحمد ( ١٥١٦٧ ) وابن حبان ( ٦٨١٩ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٨٣٩٦ ) .

لكنهم يستحقون عقوبة القتل لأنهم قتل الأنبياء فالله ألقى شبهه على واحد منهم كما قال الله عز وجل : (( وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم )) ( ١ ) فوجب على المؤمن المسلم المحمدي أن يعلم أنه قد اعتنق ديناً من خير الأديان وأكملها وأفضلها وأتمها وآخرها وهو دين الإسلام كما قال سبحانه : (( إن الدين عند الله الإسلام )) ( ٢ ) فهذا الإسلام هو دين نبينا صلى الله عليه وسلم وهو دين الأنبياء وهذا الدين أعني الدين المحمدي والرسالة المحمدية أخذ الله سبحانه وتعالى العهد والميثاق من جميع الأنبياء وأتباع الأنبياء أن يؤمنوا بها وأن يصدقوا بها قال جل وعلا : (( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين )) ( ٣ ) فشهد الأنبياء وأقر الأنبياء ووافقوا على الإيمان وعلى النصره فقال الله عز وجل :

(( ءأقررتم ... قالوا أقررنا قال فاشهدوا )) ثم قال سبحانه : (( وأنا معكم من الشاهدين )) فكان هذا الدين هو الدين العظيم ونحمد الله عز وجل أن كنا مستجيبين و مغبوطين بهذا الأمر العظيم أعني بالعقيدة الصحيحة في حق محمد صلى الله عليه وسلم وفي حق عيسى بن مريم عسى الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الجنة .

### فما عقيدتك في عيسى بن مريم ؟

عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، هل تدخل في تخيلات وخزعبلات النصارى ؟ ، النصارى مختلفون فيما بينهم بعيسى بن مريم النصارى اختلفوا في عيسى فمنهم من يقول : ابن الله ومنهم من يقول : هو الله ومنهم من يقول : الله والإبن والأم يعني أشياء يستحي الشخص و يحتار العقل أن يتكلم بها لاحول ولا قوة إلا بالله فكانت هذه العقيدة هي العقيدة التي ترضي الله سبحانه وتعالى فيقال للنصارى اليوم : هل تعتقدون هذا في عيسى بن مريم ؟ لا ، ففي كنائسهم يرسمون صورة العذراء ويرسمون صورة عيسى ومن أين لهم أن يرسموا؟ عندهم خرافات يقولون : إن عيسى مشى مسافة طويلة في وقت حر فأصيب بالعرق فمسح بالمنديل فالتصقت صورته على المنديل من أين لهم هذا الكلام أن يثبتوه ؟ مختلفون فيما بينهم وهكذا أيضاً ما وجدنا أبداً منهم إذ أنهم يفتخرون بالآلة التي يزعمون أنه صلب عليها عيسى بن مريم هو لم يقتل رفعه الله عز وجل لكنهم يعظمون من شأن الصليب وتجدهم يستخدمون الصليب في كثير من أمورهم في معابدهم في كنائسهم كيف تفتخر بآلة قتل عليها أبوك أو أخوك أو صديقك فما بالك إذا كان هذا هو دينك ودين آبائك وأجدادك ؟ ولكن هكذا الشر يتبع بعضه بعضاً ويعمي صاحبه ويصم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وللشيخ العثيمين كلام طيب جداً في شرحه لهذه اللفظة فأجبت أن أسرده ولا أزيد عليه شيئاً لأنه كلام نفيس للغاية فيقول الشيخ محمد الصالح العثيمين :

قوله : { وأن عيسى عبد الله ورسوله } قال : الكلام فيه كالكلام في شهادة أن محمداً رسول الله بمعنى أن تعتقد إنه رسول من عند الله سبحانه وتعالى قال : إلا أننا نؤمن برسالة عيسى ولا يلزمنا اتباعه إذا خالفت شريعته شريعتنا . إذا خالفت

<sup>١</sup> - النساء ( ١٥٧ ) .

<sup>٢</sup> - آل عمران ( ١٩ ) .

<sup>٣</sup> - آل عمران ( ٨١ ) .

شريعته شريعتنا لسنا ملزمين . وقد بوب الإمام البخاري : باب شرع من قبلنا شرع لنا بمعنى ما كان في الأمم السابقة **هل يكون هذا تشريع لهذه الأمة ؟** إسمع إلى هذا التفصيل قال : فشريعة من قبلنا لها ثلاث حالات :

**١. الأولى :** أن تكون مخالفة لشريعتنا فالعمل على شرعنا إن حصل خلاف كان فيما مضى من الشرائع كذا ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم بنسخها فنحن نعمل بشرعنا .

**٢. الحالة الثانية :** إن تكون موافقة لشريعتنا فنحن متبعون لشريعتنا إن حصلت الموافقة فنحن متبعون لشريعتنا .

**٣. الثالث :** أن يكون مسكوتا عنها في شريعتنا وفي هذا الحال اختلف علماء الأصول **هل نعمل بها أو ندعها ؟** والصحيح أنها شرع لنا وهذا هو ما قاله كثير من الفقهاء : أن ما كان قبلنا شرع لنا ما لم ينسخه شرعنا أو يصادم ما في شريعتنا فيكون شرعا مثل أمور التوحيد ومكارم الأخلاق من الصدق والعفاف والطهر والنزاهة والعفة ومكارم الأخلاق كلها فهي صالحة لكل الأزمان قال الشيخ : والصحيح أنها شرع لنا ودليل ذلك قوله تعالى : (( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده )) ( ١ ) وقوله : (( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب )) ( ٢ ) ، قال : وقد تطرف في عيسى طائفتان :

**١. الأولى :** اليهود كذبوه فقالوا : إنه ولد زنا وأن أمه من البغايا وأنه ليس بنبي وقتلوه شرعا أي محكوما عليهم عند الله أنهم قتلوه في حكم الله الشرعي لقوله سبحانه : (( إنا قتلنا عيسى بن مريم )) وأما بالنسبة لحكم الله القدري فقد كذبوا (( وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ولكن شبه لهم )) ( ٣ ) فقتلوا المشبه لهم وصلبوه .

**٢. الثانية :** النصارى قالوا : إنه ابن الله وإنه ثالث ثلاثة وجعلوه إلها مع الله وكذبوا فيما قالوا قال : أما عقيدتنا نحن فيه فنشهد أنه عبد الله ورسوله وأن أمه صديقة كما أخبر تعالى بذلك وأنها أحصنت فرجها وأنها عذراء ولكن مثله عند الله (( كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون )) الآية في سورة آل عمران :

(( إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون )) ( ٤ ) فالله خلق آدم من تراب وخلق عيسى من أم من غير أب والله ما يشاء في خلقه وفي قوله : عبد الله رد على النصارى لأن النصارى غلوا في عيسى وجعلوه ابن الله وفي قوله : ورسوله رد على اليهود الذين أبطلوا رسالة عيسى و قالوا : هو ولد زنا .

قوله : { وكلمته ألقاها إلى مريم } أطلق الله عليه كلمة لأنه خلق بالكلمة عليه السلام فالحديث ليس على ظاهره إذ عيسى عليه السلام ليس كلمة لأنه يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وتجري عليه جميع الأحوال البشرية قال سبحانه :

(( إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون )) وعيسى عليه السلام كلمة الله إذ أن كلام الله وصف قائم به لا بائن منه أما عيسى فهو ذات بائنة من الله أو عن الله يذهب ويجيء ويأكل الطعام ويشرب قوله : { ألقاها إلى مريم } أي وجهها إليها بقوله كن فيكون كما قال سبحانه :

١ - الأنعام ( ٩٠ ) .

٢ - يوسف ( ١١١ ) .

٣ - النساء ( ١٥٧ ) .

٤ - آل عمران ( ٥٩ ) .

(( إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون )) ، ومريم بنت عمران ليست أخت موسى و هارون عليهما السلام كما يظنه البعض ولكن كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : { كانوا يتسمون بأسماء أنبيائهم } ( ١ ) فهارون أخو مريم ليس هارون أخ موسى بل هو آخر يسمى باسمه وكذلك عمران سمي باسم أبي موسى .

قوله : { وروح منه } : أي صار جسده عليه السلام بالكلمة فنفخت فيه هذه الروح التي هي من الله أي خلق من مخلوقاته أضيف إليه تعالى للتشريف والتكريم وعيسى عليه السلام ليس روحا بل جسد ذا روح قال تعالى : (( ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام )) ( ٢ ) فبالنفخ صار جسدا وبالروح صار جسدا وروحا .

قوله : { منه } : قال العثيمين : هذه هي التي أضلت النصارى فظنوا أنه جزء من الله فضلوا وأضلوا كثيرا ولكننا نقول : إن الله قد أعمى بصائرهم (( فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور )) ( ٣ ) فمن المعلوم أن عيسى كان يأكل الطعام وهذا شيء معروف ومن المعلوم أيضا أن اليهود يقولون : إن إنهم صلبوه **وهل يمكن لمن كان جزءاً من الرب أن يفصل عن الرب ويأكل ويشرب ويدعى أنه قتل وصلب ؟** وعلى هذا تكون من للإبتداء وليست للتبعيض فيقال : عيسى روح من الله وليس روح الله لا تقل : هو روح الله أو يا روح الله ، لا هو روح من الله { وروح منه } فالله سبحانه وتعالى أضافه إليه إضافة تشريف وتكريم مثل ما تقول : بيت الله وناقة الله ومسجد الله وأمر الله فقط إضافة تشريف وإلا فعيسى منفصل تماما عن الذات الإلهية قال : وعلى هذا تكون من للإبتداء وليست للتبعيض فهي كقوله :

(( وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه )) ( ٤ ) فلا يمكن أن نقول : إن الشمس والقمر والأنهار جزء من الله وهذا لم يقل به أحد فقوله : { منه } أي روح صادرة من الله عز وجل وليست جزءا من الله كما تزعم النصارى ثم ذكر الشيخ العثيمين فائدة فيما يتعلق بالمضاف إلى الله سبحانه وتعالى قال العثيمين : واعلم أن ما أضافه الله إلى نفسه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

#### ١. الأول : العين القائمة بنفسها وإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق كقوله تعالى :

(( وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه )) وقوله تعالى : (( إن أرضي واسعة )) ( ٥ ) وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفه قال : كقوله سبحانه :

(( وطهر بيتي للطائفين )) ( ٦ ) وكقوله : (( ناقة الله وسقياها )) ( ٧ ) وهذا القسم مخلوق ، العين القائمة بنفسها مخلوق مخلوق ولا يكون جزء من الله سبحانه وتعالى .

#### ٢. الثاني : أن تكون شيئا مضافا إلى عين مخلوقة يقوم بها مثل قوله:

١ - مسلم (٢١٣٥) والترمذي (٣١٥٥) وأحمد (١٨٢٢٦) وابن حبان (٦٢٥٠) والمعجم الكبير (٩٨٦) وغيرهم .

٢ - المائدة (٧٥) .

٣ - الحج (٤٦) .

٤ - الجاثية (١٣) .

٥ - العنكبوت (٥٦) .

٦ - الحج (٢٦) .

٧ - الشمس (١٣) .

{ وروح منه } إضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفا فهي روح من الأرواح التي خلقها الله وليست جزءا أو روحا من الله إذ أن هذه الروح حلت في عيسى وهو عين منفصلة عن الله وهذا القسم مخلوق أيضا .

**٣. الثالث :** أن يكون وصفا غير مضاف إلى عين مخلوقة مثل ذلك قوله تعالى :

(( إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي )) ( ١ ) وهذا في حق موسى عليه الصلاة والسلام فالرسالة والكلام أضيف إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف فإذا أضاف الله إلى نفسه صفة فهذه صفة غير مخلوقة بهذا يتبين أن هذه الأقسام الثلاثة قسمان منها مخلوقان وقسم غير مخلوق فالأعيان القائمة بنفسها والمتصلة بهذه الأعيان مخلوقة والوصف الذي لم يذكر له عين يقوم بها غير مخلوق لأنه يكون من صفات الله وصفات الله غير مخلوقة مثل صفة الكلام كلامه غير مخلوق وقد اجتمع القسمان في قوله : { كلمته وروح منه } فكلمته هذه وصف مضاف له وعلى هذا فتكون كلمته صفة من صفات الله ، وروح منه : هذه أضيفت إلى عين إلى عيسى لأن الروح حلت في عيسى فهي مخلوقة هذا فيما يتعلق بهذه اللفظة التي تعتبر آخر هذا الحديث وتتمه لحديث عبادة بن الصامت :

قوله صلى الله عليه وسلم : { أدخله الله الجنة }

إدخاله الجنة ينقسم إلى قسمين :

**١. الأول :** إدخال كامل لم يسبق بعذاب لمن أتم العمل.

**٢. الثاني :** إدخال ناقص مسبق بعذاب لمن أنقص العمل فالمؤمن إذا غلبت سيئاته حسناته إن شاء الله عذبه بقدر عمله وإن شاء لم يعذبه قال تعالى : (( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )) ( ٢ ) وهذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر قيام الساعة أن من حقق التوحيد وإن كان عنده شيء من الذنوب والمعاصي لكن مآله إلى الجنة إن شاء الله وقد يتجاوز الله سبحانه وتعالى عن هذه الذنوب والمعاصي فبالتوحيد يغفرها الله عز وجل كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { يقول الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا إلا غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا إلا أتيتك بقرابها مغفرة } ( ٣ ) فمن حقق التوحيد فمآله إلى جنة عرضها السماوات والأرض .

ففي قوله : { أدخله الله الجنة على ما كان من العمل } إما أن يكون دخولا تاما لا يعترضه شيء من العذاب ونرجو أن نكون من هذا القسم وإما أن يعترضه شيء من العذاب أجازنا الله وإياكم والمسلمين من ذلك لكن مآله إلى الجنة لأنه حقق التوحيد أما من جاء وقد هدم هذا الأصل العظيم والركن القويم وهو توحيد الله سبحانه وتعالى فهذا لا حول ولا قوة إلا بالله لا يغفر الله له ذنبا لأنه سبحانه وتعالى يقول : (( إن الشرك لظلم عظيم )) ( ٤ ) ويقول : (( إن الله لا يغفر أن يشرك به

<sup>١</sup> - الأعراف ( ١٤٤ ) .

<sup>٢</sup> - النساء ( ٤٨ ، ١١٦ ) .

<sup>٣</sup> - صحيح : الترمذي ( ٣٥٤٠ ) وأحمد ( ٢١٣٥٣ ) ( ٢١٤٠٦ ) ( ٢١٥١٠ ) ( ٢١٥٤٤ ) والدارمي ( ٢٧٨٨ ) وشعب الإيمان ( ١٠٤١ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٤٣٣٨ في صحيح الجامع .

<sup>٤</sup> - لقمان ( ١٣ ) .



ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (١) وقد جاء في الحديث القدسي : { أن الله يقول للمشارك يوم القيامة : **أرأيت لو كان لك ملئ الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به ؟** فيقول : نعم فيقول الله : قد أخذت عليك العهد وأنت في ظهر أبيك آدم ألا تشرك فأبيت إلا أن تشرك } (٢) وجاء في صحيح مسلم إن الله عز وجل يقول للمرائين : { إذهبوا إلى من كنتم تراءونهم في الدنيا فهل تجدون عندهم من جزاء } (٣) فألله الله أيها المسلمون ويا طلاب العلم بالإخلاص لله سبحانه وتعالى في القول والعمل فيما نأتي وما نذر لا بد أن نبتغي بذلك كله وجه الله سبحانه وتعالى أسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم من أهل التوحيد والإخلاص والصدق وأن لا يرينا والمسلمين مكروها حتى نلقاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين ورحم الله شيخ الإسلام محمد الصالح العثيمين على هذا التفصيل الذي مر بنا ونسأل الله عز وجل أن يختم لنا وله بالحسنى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

**ولهما في حديث عتيان : { فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله } (٤) .**

ولهما أي للبخاري ومسلم قال : في حديث عتيان بكسر المهملة ومعنى المهملة هو الحرف الذي ليس بمنقوط فإن كان منقوطاً يقال عنه : معجم فعندنا الجيم والحاء الجيم معجمة والحاء مهملة عتيان هو ابن مالك عدنان خزرجي صحابي جليل من صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم ضعف بصره فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أريدك أن تأتي إلى بيتي فتصلي فيه فأخذ ذلك الموضع مصلي ، ففيه استحباب إتخاذ موضع من البيت خاص بالصلاة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه بعض أصحابه فلما دخل قال النبي صلى الله عليه وسلم : { **أي مكان أو موضع تحب أن أصلي فيه ؟** } وفي هذا . بارك الله فيكم . استحباب أن يبدأ الشخص بالعمل الذي هو مقصوده فلا يجعل الأعمال تتشعب به يمنة ويسرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل بيت عتيان رضي الله عنه كان قد أعد طعاماً وشراباً للنبي صلى الله عليه وسلم فما رضي النبي عليه الصلاة والسلام يطعم أو يشرب حتى يخبره بالموضع الذي يريده أن يتخذ مصلي وهكذا إذا أردت أن تبحث مسألة علمية فأنت ستمر بك كثير من المسائل إبدأ بالمسألة التي بحثت من أجلها وهكذا إن كان عندك عمل معين فاجعله هو الأصل ولا بأس أن تكون هناك أعمال أخرى تبعاً له فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أكل من الطعام وشرب من الشراب وفي هذا دليل على تواضع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعد ذلك ذكر بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قصة رجل يقال له : مالك بن الدخشم فقال بعض الصحابة : إنه منافق فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يأتي بحكم عام غير مبرئ هذا الرجل من النفاق ولكنه قال : { **فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** } (١) إثبات أيضاً صفة الوجه لله عز وجل وفي القرآن كثير (( ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

١ - النساء (٤٨ ، ١١٦) .

٢ - البخاري (٣١٥٦) (٦١٨٩) ومسلم (٢٨٠٥) وأحمد (١٢٣٣٤) ومسنده أبي يعلى (٤١٨٦) .

٣ - أحمد (٢٣٦٨٠) (٢٣٦٨٦) وشعب الإيمان (٦٨٣١) وانظر حديث رقم : ١٥٥٥ في صحيح الجامع .

٤ - البخاري (٤١٥) (١١٣٠) (٥٠٨٦) ومسلم (٣٣) وابن خزيمة (١٦٥٣) والمعجم الكبير (٤٨) (٥٠) (٥٣) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠١٧٩) .



(( ١ )) (( تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام )) ( ٢ ) وفي حديث آخر يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { أعوذ بوجهك } ( ٣ ) .

فالنبي عليه الصلاة والسلام رد تلك القالة من بعض أصحابه وكونه يرد ما برأ الرجل وفي هذا . بارك الله فيكم . يؤخذ أنه لا يجوز التسرع في إطلاق الكفر أو النفاق أو الفسوق أو أي شيء من السوء فلا يجوز لك أن تظن بالمسلم الذي يقول : لا إله إلا الله وظاهره العدالة إلا خيراً ليس من باب الإستحباب بل من باب الوجوب وجب عليك أن تظن به ظناً حسناً لماذا ؟ لأنه مسلم ظاهره العدالة ومن أظهر لنا الإسلام فلنحكم له بالظاهر ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :

{ إنني لم أؤمر بأن أفتش أو أنقب على قلوب الناس } ( ٤ ) فيستفاد من هذا فضل التوحيد وأن من قال : لا إله إلا الله يتغني بذلك وجه الله حرمة الله على النار هذا فيه فضل من حقق التوحيد لله سبحانه وتعالى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات وهكذا في حديث آخر يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة : { إذهب إلى من وجدته خلف هذا الحائط يقول : لا إله إلا الله صادقا من قلبه أو مخلصا من قلبه أو مستيقنا به قلبه فبشره بالجنة } ( ٥ ) في هذا دليل على فضل التوحيد ومن مات عليه وفيه أيضا فضيلة لا إله إلا الله وأنها كلمة عظيمة تنفع صاحبها يوما من الدهر هو أحوج ما يكون إلى هذه الكلمة في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه المال ولا الولد .

#### ومن فضائل التوحيد :

ما جاء في حديث معاذ بن جبل الثابت في الصحيحين أنه كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال : { يا معاذ فقال معاذ : لبيك وسعديك يا رسول الله } ومعنى لبيك : أي أجبتك إجابة بعد إجابة ومعنى سعديك : أي مساعدة بعد مساعدة أو السعادة فيما تأمرني به يا رسول الله ثم قال مرة أخرى : { يا معاذ قال : لبيك وسعديك يا رسول الله ثم قال : يا معاذ قال : لبيك وسعديك يا رسول الله } وفي هذا . بارك الله فيكم . أن السؤال سؤال الطالب باب من أبواب العلم والعلماء يقولون : السؤال مفتاح العلم، و مجاهد بن جبر رحمه الله يقول : اثنان لا يتعلمان مستحي ومستكبر يستحي أن يسأل أو يستكبر من أن يسأل وربما كان في نفسه شيء على المستول أو يرى أنه أرفع قدرا منه وهذه كما يقال : ثلاثة الأثافي .

قال : { ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار } ( ٦ ) هذا أيضا فيه فضيلة التوحيد وفضيلة كلمة لا إله إلا الله .

١ - الرحمن ( ٢٧ ) .

٢ - الرحمن ( ٧٨ ) .

٣ - البخاري ( ٤٣٥٢ ) ( ٦٨٨٣ ) ( ٦٩٧١ ) والترمذي ( ٣٠٦٥ ) وأحمد ( ١٤٣٥٥ ) وابن حبان ( ٧٢٢٠ ) ومسنند أبي يعلى ( ١٨٢٩ ) ( ١٩٦٧ ) ( ١٩٨٢ ) ( ١٩٨٣ ) وغيرهم .

٤ - البخاري ( ٤٠٩٤ ) ومسلم ( ١٠٦٤ ) وابن حبان ( ٢٥ ) ومسنند أبي يعلى ( ١١٦٣ ) .

٥ - مسلم ( ٣١ ) وابن حبان ( ٤٥٤٣ ) .

٦ - البخاري ( ١٢٨ ) ومسلم ( ٣٢ ) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { قال موسى : يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا قال : يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله } رواه ابن حبان والحاكم وصححه (١) .

ثم ذكر المؤلف حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { قال موسى : يا رب علمني شيئاً أذكرك به فقال : يا موسى قل : لا إله إلا الله قال : يا رب كل عبادك يقولون : لا إله إلا الله قال : يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري مالت بهن لا إله إلا الله } وهذا الحديث رواه ابن حبان والحاكم وهو ضعيف لعلتين اثنتين :

**العلة الأولى :** فيه القاضي عبد الله بن لهيعة وتعرفون أنه ضعيف في الحديث احترقت كتبه فاختلف .  
**وفيه رواية** دراج أبي السمع عن أبي الهيثم وهي رواية منقطعة وقد حكم بضعف الحديث الشيخ الألباني وكذلك أيضاً شعيب الأرنؤوط فالحديث ضعيف وإن كان ضعيفاً فمعناه صحيح فإن لا إله إلا الله لو كانت في كفة والسماوات والأرض في كفة مالت لا إله إلا الله بكفة الميزان التي فيها السماوات والأرض .

وهنا حديث عند الترمذي وابن ماجه والحاكم وهو في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني أن نبينا صلى الله عليه وسلم قال :

<sup>١</sup> - ضعيف : الحاكم (١٩٣٦) وابن حبان (٦٢١٨) ومسنند أبي يعلى (١٣٩٣) وسنن النسائي الكبرى (١٠٦٧٠) وغيرهم وانظر ضعيف الترغيب والترهيب (٩٢٣) .

{ يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر } هذا ما اقتضاه من السيئات { ثم يقال له : **أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبني الحافظون ؟** فيقول : لا يا رب فيقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم } وهذا الحديث عند الترمذي مشهور بحديث البطاقة { فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال : إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة { ( ١ ) .

هذا فيه دليل أيضاً على هذه الكلمة العظيمة وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم { أن نوحاً عليه الصلاة والسلام قال لابنه عند موته آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ولا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمه لقصمتهن لا إله إلا الله } ( ٢ ) والحديث ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة .

وللترمذي وحسنه عن أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة } ( ٣ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية التي في سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة رضي الله عنه .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتيان رضي الله عنه وما بعده تبين لك معنى قول : لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتيان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسماوات .

<sup>١</sup> - صحيح : الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) والحاكم (١٩٣٧) والمعجم الأوسط (٤٧٢٥) وانظر حديث رقم : ٨٠٩٥ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - صحيح : أحمد (٦٥٨٣) وانظر السلسلة الصحيحة (١٣٤) .

<sup>٣</sup> - صحيح : الترمذي (٣٥٤٠) وأحمد (٢١٣٥٣) (٢١٤٠٦) (٢١٥١٠) (٢١٥٤٤) والدارمي (٢٧٨٨) وشعب الإيمان (١٠٤١) وغيرهم وانظر حديث رقم : ٤٣٣٨ في صحيح الجامع .

الحادية عشرة : أن لهن عماراً .

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافاً للمعطلة .

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس رضي الله عنه عرفت أن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عتيان : { فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله } أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوله .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحاً منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة : معرفة قوله : { على ما كان من العمل } .

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشرون : معرفة ذكر الوجه .

قال : وللترمذي وحسنه عن أنس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
{ قال الله تعالى : يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة } قد تكرر هذا الحديث .

قال الشيخ : فيه مسائل :

١. الأولى : سعة فضل الله وهذا من هذه الأدلة ومن عموم الأدلة أن الله سبحانه وتعالى فضله عظيم واسع المغفرة واسع العفو

٢. الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله فالموحدون لهم ثواب .

٣. الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب وهذا مأخوذ من هذا الحديث وغيره { يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة } .

٤. الرابعة : تفسير الآية التي في سورة الأنعام وهي : (( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )) (١)

٥. الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة : { من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل } . قال :

٦. السادسة : أنك إذا جمعت بينه يعني بين حديث عبادة وبين حديث عتيان وما بعده تبين لك معنى قول : لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين وهم الذين يقولون : لا إله إلا الله ولكن عبارة عن قول مجرد قول ولا يأتون بمقتضاها يقولون : لا

١ - الأنعام ( ٨٢ ) .

إله إلا الله ولكن تجده مع تلفظه بهذه الكلمة يدعو غير الله ويستغيث بغير الله لا تنفعه كما أنها لا تنفع المنافقين لأنهم يقولونها غير معتقدين ما تثبت وما تنفي فكانت غير نافعة للمنافقين قال سبحانه : (( إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون )) ( ١ ) .

٧. السابعة : التنبيه للشرط في حديث عتيان { يبتغي بها وجه الله } ما قالها نفاق ولا يقولها غير معتقد معناها .

٨. الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله هذا في حديث موسى ولكنه ضعيف .

٩. التاسعة : التنبيه لرحانها بجميع المخلوقات مع أن كثير ما يقولونها يخف ميزانه حديث البطاقة وهكذا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي عند أحمد في قصة نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام .

١٠. العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسماوات بنص السنة وقد لمح القرآن إلى

ذلك : (( الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن )) ( ٢ ) وحديث : { من اقتطع قيد شبر من الأرض طوقه يوم القيامة إلى سبع أرضين أو حمل من سبع أرضين } ( ٣ ) روايتان صحيحتان في البخاري ومسلم .

١١. الحادي عشر : أن لهن عمارا في ذلك حديث لكنه ضعيف .

١٢. الثاني عشر : إثبات الصفات خلافا للأشعرية إثبات صفات كفة للميزان وإثبات مغفرة لله سبحانه وتعالى وإثبات وجه لله سبحانه وتعالى وهذا خلاف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة .

١٣. الثالث عشر : أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتيان :

{ فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله } أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان وقد تقدم ذلك .

١٤. الرابعة عشر : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوله رد على أهل الإفراط والتفريط رد على الصوفية الذين غلوا في محمد صلى الله عليه وسلم ورفعوه فوق منزلته فقال قائلهم :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به  
سواك عند حلول الحادث العمم  
إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي  
فضلا وإلا فقل يا زلة القدم  
فإن من جودك الدنيا وضرتها  
ومن علومك علم اللوح والقلم

وفي قضية عيسى رد على النصارى الذين يقولون هو ابن الله أو روح القدس أو ثالث ثلاثة وهكذا أيضا على الذين تغلتوا من طاعة محمد صلى الله عليه وسلم فتركوه أو كاليهود الذين قالوا : عيسى ابن زنا ولم يعترفوا بنبوته ولا برسالته بل ولا بصحة سلالته .

١٥. الخامسة عشر : معرفة إختصاص عيسى بكونه كلمة الله وقد تقدم ذلك ، وقد جاء في كلام لأحمد بن حنبل حينما رد على الجهمية قال : خلقه الله بكلمة كن فكان وليس عيسى هو كلمة كن وإنما خلقه الله عز وجل بإرادته وقدرته (( إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون )) ( ٤ ) .

١٦. السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه ليس عيسى روح الله ولكنه من روح الله كما قال موسى لآدم :

١ - المنافقون ( ١ ) .

٢ - الطلاق ( ١٢ ) .

٣ - البخاري ( ٢٣٢٠ ) ( ٢٣٢١ ) ( ٣٠٢٣ ) ومسلم ( ١٦١٢ ) .

٤ - آل عمران ( ٥٩ ) .

{ ونفخ فيك من روحه } ( ١ ) والخلائق يوم القيامة أيضا تذكر هذه المنة لآدم عليه الصلاة والسلام يقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه فلا تصح أن تقول : يا روح الله وإنما تقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : هو { روح منه } وهذه [ من ] قد تقدم أنها ابتدائية وليست تبعيضية كما قال الله : (( وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه )) ( ٢ ) .

**١٧. السابعة عشر :** معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار تؤمن من صميم قلبك أن الله خلق الجنة عرضها السماوات والأرض وكذلك أيضا خلق ناراً وهما موجودتان وفي هذا رد على الجهمية والمعتزلة الذين يقولون : هذا من العبث فما هناك شيء مخلوق إلى الآن و رد أيضا على الملاحدة الضلال من شيوعيين ودهريين وما إلى ذلك الذين يقولون : أرحام تدفع وأرض تبلع فلا جنة ولا نار أولئك قوم ضالون كافرون مارقون من دين الإسلام .

**١٩. التاسعة عشرة :** معرفة أن الميزان له كفتان وهذا حديث البطاقة المعروف .

**٢٠. العشرون :** معرفة ذكر الوجه وأهل السنة يثبتون لله سبحانه وتعالى هذه الصفة من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل على حد قوله سبحانه : (( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )) ( ٣ ) قد جاء في سبب نزول الآية من سورة الأنعام : (( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض )) ( ٤ ) فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { أعوذ بوجهك ، أعوذ بوجهك وفي الثالثة قال : هذا أيسر } ( ٥ ) أسأل الله سبحانه وتعالى أن يمتتنا وإياكم على التوحيد و أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه و نكون قد انتهينا من باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

١ - مسلم (٢٦٥٢) وأحمد (٩١٦٥) وابن حبان (٦١٧٩) ومسنند أبي يعلى (١٢٠٤) وغيرهم .

٢ - الجاثية (١٣) .

٣ - الشورى (١١) .

٤ - الأنعام (٦٥) .

٥ - البخاري (٤٣٥٢) (٦٨٨٣) (٦٩٧١) والترمذي (٣٠٦٥) وأحمد (١٤٣٥٥) وابن حبان (٧٢٢٠) ومسنند أبي يعلى (١٨٢٩) (١٩٦٧) (١٩٨٢) (١٩٨٣) وغيرهم .

## باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى : (( إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين )) ( ١ ) وقال : (( والذين هم بربهم لا يشركون )) ( ٢ ) .

قال المؤلف أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

## باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

أما قوله باب فيكون إعرابه خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هذا باب ويجوز أن تعرب هذه العبارة مفعولاً به بفعل محذوف تقديره أعقد باباً أو أكتب ويصلح أيضاً أن تعرب مجرور بحرف جر محذوف أنظر في باب كذا فلها ثلاثة اعرابات وكلمة باب لغة : سمي لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء

و اصطلاحاً : . اسم لجملية علمية مختصة من الكتاب هذا معنى الباب لغة واصطلاحاً .

قوله : من حقق من هاهنا شرطية اسم شرط جازم بجزم فعلين الأول : فعل الشرط والثاني : جوابه وجزاؤه باتفاق النحويين .

قوله : حقق هو فعل الشرط وتحقيق التوحيد لا يكون إلا بالعلم ثم بالإخلاص ثم بالانقياد التام لله سبحانه وتعالى فهذا تحقيقه والمراد بالتوحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات بل وما يضم إلى ذلك من تعظيم الله وإجلاله وتعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن دخول الجنة بغير حساب يستلزم أن يكون هذا العبد قد ترك الشرك والبدعة

<sup>١</sup> - النحل ( ١٢٠ ) .

<sup>٢</sup> - المؤمنون ( ٥٩ ) .



والمعصية فإن المعاصي أيضاً ربما كانت باباً من أبواب الشرك بل المعاصي تسبب تخليدا لصاحبها في النار من غير تأييد والمراد بالتخليد المكث الطويل وما ذلك إلا لخطورة المعصية .

لا تحقرن من الذنوب صغيرة  
إن الصغير غداً يعود كبيراً  
عند الإله مسطراً تسطيراً  
إن الصغير وإن تقادم عهده

وقال آخر :

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : { إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا } ( ١ ) ويقول صلى الله عليه وسلم : { إياكم ومحقرات الذنوب وإن مثل محقرات الذنوب كممثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا يعود وذا يعود حتى أججوا ناراً فأشعلوا بها خبزتهم وإن مثل محقرات الذنوب كذلك يجتمعن على صاحبها حتى تهلكه } ( ٢ ) أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم إذا هذه فائدة مهمة جداً لهذا الباب لأن قوله دخول الجنة بغير حساب لا يكون هذا إلا في من سلمه الله سبحانه وتعالى من الشرك ومن البدع ومن المعاصي صغيرها وكبيرها .

قال المؤلف رحمه الله : وقول الله تعالى : (( إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين )) ( ٣ ) المراد بإبراهيم هو إبراهيم إمام أهل التوحيد ذلكم النبي العظيم الذي بعثه الله سبحانه وتعالى إلى قوم كانوا يعبدون الأصنام ويستغيثون بها من دون الله و قد ذكرت قصته في القرآن الكريم وبلغ من قصته أن جمع له قومه الحطب وأشعلوا النار ورموه إلى هذه النار من أجل إحراقه والخلص منه ولكن كانت كلمة الله العليا قال سبحانه : (( فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين )) ( ٤ ) فالله رفعه وجعل تلك النار برداً وسلاماً عليه كما قال ربنا : (( قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم )) ( ٥ ) وكان عليه الصلاة والسلام داعية إلى توحيد الخالق وإن هذه الأمة اقتدت به ويدعوته وكان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الولد البار بأبيه فلذلك قرن معه في التشهد حينما تقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم اللهم بارك على محمد وعلى آل إبراهيم وبارك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ولما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلى التقى بإبراهيم فقال إبراهيم لمحمد عليهما الصلاة والسلام : يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فالله يمتدحه إنه كان أمة والمراد بالأمة أي : إماماً وقد تقدمت هذه اللفظة وأنه يراد بها الملة والمدة ويراد بها القدوة ويراد بها أيضاً الإمام لذلك يقول سبحانه :

(( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون )) ( ٦ ) فلذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

١ - صحيح : ابن ماجه (٤٢٤٣) وأحمد (٢٤٤٦٠) (٢٥٢١٨) وسنن الدارمي (٢٧٢٦) والمعجم الأوسط (٢٣٧٧) (٣٧٧٦) وشعب الإيمان (٧٢٦١) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٧٣١).  
٢ - صحيح : أحمد (٣٨١٨) (٢٢٨٦٠) والمعجم الكبير (٥٨٧٢) (١٠٥٠٠) والمعجم الأوسط (٧٣٢٣) والعجم الصغير (٩٠٤) وشعب الإيمان (٧٢٦٧) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة (٣٨٩) .  
٣ - النحل ( ١٢٠ ) .  
٤ - الصافات ( ٩٨ ) .  
٥ - الأنبياء ( ٦٩ ) .  
٦ - السجدة ( ٢٤ ) .

أوجه فهذا وجه من تلك الأوجه وقوله : حنيفاً المراد بالحنيف هو المائل من الأديان كلها إلى دين الإسلام وهو الدين الصحيح كما قال سبحانه: (( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة )) ( ١ ) ثم زاد الله تأكيداً وتأكيذاً لمقام هذا النبي الكريم قال : (( ولم يك من المشركين )) ( ٢ ) ثم قال سبحانه في آية أخرى : (( والذين هم بربهم لا يشركون )) ( ٣ ) ذكر هاتين الآيتين لهذا الباب أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ومعنى ذلك أنهم حققوه بتركهم للشرك والمعصية والبدعة وبمحافظةهم على العمل حتى لقوا الله سبحانه وتعالى بذلك .

عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ فقلت : أنا ، ثم قلت : أما إنني لم أكن في صلاة ولكني لدغت قال : فما صنعت ؟ قلت : ارتقيت ، قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : { لا رقية إلا من عين أو حمة } قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { عرضت عليّ الأمم فرأيت النبيّ ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقبل لي : هذا موسى وقومه فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي : هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب } .

ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال : { هم الذين لا يسترقون ولا يكتنون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون } ، فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم قال : { أنت منهم } ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : { سبقك بها عكاشة } ( ٤ ) .

ثم روى عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير ، سعيد بن جبير تابعي جليل من تلامذة الإمام عبد الله بن عباس وكان يسمى بابن أم الدهماء كان ابن عباس يجعله وأصله من الكوفة لكن حينما خرج مع ابن الأشعث في فتنة فتنة ابن الأشعث أيام إمارة الحجاج بن يوسف الثقفي الإمام الظالم وما كان الحجاج إماماً أعظم وإنما كان والياً من ولاية

١ - البيهقي ( ٥ ) .

٢ - النحل ( ١٢٠ ) .

٣ - المؤمنون ( ٥٩ ) .

٤ - البخاري ( ٥٣٧٨ ) ( ٥٤٢٠ ) ( ٦١٧٥ ) ومسلم ( ٢٢٠ ) وأحمد ( ٢٤٤٨ ) وابن حبان ( ٦٤٣٠ ) وغيرهم .

عبد الملك بن مروان فخرج سعيد بن جبير والشعبي ومن إلى هذين علماء كثر ضد إمارة الحجاج وما كان من الظلم والغشم والقتل لأهل الإسلام فحق عليه الحجاج بن يوسف الثقفي فقتله ظلماً وعدواناً ويقال سعيد بن جبير قتل الحجاج وقتله فأن سعيد كان مستجاب الدعوة فقد قال : اللهم لا تسلطه على أحدٍ بعدي فقيل : أن الحجاج استمر بعد قتله لسعيد أربعين يوماً ثم مات ولم يسلط على أحدٍ بعد سعيد وكان رحمه الله كما قال بعض السلف : قتل وكان الناس بحاجة ماسة إلى علمه على أنه رحمه الله اجتهد في هذا الأمر ولكن كما يقول أكابر العلماء في هذا الزمان : أن الفتن والثورات والانقلابات لا تحقق للإسلام إلا الشر وتأملوا في الفتن من بداية هذا القرن القرن الرابع عشر من يوم الاثنين ألف وأربعمائة هجرية حينما قامت فتنة جهيمان والمتمهدي بالحرم المكي وما كان من شأن هذه الفتنة حينما خرجت وحملوا السلاح على المسلمين في مكة في أرضٍ طهرها الله سبحانه وتعالى على أن هؤلاء طلبة علم لكن هم بغاة على دولة مسلمة ثم لا زال في هذا القرن الفتن يجرب بعضها بعضاً فكم أحرّموا المسلمين من خير وهكذا في أيامنا هذه حينما قام بعض دعاة الفساد أو الجهاد على أنهم يسمون بأهل الفساد لا بأهل الجهاد فماذا جنوا على المسلمين من ويلات فصار صاحب الدين و اللحية والخير متهم ويقال بأنه عميل وبأنه إرهابي إلى غير ذلك فكان الواجب على المسلمين وعلى الدعاة إلى الله أن يلزموا غرز العلماء الكبار الذين لم يدعوا شيئاً من أمور الدين إلا قالوه وأن لا يكونوا مهرولين بعد شباب أحداث أغرار لا يعرفون من الأمور إلا ظواهرها سعيد بن جبير رحمه الله تعالى كان عنده هذا حصين بن عبد الرحمن فقال سعيد : **أيكم رأى الكوكب الذي أنقض البارحة ؟** والمراد بالبارحة الليلة التي مضت قبل ليلتك قال : فقال حصين : أنا ثم قلت : أما إنني لم أكن في صلاة وهذا . بارك الله فيكم . دفع إيهام حتى لا يظن أنه صاحب عبادة وأنه صاحب طاعة ولقد كان فيما مضى من القوم يكتمون الحسنة كما نحب نحن أن تكتم عنا السيئة فقال : أما أني لم أكن في صلاة ولكني لدغت قال : **فما صنعت ؟** قال : ارتقيت والمراد بالارتقاء هنا : أنه استعمل الرقية والرقية جائزة شرعاً وأثرها واضح وفائدتها معلومة واقعا فإن الشخص إذا ارتقى بعقيدة صحيحة نفعه ذلك وقد رقى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

{ بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر حاسد إذا حسد } ( ١ ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرقى بعض الصحابة فيقول : { بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا } ( ٢ ) وشكا عليه بعض الصحابة الداء فقال : { ضع أصبعك على ما تألم من جسدك ثم قل : بسم الله بسم الله بسم الله ثم قل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات فبرأ } ( ٣ ) وهكذا الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي سعيد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم كلمة مشهورة : { إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله } وذلك أن أبا سعيد خرج في سرية مع الصحابة فنزلوا وادياً من الوديان فطلبوا الضيافة من أهل ذلك الوادي فأبو ثم لدغ سيدهم فقال بعضهم لبعض : انظروا إلى هؤلاء الرهط هل تجدون عندهم من راق فجاءوا إلى الصحابة قالوا : إن سيدنا سليم وهذه العبارة يطلقونها تفاؤلاً بالشفاء كانوا

<sup>١</sup> - مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢) وابن ماجه (٣٥٢٣) (٣٥٢٤) (٣٥٢٧) وأحمد (٩٧٥٦) (١١٢٤١) (١١٥٥١) (١١٥٧٤) وغيرهم .  
<sup>٢</sup> - البخاري (٥٤١٣) (٥٤١٤) ومسلم (٢١٩٤) وأبو داود (٣٨٩٥) وأحمد (٢٤٦٦١) وابن حبان (٢٩٧٣) ومسنند أبي يعلى (٤٥٢٧) (٤٥٥٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٩٢) .  
<sup>٣</sup> - مسلم (٢٢٠٢) وابن حبان (٢٩٦٤) (٢٩٦٧) والمعجم الكبير (٨٣٤٢) وسنن النسائي الكبرى (١٠٨٣٩) .

يسمون اللديغ والمريض سليماً فقالوا : لا نرقيه حتى تجعلوا لنا جعلاً فجعلوا لهم ثلاثين شاة فقام أبو سعيد فقراً عليه الفاتحة فكما في الحديث فكأنما نشط من عقال فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ( ١ ) فالرقية جائزة .

قلت يعني يقول حصين بن عبد الرحمن : حديث حدثناه الشعبي والشعبي هو عامر بن شراحيل من العلماء المشهود لهم بالخير والصلاح وكان رحمه الله صاحب دعاية وفكاهة وهكذا من كان عنده شيء من الدعاية لإخوانه فإنه يقرب من إخوانه بخلاف من كان عبوساً باستمرار فإن هذا قد لا يستريح إليه الجلساء قال : **وما حدثكم ؟** قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصين أنه قال : { لا رقية إلا من عين أو حمة } والمراد بالعين ما قاله صلى الله عليه وسلم :

{ العين حق ولو شيء سابق القدر سبقته العين } ( ٢ ) وحديث النبي صلى الله عليه وسلم في العين قال : { تدخل الرجل القبر والجمل القدر } ( ٣ ) وهذا مدلول قوله سبحانه وتعالى : (( ومن شر حاسدٍ إذا حسد )) ( ٤ ) وقوله سبحانه : (( وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون )) ( ٥ ) والمراد بالحمى شيء من ذوات السموم كالعقرب وما شابهها تطلق سمها على العبد فلا بأس أن يرتقي لها قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع وفي هذا تعليل من سعيد بن جبير على الأخذ بالدليل إذ أنه قال له : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع أي من الحديث أو من الدليل عن الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ولكن حدثنا ابن عباس أنه قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد } وفي هذا الرد . بارك الله فيكم . على من احتج بالكثرة الآن بعض الناس يقول : فلان ما بقي معه أحد طيب هؤلاء أنبياء هم أفضل من علماء الأرض أجمعين نبي واحد أفضل من أهل الأرض أجمعين ويأتي يوم القيامة ومعه رجل وآخر معه رجلا ن وآخر ليس معه أحد فالكثرة ليس دليل .

فقلت لها إن الكرام قليل

تعيرنا أنا قليل عديدنا

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : (( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله )) ( ٦ ) ويقول سبحانه : (( وقليل ما هم )) ( ٧ ) (( وقليل من عبادي الشكور )) ( ٨ ) وسمع عمر رجلاً حول الكعبة يقول { اللهم اجعلني من القليل اللهم اجعلني من القليل فقال له عمر : ويحك ماذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين سمعت الله يقول : (( وقليل ما هم )) (( وقليل من عبادي الشكور )) قال عمر : الله أكبر كل رجل أفقه من عمر وهذا من تواضعه وإلا فهو ذكي ذكاء خارق عملاق ولكن تواضع ومن تواضع لله رفعه الله سبحانه وتعالى .

قال رسول الله : { إذ رفع لي سواد عظيم } هذا في الرؤيا المنامية ورؤيا الأنبياء حق { فظننت أنهم أمتي فليل لي : هذا موسى وقومه } دليل على كثرة أصحاب موسى لكن ليسوا بأكثر من أمة نبينا صلى الله عليه وسلم فقد كان في ليلة الإسراء والمعراج أن جاوز النبي صلى الله عليه وسلم موسى بن عمران فبكى موسى فليل له : **ما يبكيك ؟** قال : هذا الغلام أمته

١ - البخاري (٥٤٠٥) وابن حبان (٥١٤٦) وسنن الدارقطني (٢٤٧) (٢٤٨) وسنن البيهقي الكبرى (١٨٦٦) (١١٤٥٦) (١٤١٨٢) .  
٢ - مسلم (٢١٨٨) وصحيح ابن حبان (٦١٠٧) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٣٩٨) وسنن النسائي الكبرى (٧٦٢٠) .  
٣ - صحيح : حلية الأولياء (٩٠ / ٧) ومسند الشهاب (١٠٥٧) (١٠٥٩) وانظر حديث رقم : ٤١٤٤ في صحيح الجامع .  
٤ - الفلق ( ٥ ) .  
٥ - القلم ( ٥١ ) .  
٦ - البقرة ( ٢٤٩ ) .  
٧ - ص ( ٢٤ ) .  
٨ - سبأ ( ١٣ ) .

أكثر من أمتي ويدخل من أمتة الجنة أكثر من أمتي ( ١ ) قال : { فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب } وقد جاء . برك الله فيكم . في رواية عند الإمام أحمد وذكرها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً } ( ٢ ) قال الحافظ ابن حجر : وسنده جيد وهذا فيه دليل على فضيلة هذه الأمة كيفية وكمية فمن حيث الكيفية توحيد ومن حيث الكمية كثرة { ثم نهض أي نبينا صلى الله عليه وسلم فدخل منزله فحاض الناس في أولئك فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وهذا مقترح آخر وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال : هم الذين لا يسترقون ومعنى لا يسترقون أي لا يطلبون الرقيا من الغير والأولى أن لا تطلب الرقيا من الغير ولكن ينبغي على الغير أن يبادر إلى رقيتك عملاً بحديث جابر في صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم : { من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفع } ( ٣ ) فهذا من النفع فهؤلاء السبعون الذين مع كل ألف سبعون ألفاً خصائصهم :

١. لا يسترقون أي بلغوا مبلغاً من الكمال والفضل والتوحيد بحيث أنهم لا يسألون الإسترقاء من أحد من الناس اعتماداً على الله سبحانه وتعالى .

٢. ولا يكتئون والإكتواء هو أخذ جريدة محماة ووضعها على مكان الألم وهذا جائز لكنه مكروه بما جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ إن كان الشفاء في شيء ففي ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى أمتي عن الكي } ( ٤ ) وهكذا أيضاً جاء { أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع له عرق وكواه } ( ٥ ) وجاء أيضاً في صحيح البخاري { قال أنس كويت من ذات الجنب ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي } ( ٦ ) والمراد بذات الجنب كما قال في النهاية : الدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل وقلمها يسلم صاحبها منها وربما كان لها الآن تسمية أخرى وجاء في صحيح مسلم أن عمران بن حصين أبو نجيد رضي الله عنه كانت الملائكة تسلم عليه إذا مر تقول له الملائكة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا عمران فلما اكتوى تركت الملائكة التسليم عليه فلما ترك الاكتواء عادت الملائكة تسلم عليه مرة أخرى ( ٧ ) ولكن لكمال التوحيد والعقيدة والاكتفاء بالله سبحانه وتعالى أنك لا تكتوي اعتماداً على الله .

٣. ولا يتطبرون والمراد بالتطير هو زجر الطير إن أيمن تفاعل وإن أشأم تشاءم هذا لا يجوز وكانت هذه عقيدة راسخة في قلوب الجاهليين فجاء الإسلام فأبطلها .

٤. قال : { وعلى ربهم يتوكلون } وقد جاءت لفظة في صحيح البخاري : { هم الذين لا يرقون ولا يسترقون } فلفظة : لا يرقون لفظة شاذة حكم العلماء بشذوذها ( ٨ ) كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وما شابهه من العلماء المحققين

١ - البخاري (٣٦٧٤) ومسلم (١٦٤) والنسائي (٤٤٨) ومسنده أحمد (١٧٨٦٩) .

٢ - صحيح : أحمد (٢٢) ومسنده أبي يعلى (١١٢) وانظر حديث رقم : ١٠٥٧ في صحيح الجامع .

٣ - مسلم (٢١٩٩) وأحمد (١٤٢٦٩) (١٤٤٢٢) (١٤٦٢٤) (١٥١٤٢) (١٥٢٧١) وابن حبان (٥٣٢) (٦٠٩١) (٦٠٩٧) وغيرهم .

٤ - البخاري (٥٣٥٦) (٥٣٥٧) وابن ماجه (٣٤٩١) وأحمد (٢٢٠٨) والمعجم الكبير (١٢٢٤١) .

٥ - مسلم (٢٢٠٧) وابن ماجه (٣٤٩٣) وأحمد (١٤٤١٩) (١٥٠٣١) والحاكم (٧٤٩٤) (٨٢٨٥) ومسنده أبي يعلى (٢٢٨٧) .

٦ - البخاري (٥٣٨٩) .

٧ - مسلم (١٢٢٦) وأبو داود (٣٨٦٥) .

٨ - انظر السلسلة الضعيفة برقم (٣٦٩٠) قال الألباني رحمه الله : منكر بذكر : { ولا يرقون } .

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رقى وكذلك الصحابة رضي الله عنهم والأحاديث الكثيرة الشاهدة بذلك وعلى أية حال فمن كمال التوحيد أن لا تطلب من ذلك شيئاً وعلى الإنسان أن يعلم أنه لا بأس بالاستدواء والاستطباب فالنبي صلى الله عليه وسلم قد قال : { تداووا عباد الله } ( ١ ) { فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علم وجهله من جهله } ( ٢ ) ويقول صلى الله عليه وسلم :

{ كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس } ( ٣ ) ولكن الشخص إذا وصل إلى حد من الكبر والهرم فهنا عليه أن يسلم فإنه لا يمكن للطبيب أن يعيد الرجل الكهل شاباً ولا المرأة العجوزة فتية فإنه خلاص كما قيل :

عجوز تمنى أن تكون فتية  
فسارت إلى العطار تبغي شبابها  
وقد نحل الجنان واحدودب الظهر  
وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

انتهى الإستشكال فعلى من كان هذا حاله أن يسلم وأن يعلم أنه الآن لا بد أن يبادر الموت وأن يسبق الموت قبل أن يهجم عليه لأنه ما بقي من عمره إلا قاب قوسين أو أدنى فتتمة لحديث رسول الله حديث سبعين الألف قام أحد الصحابة يسمى عكاشة بن محصن فقال : ادعوا الله أن يجعلني منهم قال : أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال : ادعوا الله أن يجعلني منهم فقال : سبقك بها عكاشة { وظل هذا مثلاً مضروباً : سبقك بها عكاشة قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم قطع الطلب والسؤال حتى لا يتتابع الناس سائلين : ادعوا الله أن يجعلني منهم ادعوا الله أن يجعلني منهم وقيل : هذا الرجل كان مغموساً بشيء من النفاق فالله عز وجل أعلم وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم عدول لا ينبغي لنا أن نجرح واحداً منهم إلا من بين لنا حاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

١ - صحيح : ابن ماجه (٣٤٣٦) وابن حبان (٦٠٦١) والحاكم (٧٤٣٠) (٨٢٠٦) والمعجم الكبير (٤٦٤) (٤٦٩) وانظر حديث رقم : ٢٩٣٠ في صحيح الجامع .

٢ - صحيح : أحمد (٣٥٧٨) (٣٩٢٢) (٤٢٣٦) (٤٣٣٤) (١٨٤٧٩) وابن حبان (٦٠٦٢) والحاكم (٧٤٢٤) وانظر حديث رقم : ١٨٠٩ في صحيح الجامع .

٣ - مسلم (٢٦٥٥) وأحمد (٥٨٩٣) وابن حبان (٦١٤٩) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٦٧١) ومسند الشهاب (٢٠٤) .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه . سبحانه . على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق علم الصحابة ، لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بالعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه صلى الله عليه وسلم .

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الإغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة .

السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحمة .



السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : [ قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ] ولكن كذا وكذا فعلم أن حديث الأول لا يخالف الثاني .

الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه .

التاسعة عشرة : قوله : { أنت منهم } علم من أعلام النبوة .

العشرون : فضيلة عكاشة .

الحادية والعشرون : استعمال المعارض .

الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

وبقيت مسائل لكن أظن أنها واضحة في حد ذاتها والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

### باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : (( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )) ( ١ ) وقال الخليل عليه السلام : (( واجنبي وبني أن نعبد الأصنام )) ( ٢ ) .

قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

### باب الخوف من الشرك

ثمانين رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما منهم من أحد إلا يخاف على نفسه من النفاق وحالنا لا حول ولا قوة إلا بالله كما قال الله : (( وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد )) ( ٣ ) والله عز وجل يقول لسيد المتقين : (( يا أيها النبي اتق الله )) ( ٤ ) وعمر أبو حفص عمر الفاروق رضي الله عنه ذلكم الصحابي العملاق المبشر بالجنة هو من العشرة المبشرين بالجنة باتفاق أهل السنة وهو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يكون فضله في المرتبة الثانية بعد أبي بكر مباشرة وما خالف في ذلك إلا الشيعة وليس خلافهم بمعتبر فإن الشيعة والرافضة قد ابتلوا ببغض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسبهم والوقية فيهم هذا الرجل العظيم الذي امتدحه النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : { ما سلكك فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر } ( ٥ ) ويمتدحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :

١ - النساء ( ٤٨ ، ١١٦ ) .

٢ - إبراهيم ( ٣٥ ) .

٣ - البقرة ( ٢٠٦ ) .

٤ - الأحزاب ( ١ ) .

٥ - البخاري ( ٣١٢٠ ) ( ٥٧٣٥ ) ومسلم ( ٢٣٩٦ ) وأحمد ( ١٤٧٢ ) ( ١٥٨١ ) وابن حبان ( ٦٨٩٣ ) .

{ إنه كان فيما مضى من الناس محدثون . أي ملهمون . فإن يكون في هذه الأمة فعمر { ( ١ ) } ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم مرة :

{ دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً فسألت **لمن هذا القصر ؟** ف قيل لي : لرجل من قريش فأردت أن أدخله فتذكرت غيرتك ف قيل لي : لعمر بن الخطاب فتذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال : **أمنك أغار يا رسول الله ؟** { ( ٢ ) } رجل عظيم له مقام صدق وله فتوحات ولي أمر المسلمين فسار بالعدل والسوية والإنصاف كما قيل :

يا من يرى عمراً تكسوه بردته      والزيت آدم له والكوخ مأواه

يهتز كسرى على كرسية طربا      من خوفه وملوك الروم تخشاه

هذا الرجل يأخذ بيد حذيفة بن اليمان ويقول له : [ يا حذيفة هل سماني أو عدني رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين ] لأن أسماء المنافقين كانت بيد حذيفة بن اليمان أخبر النبي حذيفة بأسماء المنافقين وأن منهم أربعة عشر رجلاً حرمت عليهم الجنة وحرّم عليهم أن يشموا رائحتها فبكى حذيفة وقال :

[ لا والله يا أبا حفص ولن أركي أحداً بعدك ] يخاف على نفسه فالواجب على المسلم أن يخاف على نفسه من الشرك ومن البدعة ومن الرياء وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : أنا ما في شيء ولا بي شيء ولا مني شيء أنا لا زلت أجدد إسلامي كل يوم أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي ، وسوف يأتي استدلال المؤلف لهذا الباب بقول الله عز وجل حكاية عن إبراهيم خليل الرحمن : (( واجنبي وبني أن نعبد الأصنام )) ( ٣ ) فبعد هذه الترجمة مباشرة ذكر المؤلف قول ربنا سبحانه : (( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )) ( ٤ ) .

والشرك على قسمين :

١. **شرك أكبر** مخرج من الملة

٢. **وشرك أصغر** وهو الرياء .

والفرق بين الشرك الأكبر والأصغر هو الآتي :

١. الأكبر مخرج من الملة بخلاف الشرك الأصغر .

٢. الشرك الأكبر صاحبه حلال الدم والنفس والعرض بخلاف الشرك الأصغر .

٣. الشرك الأكبر يحبط الأعمال كلها كما قال سبحانه :

(( لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين )) ( ٥ ) بخلاف الشرك الأصغر على تفاصيل ستأتي في مواضعها من

من هذا الدرس إن شاء الله ويتفق الشرك الأصغر والأكبر أنهما لا يغفران لصاحبهما لأن الله عز وجل يقول :

(( إن الله لا يغفر أن يشرك به )) فإن وما دخلت عليها في تأويل مصدر إشراكاً وإشراكاً نكرة في سياق النفي تفيد العموم

فتعم النوعين الأصغر والأكبر (( إن الله لا يغفر أن يشرك به )) أي لا يغفر إشراكاً به وإشراكاً نكرة في سياق النفي تفيد

١ - البخاري (٣٤٨٦) والترمذي (٣٦٩٣) وأحمد (٢٤٣٣٠) والحاكم (٤٤٩٩) وسنن النسائي الكبرى (٨١١٩) ومسنند إسحاق بن راهويه (١٠٥٨) .

٢ - البخاري (٣٤٧٦) ومسلم (٢٣٩٤) وأحمد (٨٤٥١) (١٤٣٦٠) (١٥٠٤٤) (١٥٢٢٦) ومسنند الطيالسي (١٧١٥) ومسنند أبي يعلى (١٩٧٦) .

٣ - إبراهيم (٣٥) .

٤ - النساء (٤٨ ، ١١٦) .

٥ - الزمر (٦٥) .

العموم يخل في ذلك الشرك الأصغر والأكبر وبعض أهل العلم يقول : الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في جهنم بخلاف الأكبر فهو دون الشرك الأكبر وفوق الكبيرة وعلى أية حال يجب على العبد أن يخاف من النوعين الشرك الأصغر والأكبر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفر لك لما لا أعلمه } فالواجب على المسلم أن ينأى بذلك وأن يسأل ربه عز وجل أن يعجنه وقال الله عز وجل حاكياً عن إبراهيم : (( واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام )) قيل : إن المراد بأبنائه هم إسماعيل وإسحاق فليس لإبراهيم أولاد غيرهما وقيل : المراد بذلك أبنائه أي من نسله فيعم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله في القرآن : (( ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل )) ( ١ ) والمراد بالصنم : هو ما كان على هيئة على صورة بخلاف الوثن فقد يكون أعم من الصنم بهذا الاعتبار .

وفي الحديث : { أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر } فستل عنه فقال : { الرياء } ( ٢ ) .

ثم قال المؤلف : وفي الحديث ،

قوله وفي الحديث الحديث لغة : بمعنى الجديد ضد القديم وتجمع كلمة حديث على خلاف القياس فهي تجمع على أحاديث على وزن مفاعيل وإلا فالأصل فيها حواديث أو حداويث ولكن جمعت على لفظ أحاديث لأنها لفظة قرآنية (( ويعلمك من تأويل الأحاديث )) ( ٣ ) واصطلاحاً : هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته هذا تعريف الحديث لغة واصطلاحاً والفرق بين الحديث والخبر والأثر أن الحديث خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم إذا قلت : وفي الحديث يتبادر إلى الذهن أنه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما الخبر فيشمل قول الرسول وقول الصحابي وقول التابعي وأما الأثر فهو يكون لما دون رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين وإذا استخدم في حق النبي صلى الله عليه وسلم فلا بأس أن يستخدم مقيداً وفي الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استدلل بعض أهل العلم بقول الله عز وجل : (( أو أثارة من علم )) ( ٤ ) على علم الحديث والمراد بذلك حديث رسول الله وبقول ابن الوزير :

بالنص والعلماء هم وراثه

فينا كذاك متاعه وأثاته

العلم ميراث النبي كذا أتى

ما خلف المختار غير حديثه

١ - الحج ( ٧٨ ) .

٢ - صحيح : أحمد ( ٢٣٦٨٠ ) ( ٢٣٦٨٦ ) والمعجم الكبير ( ٤٣٠١ ) وشعب الإيمان ( ٦٨٣١ ) وانظر صحيح الترغيب والترهيب ( ٣٢ ) .

٣ - يوسف ( ٦ ) .

٤ - الأحقاف ( ٤ ) .

وهذا الحديث إخواني هو في مسند أحمد و الطبراني وهو حديث صحيح يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسنل عنه فقال : الرياء } والرياء مشتق من الرؤية لأنه مصدر رأى يرأى والمصدر رياء وهو أن يعبد الله عز وجل لقصد أن يراه الناس يتعبد ليراه الناس كما قيل :

وقصيدة تأتي الملوك غريبة  
قد قلتها ليقال : **من ذا قالها ؟**

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من سمع سمع الله به ومن يرأى يرأى الله به } ( ١ ) فالرياء خطر عظيم على العبد في الدنيا وكذلك أيضا في الآخرة وإن كان قليلا وهو على قسمين : فإن كان الرياء في أصل العبادة دخلت في الصلاة أو في الصيام صليت الظهر و العصر أو كذا أو قمت تتنفل الحامل لك هو الرياء فهنا العبادة باطلة يقول الله سبحانه وتعالى : { أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه } ( ٢ ) ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي : { يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه } ( ٣ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها } ( ٤ ) بمعنى إن عمل الإخلاص قبل وإن عمل برياء رفض هذا العمل ويقول سبحانه :

(( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين )) ( ٥ )

ويقول الله سبحانه وتعالى : (( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين )) ( ٦ )

ويقول الله عز وجل : (( ألا لله الدين الخالص )) ( ٧ ) فالله عز وجل يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً كما قال سبحانه وتعالى (( الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً )) ( ٨ ) قال الفضيل بن عياض : أحسن العمل أخلصه وأصوبه وهذان شرطان من شروط قبول العمل الإخلاص ثم المتابعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أما إن كان الرياء في أثناء العمل مثلاً دخلت تصلي الظهر فلما كنت في الركعة الثالثة وجدت أن هناك من يلاحظ صلاتك هذه فحاولت أن تصلحها وأن تتعمق فيها فإن دفعته فعملك صحيح وإن بقي فهو يحبط عليك تلك الركعة الأخيرة من الصلاة وعلى أية حال فليدافع الشخص الرياء ومداخل الشيطان فإن مداخل الشيطان كثيرة جاء من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ أول من تسعر بهم النار ثلاثة ومنهم العالم يؤتى به فيعرفه الله نعمته فيقال له : **ماذا فعلت ؟** يقول : قرأت فيك القرآن وأقرأته يقول : لا إنما قرأت من أجل يقال قارئ فقد قيل { ( ٩ ) أنت كنت حريصاً على أن يقول الناس عنك بأنك شيخ وبأنك كذا وكذا أشياء كثيرة جدا الشخص يحاول أن يلفت أنظار الناس لا سيما ما يكون بين الأقران وهكذا يريد الشخص أن يقال عنه كذا فهذا الشيء قد حصل في هذه الدنيا ونلت ثم يقول الله عز وجل لملائكته : خذوه إلى النار عياداً بالله

١ - البخاري (٦١٣٤) ومسلم (٢٩٨٦) وأحمد (٢٠٤٧٤) والمعجم الكبير (١٦٩٩) (١٧٠٠) (٨٧٥١) (١٢٣٧١) والمعجم الأوسط (٤٦٨٠) .

٢ - مسلم (٢٩٨٥) وابن ماجه (٤٢٠٢) وابن خزيمة (٩٣٨) ومسند أبي يعلى (٦٥٥٢) وشعب الإيمان (٦٨١٥) .

٣ - مسلم (٢٥٧٧) والحاكم (٧٦٠٦) .

٤ - مسلم (٢٢٣) والترمذي (٣٥١٧) وابن ماجه (٢٨٠) وأحمد (٢٢٩٥٣) (٢٢٩٥٩) والدارمي (٦٥٣) وابن حبان (٨٤٤) وشعب الإيمان (٢٨٠٥) .

٥ - البينة (٥) .

٦ - الأنعام (١٦٢) .

٧ - الزمر (٣) .

٨ - الملك (٢) .

٩ - مسلم (١٩٠٥) والترمذي (٢٣٨٢) والنسائي (٣١٣٧) وأحمد (٨٢٦٠) .

وهذا كان قارئاً أو عالم وآخر كان يجاهد لكن ما هو من أجل الله من أجل شجاعة أو حمية وآخر متصدق لكن فسدت نيته نسأل الله عز وجل السلامة والعافية .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
 { من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار } رواه البخاري ( ١ ) .  
 ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار } ( ٢ ) .  
 فيه مسائل :

- الأولى : الخوف من الشرك .
- الثانية : أن الرياء من الشرك .
- الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .
- الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .
- الخامسة : قرب الجنة والنار .
- السادسة : الجمع بين قريهما في حديث واحد .
- السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس .
- الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام .
- التاسعة : اعتباره بحال الأكثر لقوله : (( رب إنهن أضللن كثيراً من الناس )) .
- العاشرة : فيه تفسير [ لا إله إلا الله ] كما ذكره البخاري .
- الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٤٢٢٧ ) .

<sup>٢</sup> - مسلم ( ٩٣ ) وأحمد ( ١٤٥٢٨ ) والمعجم الأوسط ( ٧٨٧٩ ) ومصنف عبد الرزاق ( ١٩٧٠٨ ) ( ٢٠٢٧٧ ) .

ثم ذكر المؤلف حديث ابن مسعود وهو عبد الله بن مسعود ويكنى بأبي عبد الرحمن وهو من الصحابة الأول رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار } رواه البخاري والمراد بالنند هو الشبيه والمثيل .

وفي قوله : { من مات وهو يدعو } يشمل القسمين من الدعاء : دعاء العبادة و دعاء المسألة .  
فدعاء العبادة مثل الصوم و الصلاة و الزكاة والحج وبر الوالدين و الإعتماد والأذكار هذه كلها يقوم بها العبد من أجل أن يغفر الله له من أجل أن يدخله الجنة فهي بمثابة الدعاء فهذا إن صرف منه شيء لغير الله يكون من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى (( إن الله لا يغفر أن يشرك به )) ( ١ ) إن صرف شيء من دعاء العبادة ، أما دعاء المسألة ففيه تفصيل إن سألت غير الله فيما يستطيع أن يقول الفقير مثلاً للغني : إعطني أو ارزقني من هذا المال ارزقني بمعنى إعطني كما قال الله : (( وإذا حضر القسمة ألو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً )) ( ٢ ) فهنا لا بأس به فيما يقدر عليه .

أما إذا كان فيما لا يقدر فيكون هذا من الشرك الأكبر لأن الله عز وجل يقول :  
(( وإذا سألك عبادي عني فإني قريب )) ( ٣ ) ويقول الله سبحانه : (( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم )) ( ٤ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إذا سألت فاسأل الله } ( ٥ ) فالواجب أن يسأل الله عز وجل

الله يغضب إن تركت سؤاله وبنى آدم حين يسأل يغضب

لا تشكون إلى ابن آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب

ثم قال : ولمسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار } ( ٦ ) وهذا يعم النوعين من الشرك الشرك الأكبر والأصغر الذي هو كسير الرياء وكقول الرجل : ما شاء الله و شاء محمد أو ما شاء الله وشئت فهذا فيه أيضاً من الإشراك أو كأن يستغيث بغير الله سبحانه وتعالى فهذا يعتبر أيضاً من الشرك الأكبر ونمشي على القاعدة التي ذكرناها أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم وهنا قد تقدم النفي على هذه النكرة

{ من لقي الله } أي يوم القيامة { لا يشرك به شيئاً دخل الجنة } ففي هذا فضيلة التوحيد { ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار } عياداً بالله نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعصمنا وإياكم من الشرك الأكبر والأصغر وأن يجنبنا الذنوب والمعاصي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

١ - النساء ( ٤٨ ، ١١٦ ) .

٢ - النساء ( ٨ ) .

٣ - البقرة ( ١٨٦ ) .

٤ - غافر ( ٦٠ ) .

٥ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .

٦ - مسلم ( ٩٣ ) وأحمد ( ١٤٥٢٨ ) والمعجم الأوسط ( ٧٨٧٩ ) ومصنف عبد الرزاق ( ١٩٧٠٨ ) ( ٢٠٢٧٧ ) .

## باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى : (( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة )) ( ١ ) .

قال المؤلف شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله :

## باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

أما ما يتعلق بتعريف الباب فقد تقدم لكم في عدة مجالس ولا أريد واحدا أن يكون جاهلا بتعريف الباب لغة واصطلاحا فالذي لا يدري فليسأل من كان يدري وإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وهذه الترجمة مناسبة جدا في هذا الباب باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله لماذا قلنا أنه مناسب جداً بعد الأبواب التي قبله ؟ لأن من حقق التوحيد كما في الباب الثاني من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب و في الباب الثالث الخوف من الشرك فمن حقق التوحيد وعرف خطر الشرك وما يؤول إليه هذا الشرك أمر صاحبه حينها إذا كان محققا للتوحيد وخائفا من الشرك وجب عليه أن يدعو الناس إلى التوحيد وأن يحذر من الشرك ليكون ذلك دليلا على صدق توحيده .

فقوله : الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله المراد بذلك الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى إلى كلمة التوحيد وتأمل الأنبياء حينما عرفوا مقام التوحيد وخطر الشرك دعوا أقوامهم إلى هذا فما من نبي بعثه الله إلى قوم من الأمم إلا كان أول ما يدعو (( أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره )) ( ٢ ) ونبينا صلى الله عليه وسلم يأتي إلى قوم يعبدون الأصنام ويدعونها من دون

<sup>١</sup> - يوسف ( ١٠٨ ) .

<sup>٢</sup> - المؤمنون ( ٣٢ ) .



الله كما قال ربنا سبحانه في كتابه الكريم : (( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )) ( ١ ) وكما قال سبحانه حينما قال النبي للمشركين قولوا : لا إله إلا الله : (( قالوا أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب )) ( ٢ ) أمر عجيب نحن لدينا أصنام عامة و خاصة ندعوها ونتقرب بأعمالنا إليها **فكيف ندع هذه الأصنام كلها وندعوا واحدا لا شريك له ؟** فكان هذا أمر فوق عقولهم وفوق مستواهم ما استوعبوه وأصر بعضهم على عدم تركه والموفق من وفقه الله فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر دائماً قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتحمل في ذلك الأذى لأنه دعا إلى الله دعا إلى توحيد الله وهذا من أصعب ما يكون إذا دعوت الناس إلى أن يتركوا الخمر والزنا والغيبة والنميمة تجد لك أنصار وأعوان لكن تدعوهم إلى التوحيد لا بد أن تجد الأذى وأن تجد المخالفة لأن الكثير من الناس قد استروحوا الشرك لاسيما شرك القبور دعاء المقبورين من دون الله فقد روى الإمام ابن حبان في صحيحه من حديث طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي صغير قال :

{ رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بأسواق مكة مجنة و عكاظ وذي المجاز في المواسم { يعني في مواسم الحج { يعرض نفسه يقول : أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ورجل بعده يرميه بالحجارة يقول : كذاب لا تصدقوه قد أدمى كعبيه وعرقوبيه فقلت : **من هذا ؟** قالوا : هذا عبد العزى أبو لهب قلت : **فمن هذا الذي يقول مقالته ؟** قالوا : إنه غليم ابن عبد المطلب تحقيراً لشأنه { ( ٣ ) فكان صلى الله عليه وسلم حريصاً أن يدعو الناس إلى التوحيد لأنه يعلم عظمة التوحيد ومخاطر الإشراك به سبحانه وتعالى .

وتأمل وهو راكب على حمار ويقول لابن عباس { يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الله يحفظك الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله { ( ٤ ) توحيد ويقول لمعاذ بن جبل وهو راكب على حمار : { **يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟** قال : الله ورسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً { ( ٥ ) هذا أمر عظيم أن تكون داعية إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وهكذا وجب على المؤمن أن يجعل نبيه صلى الله عليه وسلم قدوة وقائداً وقيادة في هذا الباب فيدعو كما دعا لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين )) ( ٦ ) وتعرفون في قصة معاذ بن جبل لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال :

{ إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى شهادة أن لا إله إلا الله { ( ٧ ) وهو سيأتينا في هذا الباب فكان إنما يبدأ بشهادة أن لا إله إلا الله فهي الكلمة العظيمة التي بها الفلاح والنور والخير والسعادة في الدارين .

١ - الزمر ( ٣ ) .

٢ - ص ( ٥ ) .

٣ - أحمد ( ١٦٠٦٦ ) ( ١٩٠٢٦ ) ( ٢٣٢٤٠ ) وابن حبان ( ٦٥٦٢ ) والحاكم ( ٣٩ ) ( ٤٢١٩ ) وسنن الدارقطني ( ١٨٦ ) وغيرهم وانظر صحيح السيرة النبوية النبوية للألباني صفحة ( ١٤٣ ) .

٤ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .

٥ - البخاري ( ٢٧٠١ ) ومسلم ( ٣٠ ) والحاكم ( ١٩٠١ ) .

٦ - يوسف ( ١٠٨ ) .

٧ - البخاري ( ١٣٣١ ) ( ١٤٢٥ ) ( ٤٠٩٠ ) ومسلم ( ١٩ ) وأبو داود ( ١٥٨٤ ) والترمذي ( ٦٢٥ ) والنسائي ( ٢٤٣٥ ) ( ٢٥٢٢ ) وابن ماجه ( ١٧٨٣ ) وأحمد ( ٢٠٧١ ) .

وفي قوله سبحانه : (( قل هذه )) هذا أمر من الله للنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لأتباعه: هذه سبيلي أي هذا هو طريقي وهذا هو دربي (( ادعوا إلى الله )) بمعنى أحث الناس وأدلهم على عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له (( على بصيرة )) والمراد بالبصيرة هنا أمران :

الأمر الأول : بصيرة بحكم الشرع إذ أن الجاهل كيف يدعو وهو جاهل ؟ وفي هذا رد على من يدعو وهو يجهل قال عمر بن عبد العزيز كما ذكر هذا الأثر ابن عبد البر في كتابه العظيم جامع بيان العلم وفضله قال : [ إن من عمل من غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ] فكيف تدعو الناس وأنت على جهل ؟ فلا بد للداعية من زاد والمراد بالزاد العلم لا بد أن يكون لديك سلاح من العلم والمراد بالعلم الوحي المنزل كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا يزيل الجهل إلا هذا والله در ابن القيم حيث يقول :

والجهل داء قاتل وشفاءه  
نص من القرآن أو من سنة  
وأمران في التركيب متفقان  
وطبيب ذاك العالم الرباني

إذن لا بد من بصيرة بحكم الشرع ولا بد من بصيرة بحال المدعو بصيرة بحكم الشرع وبصيرة بحال المدعو أنت تدعو مسلماً إذن لا بد أن تكون عالماً بحاله ، تدعو كافراً أي نوع من الكفر أهو يهودي ؟ أهو نصراني ؟ أهو شيعوي وثني ؟ أهو من عبدة النار من عبدة الأوثان من عبدة الأبقار من عبدة الأحجار ؟ هو على أي ديانة من الديانات من أجل أن تأتيه من باب ديانتها التي هو عليها لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مطبقاً لهذين الأمرين بصيرة بحكم الشرع وبصيرة بحال المدعو فقال لمعاذ بن جبل : { إنك تأتي قوماً أهل كتاب } بين له حكم حال المدعو بين له حال المدعو على أي شيء هو هو أهل كتاب إما أن يكونوا يهود وإما أن يكونوا نصارى ثم أعطاه البصيرة قال له : ادعهم إلى لا إله إلا الله فإن هم أجابوك فقل لهم كذا وكذا وكذا إلى آخر ما ذكر عدد له التوحيد والصلاة والزكاة وذكر له اتقاء دعوة المظلوم وبين له شيئاً من أحكام الأنصاء وهذه هي طريقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني )) ( ١ ) وأتباعه صلى الله عليه وسلم هم المؤمنون به إلى يوم القيامة .

قال : (( وسبحان الله )) وهنا سبحان مفعول مطلق بفعل محذوف تقديره أسبح سبحان .

(( وما أنا من المشركين )) في هذا نفي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أشرك بربه سبحانه وتعالى ولو شيئاً يسيراً فإنه إنما يدعو إلى التوحيد ويحث الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى .

وفي قوله : (( أدعو )) الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى على أقسام فمن الناس من يدعو إلى الله سبحانه وتعالى يدعو إلى الله وهو مصيب في دعوته دعا بإخلاص واتباع عنده الإخلاص وعنده الإتيان في هذه الدعوة بمعنى أنه يدعو كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلم ويرفق بالناس ويأخذ طريقة الأولوية والمرحلية في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لا ينفر كما قال سبحانه : (( فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك )) ( ٢ ) وهذا من أفضل وأرفع ما يكون أن تكون داعية إلى الله مصيباً (( ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من

<sup>١</sup> - يوسف ( ١٠٨ ) .  
<sup>٢</sup> - آل عمران ( ١٥٩ ) .

المسلمين)) (١) عنده دعوة وعنده عمل صالح آخر يدعو إلى الله لكن عنده أخطاء ربما كانت هذه الأخطاء في الإتيان ما عنده تلکم السياسة الدعوية التي كان عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فليس كالأول الأول كان عنده صواب عنده إخلاص وعنده اتباع هذا عنده إخلاص لكن ليس عنده صواب في كثير من الأمور ربما كان يجهل وربما يدعو إلى أشياء هو ما أتقنها ولا هضمها .

الثالث عنده إصابة ولكن ما عنده إخلاص وهذا من أخطر ما يكون فهو نقيض الثاني تماماً الثاني عنده إخلاص لكن ما عنده اتباع الثالث عنده اتباع لكن ما عنده إخلاص .

الرابع من يدعو إلى نفسه لا يدعو إلى الله وإنما يدعو إلى نفسه أو إلى مذهبه أو إلى رئيسه أو إلى مديره إلى أن يؤسس جماعة أو يؤسس حزب هو وإن دعا الناس قال : قال الله قال رسوله لكن هو ليس المقصود هذا وإنما الغاية من هذه الدعوة أن يشكل حزب أن يشكل جماعة أن يشكل جمعية أن يكون له تواجد في الساحة وهذا . بارك الله فيكم . وجوده كالعدم فتأمل الآن مثلاً إلى العلماء الربانيين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يعني إمام ويقال عن الإمام إمام لأن له أقوال يأخذ بها أصحابه من بعده ورتبة شيخ الإسلام أرفع من رتبة إمام فله أقوال وله ردود أيضاً على الطوائف فهو أجمع من كلمة إمام أنظر إلى النووي أنظر إلى ابن عبد السلام أنظر إلى الذهبي أنظر إلى بن باز إلى الألباني إلى ابن عثيمين لكن تأمل إلى بعض الحركيين قد يكون عندهم إخلاص لكن المتابعة قليلة عندهم جهل وتفريط في مقام التوحيد ربما كان الإخلاص موجود كدعوة مثلاً سعيد حوى أو سيد قطب رحمة الله عليهما الإخلاص قد يكون حاصل وهذا أمر غيبي بين العبد وبين ربه سبحانه وتعالى لكن الإتيان غير موجود وتأمل إلى الميراث **ما الذي ورثه الألباني وابن عثيمين وابن باز والوادي ؟ وما الذي ورثه الحركيون ؟** ورثوا كتباً حماسية يعني ليس إلا وهؤلاء ورثوا علوم أبحاث ومراجع ضخمة للمسلمين فمن هذا . بارك الله فيكم . يجب على طالب العلم أن يكون داعية إلى الله سبحانه وتعالى وليصلح نفسه قبل أن يدعو الناس إلى ربهم سبحانه وتعالى أما أن يكون يدعو إلى الله سبحانه وتعالى وهو إما أن ينقصه الإخلاص وإما أن ينقصه العلم وإما أن ينقصه السلوك العملي أن يكون صالحاً في نفسه مصلحاً لغيره فهذا ستهذب أوقاته سدى فعليه أن يصلح نفسه قبل أن يدعو غيره كما قال أبو الأسود الدؤلي : .

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلاً لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذو الضناء	كيما يصح به وأنت سقيم
ابداً بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنا لك يسمع ما تقول ويشتفي	بالقول منك وينفع التعليم

ويقول أبو العتاهية : .

لا تصلح الناس وأنت فاسد هيهات هيهات ما تكابد

يعني وإن كابدت ليل نهار فإنك لن تستطيع أن تصلح طفلاً واحداً ما دام الفساد في جسدك وفي معتقدك أو في نيتك أوفي متابعتك أو في اقتدائك برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد أن تكون نظيفاً صافياً عقيدة ومنهجاً وطريقةً وسلوكاً

١ - فصلت ( ٣٣ ) .

وتعبدا حتى تستطيع أن تدعو الناس إلى الله سبحانه وتعالى فينتفع الناس بدعوتك نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الدعاة الصادقين وأن يرفع درجاتنا في المهديين وأن يرينا الحق حقا فيرزقنا اتباعه والباطل باطلا فيرزقنا اجتنابه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : { إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله . وفي رواية : إلى أن يوحدوا الله . فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب } أخرجاه ( ١ ) .

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :  
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن ،  
لما هنا بمعنى حين وابن عباس هو عبد الله بن عباس الهاشمي يكنى بأبي العباس دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :  
{ اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل } ( ٢ ) وقد كان من أمره أن صار إماماً قدوة ، كان عمر يدخله مع أشياخ المهاجرين والأنصار ، وقد نفع الله سبحانه وتعالى به ، ولما مات في الطائف قال مورك العجلي : مات في هذا اليوم رباني هذه الأمة ، يعني ابن عباس وقد عمي في آخر عمره ولكن كما قيل :  
يقولون الضرير فقلت كلا  
بلى والله أبصر من بصير

<sup>١</sup> - البخاري (١٣٣١) (١٤٢٥) (٤٠٩٠) ومسلم (١٩) وأبو داود (١٥٨٤) والترمذي (٦٢٥) والنسائي (٢٤٣٥) (٢٥٢٢) وابن ماجه (١٧٨٣) وأحمد (٢٠٧١) .  
<sup>٢</sup> - البخاري (١٤٣) وأحمد (٢٣٩٧) (٢٨٨١) (٣١٠٢) وابن حبان (٧٠٥٥) والحاكم (٦٢٨٠) .

سواد العين زار بياض قلبي ليجمعنا على فهم الأمور

فكان مدرسا ومعلما وموجها ومفتيا إلى آخر عمره وكان رضي الله عنه يتمثل كثيرا بقوله :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي فؤادي وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخن وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وكم من إنسان تجده أعمى لكنه أبصر من بصير وكم من رجل بصير ولكنه أعمى عن الحق والله جل وعلا يقول : (( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا )) ( ١ ) وهناك في عرصات القيامة مشهد مروع إنه يشاهد في ذلك اليوم قطيعا من الناس بينما كانوا مبصرين في الدنيا إلا أنهم هناك قد أصيبوا بالعمى فيندهش الرائي والمبصر قال الله جل وعلا : (( ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى )) ( ٢ ) نسأل الله السلامة والعافية .

فهنا ابن عباس يثبت بعثة معاذ إلى اليمن وكانت بعثته في ربيع الأولى سنة عشرة من الهجرة النبوية ، بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى المخلاف الأسفل من اليمن عدن وما جاورها من تعز والحديدة وكان مسجده إلى الآن في وادي في منطقة كانت تسمى بالسكاسك والسكون والآن تسمى بأرض الجند كما ترجم ذلك الإمام الجعدي في كتابه : طبقات فقهاء اليمن وأما أبو موسى فكان في المخلاف الأعلى من اليمن في صنعاء وما جاورها وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : { بشرا ولا تنفرا وتطوعا ولا تختلفا ويسرا ولا تعسرا } ( ٣ ) فامثلا أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ : { إنك تأتي قوما من أهل الكتاب } وهذا كان غالب أهل اليمن وإلا كان هناك وثنيون لكن غالبهم إما يهود وإما مجوس وإما نصارى ففي هذا دليل على الشق الثاني من تفسير الآية : (( على بصيرة )) أن يكون الداعي مزودا بالعلم الشرعي وبصيرا بحال المدعو الذي يريد هدايته وأن يدعو إلى الله سبحانه وتعالى وقد كان هذين الصحابييين معلمين وموجهين يرين حاكمين يعني مفتي أو قاضي ومنفذ أيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم بعثهم بهذه الغاية العظيمة فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لرسوله : { فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله } وقد جاء في رواية : { إلى أن يوحدوا الله } وهي في الصحيحين وكلا الروايتين في الصحيح قال : { فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة } في هذا . بارك الله فيكم . لا بد من التدرج في أمر الدعوة تحاول أن تمشي رويدا حتى تصل إلى الأكمل والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { القصد القصد تبلغوا } ( ٤ ) قال : { فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم } والمراد بالصدقة هنا الزكاة الشرعية ومن هذه اللفظة استدل أهل العلم على وجوب زكاة العروض التجارية وإن كان دليلا على وجه العموم قال : { فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم } وإياك هنا بمعنى التحذير أي أحذرك فإن جاء بعد إياك الواو كان المراد بها التحذير : إياك وزيدا أي إحذره إياكم حديث ابن مسعود في صحيح مسلم : { إياكم وهيشات الأسواق } ( ٥ ) أي

١ - الإسراء ( ٧٢ ) .

٢ - طه ( ١٢٤ - ١٢٦ ) .

٣ - البخاري ( ٢٨٧٣ ) ومسلم ( ١٧٣٣ ) وأحمد ( ١٩٧١٤ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٩٩٣٧ ) .

٤ - البخاري ( ٦٠٩٨ ) وأحمد ( ١٠٦٨٨ ) ( ١٠٩٥٢ ) والبخاري في الأدب المفرد ( ٤٦١ ) ومسند الطيالسي ( ٢٣٢٢ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٤٥١٧ ) .

٥ - مسلم ( ٤٣٢ ) وأبو داود ( ٦٧٥ ) والترمذي ( ٢٢٨ ) وابن خزيمة ( ١٥٧٢ ) وابن حبان ( ٢١٨٠ ) والحاكم ( ٢١٥٠ ) .

إحذروا هيشات الأسواق فإذا لم يؤت بعدها بالواو تكون إيا مفعول مقدم مفعول به مقدم منصوب مثل قوله سبحانه : (( إياك نعبد وإياك نستعين )) ( ١ ) وإياك لا بد أن تكون بالتشديد إياك أما إذا قرئت بالتخفيف إياك فهي بمعنى الشمس فإذا قرأ القارئ إياك نعبد بمعنى إياك أي أنت يا الله نعبدك ونستعين بك لكن إذا قرأ إياك فيكون يعني إياك نعبد أي نعبد هذه الشمس وتعرفون . بارك الله فيكم . أن العلماء متفقون إن كان اللحن في آية أو في كلمة من سورة الفاتحة يحيل المعنى فالصلاة باطلة هذه فائدة ذكرها الإمام النووي في مجموع شرح المذهب إن كان اللحن يغير المعنى فالصلاة باطلة فإن كان اللحن لا يغير المعنى فتكون الصلاة صحيحة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران } ( ٢ ) أجر القراءة وأجر التعتعة فلو قال مثلاً : الحمد لله أو لو قرأ الحمد لله بالكسر أو الحمد بالفتح صلاته صحيحة لأنه يفهم المراد به إثبات الحمد أو الإعراف بأن الحمد كله لله سبحانه وتعالى وكما تقدم لكم أن في الآية وجه بلاغي وهو أن اللفظة لفظها خبري ومعناها إنشائي أي إحمدوا الله أو واجب عليكم أن تحمدوا الله سبحانه وتعالى .

قال : { إياك وكرائم أموالهم } والمراد بكرائم الأموال أنفسها وأفضلها .

ثم قال : { و اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب } ولو كان هذا المظلوم كافراً يهودياً نصرانياً مجوسياً فإنه ليس بينه وبين الدعوة التي يرفعها إلى الله حجاب فإن الله يرفعها دون الغمام يقول :

{ لأنصرك ولو بعد حين } ( ٣ ) ودليل آخر من القرآن يقول الله عز وجل :

يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء )) ( ٤ ) والمضطر عموماً فلا يجوز الظلم لكافر ولا لمسلم من باب أولى ولا لمن كان على الخط السلفي فإنه من أشد ما يكون كما قيل :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

ثم أراد المؤلف من هذا أن يستفيد أن من عرف التوحيد وحقيقه وجب أن يدعو الناس إلى هذا فدليلة أو شاهده من الحديث : { أول ما تدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله } ولم يذكر له شهادة أن محمداً رسول الله لكنه يشملها فهذان أصلاً عظيمان ذكر شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة رحمه الله كما في الجزء الأول صفحة ٣٣٣ من مجموع الفتاوى قال :

إن الدين يقوم على أصلين إن الدين الإسلامي يقوم على أصلين أن لا نعبد إلا الله ولا نعبد إلا بما شرع لا نعبد بعبادة مبتدعة وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

١ - الفاتحة ( ٥ ) .

٢ - البخاري ( ٤٦٥٣ ) ومسلم ( ٧٩٨ ) وابن ماجه ( ٣٧٧٩ ) وأحمد ( ٢٤٧١١ ) ( ٢٦٠٧٠ ) ( ٢٦٣٣٩ ) ومصنف عبد الرزاق ( ٤١٩٤ ) ( ٦٠١٦ ) .

٣ - الترمذي ( ٢٥٢٦ ) ( ٣٥٩٨ ) وابن ماجه ( ١٧٥٢ ) وأحمد ( ٨٠٣٠ ) ( ٩٧٤١ ) وابن حبان ( ٨٧٤ ) ( ٧٣٨٧ ) والطيالسي ( ٢٥٨٤ ) .

٤ - النمل ( ٦٢ ) .

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : { لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه } فبات الناس يدوكون ليلتهم ، أيهم يعطاها ؟ فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال : : { أين علي بن أبي طالب ؟ } فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه فأتى به فبصق في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية وقال : { أنفذ على راسك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم } ( ١ ) يدوكون أي : يخوضون .

فيه مسائل :

- الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم .
- الثانية : التنبيه على الإخلاص ، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه .
- الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .
- الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : أنه تنزيه الله تعالى عن المسببة .
- الخامسة : أن من قبح الشرك كونه مسببة لله .
- السادسة : وهي من أهمها : إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك .
- السابعة : كون التوحيد أول واجب .

<sup>١</sup> - البخاري (٣٤٩٨) (٣٩٧٣) ومسلم (٢٤٠٦) وأحمد (٢٢٨٧٢) .



- الثامنة : أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة .
- التاسعة : أن معنى { أن يوحدوا الله } : معنى شهادة أن لا إله إلا الله .
- العاشرة : أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها ، أو يعرفها ولا يعمل بها .
- الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .
- الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم .
- الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .
- الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم .
- الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الأموال .
- السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .
- السابعة عشرة : الإخبار بأنها لا تحجب .
- الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .
- التاسعة عشرة : قوله : { لأعطين الراية .. } إلخ علم من أعلام النبوة .
- العشرون : تفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً .
- الحادية والعشرون : فضيلة علي رضي الله عنه .
- الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكلهم تلك الليلة وشغلهم عن بشاره الفتح .
- الثالثة والعشرون : الإيمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عن سعى .
- الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : { على رسلك } .
- الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الإسلام قبل القتال .
- السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .
- السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة لقوله : { أخبرهم بما يجب } .
- الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله في الإسلام .
- التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .
- الثلاثون : الحلف على الفتيا .

ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى حديث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر : { لأعطين الراية غدا رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله } عندي أنا في كتابي تقديم وتأخير سقط في هذا الحديث ولكنه هكذا فهذا هو حديث سهل بن سعد في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر ، ومنطقة خيبر هي تبعد من المدينة قرابة ثمانين ميلا والميل يقدر بثلاثة آلاف خطوة والآن من الجغرافيين من يقدره بثلاثة كيلو متر ويقال : إن المنطقة هذه خيبر فيها وباء إلى يومنا هذا فهي جهة من جهات المدينة شمالا كان فيها فصول ومزارع

اليهود فبعد صلح الحديبية لأن صلح الحديبية كان في العام السادس بعد صلح الحديبية أو الحديبية لغتان مشهورتان بالتخفيف والتثقيب ، رجع النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمن من كفار مضر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أن اليهود الذين هم حول المدينة يشكلون خطرا عظيما بل هم الذين ألبوا الأحزاب وهم الذين بذلوا الأموالهم الذين أيدوا وحرصوا بني قريضة وبني قينقاع وبني النضير على الغدر فكان بقي يهود خيبر فذهب إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأصحابه رضوان الله عليهم ولم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة إلا راغب وأما أهل النفاق الذين يترأسهم عبد الله بن أبي فإنهم لم يخرجوا لأن اليهود كان بينه وبينهم رسائل ولقاءات سرية وكما قيل :

مهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم رجل أو اثنين على المدينة ثم خرج بنفسه وبمن معه من أصحابه الكرام مباغتين يهود خيبر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم في القرب من خيبر ثم أصبح وكان اليهود قد خرجوا بمكاتلهم ومعهم مماسحهم التي هي المجارف يحرقون بها الأرض فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والله والخميس محمد والخميس ، والمراد بالخميس الجيش وسمي الجيش بالخميس لأنه يخمس مقدمة ومؤخرة ويمين وشمال وقلب فيسمى الجيش خميسا لأنه يخمس وقيل غير هذا قيل أي أن الغنيمة التي يتحصل عليها الجيش تخمس خمسة أخماس كما ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن الكريم فرجع اليهود إلى بيوتهم وتحصنوا بحصونهم وظنوا أنهم يغلبون ويتغلبون ولكن كان من أمر الله عز وجل ما كان فقد فتح الله عز وجل على المسلمين خيبر وكانت ملك النبي صلى الله عليه وسلم كثير من أصحابه أراضي خيبر أورث الله عز وجل هذه الأرض لرسول الله ولأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعطى النبي صلى الله عليه وسلم أرض خيبر لليهود خيبر لا لأنهم يمتلكونها ولكن لأنهم أهل حراثة وزراعة ويعلمون بمصلحة أرضهم وصالحهم على شيء يخرج منها النصف أو الثلث ومن هذا استفاد العلماء جواز كراء الأرض وقد جاءت أحاديث خلاصتها أنها تحرم ذلك ولكن الصحيح هو الجواز عملا بما سمعتم وقبل هذه الغزوة كان الصحابة رضوان الله عليهم يرتجزون :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إن الأداة قد بغوا علينا فإن أرادوا فتنة أبينا

فيخرج رجل من الكفار يقال له مرحب وكان يهوديا قال :

قد علمت خيبر أنني مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { من له ؟ } فخرج علي بن أبي طالب مرتجزا :

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كربه المنطرة

أوفهم بالصاع كيل السندرة

فقتله رضي الله تعالى عنه وأرضاه ( ١ ) ثم أصيب الإمام علي رضي الله تعالى عنه بعينه أصيب برمذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني : { لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله } فهذه منقبة لعلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وفي هذه اللفظة رد على الأشاعرة والمعتزلة الذين يقولون : المحبة بمعنى الإرادة أو إعطاء الثواب وأهل السنة والجماعة يشبّون لله محبة من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه على حد قوله سبحانه : (( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )) ( ٢ ) ومن هذا استفاد العلماء أنه ليس العجب أن تحب الله فإن المحسن محبوب فالإنسان عبد الإحسان ولكن العجب كل العجب يوم أن يحبك الله فإن أحبك الله عز وجل فأنت من الأولياء والنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد هذه اللفظة بقوله :

{ لأعطين } اللام موطنه للقسم ثم نون التوكيد مؤكداً ومعنى ذلك : والله لأعطين ومن هذا استفاد أهل العلم أنه يجوز الحلف دون أن تستحلف إن رأيت أهمية للأمر قال صلى الله عليه وسلم : { لأعطين الراية غدا } والمراد بالغد هو اليوم الثاني والصحيح في إعراب غد أنه يعرب كالأسماء الطبيعية تنون كقولك زيد وخالد وما شابهها فيقول صلى الله عليه وسلم :

{ لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله } فبات الناس يدعونهم حتى قال عمر رضي الله تعالى عنه : [ ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ] ( ٣ ) وهذه لفظة ثابتة في صحيح مسلم ذلك أن فيها منقبة عظيمة { يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله } صلى الله عليه وسلم فبات الناس يدعونهم يعني : **من الذي يعطاها ؟** فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ومعنى غدوا أي راحوا كلهم يرجوا أن يعطاها فقال :

{ **أين علي بن أبي طالب ؟** } فقبل

هو يشتكي عينيه أصيب برمذ قال : { فأرسلوا إليه } فأتي به فبصق في عينه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع في هذا دليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأيضاً منقبة للإمام علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه فأعطاه الراية والمراد بالراية العلم وسمي راية لأنه يرى من مكان بعيد فيكون علامة على الجيش أنهم في المكان الفلاني وإلى الآن لا يزال يسمى راية وهكذا أيضاً يوم القيامة يسمى أيضاً لواء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال نبينا صلى الله عليه وسلم : { يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة من عند إسته . أي من قبل دبره . يقال : هذه غدره فلان بن فلان } ( ٤ ) أجازنا الله وإياكم من ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام } هذا هو موطن الشاهد من الحديث ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه { والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً } والمراد بالهداية هاهنا هداية الدلالة والإرشاد لا هداية التوفيق والإلهام فإن هداية التوفيق والإلهام من اختصاص الله سبحانه وتعالى { فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم } وحمر تقرأ بضم الحاء المهملة وسكون الميم حمر والمراد بالنعم الإبل وخصت بهذا لأنها من أنفس أموال العرب آنذاك ولا يجوز أن تقرأ حمر النعم فإن الحمر مفرداً حمار كما قال الله عز وجل : (( فما لهم عن التذكرة معرضين

<sup>١</sup> - مسلم (١٨٠٧) وأحمد (١٦٥٨٦) وابن حبان (٦٩٣٥) والحاكم (٤٣٤٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٨١٢٦) .

<sup>٢</sup> الشورى (١١) .

<sup>٣</sup> - مسلم (٢٤٠٥) وابن حبان (٦٩٣٤) وشعب الإيمان (٧٨) .

<sup>٤</sup> - مسلم (١٧٣٥) ومسند عبد بن حميد (٧٥٤) ومسند ابن الجعد (١٥٦٥) والمنتهى لابن جارود (١٠٥٣) .

كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة )) ( ١ ) فهذا أيضا فيه شرف للإمام علي رضي الله تعالى عنه والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب القاعدة الأصولية التفسيرية المعروفة فيكون هذا أيضا شرف للدعاة إلى الله الذين يهتمهم الدعوة إلى التوحيد الدعوة إلى نبد الشرك والخرافة والكهانة والبدع والمعاصي فالله سبحانه وتعالى إن هدى على يديك رجلا واحدا فهو خير لك من حمر النعم خير لك من الذهب والفضة والدينار والدولار خير لك من الدنيا بأسرها لأنك تدعو إلى الله سبحانه وتعالى فإذا هديت رجلا كان لك مثل أجره لا ينقص ذلك من أجره يوم القيامة أسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى والله أعلم .

### باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى : (( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب )) ( ٢ ) .

فيقول الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله :

### باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

أما قوله باب فالباب يستخدم لما يدخل ويخرج منه من الشيء وإلى الشيء ، وأما في اصطلاح المؤلفين : فهو عبارة عن جملة علمية مختصة من الكتاب ، قوله : تفسير ، التفسير في اللغة بمعنى الكشف والإيضاح التفسير في لغة العرب بمعنى الكشف والإيضاح مأخوذ من قولهم : فسرت الثمرة قشرها إذا أخرجته وقوله : التوحيد فهو مضاف إلى كلمة تفسير يريد أن يفسره وأن يبينه فالتوحيد مادة وحد الواو والحاء والdal تدل على الإنفراد والتوحيد معناه إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، والتوحيد قد ذكره نبينا صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث من ذلك حديث معاذ بن جبل لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال : { فادعوهم إلى أن يوحدوا الله } ( ٣ ) وفي حديث طارق بن أشيم : { من وحد الله وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله } ( ٤ ) والحديث في صحيح

١ - المدثر ( ٤٩ - ٥١ ) .

٢ - الإسراء ( ٥٧ ) .

٣ - البخاري ( ٦٩٣٧ ) .

٤ - مسلم ( ٢٣ ) وأحمد ( ٢٧٢٥٥ ) ( ٢٧٢٥٦ ) وابن حبان ( ١٧١ ) والمعجم الكبير ( ٨١٩٢ ) ( ٨١٩٤ ) ومصنف ابن أبي شيبة ( ٢٨٩٣٥ ) .

الإمام مسلم والتوحيد أعظم ما أمر الله به ونقيضه الشرك أعظم ما نهى الله عنه قال سبحانه : (( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )) ( ١ ) والناس في التوحيد ثلاثة أقسام :

قسم موحد لله وهم المؤمنون الخالص ، والقسم الثاني : قوم مشركون بالله هم كفار يجحدون الله ويجحدون كلامه ويجحدون دينه فهؤلاء يقال عنهم الشيوعيون أو الملاحدة ، والقسم الثالث : قوم يعبدون الله ويشركون معه في العبادة يشركون غيره في العبادة وهؤلاء يكون مآلهم إلى القسم الثاني لأن الله سبحانه وتعالى طالب منا أن لا نشرك به شيئا قال سبحانه : (( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه )) ( ٢ ) وقال تبارك وتعالى حاكيا على لسان العبد الصالح : (( يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم )) ( ٣ ) ، والتوحيد هو صمام أمان ، صمام أمان للناس في هذه الدنيا والآخرة .

قوله : تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله الشهادة بمعنى الإخبار شهدت أي أخبرت بالشيء عن علم ويقين وهذا يقولون العلماء : إنه من عطف الدال على المدلول وفي كلام طيب نقلته حاولت أن أقرأه بنصه فيما يتعلق بهاتين اللفظتين وما كان لهما من المجاورة يقول الدكتور الفوزان كما في كتابه صفحة ١٢٣ قال :

هذا من عطف الدال على المدلول ، المدلول هو التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو الدال لأن شهادة أن لا إله إلا الله تدل على التوحيد فهو من عطف الدال على المدلول قال : والشيخ رحمه الله جمع بينهما في الترجمة ليبين أن معناهما واحد فمعنى التوحيد هو لا إله إلا الله ومعنى لا إله إلا الله هو التوحيد من أجل أن لا يخفى هذا على أحد فيظن أن التوحيد غير لا إله إلا الله بل هما شيء واحد فهذا معنى جمع الشيخ رحمه الله بين اللفظتين في الترجمة إلى آخر ما ذكر حفظه الله .

ولا إله إلا الله معناها : لا معبود بحق إلا الله وإن عبد غيره فباطل قال سبحانه : (( ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير )) ( ٤ ) وهي تتضمن ركنين أساسيين هما النفي والإثبات لا إله نفي محض إلا الله إثبات الألوهية الحققة لله سبحانه وتعالى ولها سبعة شروط كما قد تقدم لكم في دروس ماضية على حد قول الناظم :

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

ولها فضل عظيم كما قد ذكره المؤلف في باب بعد هذا فيما يتعلق باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب سوف ترونه في الكتاب إن شاء الله .

قال : باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وقول الله تعالى : (( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا )) قبل هذه الآية : (( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً )) ( ٥ ) ثم قال : (( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم )) وفي قوله

١ - النحل ( ٣٦ ) .  
٢ - الإسراء ( ٢٣ ) .  
٣ - لقمان ( ١٣ ) .  
٤ - الحج ( ٦٢ ) .  
٥ - الإسراء ( ٥٦ ) .

: (( أولئك )) يعود على الملائكة والأنبياء والصالحين الذين يدعون من دون الله فتأمل إلى لفظ القرآن وكيف أنكر الرحمن على هؤلاء المشركين وبين سفاهة عقولهم وركاكتها وضعفها وأنهم ما استخدموا عقولهم حينما استغاثوا والتجئوا إلى غيره والمستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

قال سبحانه : (( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه )) يعني من دون الله (( فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً )) ثم قال : (( أولئك )) هذا اسم إشارة يعود إلى الملائكة والنبیین والصالحين قال : (( أولئك الذين يدعون )) من يدعون ؟ يدعون الله سبحانه وتعالى (( يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة )) يعني كيف أنتم تطلبون دفع ضرر أو جلب نفع ممن هو أصلاً يحتاج من الله سبحانه وتعالى ويسأله رحمته يرجو رحمة الله ويخاف من عذابه (( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً )) وهؤلاء كانوا في الزمن القديم يدعون بعضهم الشمس وبعضهم القمر وبعضهم الملائكة وبعضهم النجوم وبعضهم الأصنام (( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتوهن أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان )) ( ١ ) وهكذا في هذا الزمان منهم من يدعو ابن علوان وأبا طير والخمسة يستغيثون بغير الله وهكذا بعضهم ربما استغاث برسول الله كما في قصيدة البردة :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به  
سواك عند حلول الحادث العمم  
إن لم تكن آخذاً يوم المعاد يدي  
فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم  
فإن من جودك الدنيا وضررتها  
ومن علومك علم اللوح والقلم

فالله تبارك وتعالى أنكر على هؤلاء المشركين ، أنكر كيف أنتم تدعون من لا ينفع ولا يضر وفي آية أخرى يقول سبحانه : (( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين )) ( ٢ ) وقال سبحانه : (( إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير )) ( ٣ ) وفي قوله : (( يبتغون )) أي يبغون وفي قوله : (( الوسيلة )) المراد بالوسيلة القربة ويطلبون من الله سبحانه وتعالى ما يوصلهم إليه وهذا يكون دعاء المسألة وقد يكون أيضاً من دعاء العبادة .

١ - النجم ( ١٩ - ٢٣ ) .

٢ - الأحقاف ( ٥ - ٦ ) .

٣ - فاطر ( ١٤ ) .

وقوله : (( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله )) ( ١ )

ثم قال رحمه الله تعالى : وقوله : (( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله )) وحتى لا يحوجنا أن نعود للآية التي ذكرها بعد الترجمة المراد بذلك أنه لا يكمل توحيد عبدٍ ولا تنفعه شهادة أن لا إله إلا الله حتى يخلص عبادته لله دعاءً ورجاءً واستغاثةً بالله سبحانه وتعالى (( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين )) ( ٢ ) أما قوله سبحانه وتعالى : (( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله )) فهو في إخبار عن أحوال النصارى وما كان عندهم من التقديس لقساوستهم وبطارقتهم وأنهم يؤلهونهم من دون الله وقد جاء عند هذه الآية حديث عدي بن حاتم لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عنقه صليب قال : { ألق هذا الوثن أو الصنم عن عنقك } ثم تلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية (( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله )) قال : ما عبدوهم يا رسول الله قال : { أليس إذا حرموا عليكم شيئاً حرمتموه وإذا أحلوا لكم شيئاً استحلتتموه ؟ } قال : بلى قال

١ - التوبة ( ٣١ ) .  
٢ - الأنعام ( ١٦٢ - ١٦٣ ) .



: { تلك عبادتكم إياهم } ( ١ ) والأخبار جمع خبر وهم علماء اليهود وهكذا أيضاً عباد النصارى ويقال للعالم خبر ويقال له أيضاً بحر لكثرة علمه والآية وإن كانت خاصة في أهل الكتاب لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقد قال سفيان بن عيينة رحمه الله : إن من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى ، وعند قوله تبارك وتعالى في آيات كثيرة : (( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة )) ( ٢ ) وهكذا (( من بعد ما جاءتهم البينات )) ( ٣ ) (( من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم )) ( ٤ ) يعني ما حصل عندهم الفوضى والدغل والإختلاف إلا حينما كثرت علومهم ذكر ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى عند هذه الآية ذكر كثيراً منها قول ابن عمر الصحابي الجليل قال : [ الحسد والبغضاء ] فإذا دب الحسد والبغضاء بين العلماء أو بين طلاب العلم أو بين المجتمع بين الأسرة أعوذ بالله يفتت وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث : { دب إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء لا أقول حائلة الشعر ولكنها حائلة الدين } ( ٥ ) فالله تبارك وتعالى ينكر ما كان من حال اليهود وكذلك أيضاً النصارى وهكذا أيضاً فيما يتعلق بنا نحن يجب أن لا نطيع علماءنا أو مشايخنا أو حكامنا إلا في حدود طاعة الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إنما الطاعة بالمعروف } ( ٦ ) فنحن نطيع الحاكم فيما أطاع الله وإن أمرنا بمعصية الله فلسنا مستعدين أن ننفذ أمره ونترك أمر الله سبحانه وتعالى فلا ينبغي للناس أن يقدسوا أو يرفعوا أحداً عن منزلته حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال : { لا تطروني كما طرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله } ( ٧ ) فلذلك كان الاحتجاج والمراجعة والملاعنة اللعن الشديد بين التابع والمتبوع قال سبحانه : (( وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً )) ( ٨ ) وقال سبحانه : (( إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار )) ( ٩ ) وما يجر إلى هذا أمور كثيرة أعظمها وأبرزها المعاصي المعاصي والذنوب قال ابن المبارك :

وأيت الذنوب تميم القلوب	وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب	وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك	وأخبار سوء ورهبانها

فالواجب أن لا نرفع أحداً فوق منزلته وأن نعطي لكل شخص حقه الذي أراده الله سبحانه وتعالى وهكذا أيضاً يكون التعظيم والتقديس والطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمر الله بطاعته قال سبحانه :

١ - الترمذي (٣٠٩٥) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠١٣٧) وانظره في [ الحديث حجة بنفسه (٧٦ - ٧٧) ] للألباني رحمه الله .  
٢ - البينة (٤) .  
٣ - البقرة (٢١٣) والنساء (١٥٣) .  
٤ - آل عمران (١٩) ، والشورى (١٤) ، والجاثية (١٧) .  
٥ - حسن لغيره : أحمد (١٤١٢) ومسنند أبي يعلى (٦٦٩) ومسنند البزار (٢٢٣٢) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٨٥٤) وانظر صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني برقم (٢٦٩٥) .  
٦ - البخاري (٦٧٢٦) (٦٨٣٠) ومسلم (١٨٤٠) وأبو داود (٢٦٢٥) والنسائي (٤٢٠٥) وأحمد (٦٢٢) (٧٢٤) (١٠١٨) وابن حبان (٤٥٦٧) .  
٧ - البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) وسنن الدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) .  
٨ - الأحزاب (٦٧ - ٦٨) .  
٩ - البقرة (١٦٦ - ١٦٧) .

(( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )) ( ١ ) وقال سبحانه وتعالى :  
 (( وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول )) ( ٢ ) فمن حلل حراماً أو حرم حلالاً كان ذلك قادحاً في توحيده هذا معنى الآية الكريمة  
 الكريمة من حلل حراماً أو حرم حلالاً كان ذلك قدحاً في توحيده وأنه ما وحد الله حق توحيده فمن لوازم التوحيد أن تؤدي  
 الأعمال التي كلفت بها على الوجه الشرعي الصحيح تمثل الأمر والنهي من الله تبارك وتعالى .

**وقوله : (( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني )) ( ٣ )**

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى : وقوله سبحانه : (( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه  
 سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون )) ( ٤ ) وفي هذه الآية البراءة وهو التخلية التامة عمن كفر بالله ، عمن  
 عمن كان والعياذ بالله زنديقاً منافقاً مبتدعاً يعني ولاء وبراء كما قال سبحانه : (( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر  
 يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك الذين كتب في قلوبهم الإيمان  
 وأيدهم بروح منه )) ( ٥ ) فأمر الولاء والبراء أمر له أهميته في شريعتنا حتى ذكر صاحب كتاب الولاء والبراء القحطاني قال  
 قال : ما أحد من العلماء المتقدمين يعني زمن سفيان وأحمد بن حنبل والليث بن سعد والنضر بن شميل ما أحد ألف في  
 باب الولاء والبراء لأن هذا أمر كان معلوم من الدين بالضرورة ، الولاء والبراء أن لا تناصر إلا من نصر دين الله ، أن لا  
 تجامل من كان والعياذ بالله يغش المسلمين أو يصحح مذهب اليهود والنصارى أو القوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من

١ - الحشر ( ٧ ) .  
 ٢ - المائدة ( ٩٢ ) والتغابن ( ١٢ ) .  
 ٣ - الزخرف ( ٢٦ - ٢٧ ) .  
 ٤ - الزخرف ( ٢٦ - ٢٨ ) .  
 ٥ - المجادلة ( ٢٢ ) .

سلطان ، فلذلك يقول الله سبحانه وتعالى في مقدمة سورة الممتحنة : (( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم )) ( ١ ) هذا وإن كان لحاطب بن أبي بلتعة لكنه لعموم الناس (( لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير )) ( ٢ ) ثم قال : (( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده )) ( ٣ ) فلا بد كما يقول العلماء لا بد من التخلية قبل التحلية قبل أن يحل قلبك بالإيمان والتقوى واليقين والخير لا بد أن يزاح ما فيه من هذه الشوائب وهكذا فيما يتعلق بأمر الولاء والبراء من ناحية الحب والبغض في الله فلا ينبغي أن يكون الحب والبغض إلا من أجل الله لا ينبغي أن يكون عبارة عن انتقام أو من أجل دنيا أو من أجل كلمة نابية أو هناك حزازات وحساسيات وما شابه ذلك فإن المؤمن قلبه دائماً سليم للمؤمنين قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (( والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم )) ( ٤ ) فمن لم يتولى من تولى الله ويتبرأ ممن عادى الله كان ذلك قدحاً في توحيده ، كان ذلك نقصاً في شهادته أن لا إله إلا الله وكذلك شهادته أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر كثير من العلماء شرحاً طويلاً لهذه الآية المباركة ،

**وقوله : (( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله )) ( ٥ )**

ثم قال : وقوله سبحانه : (( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله )) قال العماد بن كثير رحمه الله : يذكر الله حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة حيث جعلوا لله أنداداً أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو لا ضد له ولا ند له ولا شريك له قال : وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : { أن تجعل لله نداً وهو خلقك } ( ٦ ) ( فيجب أن تكون محبة الله ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المقدمة على أنفسنا وعلى أزواجنا وعلى أموالنا وعلى سياراتنا وعلى أمورنا كلها حتى يكون حباً صحيحاً وهكذا أيضاً ينبغي أن تحب ما أحب الله وأن تبغض ما أبغض الله

١ - الممتحنة ( ١ - ٣ ) .

٢ - الممتحنة ( ٣ ) .

٣ - الممتحنة ( ٤ ) .

٤ - الحشر ( ١٠ ) .

٥ - البقرة ( ١٦٥ ) .

٦ - البخاري ( ٤٢٠٧ ) ( ٤٤٨٣ ) ( ٥٦٥٥ ) ( ٦٤٢٦ ) ( ٦٤٦٨ ) ( ٧٠٨٢ ) ( ٧٠٩٤ ) ومسلم ( ٨٦ ) وأبو داود ( ٢٣١٠ ) والترمذي ( ٣١٨٢ ) ( ٣١٨٣ ) .

تبارك وتعالى وأن تحب ما أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبغض ما أبغضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا كان هذا تناقضاً

يا مدعي حب طه لا تخالفه      الخلف يحرم في دنيا المحبين  
أراك تأخذ شيئاً من شريعته      وتترك البعض تدويناً وتهويناً  
خذها جميعاً تجد خيراً تفوز به      وإلا فاطرحها وخذ رجز الشياطينا

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل } ( ١ )

قال : وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل } على رأي المؤلف في كثير من الأحاديث يقول : في الصحيح فتارة يكون في الصحيحين وتارة يكون في البخاري وتارة يكون في مسلم وتارة يكون في الصحيح خارج الصحيحين ولكن هذا الحديث هو في صحيح مسلم والإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى عنده شيء من علم الحديث والمعرفة بالكتاب والسنة ولكنه كان رحمه الله تعالى كان مشغولاً بإقامة الحلقات والجهاد في سبيل الله والدعوة إلى التوحيد فرحمه الله رحمة واسعة ، وهذا الحديث الذي ذكره يعتبر تصديقاً لما تقدم من الآيات وهو في الصراحة أصرح قال : { من قال لا إله إلا الله وكفر

<sup>١</sup> - مسلم (٢٣) وأحمد (٢٧٢٥٥) (٢٧٢٥٦) وابن حبان (١٧١) والمعجم الكبير (٨١٩٢) (٨١٩٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٨٩٣٥) .

بما يعبد من دونه { بمعنى أنه لا تكون هذه الشهادة صحيحة حتى تكفر بما يعبد من دون الله وإلا كان توحيدك ناقصاً غير مقبول .

وشرح هذه الترجمة وما بعدها من الأبواب

فيه أكبر المسائل وأهمها وهي تفسير الشهادة وبينها بأمور واضحة :

منها : آية الإسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا الشرك هو الشرك الأكبر .  
ومنها : آية براءة بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إليهم .  
ومنها : قول الخليل عليه الصلاة والسلام : (( إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني )) فاستثنى من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاتة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال : (( وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون )) .

ومنها : آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم : (( وما هم بخارجين من النار )) ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام فكيف بمن أحب الند أكثر من حب الله ؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله ؟

ومنها : قول النبي صلى الله عليه وسلم : { من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله } وهذا من أعظم ما يبين معنى ( لا إله إلا الله ) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا أن يقر بذلك بل ولا كونه أن لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع .

رحمة الله على الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد كان متضلعا بعلم العقيدة والتوحيد وأقول : ما حصلت هذه البركة وهذا القبول له ولدعوته في زمانه وبعد زمانه إلا ببركة التوحيد نسأل الله سبحانه وتعالى أن يختم لنا بتوحيده وأن يخرجنا من هذه الدنيا على لا إله إلا الله وأن يحسن خاتمتنا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

### باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

### باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

قوله من الشرك من هاهنا تبعية كقولك أكلت من الرغيف أي بعضه لأن هذا الشرك في هذا الباب لبس الخيط أو الحلقة لرفع البلاء أو دفعه قد يكون شركاً أكبر أو شركاً أصغر فعلى حسب لا بسه واعتقاده فإن كان لا بأس للحلقة أو الخيط يعتقد اعتقاداً حازماً أنه إنما يرفع البلاء أو يدفعه بهذه الحلقة أو بهذا الخيط فهذا يكون قد أشرك شركاً أكبر يخرج من ملة الإسلام وغن كان يقول إنما يرفع البلاء هو الله سبحانه وتعالى وإنما هذا سبب فنقول هذه خرافة وأنت على شرك أصغر وعلى خطر ومسألة الأسباب هي أسباب شرعية وأسباب بدعية وهناك أسباب بدعية أما الأسباب الشرعية فهو

كالاستشفاء بالقرآن كما قال تعالى (( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين )) ( ١ ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد في سورة الفاتحة : { وما يدريك أنها رقية } وقال : { إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله } وذلك عندما نزل سعيد مع أصحابه في وادٍ فجاء بعض قومه فقالوا إن سيد القوم أي سيد الحي سليم أي لديغ وهذه عبارة تقولها العرب تفاؤل بالشفاء فهل نجد عندكم من راق قالوا والله لا نفعل حتى تجعلوا لنا قطعاً من غنم فاشتكت لهم شيئاً من الغنم فقام أبو سعيد يقرأ الفاتحة وينفث بها فأجازه النبي صلى الله عليه وسلم ( ٢ ) وقد كان جبريل يرقى النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : { بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن كل حاسدٍ إذا حسد } ( ٣ ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بقوله : { أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة } ( ٤ ) وجاء إليه رجل يشتكي قال : { ضع يدك على ما تألم من جسدك ثم قل بسم الله بسم الله بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات } ( ٥ ) واشتكى إليه رجل آخر فأخذ قليل من التراب ووضعته على الألفم وقال : { بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا تشفي سقيمنا بإذن ربنا } ( ٦ ) فهذه أسباب شرعية لرفع البلاء فالقرآن شفاء للقلوب والصدور ولا بد وأن للعالم عام مطلق قال تعالى : (( يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون )) ( ٧ ) هذه أسباب شرعية وحروز ربانية يدفع العبد بها عن نفسه البلاء جاء في حديث خولة بنت حكيم السلمية والمرأة الواهبة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

{ من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل } ( ٨ ) وجاء من حديث أبان بن عثمان عن عثمان أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ما من عبدٍ يقول ثلاثاً إذا أصبح وإذا أمسى : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم فلا يضره شيء } ثم التفت الراوي إلى أبان وقد أصيب بالفالج وهو الشلل النصفي قال له أبان ومما تعجب والله ما كذبت على عثمان ولا عثمان كذب على رسول الله ولكنني كنت يوماً غاضباً فلم أقل هذا الدعاء فأصبت بما ترى ( ٩ ) فجميع الأذكار أسباب شرعية جائز استعمالها وهناك أسباب حسية تلحق بالأسباب الشرعية على أن الذهاب بالبلاء هو الله كاستعمال المرطبات لاستطلاق البطن هذه أشياء عرفت بالتجارب فلا بأس باستخدامها وهي شبيهة بالفحوصات الطبية ثم تصرف أدوية فهذه أسباب شرعية تدرك بالتجارب على أنها سبب والشافى هو الله سبحانه وتعالى والناس في هذا الباب طرفان ووسط فنحن نجد أن الصوفية والخرافيين عندهم غلو في إثبات الأسباب فيتمسحون بآتربة الموتى ويتبركون ببقايا تفال مشائخهم يعتقدون هذا جائز وأنها أسباب شرعية وهناك من ينفي السبب وتأثيره على الجبرية والأشعرية الصحيح أنه يثبت السبب الشرعي أو الذي عن

١ - الإسراء ( ٨٢ ) .

٢ - البخاري ( ٥٤٠٥ ) وابن حبان ( ٥١٤٦ ) وسنن الدارقطني ( ٢٤٧ ) ( ٢٤٨ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٨٦٦ ) ( ١١٤٥٦ ) ( ١٤١٨٢ ) .

٣ - مسلم ( ٢١٨٦ ) والترمذي ( ٩٧٢ ) وابن ماجه ( ٣٥٢٣ ) ( ٣٥٢٤ ) ( ٣٥٢٧ ) وأحمد ( ٩٧٥٦ ) ( ١١٢٤١ ) ( ١١٥٥١ ) ( ١١٥٧٤ ) .

٤ - البخاري ( ٣١٩١ ) وأبو داود ( ٤٧٣٧ ) والترمذي ( ٢٠٦٠ ) وأحمد ( ٢١١٢ ) وابن حبان ( ١٠١٢ ) ( ١٠١٣ ) والحاكم ( ٤٧٨١ ) .

٥ - ( ٢٢٠٢ ) وابن حبان ( ٢٩٦٤ ) ( ٢٩٦٧ ) والمعجم الكبير ( ٨٣٤٢ ) وسنن النسائي الكبرى ( ١٠٨٣٩ ) .

٦ - البخاري ( ٥٤١٣ ) ( ٥٤١٤ ) ومسلم ( ٢١٩٤ ) وأبو داود ( ٣٨٩٥ ) وأحمد ( ٢٤٦٦١ ) وابن حبان ( ٢٩٧٣ ) ومسند أبي يعلى ( ٤٥٢٧ ) ( ٤٥٥٠ ) .

٧ - مصنف ابن أبي شيبة ( ٢٩٤٩٢ ) .

٨ - يونس ( ٥٦ - ٥٧ ) .

٩ - مسلم ( ٢٧٠٨ ) والترمذي ( ٣٤٣٧ ) وأحمد ( ٢٧١٦٩ ) ( ٢٧٣٥١ ) والدارمي ( ٢٦٨٠ ) وابن خزيمة ( ٢٥٦٦ ) .

٩ - صحيح : أبو داود ( ٥٠٨٨ ) والترمذي ( ٣٣٨٨ ) وابن ماجه ( ٣٨٦٩ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٢٣٩١ ) .



طريق التجربة والحس جائز استعماله بالشرع أو بالتجربة أما عن طريق الإلهام فيكون هذا من الخرافات الصوفية فلا ينبغي أن تفتح هذا الباب على الإطلاق وإنما نبقى على الأسباب الشرعية والأسباب الحسية وإن يكون الاعتقاد الجازم أنه سبحانه وتعالى هو الشافي وهو الطبيب كما جاء إحدى الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده معرفة بالطب قال : أنا طبيبه قال : { أنت رفيق والله الطبيب } ( ١ ) فمن أسماء الله الحسنى الطبيب ومن أسمائه الشافي ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي من جراء السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها إن الله قد شفاني وهكذا يقول إبراهيم خليل الرحمان : (( وإذا مرضت فهو يشفين )) ( ٢ ) ولا بد أن نستشعر هذا عند استخدام الدواء كضرب إبرة أو شرب مسحوق أي نوع من أنواع الأدوية أن نعتقد هذا اعتقادك أن الشفاء بيد الله وهذه إنما هي أسباب حسية أدركت بالتجارب فالله هو الذي يشفي وهو الذي يعافي نسأل منه أن يعافينا من كل بلاء قلبي أو بدني .

**وقول الله تعالى : (( قل أفأرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره )) ( ٣ )**

ثم استدلل المؤلف رحمه الله بقول الله تعالى (( قل أفأرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون )) استنبط من هذه الآيات الكريمة إنما إرادة الضر إنما هو بإرادة الله وكشفه كذلك بإرادة الله وإن سوى ذلك من الأصنام والأنداد وبقية المخلوقات لا تستطيع أن تقدم شيئاً ولا تمسكه .

قل حسبي الله أي الله كافي من توكل عليه كما قال هود عليه السلام : (( إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم )) ( ٤ ) قال مقاتل في معنى الآية فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا أي أنهم لا يعتقدون ذلك فيها وإنما كانوا يدعونها على أنها وسائط عند الله لا على أنهم يكشفون الضر ويجيبون دعاء

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود (٤٢٠٧) وأحمد (١٧٥٢٧) والمعجم الكبير (٧١٥) ومسنند الحميدي (٨٦٦) وانظر حديث رقم : ١٤٨١ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - الشعراء ( ٨٠ ) .

<sup>٣</sup> - الزمر ( ٣٨ ) .

<sup>٤</sup> - هود ( ٥٦ ) .

المضطر فهم يعلمون إن ذلك لله وحده كما قال تعالى : (( ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون )) ( ١ ) قال عبد الرحمن بن حسن . شارحاً هذه العبارة :

قلت فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في دفع ضرر أو جلب نفع وأن ذلك شركاً بالله وفيه بيان أن الله وسم أهل الشرك بدعوة غير الله ورغبة أهله لغير الله والتوحيد ضد ذاك وهو أنه لا يدعوا إلا الله ولا يرغب إلا إليه ولا يتوكل إلا عليه وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها لغير الله شيئاً كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة كما تقدم فالآية التي استشهد بها المؤلف رحمه الله تعالى خلاصتها أنه لا يمكن لأحد من البشر من الجن ولا من الإنس أن يدفع بلاء أو يرفعه أو يجلبه إلا بإرادة وإذن من الله سبحانه وتعالى ولهذا شواهد كثيرة منها قوله تعالى

(( وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله )) ( ٢ ) وقوله صلى الله عليه وسلم : (( واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك )) ( ٣ ) .

وعن عمران بن حصين وهو أبو نجيح صحابي جليل كانت الملائكة تسلم عليه كما في صحيح مسلم فلما اكتوى تركت الملائكة السلام عليه فلما ترك الاكتواء عادة الملائكة تسلم عليه مرة ثانية { ( ٤ ) } .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال : { ما هذه ؟ قال : من الواهنة ، فقال : انزعها ، فإنها لا تزيدك إلا وهناً فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً } رواه أحمد بسند لا بأس به ( ٥ ) .

وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً : { من تعلق تيممة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له } ( ٦ ) وفي رواية : { من تعلق تيممة فقد أشرك } ( ٧ ) .

ولابن أبي حاتم عن حذيفة : أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله : (( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون )) ( ٨ ) .

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .

١ - النحل ( ٥٣ - ٥٤ ) .

٢ - البقرة ( ١٠٢ ) .

٣ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .

٤ - مسلم ( ١٢٢٦ ) وأبو داود ( ٣٨٦٥ ) .

٥ - ضعيف : ابن ماجه ( ٣٥٣١ ) وأحمد ( ٢٠٠١٤ ) وابن حبان ( ٦٠٨٥ ) وانظر السلسلة الضعيفة برقم ( ١٠٢٩ ) .

٦ - ضعيف : أحمد ( ١٧٤٤٠ ) وأبو يعلى ( ١٧٥٩ ) وشرح معاني الآثار ( ٦٦٦٠ ) ومسند الشاميين ( ٢٣٤ ) و انظر حديث رقم : ٥٧٠٣ في ضعيف الجامع .

٧ - صحيح : أحمد ( ١٧٤٥٨ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٤٩٢ ) .

٨ - يوسف ( ١٠٦ ) .

الثانية : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح ، ففيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر .

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة : أنا لا تنفع في العاجلة بل تضر ، لقوله : { لا تزيدك إلا وهناً } .

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه .

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه في آية البقرة .

العاشرة : أن تعليق الودع عن العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ، أي ترك الله له .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجل في يده حلقة من صفر فقال ما هذا فقال من الواهنة قال له ارمها فإنها لا تزيدك إلا وهناً فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً )) رواه أحمد بسند لا بأس به والحديث بعضهم يصححه وبعضهم يضعه والصحيح أنه ضعيف لأن في سنده المبارك بن فضالة وهو مدلس تدليس التسوية والحديث ضعيف .

وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا أتم الله له } وفي رواية : { من علق تميمة فقد أشرك } .

أما { من تعلق تميمة فلا أتم الله له } فهذه الرواية ضعيفة في سندها مشرح بن هاعان وهو مجهول جهالة عين ضعيف وأما { من تعلق تميمة فقد أشرك } فهو صحيح صححه الألباني

ولابن أبي حاتم وهو عبد الرحمن بن أبي حاتم صاحب الجرح والتعديل والتفسير عن حذيفة وهو بن اليمان وهو صحابي جليل أنه رأى رجل في يده خيط من الحمى فقطعه وتلى هذه الآية (( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهو مشركون )) قال قوله في يده خيط من الحمى أي عن الحمى وكان الجهال يعلقون التمايم والخيوط ونحوها عند رفع الحمى وروى وكيع عن حذيفة أنه دخل على رجل يعودده فلمس عضده فإذا به خيط فقال ما هذا قال شيء أرقى إليه فيه قطعة وقال لو مت وهو فوقك ما صليت عليك وفيه إنكار مثل هذا وإن كان يعتقد أنه سبب فالأسباب لا تجوز إلا بما أباحها الله ورسوله مع عدم الاعتماد عليها وأما التمايم والحروز والطلاسم مما يعلقها الجهال فهو شرك يجب إنكاره وأما ما يتعلق بالأسباب البدعية وهي عبارة عن آيات وأحاديث يكتبها بعضهم أما أن يمحوها ويشرب وأما إن تعلق وقد تنازع في ذلك السلف وممن أجازها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وبعض أهل العلم يعد هذا من الابتداع فيكون هذا من الحروز إن كان فيها استعانة بالجن أو نحوها عقيدة شركية فإن كانت من القرآن كتابة أو محواً أو تعليقاً بدعية

وأما الحروز الشرعية فهو ما تقدم من أذكار الصباح والمساء والنوم والاستيقاظ على حسب الوقائع إذا دخل البيت أو المسجد أو نحوه وتلا قوله (( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهو مشركون )) استدل حذيفة بالآية على أن هذا شرك قال ففي صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزله الله بالشرك الأكبر بشمول الآية ودخولها في مسمى الشرك وتقدم على هذه الآية كلام في كلام شيخ الإسلام بن تيمية وغيره والله أعلم وفي هذا حرص الصحابة على علمهم في التوحيد وبيان ما ينفيه أو ينافي كلامه هذا والله أعلم والباب الذي بعده متعلق به .

### باب ما جاء في الرقى والتمايم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً : { أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت } ( ١ ) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إن الرقى والتمايم والتولة شرك } رواه أحمد وأبو داود ( ٢ ) . وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : { من تعلق شيئاً وكل إليه } رواه أحمد والترمذي ( ٣ ) . ( التمايم ) : شيء يعلق على الأولاد من العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه . و ( الرقى ) : هي التي تسمى العزائم ، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة .

<sup>١</sup> - البخاري (٢٨٤٣) .

<sup>٢</sup> - صحيح : أبو داود (٣٨٨٣) وابن حبان (٦٠٩٠) والمعجم الكبير (١٠٥٠٣) ومسند أبي يعلى (٥٢٠٨) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٣٨٧) وأحمد (٣٦١٥) وانظر حديث رقم : ١٦٣٢ في صحيح الجامع .

<sup>٣</sup> - ضعيف : الترمذي (٢٠٧٢) والنسائي (٤٠٧٩) وأحمد (١٨٨٠٣) والحاكم (٧٥٠٣) والمعجم الأوسط (١٤٦٩) وانظر حديث رقم : ٥٧٠٢ في ضعيف الجامع .

و ( التولة ) : هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحجب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته .  
 وروى الإمام أحمد عن رويغ رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : { يا رويغ لعل الحياة ستطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجد برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه } ( ١ ) .  
 وعن سعيد بن جبير قال : [ من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة ] رواه وكيع .  
 وله عن إبراهيم : [ كانوا يكرهون التمام كلها من القرآن وغير القرآن ] ( ٢ ) .  
 فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتمايم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك .

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء : هل هي من ذلك ، أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب من العين من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وتراً .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .

التاسعة : أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

### باب ما جاء في الرقى والتمايم

أما كلمة باب :

لغة : لما يدخل ويخرج منه

اصطلاحاً : اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب فنقول هذا الكتاب عدة أبواب وهو فوق الفصل ودون الكتاب لان الكتاب اسم جنس وقوله ما جاء ما هاهنا موصولة بمعنى الذي وجاء فعل ماضي قوله في الرقى أي ما جاء في هذا الباب من الآيات والأحاديث من الآثار وأقوال الصحابة والتابعين ما جاء في الرقى والتمايم والرقى جمع رقية فيقال رقى عليه بالألف من القراءة ورقى بالياء من الصعود { يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها } ( ٣ ) والرقى جائزة ولكن بشروط كما ذكر ذلك بن حجر في فتح الباري الجزء العاشر صفحه رقم ( ١٦٦ ) قال أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود (٣٦) والنسائي (٥٠٦٧) وأحمد (١٧٠٣٦) (١٧٠٣٧) (١٧٠٤١) والمعجم الكبير (٤٤٩١) وسنن البيهقي الكبرى (٥٣٣) وسنن

النسائي الكبرى (٩٣٣٦) وانظر صحيح سنن أبي داود (٢٧) .

<sup>٢</sup> - ابن أبي شيبة (٢٣٤٦٧) .

<sup>٣</sup> - صحيح : أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤) وأحمد (٦٧٩٩) (١٠٠٨٩) وابن حبان (٧٦٦) وانظر حديث رقم : ٨١٢٢ في صحيح الجامع .

١. الشرط الأول : أن يكون بالله أو بأسم من أسماء الله أو صفه من صفاته أو من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من أذكاره ودعاء مثال { بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر حاسد إذا حسد } ( ١ ) وقوله : { بسم الله تربة أرضنا بريق بعضنا تشفي سقيمنا يا ذن ربنا } ( ٢ ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين وقال : { إن أباكم إبراهيم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لأمه } ( ٣ ) وأيضاً ما جاء من حديث خولة بنت حكيم السلمية في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من مكانه } ( ٤ ) فإذا كانت الرقى بالقرآن من القرآن أو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاعتقاد حاصل فيحصل الشفاء بإذن الله لأن الله تعالى يقول : (( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً )) ( ٥ ) فالقرآن والأدعية النبوية شفاء .

٢. الشرط الثاني : أن تكون هذه الرقى باللسان العربي وأن يكون كلامه مفهوماً لا من كلام العجم أو بالتمتمة لا يعرف معناها وهذا حاصل عند المشعوذين المغفلين .

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد حكم عليه أن يدفع غرة وهي الجناية التي تكون في بطن المرأة قال يا رسول الله كيف ندى وكان الرجل متكلاً كيف ندي أي كيف ندفع دية من لم يستهل ولا أكل ولا شرب فإن مثل هذا يطل أي

يهدر فقال صلى الله عليه وسلم : { إن هذا سجع كسجع إخوان الكهنة } ( ٦ ) فلا بد أن تكون بالعربي .

٣. الشرط الثالث : أن لا يعتقد أنها مؤثرة بنفسها لأنها عبارة عن سبب والله هو الشافي وزاد بعض العلماء أن لا يكون فيها شرك واستدلوا بحديث عوف بن مالك في صحيح مسلم أنه قال رضي الله عنه كنا في الجاهلية نرقي فقلنا يا رسول الله كيف ترى ذاك فقال اعرض علي رقاكم فإنه لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك ومن هذا الحديث استفاد العلماء واستنبط على أن الرقى ليست توقيفية .

ويبدو أن هذا الباب غير مكتمل

١ - مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢) وابن ماجه (٣٥٢٣) (٣٥٢٤) (٣٥٢٧) وأحمد (٩٧٥٦) (١١٢٤١) (١١٥٥١) (١١٥٧٤) وغيرهم .  
٢ - البخاري (٥٤١٣) (٥٤١٤) ومسلم (٢١٩٤) وأبو داود (٣٨٩٥) وأحمد (٢٤٦٦١) وابن حبان (٢٩٧٣) ومسنده أبي يعلى (٤٥٢٧) (٤٥٥٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٩٢) .  
٣ - البخاري (٣١٩١) وأبو داود (٤٧٣٧) والترمذي (٢٠٦٠) وأحمد (٢١١٢) وابن حبان (١٠١٢) (١٠١٣) والحاكم (٤٧٨١) .  
٤ - مسلم (٢٧٠٨) والترمذي (٣٤٣٧) وأحمد (٢٧١٦٩) (٢٧٣٥١) والدارمي (٢٦٨٠) وابن خزيمة (٢٥٦٦) .  
٥ - الإسراء ( ٨٢ ) .  
٦ - مسلم (١٦٨٢) وأبو داود (٤٥٦٨) والنسائي (٤٨٢١) (٤٨٢٢) (٤٨٢٣) (٤٨٢٥) (٤٨٢٦) (٤٨٢٧) (٤٨٢٨) وأحمد (١٨١٦٣) (١٨١٧٤) (١٨٢٠٢) وابن حبان (٦٠١٦) .

## باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : (( أفأرأيتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الأخرى )) ( ١ )

قال المؤلف شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله :

## باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

أما ما يتعلق بتفسير كلمة باب فقد تقدمت لنا مرارا تفسير ذلك لغة واصطلاحا .  
وفي قوله : تبرك ، بمعنى تفعل من البركة وهو كثرة الخير ونماؤه وثبوته وهذا مأخوذ من البركة بالكسر والبركة مجمع الماء ومجمع الماء يمتاز بأمرين اثنين :

الأول : الثبوت ، والثاني : الكثرة هذا من حيث تعريف البركة أو التبرك لغة واصطلاحا .  
وطلب البركة التبرك طلب البركة ، وطلب البركة لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى لا يطلب البركة من الصنم ولا من المقبورين ولا من الأنداد والأوثان وإنما يطلب من الله الواحد القهار وإذا أذن الله سبحانه وتعالى لنزول البركة تم ذلك الأمر بإذن من الله الواحد الأحد وكل شيء إن بارك الله فيه نفع فالمال بركته من الله العلم بركته من الله الصحة والعافية والولد

<sup>١</sup> - النجم ( ١٩ - ٢٠ ) .



والهدوء والطمأنينة هذه كلها بركات وقد امتن الله عز وجل على أهل الإيمان إن أقاموا الشريعة أن يبارك لهم قال الله سبحانه وتعالى : (( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض )) ( ١ ) وهكذا نبينا صلى الله عليه وسلم كان يطلب من ربه البركة أن يبارك له في أتباعه وفي ذاته وفي حياته ومماته فقد جاء من حديث كعب بن عجرة أنه لقي عبد الرحمن بن أبي ليلى فقال له : **ألا أهدي لك هدية ؟** قال : بلى قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك **فكيف نصلي عليك ؟** قال : { قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد } ( ٢ ) وهكذا في إلقاء السلام إذا قال العبد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أو : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وهكذا لما نظر بعض الصحابة سهل بن حنيف وكان أبيض شديد البياض فقال : ولا جلد مخبأة عذراء أفضل من هذا الجلد فإذا به يفحص برجله وأشرف من الموت فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { هلا بركت إذ رأيت ما يعجبك } ( ٣ ) بمعنى أن تقول : ما شاء الله بارك الله ولما طلب سعد بن الربيع من عبد الرحمن بن عوف حينما قدم المدينة فقيرا أن يعطيه شطر المال ويطلق إحدى زوجاته فإذا حلت تزوجها عبد الرحمن قال له : بارك الله لك في أهلك ومالك ( ٤ ) ، ولما جاء إبراهيم خليل الرحمن يتفقد تركته إسماعيل ذلكم النبي الصديق الذي عناه الله بقوله : (( واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا )) ( ٥ ) سأل إبراهيم عن أحوال بيت إسماعيل فقالت له الزوجة : نحن في بئس الحال ، بئس الحال نحن في ضيق وشدة قال لها : إذا جاء إبراهيم أقرئني مني السلام وقولي له : فليغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل قالت له : جاء رجل شيخ كبير على هيئة كذا ويقرئك السلام ويقول : غير عتبة بابك قال : ذاك أبي وأنت العتبة فالحقي بأهلك وطلقها ثم تزوج امرأة أخرى من قبيلة جرهم فلما جاء إبراهيم سائلا عن الحال قالت له : نحن في خير وفي دعة وأثنت على الله خيرا كثيرا قال : إذا جاء إسماعيل أقرئني مني السلام وقولي له : ليثبت عتبة بابه وقد دعا لهم بالبركة قال إبراهيم لتلك المرأة : **ما طعامكم ؟** قالت : اللحم والماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ وليس في مكة يومئذ حب قال إبراهيم : اللهم بارك لهم في الماء واللحم قال النبي صلى الله عليه وسلم : وما خلى بهما رجل في غير مكة إلا لم يوافقاه } ( ٦ ) إن أكلت لحما وماء في مكة الأمر طبعي لا تصاب بشيء من الإسهال ولا إمساك ولا أمراض فإن كنت في غير مكة لم يتوافق معك ذلك ببركة دعاء إبراهيم خليل الرحمن وعلى الشخص أن يعلم أن الله عز وجل إن أحبه بارك له في حاله وماله ووقته وإن أبغضه فو الله لا أرى عقوبة أشد من أن تضع أوقاته وحياته سدى ، والتبرك على قسمين :

١ - الأعراف ( ٩٦ ) .  
٢ - البخاري ( ٣١٩٠ ) ( ٥٩٩٦ ) ومسلم ( ٤٠٦ ) والنسائي ( ١٢٨٩ ) وابن ماجه ( ٩٠٤ ) وأحمد ( ١٨١٣٠ ) وسنن الدارمي ( ١٨١٣٠ ) .  
٣ - صحيح : ابن ماجه ( ٣٥٠٩ ) وأحمد ( ١٦٠٢٣ ) وابن حبان ( ٦١٠٦ ) والمعجم الكبير ( ٥٥٧٥ ) ( ٥٥٧٨ ) ( ٥٥٧٩ ) ( ٥٥٨١ ) وانظر مشكاة المصابيح للعلامة الألباني ( ٤٥٦٢ ) .  
٤ - البخاري ( ١٩٤٤ ) ( ٣٥٦٩ ) ( ٣٧٢٢ ) والترمذي ( ١٩٣٣ ) والنسائي ( ٣٣٨٨ ) وأحمد ( ١٢٩٩٩ ) ( ١٣١٤٥ ) ( ١٣٨٩٠ ) .  
٥ - مريم ( ٥٤ - ٥٥ ) .  
٦ - البخاري ( ٣١٨٤ ) ومصنف عبد الرزاق ( ٩١٠٧ ) .

تبرك مشروع وتبرك ممنوع فالتبرك المشروع ما كان بأمر شرعي كالتبرك بالقرآن قال الله : (( كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب )) ( ١ ) وكالتبرك بسورة البقرة وآل عمران حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيع لها البطلة } ( ٢ ) فالتبرك بالقرآن تلاوة وتعلما واستجارا لقوله صلى الله عليه وسلم : { اقرءوا القرآن واسألوا الله به فإنه يأتي قوم يقرءونه يتعجلونه ولا يتأجلونه } ( ٣ ) ويقول عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة صدي بن عجلان :

{ اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه } ( ٤ ) ومن قرأ حرفا من كتاب الله كان له عشر حسنات لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف { ( ٥ ) وأخذ القرآن لترفع الجهل عن نفسك ولتضيء بنور الله (( يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون )) ( ٦ ) وإقامة حلقات التعليم حلقات القرآن إيانا جميعا أن نستعين بهذا الأمر إن كان عندك ثلاثة أو أربعة أطفال صغار تعلمهم القرآن بركة قال النبي صلى الله عليه وسلم : { وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله { والحديث في هذا خرج مخرج الغالب وإلا سواء في بيتك أو في المسجد أو في المدرسة أو في الشارع أو تحت شجرة فيأخذ هذه الأحكام } إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده } ( ٧ ) { وينادي مناد أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات } ( ٨ ) و { هم القوم لا يشقى بهم جليسهم } ( ٩ ) هذا هذا خير عظيم يوم أن توطن نفسك على حب الخير وعلى إيصال الخير إلى الناس من طريق القرآن ، من حديث عثمان في صحيح البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم : { خيركم من تعلم القرآن وعلمه } ( ١٠ ) خير الناس ويقول صلى الله عليه وسلم : { لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل و النهار } ( ١١ ) التبرك بالأمكنة كالمساجد الثلاثة الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وفي المسجد النبوي بألف صلاة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة فلا بأس أن تبرك لا أقول تبرك بالأحجار لا وإنما تبرك بالصلاة بالمسجد الحرام لكن الخرافيون يذهبون إلى هناك يقبلون الأحجار ويضعون صدورهم على الحجر والنبي صلى الله عليه وسلم إنما قبل الحجر ويقول عمر وهو يقبل الحجر : [ والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت

١ - ص ٢٩ .  
 ٢ - مسلم ( ٨٠٤ ) وأحمد ( ٢٢٢٤٧ ) ( ٢٢٢٦٧ ) ( ٢٣٠٩٩ ) والمعجم الكبير ( ٧٥٤٢ ) ( ١١٨٤٤ ) والمعجم الأوسط ( ١٦٣٠ ) ( ٨٨٢٣ ) ومسند الشاميين ( ٢٨٦٢ ) .  
 ٣ - صحيح : أحمد ( ١٤٨٩٨ ) ومسند أبي يعلى ( ٢١٩٧ ) ومصنف ابن أبي شيبة ( ٣٠٠٠٤ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٢٥٩ ) .  
 ٤ - مسلم ( ٨٠٤ ) والمعجم الأوسط ( ٤٦٨ ) وشعب الإيمان ( ٢٣٧٢ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٣٨٦٢ ) .  
 ٥ - صحيح : الترمذي ( ٢٩١٠ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٣٣٢٧ ) .  
 ٦ - يونس ( ٥٧ - ٥٨ ) .  
 ٧ - مسلم ( ٢٦٩٩ ) وابن ماجه ( ٢٢٥ ) وأحمد ( ٧٤٢١ ) .  
 ٨ - صحيح : أحمد ( ١٢٤٧٦ ) والطبراني في الأوسط ( ١٥٥٦ ) وأبو يعلى ( ٤١٤١ ) وابن أبي شيبة ( ٢٩٤٧٧ ) والبيهقي في شعب الإيمان ( ٥٣٤ ) ( ٦٩٤ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٢٢١٠ ) .  
 ٩ - مسلم ( ٢٦٨٩ ) وأحمد ( ٧٤١٨ ) ( ٨٩٦٠ ) والحاكم ( ١٨٢١ ) والطبراني في الصغير ( ١٠٧٤ ) .  
 ١٠ - البخاري ( ٤٧٣٩ ) وأبو داود ( ١٤٥٢ ) والترمذي ( ٢٩٠٧ ) ( ٢٩٠٩ ) وأحمد ( ٥٠٠ ) والدارمي ( ٣٣٣٧ ) وابن حبان ( ١١٨ ) .  
 ١١ - البخاري ( ٤٧٣٨ ) ( ٧٠٩١ ) ومسلم ( ٨١٥ ) والترمذي ( ١٩٣٦ ) وأحمد ( ٤٥٥٠ ) ( ١٠٢١٨ )

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما قبلتك [ (١) ] كذلك أيضا التبرك بالأزمنة كالتيبرك بشهر رمضان قال سبحانه : (( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان )) (٢) ويقول صلى الله عليه وسلم : { ثلاثة لا ترد لهم دعوة ومنهم الصائم عند فطره } (٣) وكذلك ليلة القدر يقول سبحانه : (( إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر )) (٤) تعظيم وتفخيم لشأنها وليلة القدر قيل : مأخوذ من القدر الذي هو بمعنى الشرف والرفعة أنها ليلة شريفة وقيل : من التقدير ولا بأس أن تشمل الأمرين ليلة ذات شرف ورفعة وليلة تقدر فيها مقادير الخلائق لمدة عام (( ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر )) (٥) مسلمة من كل سوء وجاء في بعض الآثار أنها ليلة بلجة لا حارة ولا باردة ولا يرمى فيها بشهب وتطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها والثالث الأخير من الليل تنال البركة في ذلك الوقت لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن في الليل ساعة } حديث جابر في صحيح مسلم { إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة } (٦) وهذا على وجه العموم وجاء حديث { أن الله سبحانه وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا في الثالث الأخير من الليل فيقول : هل من داع فأعطيه ؟ هل من داع فاستجب له هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ } (٧) وحديث أبي موسى في صحيح مسلم : { إن الله ييسر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها } (٨) والتماس البركة يوم الجمعة لا سيما آخر ساعة منها جاء من حديث أوس بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه النفخة والصعقة فأكثروا علي من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي قالوا : كيف تعرض عليك صلاتنا يا رسول الله وقد أرمت ؟ أي بليت قال : أما علمتم أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء } (٩) ويوم عرفة يوم عظيم يطلع الله على أهل الموقف على أهل عرفات شعنا غبرا كما في الحديث الصحيح فيباهي بهم ملائكة وفي حديث آخر : أهل السماء ويقول : { أشهدكم أنني قد غفرت لهم } (١٠) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { أفضل ما قلت أنا والنبيون يوم عرفة لا إله إلا الله } (١١) فهذا يوم عظيم فيتبرك الشخص بمثل هذه النفحات والفرص الذهبية في مثل هذه الأوقات المباركة ، ومن ذلك أيضا التبرك بالأطعمة وبعض الأطعمة وبعض الأشربة كالتيبرك مثلا بالعتسل أن الله عز وجل يقول : (( فيه شفاء للناس )) (١٢) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :

١ - البخاري (١٥٢٠) (١٥٣٢) ومسلم (١٢٧٠) وأبو داود (١٨٧٣) والنسائي (٢٩٣٧) (٢٩٣٨) وابن ماجه (٢٩٤٣) وأحمد (٩٩) (٢٢٦) (٣٢٥)

(٣٨٠) (٣٨١).

٢ - البقرة (١٨٥) .

٣ - صحيح : الترمذي (٢٥٢٦) وابن حبان (٧٣٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٠١) .

٤ - القدر (١ - ٢) .

٥ - القدر (٣ - آخر السورة) .

٦ - مسلم (٧٥٧) .

٧ - صحيح : أحمد (١٦٧٩١) (١٦٧٩٣) والدارمي (١٤٨٠) والطبراني في الكبير (١٥٦٦) (٨٣٧٣) وأبو يعلى (٥٩٣٦) (٧٤٠٨) وانظر حديث رقم :

٨١٦٧ في صحيح الجامع .

٨ - مسلم (٢٧٥٩) وأحمد (١٩٥٤٧) (١٩٦٣٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠٧٥) وسنن البيهقي الكبرى (١٦٢٨١) (٢٠٥٥٥) ومسند عبد بن حميد

(٥٦٢) .

٩ - صحيح : أبو داود (١٠٤٧) (١٥٣١) والنسائي (١٣٧٤) وابن ماجه (١٠٨٥) (١٦٣٦) (١٦٣٧) وأحمد (١٦٢٠٧) والدارمي (١٥٧٢) وانظر

حديث رقم : ٢٢١٢ في صحيح الجامع .

١٠ - حسن : ابن حبان (١٨٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٦٨) وانظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (١١٥٥) .

١١ - صحيح : الموطأ (٥٠٠) (٩٤٥) وسنن البيهقي الكبرى (٨١٧٤) (٩٢٥٦) وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٠٣) .

١٢ - النحل (٦٩) .

{ إن كان الشفاء في شيء ففي ثلاث شربة غسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى أمتي عن الكي } ( ١ ) وكذلك التمر أيضا أيضا يقول صلى الله عليه وسلم : { من تصبغ سبع تمرات عجوة من تمر المدينة لم يضره سم ولا سحر } ( ٢ ) وهكذا أيضا الزيتون أثنى الله عز وجل على الزيتون في كتابه الكريم وهكذا الحبة السوداء كما في الحديث : { شفاء لكل داء إلا السام قيل : وما هو ؟ قال : الموت } ( ٣ ) وماء زمزم من المشروبات قال صلى الله عليه وسلم : { ماء زمزم لما شرب له له } ( ٤ ) وقال فيه :

{ طعام طعم وشفاء سقم } ( ٥ ) وقال صلى الله عليه وسلم : { ماء زمزم أفضل ماء على وجه الأرض } ( ٦ ) كذلك ما جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين } ( ٧ ) والكمأة عبارة عن شيء يشبه البطاط يزرع تحت الأرض فإذا ما نضج وحضر شقق الأرض يعرف هذا الفلاحون والزارعون قال : { هذا من المن } أي من المن الذي أنزله الله على بني إسرائيل فتحصل بركة بمثل هذا كذلك أيضا لا بأس أن تقول : نتبرك بطالب علم أو بمن عنده علم لا به ذاتيا هذه خرافة صوفية ولا بأس أن ندخل الآن بالتبرك الممنوع التبرك الممنوع أن تتبرك مثلا بهذه الأشياء لذاتها تذهب تتمسح بالمسجد الحرام بالمسجد النبوي بالمسجد الأقصى تتمسح مثلا بالكعبة تتمسح مثلا بطالب العلم هذه خرافات صوفية وهذه التبركات ربما أوصلت إلى الشراكات لا بأس أن تقول : حلت البركة حينما نزل فلان من الناس أرض كذا وكذا ففلان هذا إن كان طائعا لله متبعا لسنة رسول الله موحد من أهل السنة طائع فيكون البركة بما يحمله من خير لا به ذاتيا فإن التبرك الذاتي لا يكون إلا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكما قال عروة بن مسعود الثقفي حينما أرسلته قريش للصلح يوم الحديبية في العام السادس قال : ما رأيت قوما أشد تعظيما لملوكهم من أصحاب محمد لمحمد فإنه لا يكاد يبصق أو يتنخم أو يتوضأ إلا كادوا يقتتلون على ذلك يأخذ الصحابي نخامة النبي فيمسحها في وجهه لأن نخامته ما هي كنخامة الغير عبارة عن جراثيم وميكروبات لا وهكذا أيضا شعره وهكذا دثاره ثيابه فتعرفون كان نائما صلى الله عليه وسلم وإذا بامرأة عجوز تأخذ عرقه تأخذ العرق قال لها : { لمة ؟ } قالت : نجعله مع طينا تجعل عرق النبي صلى الله عليه وسلم مع الطيب لكن ما هو عرقنا نحن ؟ عرقنا عبارة عن روائح كريهة بخلاف عرق النبي صلى الله عليه وسلم فالصوفية فتحوا في هذا الباب أمرا واسعا جدا فوسعوا باب التبركات فربما يتبرك المريد بشيخه فيأخذ من لعابه وربما يمسح الشيوخ على المريد وربما يبوس الشيخ فيعطيه للمريد فيشر به وكان يحصل في منطقة قريبة منا هنا أن الشيخ يأكل القات ويبلث القات إلى متفل ثم يأتي المريد فيشر به خسة ودناءة نسأل الله السلامة والعافية هذا من التبرك تبرك في غاية القذارة هذا لا يقال تبركا إنما هذا . بارك الله فيكم . قذارة ودناءة لا حول ولا قوة إلا بالله فلقد كان التبرك في الجاهلية بالأصنام والأشجار فهامهم اليوم عند كثير من المسلمين يتبركون ببعض الأماكن زاعمين أن هذه تبرك بآثار

١ - البخاري (٥٣٥٦) (٥٣٥٧) وابن ماجه (٣٤٩١) وأحمد (٢٢٠٨) والمعجم الكبير (١٢٢٤١) .  
٢ - البخاري (٥١٣٠) (٥٤٣٥) (٥٤٣٦) (٥٤٤٣) ومسلم (٢٠٤٧) وأبو داود (٣٨٧٦) وأحمد (١٥٧١) والطبراني في الصغير (٣١) .  
٣ - البخاري (٥٣٦٣) (٥٣٦٤) ومسلم (٢٢١٥) (٢٢١٥) والترمذي (٢٠٤١) وابن ماجه (٣٤٤٧) وأحمد (٩٤٦٧) .  
٤ - صحيح : ابن ماجه (٣٠٦٢) وأحمد (١٤٨٩٢) والحاكم (١٧٣٩) والدارقطني (٢٣٨) والطبراني في الأوسط (٨٤٩) (٣٨١٥) (٩٠٢٧) وانظر حديث رقم : ٥٥٠٢ في صحيح الجامع .  
٥ - صحيح : مسند الطيالسي (٤٥٧) والطبراني في الصغير (٢٩٥) ومصنف عبد الرزاق (٩١١٦) وانظر حديث رقم : ٢٤٣٥ في صحيح الجامع .  
٦ - صحيح : الطبراني في الكبير (١١١٦٧) والطبراني في الأوسط (٨١٢٩) وانظر حديث رقم : ٣٣٢٢ في صحيح الجامع .  
٧ - البخاري (٤٢٠٨) (٤٣٦٣) (٥٣٨١) ومسلم (٢٠٤٩) والترمذي (٢٠٦٦) (٢٠٦٧) (٢٠٦٨) وابن ماجه (٣٤٥٣) (٣٤٥٤) وأحمد (١٦٢٥) (١٦٢٦) (١٦٣٢) .

الصالحين والله سبحانه وتعالى يقول : (( أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى )) ( ١ ) وهذه عبارة عن أصنام كان المشركون يتبركون بها .

كان يسمونه باللات وهكذا العزى اسم أيضا لصنم آخر ومناة كذلك كانت لبعض القبائل يصبون عليها العسل والسمن ويذبحون أمامها بل قيل : إن مناة سميت بهذا الاسم لكثرة ما يمني بجانبها من الدماء ومن ذلك سميت منى بهذا الاسم منى لكثرة ما يمني فيها من الدماء في أيام التشريق مع يوم العيد .

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط فمررنا بسدة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط لما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { الله أكبر إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (( اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون )) ( ٢ ) لتركبن سنن من كان قبلكم { رواه الترمذي وصححه ( ٣ ) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

١ - النجم ( ١٩ - ٢١ ) .

٢ - الأعراف ( ١٣٨ ) .

٣ - صحيح : الترمذي ( ٢١٨٠ ) وأحمد ( ٢١٩٤٧ ) وابن حبان ( ٦٧٠٢ ) والمعجم الكبير ( ٣٢٩٠ ) ( ٣٢٩١ ) ( ٣٢٩٢ ) ( ٣٢٩٣ ) ( ٣٢٩٤ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٤٠٨ ) .

- الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه .
- الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .
- السادسة : أن لهم من الحسنات والوعود بالمغفرة ما ليس لغيرهم .
- السابعة : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله : { الله أكبر إنها السنن ، لتتبعن سنن من كان قبلكم } فغلظ الأمر بهذه الثلاث .
- الثامنة : الأمر الكبير ، وهو المقصود ، أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى : (( اجعل لنا إلها )) .
- التاسعة : أن نفي هذا من معنى ( لا إله إلا الله ) مع دقته وخفائه على أولئك .
- العاشرة : أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة .
- الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ، لأنهم لم يرتدوا بهذا .
- الثانية عشرة : قولهم : ( ونحن حدثاء عهد بكفر ) فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .
- الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه .
- الرابعة عشرة : سد الذرائع .
- الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .
- السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .
- السابعة عشرة : القاعدة الكلية بقوله : { إنها السنن } .
- الثامنة عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر .
- التاسعة عشرة : أن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا .
- العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناهما على الأمر ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر أما { من ربك ؟ } فواضح وأما ( من نبيك ؟ ) فمن إخباره بأنباء الغيب ، وأما ( ما دينك ؟ ) فمن قولهم : (( اجعل لنا )) إلى آخره .
- الحادية والعشرون : أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .
- الثانية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه ، لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة ، لقولهم : [ ونحن حدثاء عهد بكفر ] .

قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

وعن أبي واقد الليثي ، أبو واقد الليثي صحابي جليل وهو من مسلمة الفتح واختلف في اسمه .  
يروى هذا الصحابي الجليل قائلا : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر بعد أن دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في العام الثامن من الهجرة فاتحا مؤيدا منصورا قال سبحانه :



(( إنا فتحنا لك فتحا مبينا )) ( ١ ) وقال سبحانه وتعالى : (( إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا )) ( ٢ ) ففي ذلك اليوم العظيم عند ذلك الفتح المبارك أنقذ الله مكة والمسجد الحرام من براثن الخرافة والشرك والبدعة فكسرت الأصنام وهدمت وتلي قول الله سبحانه وتعالى : (( وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا )) ( ٣ ) واجتمع أهل مكة بالنبي صلى الله عليه وسلم محدقين به فقال لهم : { ما تظنون أني فاعل بكم ؟ } قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم قال : { اذهبوا فأنتم الطلقاء } ( ٤ ) وعفا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ولم ينتقم عليه الصلاة والسلام لنفسه قال : { من دخل البيت الحرام فهو آمن ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن } ( ٥ ) ودانت الرقاب للنبي صلى الله عليه وسلم بتأييد من الله الواحد القهار وكان هذا النصر المبارك عبارة عن أمر مخيف لدى بعض القبائل المتغطرسة كمنطقة الطائف فإنها كان فيها قبيلتان كبيرتان هوازن وثقيف فكانت تحتل المركز الرئيسي لها في الطائف فحينما علمت أن المسلمين قد فتحوا مكة خافوا من هذا الأمر وجهزوا أنفسهم واستعدوا لمقاتلة المسلمين وجعلوا رئيسا عليهم وهو مالك بن عوف وكان رجلا شجاعا مقداما إلا إنه فاسد الرأي كما ذكر ذلك علماء التاريخ فأراد هؤلاء المشركون أن يباغثوا المسلمين وأن يفاجئوهم فعلم النبي صلى الله عليه وسلم بأمرهم فجهز أصحابه فغزاهم وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أتى بهم من المدينة قرابة الألفين وكان مسلمة الفتح قرابة عشرة آلاف رجلا فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يعلن لأصحابه الذهاب إلى هنالك قاصدين ثقيف وهوازن فخرجوا وهم أمة عظيمة فقال بعض مسلمة الفتح رضي الله تعالى عنهم : لا نهزم اليوم من قلة بمعنى نحن كثير فحينما خرجوا إلى ثقيف وهوازن كان هؤلاء القوم قد جعلوا بعض الكمين على جنبات الطريق كان الصحابة يسافرون من آخر الليل فما شعروا إلا والرماح ترشقهم من كل مكان ومن كل اتجاه فبعضهم حاص ورجع القهقري فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يثبت ثبات أعظم من الجبال ويقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ( ٦ )

ثم صاح أمر العباس عمه وكان جهوري الصوت أن يقول : يا أصحاب رسول الله يا أصحاب بيعة الشجرة يا أصحاب سورة البقرة قال : فإذا بهم يذهبون صوب ذلك الصوت فاجتمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم كما تجتمع الأمهات بأبنائها فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يحرض أصحابه على القتال وكانت ثقيف وهوازن قد خرجت بخيولها وحيوانها ونسائها وأطفالها وذلك أن مالك بن عوف أصر على هذا الرأي وقد قال له البعض : ربما نهزم فما نريد شيئا يحجزنا عن الإنطلاق فأصر على رأيه وكان في صالح أهل الإسلام فصعد النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء ذلك في سنن أبي داود صعد النبي صلى الله عليه وسلم على منطقة قريبة فلما رأى هذه الثروة وهذه الغنائم قال : { هذه غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله } ( ٧ ) فثبت النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه واستنزل النصر من الله قال : { اللهم انزل نصرك المؤزر } فإذا بالمهاجرين

١ - الفتح ( ١ ) .

٢ - سورة النصر .

٣ - الإسراء ( ٨١ ) .

٤ - ضعيف : سنن البيهقي الكبرى ( ١٨٠٥٥ ) وانظر السلسلة الضعيفة ( ١١٦٣ ) .

٥ - مسلم ( ١٧٨٠ ) وأبو داود ( ٣٠٢١ ) ( ٣٠٢٢ ) وأحمد ( ٧٩٠٩ ) ( ١٠٩٦١ ) وابن حبان ( ٤٧٦٠ ) والدارقطني ( ٢٣٣ ) والطيالسي ( ٢٤٤٢ ) .

٦ - البخاري ( ٢٧٠٩ ) ( ٢٧١٩ ) ( ٢٧٧٢ ) ومسلم ( ١٧٧٦ ) وأحمد ( ١٨٤٩١ ) ( ١٨٤٩٨ ) ( ١٨٥٦٣ ) وابن حبان ( ٤٧٧٠ ) ( ٥٧٧١ ) .

٧ - صحيح : أبو داود ( ٢٥٠١ ) والحاكم ( ٢٤٣٣ ) والمعجم الكبير ( ٥٦١٩ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٢٠٨٣ ) وسنن النسائي الكبرى ( ٨٨٧٠ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٣٧٨ ) .



والأنصار يقاتلون قتالا عنيفا فلما اشتد القتال قال النبي صلى الله عليه وسلم : { الآن حمي الوطيس } ( ١ ) وهي عبارة مشهورة ثابتة في صحيح مسلم ثم أخذ حفنة من الحصاء فرماها في وجوه المشركين قال : { اللهم اهزمهم ورب محمد } ( ٢ ) قال العباس : فنظرت فإذا بذلك الحصى قد عملت عملها في القوم فولوا مدبرين وكان في بداية المعركة حينما حصل الإنهزام تشكك بعض الخارجين حتى قال بعض مسلمة الفتح : بطل السحر اليوم ( ٣ ) لكن الله سبحانه وتعالى أراد أراد أمرا وهو أن لا يغتر المسلم بقوته أو بشجاعته أو بكثرتة ولكن عليه أن يعلم أن النصر من الله كما قال سبحانه : (( وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم )) ( ٤ ) فنزل نصر الله المؤزر ونصر الله عز وجل رسوله كما قال : (( ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين )) ( ٥ ) فأبو واقد الليثي يحكي ما حصل في هذه الغزوة قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر خرجوا من مكة يريدون حنين وهو وادي بين مكة والطائف وكان هذا في شوال آخر العام الثامن من فتح مكة على مشارف العام التاسع **فما الذي حصل ؟** ولهذا نقل المؤلف هذا الحديث في هذا الباب قال : وللمشركين سدره يعكفون عندها أي يمكنون عندها الوقت الطويل وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدره فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : { الله أكبر إنها السنن } وهذا . بارك الله فيكم . هو موطن الشاهد حينما قالوا : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط بمعنى يريدون أن يعلقوا عليها سيوفهم متبركين بذلك فعظم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر قال : { الله أكبر إنها السنن } أي إنها الطرق أو طرق الضلال كما قال صلى الله عليه وسلم : { لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة شبرا بشبر ذراعا بذراع حتى ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قيل : اليهود والنصارى قال : فمن القوم إلا أولئك } ( ٦ ) ولكن ما كان هذا من المسلمين الذين قد تغلغل الإيمان وتغلغل العقيدة في قلوبهم وهذا كان من بعض حدثاء عهد بكفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجهلون مثل هذا الأمر وما كان هناك الوقت الكافي لتعليم أمر العقيدة على أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر مباشرة قال :

{ الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (( اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون )) ( ٧ ) وفي هذا بيان خطورة الشرك والبدعة والخرافة وعلى أنه يجب على الداعية أن يعظم ذلك وأن يبين بين الحق وأن يبين فداحة الأمر ولا ينبغي له أن يحابي أو يجمال لماذا ؟ لأن المسألة خطيرة جدا إنها تمس العقيدة فإذا كان الأمر يتعلق بالمعتقد وجب على الشخص أن ينكر ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وفي هذا رد على الذين يقولون : ما في داعي نتكلم على أمراض الأمة فتجد يلفلف أناسا عندهم الشرك والخرافة والبدعة ويقول : دعوا الناس على ما هم عليه لا تنفروهم إذا علموا ذلك هم سيصححوا أخطاءهم من أنفسهم نقول : لا ثم لا إذا كان الأمر يتعلق

١ - مسلم (١٧٧٥) والمعجم الكبير (٧١٩١) ومسنند أبي يعلى (٣٦٠٦) ومسنند البزار (١٣٠١) .

٢ - مسلم (١٧٧٥) .

٣ - إسناده حسن : ابن حبان (٤٧٧٤) ومسنند أبي يعلى (١٨٦٣) وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن .

٤ - الأنفال ( ١٠ ) .

٥ - التوبة ( ٢٦ ) .

٦ - البخاري (٣٢٦٩) (٦٨٨٩) ومسلم (٢٦٦٩) وابن ماجه (٣٩٩٤) وأحمد (٨٣٢٢) (٩٨١٨) (١٠٨٣٩) وابن حبان (٦٧٠٣) والحاكم (١٠٦) .

٧ - الأعراف ( ١٣٨ ) .

بمستحب أو منهي أمر ليس بواجب أما بأمر يتعلق بناقض من نواقض الإسلام وهو الشرك فوجب على الشخص أن يعظم ما عظم الله وما عظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الواجب على المسلم أن يجعل هذا هو الأصل الأول من انطلاق دعوته وهو أمر التوحيد وأمر العقيدة الصحيحة والنبي صلى الله عليه وسلم يلقي هذه المحاضرة الطويلة العريضة وهو أمام قوتين كبيرتين قبيلة هوازن وثقيف وهؤلاء حدثاء عهد بكفر ما قال : نصبر عليهم هم الآن يواجهون أعتى القوى نريد أن ننتصر على هؤلاء وبعدين نرجع نصبح وننظر لا المسألة مسألة توحيد لا تحتل هذا ربما يموت واحد من هؤلاء وهو على عقيدة سيئة فيكون من أهل النار قال صلى الله عليه وسلم : { لتركبن سنن من كان قبلكم } رواه الترمذي وصححه ( ١ ) وهو حديث صحيح وهذا . بارك الله فيكم . أيضا فيه علم من أعلام النبوة فلقد حصل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بالتشبه بأعداء الإسلام عقيدة وسلوكا ومنهجيا إلا من رحمه الله سبحانه وتعالى وقليل ما هم فكم من المسلمين الآن يتمسحون بقبر ابن علوان والعيدروس وقبر الحسن والحسين في كربلاء وقبر علي بن أبي طالب في النجف وهكذا في كثير من القبور في مشارق الأرض ومغاربها يتمسحون بالأثرية والقبور يأخذون التراب ربما يأكلون منه يعتقدون فيه البركة وهذا حينما غاب دعاة التوحيد وقل شأنهم فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من دعاة الحق والتوحيد والسنة والله أعلم .

### باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : (( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له )) ( ٢ )

وقوله : (( فصل لربك وانحر )) ( ٣ )

فيقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

### باب ما جاء في الذبح لغير الله

وفي بعض النسخ : من جاء في نسختي هذه : من جاء لكن الصحيح ما جاء فالباب لغة : اسم لما يدخل ويخرج منه وفي الاصطلاح : اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب والباب هو دون الكتاب وفوق الفصل فهو يحتوي على جملة علمية متكاملة لهذا كان يقول شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن المديني رحمه الله : إن الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه .

<sup>١</sup> - صحيح : الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٢١٩٤٧) وابن حبان (٦٧٠٢) والطبراني في الكبير (٣٢٩١) (٣٢٩٢) (٣٢٩٣) وانظر حديث رقم : ٣٦٠١

في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - الأنعام (١٦٢ - ١٦٣) .

<sup>٣</sup> - الكوثر (٢) .

قوله : ما جاء ، ما هاهنا اسم موصول وجاء فعل ماض صلة الموصول والعائد الضمير المستتر في كلمة جاء ومعنى ذلك أي ما ورد في هذا الباب من الآيات ، الأحاديث ، من الأحكام في هذا الباب .

قوله : في الذبح لغير الله ، الذبح معروف وهو ذبح الحيوان يشمل نحر الإبل وذبح البقر والغنم والدجاج وما شابه ذلك مما يذبح ، والذبح لغير الله يشمل الملائكة الأنبياء المقبورين لغير الله غير الله يشمل هؤلاء أجمعين ثم استدل الشيخ رحمه الله على ما ترجم به بقول الحق سبحانه وتعالى : (( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين )) ( ١ ) .

قوله : (( قل )) ، هذا خطاب موجه لنبينا صلى الله عليه وسلم أن يقوم معلنا أمام المشركين مبينا لهم التوحيد الخالص بمثابة قول الله : (( ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين )) ( ٢ ) اعتزاز وافتخار أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقرى أو تميم

وشرب هذا أيضاً أن يبين لهؤلاء المشركين وغيرهم عقيدة هي أصل الأصول إنها قضية التوحيد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

وقوله : (( إن صلاتي )) المراد بالصلاة الدعاء من حيث اللغة واصطلاحاً : هي أفعال معلومة مفتوحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم الصلاة التي نعرفها ذات الركوع والسجود والقيام والتسبيح والتكبير .

وقوله : (( نسكي )) النسك في اللغة : بمعنى العبادة فإذا قالوا : هذا ناسك أي عابد وقد سمي عبد الله بن عمر بالناسك واصطلاحاً : ذبح القرбан أو نحرها لأن من الحيوانات ما ينحر وهو الإبل والله سبحانه وتعالى يقول : (( فصل لربك وانحر )) ( ٣ ) وهذا هو موطن الشاهد وهذا لا بد أن يكون لله سبحانه وتعالى والذبح لغير الله على قسمين :

القسم الأول : ما ذبح لغير الله تقرباً وتعظيماً فهذا شرك أكبر مخرج من الملة أن تذبح تقرباً وتعظيماً لشأن فلان وهو ما كان يذبح أمام الأصنام والأوثان هذا شرك أكبر مخرج من الملة وهو لغير الله .

وهناك ذبح لغير الله لكن لا يكون شركاً أكبر بل هو أمر جائز ذبح لغير الله وهو أمر جائز اعتاده الناس أن تذبح لضيف كريم قادم عليك فرحاً واستبشاراً وسروراً فهذا من الأمور العادية وقد يكون أمراً مطلوباً قال النبي صلى الله عليه وسلم : { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه } ( ٤ ) إكراماً للضيف فأنت مأجور على ذلك بخلاف ما يذبحه الشخص أضحية أو هدياً إن كنت متمتعاً أو أحصرت أو كان بك قمل في رأسك وأنت هناك تؤدي المناسك فهذه أمور مشروعة من جهة وواجبة من جهة أخرى وهي لله عز وجل وهكذا أيضاً العقيدة قال الله تبارك وتعالى :

(( وأتموا الحج والعمرة لله ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ومن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي )) ( ٥ ) ودخل النبي صلى الله عليه وسلم

١ - الأنعام ( ١٦٢ - ١٦٣ ) .

٢ - فصلت ( ٣٣ ) .

٣ - الكوثر ( ٢ ) .

٤ - البخاري ( ٥٦٧٢ ) ( ٥٧٨٥ ) ( ٥٧٨٧ ) ومسلم ( ٤٧ ) وأبو داود ( ٥١٥٤ ) والترمذي ( ٢٥٠٠ ) وابن ماجه ( ٣٦٧٢ ) وأحمد ( ٦٦٢١ ) .

٥ - البقرة ( ١٩٦ ) .

على كعب بن عجرة قال : { **أيؤذيك هوامك ؟** } أي القمل الذي فيك قال : نعم قال : { احلق شعرك واذبح شاة } ( ١ )  
فهذا لله سبحانه وتعالى وهكذا أيضا من ارتكب محظورا أو ترك واجبا من واجبات الحج وجب عليه نسيكة كما أثر عن ابن  
عباس رضي الله تعالى عنه وهي فتوى مشهورة قال : [ من ارتكب محظورا أو ترك واجبا فعليه نسك ] والأثر رواه البيهقي  
وصححه الشيخ الألباني وهو أثر مشهور عمل به العلماء جيلا بعد جيل .

وفي قوله : (( ومحياي ومماتي )) معنى ذلك أن حياتك كلها وهكذا أمر مماتك المتصرف في ذلك هو الله سبحانه  
وتعالى فله مشيئته وإرادته فيك وهكذا على العبد أن يكون دائما يحمل هذه العقيدة يجعل حياته لله إن أعطى الله إن أبغض  
الله إن منع فله إن أحب فله فهو دائما مع الله

إليك وإلا لا تشد الركائب وعنك وإلا فالهيام مضيع

وعنك وإلا فالمحدث كاذب

فلا بد أن يكون هذا ديدن العبد في هذه الدنيا دائما قد أَرْضَى الله سبحانه وتعالى في أمره كله أوله وآخره واستفيد من  
لفظة : (( صلاتي ونسكي )) إثبات توحيد الألوهية وفي قوله : (( ومحياي ومماتي )) إثبات توحيد الربوبية ومن قوله : ((  
الله رب العالمين )) توحيد الأسماء والصفات والعالمين ما سوى الله تبارك وتعالى يعتبر عالم الجن والإنس والطير  
والحيوان والعرش والكرسي والملائكة وما إلى ذلك خلق لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى : (( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها  
إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب  
مبين )) ( ٢ ) .

وفي قوله : (( لا شريك له )) أي لا إشراكا في الربوبية ولا في الألوهية ولا بالأسماء والصفات .

(( وبذلك أمرت )) الأمر له الله سبحانه وتعالى .

وقوله : (( وأنا أول المسلمين )) قولان لأهل العلم :

بعض أهل العلم يقول : المراد بالأولوية هاهنا أولوية معنوية بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس وأتمهم  
استجابة وانقيادا لأمر الله وهذا قول صحيح .

القول الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم أول المسلمين في هذه الأمة الأمة المرحومة التي قال الله سبحانه وتعالى فيها  
: (( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )) ( ٣ ) وقال سبحانه : (( إن هذه  
أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون )) ( ٤ ) والنبي صلى الله عليه وسلم امتدح أمته في أحاديث كثيرة منها : { أمتي  
كالغيث لا يدرى الخير في أوله أو في آخره } ( ٥ ) .

وفي قوله : (( من المسلمين )) يشمل الإسلام والإيمان فهذه من الألفاظ التي إن أطلق بعضها شمل الآخر أو كما يقول  
أهل العلم : إن اجتمعت افترت و إن افترت اجتمعت فإذا قلت : أنا مسلم بمعنى مؤمن أيضا فالإسلام أركانه معروفة

١ - البخاري (١٧٢٢) (٣٩٢٧) ومسلم (١٢٠١) وأحمد (١٨١٥٣) وسنن الدارقطني (٢٧٩) (٢٨١) والطبراني في الكبير (٢١٥) (٢٢٢) .

٢ - الأنعام (٥٩) .

٣ - آل عمران (١١٠) .

٤ - الأنبياء (٩٢) .

٥ - صحيح : الترمذي (٢٨٦٩) وأحمد (١٢٣٤٩) وابن حبان (٧٢٢٦) ومسند الطيالسي (٦٤٧) الطبراني في الأوسط (٣٦٦٠) ومسند الشهاب (١٣٤٩) وانظر حديث رقم ٥٨٥٤ في صحيح الجامع .

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت أعمال ظاهرية والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله سبحانه وتعالى فإذا قلت : أنا مسلم يعني ومؤمن أيضا فحصل اجتماع فإن قلت : أنا مسلم مؤمن دل ذلك على تفسير الإسلام بالأعمال الظاهرية والإيمان بالأعمال الباطنية .

ثم ذكر المؤلف بعد هذه الآية قول الله سبحانه : (( فصل لربك وانحر )) ( ١ ) وهذا أيضا في الباب نفسه وهذا أمر .

عن علي . رضي الله عنه . قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : { لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً ، لعن الله من غير منار الأرض } رواه مسلم ( ٢ ) .

قال : وعن علي رضي الله تعالى عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات ، وعلي هو ابن أبي طالب أبو الحسن رضي الله تعالى عنه وأرضاه وأهل السنة يحبون عليا وآل بيت رسول الله حبا شرعيا  
يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله  
والله سبحانه وتعالى يقول : (( قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى )) ( ٣ ) فيحبون بيت آل الرسول ويحبون بقية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من غير غلو ولا جفاء خلاف غلو الشيعة والرافضة في آل البيت مع قدحهم لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخلافا للناصبة الذين ينصبون العداء لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

<sup>١</sup> - الكوثر ( ٢ ) .

<sup>٢</sup> - مسلم ( ١٩٧٨ ) والنسائي ( ٤٤٢٢ ) وأحمد ( ٨٥٥ ) ( ٩٥٤ ) ( ١٣٠٦ ) وابن حبان ( ٦٦٠٤ ) ومسنده أبي يعلى ( ٦٠٢ ) .

<sup>٣</sup> - الشورى ( ٢٣ ) .

قوله : حدثني رسول الله بأربع كلمات ، الكلمة في اللغة : القول المفرد وفي الإصطلاح : ما دل على الكلام المفيد كما قال ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم      اسم وفعل ثم حرف الكلم  
واحدما كلمة والقول عم      وكلمة بها كلام قد يؤم

قال : بأربع كلمات { لعن الله من ذبح لغير الله } المراد باللعن : الطرد عن رحمة الله واختلف في هذا هل أراد الرسول الإنشاء أو الإخبار بمعنى هل أراد أن يجعل هذا خبرا أمرا مسلما فيه أن من فعل ذلك فهو ملعون أو أراد بذلك : اللهم العن من فعل كذا وكذا قولان لأهل العلم على أن الخبر أبلغ لأن الدعاء قد يستجاب وقد لا يستجاب وفي هذا الباب : لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده لعن الله شارب الخمر أحاديث كثيرة في هذا الباب هنا قاعدة صحيحة وهي : أن أهل العلم يقولون : الأحكام المتعلقة بالأوصاف لا تتحقق في الأشخاص إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع شروط العلم إقامة الحجة عدم التأويل انتفت الموانع ما عنده تأويل ما عنده جهل ليس في حالة انغلاق فكر ولا شرود ذهن ما عنده نسيان فلا بد من إقامة الحجة وانتفاء المانع فيقول أهل العلم : ليس كل من وقع في أمر يستحق اللعن يلعن بعينه ولا من وقع في الكفر يقع في الكفر ولا من وقع في البدعة وقعت عليه البدعة هذا أمر وجب على الطلاب أن يفهموه وأن يتقنوه .

مسألة أخرى : لعن المعين غير جائز وإن كان كافرا على القول الصحيح من أقوال أهل العلم فهنا صلى الله عليه وسلم يقول : { لعن الله من ذبح لغير الله } سواء ذبح للجن أو للشياطين أو للمقبورين أو للأصنام المهم أنه ذبح لغير الله معظما ذلك الذي ذبح له وهناك من زل في هذا الباب ووقع في باب الشراكيات سواء في باب الذبح أو غيره والفريق الناجي في هذا هم أهل السنة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا وقد ضل من الأمم في باب الشرك كاليهود مثلا يدعون عزيز بن الله وكالنصارى الذين يدعون المسيح ابن الله ومن الفرق الشيعة يذبحون لغير الله إلا من رحم الله الصوفية وقعوا في باب الشراكيات يذبحون لابن علوان والعيدروس وتعرفون تلك الآيات التي يرددونها قول البوصيري في البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به      سواك عند حلول الحادث العمم  
إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي      فضلا وإلا فقل يا زلة القدم  
فإن من جودك الدنيا وضرتها      ومن علومك علم اللوح والقلم

ومن الذبح لغير الله ما يسمى بالهجين عند القبائل وهو الذبح للإرضاء إرضاء الطرف الآخر من أجل الصلح يقولون : لا يزيل ما في النفس إلا الدم لا يكافئ الدم إلا دم مثله وهناك كتاب بعنوان : أركان الإيمان عرض على مائة عالم من علماء اليمن عالجوا هذه القضية وقالوا : إن كان ولا بد فلم لا يأخذون هذا المذبح إهداء إلى بيت هذا الذي يريدون أن يذبحون له إرضاء وهذا حل يعني لا غبار عليه من باب الصلح لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { الصلح جائز بين المسلمين إلا صلح حرم حلالا أو أحل حراما } ( ١ ) وقد حصل بسبب هذه البدعة انتشار فظيع جدا في اليمن وما أعلم لها أثرا في غير اليمن والعاقلة ينأى بمثل هذا يعني يقتلون أخاه أو والده ثم يأتون باثنين أثوار ويرضونه وقليل فلوس وانتهى الإشكال

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود (٣٥٩٤) والترمذي (١٣٥٢) وابن ماجه (٢٣٥٣) وأحمد (٨٧٧٠) وابن حبان (٥٠٩١) والحاكم (٧٠٥٩) والدارقطني (١٥) انظر حديث رقم : ٣٨٦٢ في صحيح الجامع .

الواجب في مثل هذا إما القصاص وإما الدية وإما العفو ويتولى في هذا المحاكم الشرعية حدثنا بعض إخواننا أن شركة الإزفلت هذه التي كانت تعمل ما بين صنعاء وخط خمر وصعدة كانت تعمل في الطرقات وكان الذي يعمل في الشركة هذه بعض الكوريين فاقترح الكوري وهو يمشي في الشبول أو هذه التي تصلح الطريق دخل مزرعة رجل من القبائل فجاء القبيلي يتكلم باللغة العربية يقول له : لا يمشي الآلة هذه في هذه الأرض وهذا لا يفقه ما يقول هذا الرجل فصعد على الآلة هذه ولطم هذا الكوري فذهب الكوري إلى رئيس الشركة وكان يمنيا فأخبره ثم تعصبت الشركة كلها لهذا الكوري ضد هذا القبيلي ووصلت القضية إلى شيخ من مشايخ تلك الجهات ثم قالوا : خلاص نرضي هذا الكوري ونرضي هذه الشركة فذهبت القبائل واشتروا ثور وحملوه على متن سيارة هيلوكس وتواعدوا يوما على أن يتم الصلح فلما جاءوا بهذا الثور فقال هذا الكوري : يعني خلاص الآن الأمور تمام وقد جئنا بهذا الثور من أجل نذبحه إرضاء لكم يكلموه فلما فهم القضية قال لهم : يعني ليس هذا الثور هو الذي لطمني هذا الرجل هو الذي لطمني بمعنى أنكم يعني كيف تذبحون هذا إيش ذنب الثور هذا لما أتم الآن هذا لطمني وعلى هذا يكون الذبح في نظره هذا أمر مستغرب لطمه فلان والذبح يقع على ثور من الشيران وهذا رجل لا يفقه العربية ولا يفهم من الإسلام شيئا لكنه يدرك أن هذا ليس حلا صحيحا لهذه القضايا فالحل الصحيح هو الإسلام

العز بالإسلام يا دني اسمعي والنصر معقود بمبدأ أحمد  
من حاد عن نهج الكتاب وما به لا خير فيه وبالمذلة مقتدي

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وبقي بعض الشرح لهذا الباب غدا يكمل إن شاء الله ثم ندخل في الباب الذي بعده صلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .  
قول نبينا صلى الله عليه وسلم : { لعن الله من لعن والديه } إما أن يكون قد باشر اللعن بنفسه وإما أنه تسبب في لعن والديه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه قالوا : وكيف يلعن والديه يا رسول الله ؟ قال : يلعن أبا الرجل فيلعن أباه ويسب أم الرجل فيسب أمه } ( ١ ) فلو تسبب يشمل هذا وهذا يعتبر من كبائر الذنوب والآثام قال الله سبحانه وتعالى : (( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا )) ( ٢ )

وقوله : { لعن الله من آوى محدثا } المراد بالإحداث إما أن يكون إحداثا حسيا كأن يكون قاتلا زانيا لوطيا حدث حسي فأؤيته مخفيا إياه من وجه العدالة من أن يأخذ الناس حقوقهم منه فأنت تستحق اللعنة لأنك آويت محدثا وإما أن يكون الحدث حدثا معنويا كأن يكون مبتدعا ضالا فكره بدعي حزبي شيوعي بعثي كفراوي أي حزب يناوى الإسلام ويخالفه فأنت تستحق اللعنة لأنك آويت محدثا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد } ( ٣ ) ويقول :

<sup>١</sup> - البخاري (٥٦٢٨) ومسلم (٩٠) وأبو داود (٥١٤١) وأحمد (٧٠٢٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٨٦٩) .

<sup>٢</sup> - الإسراء (٢٣ - ٢٤) .

<sup>٣</sup> - مسلم (١٧١٨) وأحمد (٢٥١٧١) (٢٥١١) (٢٦٢٣٤) والدارقطني (٨٠) (٨١) .



{ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } ( ١ ) فمعنى آيته أنك حميته ونصرته وأعنته والله تبارك وتعالى يقول :  
( (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ) ) ( ٢ ) .

وقوله : { لعن الله من غير منار الأرض } المراد بالمنار الحدود وهو الشيء المرتفع ويسمى عند بعض العوام وثن والصحيح ما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم منار الأرض وهو الشيء البارز للتفريق بين الأملاك أملاك آل فلان وآل فلان بمثابة المنارة الواضحة التي يراها الناس عن بعد فهذا ملعون وأيضاً آثم من وجه آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
{ من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة } ( ٣ ) قيد شبر وجاء في صحيح مسلم أن أروى بنت أويس ادعت على سعد بن يزيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلى سبع أرضين ) فقال له مروان لا أسألك بينة بعد هذا فقال اللهم إن كانت كاذبة فعم بصرها واقتلها في أرضها قال : فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت ( ٤ )

لقد ذهب الحمار بأمر عمرو فما رجعت ولا رجع الحمار

وسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة ، والمبشرون بالجنة أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي أبو الحسن ثم عبد الرحمن بن عوف هؤلاء خمسة ثم سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث واحد ( ٥ ) نسأل الله أن يجمعنا بهم في دار كرامته إنه على ذلك قادر .

١ - البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) وأبو داود (٤٦٠٦) وأحمد (٢٦٠٧٥) وابن حبان (٢٦) والدارقطني (٧٨) وأبو يعلى (٤٥٩٤) .

٢ - المائدة ( ٢ ) .

٣ - البخاري (٢٣٢١) (٣٠٢٣) ومسلم (١٦١٢) وأحمد (٢٤٣٩٨) وسنن البيهقي الكبرى (١١٣١٤) .

٤ - مسلم (١٦١٠) ومسند أبي يعلى (٩٦٢) وسنن البيهقي الكبرى (١١٣١٣) .

٥ - صحيح : أبو داود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٧) وأحمد (١٦٧٥) وابن حبان (٧٠٠٢) وانظر حديث رقم : ٥٠ في صحيح الجامع بلفظ : { أبو بكر في الجنة و عمر في الجنة و عثمان في الجنة و علي في الجنة و طلحة في الجنة و الزبير في الجنة و عبد الرحمن بن عوف في الجنة و سعد بن أبي وقاص في الجنة و سعيد بن زيد في الجنة و أبو عبيدة بن الجراح في الجنة } .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب } قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : { مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما : قرب ، قال : ليس عندي شيء أقرب ، قالوا : قرب ولو ذباباً ، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار ، وقالوا للآخر : قرب ، قال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة } رواه أحمد ( ١ ) فيه مسائل :

الأولى : تفسير (( قل إن صلاتي ونسكي )) ( ٢ ) .

الثانية : تفسير (( فصل لربك وانحر )) ( ٣ ) .

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الرابعة : لعن من لعن والديه ، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

الخامسة : لعن من آوى محدثاً وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله ، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن من غير منار الأرض ، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك ، فتغيرها بتقديم أو تأخير .

<sup>١</sup> - صحيح موقوفاً على سلمان الفارسي : أحمد في الزهد ( ٢٢ ) وأبو نعيم في الحلية ( ١ / ٢٠٣ ) والبيهقي في شعب الإيمان ( ٧٣٤٣ ) .

<sup>٢</sup> - الأنعام ( ١٦٢ ) .

<sup>٣</sup> - الكوثر ( ٢ ) .

السابعة : الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصاً من شرهم .

العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر .

الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم لأنه لو كان كافراً لم يقل : { دخل النار في ذباب } .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : { الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك } ( ١ ) .

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

قال : وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب لهم شيئاً فقالوا لأحدهم قرب قال : ليس عندي شيء أقرب قالوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للرجل الآخر : قرب فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة } هذا الحديث رواه أحمد وأبو نعيم وهو من طريق طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي وليس الحديث صحيحاً من حيث نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليس بصحيح القول الذي استقر عليه رأي المحدثين أنه موقوف على سلمان والحديث الموقوف هو ما أضيف إلى الصحابي قولاً أو فعلاً كما قال البيهقي رحمه الله :

وما أضفته إلى الأصحاب من قول وفعل فهو موقوف زكن

والصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك وإن تخلله ردة على الصحيح من أقوال أهل العلم وسلمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال هذا الأثر ونسب إليه فلنا وهكذا كل الصحابة رضي الله تعالى عنهم للعلماء قول في ذلك إن كان هذا الصحابي لم يعرف عنه أنه أخذ من أهل الكتاب أو عن أهل الكتاب ولم يكن كلامه هذا للرأي فيه مجال ليس للرأي مجال بمعنى أنه تحدث عن الأمم الغابرة الماضية أو عن أمور مستقبلية أو عن أشياء غيبية عن عذاب القبر عن الكرسي عن الحشر النشر الصراط الميزان الجنة والنار فمثل هذه الروايات يقول العلماء : هذه لها حكم الرفع وقول الصحابي يكون حجة وهذا هو ما يدندن به العلماء يقولون كتاب وسنة وعلى فهم السلف أو على طريقة السلف **ومن السلف ؟** هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة .

<sup>١</sup> - البخاري (٦١٢٣) وأحمد (٣٦٦٧) (٣٩٢٣) وابن حبان (٦٦١) ومسنند أبي يعلى (٥٢٨٠) ومسنند البزار (١٦٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٤٣) .

## باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى : (( لا تقم فيه أبداً )) ( ١ )

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : { هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ } قالوا : لا ، قال : { فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ } قالوا : لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { أوف بنذر ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم } رواه أبو داود ، وإسناده على شرطهما ( ٢ ) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : (( لا تقم فيه أبداً )) ( ١ ) .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشككة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال .

الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع .

السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .

<sup>١</sup> - التوبة ( ١٠٨ ) .

<sup>٢</sup> - صحيح : أبو داود ( ٣٣١٣ ) وانظر صحيح سنن أبي داود ( ٢٨٣٤ ) .

السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة ، لأنه معصية .

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده .

العاشرة : لا نذر في معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

فيقول الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله :

**باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله**

أراد المؤلف بهذه الترجمة أن يكمل ما تبقى من الباب الأول فإن الباب الأول عنوانه : باب من جاء أو ما جاء في الذبح لغير الله فمن باب سد الدرائع أن لا يذبح لله في مكان يذبح فيه أو قد ذبح فيه لغير الله سدا للذريعة حتى لا يكون هذا سبب أو وسيلة للإشراك بالله سبحانه وتعالى وأمر آخر حتى لا يحصل تشبه بأولئك المشركين والله سبحانه وتعالى نهانا عن متابعة اليهود والنصارى ونبينا صلى الله عليه وسلم قال :

{ من تشبه بقوم فهو منهم } ( ١ ) ثم استدل المؤلف رحمه الله تعالى لهذه الترجمة بقول الحق جل وعلا : (( لا تقم فيه أبدا

لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين )) ( ٢ ) قبل هذه الآية قول ربنا سبحانه : (( والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله )) ( ٣ ) ثم بعدها : (( لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ... )) ( ١ ) إلى آخر الآية وهذه الآية فيها بيان لما ذكره المؤلف و أمور أخرى وقبل أن نتطرق لذلك نريد أن نعرف **ما هو مسجد الضرار ؟** فمسجد الضرار مشتق من الضرر فيه ضرر على المؤمنين على دين الله رب العالمين على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فمسجد الضرار ما اجتمعت فيه ثلاث مصائب وكل مصيبة هي كبيرة من كبائر الذنوب والآثام دليلنا على ذلك الآية من سورة التوبة : (( والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا )) ( ٢ ) أي يكون هذا المكان مجمع للإلتقاء ولكن ليس الإلتقاء على خير وإنما من أجل اللقاء على الشر وقد كان المنافقون أعدوا مسجدا وذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ملتجئين منه أن يأتي إليهم ليصلي في هذا المسجد حتى تحل بركته فيه فكان النبي صلى الله عليه وسلم على أهبة سفر فقال : حتى إذا رجعنا من تبوك جئنا فلما نزلت هذه الآية بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلين وأمرهما بإحراقه أحرق هذا المسجد وكان مكان هذا المسجد مزبلة قمامة لأن هذا المسجد ما بني من أجل الله ما بني بنية حسنة وإنما بني بنية سيئة فاسدة نسأل الله السلامة والعفو والعافية فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام :

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود (٤٠٣١) وأحمد (٥١١٤) والطبراني في الأوسط (٨٣٢٧) وسنن سعيد بن منصور (٢٣٧٠) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٩٨٦)

انظر حديث رقم : ٦١٤٩ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - التوبة ( ١٠٨ ) .

<sup>٣</sup> - التوبة ( ١٠٧ ) .

(( لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى )) ( ١ ) وقد اختلف أهل العلم على قولين في المسجد الذي أسس على التقوى على قولين مشهورين :

**الأول :** أنه مسجد قباء ،

**والثاني** أنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

للشيخ عبد الرحمن بن حسن شارح كتاب التوحيد كلام طيب وهو كلام سديد قال :

قال المفسرون : إن الله تعالى نهى رسوله عن الصلاة في مسجد الضرار والأمة تبع له في ذلك ثم إنه تعالى حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بني على التقوى وهو طاعة الله ورسوله وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا ومنزلا للإسلام وأهله ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ صلاة في مسجد قباء كعمرة } ( ١ ) والحديث صحيح قال : وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قباء راكبا وماشيا ( ٢ ) وقد صرح أن المسجد المذكور في الآية هو مسجد قباء ، جماعة من السلف منهم ابن عباس وعروة بن الزبير وعطية والشعبي والحسن وغيرهم قال الشيخ عبد الرحمن : ويؤيده قوله تعالى :

(( فيه رجال يحبون أن يتطهروا )) ( ١ ) وقيل الآن دخل في **القول الثاني** : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث أبي سعيد قال : تمارى أي تجادلا تناقشا تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل : هو مسجد قباء وقال الآخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { هو مسجدني هذا } الحديث رواه مسلم ( ٣ ) قال : وهذا قول عمر وابنه وزيد بن ثابت وغيرهم وأنا في نظري أن القول الثاني أرجح من القول الأول إذ أنه معتضد بالدليل وإذا جاء سيل الله بطل نهر معقل وإذا وجد الماء بطل التيمم قال العماد بن كثير : وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية والحديث لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله بطريق أولى وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي أسس على معصية الله كما قال سبحانه : (( والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون )) ( ٤ ) فلهذه الأمور نهى الله نبيه عن القيام فيه للصلاة وكان الذين بنوه جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى غزوة تبوك فسألوه أن يصلي فيه وأنهم إنما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية فقال : إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله فلما قفل عليه الصلاة والسلام راجعا المدينة لم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه نزل الخبر بأمر المسجد فبعث إليه فهدمه قبل وصوله إلى المدينة هذا ما يتعلق ببيان أي المسجدين الذي أسس على التقوى وقد سمعتم القول الراجح في ذلك ولا بأس أن يستشهد بالآية الكريمة على أي مسجد حمل صاحبه على بنائه نية صالحة نية حسنة يكون هذا المسجد قد أسس على التقوى نية طيبة ومال من حلال وبنى هذا المسجد لا من أجل المباهاة

١ - صحيح : الترمذي (٣٢٤) وابن ماجه (١٤١١) والحاكم (١٧٩٢) والطبراني في الكبير (٥٧٠) ومسنند أبي يعلى (٧١٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٧٥٢٩) وانظر حديث رقم : ٣٨٧٢ في صحيح الجامع .

٢ - البخاري (١١٣٦) ومسلم (١٣٩٩) والنسائي (٦٩٨) وأحمد (٤٤٨٥) وابن حبان (١٦١٨) ومسنند الطيالسي (١٨٤٠) .

٣ - صحيح : الترمذي (٣٠٩٩) والنسائي (٦٩٧) وأحمد (١١٠٦١) وابن حبان (١٦٠٤) والحاكم (٣٢٨٦) وأصله في صحيح مسلم (١٣٩٨) بلفظ : عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال قلت له : كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال قال أبي دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى ؟ قال فأخذ كفا من حصاء فضرب به الأرض ثم قال : { هو مسجدكم هذا } لمسجد المدينة قال : فقلت : أشهد أنني سمعت أباك هكذا يذكره .

٤ - التوبة ( ١٠٧ ) .

والمفاخرة ولكن من أجل الصلاة والعبادة والقرآن والخير والواجب على المسلم إن بنى مسجداً أن يحمل معه هذه النية الطيبة وأن تكون أمواله من حلال لا كما يفعله بعض الأثرياء اليوم ما يسمونه بغسيل الأموال تكون أموالهم قد شئبت بالربا فعندهم قانون في التجارة يسمى بغسيل الأموال سنويا يبنون كذا كذا مسجداً فنقول لهؤلاء هذه المساجد ليست على أساس من التقوى وإن كانت النية طيبة لأن المال حرام والله در من قال :

بنى مسجداً لله من غير حله  
فكان بفضل الله غير موفق  
ككافلة الأيتام من كسب فرجها  
لك الويل لا تزني ولا تتصدقني

وقوله : (( لا تقم فيه )) لا ناهية وتقوم فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل ضمير مستتر تقديره النبي صلى الله عليه وسلم أنت مستتر وجوبا (( لا تقم فيه أبدا )) نهى الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقوم في هذا المسجد لأنه لم يبن على أساس من الخير وما وجه المناسبة ؟ ما وجه مناسبة استدلال بهذه الآية الكريمة لترجمة باب لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله ؟ وجه مناسبة الآية لترجمة أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها كما أن هذا المسجد لما أعد لمعصية الله صار محل غضب لأجل ذلك فلا تجوز الصلاة فيه لله وهذا قياس صحيح يؤيده حديث الباب الذي سرده المؤلف بعد هذه الآية المباركة روى أبو داود في سننه والحديث صححه الشيخ الألباني كما في مشكاة المصابيح من حديث الثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : نذر رجل النذر في اللغة بمعنى الإلزام والعهد أنا ملتزم بمعنى أتعهد بذلك نذرت بكذا أي التزمت بكذا واصطلاحاً : إلزام المكلف نفسه بعبادة لم يكلف بها ألزم نفسه من غير ملزم وحكمه مكروه على قول جمهور أهل العلم يقولون بكرهيته استناداً إلى حديث :

{ إن النذر لا يأتي بشيء وإنما يستخرج به من البخل } ( ١ ) على أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يذهب إلى التحريم ومع كونه محرماً أو مكروهاً من نذر وجب عليه الوفاء إن كان نذراً شرعياً وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الموفين بالنذر فقال جل وعلا : (( يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً )) ( ٢ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها يقول صلى الله عليه وسلم : { من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه } ( ٣ ) وأقسام النذر ثلاثة :

**نذر طاعة** لله سبحانه وتعالى نذر أن يقيم الليل نذر أن يصلي نذر أن يصوم نذر أن يبر الوالدين هنا واجب الوفاء به .  
**نذر المعصية** لا يجب الوفاء به ولكن عليه كفارة من نذر مثلاً أن يسرق أو أن يزني أو أن يقتل أو أن يلطم بالوجه هنا لا يجوز له أن يوفي ولكن عليه الكفارة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { لا نذر في معصية ومن نذر فعليه كفارة يمين } رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها ( ٤ ) .

**القسم الثالث :** نذر يسمى نذر اللجاج نذر الغضب وهذا يجري مجرى اليمين نذرت بكذا فهذا اختلف العلماء هل عليه كفارة أو ليس عليه كفارة ؟ والصحيح أن عليه كفارة ومن الذي حمله أن ينذر فالأولى أن لا يستخدمه الشخص إطلاقاً إلا

١ - البخاري (٦٢٣٤) (٦٢٣٥) ومسلم (١٦٣٩) (١٦٤٠) وأبو داود (٣٢٨٧) والترمذي (١٥٣٨) والنسائي (٣٨٠١) وابن ماجه (٢١٢٣) وأحمد (٥٢٧٥) وسنن الدارمي (٢٣٤٠) .

٢ - الإنسان (٧) .

٣ - البخاري (٦٣١٨) (٦٣٢٢) وأبو داود (٣٢٨٩) والترمذي (١٥٢٦) والنسائي (٣٨٠٦) وابن ماجه (٢١٢٦) وأحمد (٢٥٩١٩) .

٤ - صحيح : أبو داود (٣٢٩٠) والترمذي (١٥٢٤) والنسائي (٣٨٣٥) وأحمد (٢٦١٤٠) (٢٦١٤١) والحاكم (٧٨٤٠) انظر حديث رقم : ٧٥٤٧ في صحيح الجامع .



إن ألزم بذلك إنذر كذا في مضايق الأمور أما أن يكون الشخص في حال ارتياح وما عليه ضغط ولا إحراج **فما الذي يحمله ؟**

وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال : { أوف بنذرك } ( ١ ) فعلى هذا التفصيل نذر طاعة يجب الوفاء نذر معصية لا يجب الوفاء وكفارته كفارة يمين نذر يجري مجرى اليمين واختلف أهل العلم **هل يجب له كفارة أو لا يجب ؟** والصحيح أنه يكفر احتياطاً وخروجاً من الخلاف لأن الخروج من الخلاف مستحب .

يروى ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة وبوانة هذه منطقة قيل : قريب من ذي الحليفة وقيل : قريب من يلملم منطقة السعدية وقيل : منطقة بين مكة والمدينة نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : { **هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟** } واستفاد أهل العلم من هذا على أنه يستحب وقد يجب على المفتي أن يستفصل وهناك بحث ممتع في هذا الباب للإمام النووي في مقدمة مجموع شرح المذهب قال فسأل : { **هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟** } والوثن هو الشيء الذي يتخذ نداً لله سبحانه وتعالى سواء كان مصوراً أو غير مصور منحوت أو غير منحوت قالوا : لا قال : { **هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟** } والعيد مشتق من العود لأنه يعود ويتكرر وليس لنا في الإسلام إلا ثلاثة أعياد عيد الأضحى و الفطر وعيد الأسبوع يوم الجمعة أما بقية الأعياد فما أنزل الله بها من سلطان عيد الشجرة وعيد أول السنة وعيد آخر السنة وعيد الأم وعيد الجلاء وعيد الجندي المجهول وعيد الثورة أعياد هذه أعياد دنيوية ما أنزل الله بها من سلطان ولكن نحمد الله أن الله عز وجل أغنى أهل الإسلام بعيدين عظيمين وعيد أصغر يوم الجمعة وعيد الفطر وعيد الأضحى وقد دخل أبو بكر الصديق على عائشة يوم العيد وعندها جاريتان يغنيان بغناء يوم بعث فقال أبو بكر : **أزمارة الشيطان في بيت رسول الله ؟** فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ **دعهما يا أبا بكر فإن اليوم عيد** } ( ٢ ) ولما لعبت الحبشة في المسجد قال : { لتعلم يهود أن في ديننا فسحة } ( ٣ ) فديننا وسط بين الغلو والجفاء إنه دين الوسطية ليس فيه اختلاس أو انحلاس اليهود من التعاليم الشرعية ولا جهل النصارى ما فيه تشدد الخوارج ولا كسل المرجئة بل هو دين وسطي أمر الله سبحانه وتعالى بذلك فقال : (( وكذلك جعلناكم أمة وسطاً )) ( ٤ ) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { **القصد القصد تبلغوا** } ( ٥ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { **إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق** } ( ٦ ) ويقول صلى الله عليه وسلم : { **إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه** } ( ٧ ) ويقول عليه الصلاة والسلام :

١ - البخاري (١٩٢٧) (١٩٣٨) ومسلم (١٦٥٦) وأبو داود (٣٣٢٥) وأحمد (٢٥٥) والبيهقي في الشعب (٣٩٦٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٨٨٦) .

٢ - البخاري (٣٧١٦) ومسلم (٨٩٢) والنسائي (١٥٩٧) وابن حبان (٥٨٦٨) (٥٨٧٦) وسنن البيهقي الكبرى (١٣٣٠٥) وسنن النسائي الكبرى (١٧٩٦) .

٣ - صحيح : مسند الحارث (٨٦٦) ومسند الحميدي (٢٥٤) وانظر حديث رقم : ٣٢١٩ في صحيح الجامع .  
٤ - البقرة (١٤٣) .

٥ - البخاري (٦٠٩٨) وأحمد (١٠٦٨٨) (١٠٩٥٢) والبخاري في الأدب المفرد (٤٦١) ومسند الطيالسي (٢٣٢٢) وسنن البيهقي الكبرى (٤٥١٧) .  
٦ - حسن : أحمد (١٣٠٧٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٨٥) (٣٨٨٦) وسنن البيهقي الكبرى (٤٥٢٠) (٤٥٢١) ومسند الشهاب (١١٤٧) انظر حديث رقم : ٢٢٤٦ في صحيح الجامع .

٧ - البخاري (٣٩) والنسائي (٥٠٣٤) وابن حبان (٣٥١) وشعب الإيمان (٣٨٨١) وسنن البيهقي الكبرى (٤٥١٨) وسنن النسائي الكبرى (١١٧٦٥) ومسند الشهاب (٩٧٦) .

{ بعثت بالحنيفية السمحة } ( ١ ) فهنا يسأل عليه الصلاة والسلام :

{ هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ } قالوا : لا فقال : { إذن أوف بنذكرك فإنه لا وفاء بنذر في معصية الله ولا في ما لا يملك ابن آدم } .

هنا مسألة خطيرة جدا انتبهوا لها : لا نذر في ما لا يملك ابن آدم لا تنذر على شيء أنت لا تمتلكه لا شرعا ولا عقلا أنت لا تمتلك شرعا أن تخرج الموتى من قبورهم أو أن تكون من الجن أو من الأنبياء أنت لا تمتلك شيئا مثل هذا ولا تمتلك مثلا بقوتك أن تحمل هذا المسجد على رأسك يعني أشياء مستحيلة عقلية أو أمور واقعية لا يقول قائل مثلا : أنا نذرت إن نجحت هذه السنة أن أتصدق بهذا الجهاز بهذا اللاقط طيب هذا حق المسجد أو أنني إذا نجحت في ثالث ثانوي أنا أخذ الماسة هذه وأضعها في مسجد آخر وأنت فقط مستمع ليس لك حق في هذه الماسة أو مثلا هذا القلم تقول : والله أنا اليوم إذا صليت المغرب نذرت أخذ القلم من جيب أخينا علي وأتصدق به وأعمل معروف مع آخرين هذا ما يجوز فلا نذر فيما لا تمتلكه لا نذر فيما لا تمتلكه إطلاقا وإنما تنذر فيما هو بمقدورك شرعا وعقلا وعرفا فإذا قلت مثلا : إن شفى الله مريضتي نذرت بغنمة أو بألف ريال هنا صرت ملتزما وصار الأمر بمقدورك ولا أن تأتي بشيء من حقوق الآخرين إن شفى الله مريضتي مثلا أعتق عبد فلان من الناس أو أخذ سيارة فلان وأنطلق بها إلى الموضع الفلاني المهم شيء أنت لا تمتلكه لا يجوز لك أن تنذر عليه ولكن فيما هو بمقدورك تنذر والمؤلف رحمه الله تعالى أراد من هذه الترجمة أن لا يوقع الشخص نفسه في موطن يسخط الله أو يغضب الله أو يترقى به الحال إلى أن يصل إلى هذا الشيء وهو إسقاط الله سبحانه وتعالى تدرجا فعلى الشخص أن يكون بعيدا من مواطن الريبة سواء كان في باب الشرك في باب البدعة في باب المعصية تكون بعيدا حتى تصون عرضك { فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام } ( ٢ ) وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - صحيح : أحمد (٢٢٣٤٥) والطبراني في الكبير (٧٨٨٣) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٩٢٤) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) وابن ماجه (٣٩٨٤) وأحمد (١٨٣٩٨) والدارمي (٢٥٣١) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٢٠٠٣) .

### باب من الشرك النذر لغير الله

درسنا اليوم صغير جدا هو تنمة لما تقدم قال رحمه الله :

**باب من الشرك النذر لغير الله**

كلمة الباب مرت بنا كثيرا لغة واصطلاحا وما أظن واحدا في الحلقة لا يعرف ذلك .

وأما قوله : من الشرك النذر لغير الله **لماذا هذا من الشرك ؟**

لأن النذر عبادة وإذا صرف النذر لغير الله كان ذلك بابا من أبواب الشرك الأكبر مثل أن يقول : نذرت بمبلغ من المال أو بكبش أو ببقرة للقبر الفلاني للضريح الفلاني أو حتى لجبريل لميكائيل لمحمد صلى الله عليه وسلم الناس اليوم واقعون في هذا في اليمن وفي كثير من البلاد الإسلامية بعضهم ينذر لقبر ابن علوان وبعضهم للخمسة وبعضهم لأبي طير وللجیلانی وهكذا في مصر ينذرون للست زينب وللبدوي ولأحمد الرفاعي يتقدمون إليهم بالنذور والقرايين وأولئك موتى لا يعلمون من حقيقة الأمر شيئا وهكذا في سوريا يتقدمون بالقرايين إلى يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام فالأمر حاصل أيضا في يومنا هذا وهو باب خطير من أخطر الأبواب ومن أراد أن يطلع على كثير من هذا فليقرأ كتاب الدكتور محمد جميل غازي بعنوان كنت قبوريا وقد أشار الشيخ عبد الرحمن بن حسن إلى هذا قال رحمه الله :

إذا علمت ذلك فهذه النذور واقعة من عباد القبور تقربا بها إليهم ليقضوا بها حوائجهم أو ليشفعوا لهم كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب كما قال سبحانه : (( وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون )) ( ١ ) قال شيخ الإسلام ابن تيمية :  
وأما ما نذر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة وكذلك الناذر للمخلوقات فإن كلاهما شرك والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم : { من حلف وقال في حلفه واللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله } ( ٢ ) ثم استطرد بالكلام إلى أن قال : وقال الرافعي في شرح المنهاج : وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد النادر بذلك وهو الغالب أو الواقع من القصد العامة تعظيم البقعة و المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه فهذا انضباط غير منعقد فإن معتقدتهم بأن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم يندرون لبعض الأحياء لما قيل لهم : إنه استند إليها عبد صالح ويندرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت وهذا حاصل إلى يومنا هذا ويقولون إنها تقبل النذر كما يقوله البعض يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركا وتعظيما طانا أن ذلك قرينة فهذا مما لا ريب فيه بطلانه والإيقاد نفسه محرم سواء انتفع به هناك منتفع أم لا ، الله المستعان .

١ - الأنعام ( ١٣٦ ) .

٢ - البخاري ( ٤٥٧٩ ) ( ٥٧٥٦ ) ( ٥٩٤٢ ) ومسلم ( ١٦٤٧ ) وابن ماجه ( ٢٠٩٦ ) وابن حبان ( ٥٧٠٥ ) والبخاري ( ١٢٦٢ ) والطبراني في الأوسط ( ٩١٥٧ ) .

وقول الله تعالى : (( يوفون بالنذر )) ( ١ )

وقوله : (( وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه )) ( ٢ )

ثم استدل الشيخ محمد بن عبد الوهاب لهذه الترجمة بقوله سبحانه : (( يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا )) ( ١ ) ووجه الاستدلال بهذه الآية أن النذر لغير الله شرك لأن النذر عبادة فكان الله عز وجل قد أثنى على هؤلاء الوافين بالنذر حينما كان له فعلم بدلالة المفهوم أن من صرف شيئا من هذا النذر لغير الله كان قد أتى بابا من الشر عظيمًا وهذا ما يسمى عند العلماء بقياس العكس

وقوله سبحانه : (( وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه )) ( ٢ ) ما هاهنا شرطية وما أنفقتم جملة أنفقتم هي فعل الشرط ومن نفقة جار ومجرور متعلق بأنفقتم أو نذرتم عطف جملة على جملة عطفت جملة نذرتم على ما أنفقتم ومن نذر متعلقة بنذرتم فإن الله الفاء واقعة في جواب الشرط وقوله : (( فإن الله يعلمه )) يعلم قلته وكثرته ويعلم كذلك لمن أنذرتم لله أو لغيره وهل كان ذلك عن طيب من أنفسكم وهل أنتم تريدون بهذا النذر وجه الله سبحانه وتعالى أو لا تريدون به وجه الله .

١ - الإنسان ( ٧ ) .

٢ - البقرة ( ٢٧٠ ) .

وفي الصحيح عن عائشة . رضي الله عنها . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه } ( ١ ) .

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة فصرفه إلى غيره شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

قال : وفي الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها والمراد بالصحيح هاهنا صحيح البخاري والمؤلف ليس له اصطلاح خاص بذلك تارة يكون الحديث في الصحيحين وتارة في صحيح مسلم وتارة في صحيح البخاري وتارة خارج الصحيحين . قال : وفي الصحيح عن عائشة وعائشة هي زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين وتكنى بأُم عبد الله هي الصديقة بنت الصديق تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنين ودخل عليها وهي ابنة تسع سنوات وهي أفقه النساء مطلقا وبينها وبين خديجة مزايا فلعائشة مزايا العلم ولخديجة مزايا الفضل في إكرام النبي صلى الله عليه وسلم والوقوف معه

<sup>١</sup> - البخاري (٦٣١٨) (٦٣٢٢) وأبو داود (٣٢٨٩) والترمذي (١٥٢٦) والنسائي (٣٨٠٦) وابن ماجه (٢١٢٦) وأحمد (٢٥٩١٩) .

وشدت من أزره عند بداية النبوة والرسالة فكثير من أهل العلم تحرى وتورع وتوقف في التفاضل بين الصديقتين خديجة الكبرى وعائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عن أمهات المؤمنين أجمعين .

تروي عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه } ( ١ ) إذا نذرت لله بطاعة وجب عليك الوفاء على أنني أقول ودائماً أحذر لا تفتح على نفسك هذا الباب فالنذر لا يجلب خيراً ولا يدفع ضيراً فلا ينبغي للشخص أن يكثر بل لا يطرق بابه فإن كان قد ابتلي لأن الشخص قد ينذر في بعض الأحيان مضطراً أو لا يدري إلا وقد ألزم نفسه فإذا فعل ذلك وكان هذا النذر طاعة لله وجب عليه الوفاء وإلا فهي ذمة في عنقه { ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه } كأن تقول : نذرت لله أن أضرب فلانا أو آخذ شيئاً من حقوقه هذه معصية نذرت أن تسرج القبر الفلاني أو تتصدق بمال على شخص لا يستحقه ربما استعان بذلك المال على معصية الله وقد ألف فلم يتألف فهنا لا يجب عليك أن تفني بهذا النذر لأنه نذر في معصية **وما الذي يلزمك حينها ؟**

يلزمك كفارة اليمين لحديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

{ لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين } ( ١ ) وقد جاء في سنن أبي داود أن امرأة قالت : يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { أوفي بنذرك } ( ٢ ) والحديث . بارك الله فيكم . صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال الألباني في الإرواء : إسناده على شرط مسلم وتعرفون . بارك الله فيكم . ما يتعلق بآلة الدف فإنها تجوز في الأعراس وفي الأعياد لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { فصلا بين الحلال والحرام الضرب بالدف } ( ٣ ) أسأل سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى .

١ - صحيح : أبو داود (٣٢٩٠) والترمذي (١٥٢٤) والنسائي (٣٨٣٥) وأحمد (٢٦١٤٠) (٢٦١٤١) والحاكم (٧٨٤٠) انظر حديث رقم : ٧٥٤٧ في صحيح الجامع .

٢ - حسن : أبو داود (٣٣١٢) والترمذي (٣٦٩٠) وأحمد (٢٣٠٣٩) وابن حبان (٤٣٨٦) وانظر مشكاة المصابيح (٣٤٣٨) .

٣ - حسن : النسائي (٣٣٦٩) وأحمد (١٨٣٠٥) (١٨٣٠٦) والحاكم (٢٧٥٠) والطبراني في الكبير (٥٤٢) وسنن سعيد بن منصور (٦٢٩) انظر حديث رقم : ٤٢٠٦ في صحيح الجامع .



### باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

المراد بالشرك هاهنا الشرك الأكبر المخرج من الملة الذي يبيح العرض والدم والنفس والذي يخلد صاحبه في جهنم كما قال ربنا سبحانه : (( إن لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا )) ( ١ ) وكلمة شرك معناها أن تجعل لله ندا وهو خلقك والشرك من أكبر الكبائر وأكبر الذنوب والآثام لأن فيه اعتداء على حق من حقوق الله وهو أصل الأصول وأصل العلوم ألا وهو توحيد الله علام الغيوب والمراد بالاستعاذة طلب العوذ ومعنى ذلك الالتجاء والاعتصام كما أن الاستغاثة طلب الغوث والاستهداء طلب الهداية وتكون الاستعاذة من أمر مكروه الإستعاذة يستعيذ الشخص مما يخافه بخلاف ما يتعلق بكلمة لياذة وهو في ما يؤمله العبد من الخير كما ذكر ابن كثير عند شرحه للاستعاذة من كتابه تفسير القرآن العظيم قول الناظم:

يا من ألوذ به فيما أومله      ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره      ولا يهيضون عظما أنت جابره

وقوله : بغير الله يشمل في ذلك الملائكة النبيين الجن الإنس الأصنام الأنداد أي شيء من غير الله سبحانه وتعالى يكون هذا باب من أبواب الشرك .

<sup>١</sup> - النساء ( ١١٦ ) .

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر الشهير بابن كثير : الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير .

قال عبد الرحمن بن حسن : قلت وهو من العبادات التي أمر الله تعالى بها كما قال سبحانه : (( وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم )) ( ١ ) وأمثال ذلك في القرآن كثير كقوله : (( قل أعوذ برب الفلق )) ( ٢ ) و (( قل أعوذ برب الناس )) ( ٣ ) فما كان من عبادة لله فصرفه لغير الله شرك في العبادة فمن صرف شيئاً من هذه العبادات لغير الله جعله شريكاً لله في عبادته ونزع الرب في ألوهيته كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابداً لغير الله ولا فرق كما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى .

وقول الله تعالى : (( وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً )) ( ٤ ) عن خولة بنت حكيم . رضي الله عنها . قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك } رواه مسلم ( ٥ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية ، من كف شر أو جلب نفع ، لا يدل على أنه ليس من الشرك .

ثم صدر المؤلف وهو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب دليلاً لما عقده من الترجمة باب من الشرك الاستعاذة بغير الله استدلالاً على ذلك بآية من سورة الجن قال سبحانه : (( وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ))

١ - فصلت ( ٣٦ ) .

٢ - الفلق ( ١ ) .

٣ - الناس ( ١ ) .

٤ - الجن ( ٦ ) .

٥ - مسلم ( ٢٧٠٨ ) والترمذي ( ٣٤٣٧ ) وأحمد ( ٢٧١٦٩ ) ( ٢٧٣٥١ ) والدارمي ( ٢٦٨٠ ) وابن خزيمة ( ٢٥٦٦ ) .

(( ١ )) هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى فيما كان عليه أمر الناس قبل الإسلام في تلك الجاهلية الجهلاء والوثنية العمياء يخبر الله عز وجل عن حالة مزرية وهو أنه كان الرجل من الإنس يستعيز بالرجل من الجن إذا نزل واديا من الوديان يقول : أعوذ بعظيم هذا الوادي هكذا أو أنه يجمع له كوما من الأحجار فيعتقد أنه إله مؤقت أو يصنعه من التمر فإذا ما نطلق بعد طلوع الفجر أكله أو هدم تلك الأحجار وانطلق مسافرا .

وقوله : (( من الإنس )) المراد بهم بنو آدم وسموا إنسا قيل : من النسيان وقيل : من الإناس أي يأنس بعضهم لبعض .  
وقوله : (( يعوذون )) أي يطلبون العوذ مما يخافون من المكروه .

وقوله : (( برجال من الجن )) فيه إثبات أن للجن ذكورا وكذلك إناث أيضا فإن الرجال لا يكون إلا من إناث وقد سئل الإمام الشعبي رحمه الله : هل لإبليس زوجة؟ فقال : ذلك عرس لم أحضره فلما تلا الآية من سورة الكهف (( أفستخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا )) ( ١ ) قال : علمت أنه لا ذرية إلا من تناسل وسموا جن من الإجتنان وهو الاستتار ومن ذلك سمي الجنين والجنة وذلك أنه أمر مستور أي غير ظاهر ولا مرئي فهم عالم مستقل فهناك بعض الكتاب ينكرون هؤلاء الجن وهذا والعياذ بالله باب خطير إن كان يعتقد ذلك يكون صاحبه كافرا كفرا أكبر مخرجا من الملة لأنه رد صريح القرآن الكريم أما من ينفي تلبس الجني بالإنسي فللعلماء فيه كلام إن كان عنده تأويل أو كذا فلا يكفر بذلك أنكر وجود الجن كما هو حاصل لبعض الذين تعرضوا لتفسير القرآن الكريم بعضهم يقول : إن الجرائم والمكروبات هذه هي التي تسمى بالجن أي أنها غير مرئية إنما ترى بالمجهر وبالميكروسكوب هذه أشياء ما أنزل الله عز وجل بها من سلطان فقد أتى الجن إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه :

(( وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا )) ( ٢ ) وجاءت الجن إلى النبي صلى الله عليه وسلم طلبوا الطعام لهم ولدوابهم فقال : { لكم كل عظم أكله ابن آدم ذكر اسم الله عليه فهو لحم لكم ورجيع دواب علف لدوابكم } ( ٣ ) وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة هو وابن مسعود فخط النبي صلى الله عليه وسلم دائرة ثم قال لابن مسعود : { إياك أن تتعدى هذا الخط الذي رسمته لك فإنه سيأتيك رجال لا تعرفهم } فاستمر ابن مسعود في ليلة مظلمة قال : فأقبل علي رجال سود فأردت أن أفر فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم الفرار من تلك الحلقة التي رسمها لي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : { أولئك نفر من الجن أتوني } ( ٤ ) وهكذا ما قاله عليه الصلاة والسلام : { اعترض لي شيطان فحنقته حتى وجدت بردة لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان )) رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب )) ( ٥ ) لربطته إلى سارية من سواري المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة } ( ٦ ) أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم فهم عالم غيبي له عاداته وتقاليده وحياته من تجارة وزراعة وعمارة وحضارة وهيئات كثيرة جدا ربما يكون معنا الآن في المسجد يستمعون إلى ما يقال من كلام الله ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلم من قصص ذكرها الدميري في كتابه الحيوان تنبئ عن قرب هذا العالم من عالم الإنس لكن الكثير من

١ - الكهف ( ٥٠ ) .

٢ - الأحقاف ( ٢٩ ) .

٣ - مسلم ( ٤٥٠ ) والترمذي ( ٣٢٥٨ ) وأحمد ( ٤١٤٩ ) وابن حبان ( ٦٥٢٧ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٣٠ ) ( ٥٢٨ ) .

٤ - الترمذي ( ٢٨٦١ ) .

٥ - ص ( ٣٥ ) .

٦ - البخاري ( ٤٤٩ ) ( ١١٥٢ ) ( ٣٢٤١ ) ( ٤٥٣٠ ) ومسلم ( ٥٤١ ) وأحمد ( ٧٩٥٦ ) وابن حبان ( ٦٤١٩ ) والدارقطني ( ١٦ ) وغيرهم .

الناس ربما والعياذ بالله كان عنده مبدأ كمبدأ الشيوعيين أنه لا يؤمن إلا بشيء يراه ويشاهده والله سبحانه وتعالى قد أثنى على الذين يؤمنون بالغيب والجن عالم غيبي قال جل وعلا : (( ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون )) ( ١ ) فيحكى الله عز وجل عما كان من أمر الجن والإنس كذلك قال : (( وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا )) ( ٢ ) أي زادوهم ذعرا وخوفا والآية تفيد تحريم استعاذة الإنس بالجن **وهل هذا حاصل في أيامنا ؟** نعم حاصل هناك من ينادي جن كذا وهناك من ينادي اسم يسمى زوبعة وآخر يقول : يا شنهل وآخر يقول : يا جنه ويا جن شلوه ولك جني ومن هذه العبارات عيادا بالله فهذا أمر حاصل فوجب على المسلم أن يعلم أن هؤلاء الجن الذين خلقهم الله سبحانه وتعالى عالم له استقلاله وأنهم لا ينفعون ولا يضرون ولا يستطيعون أن يقدموا لك خيرا أو يدفعوا عنك شرا إلا بإذن من الله الواحد القهار فلما جاء الإسلام عولجت هذه القضية معالجة عظيمة فبدلا من الاستعاذة بأمر الجن أتانا النبي صلى الله عليه وسلم بكلمات يسيرة يقولها العبد إذا دخل بيته أو مسجده أو ركب سيارته أو على متن طائرته أو نزل منزلا في العراء في الصحراء في أي مكان كان وهو ما جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث خولة بنت حكيم وهي المرأة الواهبة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من مكانه } فقله صلى الله عليه وسلم : { من { هذه يسميها علماء اللغة العربية اسم شرط جازم يجزم فعلين الأول فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه فمن هاهنا شرطية وقوله : نزل منزلا منزلا نكرة في سياق الشرط وإن كانت النكرة في سياق الشرط أو في سياق النفي فإن علماء الأصول يقولون : إنها تفيد العموم فأني منزل نزلته بدلا من أن تتعب نفسك فما عليك إلا أن تقول : أعوذ ومعنى أعوذ أي ألتجئ وأعتصم بمن بالله سبحانه وتعالى بكلمات الله التامات وكلمات الله وأوامره الكونية والشرعية وكلمات الله سبحانه وتعالى عظيمة قال الله عز وجل : (( قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا )) ( ٣ ) وقال سبحانه : (( ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم )) ( ٤ ) والفرق بين الكلمات الشرعية والكونية أن الكلمات الكونية واجبة الوقوع وهي لا تنتهي لها بخلاف الكلمات الشرعية فإنها قد انقطعت بموت النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذهب أبو بكر وعمر إلى أم أيمن فظلت أم أيمن تبكي فقالوا لها : أتبكين على فراق رسول الله فللذي ذهب إليه خير من بقائه عندنا قالت : أعلم ذلك ولكنني أبكي لأن الوحي انقطع من السماء ( ٥ ) وقوله : { التامات } تمام كلام الله سبحانه وتعالى قالوا : لأنه لا نقص فيه بوجه من الوجوه فهي عدل في الأحكام أحكام الله سبحانه وتعالى كلها عدل سواء كانت شرعية أو كونية وصدق في الأخبار عدل في الأحكام وصدق في الأخبار (( ومن أصدق من الله قيلا )) ( ٦ ) (( أليس الله بأحكم الحاكمين )) ( ٧ ) قال سبحانه وتعالى : (( وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون )) ( ٨ ) فامتازت

١ - البقرة ( ٢ - ٣ ) .

٢ - الجن ( ٦ ) .

٣ - الكهف ( ١٠٩ ) .

٤ - لقمان ( ٢٧ ) .

٥ - مسلم ( ٢٤٥٤ ) وابن ماجه ( ١٦٣٥ ) ومسنند أبي يعلى ( ٦٩ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٣٣١٤ ) .

٦ - النساء ( ١٢٢ ) .

٧ - التين ( ٨ ) .

٨ - النحل ( ١١٨ ) .

فامتازت كلمات الله بالتمام لهذين الاعتبارين أنها عدل في الأحكام وصدق في الأخبار فكلمات الله سبحانه وتعالى كما قال الله عز وجل : (( وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا )) ( ١ ) فكلها حق وكلها خرجت من حقائق ربانية نطق بها الله عز وجل أحسن النطق فهو له الأمر وله الخلق كما قال سبحانه : (( فتبارك الله أحسن الخالقين )) ( ٢ ) وكما قال سبحانه : (( ألا له الخلق والأمر )) ( ٣ ) وهاهنا فائدة يذكرها علماء الصرف وقد ذكر ابن مالك على أن كلمات الله من أفعال القلة من جموع القلة لكنها تفيد الكثرة بدليل الآية التي في سورة الروم والآية التي في سورة الكهف فهي جموع قلة لكنها تفيد الكثرة فجموع القلة هو من الثلاثة إلى العشرة والكثرة من العشرة إلى ما لا نهاية له فلو قلت مثلا : هذه ورقات فكلمة ورقات جموع قلة لأنها تعني أن عندك من العدد واحد إلى العدد العاشر واحد اثنين إلى عشرة إذا قلت : ورقات لكن إذا قلت : هذه ورق فإن هذه الجموع كثرة تدل على مما لا نهاية له من الأوراق فهي ملايين الورقات فلا يقولون حتى في المصانع مصانع الورقات وإنما مصانع الورق يستخدمون جموع الكثرة لا جموع القلة قال ابن مالك رحمه الله :

وثمة أفعال جموع قلة

أفعلة أفعال ثم فعلة

كأرجل والعكس جاء كالصفي

وبعض ذي بكثرة وضعافي

فيكون هذا هو الفرق بين جموع القلة وجموع الكثرة ولهذا مبحث في كتب التصارييف اللغوية المعروفة بفن الصرف كشذا العرف وما شابهه .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله :

قوله : { أعوذ بكلمات الله التامات } قال : شرع الله لأهل الإسلام أن يستعينوا به بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن فشرع الله للمسلمين أن يستعينوا بأسمائه وصفاته قال القرطبي رحمه الله :

قيل معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر وقيل : معناه الشافية الكافية وقيل : الكلمات هنا هي القرآن فإن الله أخبر عنه بأنه هدى وشفاء وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله كان من باب المندوب إليه المرغب فيه وعلى هذا فحق المستعبد بالله وبأسمائه وصفاته أن يصدق الله في الإلتجاء إليه ويتوكل في ذلك عليه ويحضر في ذلك في قلبه متى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه ومما يستدلون به هنا بقوله : { كلمات الله } استدل به علماء العقيدة كالإمام أحمد على أن القرآن ليس بمخلوق حينما كان فيها طلب الاستعاذة والاستعاذة لا تكون بمخلوق وإنما بالخالق فهذا من أقوى الأدلة على أن القرآن ليس بمخلوق والأدلة في ذلك أيضا كثيرة في هذا الباب ليس هذا محل بسطها ثم ذكر القرطبي رحمه الله فائدة حول هذا الحديث حول هذا الذكر الذي يقوله العبد إذا نزل منزلا أو يجعله من أذكار المساء أو عند النوم يقول : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق كما جاء في صحيح البخاري أن أبا هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لدغنتي

١ - الأنعام ( ١١٥ ) .

٢ - المؤمنون ( ١٤ ) .

٣ - الأعراف ( ٥٤ ) .

عقرب البارحة قال : { أما إنك لو قلت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضررك شيء } ( ١ ) قال القرطبي صاحب التفسير :

هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلا وتجربة فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلددغتني عقرب بالمهدبة ليلا فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات وقوله : { من شر ما خلق } قال العلماء : مخلوقات الله ثلاثة أقسام خير محض كالجنة والملائكة والرسل خير محض وشر محض كإبليس والنار وما فيه خير وشر كسائر المخلوقات وكان عليه الصلاة والسلام يلهج بمثل هذا كثيرا استعاذة واعتصاما بربه سبحانه حتى إنه جاء من أذكار النوم ما هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه يقول : { اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر } ( ٢ ) وهكذا كان يستعيز باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم وهو حديث أبان بن عثمان عن أبيه عثمان قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { من أصبح أو أمسى فقال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء } فلما حدث أبان طلبته بهذا الحديث استغرب أحد تلامذته وذلك لما رأى من حال أبان وهو أنه مشلول أصيب بالفالج فأصيب بالشلل النصفى فقال أبان لتلميذه : أتعجب من أمري والله ما كذبت على عثمان ولا عثمان كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وما حصل لي مما تراه أنني كنت غضبانا يوما فلم أقله عند الصباح فأصابني ما تراه ( ٣ ) هذا ذكر أيضا جيد جدا ويدخل في هذا الباب وقوله : { لم يضره شيء } شيء نكرة في سياق النفي تفيد العموم وهذه الأذكار الشرعية والتحسينات الربانية النبوية هي بمثابة سيف بيد صاحبه وإنما السيف بضاربه فإن كان العبد يحمل الذكر وهو على عقيدة راسخة في قلبه وقال ما قال فإن ذلك ينفعه وإن قال هذا الذكر وعنده اعتزاز وعدم اعتقاد فإن ذلك لا ينفعه أرأيت رجلا بيده سيف ونفس هذا السيف حملته عجوز شمطاء فإنها لا تستطيع أن تعمل به شيئا وذلك أنها لا تستطيع أن تنازل به الأبطال بخلاف من يحمل ذلك السيف فإنه يستطيع أن يدافع به عن نفسه وهكذا التحاصين الشرعية كان بعض آل البيت من علماء اليمن يتحدث عن نعمة الله سبحانه وتعالى فيما منحه من الذكر والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى كان يقول :

الدهر يزعم أنه سيروعي  
ولم يدر دهري أنني متجلد  
بخطوبه ويزيد في أتراحي  
لخطوبه وليخش هول كفاحي  
والصبر درعي والدعاء سلاحي  
الذكر حصني والقناعة جنتي

فكانت هذه بمثابة قوة يحملها في يده وفي قلبه وفي رأسه وفي عقله يدراً بها كل ذي شر هي عبارة عن أشياء نحن نعتقدها لكن شتان بين من يؤمن ويعتقد وينفذ ومن يقول : هذا إن حصل حصل وإن لم يحصل فهناك غيره بعض الناس إذا قلت له

<sup>١</sup> - مسلم (٢٧٠٩) وأبو داود (٣٨٩٨) وأحمد (٢٣٧٠٠) ومسنود أبي يعلى (٦٦٨٨) .

<sup>٢</sup> - مسلم (٢٧١٣) وأحمد (٩٢٣٦) وابن حبان (٥٥٣٧) .

<sup>٣</sup> - صحيح : أبو داود (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجه (٣٨٦٩) وانظر مشكاة المصابيح (٢٣٩١) .

: اعمل كذا أو صلح كذا وكذا ربما تساهل في هذا الأمر وذهب إلى بعض المشعوذين والعرافين بل بعضهم ربما يشتكي عليك ديونا ومشاكل فأنت تأتي إليه وتقول : يا أخي . بارك الله فيك . عليك بحديث أنس الذي رواه الحاكم وصححه الشيخ الألباني وهو أن تقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وكل ما أشكل عليك شيء : { يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث } ( ١ ) أو حديث علي في الترمذي حديث قضاء الدين : { اللهم اغني بحلالك عن حرامك واغني بفضلك عمن سواك } ( ٢ ) أو { اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال } ( ٣ ) أحاديث كثيرة في هذا الباب وربما يعمل بها أو لا يعمل بها فصار عندنا من الاعتقاد بالمحسوسات والمشاهدات أكثر مما هو عقيدة أخبرنا الله سبحانه وتعالى بها فكان واجبا على العبد أن يكون كامل اليقين في باب الأذكار الصباحية والمسائية والتحصينات الربانية وأن يكون دائما التجاء إلى الله سبحانه وتعالى وتعرفون ما حصل من قصة خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وأرضاه حينما أعطوه سما ليشربه فقال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء فأخذ السواك وحرك به ذلك السم ثم شربه فما ضره شيء اعتقادا واعتصاما بالله سبحانه وتعالى وشيخ الإسلام رحمه الله لما قال لأصحابه في معركة شقحب في دمشق : إنا منصورون غدا هكذا فقل له : قل إن شاء الله فقال : أقولها تحقيقا لا تعليقاً هذا ما يدل على ما أفاض الله عز وجل على تلك الأرواح الكريمة من اليقين والاعتقاد وهكذا على العبد أن يكون دائما متفائلا لا أن يكون متشائما فإن الأمور بيد الله هو الذي يدبرها وهو الذي يغيرها قال أبو العتاهية :

هي الأيام والغير وأمر الله ينتظر

أتأس أن ترى فرجا فأين الله والقدر

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين وأن يرفع درجاتنا في المهديين وصلى الله وسلم على نبي الأولين وآخرين وجزاكم الله خيرا .

<sup>١</sup> - حسن : الحاكم (١٨٧٥) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٣١) انظر حديث رقم : ٤٧٧٧ في صحيح الجامع .  
<sup>٢</sup> - حسن : الترمذي (٣٥٦٣) وأحمد (١٣١٨) والحاكم (١٩٧٣) ومسنَد البزار (٥٦٣) انظر حديث رقم : ٢٦٢٥ في صحيح الجامع .  
<sup>٣</sup> - البخاري (٢٧٣٦) (٥١٠٩) (٦٠٠٢) (٦٠٠٨) والنسائي (٥٤٤٩) (٥٤٥٠) (٥٤٥٣) وأحمد (١٣٣٨٩) والطبراني في الأوسط (١٢٩) .



## باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

قال المؤلف رحمه الله :

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله

قال رحمه الله : من الشرك أن يستغيث أما قوله : من الشرك من هاهنا تبعية .  
أن الاستغاثة طلب أو دعاء لإزالة الشدة في حال المكروه أما الدعاء فهو أعم من ذلك لأنه يكون لجلب منفعة أو لدفع ضرر فيكون . بارك الله فيكم . باب الدعاء أو سع من باب الاستغاثة ثم قول المؤلف : من الشرك أن يستغيث بغير الله ليس على إطلاقه فالاستغاثة إن كان فيما لا يقدر عليه إلا الله وصرفت شيئاً منها لغير الله فهذا من الشرك جاءت بعض الأحاديث الموضوعة التي يتشبه بها بعض الشيعة والرافضة والصوفية يقولون قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إذا ضاقت عليكم الأمور فاستعينوا بأصحاب القبور } وهذا لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولما دخل التتر إلى بغداد في القرن السابع الهجري كان بعضهم يقول : يا عبد القادر بادر بادر عبد القادر الجيلاني وقال بعضهم : يا هارين من التتر لو ذوا بقبر أبي عمر ينجيكموا من الضرر عيادا بالله فإن كان الأمر الذي استغثت به لا يقدر عليه إلا الإله فصرفه لغيره من الشرك بل من الشرك الأكبر المخرج من الملة وإن كان في أمر يقدر عليه المرء فلا بأس أن تستعين ولا بأس أن تستغيث فيما يقدر به كما قال ربنا سبحانه حاكيا عن سيدنا موسى وذلكم القبطي :

(( فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه )) ( ١ ) فالأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله إن ارتكبه العبد يكون قد أشرك أما الأمر الذي بمقدور العبد أن ينفع أخاه فلا بأس في صحيح الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

{ من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل } ( ٢ ) وأما من حيث الدعاء فمن معلومات إخواننا الأولوية أنه ينقسم إلى قسمين :

دعاء عبادة ودعاء مسألة فدعاء المسألة أن تجعل اسما بين يدي دعائك ربك سبحانه وتعالى كما قال سبحانه : (( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها )) ( ٣ ) تجعل اسما من أسماء الله الحسنى كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعا يجعل بعض الأسماء توطئة لدعائه كما جاء في حديث ابن مسعود في مسند أحمد : { اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وذهاب همي وجلاء حزني } ( ٤ ) وسيد الاستغفار حديث شداد بن أوس عند البخاري والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي { شوف بدأ بالأسماء ثم قال : { فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت } ( ٥ ) ومن حديث أبي موسى في الصحيحين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير } ( ٦ ) ومن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه وضع يده تحت خده الأيمن ثم يقول : { اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر } ( ٧ ) أدلة كثيرة في هذا الباب تثبت أن من آداب الدعاء أن تقدم بين يدي دعائك اسما لا سيما اسما مناسباً إن أردت الرزق يا رزاق ارزقني إن أردت المغفرة يا غفور إن أردت الرحمة يا رحيم وإن أردت العزة يا عزيز فالله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى أما دعاء العبادة فهو أوسع من هذا الباب فمعناه أن تتعبد لله بمقتضى الأسماء والصفات لأن الاسم منه اسم علم على الذات الإلهية ومنه صفة ومنه أيضا يستفاد بلازم خارجي دروسا مسلكية ينطلق العبد منها في ميدان العقيدة والعبادة والعمل الصالح بل كل عبادة من توحيد وصلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة أمر بالمعروف نهى عن منكر بر والدين

١ - القصص (١٥) .

٢ - مسلم (٢١٩٩) وأحمد (١٤٢٦٩) (١٤٤٢٢) (١٤٦٢٤) (١٥١٤٢) (١٥٢٧١) وابن حبان (٥٣٢) (٦٠٩١) (٦٠٩٧) وغيرهم .

٣ - الأعراف (١٨٠) .

٤ - صحيح : أحمد (٣٧١٢) (٤٣١٨) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) والبخاري (١٩٩٤) وابن أبي شيبة (٢٩٣١٨) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٩٩) .

٥ - البخاري (٥٩٤٧) (٥٩٦٤) والترمذي (٣٣٩٣) والنسائي (٥٥٢٢) وأحمد (١٧١٥٢) (١٧١٧١) وابن حبان (٩٣٢) (٩٣٣) .

٦ - البخاري (٦٠٣٥) ومسلم (٢٧١٩) وابن حبان (٩٥٧) .

٧ - مسلم (٢٧١٣) وأحمد (٩٢٣٦) وابن حبان (٩٦٦) (٥٥٣٧) والحاكم (٢٠٠٢) .

إحسان إلى الجار طلب علم دعوة إلى الله أي عبادة من العبادات تدرج تحت دعاء العبادة لأن العبد لا يعمل هذه العبادات إلا لأنه يريد وجه الله ومغفرة الله وإرضاء الله سبحانه وتعالى .

وقول الله تعالى : (( ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو )) الآية ( ١ ) .

ثم يقول الشيخ : وقول الله تعالى :

(( ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين )) ( ٢ ) هذا بعضهم يقول : إنه خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم والصحيح أنه عام.

ولا تدع مع أن النبي صلى الله عليه وسلم هو داعية إلى التوحيد إذا كان نهى للرسول صلى الله عليه وسلم فنحن من باب الأولى (( ولا تدع من دون الله )) أي سوى الله (( ما لا ينفعك ولا يضرك )) قال سبحانه : (( فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين )) لم يقل من المشركين لأنه إذا أنت صرفت شيئاً من العبادة لمن لا يضرك ولا ينفعك فأنت تكون من الظالمين بل قد أتيت الظلم منتهى الظلم وهو الإشراف بالله وقال بعض الشارحين :

لم يقل : من المشركين ليعلم أن الشرك ظلم ومما يوافق هذه الآية حديث ابن عباس المشهور الثابت عند الترمذي وأصله في مسند أحمد لما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف } ( ١ ) إيش تريد بعد هذا ؟

<sup>١</sup> - يونس ( ١٠٦ - ١٠٧ ) .

<sup>٢</sup> - يونس ( ١٠٦ - ١٠٧ ) .

{ رفعت الأقلام } أي لا كتابة حديث عبادة بن الصامت : { إن أول ما خلق الله القلم قال : اكتب قال : ما أكتب قال : اكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة } ( ٢ ) وحديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم : { إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء } ( ٣ ) { رفعت الأقلام وطويت الصحف } أي لا تفتح خلاص وحديث أبي الدرداء واسمه عويمر بن زيد في مسند أحمد وذكره الشيخ مقبل رحمه الله في الجامع الصحيح في القدر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله قد فرغ إلى كل عبد من خمس من رزقه وعمله وأجله وأثره وشقي أو سعيد } ( ٤ ) وحديث ذي اللحية الكلبي الذي سجلناه لكم : **أنعمل في أمر مستأنف أو في أمر قد فرغ منه ؟** قال : { لا بل في أمر قد فرغ منه } قالوا : **فلم العمل إذن ؟** قال : { اعملوا فكل ميسر لما خلق له } ( ٥ ) فغير الله من جحافل الظلم من القبوريين من الملائكة من الجن من الآدميين من من لا يمكن أن ينفعك أحد أو يضرك إلا بإذن من الله إذا كان قد قال الله في حق الجن والسحرة : (( وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله )) ( ٦ ) فما بالك بما هو سوى ذلك .

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

وقول ربنا سبحانه : (( وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو )) ( ٧ ) معنى قوله : (( يمسسك )) أي يصبك إن يصبك الله بضر فلا كاشف له إلا هو بمعنى الله هو الذي يكشف الضر وهو الذي يجلب النفع كما قال ربنا سبحانه في آية أخرى : (( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون )) ( ٨ ) (( أمن يجيب المضطر إذا دعاه )) **من الذي يكشف ضررك ؟** الله لا أحد غير الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي من الصالحين ينفع ، هؤلاء إن كانوا صالحين فصالحهم لأنفسهم فلو تأمل العبد في كتاب الله وفي هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم لرأى عجبا عجابا يقول سبحانه : (( وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه )) ( ٩ ) (( وذا النون )) ذا بمعنى صاحب ونصب هنا على الفعل المحذوف أي واذكر عبدنا ذا النون ومعنى النون أي الحوت واسمه يونس بن متى وكان هذا النبي الكريم يقال : من بلاد الرافدين من بلاد العراق (( وذا النون إذ ذهب مغاضبا )) أي قومه لأنهم لم يستجيبوا له (( إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر )) ومعنى نقدر أي نضيق ظن أن لن نضيق عليه كما قال سبحانه : (( فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر )) ( ١٠ ) أي ضيق فكان منه أن ركب في سفينة ثم كان في عقيدة ذلك الزمان إذا اضطربت السفينة تساهموا ففقدوا واحدا منهم إلى الماء فكما

١ - صحيح : الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢) .

٢ - الترمذي (٢١٥٥) (٣٣١٩) والحاكم (٣٨٤٠) والطيالسي (٥٧٧) والمعجم الكبير (١٢٥٠٠) وغيرهم .

٣ - مسلم (٢٦٥٣) والترمذي (٢١٥٦) وأحمد (٦٥٧٩) .

٤ - صحيح : أحمد (٢١٧٧٠) والمعجم الأوسط (٣١٢٠) بلفظ : { إن الله عز وجل فرغ إلى كل عبد من خلقه من خمس من أجله وعمله ومضجعه وأثره ورزقه } وانظر ظلال الجنة للألباني (٣٠٣) (٣٠٥) (٣٠٨) .

٥ - البخاري (١٢٩٦) (٤٦٦١) (٤٦٦٣) (٤٦٦٤) (٤٦٦٥) (٤٦٦٦) (٥٨٦٣) (٦٢٣١) (٧١١٣) ومسلم (٢٦٤٧) وأبو داود (٤٦٩٤) وغيرهم .

٦ - البقرة (١٠٢) .

٧ - يونس (١٠٧) .

٨ - النمل (٦٢) .

٩ - الأنبياء (٨٧) .

١٠ - الفجر (١٥ - ١٦) .

قال ربنا : (( فساهم فكان من المدحضين )) ( ١ ) فرموا به من على متن السفينة (( فنادى في الظلمات )) **ماذا يقول في تلك الظلمات ؟** (( أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين )) ( ٢ ) إنها ظلمات ثلاث كما قال المفسرون : البحر والليل وبطن الحوت في ذلك المكان العجيب البعيد بالنسبة لنا القريب بالنسبة من الله جاء في بعض الآثار التي لم تصح أسانيدھا أن الملائكة قالوا : صوت معروف من أرض غريبة .

الشاهد من هذا حينما نادى وهو في ذلك المكان وفي ذلك الموضع (( لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين )) ثم في آية أخرى (( فاستجبنا له )) ( ٣ ) استجاب الله سبحانه وتعالى لسيدنا يونس بن متى عليه الصلاة والسلام ويخرجه من بطن الحوت (( فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون )) ( ٤ ) هذا دليل على عظمة الله سبحانه وتعالى

يا صاحب الهم إن الهم منفرج وابشر بخير فإن الكاشف الله

الكاشف للهم هو الله سبحانه وتعالى وكان النبي صلى الله عليه وسلم يهتف بهذه العقيدة فكان عليه الصلاة والسلام من دعائه في الهم والكرب ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس أنه كان يكرر : { لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم } ( ٥ ) وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يقول : { اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال } ( ٦ ) وجاء مكاتب أي رقيق كاتب سيده من أجل أن يحرر إلى علي بن أبي طالب أمير المؤمنين في الكوفة قال له : إني كاتب وإني عجزت عن الأداء يريد منه الإعانة والنجدة قال له أمير المؤمنين : **ألا أدلك على ما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟** قال : بلى قال : { أن تقول : اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فإنه لو كان عليك مثل جبل { صبر } أو ثبير دينا إلا أدى الله عنك } ( ٧ ) ذكر الألباني الحديث في السلسلة الصحيحة فبعضهم يقول : صبر هو جبل صبر كما قال صاحب النهاية : جبل من جبال اليمن وبعضهم يقول : ثبير وهو جبل من جبال طي وطي أيضا في بلاد اليمن فلا يكشف همنا وغمنا وبلوانا إلا الله سبحانه وتعالى وإن أراد عبد بك الضر فليس بقادر إلا بإذن من الله وإن أراد لك النفع فلا يستطيع أن يصل إلى نفعك إلا بإذن من الله هذه معتقد المسلمين بل كان على هذه العقيدة بعض الجاهليين الذين لم تتلوث فطرتهم بعد كما قال قائلهم :

فإن يشأ الرحمن يغفو ويطلق ،

قال سبحانه : (( وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم )) ( ٨ ) مقام المنع مقام مقام الضر مقام النفع مقام العطاء الله سبحانه وتعالى هو المتفضل وهو الذي بيده أزمة الأمور كلها كان النبي صلى الله عليه وسلم

١ - الصافات ( ١٤١ ) .

٢ - الأنبياء ( ٨٧ ) .

٣ - الأنبياء ( ٨٨ ) .

٤ - الصافات ( ١٤٣ - ١٤٤ ) .

٥ - البخاري ( ٥٩٨٥ ) ( ٥٩٨٦ ) ومسلم ( ٦٩٩٤ ) والمعجم الكبير ( ١٢٧٥٠ ) والمعجم الأوسط ( ١٠١٠ ) وسنن النسائي الكبرى ( ٧٦٧٤ )

( ٧٦٧٥ ) ( ١٠٤٩٠ ) .

٦ - البخاري ( ٢٧٣٦ ) وأبو داود ( ١٥٥٥ ) والنسائي ( ٥٤٥٣ ) .

٧ - حسن : الترمذي ( ٣٥٦٣ ) وأحمد ( ١٣١٨ ) والحاكم ( ١٩٧٣ ) والبزار ( ٥٦٣ ) انظر حديث رقم : ٢٦٢٥ في صحيح الجامع .

٨ - يونس ( ١٠٧ ) .

وسلم إذا انتهى من صلاته يهمل { لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجند } ( ١ ) هذه العقيدة لو ثبتت في قلوب المؤمنين أخرجت كل شك وكل وسوسة وأخرج من قلوبنا الأمراض أمراض الجبن والبخل والحسد وأخرجت حب الدنيا وأخرجت التكالب بحيث أن يكون العبد واثق أنه ما أراد الله لا بد أن يصل وإن أرادت الدنيا منعه ما استطاعت وتأمل فرعون أراد أن يهزم موسى بقوته وجيوشه فأبى الله إلا أن ينصر موسى وكان موسى معه نفر قليل من بني إسرائيل (( فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي )) ركز على كلمة معي (( ربي سيهدين )) ( ٢ ) وفعلا هداه الله لأن يضرب في البحر بعصاه وشققه الله سبحانه وتعالى بقوته وقدرته فما أحوج المسلم وطالب العلم أن يجعل هذه عقيدة في قلبه وهو أن يعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كما قال ابن القيم في كتابه الفوائد قال : قاعدة جلية أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

ولا تنامن إلا خالي البال

دع المقادير تجري في أعنتها

يغير الله من حال إلى حال

ما بين غمضة عين وانتباهتها

وفي قوله : (( وهو الغفور )) الغفور أي ذو المغفرة والمراد بالغفران ستر الذنب والتجاوز عنه وأصل الغفر مأخوذ من الآلة التي تتخذ على الرأس يتقي بها الشخص السهام والأحجار التي تقذف عليهم كما جاء من حديث أنس { أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر } ( ٣ ) ، وهكذا هذه الطاقية الكوفية التي يلبسها الجنود في الحرب تسمى مغفر وهكذا الدرع الحربي الذي يرد أيضا يأخذ هذا لأنه يصد به الضربات وعلى ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم : { لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده } ( ٤ ) والبيضة هي هذه الآلة الترس ليس التي على الرأس وإنما التي يتقي بها المقاتل ضربات أعدائه فالمغفرة فيها ستر ووقاية إن يسر الله عز وجل وأذن بها للعبد يوم أن يغفر له ذنوبه ، والرحيم صفة الرحمة وهي صفة تليق بالله سبحانه وتعالى تقتضي الإنعام والإحسان فالله سبحانه وتعالى رحيم وما نفى هذين الاسمين إلا الجاحدون لآيات الصفات أو للصفات وأسمائها وهم الجهمية أو المعتزلة أولوا وكذلك أيضا الأشاعرة والمفوضة الذين يقولون : لا نعلم معنى ذلك .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٥٩٧١ ) ومسلم ( ٥٩٣ ) .

<sup>٢</sup> - الشعراء ( ٦١ - ٦٢ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ١٧٤٩ ) وأبو داود ( ٢٦٨٥ ) والترمذي ( ١٦٩٣ ) .

<sup>٤</sup> - البخاري ( ٦٤٠١ ) ومسلم ( ١٦٨٧ ) والنسائي ( ٤٨٧٣ ) وابن ماجه ( ٢٥٨٣ ) .

وقوله : (( فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه )) الآية ( ١ ) .

ثم قال جل وعلا : (( إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون )) ( ٢ ) ومعنى فابتغوا أي اطلبوا (( إن الذين تعبدون من دون الله )) يعني ملائكة جن إنس أو ثان أنداد أصنام مقبورين قال : (( لا يملكون لكم رزقا )) قال سبحانه : (( فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون )) الآن من الناس من عنده خدش وخلط في معتقداته بعض أصحاب المحلات التجارية يذهب إلى بعض الكهنة والعرافين وهؤلاء الذين يدعون علم الغيب والذين يدعون السيادة والريادة وأنهم من نسل الرسول فيكتبون لهم جذبا للزبائن وصرفا عن فلان جلب لفلان وصرف عن فلان وأخبرنا بعض إخواننا أنه دخل محلا تجاريا ووجد فيه ورقة هكذا مثل الملحمة مكتوب فيها أسماء وطلاسم وكذا **إيش في ؟** يشير إلى المكان الآخر قال : شوف ذاك ذاك ابن الكلب ما ترك سيد ولا شيخ إلا حبس علي الزبائن فهذه عملتها كدفاع أذفع بها عن نفسي هذه يا إخوان عقيدة خربانة وعند كثير من الناس إذا قلت زبائنه يقول له أصحابه أسرته : إذهب شوف نفسك روح شوف نفسك هذا حاصل يا إخوان يجيب نفسه عند المقذنين والعرافين والكهنة الذين يدعون . بارك الله فيكم . النفع والضرر وأعرف واحدا الناس والنساء جرافات ووجدانا عنده وهو إذا مرض لا يقنع بالأدوية في اليمن ولا في الدول العربية وإنما يحاول أن يذهب إلى دول أخرى يذهب إلى دول أخرى طلبا للعلاج

<sup>١</sup> - العنكبوت ( ١٧ ) .

<sup>٢</sup> - العنكبوت ( ١٧ ) .



وأظنه قد ذهب إلى الهند أربع أو خمس مرات موجود هذا في منطقة قريبة هو يتداوى في الهند وهؤلاء الرعية المساكين يعمل لهم شوية زيت حبة سوداء عسل من هذا المستورد ويبيع كما يقال : الذي هو بسعر البلعة بالقلعة يغلي عليهم بالأثمان أعوذ بالله فكان لزاما على العبد المسلم أن يرضى بما قسمه الله فالله سبحانه وتعالى إن أعطاك قليلا رضى وإن أعطاك كثيرا رضى ثم عليك أن تعلم أنك مبتلى بالله سبحانه وتعالى إن أعطاك ابتلاك وإن منعك ابتلاك أيضا فأنت في ابتلاء واختبار فلا يظن أنه إن أعطي يعني أن الله راضى عنه لا ربما كان علامة سخط يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب } ( ١ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الله يعطي الدنيا من أحب ومن لا يحب وأما الدين فلا يعطيه إلا من يحب } ( ٢ ) ويقول سبحانه في كتابه الكريم : (( فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمني )) ( ٣ ) أكرمني الله (( وأما إذا ما ابتلاه ربه فقد رآه ضيق عليه رزقه فيقول ربي أهانني )) ( ٤ ) هذا ميزان كثير من الناس فلان ما أعطي إذن الله ما يحبوش فلان أعطي هذا الله يحبه هذا ميزان غلط قال الله بعدها : (( كلا )) أي ليس كل من أعطيناه قربناه ولا كل من منعناه أقصيناه ليس هذا الأمر فميزان القرب والبعد هو التقوى والعمل الصالح ليس المال ولا الحسب والنسب قال ربنا : (( وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون )) ( ٥ ) فلا يكون عند الشخص عقيدة مهزوزة فيبيع عقيدة التوحيد من أجل أن رزقه كان قليلا وربما غنى طغى بصاحبه ربما مال مال بصاحبه ربما شخص أعطي مال فمال وأعطي ذهابا فذهب فكان لزاما على أن يرضى العبد بما قسمه الله من حديث أبي هريرة في مسند أحمد قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ **خمس كلمات من يتعلمهن ؟ ويعلم من يتعلمهن ؟** قال أبو هريرة : أنا قال : فأخذ بيدي أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد أبي هريرة قال فعد خمسا فقال : اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله تكن أغنى الناس وأحب لأخيك ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وأحسن إلى جارك تكن مسلما ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب } ( ٦ ) .

١ - صحيح : الحاكم ( ٧٤٦٥ ) والبيهقي في شعب الإيمان ( ١٠٤٥٠ ) انظر حديث رقم : ١٨١٤ في صحيح الجامع .  
 ٢ - صحيح : الحاكم ( ٩٤ ) والبيهقي في شعب الإيمان ( ٥٥٢٤ ) ومسند الشهاب ( ١١٠٨ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٢٧١٤ ) .  
 ٣ - الفجر ( ١٥ ) .  
 ٤ - الفجر ( ١٦ ) .  
 ٥ - سبأ ( ٣٧ ) .  
 ٦ - حسن : الترمذي ( ٢٣٠٥ ) وأحمد ( ٨٠٨١ ) والطبراني في الأوسط ( ٧٠٥٤ ) انظر حديث رقم : ١٠٠ في صحيح الجامع .

وقوله : (( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة )) الآيتين ( ١ ) .

ثم ذكر المؤلف قول ربنا سبحانه : (( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون )) ( ٢ ) من أضل أي في منتهى الضلال من دعا من لا يستجيب لأن الشخص له قدرة محدودة وسمع محدود الآن لو عندنا واحد حي صحيح سليم وهو بعيد منا قرابة اثنين كيلو متر في بيته وناديننا بصوت رفيع يا فلان بن فلان ما يسمع فكيف إذا كان مقبور فكيف إذا كان صنم فالله سبحانه وتعالى هو الذي يسمع عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : { أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم ما تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً ان الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته } ( ٣ ) الله قريب وتقول عائشة : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فلقد جاءت المجادلة خولة بنت ثعلبة تجادل النبي في زوجها أوس بن الصامت وإني لبينى وبينها جدار ما سمعتها ، فسمعها الله (( قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير )) ( ٤ ) ( ٥ ) على أن الجدار الذي كان بين عائشة ورسول الله والمرأة ويش كان من جدار جدار بلك مليس

١ - الأحقاف ( ٥ ) .

٢ - الأحقاف ( ٥ ) .

٣ - أحمد ( ١٩٦١٤ ) وسنن النسائي الكبرى ( ٧٦٨٠ ) وهو في الصحيحين بدون لفظة : { إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته } .

٤ - المجادلة ( ١ ) .

٥ - النسائي ( ٣٤٦٠ ) وابن ماجه ( ١٨٨ ) وأحمد ( ٢٤٢٤١ )

مليس مرنج لا جدار أحجار صغير ما فيه من هذا الأمور الحديثة ويقول سبحانه في كتابه الكريم : (( وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور )) ( ١ ) الذي يدعو من لا يسمع لا يمكن يستجيب (( إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير )) ( ٢ ) يوم القيامة يأتي يشهد عليك ويشهد ضدك ويقول نحن ما أردنا منك أن تدعونا من دون الله أو أن تعبدنا من دون الله (( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون )) ( ٣ ) غافل لك في قبره مشغول بنفسه فكيف الذي يدعو ابن علوان إلى يفرس وابن علوان قد مات في القرن الخامس الهجري وكان صوفيا وكيف من يدعو أحمد الرفاعي وقبره في مصر ولما نزلت جمهورية جيبوتي للدعوة إلى الله دخلنا مقام الناس يطوفون حوله وينحرون ويتقربون القرابين شرك يعني فقلنا لهم : **هذا إيش ؟** قالوا : هذا مقام أحمد الرفاعي قلنا : أحمد الرفاعي هو في مصر قالوا : هذا مقامه يعني يعبر عنه قلنا : **طيب كيف يعني له قبران وإلا مات مرتين والا كيف ؟** قالوا : لا القبر في مصر وهنا شاع أمره شاع أمره فين ؟ في جيبوتي فاتخذوا له مقام والذي يطوف حوله ترى فيه من الإعراض عن الدين من خلال شكله عنده القات هذا بعد العصر أعوذ بالله وفي باب المندب واحد مقبور الله أعلم إيش حاله يسمى بالشيخ سعيد تذهب المرأة إليه وتقول : يا شيخ سعيد أسألك أن تحبلي تطلب الحبل من الشيخ سعيد إيش يحبلها وهو داخل القبر أنا والله ما أدري كيف يحبلها وتذهب المرأة وتقول : هذه خمسة آلاف ريال أنا نذرت بها وتطرحها جانب القبر وأولئك السدنة حمران العيون هي تنطلق وهم يأخذونها يكذبون على الناس يدجلون على الناس السدنة هؤلاء نسأل الله السلامة هذه عادات قضى عليها الإسلام لكن الشيطان وراءها بالمرصاد يدعو الناس إلى الشرك من أجل أن يضلوا

(( الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم )) ( ٤ ) هذه خطوات الشيطان فالله سبحانه وتعالى يقول : (( وهم عن دعائهم غافلون )) وقال سبحانه : (( وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين )) أن هؤلاء يكفرون بهذه العبادة .

١ - الملك ( ١٣ ) .

٢ - فاطر ( ١٤ ) .

٣ - الأحقاف ( ٥ ) .

٤ - البقرة ( ٢٦٨ ) .

وقوله : (( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء )) ( ١ ) .

وقوله سبحانه : (( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءأله مع الله )) ( ٢ ) وهذا يسميه العلماء استفهام إنكاري بمعنى النفي فيفيد التحريم والتنفير والزجر عن هذه العادات (( أمن يجيب المضطر إذا دعاه )) لا أحد أنت الذي تجيب المضطر إذا دعاك .

١ - النمل ( ٦٢ ) .  
٢ - النمل ( ٦٢ ) .

وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله } ( ١ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله : (( ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك )) .

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : أن أصلح الناس لو فعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين .

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله .

<sup>١</sup> - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٠ / ١٥٩ ) : رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث .

- الحادية عشرة : أنه غافلٌ عن دعاء الداعي لا يدري عنه .
- الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سببٌ لبغض المدعو للداعي وعداوته له .
- الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .
- الرابعة عشرة : كفر المدعوة بتلك العبادة .
- الخامسة عشرة : هي سبب كونه أضل الناس .
- السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .
- السابعة عشرة : الأمر العجيب ، وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله ، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين .
- الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأدب مع الله .

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين قال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبي : { إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله } الحديث رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد وهو ضعيف لضعف القاضي عبد الله بن لهيعة وهو مختلط كما أفاد ذلك الدوسري في النهج السديد أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل التوحيد وأن يميّتنا عليه وأن يبعثنا عليه حينما نلقاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

**باب قول الله تعالى : (( أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً )) الآية ( ١ )**

قال المؤلف رحمه الله تعالى :

**باب قول الله تعالى : (( أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون )) ( ٢ )**

أما تعريف كلمة باب فلغة : تستعمل لما يدخل ويخرج منه وفي اصطلاح العلماء في تبويب كتبهم ومصنفاتهم يعنون به : الجملة العلمية المختصة من الكتاب فيقولون : اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب وفي هذا الباب لما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى في الأبواب السابقة الاستعاذة والاستغاثة بغير الله ذكر البراهين الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله ولهذا جعل الترجمة لهذا الباب نفس الدليل فتأمل إلى البابين السابقين فيما يتعلق بالاستعاذة والاستغاثة ذكر هذا الباب دون أن يترجمه بشيء إنما قال : باب قول الله : (( أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون )) ففي قول الحق تبارك وتعالى : (( أيشركون ما لا يخلق شيئاً )) الاستفهام هاهنا يسميه علماء البلاغة استفهام إنكاري يراد به التوبيخ والإنكار على هؤلاء الكفار الذين يشركون ما لا يخلق شيئاً وما هاهنا موصولية تفيد العموم إيش معنى تفيد العموم يعني تستعمل للعاقل ولغير العاقل وتستعمل للمذكر والمؤنث وتستعمل للمفرد والجمع فتقول : جاءني ما عندك فربما الذي جاء مفرد وربما مثني وقد يكون جمعا وقد يكون مذكرا أو مؤنثا قد يكون عاقلا وقد يكون غير عاقل كالحيوانات جاءني ما عندك فما هاهنا موصولية وما الموصولية تفيد العموم تشمل عموم الأشياء فيدخل في ذلك الأشجار والأحجار والملائكة والنبين والمقبورين وكل ما عبد من دون الله يقول سبحانه : (( أيشركون )) في إنكر على

<sup>١</sup> - الأعراف ( ١٩١ - ١٩٢ ) .

<sup>٢</sup> - الأعراف ( ١٩١ - ١٩٢ ) .



الكفار على المشركين أيشركون مع الله سبحانه وتعالى في عبادتهم هذه المخلوقات التي لا تخلق شيئاً وهم يخلقون فالله سبحانه وتعالى ينكر على هؤلاء من خلال هذا الاستفهام الإنكاري (( أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون )) لا يخلقون أي لا يمكن أن يوجدوا شيئاً من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين لا يمكن أن يعطوا الصفة التي اتصف الله بها وهو الخلق كما قال سبحانه : (( ألا له الخلق والأمر )) ( ١ ) (( وهم يخلقون )) أي الخالق لهم الله سبحانه وتعالى (( ولا يستطيعون لهم نصراً )) هذه الآلهة لا تستطيع أن تنصر هؤلاء الذين يشركون بهم من دون الله سبحانه وتعالى (( لا يستطيعون لهم نصراً )) بل (( ولا أنفسهم ينصرون )) يعني حتى هذا الصنم لا يستطيع أن ينصر نفسه فالصنم ربما يأتي إليه طفل صغير يأخذ من العذرة ومن القاذورات فيلطخه على وجهه وعلى رأسه دون أن تستطيع هذه الأصنام أن تدفع عن نفسها شيئاً كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( ضعف الطالب والمطلوب )) ( ٢ ) في هذا إثبات العجز والنقص الذي يلحق هذه المخلوقات وقد قيل إن رجلاً كان يعبد صنماً فإذا بثعبان يعلو على هذا الصنم فيبول على رأسه فأدرك ذلكم بفطرته أن هذا لو كان يضر أو ينفع لدفع عن نفسه السوء وبول هذا الثعبان فقال ذلكم العربي :

أرب يبول الثعلبان برأسه      لقد ذل من بالت عليه الثعالب

لا يستطيع أن ينفع نفسه وإذا كان لا يستطيع أن ينفع نفسه فمن باب أولى أنه لا يستطيع أن ينفع غيره أو يدفع الضر عن غيره .

١ - الأعراف ( ٥٤ ) .

٢ - الحج ( ٧٣ ) .

وقوله : (( والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير )) ( ١ )

ثم قال جل وعلا : (( والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير )) الذين تدعون من دون الله سواء كانوا ملائكة أو جن أو إنس نبين أحجارا أو أشجارا قال : (( والذين تدعون من دونه )) أي من دون الله (( ما يملكون من قطمير )) والقطمير هو اللفافة التي تأتي على نواة التمر يعني مخلوق ضعيف جدا لا يمتلكه هؤلاء وقد يقول قائل : لكن قد يملكون كما قال الله سبحانه وتعالى : (( إلا ما ملكت أيمانكم )) ( ٢ ) وكما قال سبحانه في كتابه الكريم : (( أو ما ملكتكم مفاتيحه )) ( ٣ ) يعني إثبات الملك للإنسان والجواب على هذا أن ابن آدم قد يملك لكنه ملك ناقص فصاحب المال يملك هذا المال لكن ملكه لهذا المال عبارة عن ودیعة لا يمكن أن يتصرف بهذا الملك إلا على حسب الشرع فلا يجوز له أن يحرق هذه الأموال يعني هذا من الإسراف والتبذير ولا يجوز له أن يشتري به المجون والخلاعة وأن يسرف في الحرام فإنه يحاسب كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره )) ( ٤ ) وكما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين )) ( ٥ ) وكما قال سبحانه : (( ثم لتسألن يومئذ عن النعيم )) ( ٦ ) تسأل عن هذا النعيم الذي نعمك الله سبحانه وتعالى به وفي قوله : (( والذين تدعون )) المراد بهذا الدعاء دعاء المسألة ودعاء العبادة وقد تقدم الفرق بين هذين النوعين من العبادة ثم قال جل وعلا :

١ - فاطر ( ١٣ ) .

٢ - النساء ( ٢٤ ) .

٣ - النور ( ٦١ ) .

٤ - الزلزلة ( ٧ - ٨ ) .

٥ - الأنبياء ( ٤٧ ) .

٦ - التكاثر ( ٨ ) .

(( إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم )) ( ١ ) هؤلاء الذين أنتم تشركون بهم معنا (( إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم )) هؤلاء الذين هم أصنام أو هم من بني آدم في عالم القبور لو سمعوا ما استجابوا لكم حتى وإن كانوا على قيد الحياة ما يستطيعون أن يلبوا لكم مطالبكم إن قلت لهذا الحي : اشفني ارزقني فهو عاجز هو مخلوق مثلك يحتاج إلى ربه سبحانه وتعالى (( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد )) ( ٢ ) فيقول سبحانه : (( ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير )) ( ٣ ) هذا إنباء الله عز وجل وهو الخبير والخبير هو العالم ببواطن الأمور وظواهرها فهذه فتوى من الرب سبحانه وتعالى في باب العقيدة والتوحيد (( والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم )) هؤلاء الذين دعوا من دون الله يكفرون بهذا الشرك ويقولون : نحن يارب ما أردنا منهم هذا الشرك ويتبرءون وأول من يتبرأ الشيطان الرجيم قال سبحانه : (( ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين )) ( ٤ ) فمن الناس من عبد الشيطان ففي ذلك اليوم العظيم يستقيم الشيطان خطيباً مفوها ينكر الإشراف الواقع من بني آدم به قال جل وعلا : (( وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي )) ( ٥ ) والمراد بالصريخ المغيث ما أنا بمغيثكم ولا أنتم بالذين تستطيعون إغاثتي هكذا يتصل الشيطان من العبادة الواقعة من بني آدم له وهناك جماعة في أرض الموصل تسمى باليزيديين وهؤلاء هم عبدة الشيطان على وجه الخصوص وهناك أيضاً من يعبد على وجه العموم (( الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء )) ( ٦ ) ويقول سبحانه : (( ولا تتبعوا خطوات الشيطان )) ( ٧ ) كذلك الملائكة تتبرأ أيضاً ممن يشرك بها في ذلك اليوم قال جل وعلا : (( ويوم يحشرهم جميعاً فيقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم إنما كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون )) ( ٨ ) تتبرأ الملائكة من الذين يدعونهم من دون الله وتتبرأ جميع المعبودات من عابديها وجميع المتبوعين من أتباعها قال جل وعلا : (( إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقالوا اتبعوا )) ( ٩ ) الذين اتبعوا القادة من الذين اتبعوا هؤلاء الذين هم يتابعونهم (( وإذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا )) هؤلاء الضعفاء المساكين :

(( لو أن لنا كرة )) يعني رجعة إلى الدنيا هذه (( فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا )) قال جل وعلا : (( كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار )) ( ١٠ ) وكما قال سبحانه :

١ - فاطر ( ١٤ ) .  
٢ - فاطر ( ١٥ ) .  
٣ - فاطر ( ١٤ ) .  
٤ - يس ( ٦٠ ) .  
٥ - إبراهيم ( ٢٢ ) .  
٦ - البقرة ( ٢٦٨ ) .  
٧ - البقرة ( ١٦٨ ) .  
٨ - سبأ ( ٤٠ - ٤١ ) .  
٩ - البقرة ( ١٦٦ ) .  
١٠ - البقرة ( ١٦٦ - ١٦٧ ) .

(( وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا )) ( ١ ) وجاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { يقال يوم القيامة : لتبع كل أمة ما كانت تعبد في هذه الدنيا فيتبع أهل النار النار وأهل الصليب الصليب وأهل الخنزير الخنزير وأهل القمر القمر وأهل الشمس الشمس يتبعونهم ثم يجعل الله هذه المعبودات كلها في نار جهنم } ( ٢ ) كما قال سبحانه : (( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون )) ( ٣ ) وهكذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الشمس والقمر مكوران يوم القيامة } ( ٤ ) تويخا وتبكيتا لهؤلاء لهؤلاء المشركين يقال لهم : أنتم تعبدون الشمس إذن يدخل الله الشمس النار أنتم تعبدون القمر يدخل الله القمر النار ويخزي ويفتضح في ذلك اليوم ما يسمون اليوم بالمسيحيين وهم النصارى يفتضحون في ذلك اليوم يوم أن يقال لهم : ما عبدتم قالوا : عبدنا المسيح ابن مريم فالمسيح بن مريم يتنصل ممن يعبدوه ويدعوه من دون الله في النوائب والشدائد لأن المسيح بن مريم كان على التوحيد وفي آخر الزمان ينزل عيسى بن مريم حكما مقسطا يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويسوس الناس بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله حاكيا ومصورا موقفا من مواقف يوم القيامة :

(( وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت شهيدا عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد )) ( ٥ ) فهذا كله دلائل واضحة مصداقا لقوله سبحانه :

(( والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير )) ( ٦ ) (( ويوم القيامة يكفرون )) أي يتنصلون من هذه العبادة التي صرفت لهم من دون الله وما أشبه هذه الآية بقوله سبحانه : (( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين )) ( ٧ ) .

١ - الأحزاب ( ٦٧ - ٦٨ ) .  
٢ - البخاري ( ٤٣٠٥ ) ومسلم ( ١٨٣ ) .  
٣ - الأنبياء ( ٩٨ ) .  
٤ - البخاري ( ٣٠٢٨ ) .  
٥ - المائدة ( ١١٦ - ١١٧ ) .  
٦ - فاطر ( ١٣ - ١٤ ) .  
٧ - الأحقاف ( ٥ - ٦ ) .

وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت ربايته فقال : { كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فنرت : (( ليس لك من الأمر شيء )) ( ١ ) } ( ٢ ) .

ثم قال المؤلف : وفي الصحيح والمراد بالصحيح في البخاري ومسلم والشيخ ابن عبد الوهاب رحمه الله ليس له اصطلاح في هذا فربما يعني في الصحيحين و يعني في البخاري وفي مسلم وربما عنى به أنه صحيح وإن كان خارج الصحيحين . قال : وفي الصحيح عن أنس ،

وأنس هو ابن مالك أبو حمزة خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال : { خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي قط : أف وما قال لي لشيء فعلته كذا **ألا فعلت كذا ؟** } ( ٣ ) وذلك أنه ما كان يعمل شيئاً يخالف فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقرب الوضوء والسواك والعنزة يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فأفلح كان من العلماء

والمكثرين في رواية الأثر أبو هريرة يليه ابن عمر

وأنس والبحر كالخديري وجابر وزوجة النبي

من المكثرين ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم قال : { اللهم أكثر ماله وولده } ( ٤ ) فكان له من الولد مائة وبضعة وعشرين ولدا وكانت مزارعه تنتج في العام مرتين وهو آخر من مات في البصرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عن أنس بن مالك .

<sup>١</sup> - آل عمران ( ١٢٨ ) .

<sup>٢</sup> - علقه البخاري ووصله أحمد في المسند ( ٩٩ / ٣ و ١٧٨ و ٢٠٦ ) والترمذي ( ٢٠٠٥ ) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٥٦٩١ ) وأبو داود ( ٤٧٧٤ ) والترمذي ( ٢٠١٥ ) .

<sup>٤</sup> - البخاري ( ٥٩٧٥ ) ومسلم ( ٦٦٠ ) .

هذا الصحابي الجليل يروي قال : شج النبي ،

والمراد بالشجة هو الجرح الذي يكون في الرأس أو في الوجه خاصة إذا كان في الوجه أوفي الرأس يقال شجة وإذا كان في غيره من الجسم يسمى جروح أو جراحات .

قال : شج النبي ،

فيكون النبي نائب فاعل والذي شج النبي صلى الله عليه وسلم يقال إنه أحد الكفار يسمى عبد الله بن قماءة جرحه في وجنته والوجنة تكون في الوجه .

قال : شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ،

ويوم أحد أحد هو ذلكم الجبل الذي هو في الشمال الشرقي من المدينة النبوية ولا نقول المدينة المنورة لأن أي أرض دخلها الإسلام فهي منورة ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : أي أرض لم يدخلها الإسلام فهي أرض ملعونة لكن الاسم هذا المنورة هو من ألفاظ أهل البدع فلا بأس أن نقول المدينة النبوية تمييزاً لها وتشريفاً على سائر البقاع ولا شك أنها منورة نورت بالوحي ونورت بنزول النبي صلى الله عليه وسلم فيها وللمدينة مزايا وفضائل قال النبي صلى الله عليه وسلم : { ما روع أحد أهل المدينة إلا انماع كما ينماع الملح في الماء } ( ١ ) أو كما قال عليه الصلاة والسلام ويقول : { اللهم بارك لنا في مدنا اللهم بارك لنا في صاعنا } ( ٢ ) يدعو النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة وقال : { اللهم إن إبراهيم خليلك حرم مكة وأنا أحرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة } ( ٣ ) فهي أرض حرام وهكذا أيضاً يقول صلى الله عليه وسلم : { المدينة حرم من غير إلى ثور } ( ٤ ) وهما جبالان في المدينة ويوم أحد كان في العام الثالث من الهجرة النبوية وكانت في شوال وذلك أنه التقى أولياء الله وأولياء الشيطان في غزوة بدر في العام الثاني من الهجرة وكانت الغلبة للمسلمين أيد الله المسلمين بالظفر والنصر فما زال في قلوب المشركين من المرض وحب الانتقام لأنه قتل من صناديدهم ومن أكابرهم في بدر فكان هذا في النفوس فأعدوا العدة وخرجوا من مكة يريدون الأخذ بالثأر لمن قتل في بدر من أصحابهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يبقى في المدينة فمن ناوهم ناووه ودفعوا عن أنفسهم وأعراضهم ومدينتهم ودينهم وكان المنافقون يريدون هذا الرأي وكان بعض الصحابة الذين لم يحضروا بدرًا ولم يكرموا بالشهادة أرادوا الخروج إلى مكان أحد إلى الجبل المعروف الذي وقعت فيه الوقعة المعروفة فاشتهد النبي صلى الله عليه وسلم ما أراد أصحابه فخرج وعبد الله بن أبي كان لا يريد الخروج وهنا فائدة أن الشخص إذا استشير في أمر لم يكن فيه برهان من الله أو من رسوله صلى الله عليه وسلم فكلامه هو رأي إن أخذ به حمد الله وإن لم يؤخذ به فهو رأي ولا تكون المشورة إلا في أمر لم يكن فيه برهان فاشتهد النبي صلى الله عليه وسلم ما أراد أصحابه وشاء الله عز وجل ذلك فإذا بابن أبي ينخنس بثلاث الجيش وقد قال : يعصيني وبطيع هؤلاء فانكشف فريق النفاق والريب في هذه الغزوة عياذاً بالله فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يريدون وجه الله والدار الآخرة ورأى النبي صلى الله عليه وسلم بقرا تنحر فأولت باستشهاد قرابة سبعين من أصحابه ومنهم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم فيخرج الصحابة فلما وصلوا إلى ذلك الموضع رتب

<sup>١</sup> - البخاري (١٧٧٨) .

<sup>٢</sup> - البخاري (١٧٩٠) ومسلم (١٣٧٣) .

<sup>٣</sup> - أحمد (١٥٢٧٠) وسنن النسائي الكبرى (٨٦٨١) .

<sup>٤</sup> - البخاري (٦٣٧٤) ومسلم (١٣٧٠) .

النبى صلى الله عليه وسلم ونظم أصحابه وجعل خمسين نفرا على قمة الجبل وجعل أميرا عليهم عبد الله بن جبير وقال : { إن رأيتم الطيور تتخطفنا فلا تبرحوا عن أماكنكم } ( ١ ) فكانت الغلبة في بداية الأمر للصحابة وللمسلمين كما قال الله : **(( ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ))** ( ٢ ) هذا في بداية المعركة ومعنى تحسونهم أي تقتلونهم فإذا بالصحابة ينادي بعضهم بعضا الغنيمة يا قوم الغنيمة فنزل من الرماة واحد وأربعون نفرا وقد عاب الأمير عليهم لكنهم لم يلتفتوا فوجد خالد بن الوليد فرجة وكان آنذاك لا يزال على الشرك وكان شجاع وعنده معرفة بساسة الحرب والقتال فجاء من وراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بسبب معصية واحدة خالف فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي عليه الصلاة والسلام

**(( ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم ))** هذا هو الفشل الفشل الحاصل من ترك الرماة الموضع الذي حدده النبي صلى الله عليه وسلم **(( حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون ))** أي من الغنيمة

**(( منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ))** ابتلاء واختبار وشيع في ذلك اليوم أن رسول الله قد قتل ويأتي أنس بن النضر فيقول له سعد بن معاذ : أين تريد ؟ قال : الجنة إني لأجد ريحها دون أحد فقاتل قتالا عنيقا قالوا : إنهم وجدوا فيه بضعة وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وقد مثل به المشركون لم تعرفه إلا أخته بينانه وكان في الصحابة من الجراح والأواء ما الله به عليم تأديبا بسبب مخالفة واحدة حصلت منهم ويخرج المشركون وكانوا بقيادة أبي سفيان إلى موضع وإذا بأبي سفيان يقول : **أفيكم ابن أبي كبشة ؟** يعني بذلك رسول الله **أفيكم أبو بكر بن أبي قحافة ؟ أفيكم ابن الخطاب ؟** فلم يصبر عمر قال : قد أبقي الله ما يسوءك يا عدو الله وكان أبو سفيان لا زال على الشرك فإذا بأبي سفيان يقول : اعل هبل اعتزاز وافتخارا بالأصنام قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : **{ ألا تجيبوه ؟ }** قالوا : **ما نقول ؟** قال :

**{ قولوا : الله أعلى وأجل }** فقال أبو سفيان : يوم بيوم يوم أحد بيوم بدر والحرب سجل فقال الرسول للصحابة : **{ أجيئوه }** قالوا : **ما نقول ؟** قال : **{ قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم قتالنا في الجنة وقتلاكم في النار }** ( ٣ ) فالشاهد أيها الأخوة حصل ما حصل من المواقف الدامية في هذه الغزوة بسبب مخالفة واحدة عصي الله عز وجل بها فلو تأملنا إلى واقعنا اليوم واقع المسلمين وما فينا من الضعف والذلة والهوان وما عند أعداء الإسلام من الاعتزاز بصليبيهم وبشركهم وبدنياتهم لعرف المسلم حقيقة الأمر والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

**{ وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري }** ( ٤ ) فنحن نعيش في ذلة فإذا أردنا أن نعالج ذلك فلنعالجها بالرجوع الصحيح إلى الله وتصحيح المناهج وغربلتها من الأحزاب والبدع والعصبيات والفوضوية حتى يعلم الله من قلوبنا الصدق والإخلاص والتوبة الصادقة فحينئذ إذا غسلت القلوب تنزل النصر من الله الواحد الأحد وهذا لا يكون إلا بما يريده الله عز وجل منا .

١ - الأحاد والمثاني (٢٠٠٩) .

٢ - آل عمران (١٥٢) .

٣ - البخاري (٢٨٧٤) .

٤ - أحمد (٥١٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٩٤٠١) والطبراني في مسند الشاميين (٢١٦) .



ففي هذه الغزوة المباركة والحدث التاريخي العظيم في غزوة أحد يقول أنس بن مالك : شج النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت ربايعته والرباعية قال القرطبي : هي كل سن بعد ثنية وقال النووي للإنسان أربع ربايعات قال الحافظ : المراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها فالتوسطان تسمى بشنيت هذه ثنية من تحت ومن فوق وما يليها يسمى رباعية هذه ثنيتان وما حولها يسمى رباعية واحدة من هنا وواحدة من هنا وفي الأسفل نفسها فلما حصل هذا قال صلى الله عليه وسلم : { كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ } فنزلت : (( ليس لك من الأمر شيء )) نزلت هذه الآية : (( ليس لك من الأمر شيء )) النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : { كيف يفلح قوم } استبعاد هؤلاء الناس فنزلت الآية : (( ليس لك من الأمر شيء )) الله أكبر ، تأمل يعني رسول الله يقتل أصحابه يقتل عمه وتكسر ربايعته هشمت البيضة على رأسه وابتلي في ذات الله بلاء حسناً ويش قال من كلام قال : { كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ } فنزلت الآية تعاتبه : (( ليس لك من الأمر شيء )) .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : { اللهم العن فلاناً وفلاناً } بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله : (( ليس لك من الأمر شيء )) الآية ( ١ ) .

وفي رواية : يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت : (( ليس لك من الأمر شيء )) ( ٢ ) .

تتمة لهذا قال : وفيه يعني في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : { اللهم العن فلاناً وفلاناً } بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله : (( ليس لك من الأمر شيء )) وتتمة : وفي رواية لأن الرواية هذه مجملة في رواية تفصل هؤلاء المدعو عليهم وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت : (( ليس لك من الأمر شيء )) هذا عتاب من الله تبارك وتعالى لمصطفاه ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه دعا باللعن والطرده اللهم العن فلان يعني اطرده فلان فالآية تعاتبه (( ليس لك من الأمر شيء )) فالأمر ليس لك يا رسولنا وإنما هو لنا أي لله سبحانه وتعالى وذلك أن هؤلاء قد كتب الله لهم الهداية تاب الله عليهم وأسلموا صفوان وسهيل بن عمرو وكذلك أيضاً الرجل الثالث الحارث بن هشام أسلموا في فتح مكة في العام الثامن من الهجرة وفي هذا أنه لا ينبغي للشخص أن يقنط أو ييؤس أحد من رحمة الله فالأمر لله من قبل ومن بعد فهناك أناس كانوا من أجفا الناس قلوباً وأقساها هداهم الله تبارك وتعالى وهكذا

<sup>١</sup> - آل عمران ( ١٢٨ ) .

<sup>٢</sup> - البخاري ( ٣٨٤٢ ) .

الطائع أيضاً لا ينبغي له أن يغتر فرب معصية أدخلت صاحبها الجنة ورب طاعة أدخلت صاحبها النار والسعيد من ثبته الله تبارك وتعالى ولا ينبغي للشخص الحكم على الناس بالظاهر فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال حدثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : { إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل مثل ثم يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتابه رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها } ( ١ ) فلا ينبغي لك أن تقتنط عاصياً ولا أن تشهد لرجل بالجنة وإنما معتقد أهل السنة أنك ترجو للمحسنين الجنة وتخاف على المسيئين من النار وقد جاء في قصة أصيرم بن عبد الأشهل وهي قصة صحيحة في مسند أحمد اسمه الأصيرم بن عبد الأشهل هذا خرج يوم أحد مع الناس يقاتل في سبيل الله وقد أسلم وما أحد يعرف لا الرسول ولا الصحابة ثم تفقد الصحابة قتلاهم فوجدوا الأصيرم في آخر رمق قالوا له : يا أصيرم ما أنت قال : من المسلمين قالوا : أحداً على قومك ؟ يعني من أجل أن قومه كانوا مسلمين حدباً على قومك أم رغبة في الإسلام قال : بل رغبة في الإسلام وأبلغوا رسول الله مني السلام وقولوا له : إن الأصيرم يشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فلما أخبروا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ هو في الجنة } ( ٢ ) فلا ينبغي للشخص أن يحكم على المعين لا تحكم للمعين بشيء وهكذا أيضاً ما جاء في مسند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قصة رجلين متآخيين فكان أحدهما طائع والآخر عاصي فكان الطائع ينصح العاصي وهولاً يلتفت له فقال له مرة : والله لا يغفر الله لك قال : دعني وشأني أبعثت علي رقيباً قال : والله لا يغفر الله لك فقال الله تبارك وتعالى : { من ذا الذي يتألى علي فقد غفرت له وأحبطت عملك } ( ٣ ) نسأل الله السلامة والعافية وفي الحديث من الفوائد جواز القنوت في النوازل فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو وهكذا أيضاً يكون هذا القنوت بعد الرفع من الركوع في الركعة الأخيرة .

<sup>١</sup> - البخاري (٣٠٣٦) ومسلم (٢٦٤٣) .

<sup>٢</sup> - أحمد (٢٣٦٨٤) .

<sup>٣</sup> - مسلم (٢٦٢١) والطبراني في الكبير (١٦٧٩) ومسند أبي يعلى (١٥٢٩) .

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه :

(( وأنذر عشيرتك الأقربين )) ( ١ ) فقال : { يا معشر قريش . أو كلمة نحوها . اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً } ( ٢ ) .

ثم قال رحمه الله : وفيه أي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أنزل عليه يعني قام خطيباً حين أنزل عليه أي بواسطة جبريل : (( وأنذر عشيرتك الأقربين )) ( ٣ ) هذه الآية لما نزلت قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : { يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً } ( ٤ ) هذا فيه أيضاً درس لأهل الشرك هذا رسول الله هو أذكى الناس وأقرب الناس إلى الله سبحانه وتعالى ومع ذلك يقول لقومه ولأسرته ولعشيرته ولذريته : لا أغني عنكم من الله شيئاً فهو صلى الله عليه وسلم قد قام خطيباً امتثالاً لأمر الله : (( وأنذر عشيرتك )) والإنذار هو الإعلام المقرون بتخويف

١ - الشعراء ( ٢١٤ ) .

٢ - البخاري ( ٢٦٠٢ ) ومسلم ( ٢٠٦ ) .

٣ - الشعراء ( ٢١٤ ) .

٤ - البخاري ( ٢٦٠٢ ) ومسلم ( ٢٠٦ ) .

والعشيرة قبيلة الرجل الأقرب الأقرب فيكون الأقرب الوالد والولد والأخ ثم الأعمام والأخوال وبقية العصبة والإنذار على قسمين كما ذكر العلماء : إنذار عام كما قال سبحانه : (( ليكون للعالمين نذيراً )) وإنذار خاص : (( إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب )) إنذار عام وإنذار خاص وهذه هي دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { يا معشر قريش } والمعشر هم الجماعة وقريش قيل هو فهر بن النضر بن مالك وهم أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : { اشتروا أنفسكم } أي بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وذلك أن قومه كانوا على الشرك ، لكن اسمع قال : { لا أغني عنكم من الله شيئاً } أنا لست بنافعكم أنتم تشترون أنفسكم من الله تبارك وتعالى قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قوله : { لا أغني عنكم من الله شيئاً } قال :

فيه حجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه فإن ذلك هو الشرك الذي حرمه الله تعالى وقام نبيه صلى الله عليه وسلم بالإنذار عنه كما أخبر تعالى عن المشركين في قوله : (( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )) ( ١ ) وقوله : (( هؤلاء شفعاؤنا عند الله )) ( ٢ ) فأبطل الله ذلك ونزه نفسه عن الشرك ، انتهى كلامه رحمه الله .

وفي قوله : { يا عباس بن عبد المطلب } يجوز بالنصب يا عباس ابن يا عباس بن يجوز الرفع والنصب في قوله : { يا عباس بن عبد المطلب } { يا صفية عمة رسول الله } { يا فاطمة بنت محمد } أما قوله : { يا عباس } فيكون منادى مبني على الضم في محل نصب بمعنى أدعو عباس وأما النصب المباشر يا عباس فيكون من حيث الإضافة مضاف إلى ابن يجوز حينئذ النصب قال : { يا عباس بن عبد المطلب } والعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس بن عبد المطلب عمه رضي الله تعالى عنه وأرضاه فقد أسلم العباس وقوله : { ابن المطلب } هو علم يعرف به والنبي صلى الله عليه وسلم ناداه على حسب ما كان مشهوراً كما قال صلى الله عليه وسلم : { أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب } ( ٣ ) والشاهد من هذا أنه قال : { لا أغني عنك من الله شيئاً } وهذا العباس هو والد عبد الله بن عباس وإليه تنسب الدولة العباسية ، والمشكلة أن الرافضة يؤلهون العباس من دون الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم قال : { يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً } يا فاطمة بنت محمد سليمان من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً { فلو أن المشركين يتأملوا في مثل هذا ويراجعون حسابهم فيما يقررونه ويقولونه لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة هذا رسول الله نادى قبيلته على وجه العموم ثم خصص العباس وصفية وفاطمة هؤلاء ذرية النبي صلى الله عليه وسلم محمد عليه الصلاة والسلام صاحب المقام الرفيع لا يملك لهم من الله شيئاً يقول : { اشتروا أنفسكم } أي بتوحيد الله أنقذوا أنفسكم من النار بتوحيد الله وحدوا الله أخلصوا العبادة لله سبحانه وتعالى قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن :

قوله : { سليمان من مالي ما شئت } بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح وفيه أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو

١ - الزمر ( ٣ ) .

٢ - يونس ( ١٨ ) .

٣ - البخاري ( ٢٧٠٩ ) ( ٢٧١٩ ) ( ٢٧٧٢ ) ومسلم ( ١٧٧٦ ) وأحمد ( ١٨٤٩١ ) ( ١٨٤٩٨ ) ( ١٨٥٦٣ ) وابن حبان ( ٤٧٧٠ ) ( ٥٧٧١ ) .

ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا إليه به فإذا كان لا ينفع بنته ولا عمه ولا عمته ولا قرابته إلا ذلك فغيرهم أولى وأحرى وفيه قصة عمه أبي طالب وفي قصة عمه أبي طالب معتبر ، أبو طالب كان يحوط النبي صلى الله عليه وسلم برعايته ويحفظه بوجهاته ومع ذلك هو في النار لأنه لم يسلم قال : فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس من الالتجاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فضلاً عن غيرهم يتبين لك أنهم ليسوا على شيء إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل لموافقته في الدين ومتابعتهم في طاعة رب العالمين لا باتخاذهم أنداداً من دون الله يحبونهم كحب الله إشراكاً بالله وعبادة لغير الله وعداوة لله ورسوله والصالحين من عباده كما قال تعالى : (( وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد )) ( ١ ) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في هذه الآية بعد كلام سبق :

ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمر به وهو محض التوحيد فقال :

(( ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم )) ثم أخبر أن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم وأنه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم وأن الله عز وجل المنفرد بعد الوفاة بالإطلاع عليهم فقال : (( وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد )) وصف الله سبحانه بأن شهادته فوق كل شهادة وأعم قال الشيخ : قلت ففي هذا بيان أن المشركين خالفوا ما أمر الله به رسله من توحيد الذي هو دينهم الذي اتفقوا عليه ودعوا الناس إليه وفارقوهم فيه إلا من آمن فكيف يقال لمن دان بدينهم وأطاعهم فيما أمروا به من إخلاص العبادة لله وحده إنه قد تنقصهم بهذا التوحيد الذي أطاع به ربه واتبع فيه رسله عليه السلام ونزه به ربه عن الشرك الذي هو هضم للربوبية وتنقص للألوهية وسوء ظن برب العالمين والمشركون هم أعداء الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة وقد شرعوا لأتباعهم أن يتبرؤوا من كل مشرك ويكفروا به ويبغضوه ويعادوه في ربهم ومعبودهم قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين .

<sup>١</sup> - المائدة ( ١١٦ - ١١٧ ) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أحد .

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة .

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار .

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار ، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل عليه في ذلك : (( ليس لك من الأمر شيء )) ( ١ ) .

السابعة : قوله : (( أو يتوب عليهم أو يعذبهم )) ( ٢ ) فتاب عليهم فأمنوا .

١ - آل عمران ( ١٢٨ ) .

٢ - آل عمران ( ١٢٨ ) .

الثامنة : القنوت في النوازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشر : لعن المعين في القنوت .

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه : (( وأنذر عشيرتك الأقربين )) ( ١ ) .

الثانية عشرة : جدّه صلى الله عليه وسلم بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : { لا أغني عنك من الله شيئاً } حتى قال : { يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً } فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه لا يقول صلى الله عليه وسلم إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين .

ثم قال الشيخ محمد رحمه الله : فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين ، الآية الأولى : (( أبشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون )) ( ٢ ) والآية الثانية : (( والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير )) ( ٣ ) .

الثانية : قصة أحد وما كان فيها من أن الله تبارك وتعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو على أولئك الناس وبين أنه ليس له شيء كما قال سبحانه : (( ليس لك من الأمر شيء )) .

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة كما كان يدعو على صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو .

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار ومع ذلك نهاه وفي هذا أنه لا ينبغي تقنيط العاصي .

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم نسأل الله السلامة والعافية يعني على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له مبررات ولكن هو لا يملك شيئاً الذي يمتلك الأشياء هو الله تبارك وتعالى .

السادسة : إنزال الله عليه : (( ليس لك من الأمر شيء )) عتاب .

السابعة : قوله : (( أو يتوب عليهم أو يعذبهم )) فتاب عليهم فآمنوا كما جاء في العام الثامن في فتح مكة .

١ - الشعراء ( ٢١٤ ) .

٢ - الأعراف ( ١٩١ ) .

٣ - فاطر ( ١٣ ) .



الثامنة : قنوت النوازل وهذا متى ما نزلت بالمسلمين نازلة شرع للإمام ولنائبه أن يخبر الناس فيدعون لأن هذا أمر مصلحته على الجميع .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة : لعن المعين في القنوت ، وهذا قد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم .

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم أنزل عليه : (( وأندرك عشيرتك الأقربين )) ، دعا القبيلة { يا بني عبد مناف } ثم { يا عباس } { يا صفية } { يا فاطمة } .

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم بحيث فعل ما نسب إليه الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان شيطاً في تبليغ الدعوة .

الثالثة عشرة : قوله للأقرب والأبعد : { لا أغني عنك من الله شيئاً } لا يغني عنهم شيئاً وهو رسول الله سيد الأولين والآخرين و خليل رب العالمين وأمير الأنبياء والمرسلين { يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً } فإذا صرح صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني عنهم شيئاً عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن تبين له التوحيد وغربة الدين وذلك . بارك الله فيكم . أن أغلب الناس الآن ربما اتكل على المقبورين وعلى يعني الصالحين فيدعوهم ويتقرب إليهم وهناك من يشجع على هذا كالصوفية والرافضة فهم يحرضون الناس على الإشراك لا سيما شرك القبور المنتشر في مثل أيامنا هذه نقول لهم هذا نبينا صلى الله عليه وسلم ما هو قادر ولا باستطاعته أن ينفع ابنته ولا عمته ولا عمه ولا قبيلته فضلاً عن هؤلاء المخلوقين الضعفاء المربوبين الذين هم بحاجة ماسة إلى أن ينفعوا أنفسهم فضلاً عن غيرهم نكون بهذا قد أتينا على آخر الباب نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه صلى الله عليه وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

باب قول الله تعالى : (( حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير )) ( ١ ) .

باب قول الله تبارك وتعالى : (( حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ))

في هذا الباب صدر المؤلف هذه الآية الشريفة من كتاب الله فجعلها ترجمة ووجه الشاهد منها بيان ما عليه الملائكة من الخضوع والفرع والخوف حينما يسمعون كلام ربهم سبحانه وتعالى وهؤلاء الملائكة من أقرب المخلوقات إلى الله ومن كان بالله أعلم كان منه أخوف وله أرجى فمع قربهم يخافون كما قال سبحانه :

(( يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون )) ( ٢ ) وكما قال سبحانه : (( لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون )) ( ٣ ) وكما قال سبحانه وتعالى : (( فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا

١ - سبأ ( ٢٣ ) .  
٢ - النحل ( ٥٠ ) .  
٣ - النساء ( ١٧٢ ) .

يسأمون)) (١) وفي هذا رد على المشركين الذين كانوا يدعون الملائكة ويستغيثون بهم من دون الله كما كان الشأن بالبعض من المشركين في الجاهلية الإستغاثة والإستعانة بالجن كما قال سبحانه وتعالى : (( وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً )) (٢) فلا يجوز الإستعانة والإستغاثة بالجن ولا بالملائكة ولا الخوف منهم وإنما الخوف من الله والإستعانة بالله

يا من ألوذ به فيما أوّله  
ومن أعوذ به مما أحاذره  
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره  
ولا يهيضون عظماً أنت كاسره

فالإستغاثة والإستعانة إنما تطلب من الله فهو الذي يمتلكها و الله تبارك وتعالى قد أرشدنا إلى ذلك فقال : (( إياك نعبد وإياك نستعين )) (٣) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله } (٤) .  
فيقول المؤلف رحمه الله : باب قول الله تعالى : (( حتى إذا فزع عن قلوبهم )) والمراد بالفزع الهروب والهوض من شدة الخوف قال : إذا فزع عن قلوبهم وفي هذا إثبات أن للملائكة أيضاً قلوب وأنهم مخلوقات وأنهم أجسام قالوا : ماذا قال ربكم ؟ هم لا يعلمون الغيب يسأل بعضهم بعضاً ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق الله هو الحق ولا يقول إلا الحق يقول بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق إي قال ربنا تبارك وتعالى الحق كما قال سبحانه :

(( قال فالحق والحق أقول )) (٥) وقال سبحانه : (( وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً )) (٦) وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير )) (٧) والعلماء يعرفون كلمة ماذا إعرابين :

الإعراب الأول : أن ماذا كلها استفهامية ماذا أداه استفهام لا محل لها من الإعراب .

وبعضهم من يعرب ما اسم استفهام مبتدأ وإذا موصولية خبر قال ابن مالك :

ومثل ماذا بعد ما استفهام  
أو من إذا لم تلغ في الكلام

قال : (( حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي )) من العلو والله سبحانه وتعالى له العلو المطلق علو القهر وعلو القدر وعلو الذات فعلو القهر وعلو الذات وكذلك علو القدر وعلو القدر وعلو القهر أمر متفق

١ - فصلت ( ٣٨ ) .

٢ - الجن ( ٦ ) .

٣ - الفاتحة ( ٥ ) .

٤ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .

٥ - ص ( ٨٤ ) .

٦ - الأنعام ( ١١٥ ) .

٧ - الحج ( ٦٢ ) .

عليه وهكذا علو الذات متفق عليه بين أهل السنة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ولكن هناك من جحد صفة العلو على أنها ثابتة في كتاب الله وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد استفاضت الأدلة في ذلك حتى قال بعض العلماء : إنه يستطيع أن يستنبط ألف دليل على علو الله تبارك وتعالى من ذلك قوله سبحانه : (( وهو القاهر فوق عباده )) ( ١ ) وقال سبحانه : (( إليه يصعد الكلم الطيب )) ( ٢ ) وقال سبحانه (( سبح اسم ربك الأعلى )) ( ٣ ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { سبحان ربي الأعلى } ( ٤ ) وكان صلى الله عليه وسلم يشير إلى السماء في خطبة عرفة يقول : { اللهم هل بلغت اللهم فاشهد ويشير بالسبابة إلى السماء } ( ٥ ) وقال سبحانه : (( أمنتكم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور )) ( ٦ ) (( أمنتكم من في السماء )) وقال سبحانه (( الرحمن على العرش استوى )) ( ٧ ) وقال سبحانه : (( ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين )) ( ٨ ) وفي صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم للجارية : { أين الله ؟ } قالت : في السماء قال لمولاه لمولاه معاوية السلمي : { اعتقها فإنها مؤمنة } ( ٩ ) وهناك كتاب للإمام الذهبي بعنوان العلو للعلي الغفار ، ذكر فيه وحشد فيه أدلة كثيرة كلها تثبت العلو لله تبارك وتعالى وما خالف في ذلك إلا الجهمية ومن ذهب مذهبهم من أهل الضلال وإلا فالله سبحانه وتعالى علمه في كل مكان لكن ذاته في السماء ومن الأدلة المعراج فإنه كان إلى السماء وهكذا أيضاً الناس إذا دعوا إنما تدلهم فطرهم على من في السماء يرفعون أكف الضراعة إلى الله سبحانه وتعالى والكبير صاحب الكبرياء ثم بعد ذلك يفسر المؤلف رحمه الله تعالى هذه الآية بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وهذا وجه من أوجه التفسير فإن التفسير لكتاب الله على ثلاث مراحل أو أربع مراحل :

المرحلة الأولى أن يفسر القرآن بالقرآن ، فالقرآن فيه الإجمال والتفصيل والمطلق والمقيد والعام والخاص يعرف في ذلك من درس في أصول الفقه .

ويفسر القرآن بسنة النبي صلى الله عليه وسلم كما في هذا الشاهد وكما في قوله سبحانه : (( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى )) ( ١٠ ) فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : { ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي } ( ١١ ) وهكذا أفعال الصلاة والصيام والحج الله سبحانه وتعالى قال : (( وأتموا الحج والعمرة لله )) ( ١٢ ) لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لتأخذوا عني مناسككم } ( ١٣ ) والله تبارك وتعالى قال : (( وأقيموا الصلاة )) ( ١٤ ) لكن رسول الله قال : {

- ١ - الأنعام ( ١٨ ) .
- ٢ - فاطر ( ١٠ ) .
- ٣ - الأعلى ( ١ ) .
- ٤ - مسلم ( ٧٧٢ ) .
- ٥ - صحيح : ابن ماجة ( ٣٠٧٤ ) وسنن الدارمي ( ١٨٥٠ ) وصحيح ابن خزيمة ( ٢٨٠٩ ) وابن حبان ( ٣٩٤٤ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٨٦٠٩ ) وسنن النسائي الكبرى ( ٤٠٠١ ) وغيرهم وانظر صحيح سنن ابن ماجة للألباني رحمه الله برقم ( ٢٤٩٤ ) .
- ٦ - الملك ( ١٦ ) .
- ٧ - طه ( ٥ ) .
- ٨ - فصلت ( ١١ ) .
- ٩ - مسلم ( ٥٣٧ ) وأبو داود ( ٩٣٠ ) والنسائي ( ١٢١٨ ) .
- ١٠ - الأنفال ( ١٧ ) .
- ١١ - مسلم ( ١٩١٧ ) وأبو داود ( ٢٥١٤ ) والترمذي ( ٣٠٨٣ ) وابن ماجة ( ٢٨١٣ ) .
- ١٢ - البقرة ( ١٩٦ ) .
- ١٣ - مسلم ( ١٢٩٧ ) وأبو داود ( ١٩٧٠ ) والنسائي ( ٣٠٦٢ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٩٣٠٧ ) والطبراني في مسند الشاميين ( ٩٠٨ ) .
- ١٤ - البقرة ( ٤٣ ) .

صلوا كما رأيتموني أصلي { (١) قال سبحانه : (( وآتوا الزكاة )) (٢) لكن القدر والكم والنوع بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله إذن يفسر القرآن بالقرآن ويفسر القرآن بالسنة ويفسر القرآن بأقوال الصحابة فإنهم عاصروا زمن الوحي فالصحابة هم تلامذة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفسر القرآن بلغة العرب لا سيما لغة قريش فإن القرآن نزل بلهجتهم ولغتهم فهم العرب أصالة وصلابة فيفسر القرآن بهذه المراحل ولا عبرة بمن يفسر القرآن الآن بما يسمى الآن بالإعجاز فهذه ربما توافق القرآن هكذا عفويًا وربما لا توافقه فلا نجعل هذه النظريات دليلاً على القرآن وإنما إن وافقت القرآن هكذا عفويًا فالحمد لله وإذا لم توافقه فالقرآن هو القرآن ماسك لأصالته وفصاحته وبلاغته والمقصود من ذلك التبعد به لله تبارك وتعالى فإن الله سألنا عن هذا الكتاب قال سبحانه : (( وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون )) (٣) ومعنى ذكر أي شرف وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى )) (٤) وقال سبحانه : (( ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكى )) (٥) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك (( حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير )) (٦) فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض . وصفه سفيان بكفه فحرفها ويدد بين أصابعه . فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ، ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن ، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء { (٧) .

قال : وفي الصحيح والمراد بذلك صحيح البخاري وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إذا قضى الله الأمر في السماء { والقضاء قضاء كوني وقضاء شرعي فما قد قدره الله وقضاه يسمى

١ - البخاري (٦٠٥) .

٢ - البقرة (٤٣) .

٣ - الزخرف (٤٤) .

٤ - طه (٣-٢) .

٥ - طه (١٢٤) .

٦ - سبأ (٢٣) .

٧ - البخاري (٤٤٢٤) .

قضاءً كونياً والآيات والأحاديث يسمى قضاءً شرعياً قال : { إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها { خوف من الله سبحانه وتعالى { خضعاناً { خضعاناً مفعول لأجله أي من أجل هذا الصوت المسموع ومعنى ذلك أنهم خاضعين قال : { كأنه سلسلة على صفوان { والسلسلة الصوت والمراد بالصفوان الحجر الأملس يسمى الآن الصفا { ينفذهم ذلك حتى إذا فرغ عن قلوبهم { أي إذا جاوز هذا الخوف قلوبهم أفاق هؤلاء الملائكة { قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق { قال بعضهم لبعض : ماذا قال قالوا : الحق أي أن الله قال الحق قضاءً شرعياً أو قضاءً كونياً { وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع وهذا من الملائكة وكانوا كثيرين قبل البعثة لكن بعد ذلك منعوا إلا قليلاً كما قال سبحانه : (( وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً )) ( ١ ) ومسترق السمع من السرقة لأنه يأخذ الشيء خفية ومن ذلك سمي السارق سارقاً لأنه يسرق الشيء خفية عن أعين الناس حتى لا يرى وجزأه قطع اليد كما قال الله في كتابه الكريم : (( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم )) ( ٢ ) قال : فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض { وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه يعني أمال هكذا وفرق يعني بين ذلك بياناً أن هؤلاء الجن يصعد بعضهم على بعض هكذا وهذا مثال شرحه سفيان لطلابه فما زال العلماء بعضهم يشرحها لبعض وهذا أسلوب من أساليب التعليم الفعلية كما جاء في الصحيح عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم رسم خطأ ثم قال : { هذا صراط الله المستقيم ثم قرأ (( وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )) ثم رسم خطوطاً عن جنبات هذا الصراط { الخط هذا عن جنباته رسم خطوطاً صغار { قال : هذه سبل الشيطان فما من سبيل من هذه إلا عليها شيطان يدعو الناس إليها { ( ٣ ) فهذا أسلوب بليغ من أساليب التعليم بينه سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي رحمه الله تعالى لطلابه وقد كان سفيان رحمه الله تعالى كان من أوعية العلم والحديث ، { قال : فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر { السحر لغة : ما لطف وخفي سببه ومن ذلك سمي السحر وقت يعني وقت غلبته ظلام ولكن سيبزغ الفجر بعد قليل سحر (( إلا آل لوط نجيناهم بسحر )) ( ٤ ) وأما السحر في الاصطلاح : فهو عبارة عن رقى وتعوذات بالجن استعاذات بالجن يتوصل بذلك الساحر إلى أن يؤثر على بدن المسحور وعقله وقلبه وفكره وتصوره هذا قسم .

القسم الثاني : هو عبارة عن أدوية يستميلون بها العقل من حيث الحكم كما جاء في بعض الآثار : { حد الساحر ضربة بالسيف } ( ° ) سواء كان من الذي هو استعاذات بالجن ورقى أو كان عبارة عن أدوية وعقاقير ، أما الأول الذي هو الرقى الرقى والتعوذات فصاحبه كافر وقد أفصح القرآن في عدة مواضع على كفر الساحر قال سبحانه :

(( ولا يفلح الساحرون )) (١) (( ولا يفلح الساحر حيث أتى )) (٢) وقال سبحانه : (( وما كفر سليمان ولكن الشياطين  
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن  
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن

١ - الجن ( ٩ ) .

٢ - المائدة ( ٣٨ ) .

٣- صحيح: ابن ماجة (١١) وأحمد (٤١٤٢) والدارمي (٢٠٢) وانظر صحيح ابن ماجة (١١).

٤ - القمر ( ٣٤ ) .

° - ضعيف: الترمذی (١٤٦٠) والحاكم (٨٠٧٣) والدارقطني (١١٢) انظر حديث رقم: ٢٦٩٩ في ضعيف الجامع .

فتنة فلا تكفر)) ( ٣ ) بمعنى إذا كفر علموه ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من اقتبس شعبة من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد } ( ٤ ) أي زاد ما زاد في الكفر .

أما القسم الثاني الذي هو الأدوية وكذا فلا يكون بذلك كافراً لكن هو على جريمة خطيرة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : { اجتنبوا السبع الموبقات ومنها السحر } ( ٥ ) والسحرة هم أولياء الشيطان كما قال سبحانه : (( يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً )) ( ٦ ) وكما قال ربنا تبارك وتعالى : (( هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم )) ( ٧ ) .

وأما الكاهن هو الذي يخبر بالمغيبات في المستقبل قال : { حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها } ليس المراد بالشهاب النجم ، النجم لو أنزل على الأرض لأحرقها ولكن هذه الشهب تسمى عند بعض أهل الطبيعة باليازك نيزك يعني إضاءة قوية جداً تتبع هذا الشيطان حينما يسترق السمع من السماء قال : { ربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء } وقد قالت عائشة : يا رسول الله وقد سألته عن الكهنة قال : { ليسوا بشيء تلك الكلمة يسميها الجني من الحق أو من الملك فيقرقرها في أذن سيده كقرقرة الدجاجة يزيد معها مائة كذبة } ( ٨ ) وهذا فقط عدد تقديري تقريبي وإلا فقد ينقص وقد يزيد أكثر من ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم : { فلا تأتوهم } وقال : { من أتى عرافاً أو كاهناً فسأله فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم } ( ٩ ) وفي بعض الروايات :

{ لم تقبل له صلاة أربعين يوماً } ( ١٠ ) ففي هذا الحديث عدة فوائد :

أولاً : فيه رد على الطائفة الخبيثة القرآنية الذين يقولون بظاهر القرآن يأخذون بالقرآن ولا يأخذون بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم : { رب رجل شيعان ريان يجلس على أريكته } أي على كرسيه { يأتيه الأمر من أمري فيقول : بيني وبينكم القرآن } قال النبي صلى الله عليه وسلم : { وإنما أوتيت القرآن ومثله معه } رواه أبو داود من حديث المقداد بن معد كرب ( ١١ ) وهذه الطائفة تسمى بالقرآنية وتسمى بالفرماوية وتسمى أيضاً بجماعة التكفير والهجرة فهنا النبي صلى الله عليه وسلم فسر في حديثه الكتاب العظيم هو الذي جاء بالقرآن وهو الذي جاء بالسنّة .

ثانياً : فيه إثبات صفة العلو

الحديث فيه فوائد :

١ - يونس ( ٧٧ ) .  
٢ - طه ( ٦٩ ) .  
٣ - البقرة ( ١٠٢ ) .  
٤ - صحيح : أبو داود ( ٣٩٠٥ ) وابن ماجه ( ٣٧٢٦ ) وأحمد ( ٢٨٤١ ) ومصنف ابن أبي شيبة ( ٢٥٦٤٦ ) انظر حديث رقم : ٦٠٧٤ في صحيح الجامع .  
٥ - البخاري ( ٢٦١٥ ) ومسلم ( ٨٩ ) .  
٦ - الأنعام ( ١١٢ ) .  
٧ - الشعراء ( ٢٢١ - ٢٢٢ ) .  
٨ - البخاري ( ٧١٢٢ ) .  
٩ - صحيح : ابن ماجه ( ٦٣٩ ) وأحمد ( ٩٥٣٢ ) والدارمي ( ١١٣٦ ) انظر حديث رقم : ٥٩٣٩ في صحيح الجامع .  
١٠ - مسلم ( ٢٢٣٠ ) .  
١١ - صحيح : الترمذي ( ٢٦٦٤ ) انظر حديث رقم : ٢٦٥٧ في صحيح الجامع .



الفائدة الأولى : الرد على الطائفة القرآنية الخبيثة الذين ينحون السنة جانباً بل يلحدون بها ويقولون نكتفي بالقرآن وهم بذلك يخالفون من جاء بالقرآن من عند الله تبارك وتعالى وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ربنا عز وجل : (( نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين )) ( ١ ) فالذي جاء بالقرآن هو رسول الله وهو الذي أمرنا أن نأخذ بالقرآن وأن نأخذ بالسنة فقد قال صلى الله عليه وسلم : { رب رجل شبعان ريان يجلس على أريكته أي على كرسيه يأتيه الأمر من أمري فيقول : بيني وبينكم القرآن قال : وإنما أوتيت القرآن ومثله معه } فما حرم الرسول في السنة كما حرم الله في القرآن تماماً سواء بسواء والحديث رواه أبو داود من حديث المقداد بن معد كرب رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

في الحديث صفة العلو لله تبارك وتعالى وهو العلو المطلق علو القدر وعلو القهر وعلو الذات .

فيه أيضاً عدم جواز تعلق الآدميين بالملائكة فالملائكة مخلوقون مربوبون هم عباد الله فنحن إنما نؤمن بهم لكن لا ندعوهم من دون الله ولا نستغيث بهم من دون الله سبحانه وتعالى فهم يخافون كما قال سبحانه : (( يخافون ربهم )) ( ٢ ) وكما في في هذا الحديث : (( حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم )) تحصل لهم فزعة وهكذا جاء في بعض الآثار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { أظت السماء وحق لها أن تئط } أي تحركت سمع لها اهتزاز قال : { ما فيها موضع شبر إلا ومملك قائم أو رাকع أو ساجد يدعو الله إلى يوم القيامة } ( ٣ ) .

في الحديث إثبات استراق الشياطين للسمع .

وفيه بطلان السحر والكهانة .

وفيه أيضاً قبول النفوس للباطل شوف كيف الآن قال : { فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء } بعض الناس يصدقون هذا الكاهن وهذا الساحر يقولون : أليس قد قال لنا في يوم كذا ، كذا وكذا ؟ وما أكثر النفوس التي تتابع أهل الباطل سواء في هذا الباب أو في أبواب أخرى الذين يتابعون الصوفية الرافضة الشيعة الحزبيين الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الذين يدعون الناس إلى الضلالة إلى الغواية إلى الشهوة إلى الميوعة الذين يدعون الناس إلى الفجور وإلى قلة الحياء وقلة الخير هذا أيضاً من الباطل الذي نهينا عن متابعته فقد قال ربنا سبحانه : (( وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )) ( ٤ ) .

١ - الشعراء ( ١٩٣ - ١٩٥ ) .

٢ - النحل ( ٥٠ ) .

٣ - الترمذي ( ٢٣١٢ ) وأحمد ( ٢١٥٥٥ ) والحاكم ( ٣٨٨٣ ) انظر حديث رقم : ٢٤٤٩ في صحيح الجامع .

٤ - الأنعام ( ١٥٣ ) .

وعن النواس بن سميان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { إذا أراد الله أن يوحى بالأمير تكلم بالوحي ، أخذت السماوات منه رجفة . أو قال : رعدة شديدة . خوفاً من الله . عز وجل . فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله . عز وجل . } ( ١ ) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصاً من تعلق على الصالحين ، وهي الآية التي قيل : إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

<sup>١</sup> - ضعيف : الطبراني في مسند الشاميين ( ٥٩١ ) وانظر ظلال الجنة برقم ( ٥١٥ ) .

الثالثة : تفسير قوله : (( قالوا الحق وهو العلي الكبير )) .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : أن جبريل يجيئهم بعد ذلك بقوله : قال : كذا وكذا .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام .

السابعة : أنه يقول لأهل السماوات كلهم ، لأنهم يسألونه .

الثامنة : أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السماوات بكلام الله .

العاشرة : أن جبريل عليه السلام هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضاً .

الثالثة عشرة : إرسال الشهب .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق بعض الأحيان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

السابعة عشرة : أنه لم يصدق كذبه إلا تلك الكلمة التي سمعت من السماء .

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة .

التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : إثبات الصفات خلافاً للأشعرية والمعتزلة .

الحادية والعشرون : أن تلك الرجفة والغشي خوف من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : أنهم يخرون لله سجداً .

ثم قال المؤلف : وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو قال : رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة

كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل قال : الحق وهو العلي الكبير فيقول كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل { هذا الحديث ضعفه الدوسري كما في النهج السديد لأن في سنده الوليد بن مسلم وهو مدلس كما تعرفون تدليس التسوية ، ومدلس تدليس التسوية لا يقبل حديثه إذ هو إسقاط ضعيف بين ثقتين ولكن بما تقرر من الآية والحديث للباب فيه غنية عن هذا الحديث الضعيف أسأل من الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا وبما نقول وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والله أعلى وأعلم وأعز وأكرم .

### باب الشفاعة

وقول الله عز وجل : (( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون )) ( ١ )  
 وقوله : (( قل لله الشفاعة جميعاً )) ( ٢ ) .  
 وقوله : (( وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى )) ( ٣ ) .  
 وقوله : (( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه )) ( ٤ ) .  
 وقوله : (( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )) ( ١ ) .

١ - الأنعام ( ٥١ ) .  
 ٢ - الزمر ( ٤٤ ) .  
 ٣ - النجم ( ٢٦ ) .  
 ٤ - البقرة ( ٢٥٥ ) .

قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك ، أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال : (( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى )) ( ٢ ) .

فهذه الشفاعة . التي يظنها المشركون أنها لهم . هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم : { أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده . لا يبدأ بالشفاعة أولاً . ثم يقال له : ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع } ( ٣ ) .

وقال له أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : { من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه } ( ٤ ) . فتلک الشفاعة لأهل الإخلاص . بإذن الله . ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقته أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى .

الخامسة : صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم : أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد ، فإذا أذن له شفع .

السادسة : من أسعد الناس بها ؟

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

قال ابن عباس : قوله : (( وأنذر به )) قال : أي بالقرآن قوله : (( الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم )) قال : هم المؤمنون .

١ - سبأ ( ٢٢ - ٢٣ ) .

٢ - الأنبياء ( ٢٨ ) .

٣ - البخاري ( ٣١٦٢ ) ومسلم ( ١٩٣ ) .

٤ - البخاري ( ٩٩ ) .

وعن الفضيل بن عياض قال : ليس كل خلقه عاتب إنما عاتب الذين يعقلون فقال : (( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم )) وهم المؤمنون أصحاب العقول الواعية .

قوله : (( ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع )) قال الزجاج : موضع ليس نصب على الحال كأنه قال : متخلين من كل ولي وشفيع قال : والعامل فيه يخافون .

وقوله : (( لعلهم يتقون )) أي فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة .

قوله سبحانه : (( قل لله الشفاعة جميعاً )) قال : وقبلها : (( أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون )) ( ١ ) وهذه كقوله تعالى : (( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون )) ( ٢ ) قال : فبين تعالى في هذا الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف وممتنع وأن اتخاذهم شفعاء شرك يتنزه الرب تعالى عنه وقد قال سبحانه : (( فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً لآلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون )) ( ٣ ) فبين تعالى أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتأليهم أن ذلك منهم إفك وافتراء وقوله : (( قل لله الشفاعة جميعاً )) أي هو مالکها فليس لمن تطلب منه شيء منها وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه لأن ذلك عبادة وتأليه لا يصلح إلا لله تعالى ، انتهى كلام المؤلف رحمه الله .

الشفاعة في لغة العرب بمعنى جعل الوتر شفعاً كما قال سبحانه : (( والفجر وليال عشر والشفع والوتر )) ( ٤ ) فالوتر هو الواحد والشفع هو الإثنان هذا من حيث المدلول اللغوي وأما في الاصطلاح : فالشفاعة هي التوسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة وعلماء العقيدة والتوحيد يحرصون كل الحرص على هذا الباب ويدخلونه في كتب التوحيد والعقيدة ويعقدون هذه الأبواب والفصول أعني في كتب العقيدة يعنونون لهذا الموضوع موضوع الشفاعة لماذا ؟ لأن المشركين في القديم وكذلك في الحديث يعتقدون أن لهذه المألوهات والمعبودات من المقبورين والأحجار والأشجار لهم شفاعة عند الله يعتقدون أن لهم شفاعات كما قال سبحانه قال الله عز وجل حاكياً عنهم : (( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )) ( ٥ ) فأبطل الله تبارك وتعالى هذه العبادة أبطل الله سبحانه وتعالى هذه الفرية أبطل الله سبحانه وتعالى هذا الزعم بقوله سبحانه وتعالى : (( قل لله الشفاعة جميعاً )) وهذا في حقيقة الأمر يعتبر نقص في توحيد هؤلاء وكذلك أيضاً انتقاص لحق الله سبحانه وتعالى فإن الشرك فيه تنقص للذات الإلهية من ناحية الربوبية والألوهية وكذلك مدلولات الأسماء والصفات .

الشفاعة تنقسم إلى قسمين :

شفاعة دنيوية وشفاعة أخروية .

١ - الزمر ( ٤٣ ) .  
٢ - يونس ( ١٨ ) .  
٣ - الأحقاف ( ٢٨ ) .  
٤ - الفجر ( ١ - ٣ ) .  
٥ - الزمر ( ٣ ) .

نبدأ بالشفاعة الدنيوية لأنها مختصرة ومعلومة أيضاً ، الشفاعة الدنيوية : هي التوسط للغير إما في جلب منفعة أو دفع مضرة وهي على قسمين :

شفاعة حسنة وشفاعة سيئة قال سبحانه : (( من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها )) ( ١ ) فأنت تشفع كما في قوله صلى الله عليه وسلم :

{ اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء } ( ٢ ) تشفع بالخير هذه الشفاعة الحسنة ، الشفاعة السيئة أن تشفع لشخص في حد من حدود الله لا تحل الشفاعة في ذلك أو أن تشفع ليل حرام لا ارتكاب محذور فهذه لا تجوز ، جاء في سنن أبي داود من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من حالت شفاعة دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال } ( ٣ ) وفي زمن النبي صلى الله عليه وسلم سرق امرأة مخزومية مخزوم هذه قبيلة قوية هي قبيلة أبي جهل والوليد بن المغيرة قبيلة خالد بن الوليد فكانت المرأة تجحد المتاع تأخذ متاعاً تستعيره وتجحد وتكذب فثبتت الجناية في حقها فقرر المصطفى صلى الله عليه وسلم القطع قطع يد السارق قال صلى الله عليه وسلم :

{ تقطع يد السارق في ربع دينار } ( ٤ ) والله تبارك وتعالى يقول : (( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم )) ( ٥ ) فأهم الناس هذا الأمر همهم هذا الأمر قالوا : كيف تقطع ؟ امرأة مخزومية قبيلة قوية مستعدين يدفعون المال فقالوا : لا بد لنا من شفيع يشفع لنا إلى رسول الله فتحاوروا وتشاوروا واتفقوا على أن يشفع عند رسول الله رجل محبوب عند الله وعند رسوله وهو أسامة بن زيد العبد الأسود الذي سكن الإيمان في قلبه فغطى على كل عيب فيه فذهب أسامة ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر فتغيظ رسول الله وغضب واحمر وجهه وقال :

{ أتشفع في حد من حدود الله كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها } ( ٦ ) فالشفاعة في الحدود لا تجوز لكن قبل أن تصل إلى الحاكم لك أن تدرأ لقوله صلى الله عليه وسلم : { ادروأوا الحدود بالشبهات } ( ٧ ) ادروأوها بالشبهات ادروأوها أي ادفعوها ويقول صلى الله عليه وسلم : { من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فاستتر فأمره إلى الله } ( ٨ ) هذه قاذورات أحوال هذا ما يتعلق بالشفاعة الدنيوية وقد تقدم لكم الكلام حولها .

أما الشفاعة الآخروية يوم القيامة أولاً وبأدنى ذي بدئ هي على قسمين الشفاعة على قسمين :

١ - النساء ( ٨٥ ) .  
٢ - البخاري ( ١٣٦٥ ) .  
٣ - صحيح : أبو داود ( ٣٥٩٧ ) انظر حديث رقم : ٦١٩٦ في صحيح الجامع .  
٤ - البخاري ( ٦٤٠٧ ) ومسلم ( ١٦٨٤ ) .  
٥ - المائدة ( ٣٨ ) .  
٦ - البخاري ( ٣٢٨٨ ) ومسلم ( ١٦٨٨ ) .  
٧ - ضعيف : انظر حديث رقم : ٢٥٨ في ضعيف الجامع .  
٨ - الموطأ ( ١٥٠٨ ) .



شفاعة مثبتة وشفاعة منفية ، المثبتة هذه لها ثلاثة شروط :

الشرط الأول : الإذن من الله ولهذا دليل .

الشرط الثاني : رضا الله عن الشافع .

الثالث : رضاه سبحانه وتعالى عن المشفوع له ، لا بد من هذه الثلاثة الشروط الإذن من الله ، رضا الله عن الشافع ، رضا الله عن المشفوع له الدليل لهذه الأقسام قوله سبحانه وتعالى : (( وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى )) ( ١ ) وقال سبحانه : (( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه )) ( ٢ ) وقال سبحانه :

(( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى )) ( ٣ ) وقال سبحانه :

(( يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً )) ( ٤ ) فبين أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن ولا بد تكون أيضاً عن رضا للشافع والمشفوع له هذه الشفاعة المثبتة .

أما المنفية تستطيع أن تقول : هي ما فقدت شرطاً من هذه الشروط الثلاثة يعني عدم إذن الله للشافع والمشفوع عدم رضاه عن الشافع ، عدم رضاه عن المشفوع له ، إن فقدت شرطاً من هذه الشروط فهي شفاعة منفية .

أما الشفاعة باعتبار الشافع فهي على قسمين :

شفاعة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها أحد من الناس كما في حديث جابر في الصحيحين قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : { أوتيت خمساً لم يؤتتهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأیما رجل أدركته الصلاة من أمتي فليصل أو فعنده وطهوره وأحلت لي الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وفي رواية للأسود والأبيض { ( ٥ ) الشاهد : وأعطيت الشفاعة ودلّ على ذلك قوله تبارك وتعالى :

(( ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً )) ( ٦ ) فالقول الصحيح أن المقام المحمود هي شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم العظمى وهي إراحة الناس لأهل الموقف راحته لأهل الموقف حينما يبلغ بهم الكرب والويل مبلغه فيأتون إلى آدم اشفع لنا يا آدم فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله إذهبوا إلى نوح يأتون إلى نوح فيعتذر ثم إبراهيم ثم موسى فعیسی وكلهم يقدمون الاعتذارات فيقول عیسی بن مریم انتوا عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر انتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فإذا ما أتوا إليه خر تحت العرش ساجداً وقال

١ - النجم ( ٢٦ ) .

٢ - البقرة ( ٢٥٥ ) .

٣ - الأنبياء ( ٢٨ ) .

٤ - طه ( ١٠٩ ) .

٥ - البخاري ( ٣٢٨ ) ومسلم ( ٥٢١ ) .

٦ - الإسراء ( ٧٩ ) .

: أنا لها فقال : فأحمد الله بمحامد لم أكن أعلمها من قبل فيقول الله : محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فقال : فأقول ربي أمتي أمتي الله أكبر هذه هي الشفاعة العظمى نحن قلنا الشفاعة شفاعا خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أنواع هذه الشفاعة العظمى إراحة الناس من الموقف .

ثانياً : شفاعته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بدخول الجنة كما في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً } ( ١ ) وفي رواية : { آتي باب الجنة يوم القيامة فأشفع فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول : محمد فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك } ( ٢ ) إذن الأولى الشفاعة العظمى الثانية : شفاعته للمؤمنين بدخول الجنة .

ثالثاً : شفاعته لعمه أبي طالب فقد جاء في البخاري ومسلم من حديث العباس والعباس هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله ما أغنيت عن عمك أبي طالب فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال : { هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار } ( ٣ ) هذه ثلاث شفاعات لرسول الله الشفاعة العظمى وإراحة الناس من الموقف وشفاعته للمؤمنين بدخول الجنة وشفاعته لعمه أبي طالب كذلك هذا يكون . بارك الله فيكم . القسم الأول من الشفاعة باعتبار الشافع .

ثانياً : شفاعاة عامة هذه الشفاعات يشترك فيها نبينا صلى الله عليه وسلم وقبل ذلك الله شفاعاة النبي صلى الله عليه وسلم شفاعاة الأنبياء شفاعاة الملائكة شفاعاة المؤمنين شفاعاة القرآن شفاعاة الصيام شفاعاة الوالد شفاعاة العالم شفاعاة المجاهد شفاعاة المصلين الذين يصلون على الجنائز أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً من مات وقبر في المدينة تشفع له المدينة من ذلك جاء من حديث ابن عمر عند الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي } ( ٤ ) والرافضة ينكرون الشفاعاة المعتزلة تنكر الشفاعاة الجهمية تنكر الشفاعاة والذين حظوا بالخير هم أهل السنة والجماعة حتى جعلوا أحاديث الشفاعاة من حتى كانت أحاديث الشفاعاة من الأحاديث المتواترة .

قال الإمام البخاري بعد أن ساق السند في كتاب التوحيد في حديث طويل ذكر فيه شفاعاة أرحم الراحمين فيليكم الحديث بطوله :

قال نبينا صلى الله عليه وسلم : { إن أهل الجنة يحاجون ربهم في إخوانهم الموحدين من أهل النار قال : فيشفعهم الله فيهم } وفي البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : { هل تضامون في رؤية الشمس والقمر إذا كان صحوً قلنا : لا قال : فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ثم قال : ينادي منادٍ ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب إلى صليبيهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بهن تعرض كأنها سراب فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : نعبد عزيراً بن الله فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا

١ - مسلم ( ١٩٦ ) .

٢ - مسلم ( ١٩٧ ) .

٣ - البخاري ( ٣٦٧٠ ) ومسلم ( ٢٠٩ ) .

٤ - صحيح : أبو داود ( ٤٧٣٩ ) والترمذي ( ٢٤٣٥ ) وأحمد ( ١٣٢٤٥ ) انظر حديث رقم : ٣٧١٤ في صحيح الجامع .

<sup>١</sup> - البخاري (٧٠٠١) ومسلم (١٨٣) .

٢- ضعيف : الترمذي (٢٤٤٠) انظر حديث رقم : ٢٠٠٢ في ضعيف الجامع .

٣- صحيح : أحمد ( ١٠٦١٨ ) انظر حديث رقم : ١٦١٧ في صحيح الجامع .

٤ - مسلم (١٣٧٧).

六、八

العاص : { إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله بها عليه عشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة } ( ١ ) وجاء في حديث أبي الدرداء : { من صلى عليّ عشرًا إذا أصبح وعشرًا إذا أمسى حلت له شفاعتي يوم القيامة } ( ٢ ) هذا باختصار وهناك كتب قد كتبت في هذا الباب كتب كثيرة جداً والعلماء علماء العقيدة والتوحيد يهتمون بهذا الجانب لأن هناك من الطوائف المنحرفة من نفت وجحدت كالأخوارج والشيعة الإمامية وكذلك المعتزلة والجهمية أيضاً ، الأشاعرة نفوا هذه الشفاعات كلها فهذا . بارك الله فيكم . ما أردنا أن نبينه وأن نقرره كذلك أيضاً من الأحاديث التي أردت أن أقولها : شفاعاة القرآن وشفاعة الصيام لحديث عبد الله بن عمر بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة يقول الصيام : أي ربي منعت طعمه وشرابه وشهوته فشفعني فيه ويقول القرآن منعه نومه بالليل قال النبي صلى الله عليه وسلم : فيشفعان } ( ٣ ) فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

### باب قول الله تعالى : (( إنك لا تهدي من أحببت )) ( ٤ ) .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله :

باب قول الله تعالى : (( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )) ( ٥ ) .

غرض المصنف رحمه الله تعالى من عقده لهذا الباب هو الرد غرضه رحمه الله هو الرد على الذين غلوا في النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصوفية ومن شابههم الذين يجعلون للنبي صلى الله عليه وسلم تدخل في الكون أو في الحياة والإماتة وليس له من ذلك شيء حسبه أن يكون عبداً رسولاً وهذه منزلة أنزله سبحانه وتعالى بها { أرسل الله جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن يخيره أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً مقرباً فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : أن تواضع لربك يا

١ - مسلم ( ٣٨٤ ) .

٢ - أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد انظر مجمع الزوائد ( ١٠ / ١٢٠ ) وصحيح الترغيب والترهيب ( ١ / ٢٧٣ ) .

٣ - صحيح : أحمد ( ٦٦٢٦ ) والحاكم ( ٢٠٣٦ ) والبيهقي في الشعب ( ١٩٩٤ ) انظر حديث رقم : ٣٨٨٢ في صحيح الجامع .

٤ - القصص ( ٥٦ ) .

٥ - القصص ( ٥٦ ) .

محمد فقال : بل عبدا رسولا { ( ١ ) } والله سبحانه وتعالى يقول : (( ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون )) ( ٢ ) ويقول سبحانه في كتابه الكريم : (( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد )) ( ٣ ) والصوفية يرفعون النبي صلى الله عليه وسلم فوق منزلته وهو ينهى عن ذلك قائلا : { لا تطروني كما طرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله } ( ٤ ) والبوصيري في برده يقول :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوف به  
سواك عند حلول الحادث العمم  
إن لم تكن آخذا يوم المعاد ידי فضلا  
ولا فقل يا زلة القدم  
فإن من جودك الدنيا وضرتها  
ومن علومك علم اللوح والقلم

قال بعض العلماء : ما ترك هذا الله شيئا فهذا الباب فيه الرد على الذين غلوا في النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المشركين الذين يتعلقون بالصالحين يدعونهم ويستغيثون بهم من دون الله والنبي صلى الله عليه وسلم يقضي الله أنه لا يمكن أن يهدي من أحب (( إنك لا تهدي من أحببت )) ( ٥ ) فسبب نزول هذه الآية في عم النبي صلى الله عليه وسلم أبو طالب الذي كان يحوط النبي صلى الله عليه وسلم ويحميه ولكن لم يسلم لم يدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم بل ضل على كفره فرسول الله كان حريصا كل الحرص عليه وعلى أمثاله وعلى غيره من الأمة ولكن باعتباره من آباءه ومن المقربين له لكنه لم يسلم (( إنك لا تهدي من أحببت )) ( ٦ ) والمراد بالهداية هنا هداية التوفيق والإلهام لأن الهداية هدايتان : هداية هداية دلالة وإرشاد وهداية توفيق وإلهام فهداية التوفيق والإلهام هذه أمر الله من شاء الله عز وجل له الهداية هداه وأما هداية الدلالة والإرشاد فهذه هي مسئولية العلماء والأنبياء والدعاة والصالحين كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم )) ( ٧ ) وهكذا : (( وإن تطيعوه تهتدوا )) ( ٨ ) وهكذا أثبت الله هداية للقرآن قال : (( إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم )) ( ٩ ) يهدي وحديث سهل بن سعد في صحيح مسلم : { من دل على هدى كان له مثل أجور من تبعه } ( ١٠ ) فهداية الدلالة والإرشاد هذه عامة للأنبياء للقرآن للدعاة إلى الله للعلماء وأما هداية التوفيق والإلهام فهذه من شاء الله عز وجل هدايته هداه فقد كتب الله في اللوح المحفوظ أن أبا طالب من أهل النار قضى الله سبحانه وتعالى وهذه من حكمة الله البالغة وهو الذي لا يسأل عما يفعل فهو سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة والحجة النافذة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا راد لأمره ولا معقب لحكمه .

١ - صحيح : أحمد (٧١٦٠) وابن حبان (٦٣٦٥) ومسنند أبي يعلى (٦١٠٥) وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٠٢) .

٢ - الأعراف ( ١٨٨ ) .

٣ - الكهف ( ١١٠ ) وفصلت ( ٦ ) .

٤ - البخاري (٣٢٦١) وأحمد (٦٤٤٢) (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم .

٥ - القصص ( ٥٦ ) .

٦ - القصص ( ٥٦ ) .

٧ - الشورى ( ٥٢ ) .

٨ - النور ( ٥٤ ) .

٩ - الإسراء ( ٩ ) .

١٠ - مسلم ( ٢٦٧٤ ) .

وفي الصحيح عن ابن المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية ، وأبو جهل فقال له : { يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله } فقالا : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { لأستغفرن لك ما لم أنه عنك } فأنزل الله عز وجل : (( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى )) ( ١ ) وأنزل الله في أبي طالب : (( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )) ( ٢ ) { ( ٣ ) .

فيه مسائل :

١ - التوبة ( ١١٣ ) .  
 ٢ - القصص ( ٥٦ ) .  
 ٣ - أخرجه البخاري ( ١٣٦٠ ) ومسلم ( ٢٤ ) .

- الأولى : تفسير : (( إنك لا تهدي من أحببت )) ( ١ ) .
- الثانية : تفسير قوله : (( ما كان للنبي )) ( ٢ ) .
- الثالثة : وهي المسألة الكبرى : تفسير قوله : { قل لا إله إلا الله } بخلاف ما عليه من يدعي العلم .
- الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال للرجل : { قل لا إله إلا الله } ففتح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام .
- الخامسة : جده صلى الله عليه وسلم ومبالغته في إسلام عمه .
- السادسة : الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه .
- السابعة : كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له ، بل نهى عن ذلك .
- الثامنة : مضرة أصحاب السوء على الإنسان .
- التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .
- العاشرة : استدلال الجاهلية بذلك .
- الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم لأنها لو قالها لنفعته .
- الثانية عشرة : التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين ، لأن القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها ، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصرنا عليها .

ثم قال المؤلف : وفي الصحيح المراد بالصحيح هنا الصحيحين والمؤلف ليس له اصطلاح خاص فتارة يعني الصحيحين وتارة يعني أحد الصحيحين البخاري أو مسلما .

قال : عن ابن المسيب ، وابن المسيب هو سعيد بن المسيب بن حزن من سادات التابعين بل هو سيد التابعين أما أفضل التابعين فهو أويس القرني كما جاء في حديث صحيح : { أفضل التابعين أويس القرني } ( ٣ ) لكن سيد التابعين هو سعيد بن المسيب وهو صهر إبي هريرة زوجه ابنته وسعيد بن المسيب هو من الفقهاء السبعة الذين كانوا في عصر واحد إذا اجمعوا على شيء لا ترد فتواهم كما قال الناظم :

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر روايتهم عن العلم ليست بخارجة  
فقل هم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

فهذا العالم الكبير يروي عن أبيه الذي هو حزن قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، أي قارب الموت من أبي طالب يحكي قصة واقعية جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أمية وهذا قد أسلم وحسن إسلامه وأبو جهل أبو جهل هو عمرو بن هشام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في السنن :

١ - القصص ( ٥٦ ) .

٢ - التوبة ( ١١٣ ) .

٣ - أحمد ( ١٥٩٨٤ ) والحاكم ( ٥٧١٧ ) انظر حديث رقم : ٣٢٧٢ في صحيح الجامع .



{ اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب قال وكان أحبهما إليه عمر } ( ١ ) فكانت الكرامة لعمر بن الخطاب كان الاصطفاء والاختيار لعمر بن الخطاب وأما أبو جهل قبحه الله فإنه لم يسلم بل ضل يبذل كل ما في وسعه للصد عن الدعوة وعن الخير وعن الصراط المستقيم وهو الذي جر الفتن في زمانه والويلات على المسلمين من المهاجرين والأنصار فهو المحرض في الغزوة الأولى من الغزوات التي أكرم الله بها المسلمين غزوة بدر الكبرى كانوا يقولون له : قد نجت قافلة قريش نجت القافلة قال أبو جهل : لا لا بد أن تأتي بدرا لا بد أن تنحر الجزور وتشرب الخمر وتضرب القيان يعني المغنيات فإذا سمعت بنا العرب فلا زالت تهابنا عيادا بالله وخرج في غزوة بدر قبل الغزوة وفيه من الكبرياء والتبخر قائلا : (( اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم )) ( ٢ ) غرورا ورياء وكبرياء **فماذا كان بعد هذا ؟** كانت الهزيمة النكرة التي سمعت بها العرب فلا زالت العرب تحترق ما حصل من أبي جهل وصناديد الكفر بسبب ما فعلوه رجعوا خائبين منهزمين وأبو جهل صعد عبد الله بن مسعود على صدره قال : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويحي الغنم وكانت هزيمة أخذوا إلى قلب بدر والمراد بالقلب هي الحفرة التي كانت بئرا ولم يكن فيها طواية رموا كما ترمى الزبالة أو الأحذية البالية ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم على رؤوسهم قال : { يا أبا جهل يا عمرو بن هشام يا أمية بن خلف يا فلان يا فلان **هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا ؟** } فقال عمر : **يا رسول الله تخاطب هؤلاء النتنى ؟** فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { ما أنتم بأسمع لما أقول منهم } ( ٣ ) وهذه خاصية للنبي صلى الله عليه وسلم أحياءهم من أجل أن يستمعوا إلى كلام رسول الله توبيخا وتقريعا وتأنيبا والآية من سورة العلق : (( كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية )) ( ٤ ) هي في أبي جهل وأضرابه (( فليدع ناديه سندع الزبانية )) لو اعتدى أو اقترب من نبينا صلى الله عليه وسلم مؤذاة له قال عليه الصلاة والسلام : { لو فعل لأخذته الملائكة } ( ٥ ) **وأي أبو جهل ؟** إنه في سحيق (( النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب )) ( ٦ ) فهو فرعون هذه الأمة وحاله كحال فرعون وقوم نوح (( مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا )) ( ٧ ) فهذا الرجل كان عند أبي طالب فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { يا عم قل لا إله إلا الله } وفي هذا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم من الحرص على الدعوة والأخلاق العالية قال له : { يا عم } على أنه كان مشرك كافر ولكن هكذا كان صاحب خلق عظيم قال : { يا عم قل لا إله إلا الله } هذه هي كلمة التوحيد وهي الكلمة الطيبة وهي كلمة التقوى وهي كلمة المحاجة وهي كلمة الإخلاص { قل لا إله إلا الله } قال بعض العلماء : هنا هذه الكلمة في محل نصب على البدلية كأنه يقول : قل كلمة بمحل نصب مقول القول قل : كلمة { قل لا إله إلا الله } أولا تنفي الآلهات قل لا إله إلا الله إثبات لألوهية الله الحققة (( ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل )) ( ٨ ) { كلمة أحاج لك بها عند الله } قل هذه الكلمة يا عم فقال له :

١ - صحيح : الترمذي ( ٣٦٨١ ) والحاكم ( ٤٤٨٦ ) والطبراني في الكبير ( ١٠٣١٤ ) وانظر صحيح الترمذي ( ٢٩٠٧ ) .

٢ - الأنفال ( ٣٢ ) .

٣ - البخاري ( ١٣٠٤ ) ومسلم ( ٢٨٧٣ ) .

٤ - العلق ( ١٥ - ١٨ ) .

٥ - البخاري ( ٤٦٧٥ ) .

٦ - غافر ( ٤٦ ) .

٧ - نوح ( ٢٥ ) .

٨ - الحج ( ٦٢ ) .

**أترغب عن ملة عبد المطلب ؟** ذكره بالأجداد ذكره بالآباء ذكره بالملة الأولى التي هي احتجاج كثير من المشركين بل ومن المسلمين كما قال سبحانه : (( إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون )) ( ١ ) نعمة وعصبيات جاهلية قوميات فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادها يعني صراع بين الحق والباطل رسول الله يوجهه إلى الجنة وهم يوجهونه إلى النار رسول الله يوجهه إلى الصراط المستقيم وهم يوجهونه إلى طريق الشيطان الرجيم نسأل الله السلامة والعافية في آخر رفق فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن :

قوله : هو على ملة عبد المطلب الظاهر أن أبا طالب قال : أنا فغيرها الراوي استقبحا للفظ المذكور وهو من التصرفات الحسنة قاله ابن حجر في فتح الباري وقوله : وأبى أن يقول لا إله إلا الله قال الحافظ : هذا تأكيد من الراوي في وقوع ذلك من أبي طالب وفي هذا دليل أن أبا طالب مات على الكفر خلافا لما تقوله الرافضة : بأنه نبي وخلافا لما تقوله الشيعة : بأنه مات على الإسلام بهذا الدليل وبحديث آخر جاء علي بن أبي طالب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : إن عمك الشيخ الضال توفي أو مات قال : { اذهب فواره } ( ٢ ) فهذه أدلة تقتضي الرد على مزاعم الشيعة فإنهم قد ألفوا كتابا بعنوان : المنة في أن أبا طالب في الجنة ، ويش الدفاع هذا على أبي طالب من قبل أعوذ بالله من قبل الشيعة والرافضة لماذا دائما يخالفون ؟ أعوذ بالله يا إخوان أعوذ بالله دائما يخالفون الحق ويحرصون عليه .

قال : وأبى أن يقول : لا إله إلا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { لأستغفرن لك ما لم أنه عنك } اللام هنا موطئة للقسم وفيه دليل على من قال من العلماء بجواز الحلف وإن لم يستحلف العبد فأنزل الله عز وجل : (( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين )) ( ٣ ) وأنزل الله في أبي طالب

(( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )) ( ٤ ) في هذا الدرس فوائد من أعظمها :

أهمية الدعوة إلى الله وهذا حاصل من فعله صلى الله عليه وسلم ذهب في آخر رفق عمه يدعوه إلى الله سبحانه وتعالى { لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم } ( ٥ ) .

**ثانيا :** مشروعية زيارة المريض وهذا من محاسن هذا الدين { من عاد مريضا لم يزل في خرفة من الجنة حتى يرجع } ( ٦ ) وهكذا : { من زار مريضا أو عاد أخا له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا } ( ٧ ) وفي حديث : { حق المسلم على المسلم ست ومنها عيادة المريض } ( ٨ ) .

**ثالثا :** عظمة لا إله إلا الله وأن أبا طالب لو قالها كانت كافية ولكنه لا حول ولا قوة إلا بالله لم يوفق لها ، ولكن اللئيم عن المكارم يشغل ، شغل أبو طالب أن يقول : هو على ملة الإسلام وأصر أن يكون على ملة الكفر لا حول ولا قوة إلا بالله .

١ - الزخرف ( ٢٣ ) .

٢ - صحيح : أبو داود ( ٣٢١٤ ) والنسائي ( ٢٠٠٦ ) ومسنند أبي يعلى ( ٤٢٣ ) وانظر صحيح أبي داود ( ٢٧٥٣ ) .

٣ - التوبة ( ١١٣ ) .

٤ - البخاري ( ٢٧٨٣ ) .

٥ - القصص ( ٥٦ ) .

٦ - مسلم ( ٢٥٦٨ ) .

٧ - صحيح : الترمذي ( ٢٠٠٨ ) وابن ماجه ( ١٤٤٣ ) وأحمد ( ٨٣٠٨ ) وانظر صحيح الترمذي والترهيب ( ٢٥٧٨ ) .

٨ - مسلم ( ٢١٦٢ ) .

**رابعاً :** فيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم من قوله : فكان آخر ما قال ففيه معنى حديث ابن مسعود في الصحيحين لما قال : حدثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : { إن أحذكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك } يعني بقدر ما يمتضغ يعني مدة أربعة أشهر { ثم يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع كلمات كتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد } ثم قال صلى الله عليه وسلم :

{ فوالله الذي لا إله غيره إن أحذكم ليعمل بعمل أهل الجنة { يعني فيما يبدو للناس بعمل أهل الجنة لكن ما هو على إخلاص نسأل الله السلامة والعافية } حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع { قريب من الجنة } فيسبق عليه الكتاب { يعني ما كتبه الله } فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحذكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها } ( ١ ) في آخر حياته يحدد مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار وفيه معنى حديث سهل بن سعد في البخاري ( ٢ ) أنهم كانوا في بعض الغزوات قد رأوا رجلاً فما ترك من شاردة ولا واردة ولا شاذة إلا بددها وأدركها فقال صلى الله عليه وسلم : { ألا أرىكم رجلاً من أهل النار ؟ } قالوا : بلى قال : هذا { حتى كاد إيمان الصحابة كما يقول الشيخ الألباني يتقلقل ويتزعزع رجل في قلب المعركة يقاتل وينازل من أجل الله وصاحب الشرع العظيم محمد عليه الصلاة والسلام يقضي من اللوح المحفوظ من علم الله أنه من أهل النار سبحانه الله فقال بعض الصحابة : أنا صاحبه وهذا فيه دليل على أهمية الإخلاص وأن الشخص ما يعمل من أجل يقال من أجل الشيخ أو من أجل فلان أو من أجل يقال عني لا اعمل لله ولو كان قليلاً يبارك الله فيه وأوقات السر والخلوات هي الكفيلة بذلك **فما الذي صار ؟** لا حول ولا قوة إلا بالله ما الذي صار قال بعض الصحابة : أنا صاحبه فما زال يدركه وإن توقف وقف معه وإن سار سار بعده فكان في نهاية المطاف أن جرح الرجل فما صبر على الجرح فوضع ذبابة سيفه على صدره ليخرج من ظهره قتل نفسه وتعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

{ من قتل نفسه بحديدة فحديدته بيده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً } ( ٣ ) فالذنوب والمعاصي لا سيما الذنوب الخفية فهنا بين يدي فائدة :

أجمع العارفون كما ذكر هذا ابن القيم وغيره على أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات وأن عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات فهذا الرجل يقاتل ولكن **إيش كان المصير ؟** فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله هذا الرجل قال صلى الله عليه وسلم : { الله أكبر إنما الأعمال بالخواتيم } ( ٤ ) .

**خامساً :** التحذير من جلساء السوء

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم

إن القرين بالمقارن يقتدي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فمن كان جلساءه التلفاز أو مجرم من المجرمين فليخش على نفسه ، قلبك ليس بيدك فربما ينتكس وعائشة رضي الله عنها تقول : كان من أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : { يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك } ( ١ ) .

١ - البخاري (٣٠٣٦) ومسلم (٢٦٤٣) .

٢ - البخاري (٦١٢٨) .

٣ - البخاري (٥٤٤٢) ومسلم (١٠٩) .

٤ - البخاري (٦٢٣٣) .

**سادسا :** الرد على من زعم إسلام أبي طالب من الشيعة والرافضة والخرافيين بدلالة هذا الحديث وبما تقدم .

**سابعا :** فيه رد في هذه القصة قصة أبي طالب رد على المرجئة القائلين بأنه يكفي الإيمان والمعرفة والاعتقاد وإن لم يحصل عمل هذا ضلال يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة ففيه رد على مزاعم هؤلاء فإن أبا طالب كان يعتقد ويعلم بنص القرآن (( فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون )) ( ٢ ) ويقول سبحانه وتعالى :

(( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا )) ( ٣ ) وهو القائل :

ولقد علمت بأن دين محمد  
لولا الملامة وحذار مسبة  
والله لن يصلوا إليك بجمعهم  
من خير أديان البرية دينا  
لوجدتني سمحا بذاك يقينا  
حتى أوسد في التراب دفينا

وما نفعه هذا .

قال العباس : يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك **فهل ذلك نافعه من شيء ؟ هل نفعته بشيء ؟**

قال : { هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار } ( ٤ ) ففيه رد على المرجئة .

ثامنا : فيه تحريم الاستغفار للمشركين ولو كانوا من الأقرباء (( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم )) ( ٥ ) .

تاسعا : فيه التحذير من التعصب للآباء إن كان الآباء على حق فلتتعصب للحق أما إن كانوا على باطل فلا يجوز التعصب لا للآباء ولا للأجداد ولا للقبائل ولا للمشائخ ولا للعلماء لا يجوز التعصب إلا لكتاب الله أو لسنة النبي صلى الله عليه وسلم قال الله حاكيا عن هؤلاء المتعصبين في نار جهنم : (( وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا )) ( ٦ ) وقال سبحانه : (( إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب )) ( ٧ ) والله در المقبل حينما قال في العلم الشامخ في كتاب له بعنوان العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشائخ قال :

فدع قصر فضل الله جهلا عليهموا  
ولا تغل فيهم واتركن التحزبا  
ولا عار إن لم تختار لك مذهبا  
سوى الحق من أدلى به قلت مرجبا  
بلا فئة تأوي إليها ومركز  
ودر حيثما دار الدليل لتجتبى

المقبلي له كتاب بعنوان العلم الشامخ وابن الوزير له كتاب بعنوان إيثار الحق على الخلق فلا بد أن يؤثر الحق وأن يقدم وإن كان على قول أبيك وأملك وعلى قول أجدادك فهؤلاء لا ينفعون ولا يضررون إن كانوا على باطل فاترك باطلهم وإن كانوا

<sup>١</sup> - صحيح : أحمد ( ٢٤٦٤٨ ) والطبراني في الأوسط ( ١٥٣٠ ) ومسنند أبي يعلى ( ٤٦٦٩ ) انظر حديث رقم : ٧٩٨٧ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - الأنعام ( ٣٣ ) .

<sup>٣</sup> - النمل ( ١٤ ) .

<sup>٤</sup> - البخاري ( ٣٦٧٠ ) ومسلم ( ٢٠٩ ) .

<sup>٥</sup> - التوبة ( ١١٣ ) .

<sup>٦</sup> - الأحزاب ( ٦٧ - ٦٨ ) .

<sup>٧</sup> - البقرة ( ١٦٦ ) .

على حق فتمسك بالحق الذي كانوا عليه ومن المسلمين اليوم لا زال متأثر بما كان عليه أهل الجاهلية الأولى بجهل وإلا لو عرفوا العلم والخير والدعوة لبذوا هذه الأباطيل وراء ظهورهم فإن الله لما أكرم النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام والدعوة وقف في أعظم تجمع إسلامي وهو الحج في يوم عرفة فوقف النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً أمام الناس دون خجل قال : { وربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ربا أضعه ربانا ربا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم } ( ١ ) .

### باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

### باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

أما كلمة باب فلغة : استعمل هذا اللفظ لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء من الشيء وإلى الشيء وأما العلماء فألفوا الكتب فسموها كتاباً وما في هذا الكتاب من المسائل سموه أبواباً وفصول فالباب في مصطلح المؤلفين والكتاب : هو اسم لجملية علمية مختصة من الكتاب ولا يأخذ هذا الاسم إلا إذا كان الباب عاماً شاملاً في أي مسألة من مسائل الفقه

<sup>١</sup> - مسلم ( ١٢١٨ ) .

مسائل العقيدة فهو يأخذ المسألة من أولها إلى آخرها كما قال أبو الحسن علي بن المديني رحمه الله تعالى : إن الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه .

أما قوله رحمه الله : ما جاء أي ما ورد من أدلة الشرع من الكتاب والسنة .

قال : ما جاء أن سبب المراد بالسبب في اللغة : ما يتوصل منه إلى الشيء ومنه قوله سبحانه :

(( فليمدد بسبب إلى السماء )) ( ١ ) والمراد بالسبب الحبل فالحبل عبارة عن سبب يمد من مكان إلى آخر وكذا السلم عبارة عن سبب وهكذا الميك هذا الذي أمامي عبارة عن سبب لأنه يوصل إلى أذهان السامعين الكلام العبارات فهذا من حيث اللغة فهو ما يتوصل به إلى الشيء وأما في اصطلاح الأصوليين : فهو ما يلزم من عدمه العدم يعني الآن لو انعدم هذا الميك والكهرباء ما سمعتم هذا الصوت المدوي ما سمعتم هذا الصوت الكبير لكان الصوت عاديا فيقولون : هو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود يعني قد يكون هذا موجود ولكن لا نستخدمه فلا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته هذا هو تعريف الأصوليين .

قال : ما جاء أن سبب كفر سبب مضاف وكفر مضاف إليه والكفر في اللغة التغطية وسمي الزارع كافر لأنه يكفر الحب أي يغطيه بالتراب والفوارق بين الكفر والشرك قولان للعلماء :

من العلماء من يقول : لا فرق بين الكفر والشرك ويستدل بالآية : (( والكاغرون هم الظالمون )) ( ٢ ) ولكن الصحيح أن الكفر أعم من الشرك .

قال : باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم : وهم البشر

أبوهم آدم والأم حواء	الناس من جهة التمثال أشباه
فإنما هو الطين والماء	فإن يكن شيء يفاضلون به

قال : وتركهم عطف على ما تقدم من الإضافات ويصلح وتركهم على أن يكون معطوف على اسم إن .

وقوله : دينهم يكون مفعولا به لترك لأن ترك مصدر والدين في اللغة بمعنى النظام والحكم كما قال الله : (( ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك )) ( ٣ ) ومراتب الدين الإسلامي ثلاث :

الإسلام والإيمان والإحسان كما فسر ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم بحديث جبريل الطويل قال : { هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم } ( ٤ ) .

قال : هو الغلو والضمير هذا ضمير فصل لا محل له من الإعراب إنما يؤتى به للتوكيد والتأكيد قال : هو الغلو والغلو هو الزيادة على الحد هذا من حيث اللغة وفي الشرع : الزيادة على الحد المشروع ويسمى غلوا وزيادة وطغيان وتنطع والغلو محرم لقوله صلى الله عليه وسلم : { إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو } ( ٥ ) هو محرم ويقول صلى الله عليه وسلم : { إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق } ( ٦ ) ويقول صلى الله عليه وآله وسلم : { إن هذا الدين يسر فما شاد

١ - الحج ( ١٥ ) .

٢ - البقرة ( ٢٥٤ ) .

٣ - يوسف ( ٧٦ ) .

٤ - مسلم ( ٨ ) .

٥ - صحيح : النسائي ( ٣٠٥٧ ) وابن ماجه ( ٣٠٢٩ ) وأحمد ( ١٨٥١ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ١٢٨٣ ) .

٦ - حسن : أحمد ( ١٣٠٧٤ ) والبيهقي في شعب الإيمان ( ٣٨٨٥ ) انظر حديث رقم : ٢٢٤٦ في صحيح الجامع .

أحد الدين إلا غلبه { (١) } ويقول عليه الصلاة والسلام : { عليكم هديا قاصدا { (٢) } وفي رواية : { القصد القصد تبلغوا { (٣) } والله سبحانه وتعالى يقول : (( وكذلك جعلناكم أمة وسطا )) { (٤) } فالوسطية هي أصل ديننا والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : { بعثت بالحنيفية السمحة { (٥) } ولكن لا إفراط ولا تفريط لأن الدين بين الغلو والجفاء فلا بد أن يكون طرفان ووسط فالوسط هو حبيب الله أما أن يشد كتشدد اليهود أو كتشدد الخوارج أو أنه يتسامح ويتساهل كتسامح المرجئة الذي في ميزانهم أن إبليس مؤمن وفرعون مؤمن وهكذا جميع العصاة مؤمنين فهذا ليس من الدين هذا خراب الدين فلا إفراط ولا تفريط

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وجاء في مسند أحمد من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم في صباح ليلة المزدلفة أمر واحدا أن يلتقط له حصى من أجل أن يرمي بها جمرة العقبة الكبرى تحية منى يوم العيد أو ابن عباس هو الذي التقط له قال : فلقطت له حصيات حصى الخذف فلما وضعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أو في يده هزها ثم قال : { نعم بأمثال هؤلاء فارموا إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو { (٦) } .

قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله معلقا على هذا الحديث الذي سببه هو أخذ النبي صلى الله عليه وسلم حصاة رمي الجمار اسمع إلى شيخ الإسلام **ماذا يقول ؟** قال :

هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال وسبب هذا اللفظ العلم رمي الجمار وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنه أبلغ من الصغار ثم علله بما يقتضي مجانية هدي من كان قبلنا إبعادا عن الوقوع فيما هلكوا به فإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك والغلو . بارك الله فيكم . هلاك في الدنيا وفي الآخرة يشد **إيش بعد الشد ؟** لو أن شخص معه حبل وهو يشد يشد يشد **إيش الذي يصير ؟** ينقطع أعطيكم فائدة هي والله أغلى من الدنيا وما فيها في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة بنت أبي بكر الصديق وعندها امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { **من هذه ؟** } وهذا فيه . بارك الله فيكم . استحباب أو شرعية أو جواز أن تسأل أهلك إن كان عندها امرأة وإن أساءت أهلك الظن فلا حرج ربما تسيء الظن من ظنون النساء أنك تريد أن تتزوج بها قال الشيخ ابن عثيمين : فلا بد أن يسأل ربما كانت امرأة سوء تنقل السوء إلى أهلك أو من أهلك إلى الغير فقال عليه الصلاة والسلام وهديه خير الهدى : { **من هذه ؟** } قالت : فلانة باسمها تذكر من عبادتها فقال نبينا صلى الله عليه وسلم : { مه عليكم من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا { (٧) } الحديث رواه البخاري قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قال الزين بن المنير وكثيرا ما ينقل عنه الحافظ قال : في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد أدركنا وأدرك من كان قبلنا أنه ما تنطع أو تشدد أحد في الدين إلا هلك وأخبرني أحد طلاب العلم الصادقين الناصحين أنه عرف واحدا جاء بتشدد

١ - صحيح : النسائي (٥٠٣٤) وابن حبان (٣٥١) وانظر السلسلة الصحيحة (١١٦١)

٢ - صحيح : أحمد (١٩٨٠١) وابن خزيمة (١١٧٩) والحاكم (١١٧٦) انظر حديث رقم : ٤٠٨٦ في صحيح الجامع .

٣ - البخاري (٦٠٩٨) .

٤ - البقرة (١٤٣) .

٥ - صحيح : أحمد (٢٢٣٤٥) والطبراني في الكبير (٧٨٨٣) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٩٢٤) .

٦ - صحيح : ابن ماجه (٣٠٢٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٣٩٠٩) وانظر صحيح ابن ماجه (٢٤٥٥) .

٧ - البخاري (٤٣) .



وتعمق فما هي إلا فترة قرابة شهر وإذا به يترك أشياء أبلغ مما كان ينكرها صار يحلق لحيته ويترك الصلاة أشياء كثيرة جدا وأذكر كلمة والله لا أنساها لأخيها جمال با تيسير جزاه الله خير حينما قال في مسجدنا هذا : إن من أسباب التميع هو الغلو يشد الشخص يشد يشد فينقطع به الجبل فإذا به بعد ذلك يسقط ويفتر وتعرفون . بارك الله فيكم . رجل كان من أعظم المتشددين رجل في إب لا يستحق أن يذكر هو الآن في جماعات الجهاد انخرط في جماعة الجهاد جماعة الفساد ويقول : ما في داعي للتبليغ والإخوان وأهل السنة كلنا إخوان نعمل للإسلام نعمل للدين قال أحد إخواننا قال : كان في الغرفة العليا فإذا به ينزل إلى الاصطبل نزل إلى الاصطبل لماذا ؟ كان عنده شدة وعنده غلو على مستوى أنه كان ينكر على الشيخ مقبل وينكر على الألباني وينكر على بن باز يقول : متمذهبة وهو ليس بطالب علم لو قلت له : إعراب جاء زيد أو ضرب زيد عمرا ما يستطيع والله والله ما يستطيع ما درس النحو ولكن بزعم الزاعمين له أنه كان رجل منهجي إنه رجل جاهل ما يفهم شيء ولكن حفظ له بعض الآثار مثل حديث : { الخوارج كلاب أهل النار } ( ١ ) ومثل قول محمد بن سيرين لذلك المبتدع : لا يجمعني وإياك سقف ولما أراد أحد المبتدعين أن يتكلم مع سفيان الثوري قال له : كلمة قال : ولا نصف كلمة أخذ له هذه الآثار وإذا به يجادل وينظر من أجلها إنه كان يقول : دين دين سنة منهج والآل يا فلان ما لك لقد ترك والله لقد ترك تلك الشدة وهذه . بارك الله فيكم . هي مصداق حديث النبي صلى الله عليه وسلم : { هلك المتنتعون } حديث ابن مسعود في صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ هلك المتنتعون هلك المتنتعون هلك المتنتعون } ( ٢ ) وهذا عام هلاك في الدنيا وفي الآخرة قال الخطابي : المتنتع هو المتعمق في الشيء المتكلف بالبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيه الخائضين في ما لا تبلغه عقولهم .

ثم قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :

ومن التمتع الامتناع من المباح مطلقا كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز ومن لبس الكتان والقطن ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع من نكاح النساء ويظن أن هذا من الزهد المستحب قال الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله : هذا جاهل ضال وقال ابن القيم رحمه الله قال الغزالي : والمتنتعون في البحث والاستقصاء قال أبو السعادات : هم المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل متعمق قولاً وفعلاً { هلك المتنتعون } .

<sup>١</sup> - صحيح : الطبراني في الكبير ( ٨٠٤٢ ) وانظر ظلال الجنة ( ٩٠٤ ) .

<sup>٢</sup> - مسلم ( ٢٦٧٠ ) .

وقول الله عز وجل : (( قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم )) ( ١ ) .

ثم بعد هذا يذكر المؤلف دليلاً لما ذهب إليه قول الله تبارك وتعالى : (( قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق )) ( ٢ ) المراد بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى ولماذا سموهم بأهل الكتاب ؟ لأنهم كانوا يكتبون ويقرؤون والعرب جهال لا يقرؤون ولا يكتبون مشغولون بالتناحر والقتال فيما بينهم والله المستعان فالله سبحانه وتعالى يقول : (( يا أهل الكتاب )) خطاب لليهود والنصارى (( لا تغلوا في دينكم )) **وهل هذا الخطاب خاص باليهود والنصارى ؟ لا بل عام لهم ولغيرهم لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (( لا تغلوا في دينكم )) سواء كانت أمة اليهود أو أمة**

<sup>١</sup> - المائدة ( ٧٧ ) .

<sup>٢</sup> - المائدة ( ٧٧ ) .

النصارى أو أمة الإسلام لا تغلوا في دينكم فالنصارى قد غلوا في عيسى بن مريم قالوا : هو إله وقالوا : ابن الله وقالوا : ثالث ثلاثة **واليهود** غالوا في العزيز وقالوا : هو ابن الله وهذا كفر (( لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة )) ( ١ ) هذا ضلال فالنصارى كان عندهم رهبانية ابتدعوها واليهود حرفوا الكتب المنزلة من عند الله وهم قتلوا الأنبياء وهم وراء كل فتنة إلى قيام الساعة يقول سبحانه : (( قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق )) هم عندهم حق ولكنهم كتموه وأخفوه فلذلك كان المصلي صباحا ومساء يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم بقوله : (( اهدنا الصراط المستقيم )) ( ٢ ) طلب (( صراط الذين أنعمت عليهم )) ( ٣ ) **ومن الذين أنعم الله عليهم ؟ هم الأنبياء** الرسل الصديقون الشهداء والصالحون كما قال سبحانه : (( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا )) ( ٤ ) فيقول المصلي : (( اهدنا الصراط المستقيم )) ( ٥ ) فأمر المصلي بهذا قائلا : (( اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم )) وفسر النبي صلى الله عليه وسلم المغضوب عليهم بأنهم النصارى فهذا دليل استدلل به المؤلف رحمه الله تعالى على نبذ الغلو وترك الغلو سواء كان في باب العقيدة والتوحيد أم في غير ذلك من أبواب العلم والفقه فلا تغل في باب العقيدة التوحيد ولا في الفقه ولا في الوضوء ولا في الصلاة ولا في الكلام مع الناس ولا في مخالطة الناس ولا تغل حتى في النظافة كثرة النظافة فإنها تؤدي بك في الوسوسة ولا تغل في إخوانك أيضا في محبتهم وبغضهم فلا يكن عندك غلو لا تغل في حب ولا في بغض إياك والغلو يقول صلى الله عليه وسلم : { احب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما } ( ٦ ) فإياك أن يكون عندك الغلو في هذا ولا تغل حتى في حب امرأتك ولا في محبة ولدك ولكن ما أحسن العدل والوسطية في كل شيء هذا ما يتعلق بالتعليق على هذه الآية الكريمة .

**في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (( وقالوا لا تذرنا ألهتكهم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً )) ( ٧ ) قال :**

**[ هذه أسماء رجال صالحين ، من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت ] ( ٨ ) .**

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

١ - المائدة ( ٧٣ ) .  
٢ - الفاتحة ( ٦ ) .  
٣ - الفاتحة ( ٧ ) .  
٤ - النساء ( ٦٩ ) .  
٥ - الفاتحة ( ٦ ) .  
٦ - صحيح : الترمذي ( ١٩٩٧ ) والبخاري في الأدب المفرد ( ١٣٢١ ) والمعجم الأوسط ( ٣٣٩٥ ) انظر حديث رقم : ١٧٨ في صحيح الجامع .  
٧ - نوح ( ٢٣ ) .  
٨ - البخاري ( ٤٦٣٦ ) .

في الصحيح ، والمراد بالصحيح صحيح البخاري وليس له اصطلاح خاص تارة يقول في الصحيح وهو في الصحيحين وتارة يقول في الصحيح وهو في أحدهما وصحيح البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى صحيح البخاري لو أنصفوه لما خط إلا بماء الذهب

قال : في الصحيح عن ابن عباس وابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب هاشمي وهو قريب النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم والتقى به الرسول صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة في الفتح فعاش مع النبي صلى الله عليه وسلم قرابة كم ؟ ثلاث سنوات أو أربع سنوات ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو قد حفظ المفصل وكان قد ناهز الاحتلام يعني بداية الشبهة وكان قد حفظ من سورة الناس إلى الأحقاف وقيل : إلى سورة ق هذا هو المفصل ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : { اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل } ( ١ ) فنفعه الله بهذه الدعوة ثم بالحرص لا بد من الحرص

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي  
ومن رام العلو أي طلبه من غير كد أضاع العمر في طلب المحال  
تروم العز ثم تنام ليلاً يغاص البحر في طلب اللآلي

كان له همة كان لابن عباس همة والهمة دليل على كمال عقل الرجل حينما يكون الشخص عنده همة وكانت الهمة هذه في مجال عظيم في مجال العلم الفقه قيادة الأمة إلى الخير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان يذهب يطلب العلم عند كبار الصحابة عند زيد بن ثابت ويأخذ عن أبي بكر وعمر وعلي وعلان وفلان كبار الصحابة وكان يأخذ بلجام بغلة أو ناقة زيد بن ثابت ويقبل يده ويقول : [ هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا ] وكان يذهب إلى زيد بن ثابت وقت القائلة وقت القيلولة فتأتي الرياح فتسف الرمل إلى وجهه وهو منتظر متى يخرج شيخه زيد بن ثابت فيقول له زيد : يا ابن عم رسول الله والله لو أرسلت إلي لأتيناك إلى رحلك فيقول : العلم يؤتى ولا يأتي إليه تأمل الآن قارن الآن لو أن الشخص عقد درس روحوا صيحو لفلان صيحو لفلان قولوا له : يأتي يطلب العلم يا فلان تعال تعال يا فلان لو سمحت بهذا الجاه اقرب تعال اطلب وابن عباس يذهب يبحث عن الفائدة وعن المسألة (( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون )) ( ٢ ) والله وصمة عار يا إخوان يأتي وقت الدرس ما أدري في أي صفحة المدرس المدرس ولا ماذا أخذت بالأمس وكأنك لست بشيء فمرة من المرات قال ابن عباس لأحد الأنصار ابن عباس مهاجري قال له : يا فلان لو نطلب العلم لا يزال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متواجدين قال له : **أترى يا ابن عباس أيجتاج الناس لك ؟** الناس عندهم أبو بكر عندهم عمر عندهم عندهم قال : فلم ألتفت إلى قوله وأقبل ابن عباس على طلب العلم يطلبه من الصحابة قال : فما هي إلا أيام وإذا بالغزوات يموت فيها أكابر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا بالناس يبحثون عن العلم فيجدونه عند ابن عباس قال : فدخلت مرة المسجد ورأيت حلقة قد اجتمع فيها الناس فقلت : **علي من اجتمعوا ؟** قالوا : علي ابن عباس قال : والله لقد كان ابن عباس أعقل مني وكان رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنده في القرآن وفي الحديث وفي الشعر وفي أيام العرب وكان رضي الله تعالى عنه وأرضاه قد رزقه الله الفهم بخلاف أبي هريرة

١ - البخاري ( ١٤٣ ) .

٢ - التوبة ( ١٢٢ ) .

وجابر وابن عمر وأبو سعيد هم من المكثرين صح لكن الفقه بل قال بعضهم : كان المزي صاحب تهذيب الكمال بمثابة أبي هريرة وكان ابن تيمية بمثابة ابن عباس عنده من الفقه وعنده من أيام العرب وعنده من الشعر وعنده من كذا وكذا وكذا ولما كبر سنه عمي وهو القائل :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي فؤادي وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

ولما مات قال مورك العجلي في الطائف لأن ابن عباس كان في الطائف وأنس كان في البصرة آخر من مات من الصحابة في الطائف ابن عباس قال : مات في هذا اليوم رباني هذه الأمة ورأوا عندما مات طائر أبيض دخل معه في أكفانه كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية بعضهم قال : ذلك عمله رضي الله تعالى عن ابن عباس وانظر كم حفظ لنا من العلوم وتأمل إلى يومنا هذا وابن عباس مخلص اسمه

ما زلت تدأب في التاريخ حتى رأينا اسمك في التاريخ مكتوبا

فولج التاريخ من أوسع أبوابه باب العلم والفقه **لكن يابش . بارك الله فيكم . ؟** بالإهمال والضياع والكسل ولو سمحت تعال ادرس لو سمحت سجل هذه الفائدة وبهذا الجاه اجلس في الدرس لا ولكن عنده همة تنتقل به من حسن إلى أحسن كما كان ابن الجوزي رحمه الله تعالى يتحدث لطلابه يقول يتحدث عن فضل الله وعن نعمة الله عليه وهذا ذكر في ترجمة ابن الجوزي قال :

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا وأكابد النهج العسير الأطولا

يعني أي شيء من الصعب يحاول أن يذلل قال :

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا وأكابد النهج العسير الأطولا

تجري بي الآمال في حلباتها جري السعيد مدى ما أملا

أفضى بي التوفيق فيه إلى الذي أعيا أي أتعب سواي تغلغلا وتأصلا

لو كان هذا العلم شخصا ناطقا فسألته هل زار مثلي قال لا

على أن هذا رحم الله ابن الجوزي ما كان ينبغي أن يقول هذا

لو كان هذا العلم شخصا ناطقا فسألته هل زار مثلي قال لا

على أن ابن الجوزي كان حريصا كل الحرص على الحفظ وعلى الفائدة وعلى المحافظة على وقته فابن عباس ينقل في قول الله سبحانه وتعالى : (( وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا )) قال : [ هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه الصلاة والسلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا والمراد بالأنصاب الأصنام الصور وسموها بأسمائهم ففعلوا و لم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبت ] ابن عباس ينقل هذا وهو من أمور الغيب وقول الصحابي إن كان من أمور الغيب أو ليس للرأي فيه مجال فله حكم الرفع ورواية ابن عباس رواية مرسلة عن الصحابة لكن لها حكم الاتصال كما قال العراقي رحمه الله :

أما الذي أرسله الصحابي فحكمه الوصل على الصواب

فهكذا الشيطان يعني أخذهم مرحلة مرحلة بداية نصبوا عبارة عن تصاوير حتى إذا اندرس العلم وتالت القرون أوحى إلى الناس في ذلك الزمان أن هؤلاء ما صوروا إلا من أجل علة صلاح شيء من الخير فيهم فلا بد أن يعبدوا فعبدوا من دون الله وتعرفون في قوم نوح كثر الأصنام والأوثان والشرك واستمر نوح عليه الصلاة والسلام ألف سنة إلا خمسين عاما كما ذكر الله ذلك في القرآن الكريم وما أسلم ودخل معه في الدين الإسلام إلا قرابة ثمانين رجلا وامرأتان وذلك أمر الله سبحانه وتعالى .

وقال ابن القيم رحمه الله : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله } أخرجه .

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو } . ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { هلك المتطعون } قالها ثلاثاً . فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ، تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

- الثانية : معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين .
- الثالثة : أول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك ، مع معرفة أن الله أرسلهم .
- الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر ترددها .
- الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل فالأول : محبة الصالحين ، والثاني : فعل أناس من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً ، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .
- السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح .
- السابعة : جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد .
- الثامنة : فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر .
- التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .
- العاشرة : معرفة القاعدة الكلية ، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه .
- الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .
- الثانية عشرة : معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها .
- الثالثة عشرة : معرفة شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .
- الرابعة عشرة : وهي أعجب وأعجب : قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات ، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال .
- الخامسة عشرة : التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة .
- السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .
- السابعة عشرة : البيان العيظ في قوله : { لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم } فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين .
- الثامنة عشرة : نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .
- التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .
- العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

قال ابن القيم وابن القيم هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية وهو إمام من أئمة العلم ومن أوعية العلم قال الإمام السخاوي : هو العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان المجمع عليه بين الموافق والمخالف صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجملة ويكفيه شرفاً أنه تتلمذ على يدي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عالم كبير قال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم نسأل الله السلامة والعافية .



وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا تطروني كما طرت النصارى عيسى بن مريم } ( ١ ) **لماذا ؟** لأن هذا . بارك الله فيكم . قد يفضي إلى الشرك فمن الناس من يدعو رسول الله من دون الله وفي هذا الزمان من يدعو ابن علوان والخمسة وأبا طير وهذا شرك باتفاق .

ذكر شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة رحمه الله عن بعض أهل زمانه يعني من العلماء في ذلك الزمان أنه جوز الاستغاثة برسول الله في كل ما يستغاث فيه بالله وصنف في ذلك مصنفا رده شيخ الإسلام ويقول عبد الرحمن بن حسن : ورده موجود ويقول : إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله وذكر له أشياء من هذا النمط نعوذ بالله من عمى البصيرة .

وتعرفون قول البوصيري وهي قصيدة مشهورة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به  
إن لم تكن آخذا يوم المعاد ידי  
سواك عند حلول الحادث العمم  
فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

وتعرفون الصوفية في تريم وفي البيضاء يقولون :

لي خمسة أطفئ بهم  
المصطفى والمرضى  
نار الجحيم الحاطمة  
وابناها والفاطمة

الرسول وعلي والحسن والحسين نسأل الله السلامة وهكذا . بارك الله فيكم . يقولون : اللهم إني أخاف منك وأخاف ممن لا يخاف منك فبحق من يخاف منك نجني ممن لا يخاف منك فالنبي صلى الله عليه وسلم حذر من الغلو فيه حتى لا يفضي الأمر إلى أن يؤله من دون الله على أن من الناس من ذهب إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اعطني ارزقني اشف أمراضي يدعو النبي صلى الله عليه وسلم من دون الله والرسول صلى الله عليه وسلم سمع جارية تقول : وفيما رسول الله يعلم ما في غد قال : { لا لا يعلم ما في غد إلا الله } ( ٢ ) ولما سمع شخص يقول : ما شاء الله وشئت قال : { **أجعلني لله ندا ؟ قل** : ما شاء الله وحده } ( ٣ ) فهنا يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو قال : { لا تطروني } أي لا تجاوزوا وتبالغوا في مدحي { فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله } والحديث في الصحيحين لأن هذا الغلو سوف يفضي بنا كما أفضى بقوم نوح ومن شابههم إلى الشرك فلا نغل في الأنبياء ولا في النبي ولا في الصحابة ولا في العالم لأن من الناس اليوم من يغالي في شخص من الأشخاص ويرفعه فوق منزلته ويرى أن الحق محصور في فلان هذا لا يجوز المعصوم من الخطأ هم الأنبياء أما بالنسبة للأولياء الصالحين العلماء فهم بشر يخطئون ويصيبون وقال بعض العلماء : ما منا من أحد إلا راد ومردود عليه كل يؤخذ من قوله ويرد ويقول عليه الصلاة والسلام : { إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو } وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { هلك المتطعون } قالها ثلاثا { هلك المتطعون هلك المتطعون هلك المتطعون } يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو سواء كان في باب

<sup>١</sup> - البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم .  
<sup>٢</sup> - المعجم الأوسط (٣٤٠١) والمعجم الصغير (٣٤٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٤٤٦٦) (١٤٤٦٧) وانظر آداب الزفاف للألباني (١٠٩ - ١١٠) .  
<sup>٣</sup> - سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٥) .

الاعتقادات أو في باب الأعمال أو في باب المحبة في أي شيء وقد تقدم لكم بالأمس القريب شيء من هذا الباب وبهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟**

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله :

**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله تعالى عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟**

أما قوله : باب فكلمة يراد بها من حيث اللغة : لما يدخل ويخرج منه هذا من حيث المعنى اللغوي الحسي وأما من حيث المعنى الذي اصطلح عليه العلماء في كتبهم فهو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب وقوله : ما جاء ما هاهنا موصولة

أي الذي جاء ومعنى جاء أي ورد والمراد بذلك ما جاء في هذا الموضوع عن الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم من الدين الذي أرسل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين .

قال : ما جاء من التغليظ والمراد بالتغليظ التشديد فيمن عبد الله وتعرفون العبادة واسع معناها فهي كما يقول ابن تيمية وهو تعريف ارتضاه أهل العلم : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وهذا كما يقال تعريف جامع مانع والمراد بذلك من الصلاة وقراءة القرآن وتقديم القرابين لله سبحانه وتعالى لكن أين تكون هذه العبادة عند قبر رجل صالح هي عبادة لله ولكن عند القبر فهنا يقول : ما جاء من التغليظ أي من التشديد فيمن عبد الله **في أي مكان ؟** عند قبر رجل صالح وربما كان غير صالح فصالح أو غير صالح فلا يجوز أن تقوم تلك العبادة هناك فكيف إذا كانت هذه العبادة لهذا المقبور ؟ العبادة غير جائزة وغير شرعية إن كانت لله في ذلك الموضع فكيف فيمن عبد هذا القبر أو صاحب هذا القبر أو دعا صاحب هذا القبر إنه ضلال مبين وتعريف الصالح هو من قام بحقوق الله وحقوق عباده وأمر المقابر أو ما يفعل عند المقابر أمران :

مشروع وممنوع أما المشروع فهو الدعاء لأهل القبور وهو ما علمه إيانا صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : { إذا أتيت القبور فقلولي : السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله العافية لنا ولكم } ( ١ ) هكذا سلم على أهل القبور السلام عليكم أهل الديار يعني أسأل الله أن يسلمكم من عذاب القبر من فتنة القبر ادعوا لهم بالسلامة السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون هذه زيارة شرعية وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم فيها قال : { كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة } ( ٢ ) فمن شعر بضيق أو بهم وحزن وتكألت عليه أمور الدنيا فليذهب إلى المقابر زائرا متعظا معتبرا ليتأمل في الموت كيف يذهب إلى تلك القصور فينزل من فيها إلى ظلمة اللحد

أتيت القبور فناديتها أين المعظم والمحتقر

وأين المذل بسلطانه وأين المزكي إذا ما افتخر

تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر

فيا سائلي عن أناس مضوا أمالك فيما مضى معتبر

هذه زيارة شرعية أما الممنوع فهو أمران إما أن يذهب إلى المقبرة فيقرأ من القرآن وكما يفعل بعضهم يقرأ يس ويكثر من البقاء هناك وربما أيضا شد الرحل لقبر من القبور فهذه يسميها العلماء زيارة بدعية ومن الممنوع ما كان شركا أو وسيلة إلى الشرك كأن يدعو صاحب القبر لأن هناك أحاديث موضوعة مكذوبة روجها زنادقة الإسلام مثل : { إذا أعيتمكم الأمور فاستعينوا بأهل القبور } وفي رواية { إذا ضاقت } الحديث موضوع وله روايات ولما دخل التتر المغول بغداد كان بعض المتصوفة يقولون :

يا هارين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

ينجيكموا من الضرر

<sup>١</sup> - مسلم (٩٧٤) وصحيح ابن حبان (٧١١٠) ومصنف عبد الرزاق (٦٧١٢) وسنن البيهقي الكبرى (٧٠٠٣) .

<sup>٢</sup> - أحمد (١٢٣٥) .

نسأل الله العافية فهذه شركيات (( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر لناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين )) ( ١ ) .

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : { أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة } ( ٢ ) فهؤلاء جمعوا بين فتنتين : فتنة القبور وفتنة التماثيل .

ثم قال : في الصحيح المراد بالصحيح صحيح البخاري ومسلم عن عائشة وعائشة بنت أبي بكر الصديق المبرأة من السماء تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست وقيل : سبع سنوات ودخل عليها وهي ابنة تسع سنوات وقد روت من الأحاديث ألفين ومائتين وعشرة وكانت من حافظات هذه الأمة كما قال السيوطي :

<sup>١</sup> - الأحقاف ( ٥ - ٦ ) .  
<sup>٢</sup> - البخاري ( ٤٢٤ ) ومسلم ( ٥٢٨ ) .

أبو هريرة يليه ابن عمر

والمكثرون في رواية الأثر

وجابر وزوجة النبي

وأنس والبحر كالحذري

تروي هذه الصحابية الجليلة أن أم سلمة ، وأم سلمة هي ضرثها وهي هند بنت أبي أمية رضي الله تعالى عنها وأرضاها وأم سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة فلذلك سيأتي حديث الآن أنها رأت كنيسة في بلاد الحبشة وكان أبو سلمة من أقدم المسلمين هجرة إلى المدينة بل كما سمعتم يعني هاجر الهجرتين فكانت تحب زوجها وفاء وحبا رجل صالح وكان عندها أطفال فلما مات أبو سلمة حزنت عليه لكنها تذكرت حديثا حدثها به أبو سلمة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { من أصيب بمصيبة ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتني واخلفني خيرا منها إلا آجره الله وأخلفه خيرا منها } ثم قالت : أين لي خير من أبي سلمة ؟ من أقدم الناس إسلاما ومن أقدمهم هجرة هكذا تقول في نفسها قالت : فأخلفني الله خيرا من أبي سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبحان الله رسول الله صحيح رسول الله خير من أبي سلمة وخير من الأمة كلها بل هو خير البشر سيد الأولين والآخرين خطبها النبي إلى نفسها قال : إنني شديدة الغيرة وذو عيال ذات عيال قال : { أما عيالك فعيالي وأما الغيرة فسوف أدعو الله فيذهبها عنك } ( ١ ) فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي من أمهات المؤمنين رضي الله عن أمنا أم سلمة وجمعها بالنبي صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى هذه الصحابية الجليلة ذكرت لرسول الله يعني بعد أن تزوجها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، لما ضايق الكفار المسلمين رحلوا إلى بلاد الحبشة فارين بدينهم لأن لا يفتنوا أذن النبي صلى الله عليه وسلم يذهبوا إلى هناك فغاض ذلك قريش فهيأت لهم رجال حملوا الهدايا إلى النجاشي وكان الناطق الرسمي السفير لقريش عمرو بن العاص قبل أن يسلم رضي الله عنه فتكلم مع النجاشي أن هؤلاء فعلوا وفعلوا وتركوا دين قومهم وسفهاهم آلهتهم والنجاشي لم يلتفت إلى ما قال قال : أيها الملك إنهم يخالفونك في عيسى فقال لجعفر : **ما تقولون في عيسى ؟** فبين له أن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتلا عليه بعض الآيات فبكى النجاشي وعاد الرسل إلى قريش دون أية فائدة وقال ملك الحبشة للصحابة : اذهبوا حيثما شئتم في أرضي فلن تظلموا أو كلمة تشبهها فلما رجع الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعروف أن النجاشي أسلم وكان اسمه أصحمة فقد جاء في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بالصحابة إلى الصحراء قال : { إن أخا لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه يعني النجاشي } ( ٢ ) وما أحد صلى على النجاشي من قومه إذ أنهم كانوا نصارى وما أسلموا وكان هذا الملك على دين محمد صلى الله عليه وسلم بل إنه زوج نبينا صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنها وأرضاها فذكرت أم سلمة ما شاهدت من الكنيسة مكان تعبد النصارى عبارة عن بناء كبير يتجمع فيه النصارى يعبدون في هذا المكان على ما عندهم من الدين المحرف ذكرت ما في هذه الكنيسة من الصور فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن قصت القصة أم سلمة قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ أولئك } ويجوز أن نقول : أولئك فأولئك على أن المخاطب أم سلمة وأولئك على أنه للجميع قال : { أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور } وفي قوله : أولئك أي اليهود

١ - مسلم (٩١٨) .

٢ - مسلم (٩٥٣) .

والنصارى فاليهود هم الأمة التي غضب الله عليها والنصارى هم الضالون الخرافيون فاليهود ضلوا حينما حرفوا دينهم وعبدوا الله بغير دين مع كتمهم للعلم والنصارى عبدوا الله بالجهل بالخرافات بالأنداد بالآلهات اختلاف كثير جدا فكان اليهود هم المغضوب عليهم والنصارى ضالين فيقول صلى الله عليه وسلم : { أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور } سواء كانت هذه الصور مجسمة أو تماثيل { أولئك شرار الخلق عند الله } لماذا ؟ لأنهم يعبدون أصناما لا تضر ولا تنفع قال : فهؤلاء جمعوا بين فتنين فتنة القبور وفتنة التماثيل هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا الحديث علق عليه الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية قال شيخ الإسلام : وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ المساجد على القبور لأنها هي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو في ما دونه من الشرك فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلائع الكواكب ونحو ذلك فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجونه في المساجد فلأجل هذه المفسدة حسم النبي صلى الله عليه وسلم مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها لأنها أوقات يقصد فيها المشركون الصلاة للشمس فنهى صلى الله عليه وسلم أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد ما قصده المشركون سدا للذريعة وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله والرسول ولمخالفة الدين وابتداع دين لم يأذن به الله فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الصلاة عند القبور منهي عنها وأنه صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذها مساجد فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي في تحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهية والتي ينبغي أن تحمل على كراهية التحريم إحسانا للظن بالعلماء وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن فاعله والنهي عنه . انتهى كلامه ملخصا رحمه الله هذا الكلام أنا أقرؤه من فتح المجيد وهو مأخوذ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

ولهما عنها . رضي الله عنه . قالت : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك : { لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . أخرجاه ( ١ ) .

ثم قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب :  
ولهما أي للبخاري ومسلم عنها أي عن عائشة قالت : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم أي لما نزل به ملك الموت لما نزلت به حالة الاحتضار طفق يطرح خميصة ، هذه طفق وشرع واخولق تسمى عند علماء النحو من أفعال الشروع

<sup>١</sup> - البخاري (٤٢٥) ومسلم (٥٢٩) .



طفق أي شرع ومعناه جعل طفق يطرح خميصة والخميصة هي الكساء الذي له أعلام يعني ما نسميه نحن الآن بطانية أو طراحة طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك : { لعنة الله على اليهود والنصارى } والمراد باللعن الطرد عن رحمة الله { لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا . أخرجاه أي في البخاري ومسلم تقول عائشة : هذا السبب في أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يبرز أي لم يظهر بمعنى لم يدفن النبي صلى الله عليه وسلم في مقابر المسلمين مثلا في مقبرة البقيع التي هي الآن مقبرة للمسلمين من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

رب لحد قد صار لحدًا مرارا ضاحكا من تزامم الأضداد

ودفين يا دفين من على قديم العصور والآباد

فهي مقبرة معروفة ومشهورة لكن تقول : لهذا السبب كان قبر النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها هذا أمر هذا اجتهد منها لكن جاء من حديثها عند الترمذي وغيره أن الصحابة اختلفوا أين يدفن النبي صلى الله عليه وسلم فحدثهم أبو بكر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ما دفن نبي إلا حيث قبض } فحوا السرير أو الفراش الذي كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم فداه أبي وأمي ونفسي فنحوه قليلا وحفروا له تحت هذا الفراش ( ١ ) وكان قبره في بيت أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها هذان أمران الأمر الثالث : النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الله أن لا يجعل قبره وثنا يعني عيد ومجمع للناس فقال عليه الصلاة والسلام : { اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد } ( ٢ ) ابن القيم رحمه الله تعالى يأخذ من هذا الحديث فائدة فينظمها في ثلاث أبيات في التوبة قال رحمه الله : ودعا أي النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثنا من الأوثان

اسمع إلى الكلام الطيب :

ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثنا من الأوثان

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران

حتى اغترت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

صحيح الآن قبر النبي صلى الله عليه وسلم محمي من جميع الاتجاهات الغرفة على ما هي عليه غرفة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها وفيها رسول الله وأبو بكر وعمر في تلك الحجرة الحجرة ثم بعد ذلك جدار آخر ثم جدار ثالث يمنع من النفوذ إلى ذلك المكان حتى لا يكون ذريعة أو وسيلة إلى الشرك فلدينا الآن حديثان في الصحيحين حديث عائشة الذي فيه قصة أم سلمة وما رأيته وما روته عائشة رضي الله تعالى عنها عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم عند مرض الموت فيستفاد من الحديثين عدة فوائد أنا أجملها بعناصر يسيرة جدا :

<sup>١</sup> - صحيح : ابن ماجه (١٦٢٨) ومسنند أبي يعلى (٢٣) ومسنند البزار (١٨) وانظر حديث رقم : ٥٦٧٠ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - صحيح : مالك (٤١٤) وانظر مشكاة المصابيح ( ٧٥٠ ) .

**الأولى :** تحريم البناء على القبور وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يبنى على القبر أو يخصص وهكذا قوله صلى الله عليه وسلم : { لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } فهذه كبيرة من كبائر الذنوب والآثام لأن تعريف الكبيرة : ما ترتب عليها حد في الدنيا أو توعدها صاحبها بعذاب في الآخرة أو كان فيها أو كان فيها لعن أو طرد أو نار وما شابهها .

**ثانيا :** تحريم العبادة عند القبر .

**الثالث :** تحريم الصور وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { أولئك شرار الخلق عند الله إذا مات فيهم الرجل الصالح نصبوا عليه تلك الصور } وفيه . برك الله فيكم . أن النية الصالحة لا تسوغ العمل السيء فهؤلاء ما أرادوا إلا أن هذا رجل صالح وكذا ربما نية صالحة ولكن لا بد للعمل من ميزانين باطني وظاهري الإخلاص هو الميزان الباطني والاتباع هو الميزان الظاهري فلا بد في كل عمل من هذين الشرطين .

**خامسا :** جواز لعن الكفار غير المعينين لعنة الله على اليهود والنصارى .

**سادسا :** الاهتمام بأمر العقيدة إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم نوه إلى هذا وغضب و أوصى وكانت آخر مراحلها أن يقول : { لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } فهذا فيه دليل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على علم العقيدة والتوحيد وهو أمر لا بد منه على طلاب العلم وعلى دعاة الإسلام أن يركزوا على هذا الجانب من العلم وما سقطت دول الإسلام إلا حينما خربت القلوب من العقيدة الصحيحة واتجه الناس إلى عبادة القبور وإلى الخوف من الله سبحانه وتعالى بل يقولون : من ضمن الأسباب الرئيسية في سقوط الدولة العثمانية هو دخول الشرك وتقريب الصوفية والآل في هذا الزمان نجد أن هذه الطائفة طائفة الصوفية التي تشجع على الشرك وعلى الذبح عند القبور وعلى إقامة الموالد والحضارات وعلى النجبات وعلى القوقعة في المساجد يرضى عن هذه الطائفة الناس بل هناك في بعض المقالات أن الدول الكبرى تحاول أن تلزم الدول العربية أن تقرب الصوفية وأن يكون لهم شأن في هذه الدولة لماذا ؟ لأن الصوفية لا ينكرون المنكر ولا يأمرهم بالمعروف الصوفية كما كان شيخنا الشيخ مقبل رحمه الله يقول : الصوفية والشيعنة عكازا للشوعية وهكذا لما دخلت الشوعية إلى عدن بدؤوا بتخريب بعض القباب والمشاهد وكذا ظنا منهم أن هذا هو الإسلام وأنه لا بد يحاربوا الإسلام فجاءهم شيوعي سوداني وقال لهم : لا أنتم الآن تعينوا الإسلام لأن هؤلاء بقاؤهم عون لكم فهؤلاء قريوهم ولا تخربوا عليهم شيئا ويقال : إن أقطاب الصوفية ذهبوا إلى اللجنة المركزية وقالوا : نحن وأنتم دعوة واحدة اللهم إلا أنتم في الحكم وقضايا الناس ونحن في المساجد وكذا وإلا فالأمر وتعرفون . برك الله فيكم . تاريخ الصوفية أسود من قديم الزمان فشيخهم ابن عربي والحلاج الذي يقول :

وما الكلب والخنزير إلا إلها وما الله إلا في كنيسة يتعبد

وكما قال ابن عربي :

العبد رب والرب عبد      يا ليت شعري من المكلف  
إن قلت عبد فذاك رب      وإن قلت رب فأني يكلف

وهو القائل : ما في الجبة إلا الله .

وكانوا يقولون : إذا سألوني عن علم الورق خرجت إليهم بعلم الخرق وكانوا يعظمون أقوال الشيخ والمريد ما يقوله الشيخ لا يخرجون عن قوله حتى قال قائلهم :

كم بين قولي عن أبي عن جده      وأبي أبي فهو الإمام الهادي  
وفتي يقول روى لنا أشيائنا      ما ذلك الإسناد من إسناد

فتأريخ مظلم جدا فلذلك الآن أمريكا وبعض الدول يحاولون يضغطون على دول المنطقة أن تكون الصوفية لهم يد عظمى قريبة في هذه فلذلك يظهرون على القنوات كالجفري الذي يدعو إلى الشرك الصراح وهكذا عمر باحفيظ الذي يدعو إلى عبادة غير الله سبحانه وتعالى يظهر في قناة الجزيرة ويظهر في قناة الإمارات يظهر في القناة اليمنية ويدعوا إلى مثل هذا وهذا الرجل أنا أعرفه من قبل أكثر من خمسة عشر عاما وهو صوفي جلد يبيع دعاء غير الله ويقول : ليس في ذلك شيء أن ينادي المنادي غير الله سبحانه وتعالى فقد نادى الصحابة قائلين : يا محمداه أو وامحمداه وهذه أدلة لا تسعفه فالآن بعض الصوفية يقولون : **لماذا تنكرون علينا البناء على القبور أو كذا ؟** وقبر النبي صلى الله عليه وسلم هو في المسجد الآن المسجد النبوي الذي الصلاة فيه بألف صلاة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد وكان الشيخ العثيمين قد ذكر هذه الشبهة فأحببت أن آخذها حتى أقرأها من كتابه فذكر رحمه الله تعالى في القول المفيد الجزء الأول صفح ٢٥٥ قال : اعتراض وجوابه :

فإن قال قائل : نحن الآن واقعون في مشكلة بالنسبة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم الآن فإنه في وسط المسجد **فما هو الجواب ؟**

قلنا : الجواب على ذلك من وجوه :

**الوجه الأول :** أن المسجد لم يبن على القبر بل بني المسجد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

**الوجه الثاني :** أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن في المسجد حتى يقال إن هذا من دفن الصالحين في المسجد بل دفن في بيته .

**الوجه الثالث :** إن إدخال بيوت الرسول ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق من الصحابة بل بعد انقراض أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل وذلك عام أربعة وتسعين هجرية تقريبا فليس مما أجازته الصحابة أو أجمعوا عليه مع أن بعضهم خالف في ذلك وممن خالف أيضا سعيد بن المسيب من التابعين فلم يرض بهذا العمل .

**الوجه الرابع :** أن القبر ليس بالمسجد حتى بعد إدخاله يعني الآن وقبر النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده كما يقال أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد فليس المسجد مبنيا عليه ولهذا جعل هذا المكان محفوظا ومحوطا بثلاثة جدران وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة أي مثلث والركن في الزاوية الشمالية بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى لأنه منحرف فلماذا كله يزول الإشكال الذي يحتج به أهل القبور ويقولون : هذا منذ عهد التابعين إلى اليوم والمسلمون قد أقروه ولم ينكروه فنقول : إن الإنكار قد وجد حتى في زمن التابعين وليس محل إجماع وعلى فرض أنه إجماع فقد تبين الفرق من الوجوه الأربعة التي ذكرناها انتهى كلام الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى .

وهذا بين يدي رياض الجنة في الرد على أعداء السنة ومعه الطليعة في الرد على غلاة الشيعة وحكم القبة المبنية على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد نقل شيخنا ووالدنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى من كتاب البداية والنهاية لابن كثير متى أدخل قبر النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده ؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية الجزء التاسع ص ٧٤ في حوادث سنة ٨٨ ذكر ابن جرير أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد بن عبد الملك يعني من ملوك الدولة الأموية على عمر بن عبد العزيز وعمر كان يومئذ أمير على أهل المدينة ما كان قد هو خليفة لأن عمر صار خليفة على المسلمين بانتهاء القرن الأول يعني على رأس المائة كان عمر هو الخليفة يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر النبي صلى الله عليه وسلم وأن يوسع من قبلته وسائر نواحيه حتى يكون مائتي ذراع فمن باع ملكه فاشتره منه وإلا فقوم له قيمته قيمة عدل ثم اهدمه وادفع إليهم أثمان بيوتهم فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حجر قصيرة السقوف وسقوفها جريد النخل وحيطانها من اللبن وعلى أبوابها المسوح وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون وإلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فينتفعون بذلك ويعتبرون به ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا فلا يعمرها فيها إلا بقدر الحاجة وهو ما يستر ويكن ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة وكل طويل الأمل راغب في الدنيا في الخلود فيها فعند ذلك كتب ابن عبد العزيز يعني عمر إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر وأن يعلي سقوفه فلم يجد عمر بدا من هدمها ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم وتباكوا مثل يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم وأجاب من له ملك متاح في المسجد للبيع فاشترى منه وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك وأرسل الوليد إليه فعولا كثيرا فأدخل فيه الحجرة النبوية حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها فدخل القبر في المسجد وكان حده من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد .

وروي أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بدت لهم قدم فخشوا أن تكون قدم النبي صلى الله عليه وسلم حتى تحققوا أنها قدم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر دخول حجرة عائشة في المسجد كأنه خشي أن يتخذ قبره مسجدا والله أعلم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الجواب الباهر ص ٧١ قال :

وهو صلى الله عليه وسلم مدفون في حجرة عائشة رضي الله عنها وكانت حجرة عائشة وسائر أزواجه من جهة شرقي المسجد وقبلته لم تكن داخلية في المسجد بل كان يخرج من الحجرة إلى المسجد ولكن في خلافة الوليد وسع المسجد وكان يحب عمارة المساجد عمر المسجد الحرام ومسجد دمشق وغيرهما فأمر نائبه عمر بن عبد العزيز أن يشتري الحجر من أصحابها الذين ورثوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ويزيدها في المسجد فمن حينئذ دخلت الحجر في المسجد وذلك بعد موت الصحابة بعد موت ابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وبعد موت عائشة بل بعد موت عامة الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن بقي في المدينة منهم أحد وقد روي أن سعيد بن المسيب كره ذلك وقال : كره كثير من الصحابة

والتابعين ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه من بناء المسجد بالحجارة والقصة والساج وهؤلاء لما فعل الوليد أكره وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه وسعه لكن بناه على ما كان بناؤه من اللبن وعمده جذوع النخل وسقفه الجريد ولم ينقل أن أحدا كره ما فعله عمر وإنما وقع النزاع فيما فعله عثمان رضي الله عنه إلى أن قال رحمه الله :

فإن الوليد بن عبد الملك تولى بعد موت أبيه عبد الملك سنة بضع وثمانين من الهجرة وكان قد مات هؤلاء الصحابة كلهم وتوفي عامة الصحابة في جميع الأمصار ولم يكن بقي في الأمصار إلا قليل جدا مثل أنس بن مالك في البصرة فإنه توفي في خلافة الوليد سنة بضعة وتسعين وجابر بن عبد الله مات سنة ثمانية وسبعين بالمدينة وهو آخر مات في المدينة والوليد أدخل الحجرة بعد ذلك بمدة طويلة نحو عشر سنين وبناء المسجد كان بعد موت جابر فلم يكن بقي في المدينة أحد وذكر رحمه الله في كتابه الرد على الإخنائي وفي اقتضاء الصراط المستقيم :

وهكذا ذكر أهل التاريخ كما في عمدة الأخبار وفي تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي ووفاء الوفاء للسهمودي في المجلد واحد ص ٥١٣ وبهذا يتضح لنا أن الوليد رحمه الله أخطأ في إدخال الحجر في المسجد النبوي وأنه وقع في عين ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من اتخاذ القبور مساجد والصلاة إليها فإن الذين يصلون في المكان الذي كان لأهل الصفة يستقبلون القبر كما هو مشاهد وكذلك النساء فإنهن يتجهن في صلاتهن إلى القبر وأن الواجب على المسلمين هو إعادته كما كان من الناحية الشرقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه خير الهدى فإن خير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

بقيت شبهة ذكرها الشيخ مقبل رحمه الله تعالى في هذا الكتاب فإنه يقول :

إن بعض مشايخه في المدينة النبوية بعد أن ناقش الرسالة ما أدري هي رسالة الماجستير أو هذه قال له : لماذا لا تذكر ردا على الذين يحتجون بجواز بناء القبور على المساجد بقوله سبحانه وتعالى : (( قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا )) ( ١ ) ؟

قال الشيخ هنا : هذه وقد قال شيخنا الفاضل الشيخ عبد الغفار الهندي حفظه الله عند المناقشة إنه يلزمني أن أتكلم على قول الله : (( قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا )) ( ٢ ) فإنها من أعظم شبه القبوريين فأجبت طلبه حفظه الله بعد انتهاء المناقشة فكتبت ما يأتي :

كتب الشيخ للقبوريين شبهة وهي قوله تعالى : (( قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا )) ( ٣ ) قالوا : فاتخاذ المساجد على القبور جائز في شرع من قبلنا وهو شرع لنا ما لم ينسخ .  
الجواب على هذه الشبهة من أوجه :

**الأول :** أن هذا فعل قوم أصحاب الكهف وقد قال أصحاب الكهف : (( هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة )) ( ٤ ) فمن ادعى أنهم قد أسلموا بعد اعتزال أهل الكهف فإنما يعتمد على قصص إسرائيلية ومن الأدلة على أن قومهم باقون في

<sup>١</sup> - الكهف ( ٢١ ) .

<sup>٢</sup> - الكهف ( ٢١ ) .

<sup>٣</sup> - الكهف ( ٢١ ) .

<sup>٤</sup> - الكهف ( ١٥ ) .

كفرهم قوله تعالى : (( وكذلك أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا )) ( ١ ) والذي لا يعلم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ليس بمسلم .

**الثاني :** لو سلمنا لهم أنهم مسلمون فمن أين لنا أن شرعهم يبيح لهم ذلك ألا يجوز أنهم اجتهدوا وأخطأوا .

**الثالث :** لو سلمنا أنه شرع لمن قبلنا فهو منسوخ هنا بشرعنا فقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهاي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعله كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها وهناك كتاب بحث هذه المسألة بطولها وعرضها وهو كتاب الشيخ الألباني تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : { إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك } ( ٢ ) .

<sup>١</sup> - الكهف ( ٢١ ) .  
<sup>٢</sup> - مسلم ( ٥٣٢ ) .

فقد نهى عنه في آخر حياته ، ثم إنه لعن . وهو في السياق . من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبين مسجداً ، وهو معنى قولها : خشي أن يتخذ مسجداً ، فإن الصحابة لم يكونوا لينوا حول قبره مسجداً ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً ، كما قال صلى الله عليه وسلم : { جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً } ( ١ ) .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

ولمسلم عن جندب بن عبد الله ، ولمسلم أي هذا الحديث الذي يسرده ومسلم هو ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ويكنى بأبي الحسين وهو من العلماء الذين نفع الله سبحانه وتعالى بعلومهم وكان تلميذاً من تلامذة الإمام البخاري وكذلك أيضاً كان تلميذاً للشيخ محمد بن يحيى الذهلي رحم الله الجميع فلما شنع على الإمام البخاري في مسألة اللفظية على أنه رحمه الله معتقده معتقد أهل السنة والجماعة ولكن كما قيل قال بعض العلماء : احذروا من الأقران فإنهم يتناطحون كتناطح التيوس في زريبتها فالإمام البخاري كان يقول : القرآن كلام الله وألفاظنا هي مخلوقة ومعه صواب في ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (( والله خلقكم وما تعملون )) ( ٢ ) فهذه الألفاظ التي أنتم تسمعونها هي من خلق الله خلقها الله سبحانه وتعالى فكلما أنشأ العبد كلاماً فهذا يعتبر خلقاً من خلق الله سبحانه وتعالى لكن محمد بن يحيى الذهلي دخل عليه من هذا الباب على أنه كان من أهل السنة والإمام البخاري كان يبكي ويقول : اللهم إن عبدك هذا قد حسدني ولك أن الإمام البخاري جاء بعلوم وأحاديث من بلاد الرافدين ومن بغداد ومن المدينة والنقي بعلماء كثر فكانوا خارجين في جنازة رجل من أهل نيسابور فكان إذا سئل عن حديث قال : هو عندي من طريق كذا وكذا وكذا وكذا على أن الذهلي كان حينما رجع البخاري قال : من أحب أن يأتي حلقة محمد بن إسماعيل فليأت فلما صار للإمام البخاري شيء من الشهرة وترك الناس حلقة محمد بن يحيى الذهلي وكان هو صدر البلد ومفتيها وله كلمة في البلد حصل بينهما شيء من الوحشة فحذر منه ونفر وقال : من أتى حلقة محمد بن إسماعيل فليعتزل حلقتنا فكان من ضمن الذين لم يعتزلوا مسلم بن الحجاج أراد أن يكون له شيخان البخاري محمد بن إسماعيل ومحمد بن يحيى الذهلي لكن الذهلي لم يعجبه ذلك علم أن مسلماً لا زال يحضر فقال في الحلقة : من يأتي حلقة محمد بن إسماعيل فليعتزل حلقتنا هكذا فقام مسلم رحمه الله وعليه رداؤه على رؤوس الطلاب وخرج من حلقة العلم وأرسل للبخاري بكتبه وكذلك ببعض النسخ إلى محمد بن يحيى الذهلي ولم يرو عن هذين الإمامين وهكذا لكل عصر فتنه وكانت فتنة ذلك العصر هي مسألة اللفظية ولكن انظر إلى العدل والانصاف كيف كان الرفعة والشرف والفخر والسؤدد للإمام مسلم رحمه الله تعالى حينما لم يرض إلا الله سبحانه وتعالى ما أرضى محمد بن يحيى الذهلي إطلاقاً في أن يترك الإمام البخاري على أنه لا يعرف عنده شيء من البدع أو من الأهواء وهكذا على العبد أن يكون دائماً معظماً للدليل معظماً لله سبحانه وتعالى في حرمت أوليائه وأهل طاعته حتى لا يأتي هؤلاء يوم القيامة يشكونه إلى الله سبحانه وتعالى كما قال ابن دقيق العيد : أعراض الناس حفرة من حفر النار وقف عليها طائفتان من الخلق العلماء والحكام فما أحوجنا إلى العدل وإلى الإنصاف عدل وإنصاف ودليل وإرضاء الرحمن سبحانه وتعالى

١ - البخاري ( ٣٢٨ ) .

٢ - الصافات ( ٩٦ ) .



وليت الذي بيني وبينك عامر  
و بيني وبين العالمين خراب  
إذا صح منك الود يا غاية المنى  
فكل الذي فوق التراب تراب

فتأمل الآن إذا قال الشخص في حديث ما : مسلم رواه الحمد لله يعني حصل الاتفاق وتنزلت السكينة على القلب أو قال : رواه البخاري فما شاء الله أو قال متفق عليه فالإمام مسلم يروي عن جندب بن عبد الله وهو صحابي جليل قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس ، وهذه عبارة عند العرب يطلقونها على الليالي والأيام قبل كذا بخمس بأربع بعشر قبل أن يموت بخمس وهو يقول : { إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً } المراد بالبراءة التخلي أو التخلية معنى الحديث أتخلي أن يكون لي منكم خليل والمراد بالخلة عصارة المحبة وخلاصتها ورحيقها وغايتها كما قال الناظم :

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلاً

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول : إنه يبرأ أي يتخلي أن يكون له أحد غير ربنا سبحانه وتعالى خليل لأن قلبه مملوء بحب الله تعالى فيقول : { إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً } هذا شرف لنبينا عليه الصلاة والسلام أن الله اتخذته خليلاً أي حبيباً والله سبحانه وتعالى لا يحب إلا عن رضا وليس العجب أن تحب الله فإن الإنسان عبد الإحسان ولكن العجب كل العجب أن يحبك الله سبحانه وتعالى فنبينا خليل الرحمن كما أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الرحمن والعوام عندهم طوام بل كما يقول ابن عثيمين رحمه الله : هم هوام أهل الأرض فالعامة يقولون : اللهم صلّ على إبراهيم خليلك وعلى محمد حبيبك هم يريدون بهذا تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن كما قيل :

رام نفعا فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا

فالخلة أرفع من المحبة فالواجب علينا وعلى العامة لأن العامة هم آباؤنا وأمهاتنا وإخواننا وأبنائنا وجيراننا الواجب أن يقولوا : اللهم صلّ على إبراهيم خليلك وعلى محمد خليلك وهذه من فوائد العلم أن تعرف الفرق بين الخلة وبين المحبة فيقول عليه الصلاة والسلام : { فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً } واتخذ هنا من أخوات ظن تتعدى إلى مفعولين { ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً } ثم قال : { ألا وإن من كان قبلكم } والمراد بكلمة من قبلنا إذا جاءت هم اليهود والنصارى الأمم الذين هم قبلنا { كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك } قال صلى الله عليه وسلم : { فإني أنهاكم } والنهي يفيد التحريم إذ هو يقتضي الفساد عند الأصوليين فقد نهى قال الشيخ ابن عبد الوهاب : فقد نهى عنه في آخر حياته .

**فوائد هذا الحديث عدة فوائد :**

**أولاً :** تبرؤ النبي صلى الله عليه وسلم من أن يتخذ أحداً خليلاً لأن قلبه مملوء بحب الله سبحانه وتعالى .  
**ثانياً :** أن الله اتخذته خليلاً هذه فائدة ثانية .

فائدة ثالثة : في هذا الحديث فضيلة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه خليل الرحمن وقد جاء من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال : { أيها الناس إنكم محشورون إلى ربكم حفاة غرلا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم خليل الرحمن } ( ١ ) إبراهيم امتدحه الله في عدة آيات (( وإبراهيم الذي وفى )) ( ٢ ) (( إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباؤه وهداه إلى صراط مستقيم )) ( ٣ ) (( وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين )) ( ٤ ) وفي ليلة الإسراء والمعراج قال إبراهيم يا محمد اقربني إليك مني السلام وأخبرهم أن الجنة قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ففي الحديث فضيلة لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الحديث فضيلة لأبي بكر واسمه عبد الله بن أبي قحافة قرشي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أشار الله إلى اسمه في القرآن (( ثاني اثنين إذ هما في الغار )) ( ٥ ) ثاني اثنين أي الرسول وأبو بكر وثاني اثنين هو الله أي كان حامياً وناصرًا وقد أحاطهما بحفظه وكلاءته فكانت السكينة قد تنزلت من الله سبحانه وتعالى على نبينا عليه الصلاة والسلام وهو خليفة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الأئمة بعد نبيها رغم أنف الروافض الذين يسبون أبا بكر ويتهمونهم بالتفسيق يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أفضل الأئمة بعد نبيها أبو بكر الصديق فأبو بكر مشهور بهذا اللقب البديع العظيم الرفيع السامق إذا سمعت شخصاً يذكر أبا بكر فتقول : **من رحمك الله ؟ أهو الصديق ؟** فكان معروفاً بالصديق ففي الحديث فضيلة لهذا العبد الصالح جمعنا الله وإياه في دار كرامته .

**خامساً :** في الحديث التحذير من اتخاذ القبور مساجد وأن هذا إنما هو من فعل اليهود والنصارى ومن أفعال الرافضة فإن الرافضة وكذلك الصوفية يشجعون مثل هذه البدع والمحدثات لذا أفتى علماء الإسلام أنه إذا قبر شخص بمسجد من المساجد وجب أن ينبش هذا القبر وأن يذهبوا بهذه العظام إلى مقابر المسلمين وإن كان المسجد اعتدى على القبر وجب هدم المسجد حتى لا يتخذ سلماً وذريعة إلى الشرك .

**سادساً :** في الحديث عظمة التوحيد وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على سد أبواب الشرك وإن كانت صغيرة في أنظار الناس لكنها عظيمة عند الله وعند نبينا صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قولها : خشي أن يتخذ مسجداً رجع إلى بعض حديث عائشة رضي الله عنها قال : فإن الصحابة لم يكونوا لينوا حول قبره مسجداً وقد تقدم التفصيل حول هذا في درس الأمس وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما قال صلى الله عليه وسلم : { وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً } ( ٦ ) .

١ - البخاري (٣١٧١) ومسلم (٢٨٦٠) .

٢ - النجم (٣٧) .

٣ - النحل (١٢٠ - ١٢١) .

٤ - البقرة (١٢٤) .

٥ - التوبة (٤٠) .

٦ - البخاري (٣٢٨) .

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : { إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد } ورواه أبو حاتم في صحيحه ( ١ ) .

قال : ولأحمد بسند جيد والحديث إذا قالوا فيه سند جيد هي مرتبة بين الحسن والصحة عن ابن مسعود وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم : { إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد } ورواه أبو حاتم في صحيحه هذا الحديث صححه أو جود إسناده أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى والحديث واضح المعنى قوي المبنى لكن هناك استشكل : كيف يجمع بين هذا الحديث : { إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء } أي أنهم شر الناس والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم إلى قيام الساعة } ؟ ( ٢ ) والجمع بين الحديثين أن المراد بذلك إلى قرب قيام الساعة أما قيام الساعة أي تحقق قيامها فإنها لا تقوم إلا والناس يتهاجون تهاجر الحمر وخفة الطير وحتى لا يقال في الأرض الله الله كما جاء في بعض الأحاديث الصريحة في هذا المعنى .

١ - أحمد ( ٣٨٤٤ ) وابن حبان ( ٦٨٤٧ ) والطبراني في الكبير ( ١٠٤١٣٩ ) والبخاري ( ٨٤٢ ) .  
٢ - البخاري ( ٦٨٨١ ) ومسلم ( ١٩٢٠ ) .

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه ، عند قبر رجل صالح ، ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك .

الثالثة : العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك : كيف بين لهم هذا أولاً ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم .

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .

الثامنة : العلة من عدم إبراز قبره .

التاسعة : في معنى اتخاذها مسجداً .

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة : ذكره في خطبته . قبل موته بخمس . :

الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع . بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة والجهمية . وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور ، وهم أول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة : ما يلي به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع .

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلعة .

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة .

السادسة عشرة : الإشارة إلى خلافته .

ثم قال رحمه الله : فيه مسائل : أي في هذا الباب :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل لكن هذا العمل يكون فاسداً .

ثانياً : النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك وقد جاء من حديث أم سلمة وعائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ أولئك شرار الخلق إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح نصبوا على قبره تلك النصب وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله } .

**الثالثة :** العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف بين لهم هذا أولاً ثم قبل موته بخمس قال ما قال ثم لما كان السياق لم يكتف بما تقدم .

**الرابعة :** نهى عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر بدلالة حديث : { اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد } يدعو الله سبحانه وتعالى قال ابن القيم :

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران .

**الخامسة :** أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .

**السادسة :** لعنه إياهم على ذلك .

**السابعة :** أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .

**الثامنة :** العلة في عدم إبراز قبره حتى لا يتخذ مسجداً .

**التاسعة :** في معنى اتخاذها مسجداً .

**العاشرة :** أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

**الحادية عشرة :** ذكره في خطبته قبل موته بخمس .

الرد على الطائفتين التين هما أشر أهل البدع بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين والصحيح أن يقول : من الثلاث والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية .

أما الرافضة سموا بذلك حينما دعوا زيد بن علي ليكونوا أنصاراً له ومدافعين عنه وعن أهل بيته ثم اختبروه قبل أن يعتصموا معه ضد خصومه سأله عن أبي بكر وعمر **وما هو موقفك منهما ؟** فأثنى على الشيخين خيراً فطلبوا منه أن يسبهما قال : **كيف أسبهما وهما وزيراً جدي ؟** أي جده رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفضوه وتكلموا عليه بكلام شنيع قال : اذهبوا فأنتم الرافضة هذا بداية التسمية وكان المحرض رجل يهودي من يهود صنعاء أمه امرأة سوداء دخل في الإسلام زندقه ورياء كما يقال : لا توقر الحبة إلا من داخلها فأراد أن يضرب الإسلام من داخله ولكنه عظيم دين الله سبحانه وتعالى عظيم مهماً كان فإنه يتصدى لكل من ضربه ولا يستطيع أحد من الخلق إهانة دين أراده الله عز وجل أن يكون عزيزاً ظاهراً شامخاً إلى يوم القيامة كما قال ربنا سبحانه : (( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون )) ( ١ ) فهذا الرجل الفاسد أراد أن يفسد الإسلام بل كان يشيع بين الصحابة أن علي هو الله عياذاً بالله بل ذهب وغيره فقالوا : أنت أنت فقال : **ماذا ؟** قالوا : أنت الله قال : أعوذ بالله **من يقول بقولكم هذا ؟** قالوا : كثير فجمعهم وفر هذا قيل : إلى مصر وقيل : إلى المدائن فالله أعلم ثم أحرق أولئك القوم علي بن أبي طالب وقال قولته المشهورة :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجمعت ناري ودعوت قنبرا

هذا الرجل أعني عبد الله بن سبأ أراد أن يفسد الإسلام كما أراد بولس أن يفسد دين النصارى فهو أراد أن يفسد الإسلام ولكنه ما استطاع إلا أنه نَمى له رجالاً فصارت الرافضة تتجمع شيئاً فشيئاً حتى قويت شوكتها عياذاً بالله هؤلاء القوم لم يعلم في التاريخ على امتداد التاريخ البشري من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا أنهم نصروا الإسلام أو ردوا

<sup>١</sup> - التوبة ( ٣٣ ) .

الكفار عن حياض الدين أو عن بلاد المسلمين بل العكس من ذلك تماما هم عكاز لكل مبطل أعني الرافضة وفي هذا الزمان لهم دولة كان الكلام في أمس على الصوفية الكلام اليوم على الرافضة الآن لهم دولة تحميهم وتنشر أفكارهم ومبادئهم وكان يقودها ذلكم الرجل أية الله الخميني الذي يصور للعالم أنه على الإسلام وليس على ذلك بل إنه على العقيدة الفارسية لكنهم يظهرون للناس أن عندهم غيرة وأن عندهم دين وليس الأمر كذلك وهذا ما أخبر به كثير من الذين نزلوا إلى إيران وكتبهم واضحة التي تدرس فهم يدرسون في كتاب الكليني وفيه ما فيه من الكفر الواضح بل الخميني له كتاب معروف ومتداول يقول في هذا الكتاب إن لأئمتنا منزلة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل هذه الطائفة أعني الرافضة يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إنهم أشد ضررا على الإسلام ويقول رحمه الله تعالى : إنهم أصل البدع كلها أصل البدع كلها تأتي من قبل الروافض فمن بدعهم الكبرى يعتقدون أن لديهم قرآنا يفوق قرآننا هذا يسمى بقرآن فاطمة ومن معتقداتهم أنهم يقولون بالتقيا أو بالتقية وهم يظهرون خلاف ما يظنون فيظهرون الإسلام والدين والقيم وهم يكفرون بذلك وإذا ناقش شخصا ربما أظهر لك الموافقة وهو يكيد لك كيذا كذلك عندهم التسفيه للصحابة لا سيما الشيخان أبو بكر وعمر يسوهما سبا مقذعا وينقمون على عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها هؤلاء الرافضة هم الذين ساعدوا التتر فكان مساعدة التتر عن طريق الوزير محمد بن العلقمي ونصير الدين الطوسي الذي ضحى بالخلافة الإسلامية وبالمسلمين في العراق وفعل الأفاعيل حتى إن التتر أباحوا بغداد أربعين يوما حتى إن المسلمين قتل بعضهم نفسه حيا وبعضهم نزل في البالوعات وفي الأماكن القذرة خوفا من هؤلاء القوم كان بسبب فتنة هذا الرجل الخبيث ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي الذي يسميه الخميني بابا شجاع أي أنه فعل وفعل بالمسلمين ودول الكفر الآن تريد أن تكون الصوفية والرافضة هي المقدمة في نصر أفكارها لأنهم يظهرون باسم الدين وهم ليس من أهل الدين كما قال بعض الشعراء :

تسمى بشمس الدين وهو ظلامه وأخر نجم الدين وهو له خسف

فوجب على المسلمين أن يتيقظوا لهذا الأمر ووجب على طلاب العلم أن يتسلحوا بالعلم فإن هؤلاء بعد فترة يكونون أمانا في الساحة يجيدون الفرائض والنحو والأصول وكثير من علوم الآلة والسني ربما كان خلو ما عنده من العلم إلا فتات إن وجد وهؤلاء يقدمون في الوظائف وفي المساجد وفي كذا وفي كذا فوجب على أهل السنة أن يكونوا أقوياء أمام هذا الزحف الرافضي على أنه والله الحمد والمنة كسرت شوكتهم في اليمن فقد كانت هذه البذرة السيئة يقودها السيد حسين بدر الدين الحوثي الذي استعجل في الأمر لأن الروافض هم مبيتون لهذه الهجمة على المسلمين لكن هذا اليمني الحوثي هذا استعجل وانصدم بالدولة والله الحمد والمنة أن فضح وانكشف أمره وكسرت شوكتهم من بادئ أمرها على أن لهم الآن صحيفة جريدة البلاغ ولهم أيضا في القيادة ولهم أتباع ولهم أنصار ولهم شوكة كبيرة جدا لكنهم والله الحمد والمنة يعتبر هذا هزيمة نكراء بالنسبة للمذهب الشيعي الرافضي الذين يتسترون بالزيدية وهم أبعد الناس من مذهب زيد بن علي فقد كان زيد بن علي من أهل السنة والجماعة والمذهب الذي يتزعمونه هو مذهب ليس بصحيح نسبته إلى زيد بن علي بل هو جاء مذهب ملفف من طريق وضاع وكذاب وضعيف فهم يلفقون دين الرافضة ودين الشيعة ملفق من هنا وهناك بخلاف دين أهل السنة فإنه دين قوي عظيم منشؤه من محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العالمين نقله كابر عن كابر

وثقة عن ثقة حتى وصل إلينا بقوته قافلة فيها الصدق والإخلاص والاتباع لو تأملت فيها لا ترى تشققا ولا تصدعا إطلاقاً أما بالنسبة للجهمية كما بينت لكم أن أصل مذهب الرافضة هو من اليهود واليهود هم وراء كل بلية مذهب الجهمية أيضاً من اليهود وقد جاء في حديث :

{ القدريّة مجوس هذه الأمة } ( ١ ) والجهمية فيهم هذه الأغاليط كلها فالجهمية نسبة إلى رجل يسمى بالجهم بن صفوان هذا أول ما بدأ ينكر كلام الله بدأ بتعطيل صفة المحبة وصفة الكلام وهكذا الشر يبدأ شيئاً فشيئاً هذا الرجل عاش في خراسان وهذه فيها الصابئة والمنجمون والفلاسفة فيها كل باطل أخذ علمه عن الجعد بن درهم والجعد أخذ عن أبان بن سميعان وأبان بن سميعان أخذ ذلك عن طالوت وشيخ طالوت هو لبيد بن الأعصم الذي سحر نبينا صلى الله عليه وسلم فتأمل إلى الرافضة منشؤهم من اليهود والجهمية أيضاً منشؤهم من اليهود فكلا الطائفتين منشؤهما من اليهود عند الجهمية بلاء أولاً تعطيل الأسماء والصفات وقد أجمع العلماء أن من عطل اسماً أو صفة أو آية أو حرفاً من القرآن كفر بإجماع المسلمين عند الجهمية القول بالجبر إيش المراد بالجبر يقولون العبد مجبور على المعصية يجعلون العبد كريشة في مهب الريح تميل بها الرياح يمنة ويسرة وعندهم أيضاً القول بالإرجاء وذلك أن الناس جميعاً على إيمان مسلمهم كافرهم فاسقهم بدعيهم ففي هذا المصطلح إبليس وفرعون وقارون وأبو جهل مسلمون هكذا باعتبار أنهم يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة حتى إن ابن القيم يرد عليهم قائلاً :

كالمشط عند تماثل الأسنان

والناس في الإيمان شيء واحد

هذا هو مذهب الجهمية هؤلاء فهذه الطائفة فعلت فعلتها في دين محمد صلى الله عليه وسلم ولكن قبض الله لها العلماء الأفاضل الذين كسروا شوكتها وبنوا باطلها ولا زال باطلهم موجود إلى يومنا هذا فهناك دكاترة وأساتذة ومعيدين في الجامعات العربية وغير العربية يدرسون مبادئ الجهمية من القول بخلق القرآن وفي مسألة عدم استواء الله على عرشه يجعلون الله سبحانه وتعالى في كل مكان لأنهم يقولون الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل الكون ولا خارج الكون يعني هذا هو العدم فكما قال بعض العلماء : المشركون يعبدون صنماً والجهمية تعبد عدماً فهم يعبدون العدم فيوجد من هؤلاء رجل في بلاد الأردن يسمى بالسقاف أو كما قال بعض الأردنيين بالخشاف هذا مما يشجع على فكر الجهمية وفكر الصوفية فهو جهمي جلد في باب المعتقد عياداً بالله ولهم أتباع وأنصار في كل بلاد من أجل نشر هذا المذهب الضال ففي هذا الدرس وفي هذه الأحاديث الثلاثة التي تقدمت لنا عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول محمد بن عبد الوهاب : الحادية عشرة من مسائل هذا الباب ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع بل أخرجهم بعض أهل العلم من الشنيتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد .

**الثانية عشر :** ما يلي به صلى الله عليه وسلم من شدة الفزع .

**الثالثة عشر :** ما أكرم به صلى الله عليه وسلم من الخلّة .

**الرابعة عشر :** التصريح بأنها أعلى من المحبة .

<sup>١</sup> - حسن : أبو داود ( ٤٦٩١ ) والحاكم ( ٢٨٦ ) والطبراني في الأوسط ( ٢٤٩٤ ) انظر حديث رقم : ٤٤٤٢ في صحيح الجامع .



**الخامسة عشرة :** التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة .

**السادسة عشرة :** الإشارة إلى خلافته وهذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم : { أغلقوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر الصديق } قالوا : في ذلك إشارة إلى خلافته والشيخ محمد الأمين الشنقيطي الجكني صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن يقول : إن خلافة أبي بكر كانت بالنص والإجماع إجماع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإن أبا بكر قال للصحابة : اختاروا لكم شخص فلان أو فلان قال له عمر : بل نختارك أنت وأنا أول من أبايعك ثم تابع الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في هذا فكان إجماعاً وأما النص فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : (( اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم )) ( ١ ) الذين أنعم الله عليهم هم كآلآتي : (( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين )) ( ٢ ) فكانت مرتبة الصديقة هي بعد مرتبة النبوة فكان هذا الوصف لائقاً في حق أبي بكر رضي الله تعالى عنه ويكفيه فخراً وشرفاً أن النبي صلى الله عليه وسلم ناداه بالصديق .

**ثالثاً :** أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءته عجوز فقال لها : { عودي في العام المقبل } قالت : **فإن لم أجدك ؟** قال : { آت أبا بكر } ( ٣ ) .

**الرابع :** أنه لما مرض صلى الله عليه وسلم قال : { مروا أبا بكر فليصل بالناس } فقالت له : عائشة : يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيء إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء فقال لها ولحفصة : { إنكن لصواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس } ( ٤ ) فاجتهدت عائشة وجعلت بلال يخبر عمر يوم الناس فلما كبر فزع النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وقال : { لا يأبى الله والمؤمنون } يعنى يأبى الله والمؤمنون أن يكون الإمام إلا أبو بكر رضي الله تعالى عنه وهذا مما يخالف فيه أهل السنة والجماعة الرافضة ولكن خلاف الرافضة لا يعتد به أهل الإسلام لا سيما غلاة الرافضة كالجعفرية والخطابية ومن كان بهذا المستوى .

<sup>١</sup> - الفاتحة ( ٦ - ٧ ) .

<sup>٢</sup> - النساء ( ٦٩ ) .

<sup>٣</sup> - ابن حبان ( ٦٨٧٢ ) .

<sup>٤</sup> - البخاري ( ٦٣٣ ) ومسلم ( ٤١٨ ) .

## باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

## باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

في هذا الباب ارتباط وثيق بالباب الذي قبله لأن الغلو في الصالحين أو في قبورهم هذا الأمر يفضي بأصحابه إلى أن يؤلهوا هؤلاء الذين غلوا فيهم .

وفي قوله : ما جاء في الغلو أي ما ورد من الأدلة من الكتاب والسنة في هذا الباب .  
والغلو هو : مجاوزة الحد مدحاً أو ذماً فلا يجوز لأحد أن يتجاوز الحد في حق بشر وذلك أنه غاية ما يكون فيه أنه من البشر ، إذا كان عليه الصلاة والسلام يقول في حق نفسه :

{ لا تطروني كما طرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله } ( ١ ) فما بالك بمن دونه رفعة وسؤدداً ومنزلة فلا يرفع النبي صلى الله عليه وسلم لا يرفع فوق منزلته التي أنزله الله سبحانه وتعالى إياها ويقول في حديث آخر :  
{ لا تفضلوني على الأنبياء } وفي حديث آخر : { لا تفضلوني على يونس بن متى } وللحديث سبب وهو أن أحد المسلمين قال أمام يهودي : والذي اصطفى محمداً على العالمين ! فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين فغضب المسلم فلطم اليهودي فأبلغوا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : { لا تخيروني على موسى } ( ٢ ) وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم وإلا فهو سيد الأولين والآخرين وخليل رب العالمين صاحب المقام المحمود والحوض المورود أول من ينشق عنه قبره وأول من يقع باب الجنة فيقول خازنها : **من ؟** فيقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك ، منزلة رفيعة على أن عائشة تقول له : يا رسول الله قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول :  
{ أفلا أكون عبداً شكوراً } ( ٣ ) وذلك أنه كان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه صلوات الله وسلامه عليه ومع ذلك لا تغل فيه ولا تنزله عن المنزلة التي وضعه الله سبحانه وتعالى فيها وهكذا في عباد الله أجمعين يجعل ميزاناً عدلاً وقسطاً فكن ذا عدل في الغضب والرضى في المنع والعطاء ، العدل ما تمسكت به أمة إلا علت وسادت وما خلا العدل من أمة إلا هوت وضاعت وصارت بلاقع وكأن لم يكن شيء ، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول :  
(إن الله يحفظ الدولة الكافرة العادلة ويهين أو عبارة نحوها الدولة المسلمة الظالمة ) فنحن مطالبون بالعدل والإنصاف مع الناس أجمعين

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو : { اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق ..... إلى أن قال : أسألك القصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضى } ( ٤ ) يكون عندك عدل مع الموافق والمخالف عدل يقول ربنا سبحانه :

<sup>١</sup> - البخاري (٣٢٦١) وأحمد (٦٤٤٢) (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم .

<sup>٢</sup> - البخاري (٢٢٨٠) .

<sup>٣</sup> - البخاري (١٠٧٨) ومسلم (٢٨١٩) .

<sup>٤</sup> - صحيح : النسائي (١٣٠٥) وأحمد (١٨٣٥١) وابن حبان (١٩٧١) وانظر مشكاة المصابيح (٢٤٩٧) .

((ولا يجرمنكم شئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)) ( ١ ) فالغلو آفة أيما آفة فعلى العبد إن رأى ميولاً من نفسه لأمر ما أن يحتفظ بهذا الميل ولا يستعمله فإنه يكون ضرر يكون فيه ضرر سلباً أو إيجاباً خيراً أو شراً إياك أن تبالغ في عدوك مبالغَةً شديدة وتعطيه من البغض أكثر مما يستحقه أو أنك تميل بحبك وعطفك على الموافق فترفعه فوق منزلته ولكن التوسط ، فهؤلاء المشركون غلوا في بعض المخلوقين كما سوف يأتي فصيروهم . عياداً بالله . أوثاناً تعبد من دون الله غلت اليهود في عزير فعبدوه من دون الله وغلت النصارى في دانيال أحد أنبياء بني إسرائيل وكانوا إذا قحطوا أخرجوه من تابوت كان عنده قبر بمثابة تابوت يستطيعون إخراجهم استسقوا بهذا الرجل فيسقون ابتلاءً واختباراً فعبدوه من دون الله ، وهكذا أيضاً بعض المسلمين اليوم يعبدون المقبورين من دون الله هناك من يغالي في ابن علوان ويقول : هو ينفع جنب الله وهناك من يدعو الخمسة أصحاب الكساء يعنون بذلك : محمداً عليه الصلاة والسلام وعلي والحسن والحسين وفاطمة البتول رضي الله تعالى عن آل رسول الله أجمعين وهكذا منهم من يدعو أحمد الرفاعي ، والسيدة زينب والحسين ورأيت مكتوباً في بعض اللوائح في العراق يا علي أدركني وبا حسين أغثني عبارات شركية تدعو إلى الكفر والإنحلال من دين رب العالمين ، هذا هو الشرك في حد ذاته فلا ينبغي للشخص أن ينحو هذا المنحى بل عليه أن يكون عنده ميزان العدل ، رجل صالح ينفعه صلاحه ، الرجل الصالح هو الذي أدى حق الله وحق الخلق ينفعه صلاحه ونحن نطلب منه الدعوة في حال حياته أدع لنا بارك الله فيك أما أننا نتمسح أو نرى أنه معصوم هذا لا يجوز وقد حضرت مرة يعني دخلت مسجداً من مساجد الصوفية في بلاد البيضاء وإذا بشيخهم الهدار قد وضع يده على ماسة فيأتون ويأخذون اليد ويتمسحون بها ويتبركون بها ويجعلونها على رؤوسهم وعلى جباههم وعلى أعينهم **إيش هذا ؟** هذا لا يكون إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أما البشر فلا ، فهذه الترجمة تحمل معاني كثيرة ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يشمل في ذلك الأنبياء والأولياء وما دونهم يصيرها أي يجعلها أوثاناً .

والوثن : هو ما نصب للعبادة ، تعبد من دون الله .

١ - المائدة ( ٨ ) .

روى مالك في الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } ( ١ ) .

ثم قال : روى مالك .

ومالك هو ابن أنس إمام دار الهجرة أصححي مدني ، أحد الأئمة الأربعة ، أحد الفقهاء الأئمة المتبعين في هذا الدين وكان من أحفظ أهل زمانه لسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، مالك بن أنس بلغ مبلغاً من العلم والديانة والصيانة والعفة والطهر ، وكان كرسيه كعروش الملوك إعظاماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يحدث حتى يتطهر ويدهن ويجلس بوقار فإن سئل عن الحديث قائماً يأبى أن يجيب ، يقول : أجيب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أمشي !! ، وكان إن رفع أحد صوته في حلقة زجره وقال : إن الله يقول :

(( لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي )) ( ٢ ) فمن رفع صوته على حديثه فكأنما رفع صوته على صوته في حال حياته وزاره مرة ابن المبارك أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك فوسع له مالك بجانبه فلما رأى ما عنده من الأدب قال :

يأبى الجواب فلا يراجع هيباً

والسائلون نواكس الأذقان

فهو المطاع وليس ذا سلطان

أدب الوقار وعز سلطان التقى

إذ كان مهيباً كل المهابة وتناقش مع مالك في بعض المسائل وتأمل في فقهه وفقه مذهبه وتعرفون المالكية رحمهم الله أكثر ما يكون اعتمادهم على المعنى وهكذا أيضاً سيأتي الكلام على الموطأ إذ أنه قريب العهد بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسانيده أعلى من أسانيد البخاري لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم مدة فلما رأى ابن المبارك ما عنده من الخير قال :

وفتاق أبكار الكلام المختم

صموت إذا ما الصمت زين أهله

وسيطت له الآداب باللحم والدم

وعى ما وعى القرآن عن كل حكمة

وله تلامذة أخذوا عنه وكان يختبر الطالب ، إذا جاءه الطالب يختبره وربما يجعله يبيت ليلة أو ليلتين عند عتبة بابه يتأمل في هذا الطالب هل هو طالب بحق لأن العلم كان في الصدر ، الآن ممكن أكبر فاسق يذهب إلى أي مكتبة يأخذ كتاباً ويقرأ ويدعي العلم ، فلذلك خاف بعض العلماء حينما دخل العلم في السطور قالوا : سيهان العلم إذ أنه كان لأهله لا يؤخذ إلا من الصدر إلى الصدر أما الآن سيدخل فيه من هب ودرج ، وفعلاً ، وكان رحمه الله تعالى عنده تواضع وتورع فقد كان لا يفتي حتى يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكان إذا جاءته مسائل أفتى ببعضها فيقول له السائل : جئتك من العراق مثلاً ، يقول : أنظر إلى ذلك الجبل اصعده وناد في الناس : إن مالكا لا يحسن إلا هذه المسائل ، كان علمه لله سبحانه وتعالى .

وهو الذي قال : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل لما سئل عن الإستواء قال : الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وقال في الرجل : إنه رجل سوء ، ولا زال مذهب مالك إلى يومنا هذا له كتب ومؤلفات وأتباع ، وقد أحسن من قال :

<sup>١</sup> - صحيح : مالك ( ٤١٤ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٧٥٠ ) .

<sup>٢</sup> - الحجرات ( ٢ ) .

جزى الله المالكية ما جزى

عن الدين أصحاب الإمام المجل

همو وردوا حوض المنيا أعزّة

وقد أنفوا أن يصحبوا كل مبطل

وأما كتابه الموطأ فالموطأ بمعنى الممهّد قيل : ألفه في أربعين عاماً وكان متحرّياً ، روى لبعض الضعفاء والكذابين أو  
الوضاعين لكن ليس عن سبيل التعمد وإنما كان بعضهم يتزين لأمثال هؤلاء كعبد الكريم بن أبي المخالق أو ابن أبي العوجاء  
لما قال بعضهم : غاص مالك فوق على خشبة منكسرة أو خزفة منكسرة ، روى عنه مالك وإلا فأغلب أحاديثه صحيحة ،  
وكان العلماء يعظمونه بل إن الشافعي يقول : لا أعلم كتاباً أصح من موطأ مالك ، وهو تلميذ من تلامذته على أن الشافعي  
ما رأى صحيح البخاري لأن البخاري متأخر ، يقال : أنه قرأه عليه فقال له مالك : إني أرى عليك نوراً فلا تطفئه بظلمة  
المعصية ، وأحسن من شرح كتاب مالك هو التمهيد لابن عبد البر النمري القرطبي ، بل وبلاد المغرب بشكل عام هم على  
المذهب المالكي وقليل من بلاد مصر .

قال : روى مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله  
على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } ( ١ ) .

اللهم معناه أو أصله : يا الله ، وفي قوله : لا تجعل دعاء منه صلى الله عليه وسلم وطلب من الله سبحانه و تعالى أن لا  
يجعل قبره مجمعاً يجتمع إليه الناس وقد استجاب الله سبحانه وتعالى ذلك الدعاء كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وأحاطه بثلاثة الجدران

فأجاب رب العالمين دعاءه

في عزة وحماية وصيان

حتى غدت أرجاؤه بدعائه

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :

ودل الحديث على أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لو عبد لكان وثناً ولكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس فلا  
يوصل إليه ودل الحديث على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها وقد عظمت الفتنة بالقبور  
لتعظيمها وعبادتها كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ، كيف أنتم إذا لبستم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ فيها  
الصغير تجري على الناس يتخذونها سنة إذا غيرت قيل : غيرت سنة ، ، وهذا ينطبق على حال الناس اليوم إذا أراد شخص  
أن يهدم قبراً أو يغير المنكر ، قالوا : هذا يحارب الدين ، وهذا الأثر صحيح ، قال : ولخوف الفتنة نهى عمر تتبع آثار  
النبي صلى الله عليه وسلم المواطن التي كان يجلس فيها النبي صلى الله عليه وسلم كما سوف يأتي ، قال ابن وضاح :  
سمعت عيسى بن يونس يقول : أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم  
وسلم فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة ، وقال المعمر بن سويد : صليت مع عمر بن  
الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال : **أين يذهب هؤلاء ؟** قيل : يا أمير المؤمنين :  
مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار  
أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً فمن أدركته الصلاة فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها .

١ - صحيح : مالك ( ٤١٤ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٧٥٠ ) .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : { اشتد غضب الله ... } فيه إثبات صفة الغضب وهي صفة تليق بكمال الله وعظمته وكبريائه ولا تشبه صفة من صفات مخلوقاته .

{ على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } قد تقدم شيء من ذلك ولكن لا بأس أن نقرأ كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله فإنه مفيد في بابه قال : قوله صلى الله عليه وسلم :

{ اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } فيه تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة عندها وأن ذلك من الكبائر ، وفي القرى للطبري من حديث أصحاب مالك عن مالك أنه كره أن يقول : زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعلل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم :

{ اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد } الصحيح لا تقول : أزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولكن تقول : أزور مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، العوام الكلام هذا فوق مستواهم يقول إذا قلت له : قل زرت مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا أنا أزور النبي أو قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ما يفهم أن شد الرجل لا يجوز إليه صلى الله عليه وسلم لكن يجوز أن يشد الرجل إلى مسجده ، إلى المسجد الحرام ، إلى المسجد الأقصى فبعضهم يقول : **أين الأفضل الحجار أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟** الجواب وبدون تفكير رسول الله أفضل فيقول لك : طيب بناءً على كلامك هذا أنك تقول لي : أنه الأفضل لي أن أزور الحجرة وأنا أريد أن أزور من قلت أنه أفضل وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا تعليل وكل تعليل باطل ميت لأن كل تعليل يكون مصادماً للحق فهو تعليل باطل مثل الذين يصلون ويضعون أيديهم على قلوبهم **لماذا ؟** يقول لأن القلب له نبضات وأنا إذا فعلت هكذا أخفف من نبضات القلب تقول له : النبي صلى الله عليه وسلم كان يضعها في غير هذا الموضع على الصدر أو ما بين الصدر والبطن روايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك فبعضهم يأتي باستحسانات وبتعليلات من عنده وهذه لا تنفع شيئاً في مقابلة النص .

ولابن جرير بسنده عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : (( أفريتم اللات والعزى )) ( ١ ) قال : كان يلت لهم السوق فمات فعكفوا على قبره .

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس . رضي الله عنهما . : كان يلت السوق للحاج ( ٢ ) .

قال : ولابن جرير .

ابن جرير هو الإمام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التفسير والتأريخ والأحكام قال ابن خزيمة : لا أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير ، وكان من المجتهدين لا يقلد أحداً وله أصحاب يتفقهون على مذهبه ويأخذون بأقواله ، قال : ولد سنة أربعة وعشرين و مائتين ومات ليومين بقي من شوال سنة عشرة وثلاثمائة هذا له كتاب التأريخ والتفسير وتفسيره من أجمع التفاسير بل إن ابن كثير إنما استفاد الأسانيد من تفسير ابن جرير واستفاد ابن كثير الأحكام من تفسير القرطبي فهو كتاب فاق غيره فيما يتعلق بأمر الأسانيد وهو من أهل السنة وليس بشيعي ولا رافضي هو من أهل السنة والجماعة وكان له نهم وهمة عالية في طلب العلم وهو القائل قولته المشهورة : مع المحبرة إلى المقبرة وبعض الناس يزهد في تفسيره ويقول : لا الأولى أن تقرأ في الكشاف للزمخشري وبعض طلبة العلم يقول : لا أقرأ في تفسير السعدي مع أن تفسير السعدي تفسير سلفي جيد لكن هو عبارة عن فك لغوامض القرآن وفيه خير كبير لكن طالب العلم لا يقتصر على هذا ، يقرأ في المبسوط ، وفي الموسع ، حتى يستفيد من أقوال أهل العلم .

قال : ولابن جرير بسنده عن سفيان بن منصور عن مجاهد ، جاء في بعض النسخ أنه سفيان الثوري ، وأما مجاهد فهو ابن جبر أبو الحجاج المكي قال : عرضت القرآن على ابن عباس عدة عرضات أوقفه عند كل آية أسأله ، ويقول سفيان الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، كان مفسراً من أكابر المفسرين في زمانه بل هو صاحب المدرسة المكية خلفاً لابن عباس .

في قوله : (( أفريتم اللات والعزى )) ( ٣ ) قال : كان يلت لهم السوق ، هذا رجل كان يلت لهم السوق للحجاج والمراد بالسويق هو الشعير يحمص أي يحمى في النار ثم يطحن ويعجن بالسمن والتمر ويعطيه الحجيج هذا عادتهم في الجاهلية قبل الإسلام كانوا يكرمون الحجاج والآن في هذا الزمان ربما يسرقون الحجاج ويزيدون عليهم لا سيما الباعة الذين هم حول الحرم ، يرفعون الأثمان لأنه في نظرهم موسم إستغلالي يستغلون به الزائرين والقادمين من الآفاق ، فهذا الرجل كان يلت السوق ويسقي الماء ماء زمزم فلما مات اعتقد الناس فيه الصلاح وصوروا صورة على شكله وكانوا يعبدونه من دون الله لشرفه حينما قام بهذا الأمر ، قال : كان يلت لهم السوق فمات فعكفوا على قبره وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السوق للحاج ومعنى للحاج أي للحجاج .

<sup>١</sup> - النجم ( ١٩ ) .

<sup>٢</sup> - تفسير الطبري ( ١١ / ٥١٩ ) .

<sup>٣</sup> - النجم ( ١٩ ) .



وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : { لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد و السرج } رواه أهل السنن ( ١ ) .  
 فيه مسائل :  
 الأولى : تفسير الأوثان .  
 الثانية : تفسير العبادة .  
 الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه .  
 الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .  
 الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .  
 السادسة : وهي من أهمها ، صفة معرفة عبادة اللات التي هي أكبر الأوثان .  
 السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح .  
 الثامنة : أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية .  
 التاسعة : لعنه صلى الله عليه وسلم زوارات القبور .  
 العاشرة : لعنه من أسرجها .

.....  
 وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : { لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد و السرج } رواه أهل السنن .  
 حديث ابن عباس هذا حديث ضعيف لكن جاء بلفظ : { لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات } ( ٢ ) حديث ابن عباس الذي هو : { لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات } رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقد ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة وكذلك في تحذير الساجد ، هو حديث ضعيف .  
 وهنا كلام للشيخ عبد الرحمن بن حسن ثم استشهد بكلام ابن تيمية فهو جيد في بابه ، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن :

قوله : وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : { لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج } رواه أهل السنن قال : قلت : وفي الباب حديث أبي هريرة وحديث حسان بن ثابت ، فأما حديث أبي هريرة فرواه أحمد والترمذي وصححه ، وحديث حسان أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه : { لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور } وحديث ابن عباس هذا في إسناده أبو صالح مولى أم هانئ وقد ضعفه بعضهم ، الذي هو :

<sup>١</sup> - ضعيف : أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والنسائي (٢٠٤٣) وأحمد (٢٠٣٠) انظر حديث رقم : ٤٦٩١ في ضعيف الجامع .  
<sup>٢</sup> - صحيح : الترمذي ( ١٠٥٦ ) وابن ماجه ( ١٥٧٤ ) وأحمد ( ٨٤٣٠ ) انظر حديث رقم : ٥١٠٩ في صحيح الجامع .

{ لعن الله زائرات } هذا حديث ضعيف واسم أبي صالح هذا اسمه باذام قال علي بن المديني عن يحيى القطان : لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ وما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان ن قال ابن عدي ليس به بأس ولهذا أخرجه ابن السكن ، انتهى من الذهب الإبريز عن الحافظ المزي ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريقين فعن أبي هريرة رضي الله عنه { أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور } وذكر حديث ابن عباس ثم قال : ورجال هذا ليس رجال هذا رجال حديث زوارات ليس رجال حديث زائرات هما حديثان فلم يأخذ أحدهما عن الآخر وليس في الإسناد من يتهم بالكذب ومثل هذا حجة بلا ريب ، قال : وهذا من أجود الحسن الذي شرطه الترمذي فإنه جعل الحسن ما تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه أحد من الثقات ، هذا لو كان عن صاحب واحد فكيف إذا كان رواه عن صاحب وذاك عن آخر فهذا كله يبين أن الحديث في الأصل معروف والعلماء رحمهم الله على قولين اثنين في زيارة النساء للقبور فالذين ذهبوا إلى التحريم هم الحنابلة ويجعلون . برك الله فيكم . زيارة النساء للقبور محرم بإطلاق إلا أن تمر المرأة عابرة على مقبرة فلها أن تقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله العافية لنا ولكم ، هذا مذهب الحنابلة يرون التحريم مطلقاً ، غيرهم يرون الجواز ، جواز زيارة النساء للقبور وإنما يكون المحرم هو الإكثار والتصخب ولهم أدلة ، منها ما جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بامرأة تبكي عند قبر فقال لها : { اتق الله واصبري } قالت : إليك عني إنك لم تصب بمصيبتي فليل لها : هذا رسول الله فجاءت إليه كما في البخاري وقالت : لم أجد عنده بوايين قالت : لم أعرفك قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : { إنما الصبر عند الصدمة الأولى } ( ١ ) هذا دليل ، الدليل الثاني يستدلون أن عائشة رضي الله عنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن وأجهشت بالبكاء وتمثلت بقول ذلكم الرجل لما قال :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لا يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

فهذا من أعظم ما يستدلون به من الأدلة الخاصة .

ثالثاً : أدلة عامة : { كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة } ( ٢ ) والمرأة إن كانت تكثر من التصخب والدعاء بالويل والشور وكان في خروجها فتنة وضرر هي أو الرجل فإنهم يمنعون عن ذلك وللعلماء في هذه المسألة قولان معلومان من غير أن تجرح من لم يأخذ بقولك واجتهد لنفسه ، والذي ترجح لدينا هو جواز زيارة المرأة للقبور لأن الزيارة ثلاثة أقسام :

**زيارة شرعية :** وهي هذه للعبرة والعظة .

**وزيارة بدعية :** يزور ولكن يذهب يقرأ القرآن أو مثلاً يشد الرحل لهذا القبر .

**وزيارة شركية :** وهو أن يذهب يتمسح بالقبر أو يدعو صاحب هذا القبر كما هو حاصل في كثير من البلاد اليمنية وغيرها تذهب المرأة إلى رجل في بلاد باب المندب وتنادي الشيخ سعيد المقبور هناك في قبره وتقول : يا شيخ سعيد أسألك أن

١ - البخاري ( ١٢٢٣ ) .

٢ - أحمد ( ١٢٣٥ ) .

تحبلي ، يعني تريد الحبل من القبر أنظر على سخافة ، وهكذا في جيبوتي أخبرنا أن بعض النساء اللاتي يبعن الخمر تذهب إلى قبر أحمد الرفاعي وتقول : يا شيخ أحمد زبائننا قلووا خمورنا ما انبعش وحالتنا ... وتدفع خمسة آلاف فرنك لهذا الشيطان الرجيم الذي يطوف المرأة وقد زناه وفمه مليء بالقات بعد العصر في مثل هذه اللحظات وتجد عليه . أعوذ بالله . صورة العبوس والكآبة يعني تعرف في وجهه السوءة والمقت . عياداً بالله . من ذلك المنظر البشع ، هذا مشرك ويدعو الناس إلى شركيات ، وهكذا في قبر أحمد بن علوان إذا ذهبت يأتي إليك يقول : حياك الله **جئتم تزورون ؟ تشتي مطوف ؟** مطوف يعني **إيش مطوف ؟!** يطوفك على الصفا والمروة وعلى الكعبة وعلى ماء زمزم . أعوذ بالله . يعني لو قال : **تشتي تشرك بالله ؟ تشتي تشرك ؟** هو شرك وهكذا في صعدة يطوفون على قبر الهادي وهكذا في حضرموت أيضاً رأيناهم يطوفون حول القبور فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يظهر بلادنا وبلاد المسلمين من البدع ومن الشركيات والخرافات ومن المعاصي وأن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يزيل ما علق في أذهان المسلمين من الشبهات ومن الأحاديث الضعيفة والموضوعة فإنها لها أثر في إثارة مثل هذه الشركيات والبدع وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وأخذ بنواصينا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

قال :

### باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

باب ما جاء في حماية ، ما جاء أي ما ورد من الأدلة والبراهين ، وحماية معناه جعل حام للشيء يحميه أي يمنع من الإقتراب منه ، رأيت مزرعة خاف أصحابها من السراق ومن البهائم يضعون أشجار أو زرب أو أسلاك حديدية يمنعون البهائم لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { كالأعاعي يرعى حول الحمى } أي المكان المحمي ، ما حماه الخليفة أو الرئيس أو الملك أو صاحب الأرض { ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه } ( ١ ) فالحماية هو المنع من الإقتراب .

ما جاء في حماية المصطفى ، المصطفى : لفظ مشتق من الصفوة وهو اختيار الشيء وهناك كتاب بعنوان : صفة الصفوة لابن الجوزي واسمه عبد الرحمن بن الجوزي ويكنى بأبي الفرج ، وهو من علماء القرن الخامس الهجري وأصل المصطفى مصطفى هذا أصلها ، والله سبحانه وتعالى هو الذي اصطفاه واختاره على العالمين .

ما جاء في حماية المصطفى أي النبي عليه الصلاة والسلام إصطفاه الله سبحانه وتعالى من جميع أهل الأرض ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، يتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن وهو قرشي معروف بالصدق والطهر والعفاف والأمانة وهو من نكاح ليس من سفاح فقد كان من أسرة عريقة معروفة بالمحافظة وهم بنو هاشم بل قال بعض العلماء أنه صلى الله عليه وسلم تنقل من عصر آدم إلى أن وصل إلى أبيه عبد الله من الأصلاب الطاهرة إلى الفروج الطاهرة هكذا يتنقل حتى كان في عبد الله بن عبد المطلب وليس في هذا دليل على أن أجداده أو آباءه أسلموا أو مسلمين ، في صحيح مسلم قال رجل : **يا رسول الله أين أبي ؟** قال :

{ في النار } فوجد الرجل في نفسه قال له النبي صلى الله عليه وسلم :

{ إن أبي وأباك في النار } ( ٢ ) .

قال : ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد ، والجناب بمعنى الجانب والمراد بالتوحيد عموم التوحيد ، توحيد الله في أفعاله ، وتوحيد الله في أفعال عباده وتوحيد الله في أسمائه وصفاته ، في توحيد الربوبية : الذي هو إفراد الله في أفعاله .

<sup>١</sup> - البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) .  
<sup>٢</sup> - مسلم (٢٠٣) .

ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد ، عموم التوحيد **وهل يدخل العقيدة ؟** نعم لكن علم العقيدة أوسع من علم التوحيد فباب العقيدة واسع ، من حيث اللغة الفرق حاصل فإن التوحيد مصدر وحد لأن مادة الواو والحاء والdal

( و ح د ) تدل على الإنفراد جعل الشيء واحداً ، وأما العقيدة مشتقة من العقد وهو الربط بقوة وإحكام لكن تعريف العقيدة أشمل من تعريف التوحيد فالتوحيد أفراد الله فيما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

أما العقيدة فهي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده ، تعني العقيدة : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بكل ما ثبت من أمور الغيب علمية أو عملية وبهذا التعريف نجد أن التوحيد بأقسامه الثلاثة يندرج تحت علم العقيدة وإن أردت أن يتبين لك الفرق هذا إقرأ في التوحيد هذا وقرأ في العقيدة الطحاوية **فهل تجد فرق وإلا لا ؟** تجد الفرق ، العقيدة الطحاوية فيها أصول التوحيد الثلاثة وفيها أمور الغيب وما يتعلق بالموت والحشر والنشر والصراط والميزان والكفة والجنة والنار ، وما شجر بين الصحابة وإيماننا في الحكام وإيماننا برؤية الله ، أشياء واسعة .

قال : باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق ، أي سدها النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لم يجعل الأبواب مفتحة لكل أحد لم يجعلها مهمة وإنما سدها **بماذا سدها ؟** بما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوجيهات والعلم الذي أخذه عن الله سبحانه وتعالى في الحفاظ على عقيدة هذه الأمة .

قال : وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ، والمراد بالشرك لغة : من التشريك أو من الإشراف وهو المشاركة في الشيء وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإشراف قال : { أن تجعل لله نداً وهو خلقك } ( ١ ) هذا هو الشرك وهو على قسمين : شرك أكبر مخرج من الملة ، وشرك أصغر كيسيير الرياء وهناك فوارق بين الشرك الأصغر والأكبر **فما هي ؟**

١. الأكبر مخرج والأصغر غير مخرج .

٢. الأكبر يخلد صاحبه والأصغر لا يخلد صاحبه .

٣. الأكبر لا يغفر والأصغر تحت المشيئة .

٤. الأكبر يبيح الدم والعرض والمال بخلاف الأصغر وبعض أهل العلم يقول : لا فرق وهو شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم بخلاف الجمهور يقول : إنه لا فرق بين الشرك الأصغر والأكبر في التخليد وعدم المغفرة ويستدلون بقوله سبحانه : (( إن الله لا يغفر أن يشرك به )) ( ٢ ) يقول : إن هنا وما دخلت عليه في تأويل مصدر إشراكاً ، نكرة في سياق النفي تفيد العموم فيقولون يفيد العموم هذا رأيهما .

الشيخ مقبل رحمه الله أنا سألته فيقول : الشرك الأصغر فوق الكبيرة ودون الشرك وهو تحت المشيئة .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٤٢٠٧ ) ومسلم ( ٨٦ ) .

<sup>٢</sup> - النساء ( ٤٨ ) .

**وقول الله تعالى : (( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم )) ( ١ ) .**

واستدل المؤلف رحمه الله لهذه الترجمة ولهذا التوبيخ بآية من كتاب الله الكريم وهي قوله سبحانه : (( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم )) ( ٢ ) في إرسال نبينا صلى الله عليه وسلم ومجيئه للعالمين تأكيد بل ثلاثة مؤكدات: الالام الموطئة للقسم والقسم وقد التي تفيد التحقيق فهذه ثلاثة مؤكدات تؤكد هذا الأمر العظيم ، لقد جاءكم ، وجمهور المفسرين على أن هذا الخطاب للعرب بدليل من أنفسكم وقوله سبحانه : (( رسول )) الرسول هو رجل من بني آدم أوحى الله إليه بشرع جديد وأمره بتبليغه والرسالة أعظم من النبوة ونبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والرسل كما قال ربنا سبحانه : (( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين )) ( ٣ ) .

وجاء من حديث أنس عند ابن ماجة وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال : { إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول ولم يبق إلا المبشرات ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة } ( ٤ ) وهذا النبي معلوم ومعروف بصدقه وأمانته ونزاهته وعفته من قبل أن يبعث بل كان هو الملقب بالصادق الأمين لصدقه وأمانته وليس هذا أمراً نادراً بل كان أمراً شاملاً في مسرى حياته كلها

(( لقد جاءكم رسول من أنفسكم )) أي من العرب ، ولهذا كان الحسد من قبل اليهود والنصارى لماذا انتقلت النبوة والرسالة من بني إسرائيل فصارت في العرب فحسدوه وكادوا له كيداً ثم قوله سبحانه وتعالى : (( عزيز عليه )) معنى كلمة عزيز أي يصعب ويعز عليه ، ذكر بعض اللغويين أنه إذا قيل : هذه أرض عزاز أو عزاز أي أرض صلبة ليست بلينة فقوله سبحانه : (( عزيز عليه ما عنتم )) ما هاهنا مصدرية ليست بموصولية ويكون تقدير الكلام لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه عنتمكم ومعنى عنتمكم أي مشقتكم فهو صلى الله عليه وسلم يعز عليه مشقتنا يعز عليه ويعظم عليه أن يحصل لنا العنت والمشقة مثل أن تقول لإنسان : يعز علي موقفكم وما أنتم فيه أنه أمر جليل في نظره وهذا أمر حاصل عنده صلى الله عليه وآله وسلم بل هذا هو الأصل في بعثته كما قال الله سبحانه وتعالى : (( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين )) ( ٥ ) فلما كان يعز عليه عنتنا مشقتنا كان رحمة مهداة ونعمة مسداة يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

<sup>١</sup> - التوبة ( ١٢٨ ) .

<sup>٢</sup> - التوبة ( ١٢٨ - ١٢٩ ) .

<sup>٣</sup> - الأحزاب ( ٤٠ ) .

<sup>٤</sup> - صحيح : الترمذي ( ٢٢٧٢ ) وأحمد ( ١٣٨٥١ ) والحاكم ( ٨١٧٨ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ١٦٣١ في صحيح الجامع .

<sup>٥</sup> - الأنبياء ( ١٠٧ ) .

(( فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك )) (١) فهو القائل صلى الله عليه وسلم : { إن هذا الدين يسر } (٢) وهو القائل صلى الله عليه وسلم : { بعثت بالحنيفية السمحة } (٣) وهو القائل صلى الله عليه وسلم لأبي موسى ومعاذ بن جبل : { يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا } (٤) وهكذا من حديث أنس في الصحيحين : دخل أعرابي فبال في ناحية من المسجد فقام الصحابة يريدون الوقوع به قال : { لا ترموه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين } (٥) ولما معاذ صلى فأطال الصلاة قال له صلى الله عليه وسلم : { أفنان أنت يا معاذ ؟ } (٦) وفي حديث آخر :

{ إن منكم منفرين } (٧) فهو صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أجمعين سواء كانت أمة الدعوة أو أمة الإجابة وهكذا هو رحمة لبقية المخلوقات من الحيوانات وما شابهها ثم قال سبحانه : (( حريص عليكم )) والحرص هو بذل الجهد غايته إذا قيل في شخص هو حريص معنى أنه بذل جهداً من أجل إدراك أمر مقصود فبذل كل ما في وسعه فهو حريص ومن حرصه صلى الله عليه وآله وسلم أنه يقول : { إنما أنا لكم بمنزلة الوالد } (٨) ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم : { ما بقي بقي شيء يقرب إلى الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم } (٩) وجاء من حديث عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { ما بعث الله نبياً إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم } (١٠) هذا من حرصه صلى الله عليه وسلم وجاء من حديث أبي هريرة في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : { مثلي ومثلكم كمثّل رجل استوقد ناراً فجعلت الجراد والهوام يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تغفلون من يدي } (١١) هذا من حرصه صلى الله عليه وسلم وليس حرصاً فقط في هذا الباب بل في الأبواب كلها قال أبو ذر الغفاري كما عند الطبراني رحمه الله ، قال أبو ذر رضي الله عنه : { تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وقد ذكر لنا منه علماً } (١٢) بين الحلال بين الحرام بين الخير حذر من الشر فهو صلى الله عليه وسلم حريص وبلغ من حرصه أنه يكون يوم القيامة أيضاً حريصاً على أمته كما جاء في حديث الشفاعة أنه صلى الله عليه وسلم إذ جاءت إليه الخلائق تريد منه الشفاعة إلى الله قال :

{ فأقول : أنا لها فأخر تحت العرش ساجداً فيعلمني ربي محامد لم أكن أعلمها من قبل فأحمده بها فيقول الله : يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأول ما يرفع رأسه يقول : ربي أمّتي أمّتي } (١٣) { ولما كان على قيد الحياة بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فأرسل الله إليه جبريل يسأله **ما بال بكائه ؟** والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهو يدري

١ - آل عمران ( ١٥٩ ) .

٢ - صحيح : النسائي ( ٥٠٣٤ ) وابن حبان ( ٣٥١ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ١١٦١ ) .

٣ - صحيح : أحمد ( ٢٢٣٤٥ ) والطبراني في الكبير ( ٧٨٨٣ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٢٩٢٤ ) .

٤ - البخاري ( ٢٨٧٣ ) ومسلم ( ١٧٣٣ ) وأحمد ( ١٩٧١٤ ) وسنن البيهقي الكبير ( ١٩٩٣٧ ) .

٥ - البخاري ( ٢١٧ ) .

٦ - صحيح : أحمد ( ١٤٢٢٦ ) وابن خزيمة ( ١٦١١ ) وابن حبان ( ٢٤٠٠ ) وانظر صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني صفحة ( ١٠٦ ) .

٧ - البخاري ( ٦٧٠ ) ومسلم ( ٤٦٦ ) .

٨ - حسن : أبو داود ( ٨ ) انظر حديث رقم : ٢٣٤٦ في صحيح الجامع .

٩ - صحيح : الطبراني في الكبير ( ١٦٤٧ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ١٨٠٣ ) .

١٠ - مسلم ( ١٨٤٤ ) .

١١ - مسلم ( ٢٢٨٥ ) وأحمد ( ١٤٩٣٠ ) ( ١٥٢٥٠ ) ومسند الطيالسي ( ١٧٨٤ ) .

١٢ - صحيح : الطبراني في الكبير ( ١٦٤٧ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ١٨٠٣ ) .

١٣ - البخاري ( ٤٤٣٥ ) ومسلم ( ١٩٤ ) .



ما سبب البكاء فأرسل جبريل إلى محمد يسأله عن سبب البكاء فقال له : أمتي أمتي ! فعاد جبريل إلى الرب فأخبره فأرسله مرة ثانية قال له : إنا سنرضيك في أمتك { ( ١ ) } وهكذا جاء من حديث ابن عباس في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال : { أيها الناس إنكم محشورون إلى ربكم حفاة عراة غرلاً } (( كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين )) وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم خليل الرحمن وأنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : رب أمتي أمتي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن غير وبدل { ( ٢ ) } هذا من حرصه صلى الله عليه وسلم وبقية الشريعة كلها حرص أيضاً فهو حذر من إطلاق البصر ومن التغوط تحت الأشجار وفي الممرات وأماكن تجمعات الناس وحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من كل رذيلة وأمرنا ودلنا على كل فضيلة هذا أيضاً من حرصه صلى الله عليه وسلم فما ترك من شيء إلا وبين لنا إياه وذكر لنا منه علماً فصلوات ربي وسلامه عليه دائماً سرمدياً أبداً عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون و في الدنيا والآخرة قال الله :

(( بالمؤمنين رؤوف رحيم )) والرأفة والرحمة بمعنى الرقة وبمعنى الحنو على المرحوم فعنده صلى الله عليه وسلم رحمة وعنده أيضاً رأفة صلوات الله وسلامه عليه فمن جعله قدوة وقيادة في هذه الدنيا ناله نصيب وافر من حرصه ومن رأفته ورحمته ثم قال سبحانه : (( فإن تولوا )) أي أبوا إلا أن يتولوا وأن يستمروا في العناد والإعراض وتولي الأدبار قال : (( فقل حسبي الله )) أي كافيني الله ولفظ الجلالة معناه هو : الإله المعبود الذي تأله القلوب محبة وتعظيماً والقول الصحيح من أقوال أهل العلم أنه مشتق من ألّه يألّه ألوهية كما ذكر ذلك سيويه في كتابه المعروف بالكتاب أو ما يسمى بقرآن النحو و (( لا إله إلا هو )) هو بمعنى لا إله إلا الله الكلمة الطيبة وكلمة التقوى والعروة الوثقى فهي الكلمة التي لها الشروط المعروفة والأركان المعروفة ، فيها يدخل العبد في الإسلام وتركها أو بما يناقضها يخرج من الإسلام وهي مفتاح الجنة ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : { من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة } ( ٣ ) قال : (( فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم )) هو رب العرش من باب تعظيم هذا المقام وإلا فهو رب السماوات والأرض رب الجبال رب البحار رب العالمين فهو رب كل شيء سبحانه وتعالى ففي هذا الموطن مدح الله سبحانه وتعالى بهذا المدح العظيم في هذا الموطن ، قال : (( رب العرش العظيم )) والعرش كما هو معلوم أن الله سبحانه وتعالى يقول في حق هذا العرش : (( الرحمن على العرش استوى )) ( ٤ ) والعرش أعظم من الكرسي فكما جاء في بعض الآثار عن ابن عباس رضي الله عنه : ما الكرسي في العرش إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وجاء في بعض الآثار أنه موضع القدمين فإذا كان الكرسي وسع السماوات والأرض كما في آية الكرسي فما بالك بالعرش الذي هو أعظم من الكرسي وما بالك بعظم الرب الذي هو : (( الرحمن على العرش استوى )) ( ٥ ) إنه عظيم كبير متعال .

١ - مسلم ( ٢٠٢ ) .

٢ - البخاري ( ٣١٧١ ) ومسلم ( ٢٨٦٠ ) .

٣ - صحيح : أبو داود ( ٣١١٦ ) والحاكم ( ١٢٩٩ ) والطبراني في الكبير ( ٢٢١ ) انظر حديث رقم : ٦٤٧٩ في صحيح الجامع .

٤ - طه ( ٥ ) .

٥ - طه ( ٥ ) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم } رواه أبو داود بإسناد حسن ، ورواته ثقات ( ١ ) .

ودلل على الترجمة المعروفة وهو : باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا تجعلوا بيوتكم قبوراً } هنا تعليق للشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله قال :

قوله : { لا تجعلوا بيوتكم قبوراً } قال شيخ الإسلام يعني ابن تيمية أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عنها عند القبور عكس ما يفعله المشركون النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة ، لا تجعلوا بيوتكم قبوراً أي لا تعطوا هذه البيوت حكم المقابر واستفاد العلماء من هذا تحريم الصلاة في المقبرة وجاءت بعض الأحاديث التي تثبت وتبين أن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة أي صلاة الجماعة ، الصلوات الخمس هذه تكون في المسجد جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : { إجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً } ( ٢ ) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع فيه سورة البقرة تقرأ فيه } ( ٣ ) أو كما قال عليه الصلاة والسلام هذا في قوله : { لا تجعلوا بيوتكم قبوراً } أيضاً هذا من حماية صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد ثم قال : { ولا تجعلوا قبري عيداً } قبره صلى الله عليه وسلم المعروف الذي هو في غرفة عائشة والآن دخل من ضمن مسجده صلى الله عليه وآله وسلم { لا تجعلوا قبري عيداً } أي مجعلاً وموسماً تتجمعون فيه ، وهنا كلام متين لشيخ الإسلام ابن تيمية نقله الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله ، قال شيخ الإسلام : العيد إسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه المعتاد عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر و نحو ذلك ، وقال ابن القيم : العيد ما يعتاد مجيؤه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والإعتياد فإذا كان اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة وغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر كلها لله عيداً للحنفاء ومثابا ، كما جعل أيام العيد فيها عيداً وكان للمشركين أعياداً زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى كما عوضهم من أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر هذا شرح قوله صلى الله عليه وسلم : { لا تجعلوا قبري

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود ( ٢٠٤٢ ) وأحمد ( ٨٧٩٠ ) والطبراني في الأوسط ( ٨٠٣٠ ) انظر حديث رقم : ٧٢٢٦ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - البخاري ( ٤٢٢ ) ومسلم ( ٧٧٧ ) .

<sup>٣</sup> - مسلم ( ٧٨٠ ) .

عيداً { ثم قال عليه الصلاة والسلام : { وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم { صلوا علي هذا أمر منه صلى الله عليه وسلم صلوا علي والله سبحانه وتعالى يقول :

(( إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً )) ( ١ ) وقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من صلى علي صلاة واحدة صلى الله بها عليه عشراً } ( ٢ ) ومعنى الصلاة على رسول الله ذكر الله له في الملاء الأعلى ومعنى صلاة الملائكة على رسول الله بمعنى الدعاء والإستغفار وصلاتنا على رسول الله بمعنى طلب زيادة الثناء كما نقل ذلك الإمام البخاري عن أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي رحمه الله هذا معنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك مواطن يستحب فيها مثل عند ذكره صلى الله عليه وسلم فإنه عليه الصلاة والسلام قد قال :

{ البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي } ( ٣ ) وقال : { رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل علي } ( ٤ ) وجاءت آثار تبين فضل الصلاة على رسول الله ليس هذا موطنها ولكن لا بأس أن أعرج إلى حديث واحد وهو حديث أبي بن كعب الذي عند أبي داود والترمذي وغيرهما قال أبي : كان إذا ذهب ثلثا الليل قام النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : { أيها الناس جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه } فقال أبي : يا رسول الله إني أكثر عليك من الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : { ما شئت } قال : **أجعل لك الشطر ؟** ، قال :

{ ما شئت وإن زدت فهو خير لك ، { قال : **أجعل لك الثلثين ؟** ، قال : { ما شئت وإن زدت فهو خير لك } قال : **أجعل لك صلاتي كلها ؟** ، قال : { إذن تكفي همك ويغفر ذنبك } ( ٥ ) فهو صلى الله عليه وسلم يقول : { فإن صلاتكم تبلغني { أي في أي مكان كنتم وقد جاء في بعض الأحاديث :

{ إن لله ملائكة سياحين يبلغون النبي صلى الله عليه وسلم صلاة أتمته عليه } ( ٦ ) بل أصرح من هذا يقول صلى الله عليه وسلم : { ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام } ( ٧ ) فبعض الناس يفهم أن الصلاة هذه لا تكون نافعة له الصلاة على رسول الله إلا أن يذهب إلى المدينة النبوية ويسلم ويصلي عليه يعني عن قرب ، هنا يسمع وهذا غير صحيح فجاء من حديث أوس بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ففيه خلق آدم وفيه نفخ فيه الروح وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها فأكثرها علي من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي { قال بعض الصحابة : **يا رسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟** . أي قد بليت . قال : { أما علمت أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء } ( ٨ ) عليهم الصلاة والسلام فهو صلى الله عليه وسلم في قبره كما خلقه الله كما كان على قيد الحياة لم تمسه التربة بشيء من الأذى ، مات ما مسته التربة ولن تمسه

١ - الأحزاب ( ٥٦ ) .

٢ - مسلم ( ٣٨٤ ) .

٣ - صحيح : أحمد ( ١٧٣٦ ) وابن حبان ( ٩٠٩ ) والحاكم ( ٢٠١٥ ) والطبراني في الكبير ( ٢٨٨٥ ) انظر حديث رقم : ٢٨٧٨ في صحيح الجامع .

٤ - صحيح : البخاري في الأدب المفرد ( ٦٤٦ ) وانظر تحقيق الألباني على رسالة فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم برقم ( ١٥ ) .

٥ - حسن صحيح : الترمذي ( ٢٤٥٧ ) ومسند عبد بن حميد ( ١٧٠ ) وانظر صحيح الترمذي ( ١٦٧٠ ) .

٦ - صحيح : النسائي ( ١٢٨٢ ) وابن حبان ( ٩١٤ ) والحاكم ( ٣٥٧٦ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٢٨٥٣ ) .

٧ - حسن : أبو داود ( ٢٠٤١ ) وأحمد ( ١٠٨٢٧ ) والطبراني في الأوسط ( ٩٣٢٩ ) والبيهقي في الشعب ( ١٥٨١ ) انظر حديث رقم : ٥٦٧٩ في صحيح

الجامع .

٨ - صحيح : أبو داود ( ١٠٤٧ ) والنسائي ( ١٣٧٤ ) وابن ماجه ( ١٠٨٥ ) انظر حديث رقم : ٢٢١٢ في صحيح الجامع .

التربة بشيء من الأذى كما خلقه الله سبحانه وتعالى وكما كان على قيد الحياة بأبي هو وأمي قال : { فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم } وحيث هنا ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب وذكر ابن هشام في القطر أنها تبنى على الضم وعلى الكسر وعلى الفتح ليست لعل تصريفية ، يقال : حيثٌ وحيثٌ وحيثٌ لا لعل تصريفية وجاءت لغة حوث وحات فهي أيضاً لغة لكنها ضعيفة .

قال : رواه أبو داود وهو سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب الكتاب المعروف بسنن أبي داود وهو كتاب من أجمع الكتب لا سيما في باب الأحكام .

قال : بإسناد حسن ورواته ثقات هذا على حسب ما ذكره أبو داود أنه بسند حسن ، وقد جاء أن أبا داود أرسل برسالة إلى أهل مكة حينما ألف كتابه هذا فقال لهم فيها : ذكرت الصحيح وما يشبهه ، وما يقاربه ، وما كان فيه وهن شديد بينته ، وما سكت عنه فهو حسن على أن تعريف الحسن ليس هذا فإن تعريف الحسن هو : ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة ، فمصطلح أبي داود أنه ما سكت عنه فهو حسن أي صالح عند أبي داود لكن علماءنا يقولون : لا بد من بحث السند وإن كان قد سكت عنه أبو داود لأن أبا داود لم يشترط الصحة في كتابه كما اشترطها البخاري ومسلم في صحيحيهما وكونه يقول : رواته ثقات فمعنى ذلك أنه كان عند هؤلاء الرواة ملكة تحملهم على الصدق والمروءة والخوف من الله سبحانه وتعالى لكن أيضاً هذه اللفظة لا يستفاد منها تصحيح الحديث أو تحسينه لأنها إنما هي نظرة لرجال السند من حيث الثقة وعدمها أما من حيث الإنقطاع والإرسال والتدليس فليس هذا بحثها فهناك أيضاً شروط خمسة لهذه الأحاديث حتى يحكم لها بالصحة بهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو ، فنهأ وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم } رواه في المختارة ( ١ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : إبعاده أمتة عن هذا الحمى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الإكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة في البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة .

الثامنة : تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض أعمال أمتة في الصلاة والسلام عليه .

.....  
وعن علي بن الحسين من التابعين ومن أعلمهم ، وله قصائد معروفة ويكفيه فخراً وشرفاً أنه من سلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من آل البيت ، وإذا تأملت الآن إلى مرويات أهل البيت ومخالفة المدعين محبة آل البيت والتشيع لآل البيت لرأيت بوناً شاسعاً أذكر أنه قيل لبعض الشيعة : **كيف تطوفون حول القبر ؟** بل أنا قلت لهذا الشخص في مسجد الهادي في صعدة : **كيف تطوفون حول هذا القبر . قبر الهادي . ؟** والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : { لا تدعن صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته } ( ٢ ) والحديث قلنا له : في صحيح صحيح مسلم ، قال : مسلم هذا أصلاً ضعيف عندنا ، قلنا : تلقت الأمة كتابه بالقبول فلا يعتد بخلافكم إطلاقاً ، أشياء كثيرة جداً تجد أن مرويات بيت النبوة تناقض ما عند هؤلاء ، وأنا أقول حقيقة : هي عبارة عن مزاعم كما سئل عن ذلك إحسان إلهي ظهير رحمه الله وهذا الرجل من تلامذة الشيخ عبد العزيز بن باز الكبار سئل : **لماذا كان التشيع لعلي والحسن والحسين وفاطمة وبعض آل بيت النبوة ؟** قال : لقربهم من رسول الله وإلا فالقوم ليسوا مع آل البيت إطلاقاً ،

<sup>١</sup> - صحيح : مسند أبي يعلى ( ٤٦٩ ) ومصنف ابن أبي شيبة ( ٧٥٤٢ ) والضياء المقدسة في المختارة ( ٤٢٨ ) وانظر تحذير الساجد للألباني ص ( ٨٥ ) .  
<sup>٢</sup> - مسلم ( ٩٦٩ ) .

**كيف يزعمون ويدعون محبة آل البيت وهم يقعون في الشيخين في أبي بكر وعمر؟** ، وعلي بن أبي طالب يقول : أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ، وكان علي يوقر عمر ويجله أيما إجلال .

هذا العبد الصالح أعني علي بن الحسين رأى رجلاً من الناس يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيدخل فيها فيدعو فيها عن ذلك وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي . الحسين . عن جدي . علي . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا تتخذوا قبوري عيداً . أي موسماً وتجمعاً . ولا بيوتكم قبوراً } وقد تقدم شرح هاتين العبارتين بصورة أوسع { وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم } قال : رواه في المختارة ، الحديث له طرق ذكره الشيخ الألباني في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له شواهد كثيرة جداً رواه الضياء في المختارة ، وهذا الكتاب كتاب الضياء ذكر أحاديث كثيرة جداً في هذا الكتاب وسماه مختارة لاختياره أحاديث استحسناها ، كما اختار الإمام النووي رحمه الله تعالى أحاديث سماها الأربعين ، فتواتر عليها العلماء أنهم سموها الأربعين النووية وهنا كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حول هذا الحديث ، يقول رحمه الله تعالى :

وأما الحديث الثاني هذا الذي هو حديث علي بن الحسين فرواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي في المختارة ، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : فانظر هذه السنة . هذا هو موطن الشاهد . كيف مخرجها من أهل المدينة ومن أهل البيت الذين لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب النسب وقرب الدار لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط ، قال : وقال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد قال أخبرني سهيل بن أبي سهل قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . هذه رواية أخرى . رضي الله عنهم عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة رضي الله عنها يتعشى فقال لي : هلم إلى العشاء فقلت : لا أريده فقال : ما لي رأيتك عند القبر ، فقلت : سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إذا دخلت المسجد فسلم ، يعني لا تتعمد الذهاب إلى القبر لتسلم أو لتصلي على رسول الله ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ لا تتخذوا قبوري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ما أنتم ويني بالأندلس إلا سواء } فإذا أراد العبد أن يحظى بشرف الصلاة والسلام وبشرف الرد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصل وليسلم في أي أرض كان فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام } ( ١ ) وسمعت في شريط للشيخ الألباني أنه أراد أن يرحل للحج أو العمرة فقال له أحد المسؤولين : أريد أن أبعث معك رسالة فقال الشيخ : ما عندي مانع فقال له : الرسالة خفيفة المحمل فقط تبلغ تحياتنا وتسليماتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الشيخ الألباني : سلم عليه وصل عليه حيث كنت وفي أي مكان أنت فإن الله سبحانه وتعالى هيأ ملائكة ينقلون هذا السلام إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فيرد عليك التسليم فالصلاة تبلغ وهكذا التسليم وعلى هذا فلا يجوز شد الرحل إلى قبره لهذا المقصد لقصد زيارته

<sup>١</sup> - حسن : أبو داود ( ٢٠٤١ ) وأحمد ( ١٠٨٢٧ ) والطبراني في الأوسط ( ٩٣٢٩ ) والبيهقي في الشعب ( ١٥٨١ ) انظر حديث رقم : ٥٦٧٩ في صحيح الجامع .

أو لقصد التسليم عليه لكن شد الرحل للمسجد جائز لحديث في البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا } ( ١ ) وفي رواية : { لا تعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد } ( ٢ ) وهذا الحديث في الموطأ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه فلا يجوز شد الرحل لا إلى قبر البدوي ولا أحمد الرفاعي ولا إلى السيدة زينب ولا الهادي ولا ابن علوان هذه بدع محدثات ما أنزل الله بها من سلطان وهكذا شد الرحل إلى كهف أهل الكهف الذي يزعمونه الآن في صبر بعضهم يشد الرحل إليه لو ذهبت من أجل السياحة والكذا لا بأس على أنه ليس بمؤكد أنه هنا أنه هنا ولا يجوز شد الرحل إلى قبر النبي هود في الأحقاف في حضرموت ولا إلى جبل النور وهو غار حراء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه في مكة والآن تجد الناس أيام الحج والعمرة زرافات إلى هناك وهو مكان وعراً جداً أنا ما طلعتة لكن نظرتة من بعد ترى الناس وهم يمشون في غاية من التعب والإرهاق يعني بعد من الشوارع والمدينة ، والحكومة هناك حريصة على التوحيد ما أصلحت الطريق إلى هناك حتى لا يكون مزاراً معتمداً ولو أنها هدمته كان أولى لو هدمت ذلك المكان كان أولى حتى لا يتخذ ذريعة فقد كان بعض التابعين يذهبون فيصلون تحت الشجرة التي ذكرها الله عز وجل في القرآن :

(( لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة إذ يبايعونك تحت الشجرة )) ( ٣ ) فكان بعضهم يذهب يصلي تحت الشجرة فعلم بذلك عمر فقطعها حتى لا تكون ذريعة إلى الشرك وهكذا . بارك الله فيكم . الناس يتشبثون لهم بأشياء ما أنزل الله سبحانه وتعالى بها من سلطان يتشبثون بها ويظنون . بارك الله فيكم . أن هذا هو الدين ، بل عند العوام يا إخوان جهل مطبق تحصل بعض العوام ربما وكذا من النساء من تقول إلى ابنتها : انظر إلى ربنا هذا الكبير وتنظر هكذا في السماء وتظن أن هذا هو الرب نستغفر الله ونتوب إليه وهذه فقط هي السماوات التي رفعها الله بغير عمد وهذا . بارك الله فيكم . جهل مطبق في هؤلاء الناس فكان باب التوحيد وحرص النبي صلى الله عليه وسلم عليه من أكد أبواب الفقه وأبواب العقيدة لماذا ؟ لأن به النجاة والهداية والأمن في الدنيا والآخرة كما قال ربنا سبحانه وتعالى : (( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )) ( ٤ ) وبهذا نكون قد جئنا على آخر هذا الباب الذي هو باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك وبهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

١ - البخاري (١١٣٢) ومسلم (١٣٩٧) .

٢ - صحيح : مالك (٢٤١) انظر حديث رقم : ٧٣٧١ في صحيح الجامع .

٣ - الفتح ( ١٨ ) .

٤ - الأنعام ( ٨٢ ) .



## باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله :

## باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان .

يقول : باب ما جاء أي ما ورد من أدلة الكتاب والسنة أن بعض هذه الأمة، بعض وليس كل لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { لا تجتمع أمتي على ضلالة } ( ١ ) وهذه الأمة المراد بها أمة الإجابة لا أمة الدعوة فقد جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { ما يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة فيموت يوم يموت ولم يؤمن بي إلا كبه الله على وجهه في نار جهنم } ( ٢ ) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وسبب قول المؤلف بعض كما تقدم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، حديث ابن عباس رواه أبو داود وغيره أضف إلى ذلك ما جاء من حديث عمران بن حصين في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : { لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى قيام الساعة } ( ٣ ) ما هو إلى قيام الساعة إلى قرب قيام الساعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { تقوم الساعة على شرار الناس } ( ٤ ) بل جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال : { لا تقام الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله } ( ٥ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس في الدنيا لكع بن لكع } ( ٦ ) نسأل الله السلامة والعافية .

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ، الوثن : كل ما عبد من دون الله يدخل فيه الحجر والشجر والقبر والصنم والجن والإنس ، الوثن أعم من الصنم ، فالصنم هو الذي له شكل إنسان شكل حيوان لكن الوثن أعم من ذلك كما قال الله سبحانه وتعالى حاكياً عن الخليل : (( إنما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفكاً )) ( ٧ ) .

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ، سبب مجيء المؤلف بهذه الترجمة أو بهذا التبويب رداً على مزاعم الذين يقولون أو ينكرون وقوع الشرك في هذه الأمة ، هناك مجموعة الشيعة ، الصوفية ، منهم ابن حفيظ ، والجفري الذي يظهر

١ - صحيح : الترمذي (٢١٦٧) وانظر حديث رقم : ١٨٤٨ في صحيح الجامع .

٢ - مسلم ( ١٥٣ ) .

٣ - البخاري ( ٦٨٨١ ) ومسلم ( ١٩٢٠ ) .

٤ - مسلم ( ٢٩٤٩ ) .

٥ - مسلم ( ١٤٨ ) .

٦ - صحيح : الترمذي ( ٢٢٠٩ ) وأحمد ( ٢٣٣٥١ ) انظر حديث رقم : ٧٤٣١ في صحيح الجامع .

٧ - العنكبوت ( ١٧ ) .

على القنوات الفضائية ينكرون وقوع الشرك في هذه الأمة يستدلون على ذلك بحديث ينزلونه في غير ما ينزله به وهو حديث جابر عند الإمام مسلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم قال : { إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش } ( ١ ) فقالوا : **كيف تقولون شرك ورسول الله يقول :**

**{ إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون } ؟** والرد على ذلك أن العلماء كما ذكر ذلك الإمام النووي في شرح مسلم على هذا الحديث حملوا لفظة المصلين على الصحابة وبعضهم قال : المراد بالمصلين الموحدين وبعض أهل العلم قال : هذا إخبار من رسول الله لما تقرر في نفس الشيطان ، طيب الشيطان يائس من رحمة الله هل نقول : ما لله رحمة هو يائس من رحمة الله فهذا إخبار ولا يلزم من ذلك عدم وقوع الشرك على أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { من حلف بالأمانة فليس منا } ( ٢ ) { الشرك في أمي أخفى من ديب النمل } ( ٣ ) وقال : إنكم تشركون قال : **وما ؟** قال تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، الآن من يقول : ما شاء الله وشئت !

محمد بن هاني دخل على الحاكم بأمر الله وهو بأمر الشيطان حاكم مصر الذي عكس الفطرة وجعل الليل نهار والنهار ليلاً ، دخل محمد بن هاني ليتقرب إليه بسخط الله قال

ما شئت لا ما شئت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

يقولها المخلوق وكان إذا ذكر الحاكم في خطبة الجمعة استقام الناس إذعائاً وخضوعاً لهذا الرجل فمرض هذا الشاعر ولقنه الله عز وجل درساً قاسياً كان ينعق على سريره كما ينعق الفرخ صار كالفرخ ينعق كما ينعق الكلب ، حالة مزرية فذهب الأمير بزيارته قال :

أبعين مفتقر إليك نظرتني وأهنتني وقذفتني من خانقي

لست الملموم أنا الملموم لأنني علقت آمالي بغير الخالق

علق آماله بغير الله هذا شرك هذا من الشرك وإيليا أبو ماضي شاعر لبناني بعضهم من يقول نصراني وبعضهم من يقول مسلم وهو إما من أمة الدعوة وإما من أمة الإجابة يأتي بأبيات شرك يقول :

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أو أبيت لست أدري لست أدري لست أدري

شرك يا إخوان شرك واضح فالشرك حاصل فكيف تقول الصوفية : لا يسمى دعاء من في القبور وسؤال قضاء الحاجات من الشرك ، كيف لا يعد هذا شركاً وهو طلب من غير الله والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : (( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين )) ( ٤ ) أي مهانين حقيرين وقال سبحانه وتعالى : (( وإذا سألك عبادي عني فإني قريب )) ( ٥ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله } ( ٦ ) **ما هو الشرك إذن في نظر هؤلاء ؟ ما هو الشرك ؟** الشرك : هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، هؤلاء

١ - مسلم ( ٢٨١٢ ) .

٢ - صحيح : أبو داود ( ٣٢٥٣ ) وابن حبان ( ٤٣٦٣ ) والبيهقي في الشعب ( ١١١١٦ ) انظر حديث رقم : ٦٢٠٣ في صحيح الجامع .

٣ - صحيح : أحمد ( ١٩٦٢٢ ) والبخاري في الأدب المفرد ( ٧١٦ ) والطبراني في الأوسط ( ٣٤٧٩ ) انظر حديث رقم : ٣٧٣٠ في صحيح الجامع .

٤ - غافر ( ٦٠ ) .

٥ - البقرة ( ١٨٦ ) .

٦ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .

قد جعلوا أنداداً ، جعلوا أنداداً يدعونهم ويخافون منهم ويتوكلون عليهم ويثقون بما عندهم في قضاء الحاجات وتفريج الكربات .

لما دخل التتار إلى بغداد كان بعضهم يقول :

يا هاربين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

ينجيكموا من الضرر

وما حال المرأة التي تقول في بلاد باب المندب وهي تنادي مقبوراً إسمه : الشيخ سعيد تقول : يا شيخ سعيد أحبلني ، تطلب الحبل من الشيخ سعيد المدفون تحت التراب ، الله المستعان هذا من الشرك يا إخوان .

وآخر دخل قرطاس في أذنه فقالت له أمه : خذ القارورة هذه السمن واذهب بها إلى نصب الولي عرفتكم نصب الولي وامسح هذا النصب وقل : يا ولي يا ولي يا ولي ! اللهم هكذا اللهم عافني واعف عني واخرج القرطاس من أذني ويمسح على هذا النصب هذا من الشرك وسوف يتبين لكم كيف كان الاستنباط من القرآن ومن السنة ما يدل على وجود الشرك في هذه الأمة أعني أمة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقوله تعالى : (( ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت )) ( ١ ) .  
 وقوله تعالى : (( قل هل أنبؤكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد  
 الطاغوت )) ( ٢ ) .  
 وقوله تعالى : (( قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً )) ( ٣ ) .

قال : وقول الله تعالى : (( ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء  
 أهدى من الذين آمنوا سبيلاً )) ( ٤ ) ألم تر : هذا يسمى عند العلماء بالاستفهام التقريري ، ألم تر : أي قد رأيت قد  
 علمت يا محمد إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب وهم اليهود ، أوتوا نصيباً من الكتاب وهو التوراة التي أنزلت على موسى  
 ، أوتوا نصيباً أي حظاً من الكتاب بمعنى أن عند اليهود كتاب اسمه التوراة ومع وجود هذا الكتاب يؤمنون بالجبت والجبت  
 هو الشرك وقيل السحر والطاغوت عرفت الآن **كيف كان الاستدلال ؟** هؤلاء هذه أمة اليهود قد بعث الله إليهم رسل  
 ومع ذلك مع وجود الكتاب إلا أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا ،  
 الطاغوت لغة : مجاوزة الحد ، واصطلاحاً : ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ، وقال  
 العلامة ابن القيم : الطواغيت كثيرة ورؤوسها خمسة :

١. الشيطان عليه لعائن الله هذا رئيس الطواغيت .
  ٢. من عبد وهو راض .
  ٣. من دعا إلى عبادة نفسه .
  ٤. من ادعى علم الغيب .
  ٥. ومن حكم بغير ما أنزل الله .
- هذه رؤوس الطواغيت الخمسة ذكرها ابن القيم وذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب نقلاً عن ابن القيم في غير هذا  
 الكتاب أنت الآن عليك أن تستجمع مع الدرس لكي تنظر **من أين استنبط المؤلف أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان ؟**  
 قال : (( ويقولون للذين كفروا )) يعني هؤلاء اليهود يقولون للذين كفروا أي لكفار قريش

١ - النساء ( ٥١ ) .  
 ٢ - النساء ( ٥١ ) .  
 ٣ - النساء ( ٥١ ) .  
 ٤ - الكهف ( ٢١ ) .

(( هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً )) نقل ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وهما يهوديان إلى أهل مكة وذلك بعد أن نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكون فيها دولة ودخل الناس في هذا الدين غاض ذلك اليهود فذهبوا إلى مكة استغلالاً لهذه الفرصة يحرضون القرشيين على المسلمين فذهبوا إلى مكة فقالوا لهم : أنتم أهل كتاب وأهل علم فأخبرونا عنا وعن محمد إسمع إلى القسمة الضيزى ! فقالوا : **ما أنتم وما محمد ؟** فقالوا : نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء ( أي الإبل السمنية ) ونسقي الماء على اللبن ونفك العاني ونسقي الحجيح ، ومحمد صنوبر يعني فقير منقطع قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيح من غفار **فنحن خير أم هو ؟** إسمع إلى اليهود إيش قالوا ! قالوا : أنتم خير وأهدى سبيلاً فأنزل الله : (( ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً )) ( ١ ) هذا تقرير وعضد من اليهود لكفار قريش وشهادة يشهدون بها أنهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقوله تعالى : (( قل هل أنبؤكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت )) ( ٢ ) وهؤلاء وقعوا في هذه المطبات كلها مع وجود العلم ولكن اختلفوا .

(( قل هل أنبؤكم بشر من ذلك )) ، قل : **يا محمد هل أخبركم بشر جزاء عند الله سبحانه وتعالى ؟ ، هل أنبؤكم بشر من ذلك مثوبة ؟** أي ثواباً عند الله ، من لعنه الله : طرده وغضب عليه ، طرد وغضب وجعل منهم القردة مفردة قرد ذاك الحيوان الذي يشبه بني آدم في غاية من القبح وذكر في القرآن على وجه الدم ، والخنازير مسخ بنو إسرائيل إلى قردة وخنازير ذاك الحيوان القذر النجس الرجس الذي هو نجس كله ، خنزير فلا يمر إلا على الجيف والقمامات يقمها (( وعبد الطاغوت )) هذه في حق اليهود حصل لهم هذه كلها مع وجود الكتاب الذي بين أيديهم ثم ثلث بآية ثالثة :

(( قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً )) ( ٣ ) هذا إخبار عن الحكام في زمن أصحاب الكهف حينما رجع أولئك الناس بعد أن ذهبوا إلى المدينة فاشتروا الطعام ثم بعد ذلك رجعوا من المدينة وانكشف حالهم فماتوا قال بعض الحكام : (( لنتخذن عليهم مسجداً )) واتخاذ المساجد . بارك الله فيكم . من سنن اليهود والنصارى قال النبي صلى الله عليه وسلم : { أولئك شرار الخلق عند الله إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور } ( ٤ ) أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

١ - النساء ( ٥١ ) .

٢ - النساء ( ٥١ ) .

٣ - النساء ( ٥١ ) .

٤ - البخاري ( ٤٢٤ ) ومسلم ( ٥٢٨ ) .

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه } قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : { فمن ؟ } أخرجاه ( ١ ) .

وعن أبي سعيد ، وهو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ } أخرجاه .

لتبعن سنن : أي طرق ، من كان قبلكم : أي اليهود والنصارى ، حذو القذة : المراد بالقذة ريشة السهم وذلك من أجل أن تكون ميلاً واحداً ففي الحديث إخبار على شدة المتابعة والموافقة لليهود والنصارى قال : { حتى لو دخلوا جحر ضب } أي مكاناً ضيقاً تدخلونه وهذا هو الحاصل الآن فوجه مناسبة الثلاث الآيات للباب لا يتبين إلا بورود حديث أبي سعيد : { لتبعن سنن من كان قبلكم } فهؤلاء اليهود والنصارى رغم وجود العلم والعلماء والرسول والأنبياء إلا أنهم وقعوا في الكفر والشرك ، عبدوا غير الله ، سجدوا لغير الله ، ألوهوا غير الله ، أشركوا بالله ، لخبطوا عقيدتهم ، عقائد في غاية من القبح مشتتة عندهم من الاختلافات ما الله به عليم مع وجود الكتاب فإن كان هذا قد وجد في أمة اليهود والنصارى رغم كثرة أنبيائهم وعلمائهم والنبي صلى الله عليه وسلم أثبت لهذه الأمة متابعة هاتين الأمتين فلا بد أن يكون خبر النبي صلى الله عليه وسلم حقاً وصدقاً وأمرأ واقعاً فكما أن هؤلاء عندهم كتاب ومع ذلك يؤمنون بالجبت والطاغوت فكذا لابد أن يحصل في هذه الأمة وقد حصل لقد كان الشرك حاصل قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك أيضاً بعد موته صلى الله عليه وسلم إلى زمن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كان يوجد القباب والأضرحة والذبح لغير الله وهنا أيضاً موجود هناك من يذبح للجن من يذبح لابن علوان من يذبح للخمسة من يذبح . بارك الله فيكم . ذبائح وعقائر لغير الله ما أنزل الله بها من سلطان فهذا من الشرك بهذا القدر نكتفي وللحديث بقية علنا نكملة في يوم غد وصلى الله على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - البخاري (٦٨٨٩) ومسلم (٢٦٦٩) بنحوه .

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقتها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنني أعطيت لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً } ( ١ ) .

ورواه البرقاني في صحيحه وزاد : { وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى } ( ٢ ) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : وهي أهمها : ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت ؟ هل هو اعتقاد قلب ؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها .

الخامسة : قولهم : أن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدي سبيلاً من المؤمنين .

السادسة : وهي المقصود بالترجمة : أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة .

الثامنة : العجب العجيب خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين ، وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حق وأن القرآن حق وفيه أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة .

<sup>١</sup> - مسلم ( ٢٨٨٩ ) .

<sup>٢</sup> - صحيح : أبو داود ( ٤٢٥٢ ) وأحمد ( ٢٢٤٤٨ ) انظر حديث رقم : ١٧٧٣ في صحيح الجامع .



العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قتلهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيهن من الآيات العظيمة منها :

- إخباره صلى الله عليه وسلم بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال .
- وإخباره بأنه أعطي الكنزين .
- وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين .
- وإخباره بأنه منع الثالثة .
- وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع .
- وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة .
- وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة .

وكل هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول .

الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

ولمسلم عن ثوبان .

وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنه . وهذا اصطلاح اصطلاح عليه العلماء على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يقال عنهم رضي الله عنهم إستدلالاً بالآية المباركة (( رضي الله عنهم ورضوا عنه )) ( ١ ) وإلا فهو دعاء قد يستخدم لغير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تقول : رضي الله عن زيد وعمرو وعلي وغيره من الناس إلى قيام الساعة .

يروى ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله زوى لي الأرض } وكسرت همزة إن هنا لأنها جاءت بعد فعل القول { فرأيت مشارقها ومغاربها } للعلماء قولان اثنان في تفسير هذه اللفظة :

**القول الأول :** أن الله سبحانه وتعالى أمد النبي صلى الله عليه وسلم بقوة في بصره حتى نظر إلى الأرض كلها شرقها وغربها .

**القول الثاني :** أن الله سبحانه وتعالى جمع الأرض كلها حتى تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من النظر إلى الأرض كلها والأقرب هو القول الثاني ، وجائز أن يكون القول الأول أيضاً والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير .

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

<sup>١</sup> - التوبة ( ١٠٠ ) .

يقول سبحانه : (( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين )) ( ١ ) هذا أمر ، أضف إلى ذلك أن هذا أمر من أمور الغيب لا ندري كيف زوى الله الأرض للنبي صلى الله عليه وسلم فوجب علينا الإيمان والاعتقاد والتسليم (( إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا )) ( ٢ ) وقال تعالى : (( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً )) ( ٣ ) أمر هنا نكرة في سياق النفي تفيد الإطلاق فهذا من علوم الغيب الواجب على المسلم أن يستسلم لها لأن الذي أخبر هو الله قال ربنا : (( ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب )) ( ٤ ) فهذا من أمور الغيب وأمور الغيب لا ينبغي أن يستشكلها المسلم لا تدخل الإيرادات والإستشكالات على أمور الغيب وإنما وجب عليك التسليم والقبول والرضى ، ومن أمور الغيب ما جاء في مسألة الإسراء : (( سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى )) ( ٥ ) فقد جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح في مكة وهو يحدث القوم أنه قد ذهب إلى بيت المقدس وإلى السماوات العلى ثم عاد إلى مكة وأصبح كواحد بائ نائم في مكة ، فلما أخبروا أبا بكر قال : أصدقه على ذلك ، فسمي الصديق والمرجعون استغربوا فقال بعض أذكياهم وكان قد رحل إلى أرض الشام في مدة شهر قالوا : سلوه ينعت لكم المسجد أي يصف فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن ينعت لهم المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { فوقفت أمام الحجر فجلى لي الله المسجد الأقصى كأنني أنظر إليه فأنعته للناس } ( ٦ ) فقال القوم : أما النعت فصحيح ولكن المسافة شهر فهذا من أمور الغيب وهكذا ما يتعلق بعذاب القبر ، منكر ونكير وما يحصل من السؤالات ، يقول أهل العلم : عذاب القبر حق ثابت في الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل عليك أن تؤمن بعذاب القبر جملة ، وهكذا حديث أم سلمة أو صفية أنها زارت النبي صلى الله عليه وسلم إلى معتكفه ليلاً في رمضان . صفية . وكان بيتها في بيت أسامة بعيد فقام النبي صلى الله عليه وسلم ليقلبها أي يعيدها إلى هناك فوجد رجلين من الأنصار فأسرعا قال النبي صلى الله عليه وسلم : { على رسلكما . توقفا . } الموضع موضع ربية رسول الله معتكف **إيش خرجه في الليل ؟** ربما حصلت تساؤلات ويقول أحد العلماء : أنا لا ألوم من اتهمني بريبة ولكن ألوم نفسي حينما جعلتها في موطن ربية وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { وإياك وما يعتذر منه } ( ٧ ) يعني لا تذهب تجلس بباب سينما وبعدين يقول واحد : رأيتك بباب السينما ، تقول : لا والله أنا كنت هناك أنا كنت أنتظر كذا أنا كنت أشتري شيئاً **إيش جلسك هناك ؟** ما في داعي فأنأ بنفسك وعلى الآخر أن يحسن الظن أيضاً فالنبي صلى الله عليه وسلم قال : { على رسلكما } قالوا : **أمنك يا رسول الله ؟ أمنك ؟** قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إنها صفية وإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شيئاً أو شراً } ( ٨ ) وإذا قذف الشيطان في قلوبهما شيئاً أو شراً أصيبا بالكفر بعد الإسلام لأنه اتهام للرسول صلى الله عليه وسلم قال :

١ - الأنعام ( ٥٩ ) .

٢ - النور ( ٥١ ) .

٣ - الأحزاب ( ٣٦ ) .

٤ - البقرة ( ١ - ٣ ) .

٥ - الإسراء ( ١ ) .

٦ - البخاري ( ٤٤٣٣ ) .

٧ - حسن لغیره : الطبراني في الكبير ( ٣١٢ ) وانظر صحيح الترغيب والترهيب ( ٣٣٥٠ ) .

٨ - البخاري ( ١٩٣٣ ) ومسلم ( ٢١٧٥ ) .

{ لا إنها صفة } فصار الآن مثال من أراد أن يدفع الشبهات عن نفسه يقول : من باب أنها صفة ، من شأن يدفع عن نفسه الشبهة وعلى الذي قيل له أن يستسلم كما استسلم الصحابة ، لكن بعض الناس وإن اعتذرت له بصفة وعائشة وخديجة الكبرى ما هو مستعد أن يتنازل ويصر على رأيه على حد قول القائل : عنز ولو طارت نساء الله السلامة والعافية فهذه من أمور الغيب ، قال عليه الصلاة والسلام : { إن الشيطان يجري } إثبات لجريان الشيطان ، وهل نحس به ؟ لا نحس به ، أنظر مثلاً الآن في هذا الجهاز كهرباء لو جئنا الآن بمهندس يجد هنا كهرباء نحن نؤمن بهذا أو لا نؤمن على أننا لا نشاهده وهذه الكهرباء هي عبارة عن طاقة عظيمة ، الأمر الغالب أن من مسكته الكهرباء مات **صح وإلا لا ؟** فهذه عبارة عن طاقة ضخمة تأتي عبر أسلاك من مكان بعيد تمشي هكذا والناس لا يرونها وهي تمشي توزع طاقات إلى جميع المحافظات في جميع العالم ، كهرباء ونحن نؤمن بذلك على أننا لا نراها وكذلك نؤمن بحركات الجن ولا نراهم ونؤمن بذلك ونؤمن بالريح ولا نراه فهذا من أمور الغيب فبيننا صلى الله عليه وسلم يقول : { إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارق الأرض ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها } إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم أن ملك أمتي سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها **وهل حصل هذا ؟** نعم حصل ، إن الله سبحانه وتعالى كما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر هذه الأمة حصل هذا .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، قوله : { وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها } قال القرطبي : هذا الخبر وجد مخبره كما قال وكان ذلك من دلائل نبوته وذلك أن ملك أمتي اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة وهذا من جهة الغرب ، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان وهذا من جهة الشرق وكثير من بلاد السند والهند ، والصعد ، ولم يتسع ذلك من جهة الجنوب والشمال وذلك لم يذكره عليه الصلاة والسلام لأنه قال :

{ فرأيت مشارقها ومغاربها } هذا أمر واقع فقد حصلت الفتوحات زمن عمر وعثمان والدولة الأموية والدولة العباسية وانتشر الإسلام في بلاد العالم وهذا كله ما بشر به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقول : { وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض } فيه تعريض إلى ملك كسرى وقيصر فإن هاتين الإمبراطوريتين الدولتين العظيمتين سقطتا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وأنفقت أموالهما في سبيل الله وغنم من ذلك المسلمون الغنائم الكبرى .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : قوله : { وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض } قال القرطبي : يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما وقد قال صلى الله عليه وسلم : { والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله } ( ١ ) وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان جوهر الفضة ووجد ذلك في خلافة عمر فإنه سبق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها ، وكذلك فعل الله بقيصر .

والأبيض والأحمر ، قال : منصوبان على البديل بدل كل من كل ، ثم قال صلى الله عليه وسلم :

<sup>١</sup> - البخاري (٢٩٥٢) ومسلم (٢٩١٨) .

{ وإنني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة { والسنة العامة : الجذب والزلازل والإغراق والإحراق التام ، أن لا يهلكها بشيء من ذلك وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، البيضة المراد بها الساحة أو البلد { وإن ربي قال : يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد { والمراد بالقضاء هاهنا : القضاء الكوني لأن القضاء الشرعي قد يقع وقد لا يقع بخلاف القضاء الكوني فإنه واجب الوقوع كما هو معروف لديكم ، { قال : يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإنني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها { سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن لا يهلك الأمة بسنة عامة وهذا من شفقتة ورحمته بالأمة ، { وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم { يعني من اليهود والنصارى من الكفار والمراد بذلك أن لا يكون استئصال لهذه الأمة من قبل اليهود والنصارى ، من غير ذلك ، وقوله :

{ وإنني سألت ربي لأمتي { المراد بالأمة هنا : أمة الإجابة لا أمة الدعوة هنا وقد حصل لهذه الأمة من الولايات والمصائب الكبرى ما يندى له الجبين كدخول المغول مثلاً أو التتار ، فقد ذكر ابن الأثير في أحداث ستمائة وسبعة وستين قال فيما ذكره : وإنني كنت عازفاً عن ذكر مثل هذه الأخبار حتى لا أكون متذكراً لها ولكن أبى بعض الأصدقاء من إخواني إلا أن أكتب فكتبت وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وهو ما حصل للمسلمين من قبل التتار المغول ، يقال : أنهم قتلوا في يوم واحد خمسمائة عالم في بغداد ناهيك عن عامة الناس بالآلاف نسأل الله السلامة والعافية حتى قال : ليتني لم أكتب ليت أمتي لم تلدني . الله المستعان .

فهذا بارك الله فيكم هو الواقع لكن حصل ما يندى له الجبين وهو قوله : { حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً { يعني يحصل القتل والقتال فيما بينهم نسأل الله السلامة والعافية .

قال : رواه البرقاني في صحيحه ، وباء البرقاني مثلثة وهو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي من العلماء الكبار وله مستخرج على صحيح مسلم ، وزاد { وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين { والمراد بالأئمة أمة الإجابة والمراد بالأئمة الأئمة تعرفون ينقسمون إلى قسمين : أئمة هدى وأئمة ضلالة قال الله : (( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا )) ( ١ ) ويقول عن الآخرين : (( وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار )) ( ٢ ) نسأل الله السلامة ، إمام خير و إمام شر والمراد بالأئمة المضلين من له أتباع يدخل في ذلك العلماء والأمرء والحكام والعباد أيضاً لأن العابد هو إمام له من يتابعه وسمي الإمام إماماً لأن له من يأخذ بأقواله وأفعاله ، { وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين { ثم قال : { وإذا وقع السيف عليهم لن يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي . يعني قبيلة . من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فنام من أمتي الأوثان { هذا دليل على إثبات الشرك نسأل الله السلامة والعافية وهذا الحديث عند أبي داود وغيره وجاء ما هو أصح من هذا في البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة { ( ٣ ) والمراد بالإلية العجيزة عجيزة الرجل أو المرأة فيقول إليات نساء دوس ، طوفان على صنم بذي الخلصة ، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية .

١ - السجدة ( ٢٤ ) .

٢ - القصص ( ٤١ ) .

٣ - البخاري ( ٦٦٩٩ ) ومسلم ( ٢٩٠٦ ) .

هنا كلام للعلامة ابن القيم في قصة هدم اللات قال : لما أسلمت ثقيف فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً وكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور والتي اتخذوها أوثاناً تعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة أو أعظم شركاً عندها وبها فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وغلب الشرك على أكثر النفوس بظهور الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين هذا موطن الشاهد ثم واصل حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : { وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي } والحاصل أنه قد خرج أكثر من ثلاثين كما نقل هذا السيد صديق حسن خان في كتابه : الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة عد فيه أولئك الدجالين إلى زمنه وعد منهم الدجال الإفرنجي الخبيث هذا ميرزا غلام أحمد القدياني الذي كان بأمر من النصارى هي التي أمدته بالمال وهيأت له من أجل أن يخرب عقائد المسلمين ، الخبيث غلام أحمد القدياني الهندي قبحه الله وأخزاه ومن اتبعه على كفره فإنه ما قام بفتنة وادعى المهدوية ثم النبوة إلا بإيعاز ومساعدة دولة نصرانية سياستها التفريق لجماعة المسلمين .

قال القاضي عياض : عد من تنبأ من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلاله فوجد هذا العدد فيهم ، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا لكن الواقع أنهم أكثر من ثلاثين قال بعض أهل العلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم عني بالثلاثين هم الذين يكون لهم شوكة وأتباع وأنصار وجماعة بخلاف الذي يظهر ثم يسجن أو يقتل سريعاً فتعرفون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر الأسود العنسي وقتله أهل صنعاء بتأمر من أخته جزاها الله خيراً فصاح صيحة مدوية قال لها الحرس : **ما هذا ؟** قالت : هو الآن يوحى إليه وهي قد تواطأت مع بعض الناس ، قتلوه والحمد لله رب العالمين ، ثم في خلافة أبي بكر ظهر مسيلمة الكذاب وقتل في خلافة أبي بكر وقد جهز له أبو بكر جنود يامارة خالد بن الوليد ويقال : قتل وحشي قاتل حمزة وقيل : رجل من الأنصار وظهر في خلافة أبي بكر أيضاً طليحة الأسدي في بني أسد وظهرت سجاح وقيل : أنها تابت وأسلمت قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم تنشأ دعوته عن جنون أو سوداء مرض يحصل فيدعي النبوة .

حصل في زمن المأمون أن رجلاً ادعى النبوة ثم سجن بعد الفجر مباشرة يعني بدأت نبوته من الليل وما جاء بعد الفجر إلا وهو في السجن ثم بعد ثلاثة أيام قال له المأمون : ما من نبي إلا بعثه الله إلى قوم **فإلى من بعثت أنت ؟** قال : **وهل تركتموني أبعث ؟** أول ما بعثت سجنتموني .

وظهر رجل آخر في زمن المأمون كثروا يا إخوان حتى أن بعضهم كان إذا جاء وتأخر في الباب في باب الأمير ادعى النبوة فيقدمونه كما حصل لبعضهم دخلوه قالوا : **أدعي النبوة ؟** قال : لا والله ما ادعيت النبوة وإنما ما كنت سأصل إليك من الزحام فلما فعلت هذا قدموني على الناس كلهم ، شيطان .

هذا الرجل ادعى النبوة فقال لهم المأمون : اسجنوه ثلاثة أيام وأطعموه خبز وبيض ودجاج فالرجل تنعم جلس ثلاثة أيام يأكل ويشرب وبعد الثلاثة الأيام قال له الأمير : **هل أوحى إليك بشيء جديد ؟** قال : الليلة هذه أوحى إلي أنني ألزم هذه الغرفة فعرفوا أنه مجنون عرفوا أنه يريد أن يتنعم فتركوه .

وفي أيام المأمون أيضاً ظهر رجل يدعي النبوة فقال له الأمير : ما من نبي إلا وله معجزة **فما معجزتك ؟** قال : ما شئت قال معجزة نوح قال : **وما هي ؟** يعني جاهل ما هو داري كيف الأنبياء ، قال : تصنع سفينة وتمشي بها في غير البحر ويرسل الله الأمطار ويخزل أعداءك ، قال : لا هذه لا ، قالوا له : طيب فمعجزة إبراهيم ، قال : **فما هي ؟** قالوا : نجمع لك حطباً ونحرقك والنار لا تضرك قال : لا هذه ثقيلة شوية ، قالوا : فمعجزة موسى ، قال : **وما هي ؟** قالوا : يكون معك عصا تنقلب ثعبان وتدخل يدك في جيبك فتخرج بيضاء من غير سوء ، قال : لا ما يريد هذه كبيرة ، شوفوا واحدة غيرها وقد كان في قلبه على الوزير شيء قال : فمعجزة عيسى ، قال : **وما هي ؟** قال له : تحي الموتى وتبرئ الأكمه والأبرص قال : نعم هذه أنا أحيي الموتى ، **كيف ؟** قال : أنا أقطع رأس الوزير الفلاني وأعيده من جديد فانفض الوزير وقام وقال : لا أنا أشهد أنك نبي ، يعني سيضحي بالرجال سيقطع رأسه أعوذ بالله سيمسح رأسه وبعد **كيف يستطيع يركبه ؟**

وفي هذا الزمان أنا سمعت شريطاً للشيخ الألباني مناقشة لمدعي الرسالة هذا يقول : إنه رسول وليس نبي قال : لأن الله يقول : (( وخاتم النبيين )) ( ١ ) ما قال : وخاتم المرسلين مع أنه ما من رسالة إلا بنبوة فكان ينحل بالأحاديث والآيات القرآنية وأخبرنا أخونا بشير المصعبي بأنه كان يفعل فكان الشيخ الألباني يقول له : أنت نبي ولا بد أن يكون قلبك واسع يعني صار العالم ينصح هذا النبي الذي يدعي النبوة أراد واحد أن يصحح له بعض الألفاظ قال الشيخ الألباني : دعه هو يلحن في الآيات .

وادعى رجل النبوة في أمريكا فاتصل به أحد المسلمين يهزؤه فقال : من معنا فقال : أنت الذي تدعي أنك نبي ، قال : نعم ، قال : معك جبريل على الخط .

فالكذابون والدجالون هم أكثر ونحن نؤمن أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وخاتم النبيين والمرسلين بدلالة الآية : (( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين )) ( ٢ ) والخاتم هو الذي يختم به الشيء فلا كلام بعد الختم رفعت الأعلام وجفت الصحف ، خلاص انتهى .

وحديث أنس عند ابن ماجة قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول ولم يبق من النبوة إلا المبشرات ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة } ( ٣ ) فنحن نؤمن بهذا ونكفر بكل من ادعى نبوة بعد نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : { كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى } وقد سبق التنبيه على هذا وهو أن المراد بمكوث هذه الأمة على الحق إلى قرب قيام الساعة لأن الساعة الكبرى لا تقوم إلا على شرار الخلق وفي هذا الحديث دلالة على أفضلية هذه الأمة وبعضهم

<sup>١</sup> - الأحزاب ( ٤٠ ) .

<sup>٢</sup> - الأحزاب ( ٤٠ ) .

<sup>٣</sup> - صحيح : الترمذي ( ٢٢٧٢ ) وأحمد ( ١٣٨٥١ ) والحاكم ( ٨١٧٨ ) وغيرهم وانظر حديث رقم : ١٦٣١ في صحيح الجامع .

استنبط كما هو قول القرطبي من هذا الحديث قوة مستند الإجماع وأنه حجة لكن كما تقدم بأن الإجماع المنضبط هو ما كان عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كما ذكر ذلك ابن تيمية وكثير من أهل العلم رد الإجماع قال : من ادعى الإجماع فقد أخطأ وقد كذب وهو قول أحمد والشافعي .

والإجماع الذي يضل صاحبُه أو يكفر مخالفه هو الذي يكون في أمر معلوم من الدين بالضرورة يعني من قال بعدم فرضية صلاة الظهر يكفر لأنه وقع الإجماع على هذه الصلاة . لكن من رد حديثاً وصل به اجتهاده إلى أنه لا يقوله النبي صلى الله عليه وسلم أو مسألة من المسائل الفقهية التي حارت فيها آراء العلماء وعقول العلماء فهذا مما يستسمح فيه ويغفر فيه و لا يقال عن صاحبه بأنه قد كفر أو أنه خرق إجماع الأمة هذا . بارك الله فيكم . ما أردت أن أبينه أسأل الله تعالى بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم حماة للتوحيد وأن يجعلنا مجاهدين للشرك والمشركين إلى أن يأتي أمر الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



## باب ما جاء في السحر

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله :

## باب ما جاء في السحر

ما جاء أي ما ورد من الأدلة من أدلة القرآن والسنة في باب السحر .

السحر في اللغة : عبارة عما خفي ولطف سببه هذا من حيث التعريف اللغوي ومنه سمي السحر لآخر الليل يسمى أيضا سحر كما قال تعالى : (( إلا آل لوط نجيناهم بسحر )) ( ١ ) لأنه يكون في خفية هذا من حيث التعريف اللغوي فكل شيء خاف فيسمى سحراً .

أما تعريفه الشرعي فهو على قسمين :

**القسم الأول :** عبارة عن عقد ورقي وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور بغض النظر عن كونه يضره أو لا يضره فالله جل وعلا يقول : (( وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله )) ( ٢ ) هذا هو القسم الأول من السحر .

**وأما القسم الثاني :** فهو عبارة عن أدوية وعقاقير يتوصل بها الساحر إلى ميل عقل المسحور ولهذا وذاك قسم العلماء السحر إلى قسمين :

عطف وصرف ، فالصرف يصرفون به الرجل أو المرأة عن أعز أحبابه ، والعطف يجعلونه يعطف ويعطف على أشد أعدائه . عياداً بالله . ولكن هذه كلها ليست حاصلة إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى كما قال الله : (( وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله )) ( ٣ ) وكما قال الله سبحانه وتعالى : (( قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا )) ( ٤ ) وكما قال نبينا صلى الله عليه وسلم : { ما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه } ( ٥ ) ، وقوله عليه الصلاة والسلام :

١ - القمر ( ٣٤ ) .

٢ - البقرة ( ١٠٢ ) .

٣ - البقرة ( ١٠٢ ) .

٤ - التوبة ( ٥١ ) .

٥ - صحيح : أحمد ( ٢٧٥٣٠ ) والبيهقي في الشعب ( ٢١٥ ) انظر حديث رقم : ٢١٥٠ في صحيح الجامع .

{ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك } ( ١ ) فالمصير في ذلك كله إلى ربنا سبحانه وتعالى ، إذن عرفنا أيها الأخوة تعريف السحر لغة واصطلاحاً أو شرعاً .

### بقي علينا ما حكم السحر ؟ وبم يحكم على الساحر ؟

إن كان في هذا السحر استخدام للشياطين فيكون هذا الساحر كافر **لماذا ؟**

لأنه استخدم هؤلاء الشياطين لقضاء أغراضه أما إن كان من النوع الثاني الذي هو عبارة عن أدوية وعقاقير فيكون من العدوان ومن الفسق ، يكون فاسقاً وعاصياً أما حكم الساحر في كلا الحالتين القتل كما سوف يأتي إن كان من الصنف الأول فيقتل ردة لأنه كافر وإن كان من القسم الثاني فيقتل حداً منزلياً إياه منزلة الصائل دفعاً لعدوانه وضرره وشره على المسلمين **لماذا ؟** لأنه يضر بأولياء الله والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { لا ضرر ولا ضرار } ( ٢ ) هذا أمر من الأهمية بمكان ، والسحر تعرفون أنه أحد نواقض الإسلام والله سبحانه وتعالى يقول : (( واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون )) ( ٣ ) ويقول سبحانه : (( ولا يفلح الساحر حيث أتى )) ( ٤ ) ويقول سبحانه : (( ولا يفلح الساحرون )) ( ٥ ) فالسحر أمر خطير في منتهى الخطورة وهو إنما هو من حيل اليهود وعبداء النيران من الصابئة والمجوس والمجوس يستخدمونه للإضرار بالآخرين أما المسلمون فهم بعيدون من ذلك كل البعد وهنا سؤال :

### ما فائدة إيراد هذا الباب ؟ أعني باب السحر في كتاب التوحيد ، ما وجه ذلك وما الفائدة ؟

الجواب على هذا أن السحر قد يكون فيه الاستعانة بالجن كما تقدم والشياطين فيفضي هذا بالساحر إلى الكفر والعياذ بالله والله سبحانه وتعالى يقول : (( وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً )) ( ٦ ) ويقول سبحانه : (( هل أتيتكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقيون السمع وأكثرهم كاذبون )) ( ٧ ) ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

(( يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون )) ( ٨ ) فكان لزاماً على كل من تكلم في باب التوحيد أن يذكر باب السحر لأن له صلة في أن يكون العبد الموحد بعيداً كل البعد من هذا الباب من باب السحر و أن يعلق العبد ضرره ونفعه بالله سبحانه وتعالى وأن لا يلجأ إلى الجن استعانة واستعاذة وهكذا على غير الساحر أن يعتصم بحبل الله سبحانه وتعالى (( ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم )) ( ٩ ) ،

١ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .

٢ - صحيح : مالك ( ١٤٢٩ ) وأحمد ( ٢٨٦٧ ) والدارقطني ( ٢٨٨ ) والطبراني في الكبير ( ١٣٨٧ ) وانظر السلسلة الصحيحة برقم ( ٢٥٠ ) .

٣ - البقرة ( ١٠٢ )

٤ - طه ( ٦٩ ) .

٥ - يونس ( ٧٧ ) .

٦ - الجن ( ٦ ) .

٧ - الشعراء ( ٢٢١ - ٢٢٣ ) .

٨ - الأنعام ( ١١٢ ) .

٩ - آل عمران ( ١٠١ ) .

فالزم يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان

فإذا تاب الساحر توبة نصوحاً ورأى الحاكم أنه من المصلحة عدم قتله فلا بأس أما إذا كان يكذب بهذه التوبة فإنه إن كانت قد جربت عليه فلا ينبغي أن يمهل بل لا بد أن يسارع إلى قتله لأن ضرره على المسلمين كثير .

**وقول الله تعالى : (( ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق )) ( ١ ) .**

ثم بعد ذلك يقول المؤلف رحمه الله : وقول الله تعالى :

(( ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق )) ،

الضمير في قوله : (( علموا )) هو ضمير الفاعل يعود على متعلمي السحر وهذه الآية : (( واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا )) سليمان موحد (( فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خربت بيت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين )) ( ٢ ) لو كان الجن الجن يعلمون الغيب لأدركوا أن سليمان ميت سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كان يظل متكئاً أو جالساً على أريكة على كرسي يلاحظ العمال من الجن والإنس كما في القرآن (( كل بناء وغواص )) ( ٣ ) بينون ويشيدون ملك عظيم فقبض فقبض الله روحه ويده العصي وهو هكذا مات الجن يعملون بكل دقة وانتباه و كل نشاط وجدية يظنون سليمان حي هذا دليل على أن الجن لا يعلمون الغيب . نعوذ بالله من الجن والشياطين . جاءت دابة الأرض التي تسمى الأرضة أكلت العصي وتعرفون الأرضة كم تأكل الأرضة ما هي جمل ولا ثعبان جاءت تأكل هذه العصي فلما أكلت العصي ضعفت وخر سليمان : (( فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر )) أي سقط (( تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين )) شغالين عذاب مهين مهانين بالشغل والكد ليل و نهار يظنون سليمان حي وهو قد مات الجن لا يعلمون الغيب فيقول الله : (( واتبعوا )) أي السحرة (( ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين )) هنا ما (( وما أنزل )) اختلفت فيها آراء العلماء فبعض العلماء من يقول : ما هاهنا نافية يعني ما هناك شيء أنزل على الملكين بمعنى ما حصل شيء من هذه القصة وبعضهم يقول : وهو الصحيح : أن ما هاهنا موصولية (( واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل )) أي والذي أنزل على الملكين ببابل وهي منطقة في العراق ، هاروت وماروت ملكان كانا ابتلاءً واختباراً للناس

<sup>١</sup> - البقرة ( ١٠٢ )

<sup>٢</sup> - سبأ ( ١٤ ) .

<sup>٣</sup> - ص ( ٣٧ ) .

(( وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر )) بمعنى إذا كفر علموه وإلا ما علموه حال هذين الملكين الذين أنزلا فتنة للناس حال ذلكم الملك الذي جاء للأقرع والأبرص والأعمى فقال للأقرع : **ماذا تريد ؟** قال : شعر حسن ، قال : **وماذا تريد ؟** فقال : إبل ، فأعطي ناقة عشراء ثم صار له واد من إبل وجاء إلى الأبرص فقال : **ماذا تريد ؟** فقال : قدزني الناس أريد من الله أن يرد علي جلدي جلداً حسناً ولوناً حسناً فدعا الله له فاستجاب الله الدعوة فأعطاه جلداً حسن ولوناً حسناً ثم أعطاه بقرة فكان عنده واديا من أبقار ثم جاء إلى الأعمى فقال : **ماذا تريد ؟** قال : أن يرد الله علي بصري فدعا الله له فرد عليه بصره كانوا الثلاثة فقراء في غاية الفقر وأعطى هذا شاة حتى صار له واد من غنم عاد الملك بصورة الأقرع الفقير يقول للأقرع الذي قد صار غنياً قال له : أريد بغيراً أتبلغ به في سفري هذا ملك ابتلاء قال : الحقوق كثيرة ولا أستطيع قال : **ألم تكن أقرع ألم تكن فقير ؟** قال : لا هذا مالي ورثته كابرأ عن كابر قال الملك : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت فعاد أقرعاً فقيراً وهكذا شأن المدبر ، مدبر لأنه كما قلت لكم النعمة إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت فانظروا إلى هذا المدبر يعني بغير واحد بس ما وفقه الله ثم ذهب إلى الأبرص قال له : بقرة أتبلغ بها في سبيل سييلي قال : الحقوق كثيرة قال : **ألم تكن أبرص يقدرك الناس ؟** قال : لا ورثته كابرأ عن كابر قال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت فعاد أبرص وسلبت منه الأبقار وأمسى وأمسى الملك الله أخذت عليه النعمة نسأل الله السلامة ثم ذهب إلى الأعمى بصورة أعمى قال له : أريد شاة أتبلغ بها في سفري أنا ابن سبيل ابتلاء والحديث في الصحيحين قال : خذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله عز وجل فقد كنت فقيراً أغواني الله وأعمى رد الله علي بصري فقال له الملك : أمسك عليك مالك الملك لا يأكل ولا يشرب الملائكة مخلوقات نورانية خلقها الله من نور حديث عائشة { خلق الله الملائكة من نور والشيطان من مارج من نار وآدم مما وصف لكم } ( ١ ) قال الملك : أمسك عليك مالك فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك ( ٢ ) ابتلاء واختباراً ويستفاد من هذا أن الشخص لا يغتر بالنعمة انتبه إياك والغرور إياك إذا أعطاك الله علماً أو مالاً أن تزدرى بالجهال أو بالفقراء انتبه فإنما ابتلاء واختبار فإذا أنت غررت سلبت منك هذه النعمة والله المستعان ، فالقول الصحيح من أقوال أهل العلم أن هذين الملكين فتنة ، ابتلاء واختبار وهناك قول ثالث لبعض المفسرين فيجعلون في الآية تقديم وتأخير ولا نحتاج إلى هذا فتبقى الآية على ما ذكرها الله (( واتبعوا ما تتلوا الشياطين )) أي السحرة (( ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق )) على أنه لا ينبغي لمن قرأ تفسير الآية أن يعير تلك القصص الإسرائيلية اهتماماً فهم يذكرون الزهري وأنها كانت امرأة فائقة الجمال وأنها جاءت إلى هذين الملكين فخيرتهم بين قتل ولد و الفجور بها و شرب الخمر فاختارا شرب الخمر فقتلا الولد وزنيا بها ثم بعد ذلك مسخت هذه النجمة الزهري ثم بعد ذلك قيل لهذين الملكين : **أتوافقان على عذاب الدنيا أم على عذاب الآخرة ؟** فقالا : لا على عذاب الدنيا فهما الآن منكسين على رؤوسهما في بئر هناك في بابل وإن دخان الدنيا كله يدخل من مناخرهم ويخرج من أديبارهم ، هذا كلام غير صحيح لأن هذا من أمور الغيب ولا ينبغي

<sup>١</sup> - مسلم (٢٩٩٦) .  
<sup>٢</sup> - البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (٢٩٦٤) .

أن نتحدث عن علم الغيب إلا بأمر من الله أو من رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أما القصص الإسرائيلية فإنها كثيرة في هذا الباب وأغلب أسانيدھا مظلمة فقد عرفت هذه القصص باستطالتها على الملائكة وعلى الأنبياء والمرسلين وعلى الصحابة عدول هذه الأمة فلا ينبغي أن يعرج على ما في كتب التاريخ ، قال القحطاني الأندلسي رحمه الله :

لا تأخذن من التواريخ كلما جمع الرواة وخط كل بنان

(( ولقد علموا لمن اشتراه )) ومعنى اشتراه أي تعلمه (( ماله في الآخرة من خلاق )) أي أن عمله حابط باطل لا ينتفع بهذا العمل عمله مردود .

وقوله : (( يؤمنون بالجبت والطاغوت )) ( ١ ) .

قال عمر رضي الله عنه : [ الجبت : السحر والطاغوت : الشيطان ] .

وقال جابر رضي الله عنه : [ الطواغيت : كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد ] .

وقوله أي قول الله تعالى :

(( يؤمنون بالجبت والطاغوت )) ( ٢ ) المراد بقوله (( يؤمنون )) يعني بذلك اليهود تؤمن بالجبت أي تصدق والجبت كل صنم أو سحر أو وثن أو كهانة كما تقدم لكم في الدرس السابق والمراد بالطاغوت لغةً : ما تجاوز الحد واصطلاحاً : كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

والعلامة ابن القيم رحمه الله يقول : الطواغيت كثيرة ولكن رؤوسها خمسة :

١. إبليس .

٢. من عبد وهو راض .

٣. من ادعى شيئاً من علم الغيب .

٤. من لم يحكم بما أنزل الله .

٥. من دعا إلى عبادة نفسه .

وقال عمر : الجبت السحر والطاغوت الشيطان ، وقال جابر : كان الطواغيت كهاناً كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد ، والمراد بذلك . بارك الله فيكم . كما تقدم السحر فإنما الشياطين كانت تنزل على مثل هؤلاء وكانوا كثيرين قبل الإسلام وحتى لا يضطرب الكلام بعضه في بعض فهذا القدر إن شاء الله كافٍ فيما يتعلق بتعريف السحر لغةً وشرعاً وكذلك أقسامه وحكم الشرع في تعلمه وكذلك أيضاً فيما يتعلق بالحكم على الساحر وحده وبقيت بعض المسائل سوف تأتي إن شاء الله في درس آخر وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

١ - النساء ( ٥١ ) .

٢ - النساء ( ٥١ ) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { اجتنبوا السبع الموبقات } قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : { الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات } ( ١ ) .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

وعن أبي هريرة ،

أبو هريرة صحابي جليل من أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم اختلف في اسمه على ثلاثين قولاً وهو حافظ الإسلام كان يحفظ من الحديث خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً ، قال أبو هريرة عن نفسه : يقولون أكثر أبو هريرة أكثر أبو هريرة ، ثم رد عن هذا بنفسه فقال : كنت ألزم النبي صلى الله عليه وسلم على ملئ بطني ( ٢ ) وكنت أصرع بين مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وبيته فيصعد الصبيان على صدري يظنونني مجنون وما بي من جنون وإنما هو الجوع . الله المستعان . ذكر لنا شيخنا مقبل رحمه الله : أن بعض علماء الحجاز كان يقول : كان الصحابة يصرعون من الجوع ونحن الآن نصرع من الشبع ، صحيح الأكل يا إخوان والاستمرار عليه يولد أمراضاً بل أمراضاً فتاكة فلذلك شرع الصيام والجري وكذا حتى لا يسبب للإنسان أدواء هذا الصحابي الجليل أعني أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

{ اجتنبوا السبع الموبقات }

لفظة اجتنبوا أبلغ من قول اتركوا لماذا ؟

لأن الاجتناب معناه أن تكون في جانب والمنهي عنه في جانب آخر مثل قوله سبحانه : (( إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون )) ( ٣ ) فيلزم من لفظة اجتنبوا البعد التام عنه وعن وسائلها ويستفاد من الحديث أيضاً حرص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على هذه الأمة ففيه معنى قوله سبحانه وتعالى : (( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم )) ( ٤ ) ما عنتم أي عنتكم يعني

١ - البخاري (٢٦١٥) ومسلم (٨٩) .

٢ - البخاري (١٩٤٢) ومسلم (٢٤٩٢) .

٣ - المائدة (٩٠) .

٤ - التوبة (١٢٨) .

يشق عليه أن تلتطخوا بالذنوب والمعاصي ويعز ويشق عليه أن تدخلوا النار ووقائع كثيرة من ضمنها قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : { أمتي أمتي } ( ١ ) في الدنيا والآخرة في الدنيا بكى أرسل الله جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم يسأله **ما الذي يبكيه وهو أعلم ؟** قال : { أمتي } قال : ( عد إليه وقل له : إنا سنرضيك في أمتك ) ( ٢ ) ويوم القيامة يقول الله تعالى : ( يا محمد إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع ) يقول : { رب أمتي أمتي } ( ٣ ) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حريص علينا يوم أن نهانا عن اجتناب هذه السبع الموبقات وكل حديث حثك فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على فعل فضيلة ففيه حرص أو نهك عن رذيلة ففيه أيضاً حرص منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه قاعدة .

قال : { اجتنبوا السبع الموبقات } ومعنى الموبقات أي المهلكات وليس في هذا حصر ، لأهل العلم أجوبة بعضهم يقول : على حسب نوعية السائل وبعضهم يقول : لعله ما كان يعلم إلا هذه السبع وبعض أهل العلم يقول : إن العدد لا مفهوم له على أنه جاء عند الطبراني أن ابن عباس سئل عن الكبائر فقال : هي سبع وهي إلى السبعين أو إلى السبعمائة أقرب ، فالكبائر كثيرة جداً ليست محصورة في عدد معين مثل : { سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله } ( ٤ ) وجاءت أحاديث تصرح أن هناك آخرين لم يشملهم هذا الحديث وهكذا منه قول النبي صلى الله عليه وسلم : { أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً } ( ٥ ) وردت بعض العلامات تدل على النفاق مثل : { إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لآتوهما ولو حبواً } ( ٦ ) على أي آية حال ليس في هذا حصر .

قال الصحابة : **ماهن يا رسول الله ؟**

وهذا دليل على حرص الصحابة على العلم والتلقي من النبي صلى الله عليه وسلم وعلى خوفهم من الله عز وجل فإنهم سألوا عنها حتى يحذروها .

قال : { الشرك بالله } ،

وبدأ به النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أكبر الكبائر وأعظم المفاصد على الإطلاق بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك ، والشرك معناه أن تجعل لله نداً وهو خلقك كما جاء من حديث ابن مسعود في صحيح مسلم : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : **أي الذنب أعظم ؟** قال : { أن تجعل لله نداً وهو خلقك } قال : **ثم أي ؟** قال :

{ أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك } قلت : **ثم أي ؟** قال : { أن تزاني حليلة جارك } ( ٧ ) فالشرك من أعظم الذنوب الذنوب قال الله سبحانه وتعالى : (( إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار )) ( ٨ )

١ - البخاري (٦٢١٢) ومسلم (٢٢٩٥) وأحمد (١١٢٣٦) (٢٢٩٢٤) والمعجم الكبير (٦٦١) .  
٢ - مسلم (٢٠٢) .  
٣ - البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٣) (١٩٤) والترمذي (٢٤٣٤) وأحمد (٩٦٢١) وغيرهم .  
٤ - البخاري (١٣٥٧) ومسلم (١٠٣١) .  
٥ - البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨) .  
٦ - البخاري (٦٢٦) ومسلم (٦٥١) .  
٧ - البخاري (٤٢٠٧) ومسلم (٨٦) .  
٨ - المائدة (٧٢) .



( وقال سبحانه في كتابه الكريم : (( إن الله لا يغفر أن يشرك به )) ( ١ ) وقال سبحانه في محكم كتابه وهو يتحدث عن هذا الأمر الخطير : (( لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة )) ( ٢ ) فبدأ الله سبحانه وتعالى بهؤلاء وحكم عليهم بالكفر حينما ادعوا لله سبحانه وتعالى شريكاً معه سواء في الربوبية أو في الألوهية وأحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر في الزجر عن الشرك وطرقه ووسائله منها قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الموجبتين قال :

{ من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار } ( ٣ ) فالشرك كان من أعظم الذنوب لأن فيه انتقاصاً لله سبحانه وتعالى ، هو الذي خلق وهو الذي أعطى كله شيء خلقه ثم هدى وهو الذي أوجدك من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين ثم بعد ذلك تذهب تعبد غيره يقول تبارك وتعالى : { أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه } ( ٤ ) ويقول يوم القيامة للمشركين المرائين : { إذهبوا إلى من كنتم تراؤونهم في الدنيا هل تجدون لهم عندهم من جزاء } ( ٥ ) نسأل الله السلامة والعافية ، فحقيقة هو أكبر الكبائر وهو أخطر الذنوب والمعاصي على الإطلاق والعجيب أن الحديث عن التوحيد وما يضاده من الشرك والكفر صار في عالم المنسيات لا سيما الذين يظهرون في القنوات الفضائية أمام المليارات من الناس فإنهم لا يطرقون هذا الباب يعني كعمرو خالد مثلاً لا يطرق هذا الباب على أنه من أهم المواضيع وليس في الضلال كالجفري فالجفري رجل ضال مضل فهو على عقيدة منحرفة صوفية . عياداً بالله . وهكذا عمر باحفظ أيضاً لا يذكرون هذا الباب وإنما يأتون من باب ما يجعل الناس غير نافرين عنهم يعني حديث الناس يتقبلونه بكل رغبة بخلاف ما لو تكلموا على الشرك وأمروا بالتوحيد تجد من يرد ومن يعترض حتى أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذا الإمام الكبير الداعية المصلح الذي جمع الله عز وجل به الأمة على التوحيد في زمانه يقول : لو دعوت الناس إلى ترك الزنا وإلى مكارم الأخلاق لما عارضني أحد وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا الناس إلى أمور متفق عليها كأن يدعوهم إلى ترك الزنا إلى ترك الكذب إلى أن يتركوا وأد البنات إلى أن يقولوا كلمة الحق ما أحد يعترض عليه لكن إن جاء إليهم بالتوحيد وهي رسالة الأنبياء كلهم (( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )) ( ٦ ) هذا ما يكون سبباً في الخصومة بين أولياء الله وأولياء الشيطان (( هذان خصمان اختصموا في ربهم )) ( ٧ ) تكون خصومة في باب التوحيد خلاف ما لو جئت تتكلم عن السرقة تتكلم عن القتل عن الخمر عن النفاق عن الحسد هذا الناس يحتاجونه والداعية الموفق الذي يريد أن يرضي الله سبحانه وتعالى فلا بد أن تكون دعوته شمولية في هذا و ذاك يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق ويدعوهم إلى التوحيد يحذرهم من الحسد يحذرهم من الشرك يحذرهم من الغيبة والنميمة ومن الخمر ويدعوهم إلى ما دعاهم الله سبحانه وتعالى إليه وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فالله تبارك وتعالى يقول : (( يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة )) ( ٨ ) ومن السلم التوحيد وعدم الإشراك وكل الدين أمر الله تبارك وتعالى به سواء كان عقائد وعبادات أو سلوكيات .

١ - النساء ( ٤٨ ) ، ( ١١٦ ) .

٢ - المائدة ( ٧٣ ) .

٣ - مسلم ( ٩٣ ) .

٤ - مسلم ( ٢٩٨٥ ) .

٥ - صحيح : أحمد ( ٢٣٦٨٠ ) انظر حديث رقم : ١٥٥٥ في صحيح الجامع .

٦ - النحل ( ٣٦ ) .

٧ - الحج ( ١٩ ) .

٨ - البقرة ( ٢٠٨ ) .

قال : أولاً الشرك بالله ، ويكون الشرك في الربوبية كأن يعتقد أن غير الله يخلق أو يرزق أو في الألوهية كأن يصرف شيئاً من العبادة لغير الله أو في الأسماء والصفات كأن يسمي الله غير ما سمي به نفسه أو يوصف بما لا يليق بجلاله وكماله فهذا يعتبر من الشرك .

قال : { والسحر } وهذا في المرتبة الثانية والسحر والشرك قبله من نواقض الإسلام التي تعرفونها والسحر قد تقدم لغة : ما لطف وخفي سببه ،

ومنه سمي آخر الليل سحر لأنه في وقت خفاء (( إلا آل لوط نجيناهم بسحر )) ( ١ ) وأما في الشرع أو في الاصطلاح فهو على قسمين : فإما أن يكون عبارة عن رقى وطلاسم واستخدام الجن للتوصل إلى ذهن المسحور وعقله وتصوره وهذا شرك وكفر باتفاق أهل العلم وإما أن يكون بواسطة عقاير وأدوية وهذا صاحبه يكون فاسقاً على أن أهل العلم كما سوف يأتي في آخر البحث متفقون على أن الساحر يقتل لكن هناك تفصيل **هل يقتل حداً هل يقتل ردة ؟** فالتفصيل في هذا أنه : إن كان سحره من القسم الأول فيقتل ردة وإن كان سحره من القسم الثاني فيقتل حداً ثم يكون الأمر إلى السلطان إلى الحاكم فإن رأى قتله دون أن يستتاب مصلحة فعل وبعض أهل العلم يقول : إن استتيب فتاب تاب الله عليه فلا يقتل لكنهم متفقون إن أصر على السحر سواء كان من النوع الأول أو من النوع الثاني فإنه يقتل لأنه وردت أدلة كثيرة كما ستمر بنا إن شاء الله عن حفصة وعمر وهكذا أيضاً جندب الأزدي غير جندب الصحابي الجليل أنهم أفتوا وطبقوا ذلك أيضاً على أن الساحر يقتل ولا كرامة .

قال : { وقتل النفس التي حرم الله } الله سبحانه وتعالى أطلق ذلك في كتابه الكريم قال : (( والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق )) ( ٢ ) والنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق هي أربعة أنفس :

**١. نفس المؤمن :** الله سبحانه وتعالى يقول : (( وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ )) ( ٣ ) ومن ذلك أيضاً قول نبينا صلى الله عليه وسلم : { لهوان الدنيا بأسرها أيسر عند الله من قتل مسلم بغير حق } ( ٤ ) وحديث أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : { كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو قتل مؤمناً متعمداً } ( ٥ ) ، وهكذا وهكذا أيضاً غير هذه الأدلة التي تحرم ذلك :

{ إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا } ( ٦ ) وقوله سبحانه وتعالى : (( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر )) ( ٧ ) هذه أدلة على وجه العموم .

**٢. الدمي :** وهو الذي أعطاه الحاكم المسلم ذمة وعهداً وميثاقاً أن يدفع الجزية إلى المسلمين فيعيشوا في أوساطهم هذا أيضاً نفسه محرمة لا يجوز إزهاقها لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : { من من قتل معاهداً في غير كنهه . أي في مأمنه . حرم الله عليه الجنة } ( ٨ ) .

١ - القمر ( ٣٤ ) .

٢ - الفرقان ( ٦٨ ) .

٣ - النساء ( ٩٢ ) .

٤ - صحيح : الترمذي ( ١٣٩٥ ) والنسائي ( ٣٩٨٧ ) وابن ماجه ( ٢٦١٩ ) انظر حديث رقم : ٥٠٧٧ في صحيح الجامع .

٥ - صحيح : أبو داود ( ٤٢٧٠ ) وابن حبان ( ٥٩٨٠ ) والحاكم ( ٨٠٣٢ ) انظر حديث رقم : ٤٥٢٤ في صحيح الجامع .

٦ - البخاري ( ٦٧ ) ومسلم ( ١٦٧٩ ) .

٧ - الإسراء ( ٧٠ ) .

٨ - صحيح : أبو داود ( ٢٧٦٠ ) والنسائي ( ٤٧٤٧ ) وأحمد ( ٢٠٤١٩ ) انظر حديث رقم : ٦٤٥٦ في صحيح الجامع .

**٣. المعاهد :** وهو الذي بينه وبين المسلمين عهد أن لا يقتل من المسلمين ولا المسلمون يقتلونه فهذا أيضاً نفسه محرمة ومعصومة ولا يجوز لمسلم انتهاكها .

**٤- المستأمن :** بكسر الميم وهو الذي يطلب الأمان دخل إلى بلاد المسلمين بتجارة أو يريد يتعرف على الإسلام أو سياحي فالله سبحانه وتعالى نهانا عن قتل أمثال هؤلاء قال جل وعلا : (( وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه )) ( ١ ) فإن قال قائل : هؤلاء الذين يدخلون من المستأمنين أو المعاهدين أو الذميين إنما يدخلون بقصد التجسس ولالتقاط جغرافية البلد وللفساد فيشربون الخمر ونساؤهم تتكشف عندهم التبرج ويشجعون على المنكرات نقول : هذا قد يكون صحيحاً ولكن ليس لك أن تغير المنكر بيدك لأن هذا يعتبر من الفوضى في هذا الباب ليس لك أن تقتل ولا أن تغتصب ولا أن تأسر وإنما يكون الأمر راجع إلى ولاية الأمر فوجب على ولاية الأمر أن يتقوا الله عز وجل في شعوبهم وفي أوطانهم وفي أمتهم وفي دينهم وإنهم لمخاطبون بذلك بين يدي الله سبحانه وتعالى قال عز وجل : (( الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر )) ( ٢ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته } ( ٣ ) ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم : { من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان } ( ٤ ) فلا يصلح أن تكون الأمور فوضى فوضى ،

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

هذا الاختطاف والأسر والقتل وإن كان في الكفار الذين هم يدخلون بلاد المسلمين ومعلوم أنهم كفار صرحاء لا يجوز لك انتهاكهم لأن هؤلاء يدخلون بأمان من الدولة وعلامة ذلك أنهم يعطونهم تأشيرة الدخول من سفارة البلدة في دولتهم ثم حينما يدخلون البلد من منافذها الثلاثة البحرية أو الجوية أو البرية يعطونهم أيضاً ختم الدخول فهذا هو الأمان الذي بأيديهم فهم دخلوا باستئمان من الدولة فلا يجوز انتهاك حرمت هؤلاء ونحن لا نقول هذا الكلام من أجل أن يسبح الحكام بحمدنا أو أنهم يشكروننا على ما نقول ، لا نحن نقول هذا عقيدة لله سبحانه وتعالى نريد بهذا الكلام إرضاء الله سبحانه وتعالى أولاً وآخرأ ثانياً : أنه مبدأ ودين وعقيدة ، ثالثاً : أننا نقول هذا نصحاً ، رابعاً : نقول هذا لأننا لا نريد الفساد في الأرض لأن الله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد المنافقون هم الذين يحبون الفساد والعياذ بالله فهم يجلبون الويلات وبعد ذلك يلصقونها بأهل الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله وأهل الدين من ذلك براء ، وهكذا أيضاً ما هو حاصل الآن في بلاد صعدة من قبل الرزامي و الحوثي ووالد الحوثي وليس المقصود هؤلاء الثلاثة فإن هذا فكر موجود في الأرض يعني فكر ظالم غاشم خبيث فله تواجدته إن اختفى وخبت فسرعان ما يرتفع ويشتعل ويظهر أمام الناس فهذا أيضاً الفكر فكر التكفير والخروج على الحكام وإراقة الدماء وزعزعة الأمن في البلد هذا يعتبر أيضاً أمر محرّم وما تقوم به الدولة من قتل هؤلاء والتشهير بهم فإنهم في الجمعة الماضية قتلوا في صعدة نفسها في المحافظة ما يقارب عشرين شخصاً قبل صلاة الجمعة ثم ربطوا ثلاثة أنفار على طقم للحكومة ومروا به يجوبون بهم في الشوارع عبرة وعظة هذا هو عين الصواب لكن

١ - التوبة ( ٦ ) .

٢ - الحج ( ٤١ ) .

٣ - البخاري ( ٨٥٣ ) ومسلم ( ١٤٥٩ ) .

٤ - مسلم ( ٤٩ ) .

نحن نطالب الدولة أيضاً أن يكون هناك رقابة على المناهج على المحاضرات على خطب الجمعة على الكتب التي تدرس فإن الشيعة والعياذ بالله هم يستخدمون التقيا ويظهرون غير ما يبتنون عياداً بالله وقد قال قائلهم قديماً :

قل لفهد وللقصور العوانس      إننا سادة أباة أشاوس  
سنعيد حكم الإمام إما      بثوب النبي أو بأثواب ماركس  
فإذا خابت الحجاز ونجد      فلنا إخوة كرام بفارس

فهم يتوجهون حسب توجيهات الخميني وأتباع الخميني وهذه ليس في اليمن فقط بل في جميع بلاد العالم أيضاً في السعودية في المنطقة الشرقية هم يعدون عدة مثل هذه أو أطم منها من أجل أن يخرجوا على الحاكم المسلم هناك لأنهم والعياذ بالله يريدون أن يعلنوا دولتهم الدولة الشيعة الرافضية الإثني عشرية الجعفرية التي تبيح لهم أن يقتلوا المسلم الذي يسمونه العمري أو البكري أو المحمدي ولا يريدون أن يكون في الساحة إلا هم الذين تشيعوا لعبد الله بن سبأ وإن قالوا في إذاعتهم التباكي على علي بن أبي طالب لا والله علي بن أبي طالب من هذا براء وإنما هم أتباع عبد الله بن سبأ وإن كان بعضهم قد كان يكذب مثل هذا الذي نقوله الآن وقد قلناه من قبل وقاله علماؤنا أيضاً من قبل لكنه الآن كما يقال توضع الأزرة على الثياب والنقاط على الحروف فهذا كله من الظلم ومن الفساد الذي حرمه الله سبحانه وتعالى فقتل النفس التي حرمها الله سبحانه وتعالى ليس بالأمر الهين بل يذهب عبد الله بن عباس وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما إلى أنه ليس لقاتل مؤمناً عمداً توبة ذهباً هذان الصحابييان هذا المذهب لأنهم يقولون بأن هذه الآية من آخر ما نزل : (( ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً )) ( ١ ) فيقول : من آخر ما نزل ولم ينسخها شيء لكن جمهور الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا يرون أن للقاتل توبة وأن الآية خرجت مخرج الزجر والتهويل فللقاتل توبة على القول الصحيح من أقوال أهل العلم بدليل قوله سبحانه : (( والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً )) ( ٢ ) وقوله سبحانه : (( وإنني لغفار لمن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى )) ( ٣ ) نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى والله أعلم .

قال نبينا وحبينا صلى الله عليه وسلم : { وأكل الربا } معنى ذلك أكل الربا : أي أنه يتناوله المرء المسلم بأي وجه كان وذكر عليه الصلاة والسلام الأكل وخصه دون بقية غيره من المنافع لأن الأكل من أعم أوجه الانتفاع وإلا فالربا حرام سواء كان أكلاً أو شرباً أو لشراء أثاث أو بناء دار أو سيارة أو يفعل به شيئاً من المنافع الدينية أو الدنيوية كأن يذهب يحج أو يعتمر أو شيء من هذه العبادات فلا يجوز فليس المقصود بالكبيرة هو الأكل فقط ، لا أي انتفاع من هذا الربا فهو محرم إذا حججت بماله أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير

الربا قد تقدم لنا شيء منه في درس الفقه الربا يعرفه العلماء لغة : بمعنى الزيادة كما قال الله سبحانه وتعالى :

<sup>١</sup> - النساء ( ٩٣ ) .  
<sup>٢</sup> - الفرقان ( ٦٨ - ٧٠ ) .  
<sup>٣</sup> - طه ( ٨٢ ) .

(( فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت )) ( ١ ) ومن هنا سميت الرابية وهو المكان المتجمع من الرمال ، وشرعاً : هو زيادة أو تفاضل في أشياء نسيئة أو تفاضلاً ربا الفضل أو ربا النسيئة والربا محرم بالكتاب والسنة ويأجماع المسلمين أما من الكتاب فقول الله سبحانه وتعالى : (( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين )) ( ٢ ) وقوله سبحانه وتعالى : (( الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا )) ( ٣ ) وأعلن الله الحرب وما أعلم عقوبة غير هذه ومن آذى أولياء الله في إعلان حرب الله ورسوله قال سبحانه : (( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله )) ( ٤ ) ويقول سبحانه : (( يمحق الله الربا ويربي الصدقات )) ( ٥ ) فهو محرم بهذا النص من سورة البقرة وهكذا في نص آخر (( فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه )) ( ٦ ) هذه مدينة عامرة وحضارة بينما كانت ثم زالت بسبب تعاملها بالربا والظلم والبغي ،

ألم تر أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر

وهكذا من السنة قبل أن نذكر شيئاً من السنة في تحريم الربا بعض الناس ربما قال : يجوز الربا إن كان شيئاً قليلاً ويستدل بالآية من سورة آل عمران وهي قوله سبحانه : (( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة )) ( ٧ ) فيقولون الربا إن كان أضعافاً مضاعفةً فحرام أما إذا كان يسيراً فجائز والجواب على هذا أن الآية هذه تعالج أمراً مخصوصاً من أمور ربا الجاهلية فهي تعالج قضية واقعية من أيام الجاهلية كما ذكر ذلك العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي الجكني صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن فهذه الآية ليس فيها استدلال على تجويز بعض الربا بل الربا محرم كله يقول نبينا صلى الله عليه وسلم كما في مسلم من حديث جابر : { لعن الله آكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه } ( ٨ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { درهم ربا أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية } ( ٩ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الربا اثنان وسبعون حوباً . أي نوعاً أو إثماً . أيسرها مثل أن يأتي الرجل أمه } ( ١٠ ) وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم إذا صلى بنا صلاة حديث سمرة بن جندب الحديث طويل في صحيح البخاري قال : { كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى بنا صلاة الغداة . أي صلاة الفجر . أقبل علينا بوجهه . وفيه سنية أو شرعية استقبال الإمام الناس بوجهه بعد الصلاة . فيقول : **أيكم رأى اليوم رؤياً ؟** . وفيه أيضاً اهتمام بأمر الرؤيا وأن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ولكن أصدقكم رؤياً أصدقكم حديثاً فالرؤيا وصدقها له اتصال بحديث الرجل فإن كان صادقاً كانت رؤياه مثل فلق الصبح . قال : فإن رأى أحداً شيئاً قصها على النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قال لنا ذات غداة : **هل رأى أحد منكم رؤياً ؟** فلم يجب أحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما أنا فأتاني آتيان من ربي فأخرجاني إلى أرض مقدسة ثم قالوا لي : انطلق انطلق وذكر عدة قضايا من

١ - الحج ( ٥ ) وفصلت ( ٣٩ ) .

٢ - البقرة ( ٢٧٨ ) .

٣ - البقرة ( ٢٧٥ ) .

٤ - البقرة ( ٢٧٨ - ٢٧٩ ) .

٥ - البقرة ( ٢٧٦ ) .

٦ - النساء ( ١٦٠ - ١٦١ ) .

٧ - آل عمران ( ١٣٠ ) .

٨ - البخاري ( ٢١٢٣ ) ومسلم ( ١٥٩٨ ) .

٩ - صحيح : أحمد ( ٢٢٠٧ ) والدارقطني ( ٤٨ ) وابن أبي شيبة ( ٢٢٠٠٤ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٢٨٢٥ ) .

١٠ - صحيح : عبد الرزاق ( ١٩٧٠٦ ) والطبراني في الأوسط ( ٧١٥١ ) وانظر حديث رقم ١٥٣١ في صحيح الجامع .

هذه القضايا أنه أتى على رجل يسبح في نهر من دم أنظر إلى الهول هذا الذي يسبح قد وقف له شخص على الشاطئ بجانبه حجارة فإذا جاء هذا السابح في ذلك الشاطئ الدموي يفتح فاه فيأخذ حجراً ويرميه في فمه فيشدخ رأسه ثم يعيده إلى طرف الشاطئ الدموي { ( ١ ) } وهكذا هذه صورة من صور عذاب القبر لهذا المرابي يعذب بذلك إلى أن تقوم الساعة نسأل الله السلامة والعافية ومن الأدلة على التحريم وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فقال :

{ وكل ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ربا أضعه ربانا ربا العباس عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم { ( ٢ ) } فقد عرفت التحريم من القرآن ومن السنة ومفاسد الربا كثيرة ذكرت شيئاً منها في رسالة صغيرة بعنوان الربا موجودة موجودة في المكتبة ، قد يقول قائل : إذن **ما هو الربا ؟** للربا أوجه كثيرة أعظمها جرماً ومفسدة ربا الفضل وربا النسيئة أما ربا الفضل فهو أن يبيع الصاع بصاعين دليله حديث بلال في الصحيحين قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمر برني والتمر البرني هو التمر الجيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { **أتمر خبير هكذا كله ؟** } قال : لا إنا نبيع الصاعين بالصاع لنطعم النبي صلى الله عليه وسلم قال : { أوة عين الربا لا تفعل هكذا بع تمرك ثم اشتر تمرأ آخر به } { ( ٣ ) } هذا ربا الفضل فإن أعطاه صاعاً من التمر في الصباح ولم يتقاضاه أو يقبض التمر البديل له المساوي له إلا في الليل كان هذا ربا النسيئة لأن النسيئة بمعنى التأخير كما قال الله : (( إنما النسيء زيادة في الكفر )) { ( ٤ ) } والمراد بالنسيء هنا التأخير وذلك أن بعض الجاهليين كان يقوم في مجمع الحجيج في مواسم الحج في الجاهلية فيقول : أنا الذي لا أهاب فيقول : قد نسأت لكم هذا الشهر وقدمت عليه كذا فإذا جاءت الأشهر الحرم أخرها والأشهر الحرم هي : ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان فإذا جاء الشهر الحرام أخره وقدم غيره فكان هذا فيه اعتداء على أمر الله سبحانه وتعالى لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

(( يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به )) { ( ٥ ) } ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

(( إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم )) { ( ٦ ) } فحرم الله القتال والظلم وسفك الدماء في هذه الأشهر هذا باختصار في بيان ربا الفضل وربا النسيئة وبقي بيع العينة وهي صورة من صور الربا الدقيقة بالمرة وهي التي يعينها قول النبي صلى الله عليه وسلم : { إذا تبايعتم بالعينة واشتغلتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله إلا سلب الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم وفي رواية حتى ترجعوا إلى دينكم } { ( ٧ ) } هذا حديث ابن عمر رواه أبو داود والترمذي وغيرهما فصورة بيع العينة أن يكون الرجل بحاجة إلى نقد فيأتي إلى صاحب الدكان ويقول له : أعطني مائة ألف مثلاً فيقول : لا ما عندي يقول : **هذه السلعة بكم ؟** يقول هذه السلعة بمائة ألف فيقول الرجل : أشتريها منك ديناً فيقول صاحب المحل : أبيعها لك بمائة ألف يسجل على فلان بن فلان مائة ألف ريال ثم

<sup>١</sup> - البخاري ( ١٣٢٠ ) .

<sup>٢</sup> - صحيح : ابن خزيمة ( ٢٨٠٩ ) وابن جارود ( ٤٦٩ ) وانظر حديث رقم ٢٠٦٨ في صحيح الجامع .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٢١٨٨ ) ومسلم ( ١٥٩٤ ) .

<sup>٤</sup> - التوبة ( ٣٧ ) .

<sup>٥</sup> - البقرة ( ٢١٧ ) .

<sup>٦</sup> - التوبة ( ٣٦ ) .

<sup>٧</sup> - صحيح : أبو داود ( ٣٤٦٢ ) وأحمد ( ٥٥٦٢ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٠٤٨٤ ) وانظر السلسلة الصحيحة برقم ( ١١ ) .



يبيعها وهي في المستودع في المخزن يقول صاحب المحل : أنا اشتريها منك بخمسة وتسعين ألفاً يقول الرجل : أبيع لك ، هذا فيه تحايل على الربا وهناك صور كثيرة جداً يحتال بها الناس اليوم على الربا **وعلى من يحتالون ؟**

يا ناطح الجبل العالي ليركمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وقد بوب الإمام البخاري في كتاب الحيل " باب تحريم الحيل " واستدل بحديث :

{ لا يفرق بين مجتمعين ولا يجمع بين مفترقين } ( ١ ) وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : { لعن الله اليهود حرم الله عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا ثمنها } ( ٢ ) والله در القائل حيث قال :

واترك الحيلة في تحويلها إنما الحيلة في ترك الحيل

وأما الأصول الربوية المتفق عليها فهي ست صور ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة وأبي سعيد وغيرهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : { الذهب بالذهب ربا والفضة بالفضة ربا والبر بالبر ربا والتمر بالتمر ربا والشعير بالشعير ربا والملح بالملح ربا إلا هاءً وهاءً . أي خذ واعط . فمن زاد أو استزاد فقد أربى } ( ٣ ) ، وجاء من حديث طلحة بن عبيد الله روى عنه أوس بن الحدثان أنه قال : أقبلت أقول **من يصطرف ؟** أقبل أوس بن الحدثان يقول : **من يصطرف ؟** قال طلحة بن عبيد الله وهو من العشرة المبشرين بالجنة : أنا فأخذ الذهب قال : حتى يأتي خادمنا من الوادي قال له عمر : لتصرفن أو لتعيدين إليه ذهبه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { الذهب بالذهب ربا والفضة بالفضة ربا والبر بالبر ربا والتمر بالتمر ربا والشعير بالشعير ربا والملح بالملح ربا إلا هاءً وهاءً فمن زاد أو استزاد فقد تعدى وظلم } ( ٤ ) ،

هذه الأصول أصول الرويات الست بعض أهل العلم باستثناء الذهب والفضة الحق فيها فيما يجامعها بالعلة من باب القياس لأن القياس هو مساواة فرع بأصل بعلة جامعة بين الأصل والفرع لأن أركان القياس هي هذه : الأصل والفرع والحكم والعلة فما كان فيه علة هذه المطعومات من الطعم والكيل والإدخار أضافوها وقالوا : ما كان بعلتها فإنه يلحق بها ، لكن أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله تعالى يقول : لا يمكن هذا فقد وجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من هذه المطعومات ولم يذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ، وهكذا هناك رسالة لابن الأمير الصنعاني في هذا الباب لكن جمهور أهل العلم يقولون بهذا وكذلك أيضاً من المتأخرين الشيخ العثيمين يقول بهذا لكن هؤلاء العلماء ربونا على غير تقليد أننا لا نقلدهم بل نتبع القول الراجح المؤيد بالدليل فالقول الذي تطمئن إليه النفس أن الأصول الربوية الستة تبقى على ما هي عليه أما بالنسبة للذهب والفضة فالعلة في ذلك الثمنية وكل هذه الأموال الموجودة الدولار الدينار الريال وما شاكلها فعلتها الثمنية وتبقى هذه الأصول الأربعة التي هي البر والشعير والملح والتمر هي الأصول الربوية المتفق عليها وغيرها لا يجامعها بحكم العلة الجامعة بينها وهذا قول صحيح من أقوال أهل العلم ومن رأى غير هذا وقال به فلا إنكار لأن المسألة فيها خلاف قديم بين أهل العلم وكما قالوا : فما ترك السابق للاحق والله المستعان .

١ - البخاري ( ١٣٨٢ ) .

٢ - البخاري ( ٢١١٠ ) ومسلم ( ١٥٨٢ ) .

٣ - البخاري ( ٢٠٢٧ ) ومسلم ( ١٥٨٤ ) .

٤ - مسلم ( ١٥٨٦ ) .



ثم قال صلى الله عليه وسلم : { وأكل مال اليتيم } خص الأكل بالذكر لأنه أعم أوجه الانتفاع وإلا فأخذ مال اليتيم سواء كان أكلاً أو إحراقاً أو شرباً أو شراء سيارة أو شراء عمارة أو أي شيء فهو حرام وخص اليتيم لأن اليتيم ليس له من يدافع عنه واليتيم لغة : مأخوذ من اليتيم بمعنى الانفراد إذا قالوا : هذه ليلة يتيمة أو هذا يوم يтим معناه الانفراد .

واليتيم في الشرع هو : من مات أبوه قبل بلوغه يقال عنه يтим أما إذا بلغ فلا يقال عنه يтим لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { لا يтим بعد احتلام } ( ١ ) ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم )) ( ٢ ) فإذا بلغ اليتيم فلا يقال عنه يтим وهكذا من ماتت أمه لا يقال عنه يтим لأن اليتيم إنما هو يтим الأب فإن قالوا في يтим ماتت أمه يтим فقط من باب التجوز والتوسع هذا من حيث التعريف الشرعي وإلا ففاقد الأخلاق والآداب والاهتمام أيضاً يقال عنه يтим

ليس اليتيم الذي قد مات والده  
قد كان ذلك في القرون الأولى  
إن اليتيم الذي تلقى له  
أماً تخلت أو أباً مشغولاً

{اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف }

التولي : هو الانصراف والإعراض وكان من كبائر الذنوب والمعاصي ومن الموبقات السبع لأن فيه إعراضاً عن الجهاد ، ثانياً : في التولي يوم الزحف يوم أن يلتقي أولياء الله وأولياء الشيطان فيتولى بعض المؤمنين يكون في هذا تقوية للكفار وإظهار الشماتة بالمسلمين أمامهم وفيه أيضاً كسر لقلوب أهل الإيمان لما يجتمع الكفار والمسلمون وبعدين يتولى فريق من هؤلاء تاركين مواقعهم وأماكنهم . أعوذ بالله . هذا خذلان و لا تنسوا ما حصل من التولي من قبل المنافقين في غزوة أحد لما قال عبد الله بن أبي : يعصيني ويطيعهم فانخس بثلاثي الجيش قبح الله ابن أبي ومن كان على شاكلته فرجع هؤلاء قالوا : ما ندري على ما يقاتل . أعوذ بالله . فكان في هذا وصمة عار على هؤلاء ولما ترك بعض المسلمين الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك تدرون ماذا كان من قصة هلال ومرارة وكعب بن مالك وماذا كان من شأن المنافقين ونزلت الآيات على أنه ما حصل تولي وإنما حصل فقط تخاذل تناقل قالوا : (( لا تنفروا في الحر )) ( ٣ ) ومنهم من يقول :

(( ائذن لي ولا تفتني )) ( ٤ ) يقول يخاف أن يفتن حينما يرى بنات بني الأصفر تعليقات فكيف إذا كان تولي فكان هذا من أكبر الذنوب والمعصية لكن العلماء يقولون : إن التولي يوم الزحف إن كان لمصلحة المسلمين فجاز لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (( والله يعلم المصلح من المفسد )) ( ٥ ) فإذا كان من أجل الإصلاح فلا بأس به : (( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة )) ( ٦ ) ومعنى متحرف أي عنده ذكاء تكتيك احتراف شيء من الذكاء والفتنة عنده خبرة تجربة في الحرب فإذا كان من أجل مصلحة

١ - صحيح : الطيالسي ( ١٧٦٧ ) والطبراني في الكبير ( ٣٥٠٢ ) وانظر حديث رقم ٧٦٠٩ في صحيح الجامع .

٢ - النساء ( ٦ ) .

٣ - التوبة ( ٨١ ) .

٤ - التوبة ( ٤٩ ) .

٥ - البقرة ( ٢٢٠ ) .

٦ - الأنفال ( ١٥ - ١٦ ) .

الإسلام والمسلمين فجائز (( إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة )) ( ١ ) تواطأ مع بعض المسلمين إن حصل كذا فأنا أخرج من الصف وأنت تلتقي بي في المكان الفلاني ونكون في كذا من أجل ييغتون الكفار مثلاً هذا جائز وللفادة أن السنة تخصص القرآن السنة المطهرة الشريفة تخصص كتاب الله وهذا هو الأغلب أن القرآن عام والسنة تخصص القرآن يجمال والسنة تفصل (( وأقيموا الصلاة )) ( ٢ ) أفعال النبي صلى الله عليه وسلم بينت لنا كيف الصلاة وأوقاتها وركعاتها (( وآتوا الزكاة )) ( ٣ ) ما فيه تعريف الأنصبة هذا في السنة لكنه ورد في آيتين من القرآن عكس ذلك وهو تخصيص القرآن لعموم السنة عممت السنة وخصص القرآن هذه من ضمنها النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ والتولي يوم الزحف } مطلق جاء القرآن وخصص هذا التولي : (( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة )) ( ٤ ) .

الموضع الثاني : الذي جاء فيه القرآن بالتخصيص قال سبحانه : (( يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار )) ( ٥ ) أي أنهن لا يعدن إلى مكة في هذين الموضعين وقد ذكر هذا العنمين في كتابه الأصول من علم الأصول في باب العام والخاص .

قال : { والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات } قذف المحصنات بمعنى المؤمنة العفيفة الطاهرة أنت تقذفها بالزنا فمن قذف مؤمنة عفيفة بريئة ترتب عليه أمور :

١. يجلد ثمانين جلدة إذا كان قذفه باطل .

٢. لا تقبل شهادته .

٣. يوصم بالفسق ويرفع عنه الأمران الآخران بالتوبة إن تاب توبة نصوحاً خلاص تقبل شهادته ولا يقال عنه فاسق لأنه قد تاب إلى الله سبحانه وتعالى .

١ - الأنفال ( ١٦ ) .

٢ - البقرة ( ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ) والنساء ( ٧٧ ) ويونس ( ٨٧ ) والنور ( ٥٦ ) والروم ( ٣١ ) والمزمل ( ٢٠ ) .

٣ - البقرة ( ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ) والنساء ( ٧٧ ) والحج ( ٧٨ ) والنور ( ٥٦ ) والمجادلة ( ١٣ ) والمزمل ( ٢٠ ) .

٤ - الأنفال ( ١٥ - ١٦ ) .

٥ - الممتحنة ( ١٠ ) .

وعن جندب مرفوعاً : { حد الساحر ضربه بالسيف } رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف ( ١ ) .  
وفي صحيح البخاري عن بجاله بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال :  
فقتلنا ثلاث سواحر ( ٢ ) .  
وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت ( ٣ ) ، وكذلك صح عن جندب ، قال أحمد :  
عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .  
فيه مسائل :  
الأولى : تفسير آية البقرة .  
الثانية : تفسير آية النساء .  
الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما .  
الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الإنس .  
الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي .  
السادسة : أن الساحر يكفر .  
السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .  
الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده !

قال : وعن جندب مرفوعاً

<sup>١</sup> - ضعيف : الترمذي ( ١٤٦٠ ) والحاكم ( ٨٠٧٣ ) والدارقطني ( ١١٢ ) وانظر ٢٦٩٩ في ضعيف الجامع .  
<sup>٢</sup> - البخاري ( ٣١٥٦ ) .  
<sup>٣</sup> - أخرجه مالك في الموطأ ( ٤٦ ) بلاغاً ووصله عبد الرزاق ( ١٠ / ١٨٠ ) .

هذه العبارة يستخدمها المحدثون اختصاراً بدلاً من أن يقول : رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مرفوعاً : { حد الساحر ضربه بالسيف } رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف يعني ليس بمرفوع ولكن موقوف أي من قول الصحابي فالموقوف : ما كان موقوفاً من قول الصحابي أو من فعله وأثر جندب هذا ضعفه الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع وفي سنده إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف لكن وإن كان الأثر ضعيفاً فقد صح عن غير جندب وهو جندب الأزدي ، الأمر الثاني : أنه حصل إجماع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الساحر سواء كان سحره فيه استخدام للجن أو كان عن طريق استخدام الأدوية والتباخير والعقاقير تدخينات وأشياء فيقتل ويعامل معاملة الصائل دفعاً لشربه وباطله فإن كان من النوع الأول : قتل ردة وإن كان من النوع الثاني : قتل حداً حتى يرتاح المسلمون من شر هذا الساحر قال : وفي صحيح البخاري عن بجاله بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : [ أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ] ( ١ ) بعض أهل العلم يقول : يستتاب فإذا تاب عفى الله عما سلف وإن كان يظهر التوبة لكنه ينقض فيقتل .

كتب عمر [ أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال : فقتلنا ثلاث سواحر ] ، وتعرفون عمر رضي الله عنه من الذين أمرنا بأخذ أقوالهم : { عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ } ( ٢ ) وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية سحرته فقتلت وكذلك صح عن جندب ،

قال أحمد بن حنبل رحمه الله : عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني عمر وحفصة وجندب الأزدي هذا ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال : وقوله صح عن جندب أشار المصنف بهذا إلى قتله الساحر كما رواه البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي وأبو عثمان النهدي عبد الرحمن بن مل القضاعي ومُـل بتثليث الميم قال : كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا أنظر على تخمين فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله ورواه البيهقي في الدلائل مطولاً وفيه فأمر به الوليد فسجن فذكر القصة بتمامها ولها طرق هذا يعتبر تحصيل حاصل وتكرار لشيء قد ذكر فتقدم لنا معرفة الساحر وأنواع السحر أقسامه وما يترتب عليه وحكمه من حيث القتل وعدمه فهذا بارك الله فيكم يعتبر إجماع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بأمر الساحر وقد قال بعض العلماء : ما ظهر السحر في دولة أو منطقة إلا أكثر فيها الأحقاد والحسد والتشاحن والبغضاء بل ربما احتكم بعض الناس إلى السحرة إن حصل بينه وبين صاحبه شيء ذهب إلى الساحر يعمل له أشياء وكذا من أجل أن ينزل به الضرر نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من شر السحرة وكيدهم وتصرفاتهم إنه على كل شيء قدير .

يقول : { قذف المحصنات الغافلات المؤمنات } هل يدخل في ذلك الرجال والنساء أم النساء فقط ؟

الأصل كله يعتبر من الكبائر سواء قذفت رجلاً أو امرأة ، لكن قل من قذف كافرة فإن كان قد علم منها شيء فلا بأس يقذف الكافرة لأن الكافر لا حرمة له في هذا الباب وليس عندهم ما يمنع إلا النادر والنادر لا حكم له ، بهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

١ - البخاري ( ٣١٥٦ ) .

٢ - صحيح : أبو داود ( ٤٦٠٧ ) والترمذي ( ٢٦٧٦ ) وابن ماجه ( ٤٢ ) وأحمد ( ١٧١٨٤ ) وانظر حديث رقم ٢٥٤٩ في صحيح الجامع .

### باب بيان شيء من أنواع السحر

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

### باب بيان شيء من أنواع السحر

هنا شرح طيب لهذه الترجمة شرحها الشيخ الفاضل محمد الصالح العثيمين رحمه الله فأحببت أن أنقلها من كتابه تماماً للفائدة قال العثيمين رحمه الله :

" قوله باب بيان شيء من أنواع السحر أي بيان حقائق هذه الأشياء مع حكمها قال : وقد سبق أن السحر ينقسم إلى قسمين أي في الدرس الذي قبله كفر وفسق ثم بين قال فإن كان باستخدام الشياطين وما أشبه ذلك فهو كفر وهذا قد تقدم لنا وكذلك ما ذكره هنا من أنواع السحر منها ما هو كفر ومنها ما هو فسق حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية ثم بين رحمه الله بقوله : والأنواع جمع نوع لكن تجمع جمع تكسير قال : والنوع أخص من الجنس لأن الجنس أعم فالنوع يقول أخص لأن الجنس اسم يدخل تحته أنواع والنوع يدخل تحته أفراد وقد يكون الجنس نوعاً باعتبار ما فوقه والنوع جنساً باعتبار ما تحته قال : فالإنسان نوع باعتبار الحيوان والحيوان باعتبار الإنسان جنس لأنه يدخل فيه الإنسان والإبل والبقر والغنم والحيوان باعتبار الجسم نوع لأن الجسم يشمل الحيوان والجماد قال : وأنواع هنا باعتبار الجنس العام وسبق أن السحر في اللغة : كل ما كان خفي السبب دقيقاً في إدراكه قال : حتى عد الفخر الرازي من جملة أنواع السحر الساعات وهي في القديم عبارة عن آلات مركبة فكيف بالساعات الإلكترونية اليوم " هذا شرح فيما يتعلق للترجمة ترجمة الدرس .

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة ، عن أبيه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت } ( ١ ) .  
قال عوف : العيافة : زجر الطير ، والطرق : الخط يخط بالأرض ، والجبت : قال الحسن : رنة الشيطان ، إسناده جيد ، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه .

قال رحمه الله : قال أحمد ،  
يعني بذلك أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني إمام أهل السنة .  
قال : حدثنا محمد بن جعفر ،  
ومحمد بن جعفر المعروف بغندر وكان ربيب الإمام شعبة ولقبه بذلك شيخه ابن جريج كان يكسر من الكلام أو السؤال فقال له يوماً : اسكت يا غندر .  
قال حدثنا عوف ،  
وهو ابن أبي جميلة ثقة المعروف بعوف الأعرابي .  
قال : عن حيان بن العلاء ،  
وحيان بن العلاء يقال : حيان بن مخارق ويكنى بأبي العلاء وهو آفة هذا الحديث إذ أن الحافظ بن حجر في تقريب التهذيب يقول : مجهول فيكون الحديث ضعيفاً بهذا وقد ضعفه الشيخ الألباني في تحقيقه على رياض الصالحين . قال رحمه الله : وحدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع ،

<sup>١</sup> - ضعيف : أحمد ( ٢٠٦٢٢ ) والمعجم الكبير ( ٩٤١ ) وأبو داود ( ٣٩٠٧ ) وابن حبان ( ٦١٣١ ) وسنن النسائي الكبرى ( ١١١٠٨ ) انظر حديث رقم : ٣٩٠٠ في ضعيف الجامع .

وقيصة هو صحابي جليل جاء له حديث في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { يا قبيصة لا تحل المسألة إلا لثلاثة نفر رجل أصابت ماله جائحة ورجل تحمل حمولة ورجل فقير حتى يشهد له ثلاثة من ذوي الحجى } ( ١ )

( أي من العقول البالغين .  
أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { إن العيافة والطرق والطيبة من الجبت } والجبت قد تقدم بأنه بمعنى السحر وبمعنى الكهانة .  
قال عوف ،

طبعاً الحديث ضعيف والضعيف لا يحتاج به والضعيف من الحديث هو الذي لم تتوفر فيه شروط الصحة ولا شروط الحسن .

قال عوف : العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط بالأرض والمراد بالخط . بارك الله فيكم . يكتب في الرمال استناداً إلى علم التنجيم أما إذا كان يخط لقصد تخطيط أو لرسم خريطة فلا بأس فقد خط النبي صلى الله عليه وسلم خطأ وقال : { هذا صراط الله المستقيم } ورسم خطوطاً عريضة على جنبتيه وقال : { هذه سبل الشيطان } ( ٢ ) عندي هاهنا تعليق على قوله يخط بالأرض قال : هو ما يسمونه خط الرمل وعلمه وهو ذائع بين أهل العصر ول بعضهم فيه تأليف وقد يتعيش به كثير من المتكهنين يغرون به البله والجهلة زاعمين أنهم يطلعون على المغيبات وهم كاذبون فإن هذا العلم بل الجهل لا يقصد به إلا خداع الناس وأكل أموالهم بالباطل قال : وقد بحثت في قواعده فوجدته كما ذكرت لك رجماً بالغيب وهو من الجبت كما في الحديث فيجب على المؤمنين بالله الكفر به ومثله علم ما يسمونه : قراءة الكف وقراءة الفنجان ومناجاة حب البن ونحوه كل ذلك دجل وسحر واستمتاع كل من شياطين الجن والإنس بعضهم ببعض نسأل الله العافية للمسلمين من هذه الأمراض الفتاكة تجد في بعض القرى إذا شرب أحدهم قهوة . ليس شاي . قهوة بعد أن ينتهي من الكأس يكون هذا الكأس يعني فيه من الداخل بقايا القهوة فيقول بعضهم لبعض أنظر لي طبعاً تكون امرأة كاهنة أو رجل كاهن فإذا به يقول له : يعني كله كذب وخرط كما يقال يقولون له : سوف تفرح وسيأتيك مال ومعك الآن في الطريق صدارة يعني فلوس جائي في الطريق وذاك يدعن وكأن وحي يوحى . الله المستعان . هذا بارك الله فيكم . من الشرك من الشرك هؤلاء لا يعلمون الغيب وإنما يتخرصون وهذه البضاعة المزجاة لا تنفق إلا على الجهال أما أهل العلم وطلاب العلم فهم بمنأى والله الحمد .

قال : ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه .

١ - مسلم ( ١٠٤٤ ) .

٢ - صحيح : سنن النسائي الكبرى ( ١١١٧٥ ) وعبد بن حميد ( ١١٤١ ) وانظر ظلال الجنة ( ١٦ ) .



وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد } رواه أبو داود وإسناده صحيح ( ١ ) .

.....

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد } الاقتباس هو الأخذ واقتبست من فلان كذا أي أخذت منه شيء وهو مأخوذ من قوله سبحانه : (( امكثوا إنني آنست ناراً لعلي آتاكم منها بقبس أو أجد على النار هدى )) ( ٢ ) هو القليل من النار يأخذه الشخص ليستدفئ به .

الحديث رواه أبو داود وإسناده صحيح .

فيقول عليه الصلاة والسلام : { من اقتبس شعبة { والشعبة القطعة من الشيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : { والحياء شعبة من الإيمان } ( ٣ ) وقال بعض أهل العلم : . من باب الفائدة . ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أرفع شعب الإيمان وأدناها ووسط بالحياء ليعلم أن من جاء بهذه الخصلة سهل عليه أن يأتي ببقية شعب الإيمان على أية حال الشعبة القطعة من الشيء فيقول صلى الله عليه وسلم : { من اقتبس شعبة من النجوم { النجوم المعروفة التي جعلها الله عز وجل زينة للسموات من اقتبس علماً منها اقتبس شعبة من السحر واقتباس العلم من النجوم على نوعين :

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود ( ٣٩٠٥ ) وابن ماجه ( ٣٧٢٦ ) وأحمد ( ٢٠٠٠ ) وانظر حديث رقم : ٦٠٧٤ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - طه ( ١٠ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٩ ) ومسلم ( ٣٥ ) .

**علم التسيير** : وحكم هذا أنه جائز وهو معرفة هذه النجوم للاستدلال بها على معرفة الطرق ، النجم القطبي ، الطرق في الفلاة ، القبلة .

**علم التأثير** : الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية وهذا محرم قالت عائشة : يا رسول الله ما بال الكهان ؟ قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : { ليسوا بشيء } قالت : قد يصدقون قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : { تلك الكلمة يأخذها الجني من الحق أو من الملك فيقرقرها في أذن سيده كقرقرة الدجاجة فيضيف معها تسعة وتسعين كذبة } ( ١ ) ومعنى قوله : { زاد ما زاد } أي زاد ما زاد في الضلالة زاد ما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه .

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : { من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئاً وكل إليه } ( ٢ ) .

قال : وللنسائي من حديث أبي هريرة : { من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئاً وكل به } هذا الحديث أيضاً ضعيف لأن في سنده عباد بن مسرة المنقري وهو لين وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع وهذا الذهبي من قبله ضعفه في الميزان والحديث الضعيف لا داعي لشرحه .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٧١٢٢ ) .  
<sup>٢</sup> - ضعيف : النسائي ( ٤٠٧٩ ) والطبراني في الأوسط ( ١٤٦٩ ) ومصنف عبد الرزاق ( ١٩٧٧٢ ) وانظر حديث رقم : ٥٧٠٢ في ضعيف الجامع .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { ألا أنبئكم ما العضه ؟ هي النميمة : القالة بين الناس } رواه مسلم ( ١ ) .

وعن ابن مسعود ،

وهو عبد الله أبو عبد الرحمن ويلقب بابن أم عبد .

قال : وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { ألا هل أنبئكم ما العضه ؟ }

هي بفتح العين وسكون الضاد العضه ، قال أبو السعادات : هكذا روي في كتب الحديث والذي في كتب الغريب **ألا أنبئكم ما العضه ؟** بكسر العين وفتح الضاد قال الزمخشري : أصلها العضه فعلة من العضه وهو البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة وتجمع على عضين ثم فسرها بقوله : { هي النميمة القالة بين الناس } فأطلق عليها العضه لأنها لا تنفك من الكذب والبهتان غالباً ذكره القرطبي قال صلى الله عليه وسلم : { ألا أنبئكم ما العضه ؟ } وهي النميمة القالة بين الناس { رواه مسلم ، عجيب ما هو الاتصال بين النميمة حديث في باب النميمة يدرجه المؤلف في باب السحر اسمع بارك الله فيك قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : ذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال : يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة ، وقال أبو الخطاب في عيون المسائل : ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس قال في الفروع : ووجهه أنه يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المنكر والحيلة أشبه بالسحر ، وهذا

<sup>١</sup> - مسلم ( ٢٦٠٦ ) .

يعرف بالعادة والعرف أنه يؤثر وينتج ما يعمل السحر أو أكثر فيعطى حكمه تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين لكن يقال : الساحر إنما يكفر لوصف السحر وهو أمر خاص ودليله خاص وهذا ليس بساحر وإنما يؤثر عمله ما يؤثره فيعطى حكمه إلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة قال : وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة وهو يدل على تحريم النيمة وهو مجمع عليه أنه من كبائر الذنوب قال ابن حزم رحمه الله : اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على أنها من الكبائر وتعرفون . بارك الله فيكم . حديث ابن عباس قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال : { إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي في النيمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول } ( ١ ) نسأل الله السلامة والعافية فكان الجزاء من جنس العمل يعذبان في قبريهما والنميمة بارك الله فيكم نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد .

(( ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم )) ( ٢ ) نعوذ بالله من ذلك هذه من أعمال المنافقين ليس من أعمال المؤمنين فلخطورة النيمة دخلت في باب السحر لأن هذا بارك الله فيكم يسعى لقصد الإفساد وإيغار الصدور وكان الواجب عليه التجميع والتأليف لا التفريق .

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { إن من البيان لسحراً } ( ٣ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة والطرق .

الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر .

الرابعة : العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة : أن النيمة من ذلك .

السادسة : أن من ذلك بعض الفصاحة .

ثم قال : ولهما أي للبخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { إن من البيان لسحراً } المراد بالبيان البلاغة والفصاحة ولماذا قال فيه صلى الله عليه وسلم سحراً ؟

اختلف أهل العلم في ذلك فبعضهم حمل الحديث على الذم وبعضهم حملة على المدح والصحيح أنه على حسب القائل فإن كان القائل ينصر حقاً ويدفع باطلاً بيانه وفصاحته وبلاغته فلله دره من بيان ! وإن كانت فصاحته وبلاغته لإحقاق

<sup>١</sup> - البخاري ( ٢١٥ ) ومسلم ( ٢٩٢ ) .

<sup>٢</sup> - القلم ( ١٠ - ١١ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٤٨٥١ ) .

الباطل وإبطال الحق فيكون الحديث خرج مخرج الدم لأن بعض الناس قد يصور الباطل بصورة حق والحق بصورة باطل يقلب لك الأمر تماماً يجعل الأبيض أسود والأسود أبيض يكون عنده قوة تعبير وبيان حتى أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول : لا تغتر بقول القائل وإن طار في الهواء أو مشى على سطح الماء حتى تعلم متابعتة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكان شيخنا مقبل رحمه الله يقول : إن رأيت رجلاً ذا بيان فكن منه على حذر بعضهم يقلب كما قلت لك ويزوق لك المعاني على حد قول القائل :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه      وأن تشأ قلت ذا قيء الزناير  
مدحاً وذماً ما جاوزت وصفهما      والحق قد يعتريه سوء تعبير

يستطيع أن يذم العسل باعتبار أنه قيء النحل ويستطيع أن يمدحه إذ أن هذا هو مجاج يستطيع أن يصل إلى هذا الحد وأن يبين هذا البيان وأن يأتي بالحجة المقنعة .

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال : قال صمصمة بن صحوان أو صوحان : صدق نبي الله فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحنج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق كما قال صلى الله عليه وسلم :  
{ إنكم تختصمون لدي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له فمن قضيت له بشيء فإنما هي جمرة فليأخذها أو ليدعها } ( ١ ) قال ابن عبد البر : تأولته طائفة على الذم لأن السحر مذموم وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان .

قال وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سألته عن حادث فأحسن المسألة فأعجبه قال : هذا والله السحر الحلال انتهى والأول أصح والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس كما قال بعضهم:

في زخرف القول تزيين لباطله      والحق قد يعتريه سوء تعبير

مأخوذ من قول الشاعر :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه      وإن تشأ قلت ذا قيء الزناير  
مدحاً وذماً ما جاوزت وصفهما      والحق قد يعتريه سوء تعبير

وقوله : { إن من البيان لسحراً } هذا من التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل عمل السحر فيجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبلوا الباطل وينكروا الحق نسأل الله الثبات والاستقامة على الهدى .

قال : أما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبينه فهذا هو الممدوح وهكذا حال الرسل وأتباع الرسل ولهذا علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم وبالجملات فالبيان لا يحمد إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب وتغطية الحق وتحسين الباطل فإذا خرج إلى هذا فهو مذموم وعلى هذا تدل أحاديث كحديث الباب وحديث : { إن الله يغيض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها } ( ٢ ) رواه أحمد وأبو داود وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم ( ٨٨٠ ) انتهى وبالله التوفيق .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٢٥٣٤ ) ومسلم ( ١٧١٣ ) .

<sup>٢</sup> - صحيح : أبو داود ( ٥٠٠٥ ) والترمذي ( ٢٨٥٣ ) وأحمد ( ٦٥٤٣ ) وانظر حديث رقم : ١٨٧٥ في صحيح الجامع .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

والحق أن الكلام يختلف بحسب المقاصد لأن مورد المثل على ما رواه الشيخ الترابشتي وكان هذا القول منه صلى الله عليه وسلم عند قدوم وفد بني تميم وكان فيهم الزبرقان وعمرو تفخر الزبرقان فقال : يا رسول الله أنا سيد تيم والمطاع فيهم والمجرب أمنعهم من الظلم وأخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك فقال عمرو : إنه لشديد المعارضة مانع لجانبه مطاع في أذنيه فقال الزبرقان : والله يا رسول الله لقد علم مني غيرها وما منعه أن يتكلم إلا الحسد فقال عمرو : **وأنا أحسدك ؟** فوالله إنك للقيم الخال حديث المال ضيق العطن أحقق الولد مضيق في العشيرة والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً وما كذبت فيما قلت آخراً ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { إن من البيان لسحراً } الله المستعان قال الميداني : يضرب هذا المثل في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة فالكلام يختلف باختلاف المقاصد فبعض الناس من البيان كالسحر في الباطل إذا جعل الباطل حقاً والحق باطلاً وبعضه ممدوح إذا خلا من ذلك وكذلك الشعر منه مذموم إذا كان هجو مسلم وتزيين باطل وإن اشتمل على الحكم فهو ممدوح كما قال صلى الله عليه وسلم : { إن من الشعر لحكمة } ( ١ ) قال الله تعالى : (( والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات )) ( ٢ ) كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ومن سلك مسلكهم والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

### باب ما جاء في الكهان ونحوهم

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

### باب ما جاء في الكهان ونحوهم ،

باب لغة : اسم لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء ، واصطلاحاً : اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب وهو دون الكتاب وفوق الفصل ، قوله : ما جاء أي ما ورد وما ثبت من الأدلة في الكهان وما شابههم أما من حيث الكهانة أو الكهانة فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح الجزء العاشر صفح ٢١٦ قال : الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرهما تقول كاهن كهانة وكهانة ومعناها : ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض والأصل هو استراق الجن السمع من الملائكة فيلقي ذلك في أذن سيده ولله فيضيف ذلك كذبات كثيرة إلى هذه الكلمة التي اختطفها الجني من الحق من الملك وهذا كان منتشرًا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لكن بعد البعثة منعوا كما قال الله سبحانه وتعالى : (( وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً )) ( ٣ ) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله : الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع وكانوا قبل المبعث كثيراً وأما بعد المبعث فإنهم قليل لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن

<sup>١</sup> - الحاكم ( ٦٥٦٨ ) والطبراني في الأوسط ( ٧٦٧١ ) وانظر حديث رقم : ٢٨٥١ في السلسلة الصحيحة .

<sup>٢</sup> - الشعراء ( ٢٢٤ - ٢٢٧ ) .

<sup>٣</sup> - الجن ( ٩ ) .

أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن ولياً لله وهو من أولياء الشيطان كما قال تعالى : (( ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم )) ( ١ ) .

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً } ( ٢ ) .

ثم قال الشيخ : روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً } أما لفظة فصدقه ليست في صحيح مسلم هي ثابتة في مسند أحمد وأبي داود بسند صحيح وقوله : { من أتى عرافاً } العراف هو الكاهن وهو الذي يخبر الناس بمواضع الضائعة الضالة بأخبار قد يصدق وقد يكذب فيها وكذبهم أكثر من صدقهم وتأمل فقد رتب النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المجيء ضرراً كثيراً بمجرد المجيء والسؤال بقوله : { لم تقبل له صلاة أربعين يوماً } وهذه عقوبة قال علماؤنا : وليس المراد بذلك أنه يعيد هذه الصلاة فمن حيث الفرض سقط عنه لكن لا أجر له في ذلك أربعين يوماً وقوله صلى الله عليه وسلم : { لم تقبل له صلاة } صلاة نكرة في سياق النفي تفيد العموم نفل أو فرض أي صلاة لا يقبلها الله سبحانه وتعالى لهذه المعصية والكبيرة حينما جاء إلى ذلك يسأله .

١ - الأنعام ( ١٢٨ ) .

٢ - مسلم ( ٢٢٣٠ ) .



وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم } رواه أبو داود ( ١ ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : { من أتى كاهناً فصدقه بما يقول كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم } هذا حديث أبي هريرة في سنن أبي داود فتأمل في الحديث الأول بمجرد المجيء لقصد السؤال لم تقبل له صلاة أربعين يوماً وإذا جاءه وسأله عن شيء فصدقه يكون قد كفر بما أنزل على محمد والذي أنزل على محمد هو القرآن الكريم والسنة المطهرة هذا قضاء قضى به النبي صلى الله عليه وسلم لكن يفرق بين من جاء إلى الكاهن ليسأله سؤالاً يقصد من وراء ذلك الاختبار أو بيان كذب هذا الكاهن يبين كذبه وافتراده على الله وعلى المسلمين فقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابن صياد وكان كاهناً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : { **إني اختبأت لك شيئاً فما هو ؟** } قال : هو الدخ . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

{ اخساً فلن تعلقو قدرك } ( ٢ ) وهكذا فيما مضى كان العلماء يذهبون إلى الكهنة يسألونهم بقصد الاختبار وإظهار العجز وفضحهم أمام العامة لأن هؤلاء إنما يستطيعون أن يدجلوا على الجهال والرعاع ومن لا علم لديهم أما طلبه العلم والعلماء

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود ( ٣٩٠٤ ) وأحمد ( ٩٥٣٢ ) وانظر حديث رقم : ٥٩٤٢ في صحيح الجامع .  
<sup>٢</sup> - البخاري ( ١٢٨٩ ) ومسلم ( ٢٩٢٤ ) .

فهم لا ينحون نحوهم لأنهم يعرفون أنهم لا يمكن أن يصدقوا مثل هذا الكلام الذي هو تمويه وكذب وتزوير فلذلك يكثرون تواجدهم في القرى النائية التي هي خالية عن العلم والعلماء والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى .

وللأربعة والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : { من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم } ( ١ ) .  
ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مثله موقوفاً ( ٢ ) .

ثم قال : وللأربعة ،

والمراد بالأربعة أهل السنن الأربع أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرطيهما ولا يستفاد من هذه اللفظة تصحيح فربما قال الحاكم : صحيح على شرطيهما ويكون ضعيفاً لأن الحاكم رحمه الله كان واسع الخطو في شرط الصحيح كما قال ابن الصلاح ومعنى على شرطيهما أي أن رجال البخاري ومسلم هم رجال السند بنفس السياق لكن تعرفون الإمام الحاكم رحمه الله عنده تساهل اعتذروا له أعذار منها أنه عاجلته المنية قبل أن ينقح كتابه ومنها أنه رمي بالتشيع فتعصب فهذه اعتذارات للحاكم رحمه الله وإلا فهو كان عالماً كبيراً ومعروفاً أن كتابه المستدرك أراد أن يلزم الشيخين أعني البخاري ومسلماً بما لم يلزم على البخاري ومسلم إخراج كل حديث صحيح وجد على ظهر الأرض وإنما ما رأياه صحيحاً والإمام البخاري يقول : تركت من الصحيح خشية يطول كتابه وعبارة نحوها للإمام مسلم

<sup>١</sup> - صحيح : ابن ماجه (٦٣٩) وأحمد (٩٥٣٢) والدارمي (١١٣٦) انظر حديث رقم : ٥٩٣٩ في صحيح الجامع .  
<sup>٢</sup> - مسند أبي يعلى (٥٤٠٨) .

رحمه الله تعالى ، على أية حال هذا الحديث هو صحيح قال عن النبي صلى الله عليه وسلم : { من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم } الحديث . بارك الله فيكم . أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وقد صححه الشيخ الألباني كما في إرواء الغليل وهو شاهد لما قبله . قال ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً : { ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم } رواه البزار بإسناد جيد ( ١ ) .  
ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : { ومن أتى ..... } إلى آخره ( ٢ ) .

وعن عمران بن حصين مرفوعاً : { ليس منا من تطير أو تطير له } ليس منا أي ليس هذا من فعلنا ومن طريقتنا وفيه وعيد شديد إذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا مثلاً { من غشنا فليس منا } ( ٣ ) فهذا يكون فيه وعيد شديد يدل على أن هذا الأمر كبيرة من كبائر الذنوب قوله : { من تطير } أي من فعل الطيرة وهو أن يزجر الطير فإن أيمن تفاعل وإن أشأم أي ذهب جهة الشمال تشاءم سواء فعل هذا بنفسه أو فعل له { أو تكهن أو تكهن له } كهانة : ادعاء علم الغيب أو { سحر أو سحر له } { ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم } رواه البزار بإسناد جيد ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : { ومن أتى ..... إلخ }

<sup>١</sup> - صحيح : الطبراني في الكبير ( ٣٥٥ ) والأوسط ( ٤٨٤٤ ) والبزار ( ٣٠٤٤ ) وانظر حديث رقم : ٥٤٣٥ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ( ١١٧ / ٥ ) وقال المنذري : إسناده حسن .

<sup>٣</sup> - مسلم ( ١٠١ ) .

قال البغوي : العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك .  
 وقيل : هو الكاهن ، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل .  
 وقيل : الذي يخبر عما في الضمير .  
 وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

قال البغوي : العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمة يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل : هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل : الذي يخبر عما في الضمير قال أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله تعالى شيخ الإسلام معروف بعلمه وبجهاده وقد مات عن ثلاثة وستين عاماً ولم يتزوج رحمه الله كان مشغولاً بالعلم والجهاد ولعله أيضاً كان عنده عدم الرغبة في الزواج وإلا لتزوج ما كان عنده ما يجعله يرغب في النساء ففرغ حياته كلها مشغولاً في العلم والدعوة والجهاد وأيضاً سجن كثيراً فرحمه الله تعالى رحمة واسعة قال : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم :  
[ ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق ] .

فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق أي من نصيب إذا  
كان تعلم حروف هذه : أبجد هوز حطي كلمن سعفص إذا كان تعلمها من أجل معرفة الحروف الأبجدية ورسم الكلمات

وتعلم الهجائية فلا بأس أما إذا كان من أجل ادعاء علم الغيب وجمع بعض الكلمات والاستفادة منها كذا وكذا كما هي طريقة المنجمين فهذا يكون محرم ويكون هذا من علم التأثير المحرم وهذا مقصد ابن عباس رحمه الله تعالى أما إذا كان لقصد التعليم أو لقصد حفظ تأريخ الوفيات فقد ذكر الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى عن شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، قال العثيمين : قوله يكتبون آبا جاد وينظرون في النجوم ، الواو هنا ليست عطفاً ولكنها للحال يعني والحال أنهم ينظرون فيربطون ما يكتبون بسير النجوم وحركتها .

قوله : ما أرى من فعل ذلك ،

يجوز بفتح الهمزة بمعنى أعلم وبالضم بمعنى أظن .

قوله : آبا جاد ،

هي من : أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ .

وتعلم آبا جاد كما مر ينقسم إلى قسمين :

**الأول** تعلمه مباح بأن نتعلمها لحساب الجمل وما أشبه ذلك فهذا لا بأس به وما زال أناس يستعملونه حتى العلماء يؤرخون بها قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدي في تأريخ بناء المسجد الجامع القديم :

جد بالرضا واعط المنى	من ساعدوا في ذا البناء
تأريخه حيث انتهى	قول المنيب اغفر لنا
والشهر في شوال يا	رب تقبل سعينا

فقوله اغفر لنا قال : لو عددناها حسب الجمل صارت : ( ١٣٦٢ هـ ) وقد اعتنى بها العلماء في العصور الوسطى حتى في القوائد الفقهية والنحوية وغيرها ويؤرخون بها مواليد العلماء ووفياتهم ولم يرد ابن عباس هذا القسم .

**الثاني** محرم وهو الذي أراده ابن عباس ، الثاني محرم وهو كتابة آبا جاد كتابة مربوطة بسير النجوم وحركاتها وطلوعها وغروبها ينظر في النجوم ليستدل بالموافقة والمخالفة على ما سيحدث في الأرض إما على سبيل العموم كالجذب والمرض والحرب ونحو ذلك أو على سبيل الخصوص كأن يقول لشخص سيحدث مرض أو فقر أو سعادة أو نحس وفي هذا وأشباه ذلك فهم يربطون هذا بهذه وليس هناك علاقة بين حركات النجوم واختلاف الوقائع في الأرض ومن هذه الكهانة : ما تنقله نتيجة فلكي بيت الفقيه تلکم النتيجة التي تحمل ادعاء علم الغيب تحمل الإشراف بالله سبحانه وتعالى لأنها تدعي علم الغيب كانت تقول قبل عامين وهي تعدد الرؤساء موقف الرئيس الفلاني موقفه زاهر من ضمنهم صدام المهم كلهم مواقفهم زاهرة وحصل . بارك الله فيكم . العكس تماماً هذه النتيجة لا يجوز بيعها ولا شراؤها ولا قراءتها ولا تصديق ما فيها والواجب على مهدي أمين أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى وأن يعلم أن ما يكتبه ويسجله خطر عليه وعلى معتقده وعلى معتقد الشعب اليمني الجاهل الذي يصدق بمثل هذه الخرافات كذلك أيضاً فيما يتعلق بعلم التنجيم صار له الآن جامعات أذكر جامعة في لبنان خاصة بعلم التنجيم علم التأثير هذه جامعة بجميع أقسامها من أجل هذا العلم جامعة أخرى في ليبيا لهذا الهدف ولهذا المقصد أما في غير هاتين الدولتين فجامعات كثيرة في هذا الباب فيما يتعلق بعلم التنجيم والكهانة والسحر والشعوذة وهذا بارك الله فيكم إن حصل فهو بسبب تفریط الدعاة إلى الله وعدم قيامهم بواجب الدعوة إلى الله

سبحانه وتعالى لا سيما إلى الدين الصحيح والتوحيد الصحيح الذي من أجله بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبهذا  
القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### باب ما جاء في النشرة

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

#### باب ما جاء في النشرة ،

أي ما ورد من الأدلة في النشرة والنشرة مأخوذة من النشر نشر بالمناشير والمراد بذلك التفريق لأن المنشار يفك بين  
الجنب والجنب بين المصراعين يعني تعطيه خشبة يفلقها نصفين وهكذا فالنشرة لغة : مأخوذة من النشر والمراد بالنشر  
التفريق قال أبو السعادات وهو ابن الأثير الجزري في غريب الحديث قال : النشرة ضرب من العلاج والرقية ، وقال ابن  
الجوزي وتبعه ابن قيم الجوزية أبوه كان قائم على مدرسة تسمى بالجوزية في دمشق ، ابن الجوزي عراقي وابن القيم  
دمشقي وابن الجوزي متقدم وابن القيم متأخر قال ابن الجوزي وكذا ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور .

قال : ما جاء في النشرة ، ما قال : حرام أو شرك ، المؤلف رحمه الله لم يحكم على النشرة بشيء لماذا ؟

لأنه كما تقدم لكم أن النشرة معناها حل السحر عن المسحور وحل السحر أو فك السحر عن المسحور له ثلاث طرق :

**الطريقة الأولى :** هي الطريقة المثلى وهي الرقى والتعاويذ الشرعية لماذا ؟



لأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : (( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين )) ( ١ ) ويقول المولى سبحانه وتعالى : (( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء )) ( ٢ ) ويقول سبحانه على وجه العموم : (( يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور )) ( ٣ ) والقرآن بالجملة شفاء من الأمراض المعنوية والحسية فهو لإصلاح القلوب والعقول والأبدان وهكذا يضم إلى القرآن المصدر الثاني من التشريع وهو الوحي المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم فلقد سحر عليه الصلاة والسلام فكان يرتقي ولما أنزل الله عز وجل عليه سورة الفلق وسورة الناس كان يرقى نفسه بهما : (( قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد )) ( ٤ ) وقوله سبحانه : (( قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس )) ( ٥ ) وهكذا سورة الفاتحة فهي أيضاً الراقية والشفافية وهي أم القرآن وقد كان الصحابة يرقون بها فقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن أبا سعيد الخدري وأصحاب له خرجوا في سرية فنزلوا وادياً من الوديان فسألوا الضيافة من أهل الوادي فأبوا فلدغ سيدهم فقال بعضهم لبعض : انظروا هؤلاء الرهط هل تجدون عندهم من راق فجاءوا إليهم قالوا : إن سيد الحي سليم و كلمة سليم بمعنى لديغ لكنهم يقولون ذلك تفاؤلاً قالوا : نعم ولكن لا نرقى حتى تجعلوا لنا جعلاً فشارطوهم على قطع من الغنم فقام أبو سعيد رضي الله تعالى عنه واسمه سعد بن مالك بن سنان الخزرجي قام وكان شاباً فقراً سورة الفاتحة مرات قيل سبع مرات في بعض الروايات قال : فكأنما نشط الرجل من عقل أي أنه كان معقول محبوس فقام من فوره فلما جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر وقال : **وما يدريك أنها رقية ؟** فسألوه عن القطيع من الغنم قال : { كلوها واضربوا لي منها بسهم إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله } ( ٦ ) وهكذا يدخل في ذلك أذكار الصباح والمساء والنوم فإن من تلك الأذكار : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، هذا من التعاويذ وهكذا أيضاً : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين :

{ أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة } وقال : { إن أباكم إبراهيم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق } ( ٧ ) وكذلك أيضاً ما جاء من الإستطباب الذي كان يداوي به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من ذلك قوله قوله صلى الله عليه وسلم : { بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا } ( ٨ ) ورقية جبريل لنبينا صلى الله عليه وسلم : { بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر حاسد إذا حسد } ( ٩ ) أيضاً كان صلى الله عليه وسلم إذا شكي إليه شيء من الألم قال : { ضع يدك على موضع الألم ثم قل ثلاثاً : بسم الله ثم قل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر } ( ١٠ ) وهذا على حسب إيمانك ويقينك فإن كنت مستيقناً معتقداً موقناً بأن الله سبحانه

١ - الإسراء ( ٨٢ ) .

٢ - فصلت ( ٤٤ ) .

٣ - يونس ( ٥٧ ) .

٤ - سورة الفلق .

٥ - سورة الناس .

٦ - البخاري ( ٢١٥٦ ) .

٧ - البخاري ( ٣١٩١ ) .

٨ - البخاري ( ٥٤١٣ ) .

٩ - صحيح : الترمذي ( ٩٧٢ ) وابن ماجه ( ٣٥٢٣ ) وأحمد ( ٩٧٥٦ ) وانظر حديث رقم : ٧٠ في صحيح الجامع .

١٠ - مسلم ( ٢٢٠٢ ) .

وتعالى سيجعل لك الشفاء في هذا القرآن فسوف ينزل الشفاء بإذنه سبحانه وتعالى فقد قال ابن القيم رحمه الله : مكثت في مكة أياماً لم أجد طبيباً أتداوى عنده قال : فكنت أقرأ الفاتحة وأرقى بها على جسدي فأجد لذلك تأثيراً عظيماً ، فهذه كلها رقى وتعاويذ شرعية من القرآن من سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهي أفضل وأنجح وسيلة لاستخراج السحر وإبطاله كما قال سبحانه وتعالى : (( قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيضلّه )) ( ١ ) ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( ولا يفلح الساحر حيث أتى )) ( ٢ ) ويقول صلى الله عليه وسلم : { اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيع لها البطلة } ( ٣ ) ويقول صلى الله عليه وسلم : { البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة تنفر منه الشياطين } ( ٤ ) ( فمن ابتلي بشيء من المس أو السحر والتخييلات وإمالة عقله أو بعض أهله فيقرأ سورة البقرة ويجعل أيضاً المقرئين عبر الأشرطة يقرءونها باستمرار وهو يقرأ البقرة في صالة بيته وفي الغرف وفي الحجر وفي الأحواش ولا بأس أن يأتي بسطل فيه ماء يقرأ سورة الفاتحة سبع مرات ويضع بعض التعاويذ ويأخذ ذلك الماء يوزعه على الجدران فإن هذا إن شاء الله سبحانه وتعالى كفيل بإخراج السحر والسحر دخل بإذن من الله وسيخرج بإذن من الله الواحد الأحد هذه هي الطريقة السليمة السديدة الشرعية البعيدة من كل شبهة .

**الطريقة الثانية :** حل السحر ببعض الطب العربي والتجارب الحاصلة وهذه طريقة لا بأس بها ليس فيها من الشرك لكن بمستوى الطريقة الأولى فالطريقة الثانية هذه يذكر بعض أهل العلم كالحافظ ابن حجر في فتح الباري يذكر أموراً مجربة في ذلك الزمان قال : من ذلك أن يخرج المسحور فيذهب به يميناً وشمالاً بين أشجار مغدقة ثم يؤخذ من تلك الأشجار وتدق ويقرأ عليها شيئاً من القرآن الكريم ويغتسل بذلك المسحور .

تجربة ثانية : يقولون يؤتى بفأس ذي حدين ويؤتى بأشجار وأحطاب فيشعلونها تحت ذلك الفأس حتى إذا احمر ثم يؤتى بالمسحور فيبول على هذا الفأس وهو حار فإن هذا مما يذهب بالسحر .

ويذكر سماحة الشيخ الوالد عبد العزيز بن باز رحمه الله يذكر أنه لا بأس أن تؤخذ سبع أوراق سدر وتدق بين حجرين ثم يغسل ويدلك هذا المسحوق بهذه مع الرقية الشرعية ويكون هذا عن طريق مقرئ ولكن كما قلت لكم : طريقة القرآن والرقى الشرعية والأدعية فهي طريقة أفضل وأسلم لأن المسحور أو أولياء المسحور عندهم اضطراب والله سبحانه وتعالى يقبل دعاء المضطر كما قال سبحانه :

(( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء )) ( ٥ ) .

**أما الطريقة الثالثة :** فهي الطريقة المحرمة طريقة السحر وهو أن يحل السحر بالسحر ينشر السحر بالسحر هذه طريقة محرمة يفعلها بعض المسلمين اليوم يقولون : لا يخرج السحر إلا ساحر إن كان قولهم : لا يخرج السحر إلا ساحر بمعنى أن يذهب الساحر إلى موضع السحر فيخرجه ثم يبطله هذا لا بأس به لكن يخرجه بسحر آخر أو ما يفعله بعض الناس يأتي بالزار وهو عبارة عن مجموعة مطبلين وعندهم جن يطبلون ثم يرسلون جنية تركض هذا المريض فيقوم يركض يطلع وينزل

١ - يونس ( ٨١ ) .  
٢ - طه ( ٦٩ ) .  
٣ - مسلم ( ٨٠٤ ) .  
٤ - مسلم ( ٧٨٠ ) .  
٥ - النمل ( ٦٢ ) .

هكذا وبعدين يرتمي ثم بعد ذلك يعاهدون هذا الجني أنه لا يعود طريقة مؤقتة ويمتصون أموال الناس وهكذا فهذه طريقة شيطانية خرافية محرمة لا يجوز هذا العمل إطلاقاً لأنه يخالف أمر الله وأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقد تقدم لكم أن السحرة إن كان عندهم استعانة بالجن واستخدام للجن فإنهم كفار وسواء كان الساحر يستخدم الجن أو كان عن طريق الأدوية والعقاقير فحده الشرعي أن تضرب عنقه كما صح ذلك عن عمر وعن حفصة بنت عمر وعن جندب الأزدي حينما دخل على رجل ساحر قد قطع رأس شخص والناس ينظرون ثم ركبته في الحال فتقدم جندب الأزدي وضرب عنق هذا الساحر .

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة ؟ فقال : { هي من عمل الشيطان } ( ١ ) رواه أحمد بسند جيد وأبو داود وقال : سئل أحمد عنها ؟ فقال : ابن مسعود يكره ذلك كله .

قال رحمه الله : عن جابر ،

وجابر هو ابن عبد الله الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة قال : { هي من عمل الشيطان } هذا الذي هو حل السحر يسحر مثله رواه أحمد بسند جيد وهو حديث صحيح حسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري وأبو داود وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود ( ٣٨٦٨ ) وأحمد ( ١٤١٦٧ ) والحاكم ( ٨٢٩٢ ) وانظر السلسلة الصحيحة برقم ( ٢٧٦٠ ) .

وفي البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طب ، أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه ( ١ ) .

وفي البخاري عن قتادة هو قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي ولد أكمه وكان يحفظ قال مرة لطلابه : أنه يحفظ صحيفة جابر كما يحفظ (( قل هو الله أحد )) ( ٢ ) قال : قلت لابن المسيب : رجل به طب يعني به سحر هذا سؤال يسأل قتادة ابن المسيب رجل به طب ؟ أو يؤخذ عن امرأته؟ لا يستطيع الوصول إلى زوجته يعني يعقد يحبس عن الوصول إلى امرأته عن طريق الجن والسحرة أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه .

إن كان مراد ابن المسيب ما تقدم أن ذلك يكون بالتعاويد والرقى الشرعية أو بالتجارب المعروفة فلا بأس أما إن كان يريد به يعني حل السحر بالسحر فلا يتابع ابن المسيب على أنه رحمه الله تعالى من علماء التابعين ولكن كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١ - البخاري ( ٥ / ٢١٧٥ ) .

٢ - الإخلاص ( ١ ) .

وروي عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر إلا ساحر .

قال : وروي عن الحسن أنه قال : ، لا يحل السحر إلا ساحر ، ، إن كان المراد لا يحل السحر عن المسحور إلا ساحر بمعنى يخرج السحر من موضعه فهذا لا بأس به وهو من التعاون على البر والتقوى أما إن كان قصده أن يحل السحر بمثله فكما تقدم لكم أن هذا محرم كما سيذكره ابن القيم رحمه الله ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب تلخيصاً عن ابن القيم رحمه الله على الجميع .

قال ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان :

أحدهما : حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور .

والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال .

قال ابن قيم الجوزية : النشرة حل السحر عن المسحور وهو نوعان :

**أحدهما :** حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور .

**الثاني :** النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز وهذا . بارك الله فيكم . هو الذي عليه أهل السنة سلفاً وخلفاً وهو معتقد المسلمين إلى قيام الساعة وفق الله المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه وأخذ بنواصينا للبر والتقوى وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

### باب ما جاء في التطير

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله :

#### باب ما جاء في التطير ،

فالباب من حيث اللغة : استخدم حقيقة لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء واستخدم معنى : استخدمه المؤلفون في كتبهم ويريدون به : جملة علمية مختصة من الكتاب .

وقوله : ما جاء ،

أي ما ورد من أدلة الشرع من أحكام الشريعة في هذا الباب .

في باب التطير ،

والتطير لغة : تفعل من تطير يتطير طيرة فأصل اشتقاقه من الطير لأن العرب كانوا يتشاءمون أو يتفاءلون بالطير فيأتون بطير ثم يذبحون هذا الطير فإن طار جهة اليمين تفاءلوا قالوا يمن إذن سافر ابن بيتاً تزوج امرأة أقدم على عمل وإن أشأم أي



ذهب جهة الشمال تشاءموا وأحجموا فجعلوا علامة الخير والشر هو كون الطير يهديه الله فتذهب جهة اليمين أو يذهب جهة الشمال فإن أيمن قالوا : يمن وإن أشأم أي جهة الشمال قالوا : شؤم فكان هذا والعياذ بالله يحملهم على الإقدام أو الإحجام فجاء الإسلام وبعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام من أجل إزالة هذه أو مثل هذه العقائد الظالمة الجائرة هذه العقائد التي تفقد العبد حسن توكله على الله سبحانه وتعالى تجعله يعلق خيره أو شره بأمر لا حقيقة له أنه يعلق أمله بشيء لا حقيقة له فجاءنا الله سبحانه وتعالى بهذا الخير وأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتوكل فقال سبحانه : (( فإذا عزمتم فتوكل على الله )) ( ١ ) توكل عليه سبحانه وتعالى ولا تلتفت إلى مثل هذه العقائد التي كان عليها أهل الجاهلية فالتطير إذن ينافي التوحيد ومنافاته للتوحيد أن المتطير لم يتوكل على الله ليس متوكلاً على الله وإنما تعلق بأمر لا حقيقة له وكان الواجب عليه أن يعتصم بالله (( ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم )) ( ٢ ) .

فالزم يديك بأمر الله معتماً فإنه الركن إن خانتك أركان

**وقوله تعالى : (( ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون )) ( ٣ ) .**

بعد أن بوب المؤلف هذا الباب قال : وقول الله تعالى : (( ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون )) ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الآية المباركة في سياق قوله جل وعلا : (( فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يتطبروا بموسى ومن معه )) ( ٤ ) حكاية عن فرعون وآله أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام وأخاه هارون نبين كريمين قال : (( اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى )) ( ٥ ) فلما جاء إليه بالهداية والنور والخير كان هذا الرجل إذا أصيبوا بالخصب بالأمطار بالبركات قالوا : هذه نحن نستحقها وهي منا فإن جاءهم شيء من الجذب من القحط مما يتضايقون به ذرعاً ينسبونهم إلى موسى وقومه . عياداً بالله . على أن موسى عليه الصلاة والسلام نبي وأخوه هارون نبي وبنو إسرائيل الذين تابعوا موسى أتباع موسى أتباع نبي فموسى جاء بالخير وجاء بالبركات ولكن هكذا أهل الشر يعكسون الأمر تماماً وما أشبه الليلة بالبارحة فبعضهم ربما نسب قلة الأرزاق وعدم إنبات الأرض وإنزال الأمطار إلى الصالحين قال :

١ - آل عمران ( ١٥٩ ) .  
٢ - آل عمران ( ١٠١ ) .  
٣ - الأعراف ( ١٣١ ) .  
٤ - الأعراف ( ١٣١ ) .  
٥ - طه ( ٤٣ - ٤٤ ) .

بسبب هؤلاء الصالحين بسبب هؤلاء المطاوعة أو الوهابيين إلى آخره من العبارات القذرة هذه لهجة كانت حاصلة في الأمم المتقدمة فنهى عنها الإسلام وأخبرنا عنها القرآن

(( وإن جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يتطيروا بموسى ومن معه )) أي أنهم يعيدون هذا الجذب وهذا القحط وقلة الأرزاق يعيدونه إلى موسى وتواجده فيما بينهم فيقول الله رداً على هؤلاء : (( ألا إنما طائرهم عند الله )) يعني هذا الذي حصل لكم ليس بسبب ما قلتم من أنكم نسبتم الشر من جذب وقحط ومصائب إلى موسى وإنما هذا بسبب كفركم وتكذيبكم وذنوبكم ومعاصيكم التي قابلتم بها ربكم ورسول ربكم موسى عليه الصلاة والسلام هذا فيما كان في أمة موسى عليه الصلاة والسلام وتأمل إلى قوله سبحانه : (( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون )) ( ١ ) فكان الإيمان والتقوى سبباً لنزول البركات سبباً من أسباب رغد العيش ولكن هكذا أهل الكفر والعناد دائماً يعاندون ويجعلون أموراً مضادة لأمر الله سبحانه وتعالى

**وقوله : (( قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون )) ( ٢ ) .**

ثم قال عز وجل حاكياً عن قرية من القرى أرسل الله عز وجل إليهم رسلاً فكان أهل هذه القرية يتطيرون أي يتشاءمون ويعيدون كل مصيبة إنما هي بسبب جرم وشؤم هؤلاء الصالحين من أنبياء ودعاة إلى الله .  
قال المؤلف : وقوله : (( قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون )) هذه القرية ضرب الله عز وجل فيها مثل وهي آيات ذكرها الله في سورة يس :

(( واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية )) ( ٣ ) اضرب يا محمد مثلاً لهؤلاء القرشيين العتاة اضرب لهم مثلاً أصحاب القرية (( إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون )) ( ٤ ) ثلاثة رسل أنبياء بعثهم الله إلى هذه القرية (( قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين قالوا إنا تطيرنا بكم )) ( ٥ ) أي تشاءمنا بكم (( لئن لم تنتهوا لنرجمنكم

١ - الأعراف ( ٩٦ ) .  
٢ - يس ( ١٩ ) .  
٣ - يس ( ١٣ ) .  
٤ - يس ( ١٣ - ١٤ ) .  
٥ - يس ( ١٥ - ١٨ ) .

وليمسكنكم منا عذاب أليم)) (١) قال الله سبحانه وتعالى رداً على هؤلاء وأمثالهم : (( ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون )) (٢) يعني هذا التطير الذي أنتم تنسبوه إلى الرسل إلى أهل الخير والدين والصلاح ليس بصحيح وإنما الجذب والمصائب الحاصلة فيكم إنما هي بسبب ذنوبكم ومعاصيكم : (( ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون )) (٣) فالتطير هو التشاؤم بمرئي صلى الله عليه وسلم لأنه يعلم أن الأمر بيد الله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كذلك تشاءم وتطير القرشيون بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو عليه الصلاة والسلام صاحب الدين والخلق العظيم والكرم الفياض الخير كله جاء به من عند ربه سبحانه وتعالى لكن تأمل إلى أهل الزور والكذب والفجور والكفر والجحود قال الله سبحانه وتعالى : (( وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك )) (٤) إن جاءهم شيء من النعم قالوا هذه من عند الله فإن تغير شيء من هذه النعم ابتلاء واختباراً يقولون : هذه من عند محمد فيقول الله سبحانه وتعالى : (( قل كل من عند الله )) (٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر } . أخرجه (٦) زاد مسلم : { ولا نوء ولا غول } (٧) .

.....

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا عدوى ولا طيرة } قوله عليه الصلاة والسلام : { لا عدوى } أي لا عدوى مؤثرة بذاتها على حسب ما كان يعتقد أهل الجاهلية الأولى كانوا يعتقدون أن العدوى تنتقل بذاتها بإرادتها فجاء الإسلام فأبطل هذا المعتقد قال عليه الصلاة والسلام : { لا عدوى } أي لا يعدي شيء شيئاً لكن هل العدوى حاصلة أو ليست بحاصلة ؟ العدوى بتقدير من الله الواحد الأحد حاصلة وقد ذهب إلى هذا القول من العلماء المتقدمين البيهقي وابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وابن عثيمين من المتأخرين حتى أن ابن العثيمين يقول : العدوى واقعة حساً ومعنى ، واستدل لوقوعها حسياً ما هو معروف عندما يخالط الصحيح السليم فإذا به يصاب ما هو في هذا المريض كما قيل :

إليها ولكن الصحيحة تجرب

وما ينفع الجرباء قرب صحيحة

١ - يس ( ١٨ ) .  
٢ - الأعراف ( ١٣١ ) .  
٣ - الروم ( ٤١ ) .  
٤ - النساء ( ٧٨ ) .  
٥ - النساء ( ٧٨ ) .  
٦ - البخاري ( ٥٣٨٠ ) ومسلم ( ٢٢٢٠ ) .  
٧ - مسلم ( ٢٢٢٢ ) .

وأما من حيث المعنى فاستدل بحديث أبي موسى في الصحيحين قال نبينا صلى الله عليه وسلم : { مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك أو تجد منه ريحة طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثوبك أو تجد منه رائحة كريهة } ( ١ ) فإذا كان بهذا المصطلح فالعدوى حاصلة ليست مؤثرة بذاتها ولكن بإرادة من الله الواحد الأحد وأن قوله صلى الله عليه وسلم : { لا عدوى } أي لا عدوى مؤثرة بذاتها حسب ما كان يعتقد أهل الجاهلية الأولى والأحاديث التي وردت في أن العدوى مؤثرة بذاتها منها حديث : { فر من المجدوم فراك من الأسد } ( ٢ ) وقد أجاب أهل العلم على هذا الحديث بعدة أجوبة منها أنهم قالوا : أن هذا من باب سدا للذريعة حتى لا تصاب أنت بالجذام فتقول بسبب المخالطة وإلا فالأمر هو بقدر من الله سبحانه وتعالى وإنما يشهد لما قلنا أن رجلاً قال : يا رسول الله إن البعير أو الصحيح من الإبل يصاب بشيء من الجذام في أنفه فيخالطه الصحيح فيجرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { فمن الذي أعدى الأول ؟ } ( ٣ ) أي أن الأول كان بتقدير من الله فهكذا الثاني أيضاً فيكون المعنى حسب ما تقدم لكم : لا عدوى أي لا عدوى مؤثرة بذاتها حسب ما كان يعتقد أهل الجاهلية من قبل .

وقوله : { لا طيرة } أيضاً هذا قد تقدم لكم القول فيما يتعلق بأمر التطير لغة وهكذا شرعاً والتطير بمري أو مسموع أو معلوم وقد قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم : ومنا أناس يتطيرون قال : { ذلك شيء يجده الإنسان في نفسه فلا يصدنكم } ( ٤ ) فلا ينبغي للشخص أن يتطير بشهر أو بعام من الأعوام أو بيوم من الأيام كما هو حاصل عند بعضهم يتشاءم بيوم الأربعاء يقول : هذا يوم نحس أو هذا يوم سعد أو إذا رأى أصلع أو أعرج تشاءم أو أسود فلا ينبغي لك أن تتشاءم فإن هذه مخلوقات خلقها الله سبحانه وتعالى فالخلق خلقه والأمر أمره .

وقوله : { ولا هامة ولا صفر } قال : أخرجاه أي في الصحيحين ، قوله : { لا هامة } المراد بالهامة كما قال الفراء : طير من طيور الليل ويقال : أنه البومة هذا الطير إذا حط رحله على متن بيت من البيوت يأتي بشيء من الأصوات المزعجة المرعبة فيقول بعضهم : نعى إلي نفسي هذه البومة نعت إلي نفسي ، هذه البومة لا تعلم الغيب

(( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً )) ( ٥ ) أهذه البومة تعلم الغيب ؟ كلا والله الآجال والأنفاس والأعمار بيد الله سبحانه وتعالى { لا هامة } أي لا حقيقة لها هي أمر خيالي كان يعتقد أهل الجاهلية فجاء الإسلام فأبطله على حد قول القائل :

أما آن للسرداب أن يلد الذي      كلفتموه بزعمكم ما آن  
فعلى عقولكم العفاء فإنكم      ثلثتم العناء والغيلان

هذه خيالات وجهالات أبطلها الإسلام ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

قوله : { ولا صفر } لأهل العلم تفسيران اثنان في هذا اللفظ :

١ - البخاري ( ١٩٩٥ ) ومسلم ( ٢٦٢٨ ) .  
٢ - البخاري ( ٥٣٨٠ ) .  
٣ - البخاري ( ٥٣٨٧ ) ومسلم ( ٢٢٢٠ ) .  
٤ - مسلم ( ٥٣٧ ) .  
٥ - الجن ( ٢٦ ) .

قال بعضهم : هي حية تكون في بطن الماشية وكذلك في الناس أيضاً كان بعضهم يعتقد أنه يوجد هذا في البطن فإذا حصل كان أعدى من الجرب فيموت مثل السرطان مثل أي شيء اعتقاد .

والقول الصحيح : أن المراد به شهر صفر المعروف الذي يتشاءم به الناس اليوم وذلك أنهم كانوا يحلون المحرم ويحرمون مكانه صفر هكذا كان أهل الجاهلية يفعلون فرد الله عز وجل وأبطل قسمتهم قال جل وعلا : (( إنما النسيء زيادة في الكفر )) ( ١ ) .

زاد مسلم : { ولا نوء ولا غول } المراد بالنوء أحد الأنواء وهي منازل القمر ثمانية وعشرين منزلة كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة فيقول رسول الله : { ولا نوء } أي أنك لا تعلق الخير والشر الخصب والجذب الأمطار وعدمها بالنوء الفلاني لا يجوز .

في العام السادس من الهجرة صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر على إثر مطر كان من الليل والحديث في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني وسوف يأتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم حينما صلى بهم الفجر ثم التفت إلى أصحابه : { هل تدرؤن ماذا قال ربكم ؟ } قالوا : الله ورسوله أعلم قال : { يقول ربكم : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب أو بالكواكب } ( ٢ ) فالواجب على المسلم أن يعلق الخير والشر والخصب والجذب بأمر الله يعلق ذلك كله بالله سبحانه وتعالى حتى إرصاد الأمطار الآن بالضغط الجوي أو المنخفض الجوي وإن كانت هذه قد تكون علامة حقيقية أدركوها بحسب التجربة عبارة عن علامات وأمارات فنية أوصلهم إلى ذلك علم التقنية ، علم الفلك العلوم التي ركزوا بها على هذا الجانب فتجدهم يقولون : ستكون الرياح شمالية جنوبية أو مثلاً شرقية غربية ستكون هناك سحب على البحر أو ستهطل الأمطار أو كذا منهم من يقول : لا ينبغي أن يفتح هذا الباب لأن فتح هذا الباب مضرة على الجهال الجهال يظن يقول : هؤلاء يعلمون الغيب يقولون إنه سيحصل وفعلاً حصل وهكذا علماء الفلك حينما يعلنون بأنه سيحصل انكساف على الجزيرة العربية أو على قارة كذا وكذا ثم يتحقق هذا ليس من علم الغيب بل هو عبارة عن أمارات وعلامات يدكونها على حسب منازل القمر وجريان الشمس نبه على هذا ابن القيم وقبله ابن تيمية رحمه الله تعالى وهي من أمور كان يعرفها الناس قبل الإسلام فالواجب أن يقال هذا من رحمة الله وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى وأن لا نعلق هذا الأمر بالضغط الجوي أو المنخفض الجوي ونقول للناس هذا حصل بسبب كذا بسبب انخفاض أو ارتفاع إن كانت هذه عبارة عن علامات وأمارات فهو أشبه ما يكون بعلم التفسير لا بعلم التأثير وذلك أن هذا يعني إن طلع النجم الفلاني من كذا فهو علامة لحصول كذا للزراعة أو لهطول الأمطار لا أنه هو المؤثر بذاته فإن مثل هذه الأمور بيد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم : { خمس لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ قول الله سبحانه وتعالى : (( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير )) ( ٣ ) } ( ٤ ) آخر سورة لقمان إلى هنا وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

١ - التوبة ( ٣٧ ) .

٢ - مسلم ( ٧١ ) .

٣ - لقمان ( ٣٤ ) .

٤ - البخاري ( ٤٣٥١ ) ومسلم ( ١٠ ، ٩ ) .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : { ولا غول } ،

والغول بالضم وجمعه أغوال وغيلان قال أبو السعادات الأثري صاحب النهاية في غريب الحديث : الغول واحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس تتلون تلوناً في صور شتى وتغولهم ومعنى تغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفي النبي صلى الله عليه وسلم إما أنه لا وجود في الكون لشيء يسمى بالغول { لاغول } أي لا وجود له وأنه أمر خرافي سراب لا حقيقة له كما قيل هذا أحد شعراء أهل السنة يرد على الشيعة الذين يعتقدون أن إمامهم المهدي المنتظر الذي هو في سرداب ( سامرا ) وسيخرج قريباً يرد عليهم ويقول هؤلاء يعيشون خرافة كخرافة الغيلان فيقول :

كلفتموه بزعمكم ما آن

أما آن للسرداب أن يلد الذي

تلثتم العنقاء والغيلان

فعلى عقولكم العفاء فإنكم

هذا الوجه الأول : لا غول أي لا وجود للغول وأنه أمر خرافي .

التفسير الثاني : لا غول أي وإن وجدت فهي لا تستطيع أن تؤثر أو أن تضل أو أن توصل السوء إلى أحد من الناس إلا بتقدير من الله سبحانه وتعالى على حد قوله صلى الله عليه وسلم : { لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر } فهذه قد توجد ولكن لا تأثير لها كما قال سبحانه :

(( قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون )) ( ١ ) وأما ما ورد من حديث : { إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان أو فعليكم بالأذان } فهو حديث ضعيف أخرجه أحمد من حديث جابر والطبراني أيضاً وفي سنده عدي بن الفضل وهو متروك الحديث ( ٢ ) .

**ولهما عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل } قالوا : وما الفأل ؟ قال : { الكلمة الطيبة } ( ٣ ) .**

ثم قال المؤلف : ولهما ، الضمير يعود على البخاري ومسلم عن أنس ، وهو أنس بن مالك أبو حمزة صحابي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو من آخر الصحابة موتاً في البصرة ولما مات أنس بن مالك قال مورو العجلي : مات في هذا اليوم نصف العلم لأنهم كانوا إذا اختلفوا يذهبون إلى أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا : **وما الفأل ؟** قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكلمة الطيبة { كان صلى الله عليه وسلم تعجبه الكلمة الطيبة والاسم الحسن فإنه قد غير من حرب إلى سلم رجل قال له : { **ما اسمك ؟** قال : حرب قال : لا أنت سلم { وهكذا أيضاً قال لرجل : { **ما اسمك ؟** قال : صخر قال : أنت سهل { ( ٤ ) ولما جاء سهل بن عمرو في الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم : { سهل أمركم } وكان صلى الله عليه وسلم إذا خرج في الصباح فسمع

<sup>١</sup> - التوبة ( ٥١ ) .

<sup>٢</sup> - ضعيف : أحمد ( ١٤٣١٦ ) وانظر السلسلة الضعيفة ( ١١٤٠ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٥٤٢٤ ) ومسلم ( ٢٢٢٤ ) .

<sup>٤</sup> - البخاري ( ٥٨٣٦ ) .

قائلاً يقول : يا نجیح أو يا أفلح استبشر ( ١ ) وكان صلى الله عليه وسلم يقول : { إذا أبردتكم إلي فابردوا إلي حسن الصورة حسن الاسم } ( ٢ ) مثل ما يقول العوام اليوم : إذا أرسلت فاستحسن الرسول لأنك ربما ترسل شخصاً لقضاء حاجتك فيذهب يتضارب مع الناس فتقول : يا ليتني لم أرسله ، فالفأل : الكلمة الطيبة وكان صلى الله عليه وسلم يستبشر بذلك أيما استبشار نزلت منطقة من المناطق استبشرت باسمها أن يكون اسمها مأخوذ من الخير نزلت مثلاً منطقة اسمها مدينة النصر أو المنصورة أو دار البركة أو حبة البركة أو حبة الخير يعني أسماء على هيأتها شيء من البشر فهذا استبشار طيب ولما نزل الحسين بن علي العراق قال : **نحن في أي مكان ؟** قالوا : هذه كربلاء قال : **كرب وبلاء فهل هناك ارتباط بين الطيرة والفأل ؟**

قد يكون هناك نوع من التقارب إذ أن الفأل يحمل صاحبه على الإقدام والأمور بيد الله لكن الصحيح أن الطيرة تجعل صاحبها يقدم رغم أنه بعلمة وهمية معتقداً أن الخير موجود في هذه الوجهة بخلاف الفأل فإنه إنما يستبشر دون أن يجعل ذلك سبباً أو علامة قوية وإنما يأخذ البشري من هذا الشيء الطيب الذي سمعه مرئياً أو مسموعاً أو معلوماً .

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن قائلاً : " قوله : { ويعجبني الفأل } قال أبو السعادات : الفأل مهموز فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر ويقال تفاءلت بكذا أو تفاعلت على التحقيق والقلب وقد أولع الناس في ترك الهمزة تخفيفاً وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء ، والتفائل أن يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول : يا سالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته ومنه الحديث : { قيل : **يا رسول الله ما الفأل ؟** قال الكلمة الطيبة } بين صلى الله عليه وسلم أن الفأل يعجبه فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها قال ابن القيم رحمه الله : " ليس في الإعجاب بالفأل ومحبه شيء من الشرك بل ذلك إبانة من مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلتزمها كما أخبرهم صلى الله عليه وسلم أنه حبيب إليه من الدنيا النساء والطيب وكان يحب الحلوى والعسل ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمتع إليه ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما والله سبحانه وتعالى قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبه وميل نفوسهم إليه وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك فإذا قرعت هذه الأسماء استبشرت بها النفوس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب وإذا سمعت أصدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه فأورثت لها ضرراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان وإنما كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق والتفائل حسن ظن به والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال .

أذكر من المحدثين شعبة بن الحجاج رحمه الله تعالى كان له ولد قال رحمه الله : سميت سعداً ليسعد فما فلاح ولا سعد قال : أرسلته إلى مؤدبه ومعلمه فأخبرته أنه يذهب يطير الحمام كناية على أنه يلعب وهكذا بارك الله فيكم مرت بي عبارات

<sup>١</sup> - صحيح : الترمذي ( ١٦١٦ ) والطبراني في الأوسط ( ٤١٨١ ) وفي الصغير ( ٥٤٩ ) وانظر حديث رقم : ٤٩٧٨ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - صحيح : مصنف ابن أبي شيبة ( ٤٧٠ / ٦ ) وانظر حديث رقم : ٢٥٩ في صحيح الجامع .



كثيرة للعلماء أنه قد يتفاد بشيء سمعه ولو سماعاً غير مباشر يتفاد بالأمر الطيب وعلى أية حال فالله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي : { أنا عند ظن عبدي بي أو عند حسن ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله } ( ١ )  
( فأنت على حسب ظنك بالله

فإن الله أولى بالجميل

فلا تظن بربك ظن سوء

فإساءة الظن بالله عز وجل لا تجوز إنما هو من أعمال أهل الكفر والنفاق يظنون بالله عز وجل ظناً سيئاً أما المؤمن فلا بد أن يكون ظنه بالله سبحانه وتعالى كريماً وحسناً في كل وقت قال النبي صلى الله عليه وسلم : { لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله } ( ٢ ) .

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : { أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك } ( ٣ ) .

ثم قال المؤلف : ولأبي داود ،

وهو سليمان بن أشعث السجستاني صاحب السنن .

بسند صحيح عند المؤلف عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : { أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك } الحديث الصحيح أنه ضعيف في سنده حبيب بن أبي ثابت وكان كثير الإرسال وليس عن عقبة بن عامر وإنما هو عن عروة بن عامر واختلفوا في صحبة هذا الرجل الذي هو عروة بن عامر .

<sup>١</sup> - صحيح : ابن حبان ( ٦٣٩ ) والطبراني في الكبير ( ٢٠٩ ) والأوسط ( ٤٠١ ) وانظر حديث رقم : ٤٣١٥ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - مسلم ( ٢٨٧٧ ) .

<sup>٣</sup> - ضعيف : أبو داود ( ٣٩١٩ ) انظر حديث رقم : ١٩٩ في ضعيف الجامع .



وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : { الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل } رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود رضي الله عنه ( ١ ) .

.....

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه مرفوعاً : { الطيرة شرك وما منا إلا ... ولكن الله يذهب بالتوكل } رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود يعني جعله موقوفاً هذا الحديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة في كتاب الطب باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة وصححه الألباني في الصحيحة برقم ( ٤٢٩ ) .

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود (٣٩١٠) وابن ماجة (٣٥٣٨) والترمذي (١٦١٤) وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٤٢٩) .

ولأحمد من حديث ابن عمرو رضي الله عنه : { من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : أن يقول : { اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك } ( ١ ) .

ولأحمد من حديث ابن عمرو : { من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك } هذا الحديث رواه أحمد وفي سننه ابن لهيعة عبد الله بن لهيعة الحضرمي الغافقي المصري سكن مصر احترقت كتبه فاختلفت فبعض أهل العلم يضعف هذا الحديث باعتبار أنه كان بعد الإختلاط وبعضهم يصححه باعتبار أنه حدث به قبل أن يختلط أي قبل أن تحترق كتبه فالله أعلم فالعلماء فيه ما بين مصحح ومضعف .

<sup>١</sup> - صحيح : أحمد (٧٠٤٥) وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٦٥) .

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما : { إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك } ( ١ ) .

قال : وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما : { إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك } وهذا أيضاً نفس التفصيل الذي سمعتموه في الحديث الأول : { اللهم لا خير إلا خيرك ... } الحديث .

<sup>١</sup> - صحيح : أحمد ( ١٨٢٤ ) وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد : إسناده ضعيف .

فيه مسائل :

- الأولى : التنبيه على قوله : (( ألا إنما طائرهم عند الله )) ( ١ ) مع قوله : (( طائرهم معكم )) ( ٢ ) .
- الثانية : نفي العدوى .
- الثالثة : نفي الطيرة .
- الرابعة : نفي الهامة .
- الخامسة : نفي الصفر .
- السادسة : أن الفأل ليس من ذلك ، بل مستحب .
- السابعة : تفسير الفأل .
- الثامنة : أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهب الله بالتوكل .
- التاسعة : ذكر ما يقول من وجده .

١ - الأعراف ( ١٣١ ) .

٢ - يس ( ١٩ ) .

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك .

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

قال المؤلف : فيه مسائل :

**الأولى** : التنبيه على قوله : (( ألا إنما طائركم عند الله )) وقد تقدم قوله : (( طائركم معكم )) تقدم أيضاً شرحه .

**الثانية** : نفي العدوى أي العدوى المؤثرة بذاتها .

**الثالثة** : نفي الطيرة أي أن التشاؤم بالطير لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً .

**الرابعة** : نفي الهامة .

**الخامسة** : نفي الصفر .

**السادسة** : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب .

**السابعة** : تفسير الفأل وهو الكلمة الطيبة .

**الثامنة** : أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهب الله بالتوكل يعني وإن حصل شيء من هذا فتوكل على

الله (( فإذا عزم فتوكل على الله )) .

**التاسعة** : ذكر ما يقول من وجده .

**العاشرة** : التصريح بأن الطيرة شرك .

**الحادية عشرة** : تفسير الطيرة المذمومة استند إلى أثر الفضل { إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك } يعني إذا وجد شيء في

قلبك فما أعرتة اهتماماً فلا تكن قد تطيرت لكن قد يوجد شيء منه في النفس فلا تلفت إليه بل امض

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تتردداً

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### باب ما جاء في التنجيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

#### باب ما جاء في التنجيم

ما جاء أي : ما ورد و ما ثبت من الأدلة في هذا الباب في باب التنجيم ، معنى التنجيم أي تعلم علم النجوم معرفة النجوم هو قال : ما جاء في التنجيم عموماً بغض النظر عن التفصيل والتقسيم في ذلك أي : ما ورد وما ثبت من الأدلة في هذا الباب وعلم النجوم على قسمين : علم تأثير وعلم تسيير ،  
**أما علم التسيير** : فهذا لا خلاف في شرعيته وفي جواز تعلمه وإنما الخلاف في تعلم علم التأثير فكثير من السلف حرموا تعلم التنجيم عموماً كما سوف يأتي سداً للذريعة أما إذا كان بهذا التفصيل أن علم التسيير يتعلم لأنه يراد من ورائه معرفة فصول السنة والأبراج اثنا عشر برجاً ومنازل القمر ثمانية وعشرين منزلة وأنها تنزل على فصول السنة يعرف من خلالها الحر والبرد فلا بأس بذلك كما ذكره كثير من العلماء المحققين رحمهم الله .

قال البخاري رحمه الله في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به ( ١ ) . انتهى .

روى البخاري في صحيحه عن قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي رحمه الله قال : " خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها " هذا أثر معلق وهو معلق صحيح بصيغة الجزم وحكم المعلقات إن كانت بصيغة الجزم فغالبيتها الصحة وإن كانت بصيغة التمريض فغالبيتها الضعف إن كانت بلفظ : قال وحكى وثبت أو ورد فهذه صيغة جزم أما صيغ التمريض مثل : ذكر و يحكى و قيل ويذكر وقد ألف الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى كتاباً في ذلك فسماه " تغليق التعليق " أوصل فيه كثيراً من الآثار المعلقة في صحيح البخاري .

وتعريف الحديث المعلق لغة : من التعليق مأخوذ من تعليق المرأة فلا هي مطلقة ولا متزوجة .

واصطلاحاً : أن يحذف المؤلف شيخه فأكثر فيقول المؤلف : قال ابن عمر قال الزهري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكمه عموماً الضعف لأنه فقد شرطاً من شروط القبول وهو اتصال السند لأنه يشترط في الحديث اتصال السند

<sup>١</sup> - البخاري ( ٣ / ١١٦٨ ) .

وعدالة الرواة والضبط وعدم الشذوذ وعدم العلة فهذه شروط اشترطها العلماء المحدثون للرواية حتى يكون الحديث صحيحاً نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن سيرين وغيره من العلماء أن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم وكما قال ابن المبارك : الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، وذكر الإمام الزهري حديثاً بالسند فقال له ابن عيينة : هاته من غير سند فقال له : **أترقى السطح من غير سلم ؟** ويقول سفيان الثوري رحمه الله : الإسناد سلاح المؤمن فيروي هذا الإمام العظيم رحمه الله من فقهه أنه يقول : خلق الله هذه النجوم التي نراها لثلاثة أشياء : إما زينة للسماء وإما رجوماً للشياطين . يجعلها الله عبارة عن شهب يرمي بها الشياطين المردة الذين يحاولون استراق السمع من الحق . وعلامات يهتدى بها كما قال الله : (( وعلامات وبالنجم هم يهتدون )) ( ١ ) قال : فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وكلف ما لا علم له به يعني لو أنه تعدى هذه الثلاث الخصال من أن تكون عقيدته أن هذه النجوم زينة للسماء كما قال ربنا : (( ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح )) ( ٢ ) ، ثانياً : رجوماً للشياطين كما في الآية (( وجعلناها رجوماً للشياطين )) ( ٣ ) أو للاهتداء بها

(( وعلامات وبالنجم هم يهتدون )) ( ٤ ) فمن ابتغى غير هذه الثلاث الخصال التي ذكرها القرآن الكريم يكون قد أخطأ وأضاع نصيبه وكلف ما لا علم له به بمعنى أنه أثم لأنه تجاوز ما أراده الله سبحانه وتعالى ومراد هذا الإمام الفاضل أعني قتادة بن دعامة رحمه الله تعالى مراده علم التأثير هكذا ولكن السلف رحمهم الله كانوا يمنعون من الشيء احتياطاً وتورعاً وسداً للذريعة أما من جاء بهذا التفصيل فالسلف يعرفون هم حملة الشريعة وهم حفاظها وهم نقلتها ولكن حينما كثر السحر والتنجيم كانوا يمنعون هذا الأمر احتياطاً وسداً للذرائع ورحمة الله على الأندلسي وهو يقول :

إن النجوم على ثلاثة أوجه	فاسمع مقال الناقد الدهقاني
بعض النجوم خلقن زينة للسماء	كالدر فوق ترائب النسوان
وكواكب تهدي المسافر في السرى	ورجوم كل مثابر شيطان .

١ - النحل ( ١٦ ) .  
٢ - الملك ( ٥ ) .  
٣ - الملك ( ٥ ) .  
٤ - النحل ( ١٦ ) .



وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص فيه ابن عيينه ، ذكره حرب عنهما . ورخص في تعلم المنازل أحمد ، وإسحاق .

قال رحمه الله : وكره قتادة وهو الذي تقدم ذكره في السند ومعنى كره الكراهة تطلق في لسان الفقهاء المتأخرين على كراهة التنزيه ولكن عند السلف يعنون بها كراهة التحريم قال : وكره قتادة أي رأى هذا الأمر محرماً تعلم منازل القمر المنازل التي أخبرناكم عنها أنها ثمانية وعشرين منزلة كرهوا تعلمها قال : ولم يرخص ابن عيينة فيه سفيان بن عيينة أبو محمد الكوفي الهلالي رحمه الله ذكره حرب عنهما وحرب هو أحد فقهاء الحنابلة ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق إذا كان المراد بذلك علم التأثير .

هنا كلام للشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : " قال الخطابي : أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم جهة القبلة فإنه غير داخل فيه فيما نهى عنه وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئاً أكثر من أن الظل ما دام متناقصاً فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء في الأفق الشرقي وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فإنها كواكب

رصدها أهل الخبرة من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حالة الغيبة عنها فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعينة وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم وهذا يحتاجه المسلم فضلاً عن غيره لأن الأمور تتعلق بفصول السنة وجهة القبلة وهكذا أيضاً بمواقيت الصلاة ثم نبه المحقق على هذا قال : وحقيقة علم الفلك : هو معرفة حركات النجوم والكواكب وتنقلاتها ومنازلها وقد اخترع لمعرفة ذلك آلات حسابية ومنظارات مقربة ومراصد كاملة الأسباب والآلات عرفوا بها شيئاً كثيراً جداً من العوالم العلوية حتى أصبحت كأنها على هذه الأرض وكل ذلك لا يصح أن يختلف فيه مطلقاً لأنه كعلم الحساب أما أن ينسب إلى هذه النجوم والكواكب شيئاً من الحوادث على الأرض من موت أو حياة أو حرب أو سلم يكون في المستقبل فهو الذي لا شك في كذبه وأنه ضلال يعني إذا كان المراد بها من أجل الفصول ومعرفة مواسم الزراعة معرفة القبلة معرفة أوقات الصلاة فهذا لا بأس أما إذا كان يستدل بها على موت فلان وحياة فلان من الناس فهذا هو الكذب الذي حذرنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال : { من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد } ( ١ ) وهنا كلام طيب لشيخ الإسلام محمد الصالح العثيمين رحمه الله أحببت أن أقرأه على مسامعكم نظراً لنفاسته وأهميته قال الشيخ رحمه الله بعد أن قسم علم النجوم إلى قسمين : علم التأثير وعلم التسيير قال : وهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة بمعنى أنها هي التي تفعل أو تخلق الحوادث والشرور فهذا شرك أكبر لأن من ادعى أن مع الله خالق فهو مشرك شركاً أكبر فهذا جعل المخلوق المسخر خالقاً مسخراً .

٢- أن يجعلها سبباً يدعي بها علم الغيب فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا مثل أن يقول هذا الإنسان ستصير حياته شقاء لأنه ولد في النجم الفلاني وهذا حياته ستكون سعيدة لأنه ولد في النجم الفلاني فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب ودعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة لأن الله يقول : (( قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله )) ( ٢ ) وهذا من أقوى أنواع الحصر لأنه بالإثبات والنفي فإذا ادعى أحد علم الغيب فقد كذب القرآن .

٣- أن يعتقد سبباً لحدوث الخير والشر أي أنه إذا وقع شيء نسبته إلى النجوم ولا ينسب إلى النجوم شيء إلا بعد وقوعه فهذا شرك فإن قيل ينتقض هذا بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : { إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده } ( ٣ ) فمعنى ذلك أنهما علامة إنذار هذا فيما يتعلق بعلم التأثير المحرم .

نتقل إلى القسم الثاني وهو علم التسيير قسم الشيخ رحمه الله هذا إلى قسمين قال :

١- الأول : أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية فهذا مطلوب إذا كان يعين على مصالح دينية واجبة كان واجباً كما إذا أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل جهة القبلة والنجم الفلاني يكون ربع الليل قبلة فهذا فيه فائدة عظيمة .

١ - صحيح : أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦) وأحمد (٢٨٤١) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٥٦٤٦) انظر حديث رقم : ٦٠٧٤ في صحيح الجامع .

٢ - النمل ( ٦٥ ) .

٣ - البخاري ( ١٠٠١ ) ومسلم ( ٩١١ ) .

٢. ثانياً : أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية فهذا لا بأس به وهو نوعان :

**النوع الأول :** أن يستدل بها على جهات كمعرفة أن النجم القطبي يقع شمالاً والجدي وهو قريب منه يدور حوله شمالاً وهكذا فهذا جائز قال تعالى : (( وعلامات وبالنجم هم يهتدون )) ( ١ ) .

**النوع الثاني :** أن يستدل بها على الفصول وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر فهذا كرهه بعض السلف وأباحه آخرون والذين كرهوه قالوا : يخشى إذا قيل طلع النجم الفلاني فهو وقت الشتاء أو الصيف أن بعض العامة يعتقد أنه هو الذي يأتي بالبرد أو بالحر أو بالرياح والصحيح عدم الكراهة مع التبيين لأن السلف رحمهم الله تعالى كانوا يحافظون على عقيدة العوام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لأن غالبية الناس هم عوام لا يفهمون بل بعض العامة ربما اعتقد أن هذه السماء هي الإله ما يميز أن هذه السماء عبارة عن طباق وأجرام جعلها الله سبحانه وتعالى سقفاً لهذه الأرض وأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى فربما قالت الأم لابنها أنظر إلى الله أنظر ما أعظم الله وما أوسع وما أرفعه وهي تعني بذلك السماء التي فوقنا هذا . بارك الله فيكم . ما يتعلق بعلم التسيير وعلم التأثير ثم ذكر الشيخ فائدة أخرى عند كراهية السلف لتعلم منازل القمر قال رحمه الله :

وقوله تعلم منازل القمر يحتمل أمرين :

**الأول :** أن المراد به معرفة منزلة القمر الليلة يكون في الشرطين ويكون في الإكليل قال فالمراد معرفة منازل كل ليلة لأن كل ليلة له منزلة حتى يتم ٢٨ وفي ٢٩ و ٣٠ لا يظهر في الغالب .

**الثاني :** أن المراد به تعلم منازل النجوم أي يخرج النجم الفلاني في اليوم الفلاني وهذه النجوم جعلها الله أوقاتاً للفصول لأنها ٢٨ نجماً ومنها أربعة عشر يمانية وأربعة عشر شمالية فإذا حلت الشمس في المنازل الشمالية صار الحر وإذا حلت في الجنوبية صار البرد ولذلك كانت من علامة دنو البرد خروج سهيل وهو من النجوم اليمانية وهذا . بارك الله فيكم . ما نعتقده وندين الله سبحانه وتعالى به أنه لا مانع من تعلم علم النجوم أعني به علم التسيير الذي هو من أجل المصالح الدينية أو الدنيوية كما ارتضاه أحمد وإسحاق ومن بعدهما شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب والعلماء قاطبة إلى قيام الساعة وأما العلماء الذين منعوا تعلم النجوم مطلقاً فإنما أرادوا بذلك أخذ الحيطة وسداً للذريعة ومحافظة على عقيدة المسلمين .

<sup>١</sup> - النحل ( ١٦ ) .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر } رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ( ١ ) .  
فيه مسائل :

- الأولى : الحكمة في خلق النجوم .
- الثانية : الرد على من زعم غير ذلك .
- الثالثة : ذكر الخلاف في تعلم المنازل .
- الرابعة : الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل .

ثم روى المؤلف عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ومصدق بالسحر وقاطع الرحم } هذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة وهكذا في الجامع الضعيف لكنه صح مقطوعاً ومفرقاً من غير لفظة { ومصدق بالسحر } والمراد بقوله : { ثلاثة لا يدخلون الجنة } ليس على وجه الحصر وقوله : { لا يدخلون } المراد بذلك إن كانوا مستحلين هذه الكبائر فهم لا يدخلون إطلاقاً لأنهم بحكم الكفار

<sup>١</sup> - صحيح لغيره : أحمد (١٩٥٨٧) وابن حبان (٥٣٤٦) والحاكم (٧٢٣٤) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٩) .

(( إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار )) ( ١ ) لكن المراد بذلك لا يدخلون الجنة دخولاً أولياً كما فسر كثير من السلف الصالح هذا الحديث وأمثاله بهذا أنه يحمل على عدم الدخول الأولي فلا بد أن يحاسب في النار على قدر ما عنده من المعصية ثم يكون مآله إن شاء الله إلى الجنة وقوله : { مدمن خمر } جاء حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { لا يدخل الجنة مدمن خمر } ( ٢ ) ومعنى المدمن أي المكثر المداوم على شربه ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { مدمن الخمر كعابد وثن } ( ٣ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { لعن الله الخمرة ولعن شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه } ( ٤ ) عشرة من المتعاونين في إيصالها وقبل ذلك القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى : (( إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون )) ( ٥ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الخمرة أم الخبائث } ( ٦ ) ويقول : { من شرب الخمر في الدنيا شرب يوم القيامة من طينة الخبال } ( ٧ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من شرب الخمر زنا بأمه وعمته وخالته وابنته } وحد الخمر الإسكار كما في حديث ابن عمر في صحيح مسلم يقول صلى الله عليه وسلم : { كل ما أسكر خمر } ( ٨ ) وسمي خمر لأنه يخامر العقل فلذلك مدح الله ما في الجنة من الخمر (( مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين )) ( ٩ ) إن خمر الآخرة لا تهرق ولا تضل العقول ولا تغيرها بخلاف خمر الدنيا كما قال أحمد مطر :

تجعل الديك حماراً  
وبياض العين أحمر

وقال آخر :

واترك الخمر لا تشربها  
كيف يسعى في جنون من عقل

ولما شرب حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله قبل أن يحرم الخمر شرب الخمر فتغير عقله ثم استقام أمام النبي صلى الله عليه وسلم وأمام علي بن أبي طالب وقد جذ كثيراً من الإبل التي كان علي رضي الله عنه قد أعدها لوليمته ثم قال : هل أنتم إلا عبيد لآبائي وأجدادي ، وذلك أنه يتكلم من غير شعور فهي حقيقة أم الخبائث نسأل الله عز وجل أن يجنبنا وإياكم منها وهكذا يلحق بها الحشيشة والمخدرات وجميع المسكرات حتى القات إن وصل إلى حد الإسكار يأخذ نفس الحكم وهكذا لو أضيف على القات كثير من المرطبات أو من الحبوب الأخرى فخامر العقل فيأخذ نفس الحكم لقوله صلى الله عليه وسلم : { ما أسكر كثيره فقليله حرام } ( ١٠ ) وهكذا . بارك الله فيكم . يكون شارب الخمر فاسقاً لأنه خرج عن طاعة الله سبحانه وتعالى وحده يعني حد الخمر اختلف الصحابة في ذلك

١ - المائدة ( ٧٢ ) .

٢ - صحيح : ابن ماجة ( ٣٣٧٦ ) وصحيح ابن حبان ( ٦١٣٧ ) والطبراني في الكبير ( ١١١٦٨ ) وانظر حديث رقم : ٧٦٧٣ في صحيح الجامع .

٣ - صحيح : ابن ماجة ( ٣٣٧٥ ) وأحمد ( ٢٤٥٣ ) وابن حبان ( ٥٣٤٧ ) وانظر حديث رقم : ٥٨٦١ في صحيح الجامع .

٤ - صحيح : أبو داود ( ٣٦٧٤ ) وأحمد ( ٥٧١٦ ) والحاكم ( ٢٢٣٥ ) وانظر حديث رقم : ٥٠٩١ في صحيح الجامع .

٥ - المائدة ( ٩٠ - ٩١ ) .

٦ - حسن : النسائي ( ٥٦٦٦ ) وابن حبان ( ٥٣٤٨ ) والدارقطني ( ١ ) وانظر حديث رقم : ٣٣٤٤ في صحيح الجامع .

٧ - مسلم ( ٢٠٠٢ ) .

٨ - مسلم ( ٢٠٠٣ ) .

٩ - محمد ( ١٥ ) .

١٠ - صحيح : أبو داود ( ٣٦٨١ ) والترمذي ( ١٨٦٥ ) والنسائي ( ٥٦٠٧ ) وانظر حديث رقم : ٥٥٣٠ في صحيح الجامع .

فبعضهم من يرى أدنى الحدين أربعين جلدة وبعضهم من يقول : ثمانين جلدة والأمر في هذا راجع إلى اجتهاد الحاكم المسلم فله أن يجلد أربعين وله أن يجلد ثمانين جلدة من شرب الخمر وقوله صلى الله عليه وسلم : { قاطع للرحم } المراد بالقطع عدم الوصل والرحم هو صاحب القرابة من قبل الأب أو من قبل الأم أما ما كان من جهة الزوجين فلا يقال عنهم أقارب وإنما يقال عنهم أصهاراً والله سبحانه وتعالى يقول :

(( واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام )) ( ١ ) وليس الواصل بالمكافئ كونك تصل فتوصل أنت مكافئ لست بواصل لكن الواصل كما قال صلى الله عليه وسلم : { من قطعت رحمه فوصلها } ( ٢ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من أحب أن ينسأ له في أثره وأن يزداد له في رزقه فليصل رحمه } ( ٣ ) صح حديث في هذا الباب وهو قوله صلى الله عليه وسلم : { لا يدخل الجنة قاطع } ( ٤ ) أما قوله : { مصدق بالسحر } فالمراد بذلك أنه صدق بما أخبر به المنجم وهو الساحر وفي هذا مصداق لحديث النبي صلى الله عليه وسلم :

{ من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد } ( ٥ ) وكما قلت لكم : هذا الحديث ضعفه علماؤنا ولكن صحت لفظة : مدمن الخمر وقاطع الرحم من أدلة أخرى وما يتعلق بأمر السحر تقدم أيضاً في الأبواب التي قبل هذا أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه والله أعلم .

### باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

### باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

الاستسقاء : طلب السقيا مثل الاستغفار طلب المغفرة إذا قال المسلم أستغفر الله بمعنى أطلب المغفرة منك يا الله والاستعانة طلب المعونة والاستعاذة طلب العوذ والاستهداء طلب الهداية وهكذا .

وقوله : بالأنواء المراد بالأنواء النجوم كما جاء في صحيح البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني قال : هذا الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه وأرضاه : { صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية صلاة الصبح على إثر سماء كان من الليل فلما انصرف استقبلنا بوجهه } وقد استفاد العلماء من هذا مشروعية استقبال الإمام المصلين بوجهه ، والشيخ ابن باز رحمه الله علق على هذا الحديث في الجزء الثاني من فتح الباري قال : بعد أن يقول أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله الله أكبر الله أكبر الله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام وغلبة الظن أنه ذكر فقط الاستغفار واللهم أنت السلام ومنك السلام قال : ثم يتحول ليستقبل المصلين فلما استقبل النبي صلى الله عليه وسلم المصلين قال : { هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ } واستفاد علماء العقيدة من هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى قال : { هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ } قالوا : الله ورسوله أعلم قال : يقول الله : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال : مطرنا

١ - النساء ( ١ ) .

٢ - البخاري ( ٥٦٤٥ ) .

٣ - البخاري ( ٥٦٤٠ ) ومسلم ( ٢٥٥٧ ) .

٤ - البخاري ( ٥٦٣٨ ) ومسلم ( ٢٥٥٦ ) .

٥ - صحيح : أبو داود ( ٣٩٠٥ ) وابن ماجه ( ٣٧٢٦ ) وأحمد ( ٢٨٤١ ) ومصنف ابن أبي شيبة ( ٢٥٦٤٦ ) انظر حديث رقم : ٦٠٧٤ في صحيح الجامع .

بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب وفي رواية بالكواكب ومن قال : مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب أو بالكواكب { ( ١ ) } فهذا معنى الاستسقاء بالأنواء وهو أن يطلب السقيا من النجوم وقد قسم العلماء الاستسقاء بالأنواء إلى قسمين اثنين :

**القسم الأول :** أن يطلب المسلم السقيا من النجم الفلاني أو من الكوكب الفلاني هكذا يطلبه من النجم من المريخ من زحل من عطارد أي نجم يطلب منه السقيا مباشرة فهذا شرك أكبر مخرج من الملة كما قال ربنا سبحانه وتعالى : (( ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون )) ( ٢ ) وكما قال سبحانه : (( ولا تدع من دون الله ما ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين )) ( ٣ ) أي من المشركين فهذا شرك أكبر مخرج من الملة هذا القسم الأول من قسمي الاستسقاء بالنجوم .

**القسم الثاني :** إذا اعتقد المسلم أن تواجد هذه النجوم أو نجماً معيناً سبب نزول المطر وهطوله فهذا شرك أصغر غير مخرج من الملة هذا في حالة أنه يعتقد هذا السبب والمطر أنزله الله وأغاثنا الله به ولكن السبب تواجد النجم الفلاني الشرقي الغربي اليماني لماذا ؟

لأن هذا سبب غير شرعي ليس هذا سبب شرعياً وكل سبب ليس شرعياً فيضيف الإنسان الخير والشر له فيقول علماؤنا رحمهم الله : أن هذا يفضي بصاحبه إلى الشرك الأصغر وصاحبه على خطر والواجب أن يطلب السقيا من الله كما قال ربنا :

(( فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ما لكم لا ترجون لله وقاراً )) ( ٤ ) وجاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يوم الجمعة دخل أعرابي والحديث في البخاري من حديث أنس قال : يا رسول الله انقطعت السبل وهلك الأنعام فادعوا الله أن يغيثنا فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال :

{ اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا { قال أنس : فرأينا في السماء قزعة مثل الترس فلما توسطت على جبل سلع وهو جبل خارج المدينة ثم انتشرت فما رأينا الشمس سبتاً أسبوعاً كاملاً وهم يمطرون وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم ويقول : { أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ثم دخل أعرابي قيل : هو وقيل غيره فقال : يا رسول الله هلكت السبل انقطعت الطرق ادعوا الله أن يمسكها عنا فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال : { اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والضراب ومنابت الشجر { قال أنس بن مالك : فخرجنا نمشي في الشمس ( ٥ ) فكان نبينا صلى الله عليه وسلم إنما يسأل السقيا من الله سبحانه وتعالى مباشرة قال جل وعلا في كتابه الكريم : (( وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته )) ( ٦ ) ويقول الله سبحانه وتعالى وهذا دليل خاص في الباب (( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث

<sup>١</sup> - البخاري ( ٩٩١ ) ومسلم ( ٧١ ) .

<sup>٢</sup> - المؤمنون ( ١١٧ ) .

<sup>٣</sup> - يونس ( ١٠٦ ) .

<sup>٤</sup> - نوح ( ١٠ - ١٣ ) .

<sup>٥</sup> - البخاري ( ٨٩١ ) ومسلم ( ٨٩٧ ) .

<sup>٦</sup> - الشورى ( ٢٨ ) .

الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير (( ( ١ )  
قلت : هذا شاهد لهذا الباب لأن طلوع النجم ظهور النجم غروب النجم لا يكون سبباً ليس المسبب هذا النجم فالله هو  
الذي إذا شاء كان وإذا لم يشأ لم يكن .

**وقول الله تعالى : (( وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون )) ( ٢ ) .**

قال : وقول الله تعالى : (( وتجعلون )) ومعنى تجعلون أي تصيرون كما قال سبحانه :  
(( فجعلهم )) ( ٣ ) أي فصيرهم (( وتجعلون رزقكم )) المراد بالرزق قيل : المطر وقيل : العطاء التام الشامل يدخل في  
ذلك العلم والفقه والأعطيات الحسية والمعنوية  
(( وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون )) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في قول ربنا سبحانه : (( وتجعلون رزقكم )) روى الإمام أحمد والترمذي  
وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم في الضياء المختار عن علي رضي الله عنه أنه قال : (( وتجعلون رزقكم )) يقول :  
شكركم

(( أنكم تكذبون )) تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا ( ٤ ) وهذا أولى ما فسرت به الآية وروى ذلك عن علي  
وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخرساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه الاستدلال للمصنف  
رحمه الله تعالى بالآية .

<sup>١</sup> - لقمان ( ٣٤ ) .

<sup>٢</sup> - الواقعة ( ٨٢ ) .

<sup>٣</sup> - الفيل ( ٥ ) .

<sup>٤</sup> - ضعيف : الترمذي ( ٣٢٩٥ ) وأحمد ( ٦٧٧ ) وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي .



وقال ابن القيم رحمه الله : أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به يعني القرآن قال الحسن :  
تجعلون حظكم ونصيبتكم من القرآن أنكم تكذبون وقد خسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب ( ١ ) .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت } وقال : { النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب } رواه مسلم ( ٢ ) .

قال : وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن } أضاف النبي صلى الله عليه وسلم هذه الخصال إلى الجاهلية لغرض التقييد والتنقيح مثل قوله لأبي ذر : { إنك امرؤ فيك جاهلية } ( ٣ ) وقوله : { في أمتي } أي في أمة الإجابة لأن أمة النبي صلى الله عليه وسلم على قسمين أمة الدعوة وهم اليهود والنصارى وأمة الإجابة وهم كل من آمن به منذ أن بعثه الله إلى قيام الساعة والمراد بالجاهلية هي الحالة التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم والناس عليها ولا ينبغي لشخص أن يقول عن حالته قبل أن يستقيم على طاعة الله في الجاهلية لما كنت في الجاهلية كذا لأن الجاهلية قد أزيلت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فإن قال قائل : إن عني الشخص ما يحصل من الزنا ومثلاً المنكرات خمور وشركيات وكذا نقول : فيها معنى الجاهلية لكن المراد بالجاهلية المعرفة

<sup>١</sup> - انظر شفاء العليل ( ٤٢ ) .

<sup>٢</sup> - مسلم ( ٩٣٤ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٥٧٠٣ ) ومسلم ( ١٦٦١ ) .

بالألف واللام هي الجاهلية التي كانت قبل الإسلام قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين عليه الصلاة والسلام هذه الأربعة الخصال :

١. { الفخر بالأحساب } والمراد بالفخر التعظيم والتعالي والمراد بالأحساب ما يحتسبه الإنسان من شرف وسؤدد هذه نعرات عنصرية جاهلية أنا من بني فلان هذه أمور قضى عليها الإسلام وصار الإسلام هو النسب الشريف فمن انتسب إلى الدين والأخلاق والإسلام فقد غطى دينه على كل قبيح فيه

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وتعرفون كيف صار حال بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي في أعلى الرتب وأبو جهل وأبو لهب بل أبو طالب في حضيض الكفر

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب

وجاء في مسند أحمد أنه انتسب رجلان فقال الأول : أنا فلان بن فلان بن فلان وعد تسعة من الناس ثم قال للآخر : **فمن أنت لا أم لك ؟** فخر وتعالى وتعظم فقال الثاني : أنا فلان بن فلان بن الإسلام فأوحى الله إلى موسى أن يخبر ذينك المنتسبين أما الأول فإنك انتسبت إلى تسعة أنت عاشرهم إلى النار وأما الثاني انتسبت إلى ثلاثة فأنت رابعهم في الجنة فما أحسن النسبة إلى الدين

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب

وقد اختلف علماؤنا في إمامة ابن الزنا إن صلح حاله واستقامت أموره وكان على التزام قالوا : **فما عيبه ؟** العيب عيب الأبوين أبيه وأمه فأقر كثير منهم إمامته الصغرى والكبرى يعني أن يكون إماماً للمسلمين في الصلاة وأن يكون إماماً في الحكم وليس في ذلك مطعن فيه إطلاقاً .

٢. { والطعن في الأنساب } والمراد بالطعن العيب والمراد بالأنساب النسب أصل الإنسان كما قال سبحانه : (( واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام )) ( ١ ) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه } ( ٢ ) فالمراد بالأنساب أن يعني نسبتي كذا وإلى كذا فيحاول أن يرفع من شأن هذه النسبة التي هو منها مثلاً يمني مكاي فيحاول كل شخص يطعن في نسب الآخر أنت كذا وما أنت إلا كذا فهذا لا يجوز إطلاقاً هذا من العيب وهو حاصل وهو أمر محرم حرمة نبينا صلى الله عليه وسلم والله تبارك وتعالى يقول : (( ولا تنازروا بالألقاب بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان )) ( ٣ ) .

٣. { والاستسقاء بالنجوم } وقد تقدم .

٤. { والنياحة على الميت } : المراد به رفع الصوت بالندب على الميت ويكون مصحوباً بالتسخط على قدر الله كما يقول بعض المصريين إذا نزلت به مصيبة : **ليش كدا يا رب ؟ ليش كدا يا رب ؟ ليش كدا يا رب ؟** وبعض اليمانيين يقول : ما

١ - النساء ( ١ ) .  
٢ - مسلم ( ٢٦٩٩ ) .  
٣ - الحجرات ( ١١ ) .

معك إلا أنا جالس أستغفر الله العظيم وأتوب إليه لا يجوز هذا بل بعضهم يقول : فلان معه عشرة ما حصلتني إلا أنا هذا لا يجوز يقول تبارك وتعالى : (( الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون )) ( ١ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من أصيب بمصيبة ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي هذه واخلف لي خيراً منها إلا أخلفه الله خيراً منها } ( ٢ ) هذا الحديث عن أبي سلمة وأبو سلمة من السابقين الأول طبقته أم سلمة لما مات أبو سلمة ثم قالت : **من أين لي خيراً من أبي سلمة ؟** هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة من أقدم الصحابة هجرة وإسلاماً قالت : فقلته فعوضني الله خيراً من أبي سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بأس أن يكون الألم في القلب فإن هذا شيء أراده الله سبحانه وتعالى لا يكون الحال كحال بعض الصالحين مات ابنه فقام يضحك فقيل له : **لماذا ؟** قال : أريد أن أوافق قدر الله قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : اجتمعت في قلب هذا الوفاق للقدر واجتمع في قلب النبي صلى الله عليه وسلم موافقة القدر والرحمة على البشر أو كلاماً قريباً من هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما رفع ابن إحدى بناته قال : ونفس الصبي تقعقع كأنها في شن فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يبكي وتنحدر الدموع من عينيه قال له سعد بن عباد : **ما هذا ؟** قال : { هذه رحمة أودعها الله في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء } ( ٣ ) فلا بأس أن تبكي وقد بكى النبي صلى الله عليه وسلم وهو القائل : { العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون } ( ٤ ) فلا بأس ولكن من غير تسخط ثم هناك عادات وتقاليد في كثير من المناطق اليمنية وقد رأيت بعضها يستأجرون نائحة تنوح يستأجرونها بألف بألفي ريال تأتي هذه فتنوح وتندب الميت ، من لنا بعدك واعضده واجبله وتأتي بصوت أعوذ بالله صوت مخيف جداً وهي في البيت ثم ما نذهب بالجنائز إلى المقبرة إلا وقد سبقت إلى هناك **من أين جاءت ؟ الله أعلم كيف عملت الطريق ؟** وهي هناك بمجرد ما ترى الجنائز وإذا بها تأتي بذلك الموال صوتها الموال الرفيع فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : { والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب } رواه مسلم نسأل الله السلامة والعافية .

قال هنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن : قوله : { والنائحة إذا لم تتب قبل موتها } فيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب وإن عظم هذا مجمع عليه في الجملة ويكفر أيضاً بالحسنة الماحية والمصائب ودعاء المسلمين بعضهم لبعض وبالشفاعة بإذن الله وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك به شيئاً ثم ذكر حديثاً آخر إلى أن قال : قوله :

{ تقام يوم القيامة } قال القرطبي : السربال واحد السراويل وهي الثياب والقمص يعني أنهن يلبطن بالقطران فيكون لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم والقطران يساعد على انتشار النار يعني هو بمثابة مادة الإزفلة هذه لو أن شخص أخذ قليلاً من الإزفلة الآن ووضعها في يده ثم أشعل يكون الاشتعال أعظم من لو لم يكن هذا الإزفلة موجوداً من أجل زيادة التعذيب نسأل الله السلامة والعافية .

قال : فيكون لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ورائحتهن أنتن وآلامهن بسبب الجرب أشد لا يكتفى بالقطران على الجلود الذي هو يزداد انتشاراً بل تكون هذه الجلود فيها نوع من الأمراض وهو مرض الجرب الذي يشقق

١ - البقرة ( ١٥٦ ) .

٢ - مسلم ( ٩١٨ ) .

٣ - البخاري ( ١٢٢٤ ) ومسلم ( ٩٢٣ ) .

٤ - البخاري ( ١٢٤١ ) ومسلم ( ٢٣١٥ ) .

الجسد فتأمل لو التقى نار على موضع في جسدك فيه جرح فإن الألم يكون أشد فكيف إذا كان فيه قطران وهي مادة تساعد في الاشتعال نسأل الله السلامة والعافية وهذا دليل على أن هذه من الكبائر العظمى كيف لا والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال : هي من أمور الجاهلية .

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : { أتدرون ماذا قال ربكم ؟ } قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : { أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب } ( ١ ) .

قال : ولهما أي للبخاري ومسلم عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية وهذا كان في العام السادس من الهجرة حينما منع النبي صلى الله عليه وسلم من دخول الكعبة والآل يسمى هذا الموضع بالشميسي وهو بالقرب من مكة إلى الآن معروف فبعضه من الحل وبعضه من الحرم قال : على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : { هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ } قالوا : الله ورسوله أعلم قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب {

١ - مسلم ( ٧١ ) .

و لهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه وفيه : قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هذه الآيات : (( فلا أقسم بمواقع النجوم ..... )) ( ١ ) إلى قوله : (( ... أنكم تكذبون )) ( ٢ ) ( ٣ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر في بعضها .

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة .

الخامسة : قوله : { أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر } ( ٤ ) بسبب نزول النعمة .

السادسة : التفطن للإيمان في هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع .

الثامنة : التفطن لقوله : { لقد صدق نوء كذا وكذا } ( ٥ ) .

التاسعة : إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها ، لقوله : { أتدرون ماذا قال ربكم ؟ } ( ٦ ) .

- 
- ١ - الواقعة ( ٧٥ ) .  
٢ - الواقعة ( ٨٢ ) .  
٣ - مسلم ( ٧٣ ) .  
٤ - مسلم ( ٧١ ) .  
٥ - مسلم ( ٧٣ ) .  
٦ - مسلم ( ٧١ ) .

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا وهذا تفسير لما تقدم فأنزل الله هذه الآيات (( فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون )) وقد تقدم شرح هذه الآية في بداية الدرس إلى هنا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

### باب قول الله تعالى :

(( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله )) ( ١ ) .

يقول المؤلف رحمه الله :

باب قول الله تعالى : (( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ))

قوله : (( ومن الناس )) من هذه تبعية والمراد بذلك المشركون فإنهم هم الذين يتخذون أنداداً يحبونهم كحب الله أو أشد أما المؤمنون فإنهم يحبون الله سبحانه وتعالى ويكفرون بالأنداد والأصنام كما قال سبحانه : (( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات )) وفي الآية نفسها (( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله )) وقوله : (( أنداداً )) المراد بالأنداد الأشباه ، النظراء ، العدلاء كما قال سبحانه : (( الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون )) ( ٢ ) أي أنهم يساوون الله بأصنامهم وكما حكى الله عن أحد الصديقين قال : (( قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله إن كدت لتردين )) ( ٣ ) يقول سبحانه : (( إذ نسويكم برب العالمين )) ( ٤ ) هنا موطن الشاهد أي أنهم يسوون الأصنام والأنداد والنظراء بالله سبحانه وتعالى وهذا الباب معقود في أمر المحبة

١ - البقرة ( ١٦٥ ) .

٢ - الأنعام ( ١ ) .

٣ - الصافات ( ٥٤ - ٥٦ ) .

٤ - الشعراء ( ٩٨ ) .

لأن هذه الآية تدل أن المحبة نوع من أنواع العبادة وذلك أن يكون المؤمن يحب الله بل العبادة مبنية على الحب وفي دروس مضت بينا لكم أنه لا بد للعبادة من خمسة شرائط :

١. الشرط الأول : الإخلاص .

٢. والشرط الثاني : الإتيان .

٣. والشرط الثالث : الخوف .

٤. الشرط الرابع : الرجاء .

٥. والشرط الخامس : المحبة .

فالعبادة إذا ارتكزت على هذه الخمس الخصال صحت هذه العبادة وإلا كانت العبادة باطلة لذا يقول العلماء : من عبد الله بالمحبة وحدها فهو صوفي فهنا عبادته باطلة لأنه لا بد من الإخلاص (( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين )) ( ١ ) ولا بد من الإتيان (( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله )) ( ٢ ) ولا بد من الخوف والرجاء (( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين )) ( ٣ ) فالصوفية يقولون : نحن نعبد الله لأننا نحبه لا نعبده طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره . أعوذ بالله . هذا ضلال فلذلك يقدمون الطعم والوجد على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم بل ينبذون سنة النبي صلى الله عليه وسلم بزعم هذه المحبة الباطلة محبة غير صحيحة :

هذا لعمرى في القياس بديع

تعصي الإله وأنت تزعم حبه

إن المحب لمن يحب مطيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته

وقال آخر :

الخلف يحرم في دنيا المحبين

يا مدعي حب طه لا تخالفه

فهؤلاء الصوفية هذا هو ديدنهم ولما قرأ قارئ منهم الآية من سورة آل عمران :

(( منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة )) ( ٤ ) طعنوا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : الله لا يحبونه فنحن نحب الله وطعنوا في أفضل البشر بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال العلماء : ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي الخوارج مبذأهم ومعتقدهم ضلال إذ أنهم يكفرون المسلمين بمطلق المعاصي عندهم غلو ودين الإسلام وسط بين الغلو والجفاء .

ومن عبد الله بالرجاء قالوا : فهو مرجئ عنده إرجاء وكان لا بد أن تجتمع في العبادة خمسة أمور فهي كالأساس لإخلاص اتباع خوف رجاء محبة لا بد من هذا وإذا صرفت من هذه المحبة شيئاً لغير الله كان ذلك والعياذ بالله من الهوى فلا بد أن تجمع المحبة التي أساسها لزوم طاعة الله سبحانه وتعالى لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له .

١ - البينة ( ٥ ) .

٢ - آل عمران ( ٣١ ) .

٣ - الأنبياء ( ٩٠ ) .

٤ - آل عمران ( ١٥٢ ) .

وقوله : (( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم )) إلى قوله : (( أحب إليكم من الله ورسوله )) ( ١ ) .

قال : وقول الله تعالى : (( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره )) .  
قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتوعد من أحب أهله وماله وعشيرته وتجارته ومسكنه فأثرها أو بعضها على فعل ما أوجب الله عليه من الأعمال التي يحبها الله تعالى ويرضاها كالهجرة والجهاد ونحو ذلك .

ونقل الشيخ عبد الرحمن عن ابن كثير قال : وقال العماد بن كثير رحمه الله تعالى : أي إن كانت هذه الأشياء الآباء والأبناء الأخوان الزوجات العشيرة الأموال التجارة المساكن قال : أي إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه .

قال : وقد روى الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن عطاء الخرساني عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إذا تبايعتم بالعينة . وهي ضرب خفي من أبواب الربا . وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم } ( ٢ ) قال : فلا بد من إظهار ما أحب الله من عبده وأرادته على ما يحبه العبد ويريده فيحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه ويوالي فيه

<sup>١</sup> - التوبة ( ٢٤ ) .

<sup>٢</sup> - صحيح : أبو داود ( ٣٤٦٢ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٠٤٨٤ ) انظر حديث رقم : ٤٢٣ في صحيح الجامع .



ويعادي فيه ويتابع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا بد من هذا (( قل إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم )) وأحب من أفعال التفضيل (( من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره )) ويذكرون أن من علامة التوفيق أن يؤثر العبد ما أحبه الله على محابه وهذا شامل في كل شيء فمن أحب مثلاً النوم على الصلاة على أمر الله فلينتظر العقوبة قال الله : (( فتربصوا )) أي انتظروا ومن أحب مثلاً الباطل المنكر أياً كان نوعه على أمر الله أمر الله بالعدل وأمر الله بالمعروف وأمر الله بالخير وأنت تريد الشر وتدافع عنه هنا أيضاً تنتظر العقوبة فالمقام خطير جد خطير وقد جاء أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا : لو التفتنا فنصلح ما خرب من أرضنا فأنزل الله تبارك وتعالى : (( ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة )) ( ١ ) كانت هذه تهلكة مع أنهم ما أرادوا أن يتركوا طاعة الله وإنما قالوا : أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فلو اتجهنا إلى أرضنا فنصلح ما خرب منها على أن هذا شيء مباح فنزلت الآية (( ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة )) ( ٢ ) لو نظرنا اليوم إلى واقع المسلمين شغلهم وظائفهم تجارتهم نساؤهم أبناءهم أعمالهم شغلهم الشيطان والهوى والدنيا والمعاصي والذنوب عن طاعة الله سبحانه وتعالى فالأمر يا إخوان حقيقة يحتاج إلى أن يحاسب العبد نفسه قبل أن يفقد على الله تبارك وتعالى وأن يتأمل أين هو من هذه الآية المباركة .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين } أخرجه ( ٣ ) .

ثم روى الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قال : عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين } قال : أخرجه .  
وقوله : { لا يؤمن } هذا نفي لكمال الإيمان وليس لأصل الإيمان ما دام أنه مؤمن لكن ضعيف الإيمان إما إذا كان هذا لا يحب الرسول لا يحب الطاعة فيكون والعياذ بالله نفي لأصل الإيمان فيقول عليه الصلاة والسلام : { حتى يكون أحب إليه } وشرط المحبة الإتيان قال الحسن البصري : إذا رأيت من يزعم محبة رسول الله فاختبره بقوله سبحانه : (( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله )) ( ٤ ) فإن كانت المحبة مجردة عن اتباع فهي دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة ولا محل لها من الإعراب ،

والدعاوي إن لم يقيموا عليها بينات أبناءها أدعياء

لو أن الولد قال لوالده : أنا أحبك هكذا يكرر من هذا اللفظ فإذا الأب قال لابنه : أفعل كذا قال : لا والله ما أستطيع أي محبة هذه وهكذا لو أن الرجل قال لامرأته : هو يحبها أو العكس قالت له : أنها تحبه وهذا يكثر عند النساء كما قيل :

١ - البقرة ( ١٩٥ ) .

٢ - البقرة ( ١٩٥ ) .

٣ - البخاري ( ١٥ ) ومسلم ( ٤٤ ) .

٤ - آل عمران ( ٣١ ) .

" إنما يبكي على الحب النساء " ثم أمر الزوج زوجته فلم تطعه أي محبة هذه على أن المحبة هنا مقيدة يعني بالطاعة كما جاء من حديث عمر في البخاري : { إنما الطاعة بالمعروف } ( ١ ) لكن إذا كان الأمر هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يعني الله يقول كذا وأنت تقول : لا ورسول الله يقول كذا وأنت تقول : لا هذا حب غير صحيح هذا حب مكذوب فلو كان حباً صحيحاً لكانت المتابعة حليفة ذلك وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من أعظم الناس محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت هذه المحبة برهانها طاعة الله ومتابعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عدة أوامر فكانوا يأتون ويصدرون عن رأيه فلقد طلع النبي صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً على المنبر قبل أن يحرم الذهب وكان لباساً خاتماً من ذهب فخلع خاتمه فإذا بالصحابة يخلعون خواتمهم هكذا مباشرة وصلى مرة عليه الصلاة والسلام بالنعال والصلاة بالنعال سنة فجاء جبريل وأخبره أن في نعليه خبثاً فخلع نعله وهو في الصلاة فخلع الصحابة نعالاتهم ولما رأى الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم يحلق يوم الحديبية بادرُوا وكادُوا أن يقتتلوا على الحلاقة والنحر هذه متابعة للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهكذا أشياء كثيرة ربما خالفوا ما تهواه نفوسهم طمعاً في مرضاة الله تبارك وتعالى روى البخاري في صحيحه أن عائشة رضي الله تعالى عنها أعتقت بريرة وكانت أمة بيضاء وزوجها مغيث عبداً أسود وهذا كما يقول العلماء : وصف طردي أي لا يأتي بالحكم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم مغيث يمشي في شوارع المدينة ويذكر شريكه حياته وزوجته لكن هو عبد وهي قد حررت وإذا عتقت الأمة وهي تحت عبد فهي بالخيار تبقى تحته أو تخرج من عصمته فخرجت من عصمته وكانت قد أعتقتها عائشة دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بريرة وقد رق لمغيث فقال النبي صلى الله عليه وسلم لبريرة :

{ هل لك في مغيث ؟ } فقالت له : **تأمر ؟** قال لها : { لا } فهنا وقفة بين قوسين في كلمة تأمر أي لو كان يأمر لما كان لها الخيار (( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً )) أمراً : أي أمر نكرة في سياق النفي يفيد العموم (( أن يكون لهم الخيرة من أمرهم )) لا اختيار (( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً )) ( ٢ ) فقال النبي صلى الله عليه وسلم لبريرة : { **هل لك في مغيث ؟** } قالت : **أتأمر ؟** قال :

{ لا ولكن أشفع } قالت : لا حاجة لي به ( ٣ ) فتركها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقائع كثيرة جداً يأمر النبي صلى الله عليه وسلم فيطاع أمره هذه هي المحبة الصادقة المراد بها متابعة النبي صلى الله عليه وسلم الإثمار بأمره والانتها عن نهيه والوقوف عند رغبته صلى الله عليه وسلم فإنه المبعوث رحمة للعالمين لذا يقول الناظم والله دره :

دعوا كل قول عند قول محمد      فما آمن في دينه كمخاطر

ويقول الإمام الزهري : كان فيما سلف يكتب بعضهم لبعض : أما بعد فإن الاستمساك بالسنة نجاة ، وقال مالك بن أنس : السنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، لا يجوز للشخص أن يبتدع ولا أن يكسر الآراء ضارباً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم عرض الحائط وإن كان عنده من العلم ما عنده فإن أمر النبي صلى الله عليه وسلم هو المقدم على كل

<sup>١</sup> - البخاري (٦٧٢٦) ومسلم (١٨٤٠) .

<sup>٢</sup> - الأحزاب ( ٣٦ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري (٤٩٧٩) .

حال ولا داعي للتعصب المذهبي أو الطائفي أو الطابع الحزبي من أجل إرضاء الجماعة الفلانية التي أنت فيها وترضي شخصاً وتبغض شخصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو الذي يقوم عند حوضه يوم القيامة فيقول : { سحقاً سحقاً لمن غير بعدي } ( ١ ) فمن جعل النبي صلى الله عليه وسلم هنا قدوة وقيادة نفعه هناك يوم أن يقول الله : { يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع } ( ٢ ) فمن ذكره هنا ذكره النبي صلى الله عليه وسلم هناك ونفعته شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة فما أحوجنا يا طلبة العلم بل ما أحوج الأمة المحمدية كلها أن تعرف قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا  
من العناية ركناً غير منهدم  
لما دعا الله داعين لطاعته  
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم .

ولهما رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار } ( ٣ ) .  
وفي رواية : { لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى .. } إلى آخره ( ٤ ) .

قال : ولهما أي للبخاري ومسلم عنه أي عن الصحابي الذي ذكر في الحديث الأول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان } والمراد بهذه الحلاوة حلاوة حسية لا كما يقوله البعض : حلاوة معنوية حلاوة حسية أي تجد لذة الطاعة فقد كان بعض الصالحين يدعو الله في صلاة الليل ويقول : **اللهم إني قد رضيت عنك فمتى ترضى عني ؟** عملاً بحديث العباس عند مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم : { ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً } ( ٥ ) وتعرفون الحديث الذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه : { من أصبح وقال : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً قال : كان حقاً على الله أن يأخذ بيده حتى أدخله الجنة بيدي } ( ٦ ) أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم فبين صلى الله عليه وسلم أن هذه الثلاث الخصال من وجدت فيه وجد بهن حلاوة الإيمان **ما هي ؟**

**الأولى :** { أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما } من الأمور التي تقدمت في الآية وهي قول الله سبحانه وتعالى : (( قل إن كان آباؤكم .... الآية )) لأن أغلب مشاكل الناس واهتمامات الناس بهذه ،

وأعظم من ترى في الناس قدراً  
يعيش الدهر عبد فم وفرج

<sup>١</sup> - البخاري (٦٢١٢) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٣١٦٢) ومسلم (١٩٣) .

<sup>٣</sup> - البخاري (١٦) ومسلم (٤٣) .

<sup>٤</sup> - البخاري (٥٦٩٤) .

<sup>٥</sup> - مسلم (٣٤) .

<sup>٦</sup> - الترمذي (٣٣٨٩) وابن ماجه (٣٨٧٠) وأحمد (١٨٩٨٨) .

(( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها )) ( ١ ) هذه فلا بد أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سوى ذلك يقدم أمر الله وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم على كل شيء مهما كان

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم والحرب تسقي الأرض جاماً أحمر

جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا في مطلع الروح الأمين فكبرا

{ وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله } لا نجبه من أجل مصلحة دنيوية من أجل المال من أجل أن تنزوج بنته أو أخته أو كذا مصالح لا من أجل حزية ولا لأنه يوافقك في الرأي فمن وافقك رفعته ومن خالفك خفضته المحبة لله سبحانه وتعالى { أن يحب المرء لا يحبه إلا لله } لأن هذه المحبة عليها الحسنات والأجور يوم القيامة قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : { وجبت محبتي للمتحابين في } ( ٢ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ومن هؤلاء : رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه } ( ٣ ) ويقول سبحانه : (( الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين )) ( ٤ ) يعني هذه الزمالات والصدقات التي كانت على أساس من الباطل من أجل دنيا من أجل أمور ومصالح دنيوية انتهت وانعكست إلى عداوات (( ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً )) ( ٥ ) فلا بد أن تكون محبتنا من أجل هذا من أجل الله سبحانه وتعالى أحببته في الله تعرفون حديث في الترمذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً } ( ٦ ) وأذكرك بحديث جعله نصب عينيك في الترمذي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن من كان قبلنا : { أن رجلاً زار أخاً له في الله فأرصد الله على مدرجته ملكاً قال : أين تريد ؟ قال : أريد هذه القرية قال : ماذا تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخاً لي فيها قال : هل لك عليه من نعمة تربها أو حاجة تطلبها ؟ قال : لا إلا أنني أحببته في الله قال : فأنا رسول ربك إليك أن الله قد أحبك كما أحببته } ( ٧ ) وليس العجب أن تحب الله فالإنسان عبد الإحسان تحب الله أحسن إليك (( فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً )) ( ٨ ) (( يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك )) ( ٩ ) أنت مجبور على محبة الله ومفطور على محبته لكن العجب أن الله عز وجل أحبك فإذا أحبك فأنت من الأولياء { وما زال عبيد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه } ( ١٠ ) .

١ - التوبة ( ٢٤ ) .

٢ - صحيح : مالك ( ١٧١١ ) وأحمد ( ٢٢٠٨٣ ) وابن حبان ( ٥٧٥ ) وانظر حديث رقم : ٤٣٣١ في صحيح الجامع .

٣ - البخاري ( ٦٢٩ ) ومسلم ( ١٠٣١ ) .

٤ - الزخرف ( ٦٧ ) .

٥ - الفرقان ( ٢٧ - ٢٩ ) .

٦ - حسن : الترمذي ( ٢٠٠٨ ) والبيهقي في الشعب ( ٩٠٢٦ ) وانظر حديث رقم : ٦٣٨٧ في صحيح الجامع .

٧ - مسلم ( ٢٥٦٧ ) .

٨ - عبس ( ٢٤ ) .

٩ - الإنفطار ( ٦ - ٧ ) .

١٠ - البخاري ( ٦١٣٧ ) .

**الثالثة :** { وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار } **هل هذه الصفة تحققت فينا ؟**

أن يكون عندك الكراهية للكفر ولأهله ولطريقة الكفار وأن يكون عندك بغض للمنكر ولأهل المنكر لا يكفي أن تترك المنكر بل ينبغي أن تبغضه وأن تخرج جميع الرواسب من قلبك لا يكفي أن تترك طريق الزنا بل لا بد أن تبغض الزنا من قلبك لا يكفي أن تترك النظر إلى الأفلام الخليعة بل لا بد أن تنزع حظ الشيطان من قلبك وأن يكون عندك قاموس في قلبك تحمله من الأمور المتفق عليه أنك لأن تخر من السماء أحب إليك من أن تعصي الله سبحانه وتعالى لا يمكن قال صلى الله عليه وسلم : { سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . ومن هؤلاء . رجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال : . عفواً . قال : إني أخاف الله رب العالمين } ( ١ ) رغم المغريات منصب يأمل جمال فاضح يؤزه أزاً ومع ذلك يرفض **لماذا ؟** لأنه يخاف من الله سبحانه وتعالى

وإذا خلوت بريئة في ظلمة  
والنفس داعية إلى الطغيان  
فاستحي من نظر الإله وقل لها  
إن الذي خلق الظلام يراني .

قال : وفي رواية : { لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى .... إلخ } .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٦٢٩ ) ومسلم ( ١٠٣١ ) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : [ من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبداً طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً ] رواه ابن جرير .  
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : (( وتقطعت بهم الأسباب )) ( ١ ) قال : المودة .  
فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والأهل والمال .

الرابعة : أن نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام .

الخامسة : أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها .

السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها .

السابعة : فهم الصحابي للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير (( وتقطعت بهم الأسباب )) ( ٢ ) .

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً .

العاشرة : الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر .

و.....

عن ابن عباس رضي الله عنهما [ من أحب في الله وأبغض في الله ووالا في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك

<sup>١</sup> - البقرة ( ١٦٦ ) .

<sup>٢</sup> - البقرة ( ١٦٦ ) .

قال رضي الله عنهما : ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً رواه ابن جرير وقال ابن عباس في قوله تعالى : (( وتقطعت بهم الأسباب )) قال : المودة تقطعت وقبل هذا يقول الله : (( إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار )) ( ١ ) نسأل الله السلامة والعافية هذه مشكلة يا إخوان جد مشكلة أن يكون الشخص في الدنيا له أصحاب وأصدقاء ثم تنعكس هذه إلى لعن بعضهم بعضاً ويفضح بعضهم بعضاً أعوذ بالله فما أحوجنا إلى أخوة مبنية على أساس من الخير ومن الدين حتى ننتفع بهذه المحبة بين يدي الله سبحانه وتعالى .

### باب قول الله تعالى :

(( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين )) ( ٢ ) .

وقفنا فيما مضى عند قوله سبحانه وتعالى : (( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله )) ( ٣ ) يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

باب قول الله تعالى : (( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين )) ( ٤ ) .

هذه الآية المباركة وردت بعد قول ربنا سبحانه وتعالى : (( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين )) ( ٥ ) وذلك أنه في العام الثالث أقبلت قريش بخيلائها وبفرسانها وبأبطالها تريد الانتقام والأخذ بالثأر لصناديدهم الذين قتلوا في غزوة بدر فالتقوا في مكان يسمى جبل أحد وهو معروف إلى اليوم والمقبرة موجودة إلى اليوم عليها أسوار من شبك حديدي إلى يومنا هذا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يبقى في المدينة ليدفع عن بيضة أهل المدينة السوء والقتال وكان بعض الصحابة يطمع ويريد الخروج وكان ابن أبي يريد ما يريد النبي صلى الله عليه وسلم فعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الخروج فخرج وغضب لذلك عبد الله بن أبي وقال : يعصيني ويطيع غيري فكانت في نفسه حتى أنه انخنس بثلثي الجيش ورجع بهم إلى المدينة فالتقى هناك في ذلك الموضع في مكان جبل أحد الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم : { أحد جبل يحبنا ونحبه } ( ٦ ) وارتقى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً على متنه فأراد التحرك قال :

١ - البقرة ( ١٦٦ - ١٦٧ ) .

٢ - آل عمران ( ١٧٥ ) .

٣ - البقرة ( ١٦٥ ) .

٤ - آل عمران ( ١٧٥ ) .

٥ - آل عمران ( ١٧٣ - ١٧٥ ) .

٦ - البخاري ( ٣٨٥٥ ) .



{ اثبت أحد إنما عليك نبي وصديق وشهيدان } ( ١ ) ويعني بالنبي نفسه وبالصديق أبي بكر وبالشهيد عمر وعثمان رضي الله عنهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رتب الجيش وجعل خمسين رامياً على قمة الجبل وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال : { إن رأيتم الطيور تتخطفنا فلا تبرحوا عن أماكنكم } ( ٢ ) فكانت الدائرة في بداية المعركة لصالح المسلمين فظنوا أن الأمر قد انتهى والنصر قد تنزل والمعركة قد انتهت فنادى بعضهم بعضاً الغنيمة الغنيمة يا قوم فتركوا أماكنهم ولم يبق على قمة الجبل إلا عبد الله بن جبير وستة من أصحابه وقيل تسعة ونزل الباقر فيأتي خالد بن الوليد وكان لا يزال على الشرك رضي الله تعالى عنه وأرضاه وأراد وهذا شيء أراده الله سبحانه وتعالى وكثير من المحققين يقولون : هذا ليس بهزيمة وإنما هو نصر من وجه آخر فقد ذكر ابن القيم في كتابه زاد المعاد عدة فوائد منها الابتلاء ومنها معرفة أعداء المؤمنين من المنافقين وكذلك تأديب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عندما خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم المهم يأتي خالد بن الوليد من الخلف فكانت . لا حول ولا قوة إلا بالله . مصيبة نازلة على المسلمين فهجموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان طلحة بن عبيد الله أو أبو طلحة الأنصاري يتقي كل ما جاء من أذى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده وانتهت المعركة على أن قتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم السبعين وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل المعركة بأن بقرراً تنحر فأول ذلك باستشهاد أصحابه وقتل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم والله تبارك وتعالى يقول : (( من بعد ما أصابهم القرح )) ( ٣ ) وهي الجروح الجراحات والأوجاع والآلام فأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن تحمل جثث الشهداء ثم بعد ذلك أمر منادياً أن ادفنوا الشهداء في مواضعهم فدفنوا هناك في مكان أحد ثم يعود النبي صلى الله عليه وسلم يوم السبت إلى المدينة فما إن رجع إلا وتشاور الكفار وكان أبو سفيان بن حرب لم يسلم على أنه أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وهو أبو معاوية وهو صهر النبي صلى الله عليه وسلم فإن أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها هي بنته كان لا زال على الشرك وهو الذي بعد انتهاء المعركة قال : **أفيكم محمد ؟ أفيكم ابن أبي كبشة ؟ أفيكم ابن أبي قحافة ؟** فلم يصبر عمر فقال : لقد أبقي الله لك ما يسوؤك ثم قال : **أعل هبل قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : { ألا تحبوه ؟ } قالوا : ما نقول ؟** قال : { قولوا : الله أعلى وأجل } فقال أبو سفيان : الحرب سجال يوم بيوم يوم أحد بيوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا له : { قتالكم في النار وقتلانا في الجنة الله مولانا ولا مولى لكم } ( ٤ ) فيعود النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه وقرر الكفار فيما بينهم قالوا : **كيف نعود إلى مكة فإننا لم نصنع شيئاً ؟** فلا بد أن نعود إليهم لنستأصل شأفتهم كهذا كانوا يظنون و يرمون فأرادوا الرجوع فعلم النبي صلى الله عليه وسلم بأن قريشاً تريد استئصال بيضة المسلمين فندب النبي صلى الله عليه وسلم كل الذين خرجوا لأحد بما فيهم من الآلام والأوجاع والجروح وما فيهم من الأحزان على قتالهم أن يخرجوا مرة ثانية لمناجزة عدوهم حتى إن ابن أبي قال : **أتأذن لي أن أخرج ؟** قال : لا لا أريدك أن تخرج معنا فيخرج النبي صلى الله عليه وسلم قرابة ثمانية أميال من المدينة فيعسكر هناك في مكان اسمه حمراء الأسد فيمر رجل من المشركين فأسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وهو من قبيلة خزاعة وما كان يعلم أبو سفيان بإسلام هذا الرجل فقال له : **ما وراءك يا فلان ؟** قال :

١ - البخاري ( ٣٤٧٢ ) .

٢ - البخاري ( ٢٨٧٤ ) .

٣ - آل عمران ( ١٧٢ ) .

٤ - البخاري ( ٢٨٧٤ ) .



قريش تريد الإقبال عليكم لتستأصل شأفتكم ولتفعل ولتخويف (( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم )) ( ١ ) أرادوا الجمع أرادوا استئصال بيضة المسلمين فالمسلمون ورسول المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم لسان حالهم ومقالهم : (( حسبنا الله ونعم الوكيل )) ( ٢ ) حتى إن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول :

[ حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حينما ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حينما قيل له :

(( إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )) ( ٣ ) فخرجوا صابرين حتى إنهم ذكروا أن أخوين جريحين خرجا فكان الذي عنده الجراح الكثيرة يحمله أخوه فإذا ما تعب وضعه ليمشي قليلاً حتى لحقوا بعسكر النبي صلى الله عليه وسلم ابتلاء واختباراً فهذا الرجل أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إذهب إليهم وقد أسلم وخذلهم فلما أدرك أبو سفيان ظن أبو سفيان أنه لا زال على الشرك فقال : لقد خرج محمد بجمع لم ير مثله فخاف الكفار ورجعوا فارين إلى مكة ورجع هؤلاء بالنصر والظفر والأجر الكثير كما قال الله سبحانه : (( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم )) قال الله : (( فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل )) ( ٤ ) والمراد بذلك الأجر (( لم يمسخهم سوء )) ( ٥ ) أي ما حصل لهم من قتال إطلاقاً (( لم يمسخهم سوء واتبعوا رضوان الله )) ( ٦ ) يعني أرادوا بهذا الخروج رضوان الله (( والله ذو فضل عظيم )) ( ٧ ) ثم قال سبحانه : (( إنما ذلكم )) وإنما هنا أداة حصر وقصر (( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه )) ( ٨ ) أي هذا الذي حصل من المشركين إنما هو بسبب الشيطان فكان الشيطان يخوف أولياءه أي أتباعه أحزابه أصحابه الذين إن استمالهم استمالوا له كما قال ربنا سبحانه : (( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات )) ( ٩ ) وقال سبحانه : (( الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم عدكم مغفرة منه وفضلاً والله ذو فضل عظيم )) ( ١٠ ) فالمراد بهذه الإشارة يعني إشارة إلى ما حصل من التهديد والتخويف من قبل أعداء الإسلام للمسلمين قال سبحانه فيما يتعلق بتهديد قريش لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : (( إنما ذلكم الشيطان )) ( ١١ ) أي الذي حصل من المشركين إنما هو بسبب الشيطان يخوف أولياءه قال الله لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولكل المسلمين إلى قيام الساعة : (( فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين )) ( ١٢ ) والشيطان المراد به إبليس الذي عصى الله سبحانه وتعالى وهو العدو الأكبر وهو أكفر الكافرين وهو الذي يأمر بالسوء وينهى عن الخير يأمر بالشح والبخل والزنا واللواط وشنيع القول والفعل ويحرض على القتل وعلى الطلاق وعلى كل رذيلة هو من وراء ذلك كما قال تبارك وتعالى : (( إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب

١ - آل عمران ( ١٧٣ ) .

٢ - آل عمران ( ١٧٣ ) .

٣ - آل عمران ( ١٧٣ ) .

٤ - آل عمران ( ١٧٣ - ١٧٤ ) .

٥ - آل عمران ( ١٧٤ ) .

٦ - آل عمران ( ١٧٤ ) .

٧ - آل عمران ( ١٧٤ ) .

٨ - آل عمران ( ١٧٥ ) .

٩ - البقرة ( ٢٥٧ ) .

١٠ - البقرة ( ٢٦٨ ) .

١١ - آل عمران ( ١٧٥ ) .

١٢ - آل عمران ( ١٧٥ ) .

السعير)) (١) وقال سبحانه: ((كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين)) (٢) فهو يؤز إلى طريقه وإلى صراطه وإلى سبيله أزا فإذا ما أوصل إلى ذلك تبرأ عدو الله وهكذا يوم القيامة يستقيم خطيباً ويتنصل من هذا الشر الذي كان بجرمه وبشؤمه وأراد المؤلف رحمه الله من هذه الآية الاستدلال بقوله: ((يخوف أوليائه)) ويقول: ((فلا تخافوهم)) (٣) وجاء بهذا الباب مقصوداً بعد الباب الذي قبله لأن الباب الذي قبله قبله باب المحبة ليعلم أن العبادة إنما تركز على أمرين اثنين: الخوف والمحبة وقد تقدم أنه لا بد من خمس أسس: المحبة، الخوف، الرجاء، الإخلاص، المتابعة، فلا بد من هذه الأساسات لأنها تكون بمثابة الأساس القوي للبناء وهكذا هذه لا بد منها من أجل أن يكون العمل الصالح صالحاً نرجو من ورائه الخير في الدنيا والآخرة وإلا كان عملاً باطلاً قال سبحانه: ((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً)) (٤) فالخوف أقسام:

**فالقسم الأول:** خوف العبادة وهو التعظيم تعظيم الله سبحانه وتعالى وصرفه لغير الله يكون شركاً أكبر وصرفه لله وحده لا شريك له هو العبادة في حد ذاته ويسميه العلماء بخوف السر هذا القسم الأول خوف عبادة لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ((وإياي فارهبون)) (٥) ويقول سبحانه: ((ولمن خاف مقام ربه جنتان)) (٦) نسأل الله أن يرزقنا الخوف من مقامه ومقامه ويقول سبحانه: ((وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)) (٧) ويقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي الذي رواه أبو نعيم من حديث ابن عمر: {وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا آمنين فمن خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة ومن آمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة} (٨) والله تبارك وتعالى يقول في حق حق الآمنين المحققين للتوحيد والسنة والطاعة: ((الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)) (٩) بمعنى أن الذي كانوا على شرك ليسوا آمنين وإنما هم في خوف دائم في الدنيا وفي القبر وفي العرصات وهم أيضاً في النار لأنهم آمنوا في هذه الدنيا فكان الخوف. والعياذ بالله. حليفهم في ذلك اليوم والخوف المحمود هو الذي يحجزك عن المعصية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في التحفة العراقية عن الأمراض القلبية قال: "الخوف المحمود هو الذي يحجزك عن معصية الله فإن كنت تخاف من الله سبحانه وتعالى فارج من نفسك خيراً" {سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من الدمع} (١٠) ما جاء هذا البكاء من فراغ وإنما جاء من عصرة عصرها القلب

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكن روح تسيل فتقطر

١ - فاطر (٦) .  
٢ - الحشر (١٦) .  
٣ - آل عمران (١٧٥) .  
٤ - الفرقان (٢٣) .  
٥ - البقرة (٤٠) .  
٦ - الرحمن (٤٦) .  
٧ - النازعات (٤٠ - ٤١) .  
٨ - صحيح: ابن حبان (٦٤٠) والبيهقي في الشعب (٧٧٧) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٦٦٦) .  
٩ - الأنعام (٨٢) .  
١٠ - البخاري (١٣٥٧) ومسلم (١٠٣١) .

وهكذا أيضاً يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { عيان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله } ( ١ ) فهذا هو القسم الأول من أقسام الخوف وهو خوف العبادة أو يسميه العلماء خوف السر فإن صرف الله فهو عبادة وإن صرف لغير الله فهو شرك أكبر مخرج من الملة كأن تخاف من جني من صاحب قبر تخاف من الأصنام من الأنداد لا تخاف وإنما خف من الله تبارك وتعالى وكن شجاعاً مقداماً واعلم أن الأنفاس والأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى (( قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون )) ( ٢ )

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرأ في الجبن لا ينجو من الحذر

فهذا هو النوع من الأول .

**النوع الثاني :** خوف معصية وتعريف هذا : أنك تترك الطاعة خوفاً من فلان تترك الطاعة تترك الأمر بالمعروف تترك الصلاة تترك الإلتزام تترك إعفاء اللحية خوفاً من فلان إحتراماً لفلان وكان الأولى أن تخشى الله سبحانه وتعالى .

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه والحديث ذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ( ١٨١٤ ) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ إن الله يقول للعبد يوم القيامة : **ما منعك إذا رأيت المنكر ألا تغيره ؟** فيقول : رب خشية الناس خشية الله سبحانه وتعالى .

معني فيقول الله : إياي كنت أحق أن تخشى { ( ٣ ) يعني كان الجدير بك أن تخشى الله سبحانه وتعالى فهذا يسميه العلماء خوف معصية وليس من الشرك فالشرك أكبر الكبائر لا يغفره الله سبحانه وتعالى .

**القسم الثالث :** خوف طبيعي كأن تخاف من الأسد من الكلاب من الظلام من العدو هذا جائز قال الله عز وجل إخباراً عن موسى : (( ففرت منكم لما خفتكم )) ( ٤ ) ويقول سبحانه وتعالى أيضاً : (( فخرج منها خائفاً يترقب )) ( ٥ ) وهو يختلف من شخص لآخر فمن الناس من يخاف من الأسد ومن الناس من لا يخاف شجاع عنده إقدام وهذا مباح على أنه لا ينبغي للشخص أن يكون يذعر من ظله بل عليه أن يكون شجاع فإن الأقدار بيد الله سبحانه وتعالى واعلم أن ما أراد الله سبحانه وتعالى فلا بد أن يكون واصلاً إليك سواء حذرت منه أو لم تحذر

إن المقادير التي في اللوح قد كتبت إما أتتك يا فتى وإلا فتأتيتها

لكن هذا النوع يقول العلماء : هو مباح لأنه ما فيه ترك واجب ولا ارتكاب محرم ولا فيه صرف عبادة لغير الله سبحانه وتعالى إذن لا بد أن تكون طاعة العبد مبنية على الإخلاص وعلى الإلتزام وعلى المحبة وعلى الخوف والرجاء قال ابن القيم : " وهما للعبد السالك كالجنّاحين للطائر " فإن انكسر أحدهما فبأيهما يطير **وهل على العبد أن يغلب جانب الخوف أم جانب الرجاء ؟** قولان لأهل العلم :

والتفصيل هو الصحيح إن كان العبد صالحاً فليغلب جانب الرجاء وإن كان مسيئاً فليغلب جانب الخوف وقد كان بعض الصالحين يقوم من الليل فيقرأ : (( وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون )) ( ٦ ) أي ظهر لهم ما لم يكن يخطر لهم

١ - صحيح : مسند أبي يعلى ( ٤٣٤٦ ) ومسند الشاميين ( ٢٤٢٧ ) ومسند الشهاب ( ٣٢٠ ) وانظر حديث رقم : ٤١١٣ في صحيح الجامع .

٢ - التوبة ( ٥١ ) .

٣ - ضعيف : أحمد ( ١١٤٥٨ ) انظر حديث رقم : ٦٣٣٢ في ضعيف الجامع .

٤ - الشعراء ( ٢١ ) .

٥ - القصص ( ٢١ ) .

٦ - الزمر ( ٤٧ ) .

على بال وكان بعضهم يبكي ويقول : أخشى أن أطرح في النار ولا يبالي بي يخاف مدلول قول الله : (( فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى )) ( ١ ) لكن في حال المرض في حال الإحتضار وجب على العبد أن يغلب جانب الرجاء لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله } ( ٢ ) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله } ( ٣ )

فلا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

وإذا ظننت بربك خيراً وتفاءلت فعلى حسب نيتك وربما جاء الشيطان يقنطك وكذا وكذا الشيطان ربما يأتي إلى طالب علم ويبيني أمامه أشياء ويأتيه كذا ويقول : ما في داعي تطلب العلم أنت اذهب وكذا من شأن أن تعمل وتعف نفسك واليد العليا خير من اليد السفلى ولا بد تكون عزيز ولا بد تحفظ نفسك ولا بد أشياء يعني يريد ينفره عن طلب العلم من أجل أن يستريح الشيطان الرجيم من هذا الذي سيكون داعية إلى الله تبارك وتعالى على بصيرة علم من الكتاب والسنة فالشيطان ليس بناصح ولا أمين بل هو خوان عدو يدعو إلى ما فيه الضرر وقد ذكر الله تبارك وتعالى عن عباد الله الصالحين قال : (( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه )) ( ٤ ) والمؤمن هو هكذا يعبد الله بالخوف والرجاء ذكرت لكم فائدة قبل قول لبعض أهل العلم : من عبد الله بالمحبة فهو صوفي ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده بالخوف فهو حروري أو خارجي ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو مؤمن (( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين )) ( ٥ ) وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هكذا بين الخوف وبين الرجاء يعيش بين الخوف والرجاء فهو صلى الله عليه وسلم الذي قام يتعبد لربه حتى ورمت قدماه وهو الذي يقول عبد الله بن الشخير : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وهو الذي بكى ثم أرسل الله جبريل يسأله وهو أعلم قال : أخبره **ما الذي يبكيه ؟** قال : { أمتي أمتي قال عد إليه وقل له : إنا سنرضيك في أمتك } ( ٦ ) وهو الذي كان يشرب بعد ما تشرب عائشة من موضع الشراب وهو الذي كان يسابق عائشة رضي الله تعالى عنها وهو الذي يقول للصغير :

{ **يا أبا عمير ما فعل النغير ؟** } ( ٧ ) وهو صلى الله عليه وسلم الذي كان يقعد مع أصحابه فيفتح لهم وينبسط إليهم ويسمع ما يخوضون به من أمر الجاهلية فيضحكون وهو يبتسم فهو صلى الله عليه وسلم كان رؤوفاً رحيماً محباً خائفاً راجياً طائعاً فهو صلى الله عليه وسلم قدوتنا في هذا الباب قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة )) ومعنى أسوة أي قدوة (( لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً )) ( ٨ ) أسأل الله بمنه وكرمه و بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعلنا وإياكم من الخائفين الذين يخافونه وحده لا شريك له وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١ - النازعات ( ٤٠ - ٤١ ) .

٢ - مسلم ( ٢٨٧٧ ) .

٣ - البخاري ( ٦٩٧٠ ) ومسلم ( ٢٦٧٥ ) .

٤ - الإسراء ( ٥٧ ) .

٥ - الأنبياء ( ٩٠ ) .

٦ - مسلم ( ٢٠٢ ) .

٧ - البخاري ( ٥٧٧٨ ) .

٨ - الأحزاب ( ٢١ ) .

وقوله : (( إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله )) ( ١ ) .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالى :  
 وقوله سبحانه : (( إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين )) ( ٢ ) هذا تابع لدرس الأمس ، وفي قوله : (( إنما )) يسمي العلماء هذه الكلمة كافة ومكفوفة من حيث أن إن لم تعمل لأن ما كفتها عن العمل ويسمونها علماء التفسير : أداة حصر وقصر حصرت وقصرت هذا الأمر المتحدث عنه فيقول سبحانه : (( إنما يعمر )) والمراد بالعمارة أمرين : عمارة معنوية وعمارة حسية أما العمارة الحسية فهو البناء المعروف بالأحجار والبلوك والإسمنت والسعي في ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصراً أو بيتاً في الجنة } ( ٣ ) والأحاديث في هذا متواترة كما قال العراقي كما قال السيوطي :

ومما تواتر حديث من كذب  
 ورؤية شفاعاة والحوض  
 ومن بنى لله بيتاً واحتسب  
 ومسح خفين وهذا بعض

وفي ذلك أجر كبير وعظيم في بناء المساجد أو الإسهام في بنائها وهو دليل إيمان ولكن يجب أن يكون هذا المال من حلال لا أن يكون من ربا ولا من غسيل الأموال لأن هناك بعض الناس الآن بعض الأثرياء عندهم ما يسمى بغسيل الأموال يأخذ كذا يقول لك : نغسل هذه الأموال المجموثة بغبار الربا فنبنى بها مسجداً لا لا بد أن يكون المسجد حلال من حلال لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً } ( ٤ ) ولا يكون كما قيل :

بنى مسجداً لله من غير حله  
 فكأن بحمد الله غير موفق  
 ككافلة الأيتام من كسب فرجها  
 لك الويل لا تزني ولا تتصدقني  
 لا أحد يريد صدقة من باطل من ربا من حرام وإنما يكون من حلال قال النبي صلى الله عليه وسلم :

١ - التوبة ( ١٨ ) .

٢ - التوبة ( ١٨ ) .

٣ - صحيح : ابن ماجه ( ٧٣٨ ) وأحمد ( ٢١٥٧ ) وابن خزيمة ( ١٢٩٢ ) وانظر حديث رقم : ٦١٢٨ في صحيح الجامع .

٤ - مسلم ( ١٠١٥ ) .

{ ما تصدق رجل من كسب طيب بعدل التمرة إلا تقبلها الله بيمينه ثم يريها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه . أي فصيله وهو ابن الناقة . حتى تكون مثل جبل أحد { ( ١ ) } والحديث في البخاري في كتاب الزكاة في الجزء الثالث في كتاب الزكاة .

وأما العمارة المعنوية : فعمارتها بالصلاة المكتوبة النافلة قراءة القرآن ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه المساجد في بيوت الله (( في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار )) ( ٢ ) وقد جاء حديث هذا : { من رأيتموه يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان { ( ٣ ) } وهو حديث ضعيف هو يوافق الآية لكن ضعيف لأن في سنده دراج أبا السمع عن أبي الهيثم وهي رواية منقطعة ليس الحديث صحيحاً فهذا هو المقصود بقوله : (( إنما يعمر مساجد الله من )) من هاهنا تفيد العموم الشمول (( من آمن بالله )) سواء كان عربياً أعجمياً أسود أبيض غني فقير ذكر أنثى المهم هذه أوصافه (( من آمن بالله )) والإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجود الله بربوبيته بألوهيته بالأسماء والصفات هذه مستلزمات الإيمان بالله وهو ركن من أركان الإيمان قال : **ما الإيمان ؟** قال : { أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن باليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره { ( ٤ ) } ركن عظيم من فقدته فقد فقد الخير كله في هذه الدنيا

ولا دنيا لمن لم يحي ديناً

إذا الإيمان ضاع فلا حياة

فقد جعل الفناء لها قريباً

ومن رضي الحياة بغير دين

فهذه أوصاف الصالحين الذين ستأتي لهم أيضاً أوصاف فيقول ربنا : (( إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله )) عنده الإيمان التصديق اليقين الحازم بوجود الله وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته قال : (( واليوم الآخر )) أيضاً يؤمن باليوم الآخر وسمي يوماً آخر لأنه آخر يوم من أيام الدنيا وليس بعده يوم هذا اليوم الذي هو كآلف سنة مما نعد ليس بعده يوم بعده كما قال سبحانه في كتابه الكريم : (( فمنهم شقي وسعيد )) ( ٥ ) وكما قال سبحانه : (( فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز )) ( ٦ ) وكما قال سبحانه : (( فريق في الجنة وفريق في السعير )) ( ٧ ) ما بعد ذلك إلا الفصل نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل فصلنا إلى جنة عرضها السماوات والأرض والمسلمين أجمعين قال :

(( واليوم الآخر وأقام الصلاة )) أي أتى بها على وجه قويم لا نقص فيه بوجه من الوجوه والإقامة تتضمن أموراً منها : أنه صلاحها في وقتها يعني أتى بالأركان بالشروط بالواجبات بالمستحبات وأثرت هذه الصلاة على جوارحه وعلى سلوكه كما قال سبحانه :

(( وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر )) ( ٨ ) الصلاة الحقيقية (( وآتى الزكاة )) بمعنى أنه أعطى حق الله الله من خلال الزكاة والزكاة بمعنى النماء زكى بمعنى نمت واصطلاحاً : هي المال الذي أوجب الله ورسوله إخراجه بشرطين

١ - البخاري ( ١٣٤٤ ) ومسلم ( ١٠١٤ ) .

٢ - النور ( ٣٦ - ٣٧ ) .

٣ - ضعيف : الترمذي ( ٢٦١٧ ) وابن ماجه ( ٨٠٢ ) وأحمد ( ١١٧٤٣ ) وانظر حديث رقم : ٥٠٩ في ضعيف الجامع .

٤ - مسلم ( ٨ ) ، ( ١٠ ) .

٥ - هود ( ١٠٥ ) .

٦ - آل عمران ( ١٨٥ ) .

٧ - الشورى ( ٧ ) .

٨ - العنكبوت ( ٤٥ ) .



حلول الحول وبلوغ النصاب كما قال سبحانه : (( وآتوا حقه يوم حصاده )) ( ١ ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول } ( ٢ ) والزكاة . بارك الله فيكم . لها تفرعات وتفصيلات من حيث الأركان والشروط ومن حيث الأنصبة والمقادير والأنواع ليس هذا موضعها .

قال : (( ولم يخش إلا الله )) من صفات هؤلاء القوم أنهم لا يخشون إلا الله والخشية أخص من الخوف فالخوف يشترك فيه العالم والجاهل بخلاف العالم فإنه يكون إلى جانب الخوف خشية الله كما قال سبحانه :

(( إنما يخشى الله من عباده العلماء )) ( ٣ ) فالخشية أخص من الخوف فهؤلاء لا يخشون إلا الله سبحانه وتعالى وهذا هو الشاهد من الباب أن هؤلاء لم يخشوا إلا ربهم سبحانه وتعالى وهذه والله من المكرمات ومن توفيق الله سبحانه وتعالى للعباد يوم أن يعلن تحرره من قيود الخوف من الفقر الخوف من الجبن الخوف من الشيطان الخوف من خطوب الزمان ونوائبه وأن يجعل خوفه كله من الله والله سبحانه وتعالى وتأمل قوله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا )) ( ٤ ) وقول الله سبحانه وتعالى : (( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )) ( ٥ ) وهكذا أيضاً حديث ابن عباس في الترمذي وأصله في مسند مسند أحمد قال النبي صلى الله عليه وسلم له : { واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك رفعت الأقالم وجفت الصحف } ( ٦ ) **فممن تخاف أنت يا عبد الله ؟** تخاف أحداً أن يأخذ من أيامك من أوقاتك من أرزاقك لا يستطيع إنه لا يستطيع أن ينزل بك ضرراً أبداً الشياطين والجن والغفاريات والسحرة الذين عندهم من الشر والتمويه والقدرة على الحيل لن يستطيعوا أن يصلوا إلى العبد إلا بتقدير من الله وغيرهم من باب أولى قال سبحانه :

(( وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله )) ( ٧ ) وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمى على أعدائه يوم أن قال وهو تحدي في نفس الوقت قال : **" ماذا يريد مني أعدائي أنا سجنى خلوة وموتي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة ؟ " ماذا يريد مني الأعداء ؟ إن قتلوني فهم يقدمون لي جميل أنني أرزق بالشهادة وإن سجنوني فأتفرغ وكان رحمه الله وهو في السجن يقول : " المسجون من سجن قلبه عن ذكر الله والمأسور من استأسره هواه " وإن أخرجوني سياحة وكان يقول : " أنا جنتي وبستاني في قلبي " ولما ردوا عليه الباب في السجن قال : " (( فضر ب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب )) ( ٨ ) " فما أحوجنا أن تكون خشيتنا من الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث :**

١ - الأنعام ( ١٤١ ) .  
٢ - صحيح : أبو داود ( ١٥٧٣ ) والترمذي ( ٦٣١ ) وابن ماجه ( ١٧٩٢ ) وانظر حديث رقم : ٧٤٩٧ في صحيح الجامع .  
٣ - فاطر ( ٢٨ ) .  
٤ - التوبة ( ٥١ ) .  
٥ - آل عمران ( ١٧٣ ) .  
٦ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .  
٧ - البقرة ( ١٠٢ ) .  
٨ - الحديد ( ١٣ ) .

{ ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فهي خشية الله في السر والعلانية } ( ١ )

والنفس داعية إلى الطغيان

وإذا خلوت بريئة في ظلمة

إن الذي خلق الظلام يراني

فاستحي من نظر الإله وقل لها

تخشى من الله ولا يكون هذا تصنعاً بين إخوانك ما شاء الله إيمان واستغفار فإذا ما خلا لك الجو كنت شيطاناً رجيماً تبارز الله بالعظائم هذا لا ينفع بل لا بد أن تكون على استقامة والتزام في حال السر أعظم قال النبي صلى الله عليه وسلم : { سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من الدمع } ( ٢ ) هذا الفيضان ما جاء من فراغ لما كان بمفرده تعرف أن الشيطان يستطيع أن يجرجر الشخص إذا كان بمفرده لو كان مع الجماعة تجد أن الشخص يتحصن نوعاً ما والخذلان من الله سبحانه وتعالى للشخص هو قد يكون بسبب قلة الإخلاص لكن لو كان معه أناس آخرون ربما استحموا فإذا كان وحده ربما ذهب عنه الحياء والخجل فينبغي أن يكون وحده في مكان قريباً يفعل المستحيلات لكن هذا بينما هو وحيد في غرفة مستقلة في مكان خال ذكر الله ذكر عظمة الله وذكر القبر وذكر النار وذكر الصراط والميزان والحساب ولقاء الله عز وجل وحيداً فريداً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إنكم محشورون إلى ربكم حفاة عراة غرلاً } ( ٣ ) فلما ذكر نفسه بمثل هذا بكى ما جاء البكاء إلا نتيجة لما تذكره وما تنزل الدموع من العيون إلا وقد أخذ القلب عصرة كما قيل :

ولكنها روح تسيل فتقطر

وليس الذي يجري من العين مأوها

قال : (( ولم يخش إلا الله فعسى )) عسى هذه اجعلها بين قوسين هي في اللغة العربية من أخوات كان بمعنى الترجي حرف ترجي تقول عسى أن يأتيك زيد يعني نرجوا أن يأتيك زيد لكن إن جاءت في القرآن والسنة عسى ولعل تكون بمعنى اليقين والواجب (( فعسى أولئك )) يعني حقاً أن يكون هؤلاء كما قال سبحانه : (( فعسى أولئك أن يكون من المهتدين )) أي حقيقي وجدير أن يكون هؤلاء من المهتدين هداهم الله توفيق الله عز وجل .

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن هنا قال : قوله : (( فعسى )) قال ابن أبي طلحة طبعاً منقطع لأن رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس منقطعة يقول : إن أولئك هم المهتدون وكل عسى في القرآن فهي واجبة قال ابن كثير : قال ابن عباس : كقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم : (( عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً )) ( ٤ ) وهي الشفاعة وقال محمد بن إسحاق بن يسار : وعسى في القرآن من الله حق .

١ - صحيح : الطبراني في الأوسط ( ٥٤٥٢ ) والبيهقي في الشعب ( ٧٤٥ ) وانظر حديث رقم : ٣٠٣٩ في صحيح الجامع .

٢ - تقدم تخريجه .

٣ - البخاري ( ٣١٧١ ) ومسلم ( ٢٨٥٩ ) .

٤ - الإسراء ( ٧٩ ) .



وقوله : (( ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله )) ( ١ ) .

وقوله سبحانه : (( ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله )) ( ٢ ) هذه الآية فيها شاهد بالمعنى لهذا الباب لأن الباب بعنوان :

(( إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين )) ( ٣ ) يعني في باب الخوف والخشية وذلك أن بعض الناس يؤمن بالله ولكن لا نقول : يؤمن يسلم فقط كما قال سبحانه : (( قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا )) ( ٤ ) يعني ربما كان من المنافقين فيؤمن بالله يسلم إسلاماً ظاهراً ولم يتمكن الإيمان من قلبه (( فإذا أؤذي في الله )) يعني فتن كما قال سبحانه : (( إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا )) ( ٥ ) أؤذي من بعض الناس من الكفار فهنا جعل فتنة الناس كعذاب الله ربما يرتد كما قال سبحانه :

(( ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين )) ( ٦ ) وكان الأولى أن يصبر فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأئمة فالأئمة ثم الأئمة } ( ٧ ) وهكذا أنت قبل أن تلتزم كان الناس يحبوك ويحترموك فإذا التزمت قالوا مطوع قالوا كذا لكن الحمد لله لا يستطيعون أن يقولوا أنك صاحب فجور وكذا ويقولون هذا بأفواههم أما في قرارة أنفسهم فهم يعترفون لك بالفضل والخير .

١ - العنكبوت ( ١٠ ) .

٢ - العنكبوت ( ١٠ ) .

٣ - آل عمران ( ١٧٥ ) .

٤ - الحجرات ( ١٤ ) .

٥ - البروج ( ١٠ ) .

٦ - الحج ( ١١ ) .

٧ - صحيح : الحاكم ( ١٢٠ ) والطيالسي ( ٢١٥ ) والبيهقي في الشعب ( ٩٧٧٥ ) وانظر حديث رقم : ٩٩٢ في صحيح الجامع .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : { إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تدمهم على ما لم يؤتكم الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره } ( ١ ) .

.....  
وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم : { إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله } هذا الحديث ضعيف على أن معناه صحيح وفي هذه الحكم أن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله هذه آفة وان تحمدهم على رزق الله كان الأولى أن تحمد الله سبحانه وتعالى الحديث ضعيف ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة وكذلك أيضاً الدوسري

{ وأن تدمهم على ما لم يؤتكم الله إن رزق الله لا جره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره } هذا كلام صحيح مائة في المائة أن ما أَرَادَهُ اللهُ فلا بد أن يكون واصل إليك جاء حديث حسنه الشيخ الألباني { إن رزق ابن آدم يطلبه كما يطلبه أجله أو يطلبه الأجل } ( ٢ ) والله در زين العابدين علي بن الحسين حينما قال :

لو أن في صخرة صما ملممة      في البحر راسية ملس نواحيها  
رزق لعبد ذراه الله لانفلقت      حتى تؤدي إليه كل ما فيها

ومن أمثلة السائدة العامة يقولون : رزقك يأتي ولو كان في ناصية الأسد ، فلا بد أن تأخذ رزقك لكن ابذل السبب والأسباب تختلف فالأرزاق هي موجودة في هذه الدنيا خلقتك الله وخلق معك رزقك حديث ابن مسعود لما قال : حدثنا الصادق المصدوق :

{ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة .... ثم قال : يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات كتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد } ( ٣ ) هذه أصول لا بد أن نذكر أنفسنا بها فرزقك يا عبد الله موجود وهو بين

<sup>١</sup> - ضعيف : البيهقي في الشعب ( ٢٠٧ ) انظر حديث رقم : ٢٠٠٩ في ضعيف الجامع .  
<sup>٢</sup> - صحيح : ابن حبان ( ٣٢٣٨ ) والمعجم الكبير ( ٢٧٣٧ ) وانظر صحيح الترغيب والترهيب ( ١٧٠٣ ) .  
<sup>٣</sup> - البخاري ( ٣٠٣٦ ) ومسلم ( ٢٦٤٣ ) .

الكاف والنون فياىك أن تسيء الظن بالله تعالى لا تسيء الظن بالله سبحانه وتعالى فربما بعض الناس تأخر عنه رزقه فيتضجر وكان الأولى أن يصبر حتى يأتيه رزقه الله سبحانه وتعالى رزق أعداءه ورزق الحيوانات المفترسة وأنت يا طالب العلم لا بد أن يرزقك الله سبحانه وتعالى والإمام الشوكاني رحمه الله في " آداب الطلب " ذكر شيئاً كثيراً من الأمثلة إلى أن قال رحمه الله :

ما مات والله جوعاً عالم أبداً سل التواريخ عنه والدواوين

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن أحد العلماء كان عنده طلاب ونشاط ودعوة فضجر قال : أريد أن أدخل مع السلطان أكتب وكذا وكان كاتباً لمأخاً وترك الحلقة وترك العلم فكان يأكل طعاماً وكان الطعام فيه سمك فجاء إليه هر فأعطاه قطعة سمك أخذ هذه القطعة وذهب بها ثم رجع أعطاه قطعة أخرى فذهب ورجع فتعجب ما أسرع قد أكلها **ولماذا لا يأكلها أمامي ؟ ليش يذهب إلى مكان بعيد ؟** فقال لبعض أهله : تابعوا هذا الهر فتابعوه فوجدوه يرقى على سطح ثم ينزل إلى مكان وأنه يعطي هذه القطع قطع السمك لهر كبير أعمى فذهب ينظر فتأثر قال : سبحان الله قال : هيا الله له من يأتيه بالرزق فاستفاد من هذه وأخذ العبرة ورجع إلى طلابه واستمر في نشر العلم وتدريسه .

وذكر ابن القيم في مفتاح دار السعادة : أن ديكاً كان يأخذ الطعام ويذهب يأتي بأصوات إلى حية كبيرة عمياء فتفتح فاهها فيضع فيه الرزق وكان أحد الصالحين يمشي في رحلة وكان عنده طعام ومعه أهله فكان يقول : نأكل هنا فتقول له : لا كذا نشوف شجرة مثمرة أحسن إلى أن وصلوا إلى مكان قالوا : هاهنا نأكل فأخرجوا الطعام فأول لقمة أراد أن يأكلها سقطت فتأتي حشرة تأخذها فقال : سبحان الله أنا أحمل رزقها ولا أدري هو جاء من مكان بعيد من أجل رزق هذه الحشرة رزقها الله : (( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين )) ( ١ ) لا ينبغي أن تسيء الظن بالعلم

لا تسيء الظن بالعلم يا فتى إن سوء الظن بالعلم عطب

ويذكر بكر أبو زيد عن الشنقيطي قال : أتيت من شنقيط بكنز قال بكر أبو زيد : كنت أقول **إيش الكنز هذا ؟** قال : جئت من شنقيط بكنز وأخشى أن ينفد قال : فعلمت بعد أيام أنه القنعة الكنز الذي لا يفنى هو القنعة وكم من أخ كان على خير وصلاح وكان يفهم العلم لأن المشكلة أن بعض الناس ما يفهم العلم فهذا لو أنه يذهب يتسبب ربما يكون أولى قال المبرد : أشفق على رجلين ذكي لا يطلب العلم ويطلب العلم من لا يفهم ، فبعضهم كان ذكياً فإذا به يضيع لا واصل العلم ولا أخذ من الدنيا شيء يذكر ما تحصل على شيء يذكر من أمور الدنيا فلو أنه صبر لكان خيراً عظيماً وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

<sup>١</sup> - هود ( ٦ ) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
 { من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه  
 وأسخط عليه الناس } رواه ابن حبان في صحيحه ( ١ ) .  
 فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : تفسير آية العنكبوت .

الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .

الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك : هذه الثلاث .

السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض .

السابعة : ذكر ثواب من فعله .

الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

يقول المؤلف :

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس } رواه ابن حبان في صحيحه  
 هذا الحديث من حيث صحته ونسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة  
 الصحيحة بحثاً طويلاً مكوناً من ورقتين ثم في نهاية المطاف قال : وبالجمل فالحديث ثابت موقوفاً على عائشة ومرفوعاً

<sup>١</sup> - صحيح : ابن حبان ( ٢٧٦ ) ومسنند الشهاب ( ٤٩٩ ) وانظر صحيح الترغيب والترهيب ( ٢٢٥٠ ) .

إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهذا . بارك الله فيكم . من حيث الصحة فهو حديث صحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام وله قصة .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ ورواه الترمذي عن رجل من أهل المدينة قال : كتب معاوية رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتب لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية : سلام عليك أما بعد : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس } ( ١ ) والسلام ،

قال : ورواه أبو نعيم في الحلية قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وكتبت عائشة إلى معاوية وروى أنها رفعتة { من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً } ( ٢ ) هذا لفظ المرفوع ولفظ الموقوف : { من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذاماً } ( ٣ ) وهذا من أعظم الفقه في الدين فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين والله كاف عبده (( ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب )) ( ٤ ) .

قال : والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب وأما كون الناس كلهم يرضون عنه قد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض وإذا تبين لهم العاقبة .

ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً كالظالم الذي يعرض على يديه وهذا الذي يعرض على يديه يوم القيامة وذلك أنه أرضى الناس بسخط الله :

(( ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر )) ( ٥ ) نسأل الله السلامة والعافية وأما كون حامده ينقلب ذاماً فهذا يحصل كثير ويقع في العاقبة فإن العاقبة للتقوى لا تحصل ابتداء عند أهوائهم وقد أحسن من قال :

إذا صح منك الود يا غاية المني فكل الذي فوق التراب تراب

قال ابن رجب رحمه الله : فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب أم كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب إن هذا لشيء عجاب قال : وفي الحديث عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على الله وأن العقوبة قد تكون في الدين عياداً بالله من ذلك كما قال تعالى :

(( فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون )) ( ٦ ) في هذا الحديث في بدايته قوله صلى الله عليه وسلم : { من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه { التمس بمعنى طلب وفيه إثبات صفة الرضا لله صفة ثابتة لله بالكتاب والسنة وإجماع السلف قال سبحانه : (( رضي الله عنهم ورضوا عنه )) ( ٧ ) إثبات صفة

١ - صحيح : الترمذي ( ٢٤١٤ ) وانظر حديث رقم : ٦٠٩٧ في صحيح الجامع .

٢ - وانظر حديث رقم : ٦٠١٠ في صحيح الجامع .

٣ - ضعيف : مسند الشهاب ( ٤٩٨ ) وانظر ضعيف الترغيب والترهيب ( ١٣٦٥ ) .

٤ - الطلاق ( ٣ - ٢ ) .

٥ - الفرقان ( ٢٧ - ٢٩ ) .

٦ - التوبة ( ٧٧ ) .

٧ - المائدة ( ١١٩ ) والتوبة ( ١٠٠ ) والمجادلة ( ٢٢ ) والبينة ( ٨ ) .

الرضا وجاء في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها وأن يشرب الشربة فيحمده عليها } ( ١ ) وإجماع السلف على إثبات هذه الصفة صفة الرضا لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل رضا حقيقي يليق بجلاله وكماله وكبريائه وهكذا أيضاً في قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : { ومن التمس { أي من طلب

{ رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس { أيضاً يثبت أهل السنة والجماعة قاطبة صفة السخط لله سبحانه وتعالى وبعضهم يفسرها بالغضب أو بمستلزمات الغضب سخط حقيقي عل حسب ما يفهمه العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فهذه الصفة ثابتة لله في كتاب الله كما قال سبحانه : (( ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله )) ( ٢ ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو :

{ اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك } ( ٣ ) حديث عائشة فهذه صفة ثابتة لله في الكتاب وفي السنة وهكذا أجمع أهل السنة أجمع المسلمون أجمع السلف على إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف على حد قوله سبحانه : (( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )) ( ٤ ) .

الأشاعرة و الجهمية قبلهم أولوا هاتين الصفتين عطلوا هاتين الصفتين ، الله سبحانه وتعالى أثبت ورسوله صلى الله عليه وسلم أثبت وهؤلاء نفوا صفات الله سبحانه وتعالى إما جحوداً وإما تأويلاً لأنهم يقولون : لا تليق بالله نقول : **فمن أعلم أنتم أم ربنا سبحانه وتعالى ؟ أنتم أعلم أم رسولنا صلى الله عليه وسلم ؟** فإنه أعلم الناس بربه وهكذا أيضاً السلف الصالح الذين تلقوا علم الرسول صلى الله عليه وسلم تلقوه بالدليل بالسلسلة الموصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهذا . بارك الله فيكم . من أعجب ما يكون وذلك أنهم ردوا وجحدوا ما أثبتته الله أو أثبتته رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد أن عرفنا أن الله صفة الغضب صفة السخط وصفة الرضا يقول عليه الصلاة والسلام :

{ من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس { بمعنى أنه إذا قدم ما أَرَادَهُ الله وعظم ما عظم الله وأتمر بما أمر الله وإن أسخط الناس فإن ذلك لا يهم أبداً فإن الله سبحانه وتعالى سوف يرضى عنه ويرضى عنه الناس لأن نواصي العباد بيد الله ثم أيضاً الناس لن يرضوا عنك سنة الله في خلقه

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا

ومن أراد أن يطلب رضا الناس كلهم فهو أحق وما من رجل طال كعبه في علم أو شرف أو سيادة إلا كان له مَادِح وقَادِح وجاء في بعض الآثار الإسرائيلية أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : يا رب أسألك سؤالاً قال : سل قال : كف عني كلام الناس في قال الله : ما اتخذت ذلك لنفسى .

فإرضاء الناس غاية لا تدرك ، غاية لا تدرك الناس إن تكلمت قالوا: مثثراً وإن سكث قالوا : أبكماً لا يرضون على أية حالة لا بد من الكلام ولا بد لك أنت من التحمل { أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل } ( ٥ ) وأن يكون

١ - مسلم ( ٢٧٣٤ ) .

٢ - محمد ( ٢٨ ) .

٣ - مسلم ( ٤٨٦ ) .

٤ - الشورى ( ١١ ) .

٥ - صحيح : الحاكم ( ١٢٠ ) والطبائسي ( ٢١٥ ) والبيهقي في الشعب ( ٩٧٧٥ ) وانظر حديث رقم : ٩٩٢ في صحيح الجامع .

ديدن الشخص متى يرضى عني ربي سبحانه وتعالى ؟ هذا يكون همك الأول والأخير أن تبحث عن رضى الله سبحانه وتعالى فإن الله سبحانه وتعالى إذا رضي عنك فأنت من الأولياء أنت من المقربين إليه سبحانه وتعالى وهنا سؤال قد يقول قائل : كيف أعرف أن الله راضٍ عني أو ساخط علي ؟

أنا أجيبك على هذا السؤال والجواب عليه سهل وميسر وتستطيع أن تعرف أين محلك في الرضا أو في السخط إن وجدت نفسك منشراحاً بالطاعة مقبلاً على الله نشيطاً إلى الخير فقل : الحمد لله وارجو من نفسك خيراً هذه علامة الرضا وقد كان بعض الصالحين يقول : اللهم إني قد رضيت عنك فمتى سترضى ؟ عني والنبى صلى الله عليه وسلم يقول كما في صحيح مسلم عن العباس : ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً فإن وجدت نفسك نشيطاً إلى الطاعة تأنس بالله تخشع جوارحك يخضع قلبك لله فهذا إن شاء هذه علامة الرضا وإن وجدت نفسك ثقيلاً بطيئاً إلى الخير وإلى الطاعة وعندك من الجرأة على المعصية والذنوب فلا زلت بالطريق أنت تحتاج إلى تصحيح تحتاج إلى عناية تعتني بنفسك حتى تصل إلى ربك سبحانه وتعالى باحثاً عن رضاه فإن وجدت نفسك في حالة أردى من هذه تضيق من القرآن تضيق من السنة تضيق من الخير فاعلم أن هذه علامة السخط نسأل الله السلامة .

ذكروا . بارك الله فيكم . أنه من العلماء في هذا الزمان رجل كان ذكياً ذكاً خارقاً ذكي في منتهى الذكاء لكن عنده الغرور رد على الحدائين على العلمانيين على الملاحدة رجل كان في بلاد الحرمين يدعى بعبد الله القصير وكان بعض مشايخه لكثرة مجادلة هذا الرجل وهو لا زال في الخير والدين والإسلام والقرآن كان من حملة الشريعة كان يقول : أنا أرى هذا مضطرباً ما أظنه يثبت هكذا تفرس فيه مثل ما تفرس الألباني في ثلاثة نفر كما ذكرنا في ترجمته جاءه يمكن في السبعينات ثلاثة نفر يجادلونه فقال : هذا ما أظنه يثبت ففعلاً صار من الشيوعيين الثالث صار شيوعي إباحي فهذا عبد الله القصير ذهب إلى لبنان ودخل في بعض المسارح . ولا حول ولا قوة إلا بالله . زل حمار العلم في الطين نسأل الله السلامة والعافية ألف بعد ذلك كتاب بعنوان الأغلال هذا الكتاب الآن قالوا : يدرس في أمريكا هكذا المراد بالأغلال يقول : كأن هذا الدين عبارة عن قيود قيدك عن الخمر قيدك من الزنا قيدك من اللواط قيدك من التبرج من كذا ومن كذا نسأل الله السلامة والعافية ناصحه العلماء أرسلوا له بالرسائل نظماً ونثراً ولكن أبى أن يعود إلى الدين وإلى الإسلام هذا . بارك الله فيكم . علامة السخط من علامة السخط .

أن إذا كنت وحدك تخشى الله هذا علامة رضا إذا كنت بمفردك وأنت تعصي الله أو تفكر أو تهتم بمعصية الله فانتبه هنا الإشارة حمراء خطر أنت الآن عليك آثار السخط إذا قمت إلى الصلاة نشيطاً طيب النفس علامة رضا إذا قمت إليها كسل فهذه علامة سخط إذا قيل لك : هذا حرام والدليل من القرآن كذا وكذا ومن السنة كذا أو هذا لا يليق بالمروءة فقلت سمعاً وطاعة هذا علامة الرضا فإن أخذت تجادل وتماحك وتكذلك وتبرر لنفسك فهذا من علامة السخط فيحاول الشخص بقدر الإمكان إرضاء الله وفي هذا الحديث تأديب للملوك والرؤساء والحكام والقضاة والعلماء والدعاة الرجال والنساء للراعي والرعية ولجميع المسلمين أن يكون هم العبد هو إرضاء الله سبحانه وتعالى وأن لا ترضي الناس على حساب دينك ترضيهم على حساب الدين وتداريهم على حساب الدين وتجاهلهم على حساب الدين فالناس لا يغنوا عنك من الله شيئاً إذا كانت الآلهة والأصنام تتبرأ ممن عبدها يوم القيامة وهكذا القادة يتبرءون من الأتباع (( إذ تبرأ الذين

اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا (( قال الله : (( كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار )) ( ١ ) فيحصل الإبراء والعداوة والخصام ولكن حين لات مندم فمن الآن أصلح نفسك يا عبد الله وليكن الله همك في السر والعلانية وحاول أن تلتمس رضا الرحمن فإن نواصي العباد بيد الله فإنك إن أرضيت الرحمن أرضى الله بقية البشر وجعلهم يرضون عنك وإن أنت أسخطته انقلب ذلك الرضا سخطاً عليك من حيث لا تدري نسأل الله السلامة والعافية فبدلاً من أن تبقى ترضي هذا وتصلح هذا تلتمس رضا هذا إلتمس رضا الله سبحانه وتعالى ومن حكايات السلف في هذا الباب أن رجلاً قال لرجل : إن أردت أن تخرج فنبحك كلب فلان **ما تصنع له ؟**

قال : أرحمه قال : **فإن كانت كثيرة ؟**

قال : كذلك قال : بإمكانك أن تستعين براعي الأغنام وهو يجنبك هذا الخطر ربما كانت الكلاب مفترسة فهكذا بدلاً من أن تقول : أنا أشتي فلاناً يرضى عني والله أنا خائف فلان هذا يتكلم علي **ليش تخاف من فلان ؟** دعه يتكلم عنك دعه يقول فيك الناس يجرحون ويعدلون من الشارع ناس سوقة ربما كان بضاعة ذنوب ومعاصي ويتكلم ويحشر أنفه وهو لا يحسن ويتعاطى مسائل أكبر من حجمه فلقد كان السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم يعيشون مثل هذا وما بالوا بمن تكلم فيهم إن تكلم فيك المتكلم وكان كلامه بحق وعرفت أنه حق وإن كان قدحاً وهو حق فيك تراجعت وإن كان كذباً وزوراً فالله يتولى الدفاع عنك يقول الله تبارك وتعالى : (( إن الله يدافع عن الذين آمنوا )) ( ٢ ) ويقول الله تبارك وتعالى : { من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب } ( ٣ ) وهكذا . بارك الله فيكم . عاش الأنبياء وأتباع الأنبياء يكون هم الواحد منهم أن يرضى عنه سبحانه وتعالى وهو دائماً حريص كل الحرص على أن يقدم رضاه لأن في إرضاء الله سبحانه وتعالى خير لك يا عبد الله في الدنيا والآخرة أسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا ما يسخطه ويأباه والله المستعان .

١ - البقرة ( ١٦٦ - ١٦٧ ) .

٢ - الحج ( ٣٨ ) .

٣ - البخاري ( ٦١٣٧ ) .



## باب قول الله تعالى :

(( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين )) ( ١ ) .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد :

فيقول الشيخ الفاضل محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

## باب قول الله تعالى : (( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين )) ( ٢ ) .

هذا الباب العظيم باب التوكل هو من أجمع أبواب الإيمان والتوحيد وأعمقها وأعلاها وأرفعها فإذا كان العلماء يحرصون كل الحرص أن يذكروا في كتب العقيدة والتوحيد باب التوكل فمناسبة دخوله في باب أو في كتب التوحيد ذلك أن التوكل على قسمين وبعضهم أضاف قسماً ثالثاً :

فأما من توكل على الله وحده لا شريك له فقد توكل على الله وعنده حق عبادته ومن توكل على غير الله فيكون قد أشرك شركاً أكبر مخرجاً من الملة والله سبحانه وتعالى أمرنا بأن نتوكل عليه في أمورنا كلها قال سبحانه : (( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين )) ( ٣ ) فشرط الإيمان أن يتوكل على الله ويقول سبحانه : (( وتوكل على الحي الذي لا يموت )) ( ٤ ) .

والتوكل في اللغة : بمعنى التفويض وقال بعضهم : التوكل لغة : هو الإعتماد على الغير في دفع مضرة أو جلب منفعة وأما في الاصطلاح قالوا : هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار ولا ينافي الأخذ بالأسباب .

فالتوكل إخواني هذه أقسامه :

فمن توكل على الله فهذا توكل مشروع يؤجر عليه صاحبه وهو من الموحدين ومن توكل على غير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله يكون قد أشرك شركاً أكبر مخرجاً من الملة حينما يقول الشخص : هو متوكل على فلان ويجعل اعتماده ورجاءه وخوفه منوطاً ومرتبباً بفلان من الناس وأما القسم الثالث : فربما يكون سبباً من الأسباب لكن بعضهم يصيره حتى يرفع هذا الأمر

١ - المائدة ( ٢٣ ) .

٢ - المائدة ( ٢٣ ) .

٣ - المائدة ( ٢٣ ) .

٤ - الفرقان ( ٥٨ ) .

فوق السبب مثلاً الوظيفة سبب من أسباب الرزق وإلا فربما كان رزقك في غير الوظيفة أكثر وأعظم وأنفع وأبرك فلا ينبغي أن تجامل أو أن تحابي مديرك في العمل أو الشركة التي أنت فيها أو أن يكون الشعور : لولا هذه الشركة لولا هذه الشهادة لولا هذه الوظيفة لمت جوعاً هذا . بارك الله فيكم . خدش في التوكل وطعن في التوحيد أيضاً من العلماء من يذكر قسماً رابعاً وهو التوكل المشروع أو الجائز المباح فيما إذا وكل الرجل شخصاً يقوم بأعماله قال : أنت وكيل في أعمالك كلفتك بها هنا توكل شرعي كما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم حينما قدمت له مائة من الإبل في حجة الوداع فكان بيده الحربة من أجل أن ينحرها نحرراً لا يذبحها ذبحاً لأن الإبل تنحر وهي قائمة معقولة في الرجل اليمنى واليد اليسرى أو العكس فكانت الإبل تردلف إليه صلى الله عليه وسلم أيها ينحرها أولاً كرامة من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام فنحر صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين إبلة قيل في ذلك إشارة إلى تمام سنه هذا المقدار عمره صلى الله عليه وسلم وفي ثلاثة وستين عاماً ثم وكل علي بن أبي طالب أن ينحر ما بقي من الإبل ثم وكله ألا يعطي الجازر منها شيئاً وهكذا وكل النبي صلى الله عليه وسلم أناساً من أصحابه كثيرين وكل خالد بن الوليد أن يأتي الشعري فيهدمها وكل عمار بن ياسر وعلي بن أبي طالب أن يأتي المرأة التي كانت تحمل خطاباً إلى أهل مكة من حاطب بن أبي بلتعة قال : أدركوا الظعينة بروضة خاخ تحمل رسالة إلى أهل مكة فذهب إليها علي وعمار وقالوا لها : هاتي الكتاب قالت : ما عندي كتاب فقالوا لها : ما كذبنا ولا كذبنا أي نحن صادقون فيما ندعي وما كذبنا أي ما كذبنا من أمرنا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبّت فقال لها علي : إن أبيت نجرد ثيابك فأخرجت الرسالة من قرون ظفيرتها ودفعتها لهماذين الصحابييين الكريمين وهكذا أيضاً من وكل رجلاً في عمل من الأعمال المعينة وكلت أن تكون لي سكرتيراً مندوباً مديراً مشرفاً على أعمالي هذا من التوكيل الجائز لكن من جعل تأله وتنسكه من قلبه لفلان دون الله سبحانه وتعالى لا سيما في جلب النفع وفي دفع الضر فهذا يكون من التوكل المحرم الذي يفضي بصاحبه إلى حد الإشراك بالله لذا جاء في مسند أحمد وفي جامع الإمام الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والحديث من حديث عمر :

{ لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً } ( ١ ) فالتوكل الشرعي لا ينافي الأخذ بالأسباب لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : الإعتداد على السبب شرك وترك السبب قدح في الشريعة لو أن شخصاً قال : أنا متوكل على الله لن آكل ولن أشرب ولن أتزوج سوف يأتيني الشراب ويأتيني الطعام ويأتيني النسل الطيب دون أن يباشر الأسباب فهذا مجنون ليس بعاقل ، المتوكل : هو الذي يبذل السبب المتوكل هو الذي يرمي البذرة في التربة وينتظر نتائجها هذا متوكل على الله لكن الأول جاهل هو متوكل وليس متوكل لذا جاء في البخاري : أن أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون فقال عمر أو ابن عباس : هم المتوكلون ونزلت الآية : (( وتزودوا فإن خير الزاد التقوى )) ( ٢ ) فمن اعتقد في هذا السبب من جهة أخرى يعني عندك سبباً من الأسباب أنت تاجر مثلاً تعتقد أن لولا هذا السبب مت جوعاً لولا هذه الوظيفة مت جوعاً لا ، الإعتداد على السبب شرك وترك السبب قدح في الشريعة سذاجة وجهل عميق وعقيم ومركب ولكن تتوكل كما تتوكل الطير تتوكل على الله الحشرات الحيوانات تخرج باحثة عن أرزاقها في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { دخلت امرأة النار بهرة لا هي أطعمتها ولا هي

<sup>١</sup> - صحيح : الترمذي ( ٢٣٤٤ ) وأحمد ( ٢٠٥ ) والطيالسي ( ٥١ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٣١٠ ) .

<sup>٢</sup> - البقرة ( ١٩٧ ) .

تركها تأكل من خشاش الأرض { (١) } لا هي أطعمتها جابت لها الطعام ولا تركتها اتركها على الله سبحانه وتعالى فماتت هذه الهرة فدخلت المرأة النار ولا حول ولا قوة إلا بالله بسبب هرة وهكذا ، هذا من الظلم والشاهد . بارك الله فيكم . أن هذه الهرة تخرج باحثة عن أرزاقها وهكذا سائر الحيوانات المملوكة والغير مملوكة والأليفة والغير أليفة المتوحشة رزقها على الرحمن (( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين )) (٢) فالطير يخرج من الصباح من وكرة باحثاً عن العيش وعن الرزق تغدو خماساً أي جائعة البطن ثم تروح بطاناً وما عندها زميل ولا علاقة ولا قرطاس ولا شيء وإنما أكلت وارتوت ارتعت أكلت ثم رجعت إلى وكرة **من الذي أطعمها ؟**

الله ، الله سبحانه وتعالى هو الذي أطعمها النبي صلى الله عليه وسلم يضرب مثلاً بهذا العصفور وهكذا الله سبحانه وتعالى يقول للناس : (( هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور )) (٣) فلا بد أن تكون هذه العقيدة عقيدة سليمة في قلب المؤمن الواثق بالله سبحانه وتعالى وأن يعلم أن الله خلقه وقد تكفل برزقه كما جاء في حديث ابن مسعود في الصحيحين :

{ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وأثره وشقي أو سعيد { (٤) } وحديث أبي الدرداء في مسند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ إن الله فرغ إلى كل عبد من خمس من رزقه وأجله وأثره وعمله وشقي أو سعيد { (٥) } أمور انتهى منها { رفعت الأقاليم وجفت الصحف { (٦) } ،

مشيئتها خطأ كتبت علينا      ومن كتبت عليه خطأ مشاها  
وأرزاقاً لنا متفرقات      فمن لم تأته حتماً أتاها  
ومن كتبت منيته بأرض      فليس يموت في أرض سواها

الأمر حسمت فلذلك حرم الله الحسد حرم الله البغضاء حرم الله الشحناء حرم الله سبحانه وتعالى أمراض القلوب الأرزاق قسمها الله لكن أنت خذ بالسبب الشرعي السبب الشرعي ليس هو المحرم وليكن اعتمادك على الله لا على الخلق فالخلق كما في الحديث : { واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك { (٧) } إذن عليك أن تستريح قيل لحاتم الأصم وهذا الرجل كان إماماً زاهداً قدوة . أبو عبد الرحمن . حاتم بن عنوان بن يوسف من أقران الإمام أحمد يأتي ويسأله الإمام أحمد وكان يلقب بلقمان هذه الأمة وكان له ثلاث نساء وعنده أولاد كثر قالوا له : **على أي شيء بنيت أمرك في التوكل ؟** قال : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي ، هذا العلم ما جاء من فراغ هذا عالم كبير يحفظ القرآن والإسلام كله في

١ - البخاري (٣١٤٠) ومسلم (٢٦١٩) .

٢ - هود (٦) .

٣ - الملك (١٥) .

٤ - البخاري (٣٠٣٦) (٣١٥٤) (٧٠١٦) ومسلم (٢٦٤٣) وأبو داود (٤٧٠٨) والترمذي (٢١٣٧) وابن ماجه (٧٦) وغيرهم .

٥ - صحيح : أحمد (٢١٧٧١) وانظر حديث رقم : ٤٢٠١ في صحيح الجامع .

٦ - صحيح : الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢) .

٧ - صحيح : الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢) .

رأسه يقول : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يطلبني فأنا أبادره وعلمت أنني لا أخلو من عين الله فأنا مستح من الله سبحانه وتعالى ،  
ما شاء الله تحرر من الرق الذي استأسر كثيراً من الناس رق العبودية عبودية الدينار والدرهم يشلطانها من حلال أو من حرام  
كما قال ابن القيم :

هربوا من الرق الذي خلقوا له وبلوا برق النفس والشيطان

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميعة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش } ( ١ ) يعظم الدنيا وتجده يعظم هذا المدير أو هذا الرئيس أو هذا الذي عن طريقه وظيفته أعظم من تعظيمه لله إذا رآه إعظام وإجلال طيب **والذي خلق ؟**

الله سبحانه وتعالى يقول : (( فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ما لكم لا ترجون لله وقاراً )) ( ٢ ) ومعنى ما لكم لا ترجون لله وقاراً أي ما لكم لا تعظمون الله حق تعظيمه فالتوكل من أجمع خصال الإيمان وعلى الداعية إلى الله أن يكون متوكلاً على الله في فتح قلوب الناس وأن تؤثر دعوته في الناس وأن يكون مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى لا أن يكون مرتبطاً بالناس وإنما يكون اعتماده على الله سبحانه وتعالى فهذه عقيدة الأنبياء وهذه الآية التي ساقها المؤلف (( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين )) ( ٣ ) قالها أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام حينما أرادوا أن يدخلوا على أرض فلسطين التي كانت أرضاً مقدسة بأيدي المشركين بأيدي الوثنيين فقال بعضهم لبعض : (( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين )) ( ٤ ) (( قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب )) ( ٥ ) أي اجمعا عليهما اجمعا على هؤلاء الأعداء (( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين )) ( ٦ ) يعني من شروط الإيمان توكلكم على الله سبحانه وتعالى وهكذا موسى مواقفه معروفة وهكذا نبي الله هود عليه الصلاة والسلام قال : (( إني توكلت على الله ربي وربكم )) ( ٧ ) وهكذا إبراهيم توكل على الله سبحانه وتعالى وهدم الأصنام وجاهد في ذات الله لذلك يمتدحه الله بقوله :

(( وإبراهيم الذي وفى )) ( ٨ ) (( وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين )) ( ٩ ) وهكذا أيضاً نبينا صلى الله عليه وسلم ومواقفه كثيرة في باب التوكل قبل أن تنتهي من قصة إبراهيم سوف يأتي في آخر الدرس ما قاله ابن عباس وليس هذا من كلام ابن عباس أعني موقوفاً عليه يعني قال ذلك بإشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مما هو عن أهل الكتاب قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حينما

١ - البخاري ( ٢٧٣٠ ) .

٢ - نوح ( ١٠ - ١٣ ) .

٣ - المائدة ( ٢٣ ) .

٤ - المائدة ( ٢٣ ) .

٥ - المائدة ( ٢٣ ) .

٦ - المائدة ( ٢٣ ) .

٧ - هود ( ٥٦ ) .

٨ - النجم ( ٣٧ ) .

٩ - البقرة ( ١٢٤ ) .

ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حينما قيل لهم : (( إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم )) ( ١ ) فإبراهيم في أضيق الأمور يقول : حسبنا الله أي كافيني الله وقد جمعوا الأحطاب وأرادوا إحراق إبراهيم وإيش فعل من جريمة ؟ دعاهم إلى التوحيد إلى نبذ الشرك إلى الطاعة إلى نبذ المعصية إلى السنة إلى نبذ البدعة ولكن هكذا أرادوا إحراقه لكن الله أراد عدم ذلك فكان أمر الله (( قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم )) ( ٢ ) سلمه الله سبحانه وتعالى .

ثم ساق المؤلف ما كان عن نبينا صلى الله عليه وسلم : (( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )) ( ٣ ) وذلك أنه بعد غزوة أحد وما كان في المسلمين من القتل والجراحات ذكر الله ذلك في سورة آل عمران كما تقدم لنا في بعض الدروس قتل من أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين ورجعوا إلى المدينة وفيهم من اللأواء والجراحة فمر بعض الناس بأبي سفيان وكان لا يزال على الشرك فقال : **أين تريدون يا قوم ؟** قالوا : المدينة قال : فأخبروا محمداً وأصحابه أننا قادمون لنستأصل شأفتهم هكذا غروراً وكبراً (( الذين قال لهم الناس إن الناس )) المراد بقوله : (( إن الناس )) أبو سفيان وأصحابه والمراد بالناس الذين مروا مرة يريدون المدينة فلما وصلوا أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قالوا : (( إن الناس قد جمعوا لكم )) أبو سفيان يريدون الرجوع بعد غزوة أحد فيندب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فخرجوا إلى منطقة يقال لها : ( حمراء الأسد ) وكان بعضهم مصاب بجراحة هو وأخوه فهذا يحمل هذا قليلاً وذاك يحمله قليلاً حتى وصلوا إلى ذلك الموضع فكما قال الله أنهم لم يمسوا بأذى : (( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )) ( ٤ ) أولاً كان اعتمادهم على الله فلما اعتمدوا على الله اسمع إيش بعدها

(( فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم )) ( ٥ ) رجعوا إلى المدينة أما أبو سفيان وأصحابه فإنهم خافوا ورجعوا على مكة فارين خوفاً من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن أصحاب نبينا رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم .

١ - آل عمران ( ١٧٣ ) .  
 ٢ - الأنبياء ( ٦٩ ) .  
 ٣ - آل عمران ( ١٧٣ ) .  
 ٤ - آل عمران ( ١٧٣ ) .  
 ٥ - آل عمران ( ١٧٤ ) .

وقوله :

(( إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون )) ( ١ ) .

قال : وقول الله :

(( إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون )) ( ٢ ) وهذه من أوصاف أهل الإيمان على جهة العموم فدائماً يتوكلون على ربهم سبحانه وتعالى .

١ - الأنفال ( ٢ ) .  
٢ - الأنفال ( ٢ ) .

وقوله : (( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )) ( ١ ) .

وقوله : (( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )) ( ٢ ) ومعنى حسبك الله أي كافيك الله ومن اتبعك بعضهم يفهم هذه الآية فهماً غير صحيح (( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك )) ( ٣ ) ليس معنى ذلك أن الله حسبك وكذلك حسبك من اتبعك ، لا ، وإنما أنت ومن اتبعك حسبكم الله أي كافيكم الله كما قال سبحانه : (( أليس الله بكافٍ عبده )) ( ٤ ) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله :

(( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )) ( ٥ ) قال ابن القيم : الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

١ - الأنفال ( ٦٤ ) .  
٢ - الأنفال ( ٦٤ ) .  
٣ - الأنفال ( ٦٤ ) .  
٤ - الزمر ( ٣٦ ) .  
٥ - الطلاق ( ٣ ) .

وقوله : (( ومن يتوكل على الله فهو حسبه )) ( ١ ) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (( حسبنا الله ونعم الوكيل )) قالها إبراهيم حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : (( إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )) رواه البخاري ، والنسائي ( ٢ ) .

فيه مسائل :

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه من شروط الإيمان .

الثالثة : تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية في آخرها .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة ، وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم في الشدائد .

وقوله : (( ومن يتوكل على الله فهو حسبه )) ( ٣ ) أي كافيه ذكر لنا بعض الناس أن رجلين مسلم ويهودي كان كل واحد منهما له حمار ينزل في نزلة تسمى نقييل أو عقبة لليهودي قال : يا الله أسألك أن تحفظ حماري فسلم الحمار وإلا فاليهودي يهودي عقيدته باطلة ولكن ابتلاء واختبار والمسلم الجاهل قال : يا الله ويا خمسة زاد جنب الله خمسة على شان كل واحد في جهة وواحد في الرأس فإذا بالحمار يتردى من قمة الجبل إلى أسفل ومات الحمار وذهبت البضاعة كلها ،

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقال له اليهودي : أنا اكتفيت بواحد . يعني رجع اليهودي أفقه من المسلم . وهكذا بعض الناس اليوم ربما كان عنده في قلبه لجوء ورجاء من غير الله نسأل الله السلامة والعافية والأولى أن يكون الشخص دائماً همه الله في السراء والضراء فهو الذي إذا أنزلت مصيبتك أو همك عليه أنجأك وأسعدك وجعل لك بعد الشدة فرجاً ومخرجاً وبعد العسر يسراً ،

توكل على الرحمن في الأمر كله فما خاب حقاً من عليه توكلنا

١ - الأنفال ( ٦٤ ) .  
٢ - البخاري ( ٤٢٨٧ ) وسنن النسائي الكبرى ( ١٠٤٣٩ ) .  
٣ - الأنفال ( ٦٤ ) .



وكن واثقاً بالله واصبر لحكمه      تفز بالذي ترجوه منه تفضلاً

وحديث ابن مسعود عند الترمذي : { من أصابته فاقة فأنزلها بالله أوشك الله له برزق عاجل أو آجل ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته } ( ١ )

الله يغضب إن تركت سؤاله      وبني آدم حين يسأل يغضب  
لا تشكون إلى ابن آدم حاجة      وسل الذي أبوابه لا تحجب

\* \* \*

يا صاحب الهم إن الهم منفرج      أبشر بخير فإن الكاشف الله

الله هو الذي يجعل لنا الفرج والمخرج فمن توكل على الله كفله الله سبحانه وتعالى وضمن الله سبحانه وتعالى له حياته كلها **فمن الذي يحفظ السفن في البحر ؟ ومن الذي يحفظ الطائرات في الفضاء ؟ ومن الذي يحفظ السيارات وهي تمشي على هواء ؟** إنه الله سبحانه وتعالى إذن على الشخص أن يكون في قلبه هذه العقيدة عقيدة التوكل على الله سبحانه وتعالى وأن يعلم أن الخير بيد الله وأن الرزق بيد الله وأن العطاء من فضل الله وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن الله على كل شيء قدير **ماذا تريد بعد هذا ؟** ما بقي إلا أن نتوكل عليه سبحانه وتعالى في جلب النفع وفي دفع الضر وإياك أن تركز إلى غيره من الخلق فإنهم لا يضررون ولا ينفعون لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا في أمور من باب التعاون فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب من أصحابه تعاوناً لكن ليس معنى ذلك أن يكون تعظيمك ورجاؤك مثل رجائك لله سبحانه وتعالى فالله هو الذي يعظم وهو الذي يقدر وهو الذي يعبد وهو الذي يرجى وهو الذي يخاف منه أما هذا أخوك إنسان ضعيف مثلك لا يستطيع حولاً ولا قوة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما أمره الله سبحانه وتعالى : (( ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون )) ( ٢ ) .

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائيه الحسنی وصفاته العلی أن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين وأن يرفع درجاتنا في المهديين وأن يرينا الحق حقاً فيرزقنا اتباعه والباطل باطلاً فيرزقنا اجتنابه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١ - صحيح : أبو داود ( ١٦٤٥ ) وأحمد ( ٣٨٦٩ ) وانظر حديث رقم : ٦٥٦٦ في صحيح الجامع .  
٢ - الأعراف ( ١٨٨ ) .

## باب قول الله تعالى :

(( أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون )) ( ١ ) .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

باب قول الله تعالى : (( أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون )) ( ٢ ) .

هذا الباب معقود لأمرين اثنين :

الأمر الأول : الأمن من مكر الله .

والثاني : القنوط من رحمة الله وكلاهما طرفا نقيض .

الأمن من مكر الله يعني يعطي نفسه الأمان التام ويستدرجه الله سبحانه وتعالى بنعمه فلا يبالي يمشي يركض وراء الذنوب والمعاصي ولا يخاف الله سبحانه وتعالى .

والقنوط من رحمة الله أن يصاب باليأس والقنوط هو أشد اليأس يستبعد الفرج والخير وكلاهما حرام والمؤمن من وفقه الله لأن السائر إلى الله يعترضه في طريقه هذان الأمران آفتان ومصيبتان إما أمن من المكر وإما قنوط من الروح أو الرحمة وسوف يأتي والموفق هو الذي لا يأمن من مكر الله ولا يقنط من رحمة الله بل هو بين الخوف والرجاء وهذه من أساسيات العبادة من أساسيات الدين لذا يقول العلماء : من عبد الله بالمحبة فهو صوفي فالصوفية يقولون : نعبد الله ليس طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره ولكن نحبه قالوا : ومن عبد الله بالخوف فهو حروري خارجي ومن عبد الله بالرجاء فهو مرجئ ومن عبد الله بالخوف والمحبة والرجاء فهو مؤمن والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : (( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين )) ( ٣ ) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه } ( ٤ ) فنتناول الكلام أولاً عن الأمن من مكر الله وهل الله مكر ؟

نعم يثبت أهل السنة والجماعة صفة المكر لله وهي صفة تليق بجلاله وكماله وكبريائه والمكر معناه : التوصل للإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر فهي صفة كمال من وجه وذم من وجه آخر فإن كنت تمكر بمن لا يمكر بك فهي ذم فأنت مطالب بأن تكون مستقيماً على الطاعة والهداية وإن كنت إنما تريد المكر بمن يحاول المكر بك فهي صفة كمال ومدح

١ - الأعراف ( ٩٩ ) .

٢ - الأعراف ( ٩٩ ) .

٣ - الأنبياء ( ٩٠ ) .

٤ - مسلم ( ٢٨٧٧ ) وأبو داود ( ٣١١٣ ) وابن ماجه ( ٤١٦٧ ) وأحمد ( ١٤٦٢٠ ) وابن حبان ( ٦٣٨ ) والطيالسي ( ١٧٧٩ ) وغيرهم .

لذا يروى عن عمر وقيل ابن سيرين أنه كان يقول : [ لست بالخب ولا الخب يخدعني ] وأما إثباتها في حق الله فيقولون هي صفة كمال مطلق لأنها صفة مقابلة يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين )) ( ١ ) فيوصف الله بالمكر أي بمن يمكر به كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في حق الاستهزاء : (( الله يستهزئ بهم )) ( ٢ ) حينما كان عندهم استهزاء استهزأ الله سبحانه وتعالى بهم فتكون هذه من صفات المقابلة يستخدمها الله فيمن كذا بخلاف بعض الصفات التي هي سلب أو ذم من كل اتجاه كالخيانة مثلاً قال الله سبحانه وتعالى :

(( خانوا الله من قبل فأمكن منهم )) ( ٣ ) وما قال : فخانهم لأن الخيانة صفة نقص من كل وجه فهذه الآية التي ساقها المؤلف رحمه الله قال : وقول الله : (( أفأمنوا مكر الله )) ( ٤ ) الإستفهام هذا يسميه العلماء بالاستفهام الإنكاري أو للتعجب من حال هؤلاء الآية هذه في سورة الأعراف وقبلها الآيات (( ولو أن أهل القرى )) والمراد بالقرى : الأرياف والمدن لأن المدن أساسها من القرى (( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون )) ( ٥ ) ثم قال سبحانه : (( أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون )) ( ٦ ) ( أفأمن هؤلاء حينما أغدق الله عليهم بالطاعة والخير )) ( أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون )) ( ٧ ) الخاسر هو الذي يأمن المكر من خسر في هذه الدنيا والآخرة هو الذي الذي يأمن المكر الكافر أما المؤمن فلا لأنه يعلم أن الله ربما يستدرجه كما قال سبحانه : (( سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئ لهم إن كيدي متين )) ( ٨ ) وفي حديث أبي موسى في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ (( وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد )) ( ٩ )

{ ( ١٠ ) فالله يمهل ولا يهمل أمهل الله النمرد وأمهل فرعون وأمهل الكفار **لكن بعد ذلك ماذا ؟**

أخذهم فالله سبحانه وتعالى يعطي للعباد من النعم لكن بعد الإمهال فالله سبحانه وتعالى ينتقم أشد الإنتقام يقول الله سبحانه وتعالى : (( ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون )) ( ١١ ) تأمل إلى حال الشيطان (( حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين )) ( ١٢ ) .

ابن القيم رحمه الله تعالى له كلام حول هذه الآية وهو من الفقه يقول : إن الله سبحانه وتعالى لا يفضح العاصي من بداية أمره ولكن مرتين ثلاث أربع الله يمهل ،

سبحان من يعفو ونهفو دائماً ولا يزل مهما هفا العبد عفا

١ - آل عمران ( ٥٤ ) .

٢ - البقرة ( ١٥ ) .

٣ - الأنفال ( ٧١ ) .

٤ - الأعراف ( ٩٩ ) .

٥ - الأعراف ( ٩٦ ) .

٦ - الأعراف ( ٩٧ ) .

٧ - الأعراف ( ٩٨ - ٩٩ ) .

٨ - الأعراف ( ١٨٢ - ١٨٣ ) .

٩ - هود ( ١٠٢ ) .

١٠ - البخاري ( ٤٤٠٩ ) ومسلم ( ٢٥٨٣ ) .

١١ - الأنعام ( ٤٢ - ٤٣ ) .

١٢ - الأنعام ( ٤٤ - ٤٥ ) .

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه جلاله من العطا لذي الخطا

عظيم حليم الله يحلم هو قوي قدير ولكن عفو غفور رحيم رؤوف عل العبد أن يرجع عله أن يتوب رجل من الناس كان في بلاد الأندلس وكان عنده من المال والأبهة وأصناف الثرى وكان له من الأولاد والبنين ما يقارب ثلاثين فرداً ذكوراً وإناثاً وكان يأمر الخدامين فيأتون بالتراب ويخلطوه بالمسك ويجعل بناته تمشي على هذا المسك وكان عنده من العنجهية ثم بعد ذلك ينام على خمر وطرب وغناء فتأتي دولة المرابطين لتجتاح دولته وكان كأمس الذاهب يا راقد الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

أخذ هذا الملك وأودع في السجن أمس ملك واليوم سجين وقتل من أولاده كثير وأما بناته ونساؤه فصرن شغالات وغزالات عند الوزراء والأمراء في الدولة الجديدة دولة المرابطين فتذهب بناته يوم العيد وهو في سجن في منطقة اسمها أغمات في بلاد المغرب وهو سجين والبنات في حالة رثة لابسات ثياب مقطعة ممزقة مهلهلة وما عندهن أحذية حفاة حالة بئسة من أمور الدنيا فتذكر حينما رأى هذا المنظر ما كان من قبل فانطلق منشداً يقول :

فيما مضى كنت في الأعياد مسروراً فساءك العيد في أغمات مأسوراً  
تري بناتك في الأظمار جائعة يغزلن للناس لم يملكن قطميراً  
برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا  
يطآن في الطين والأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكاً وكافوراً  
من عاش بعدك في ملك يسر به فإنما عاش في الأحلام مغوراً

فبكى من هول ما رأى وهكذا أمر الدنيا فمن الناس من يعطي لنفسه العنان ويظن أنه بعيد كل البعد من قبضة الله ومن إحاطة الله به ثم يأتيه الأجل ويعود إلى النقص بل وربما تسلب منه هذه النعمة وهذا أمر حتمي لكل شيء إلا أن يشاء الله ، لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان هي الحياة كما شاهدها دول من سره زمن ساءته أزمان

حكمة الله حتى هذه الآية المباركة (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي )) ( ١ ) بكى عمر بن الخطاب حينما سمعها بكى لأنه عاقل ملهم فقيه عملاق **ما لك يا أبا حفص ؟ ما الذي أبكاك ؟** قال : [ قد علمت أنه ليس بعد التمام إلا النقصان ] فالأمن من مكر الله مصيبة الشيطان يغريك والدنيا والهوى ربما يكون في شيء من الصحة فيغتر والعياذ بالله وإلا فأنت يا ابن آدم مسكين فلم تغتر ولم تأمن من مكر الله وتحرق نفسك بالذنوب والمعاصي وتظن أنك في خير بعض الناس يحرق نفسه بالذنوب لأن الذنوب حرارة الذنوب فيها حرارة توجد هذه الحرارة على القلب وعلى الجسد في الدنيا والآخرة وهو يظن أنه في خير وفي نشوة لا يدري أنه يعيش في حياة أشر والله من الحيات والعقارب والثعابين على أنهم يقولون : إن جلود الحية رطبة حتى قال الشاعر :

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها عند التقلب في أنيابها العطب

<sup>١</sup> - المائدة ( ٣ ) .

فالسرقه والزنا وقلة الحياء والنظر إلى بنات الهوى والشر الشيطان يزينه ويجعل الشخص والعياذ بالله في غفلة حتى إذا ما صرعه هاذم اللذات هنالك يصحو ويقول : (( رب ارجعون )) ( ١ ) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { إذا رأيت الله يعطي العبد وهو قائم على معاصيه فاعلم أن ذلك استدراج ثم قرأ (( سنستدرجهم من حيث لا يعلمون )) ( ٢ ) } ( ٣ ) هذا . بارك الله فيكم . فيما يتعلق بأمر الأمن من مكر الله

(( أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون )) ( ٤ ) وهذا الإستثناء للحصر لأن ما قبله فرغ له فلا يأمن المكر إلا القوم فالقوم فاعل لما قبل الإستثناء فيسمى هذا استثناء مفرغاً وخلاصة ما تقدم أن الأمن من مكر الله محرم معصية .

١ - المؤمنون ( ٩٩ ) .

٢ - الأعراف ( ١٨٢ ) .

٣ - صحيح : أحمد ( ١٧٣٤٩ ) والمعجم الأوسط ( ٩٢٧٢ ) وشعب الإيمان للبيهقي ( ٤٥٤٠ ) كلهم بلفظ : { ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء .. { وانظر السلسلة الصحيحة برقم ( ٤١٣ ) .

٤ - الأعراف ( ٩٩ ) .

وقوله : (( قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون )) ( ١ ) .

وقوله سبحانه : (( ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون )) ( ٢ ) فالقنوط أشد أنواع اليأس بحيث يستبعد الإنسان حصول الفرج حصول الخير حصول اليسر . نعوذ بالله . بعض الناس عنده نظرة خاطئة والواجب أن يكون حسن الظن بربه سبحانه وتعالى ،

فلا تظنن بربك ظن سوء

فإن الله أولى بالجميل

كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره التشاؤم ويحب التفاؤل وهي الكلمة الطيبة فتفاءل يا عبد الله تفاءل بالخير من ربك سبحانه وتعالى فالقنوط من كبائر الذنوب وهو محرم وفي قوله : (( إلا الضالون )) الضال هنا بمعنى فاقد الهداية وقد يراد به الكافر . نسأل الله السلامة والعافية .

١ - الحجر ( ٥٦ ) .  
٢ - الحجر ( ٥٦ ) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر ، فقال : { الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله } ( ١ ) .

ثم ذكر عن ابن عباس وهو عبد الله بن عباس صحابي جليل أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال : { الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله } أما ما يتعلق بأمر الكبائر فهي عكس الصغائر وفي هذا دليل على أن المعاصي على قسمين صغائر وكبائر واختلف العلماء في تحديد الكبيرة من الصغيرة فقالوا : إن الكبيرة أو ضابط الكبيرة ما ترتب عليها حد في الدنيا أو توعدها بعقاب في الآخرة أو بنار أو بلعنة أو بسخط وما دون ذلك من الصغائر ثم قالوا عبارة جميلة : " إنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار " ، فمن ارتكب كبيرة وتاب تاب الله عليه قال سبحانه : (( وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى )) ( ٢ ) وقال سبحانه : (( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات )) ( ٣ ) والصغيرة ربما تعرض صاحبها للهلاك إذا لم يتب منها العبد لأن الصغيرة تعود في الغد من كبائر الذنوب والآثام والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

{ إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد { هذا مثال ضربه النبي صلى الله عليه وسلم } فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أشعلوا ناراً وأججوا بها خبزتهم وإن مثل محقرات الذنوب كمثل ذلك تجتمع على صاحبها حتى تهلكه } ( ٤ ) وفي رواية عائشة : { إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً } ( ٥ ) ،

لا تحقرن من الذنوب صغيراً      إن الصغير غداً يعود كبيراً

إن الصغير وإن تقادم عهده      عند الإله مسطر تسطيراً

وقال آخر :

لا تحقرن صغيرة      إن الجبال من الحصى

١ - المعجم الكبير ( ٨٧٨٣ ) ومصنف عبد الرزاق ( ١٩٧٠١ ) .

٢ - طه ( ٨٢ ) .

٣ - الشورى ( ٢٥ ) .

٤ - صحيح : الطبراني في الكبير ( ٥٨٧٢ ) والأوسط ( ٧٣٢٣ ) والصغير ( ٩٠٤ ) والبيهقي في الشعب ( ٧٢٦٧ ) وانظر صحيح الترغيب والترهيب

( ٢٤٧١ ) .

٥ - صحيح : ابن ماجه ( ٤٢٤٣ ) والدارمي ( ٢٧٢٦ ) وابن حبان ( ٥٥٦٨ ) والمعجم الأوسط ( ٢٣٧٧ ) وانظر صحيح الترغيب والترهيب ( ٢٤٧٢ ) .

فالذنب إلى الذنب يشكل خطراً على الشخص { تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصار عوداً عوداً } ( ١ ) - نسأل الله السلامة والعافية . فيقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الكبائر فقال : { الشرك بالله } ( ٢ ) والكبائر كثيرة بعضهم يقول : هي سبع وبعضهم يقول : سبعون وبعضهم يقول : سبعمائة كثيرة جداً فهذا لا يفيد الحصر فبين النبي صلى الله عليه وسلم هنا بعض الكبائر وإلا فقد جاء حديث أبي هريرة :

{ اجتنبوا السبع الموبقات } ( ٣ ) وهي أكثر من هذه .

والمراد بالشرك في اللغة : أن تجعل لله نداً وفي الاصطلاح : أن تجعل لله شريكاً في ربوبيته أو في ألوهيته أو في الأسماء والصفات ، قال : { الشرك بالله } والشرك أعظم الكبائر وأكبر الكبائر قال سبحانه : (( إن الشرك لظلم عظيم )) ( ٤ ) وقال سبحانه : (( إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار )) ( ٥ ) وأما اليأس فالمراد به القنوط من روح الله أي من رحمة الله والأمن من مكر الله أي الغفلة من إحاطة الله بك يا عبد الله وقد فالمؤمن تقدم شيء من ذلك .

١ - مسلم ( ١٤٤ ) .  
٢ - البخاري ( ٥٦٣٢ ) ومسلم ( ٨٨ ) .  
٣ - البخاري ( ٢٦١٥ ) ومسلم ( ٨٩ ) .  
٤ - لقمان ( ١٣ ) .  
٥ - المائدة ( ٧٢ ) .



وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله ، رواه عبد الرزاق ( ١ ) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الأعراف .

الثانية : تفسير آية الحجر .

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله .

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط .

و.....  
عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : [ أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله ] وهذا موقف والذي قبله صحيح وهذا صحيح أيضاً فهنا ذكر القنوط وذكر اليأس والفرق بين اليأس والقنوط أن اليأس استبعاد زوال المكروب والقنوط استبعاد حصول المطلوب وكلاهما حرام فالمؤمن مطالب أن ينبذ هذا عن نفسه وأن يكون حسن الظن واثق بالله سبحانه وتعالى

إذا يئست وكاد اليأس يقطعني جاء الرجا مسرعاً من جانب اليأس

وعندنا كتاب في المكتبة لأخينا في الله عبد الكريم الديوان بعنوان " كيف تواجه اليأس ؟ " فلا ينبغي للعبد أن يجعل اليأس القنوط يدب إلى قلبه أو الأمن من مكر الله بل عليه أن يكون دائماً خائفاً من الله راجياً فيما عند الله سبحانه وتعالى وأن يكون ذاكرةً لله لأن من ذكر الله سبحانه وتعالى بصره الله سبحانه وتعالى بعيوبه قال سبحانه : (( فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون )) ( ٢ ) فذكر الله سبحانه وتعالى عامل رئيسي هذا من الدواء ذكر الله سبحانه وتعالى دواء وشفاء للقلوب والله المستعان ،

وبهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - المعجم الكبير ( ٨٧٨٤ ) ومصنف عبد الرزاق ( ١٩٧٠١ ) .  
<sup>٢</sup> - البقرة ( ١٥٢ ) .

## باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

## باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

أما قوله : باب فيصلح أن تكون هذه العبارة خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا باب هذا من حيث الإعراب ويصلح أن يكون مجروراً بجملة محذوفة تقديرها أقرأ في باب ويعرب أيضاً مفعولاً به بتقدير أعقد باباً أو أولف باباً أو أقرأ باب كذا ومعناه في اللغة : اسم لما يخرج ويدخل منه إلى الشيء .

واصطلاحاً : هو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب وقد مر بنا هذا كثير ولكن من باب التعليم والتذكير .  
قوله : من الإيمان ،

من هاهنا تبعية يعني من بعض الإيمان والمراد بالإيمان في اللغة : التصديق .  
واصطلاحاً : نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ومن اعتقاد أهل السنة أنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

والإيمان أصوله ستة تعرفونها أنتم حديث جبريل وحديث أبي هريرة أحاديث مشهورة { أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأن تؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى } ( ١ ) .  
وقوله : من الإيمان بالله الصبر ،

بمعنى من شعب الإيمان ، الإيمان له شعب خصال بينها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : { الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان } ( ٢ ) فمن تلك الشعب الصبر على أقدار الله ولالإمام البيهقي كتاب بعنوان " شعب الإيمان " فمن شعب الإيمان الوضوء ، رد السلام ، حقوق الجار ، احترام الآخرين ، غض البصر الشعب كثيرة فمن ذلك الصبر على أقدار الله .

<sup>١</sup> - تقدم تخريجه .  
<sup>٢</sup> - مسلم ( ٣٥ ) .

الصبر من حيث اللغة العربية : هو بمعنى الحبس ومنه قولهم : قتل صبراً أي محبوساً مأسوراً إذا أخذ الرجل فترك في مكان يقاسي ويصارع الموت حتى يموت يقال : هذا قتل صبراً واشتق هذا التعريف اللغوي للتعريف الإصطلاحي الشرعي فيقولون : هو حبس النفس على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله .

الصبر ثلاثة أقسام :

**تصبر على الطاعة** دليل هذا قول الله : (( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا )) ( ١ ) ودليل هذا القسم قول الله : (( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها )) ( ٢ ) وقوله : (( إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك )) ( ٣ ) هذا صبر على الطاعة تصبر على الأوامر الله كلفك بطاعات اصبر .

**وصبر عن معصية الله** ومن ذلك صبر يوسف عليه الصلاة والسلام حينما قالت له المرأة : (( هيت لك )) ( ٤ ) وفي قراءة : (( هئت لك )) قال ابن العثيمين : إن قلت إنها قد تجردت عن ملابسها هكذا بمعنى أن الآية تقبل هذا المعنى (( قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون )) ( ٥ ) (( ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين )) ( ٦ ) ثم في نهاية المطاف يتحدث يوسف عن نفسه قائلاً : (( إنه من يتق ويصبر )) يصبر عن المعصية (( إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين )) ( ٧ ) ومن ذلك حديث السبعة الذين في البخاري ومسلم قصتهم سبعة أصناف ليس أشخاص رجال ونساء يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل وذكر الرجل على جهة التغليب دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين ( ٨ ) ، قيل قيل : إن رجلاً قال لامرأة : ما يرانا إلا هذا الكوكب قالت له : **فأين مكوكبها ؟**

وقيل إن رجلاً خلا بامرأة فقالت له : أغلق الأبواب فقال : قد أغلقتها كلها قالت : نسيت باباً لم تغلقه فقام ورجع وقال : لم يبق شيء قالت بل نسيت باباً إنه باب السماء فاقشعر جسده وقفى شعر رأسه وقام .

وذكر ابن قدامة في كتابه التوايين أن رجلاً حدثته نفسه بالمعصية فلما أن قدر عليها قالت له المرأة : قم فتذكر قول الله : (( يوم يقوم الناس لرب العالمين )) ( ٩ ) فما استطاعت رجلاه أن تحمل جسده فامتنع و خرج هارباً تائباً إلى الله ،

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وإن غداً للناظرين قريب

هذا هو القسم الثاني صبر عن المعصية اصبر ،

١ - الكهف ( ٢٨ ) .

٢ - طه ( ١٣٢ ) .

٣ - الإنسان ( ٢٣ - ٢٤ ) .

٤ - يوسف ( ٢٣ ) .

٥ - يوسف ( ٢٣ ) .

٦ - يوسف ( ٢٤ ) .

٧ - يوسف ( ٩٠ ) .

٨ - تقدم تخريجه .

٩ - المطففين ( ٦ ) .

ألد وأحلى من جنى النحل في الفم

صبرت ومن يصبر يجد غب صبره

**القسم الثالث : الصبر على الأقدار** وهذا هو موضع الشاهد من الدرس فالله سبحانه وتعالى يقول :

(( فاصبر لحكم ربك )) ( ١ ) أي لقضائه وقدره ويقول سبحانه : (( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل )) ( ٢ ) ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لإحدى بناته حينما أرسلت إليه أن يأتي لأن أحد أبنائها نفسه تقعقع أي تحتضر قال له : { قل لها فلتصبر ولتحتسب } ( ٣ ) وهكذا حينما مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر والحديث في البخاري في كتاب الجنائز الجزء الثالث من فتح الباري فقال لها : { يا أمة الله اتقي الله واصبري } فقالت له : إليك عني . وهي لم تعرفه . فإنك لم تصب بمصيتي فقل لها : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت إليه قالت : لم أعرفك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { إنما الصبر عند الصدمة الأولى } ( ٤ ) فالعبد يحتاج إلى الصبر .

وهنا كلام عن الصبر وأقسامه وأنه على ثلاثة أقسام صبر على طاعة الله وصبر عن معصيته وصبر على الأقدار والصبر أيها الأخوة يقول الإمام أحمد رحمه الله : ذكر في أكثر من تسعين موضعاً وأحد المعاصرين تتبع آيات الصبر فوجدها ( ١٠٣ ) آية من القرآن الكريم إما أمراً أو حثاً أو إخباراً عن أحوال الصابرين والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح : { والصبر ضياء } ( ٥ ) يضئ للإنسان طريقه إلى جنة عرضها السماوات والأرض قال جل وعلا : (( وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً )) ( ٦ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيراً ولا أوسع أوسع من الصبر } ( ٧ ) ولذلك كان الأنبياء من أكثر الناس صبراً يصبرون على الطاعة وعن المعصية وعلى أقدار الله فيقول فيقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في حق أيوب : (( إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب )) ( ٨ ) صبر على البلاء البلاء ثمانية عشر عاماً أيوب وهكذا في الحديث : { أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمتل فالأمتل } ( ٩ ) وتعرفون ما حصل لنوح من الإبتلاء فصبر وما حصل لإبراهيم من الإبتلاء فصبر وهكذا ما حصل لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فصبر وما حصل لسيد الأولين والآخرين من الأذى والشدة والكيد ولكنه صبر بل إنه مرة صلى الله عليه وسلم حينما اشتد عليه أذى قريش قال : { يرحم الله موسى لقد ابتلي بأكثر من هذا فصبر } ( ١٠ ) كان ساجداً فوضعوا على ظهره سلا الجزور وكانوا يرمونه حتى يدموا كعبه وعرقوبه ابتلي صلى الله عليه وسلم بعرضه حينما قدح المنافقون والمرجفون بعرضه وهذه ثلاثة الأثافي شهر بكامله ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على أعصابه أبطاً الوحي لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى فصبر حتى قال الناظم في حقه صلى الله عليه وسلم :

صابر صبراً حتى قال الصبور للصبر صبراً

أي أنه نفذ الصبر وما نفذ صبر الصابر فصار الصابر يصبر الصبر قائلاً : اصبر

١ - القلم ( ٤٨ ) والإنسان ( ٢٤ ) .  
٢ - الأحقاف ( ٣٥ ) .  
٣ - البخاري ( ١٢٢٤ ) ومسلم ( ٩٢٣ ) .  
٤ - البخاري ( ١٢٢٣ ) .  
٥ - مسلم ( ٢٢٣ ) .  
٦ - الإنسان ( ١٢ ) .  
٧ - البخاري ( ١٤٠٠ ) ومسلم ( ١٠٥٣ ) .  
٨ - ص ( ٤٤ ) .  
٩ - تقدم تخريجه .  
١٠ - البخاري ( ٣٢٢٤ ) ومسلم ( ١٠٦٢ ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن إتيان نفسه في قيام الليل فقال : { أفلا أكون عبداً شكوراً } ( ١ ) هذا والله إنه من الصبر وهكذا ما حصل لأصحابه من الإبتلاء فضربوا أروع الأمثلة في ميدان الصمود وكان ذلك أيضاً دليلاً صبر يروي خباب بن الارت وكان رجلاً حداداً هذا من الصحابة الأجلاء وقصته في البخاري يقول : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداً في ظل الكعبة وهذا كان قبل الهجرة قال : فقلت : يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { قد كان فيمن قبلكم يؤخذ الرجل ويحفر له حفرة في الأرض ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه لا يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه } ( ٢ ) وقائع كثيرة دلت كلها على مدى ما كان عند أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم من الصبر فلذلك أعزهم الله ورفعهم الله فتحت في عصرهم كسرى وقصر وجبت الكنوز والزكوات ودفع اليهود والنصارى الجزية عن يد وهم صاغرون إلى المؤمنين المجاهدين أولئك القوم الذين رباهم نبينا صلى الله عليه وسلم على الصبر ،

ألا بالصبر تبلغ ما تريد وبالتقوى يلين لك الحديد

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ما كان عند هؤلاء من توطين نفوسهم على ما تكره مواقف لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منها ما حصل في مؤتة حينما يقول عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه :

أقسمت يا نفس لتنزلنه قد طالما قد كنت مطمئنة

وجعفر الطيار جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

علي إن لاقيتها ضرابها

فقتل وكذلك أيضاً زيد بن حارثة يقول وقد منته نفسه بالذهاب والنكوص فثبت نفسه على الصبر فاستشهد هؤلاء الثلاثة والنبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ينعوهم أي ينقل خبر وفاتهم نبينا صلى الله عليه وسلم في المدينة على منبره وأولئك في أرض الروم يعني هؤلاء القوم الذين قتلوا لأصحابه في المدينة وهو يبكي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهكذا في مقام العبادة وفي مقام الكفاح في أمورهم كلها حازوا قصب السبق في هذا الباب ولله در من قال :

كن كالصحابة في زهد وفي ورع القوم هم ما لهم في الناس أشباه

عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمه في الخد أجراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول : [ وجدنا خير عيشنا بالصبر ] ( ٣ ) وهذا الأثر رواه البخاري في كتاب الرقاق معلقاً ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : [ إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ثم رفع

<sup>١</sup> - البخاري ( ١٠٧٨ ) ومسلم ( ٢٨١٩ ) .

<sup>٢</sup> - البخاري ( ٣٤١٦ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري في باب الصبر عن محارم الله ( ٥ / ٢٣٧٤ ) معلقاً .

صوته قائلاً : ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له [ ( ١ ) ] رواه البخاري ومسلم إلى علي بن أبي طالب وبعضهم يجعله مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا دليل على مكانة الصبر ونحن نحتاجه على مدار اليوم والليلة نحتاج إلى الصبر :

صبرت ومن يصبر يجد غب صبره ألد وأحلى من جنى النحل في الفم

طلب العلم يحتاج إلى صبر وهكذا يقول يحيى بن أبي كثير : لا يستطيع العلم براحة الجسد ، ويقول ابن عمر : [ قولوا لطالب العلم : يتخذ نعلين من حديد ] أنت تحتاج إلى صبر تصبر على شطف العيش وعلى البطانية ذات الرائحة الكريهة ما فيها بخور وعطور وتصبر على الثياب المرقعة هذا في بداية الأمر لا بد أن تصبر من أجله وأنت مبتلى وأنت بين أمرين إما أن تصبر لترقى وإما أن تجزع فتتخلف وهكذا الجنة تحتاج إلى صبر { حفت الجنة بالمكاره } ( ٢ ) أي ما يستكرهه الإنسان صلاة الفجر يطير النوم صلاة عصر لعله يزجج الراحة قليلاً ولكن المؤمن لا هذا عنده عين السعادة وعين الطمأنينة حتى إن بعض الصالحين يقول : أبكيت نفسي عند كل متعة حرام وها أنا أدعها في سياق الموت عل الله أن يغفر لها ، حتى أن بعضهم كان يقول :

ألا يا نفس ويحك ساعديني بسعي منك في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي بطيب العيش في تلك العالالي

يطلب من نفسه أن تنطلق معه فما أحوجنا جميعاً إلى الصبر حتى نغد على ربنا سبحانه وتعالى فنكون ممن قال فيهم : (( جزاهم بما صبروا جنة وحريراً )) ( ٣ ) وممن قال فيهم في كتابه الكريم :

(( إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب )) ( ٤ ) .

ثم يقول المؤلف : من الإيمان الصبر على أقدار الله الأقدار مفردها قدر قدران أقدار والقدر هو سر الله في خلقه هو علم الله السابق والإمام أحمد بن حنبل صاحب المسند إمام أهل السنة يقول : القدر قدرة الله .

ومن كان عنده إيمان بالقدر حاز خيري الدنيا والآخرة والقدر هو بمعنى القضاء والقضاء بمعنى القدر هذا إذا حصل انفراد لإحدى الكلمات لكن في حال الاجتماع والإقتران يفسر القدر بعلم الله السابق في الأزل كما في حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم مرفوعاً : { إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء } ( ٥ ) والقضاء يكون بمعنى تنفيذ هذا القدر إذا قلت هذا قضاء وقدر دل القدر على علم الله السابق و دل القضاء على تنفيذ ما أراده الله سبحانه وتعالى :

ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء

وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضاء ضاق الفضاء

إذا نزل القضاء تنفيذ للقدر وهناك طائفة تسمى بالقدرية وهم نفاة القدر وهم على قسمين :

١ - مصنف عبد الرزاق ( ٢١٠٣١ ) والبيهقي في الشعب ( ٩٧١٨ ) .

٢ - مسلم ( ٢٨٢٢ ) .

٣ - الإنسان ( ١٢ ) .

٤ - الزمر ( ١٠ ) .

٥ - مسلم ( ٢٦٥٣ ) .

طائفة نفت قدرة الله وهذه انقضت وبقيت طائفة تقول : إن الله يعلم الأمر أنف وهم أتباع معبد الجهنني الذي ظهر في البصرة أخذ القدر عن سوسن النصراني عقيدة باطلة قال ابن عمر لمن جاء يستفتيه : [ أخبرهم أن ابن عمر بريء منهم فإن الجنة عليهم حرام حتى يؤمنوا بالقدر خيره وشره ] ( ١ ) فالمراد بالصبر على أقدار الله هنا أي على ما قدره الله سبحانه وتعالى مثلاً قدر الله وكتب الله في الأزل أن تحترق سيارة فلان من الناس فهذا مقدور أرادته الله

إن المقادير التي في اللوح قد كتبت إما أتتك يا فتى وإلا أنت آتيتها

فالصبر واجب والرضا به يختلف أهل العلم هل الرضا واجب أو مستحب على ما قدره الله من موت من إحراق من كارثة من مصيبة فالقول الصحيح من أقوال أهل العلم أنه مستحب الصبر على القدر واجب لكن الرضا به مستحب (( الذين إذا أصابته مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون )) ( ٢ ) هؤلاء صبروا ولكن ما دلت الآية على الوجوب لكن كون الإنسان يرضى بما قدره الله هنا يكون واجباً عندك قدر ومقدور فالله قدر أرضى ويجب علي أن أرضى لكن على هذا المقدور الحريق الكذا الذي حصل يقول كثير من أهل العلم : إنه يستحب فالمقدور قد يكون طاعات وقد يكون معاصي هذا رجل يعمل الطاعات الكثيرة هذا طائع لله سبحانه وتعالى وآخر يعمل المعاصي والذنوب **من الذي قدر ؟** الله فالله سبحانه وتعالى قدر عليه هذه السيئات أن يعملها فنحن نرضى بما قدره الله لكن ليس معنى ذلك أننا نوافقهِ فإننا إن نظرنا إليه نرضى بما قدره الله ولا نرضى بهذا المقدور نرضى بالقدر ولا نرضى بالمقدور لأن القدر هو ما أرادته الله سبحانه وتعالى في الأزل ولا نرضى بهذا الذي يقوم به هذا الشخص على أن الله سبحانه وتعالى له حكمة نافذة في هذا المخلوق والإكثار في هذا الباب منهني عنه فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم : { إذا تحدثتم عن أصحابي فأمسكوا وإن تحدثتم عن القدر فأمسكوا } ( ٣ ) فلو أن الشخص حاول أن يتعمق وأن يستكشف أكثر ربما يدخل في أشياء عميقة وعظيمة ولقصور علمه أو فهمه لا يجد لها أجوبة ولكن إرضَ بما قدره الله سبحانه وتعالى فإنه سبحانه يعامل خلقه بعدله قال سبحانه :

(( وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً )) ( ٤ ) فأمر الله سبحانه في عباده عدل يعني أن الله سبحانه وتعالى عدل في موسى حينما جعله نبياً وعدل في حق فرعون حينما أغرقه فلا ينبغي للشخص أن يقول **لماذا ؟ ليش ما تكون الهداية لفرعون ؟** لا يجوز يقول سبحانه : (( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون )) ( ٥ ) أو تقول لماذا لا يكون الشيطان على

هداية ؟ لا ينبغي هذا ، الله سبحانه وتعالى علم في الأزل أنه لا خيرية في فرعون وإن وجدت فيه خيرية من جهة إلا أنها من جهات غير متحققة وهكذا في أبي جهل وهكذا في أبي لهب وهكذا في الشيطان وهكذا في الملحدين (( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين )) ( ٦ ) (( أنتم أعلم أم الله )) ( ٧ ) **من أعلم ؟ من أحرص ؟ من أحلم ؟** الله سبحانه وتعالى **من أرحم بالخلق ؟** الله سبحانه وتعالى فإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن ترضى بالقدر حتى

١ - مسلم ( ٨ ) .  
٢ - البقرة ( ١٥٦ - ١٥٧ ) .  
٣ - صحيح : الطبراني في الكبير ( ١٤٢٧ ) وانظر حديث رقم : ٥٤٥ في صحيح الجامع .  
٤ - الأنعام ( ١١٥ ) .  
٥ - الأنبياء ( ٢٣ ) .  
٦ - القصص ( ٥٦ ) .  
٧ - البقرة ( ١٤٠ ) .



إن أحد اليهود كتب قصيدة لشيخ الإسلام ابن تيمية يحتج فيها بمثل هذا ويلصق ويعترض على أرحم الراحمين **لماذا جعل هذا كذا وهذا كذا ؟ لماذا لا يكون كذا وكذا ؟** فرد عليه ابن تيمية بقصيدة فيها معتقد أهل السنة والجماعة في باب القضاء والقدر يقول في مطلعها :

سؤالك يا هذا سؤال معاند

مخاصم رب الأرض باري البرية

قصيدة طويلة وابن القيم رحمه الله تعالى يقول:

مقضي حين يكون بالعصيان

فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط الـ

نرضى بالقضاء نرضى بالقدر (( ولا يرضى لعباده الكفر )) ( ١ ) الله لا يرضى لعباده الكفر على أنه قد أراد الكفر قدراً وأزلاً لكنه أباه سبحانه شرعاً ودينياً فعليك أن تكون مسلماً { ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً } ( ٢ ) .

**وقول الله تعالى : (( ومن يؤمن بالله يهد قلبه )) ( ٣ ) .**

ثم استدل المؤلف على هذا الباب الذي عقده " من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله " . قال : وقوله تعالى : (( ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم )) ( ٤ ) من هاهنا شرطية جازمة وجملة يؤمن فعل الشرط وجوابه يهد مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء وهذا وعد مربوط بشرطه ومن يؤمن بالله هذا الشرط جوابه يهد قلبه فالوعد من الله هداية القلب وإذا استقام القلب استقامت الجوارح كلها كما في حديث النعمان في الصحيحين :

{ ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب } ( ٥ )

ومن يؤمن بالله أي بأقدار الله يهد قلبه أي يرزقه الطمأنينة من يؤمن بأقدار الله مطمئن **لماذا ؟** لأنه مؤمن .

**رزقك بيد من ؟ بيد الله ، أجلك بيد من ؟ بيد الله موتك وحياتك بيد الله إذن ليش تخاف ؟** كن على هذه العقيدة الثابتة الراسخة القوية فإنك تسلم وتعيش باطمئنان يوم أن تعلم أن رزقك بيد الله وأجلك بيد الله والخير الواصل إليك من الله والشر الواصل إليك ياذن من الله والمصروف عنك ياذن من الله **ماذا تريد يا عبد الله ؟** إذن كن مع الله سبحانه وتعالى { احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف } ( ٦ ) عليك أن تستريح اهتدأ فصاحب الإيمان بالقضاء والقدر تجده هادئاً نفساً وعقلاً وقلباً منشراح الصدر لما أراد الله سبحانه وتعالى بخلاف فاقد الإيمان بالقضاء والقدر تجده عنده انزعاج ربما هذا الانزعاج يوصله إلى حد الجنون إلى حد التفكير يفكر كثير ويدخل في أشياء ومتاهات فما أحوجنا وأحوج المسلمين إلى الإيمان بالله والإيمان

١ - الزمر ( ٧ ) .

٢ - مسلم ( ٣٤ ) .

٣ - التغاين ( ١١ ) .

٤ - التغاين ( ١١ ) .

٥ - البخاري ( ٥٢ ) ومسلم ( ١٥٩٩ ) .

٦ - تقدم تخريجه .



بأقدار الله سبحانه وتعالى ثم قال سبحانه : (( والله بكل شيء عليم )) ( ١ ) وشيء نكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق كل شيء يعلمه الله سبحانه وتعالى .

**قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم ( ٢ ) .**

قال : قال علقمة :

وعلقمة هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي وهو من تلامذة عبد الله بن مسعود .

قال : [ هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ] أصابته مصيبة يعلم أن هذه المصيبة ما أصابته إلا بإرادة من الله .

يروى في كتب الآثار أن رجلاً أصيبت يده بآفة فكان يقول : إنها نعمة فقالوا : **على أي شيء نعمة ؟** فقال : شيء قدره الله ثم قال للمعترض : رأيت إن كانت في وجهي رأيت لو كانت في لساني رأيت لو كانت في صدري رأيت لو كانت في رجلي قال : فما تركته حتى أيقنت أنها فعلاً نعمة .

وقيل أنه ربط مسلم مع نصراني في بيت المقدس في فلسطين وكان النصراني عنده إسهال فكان يقود المسلم خمس مرات بالساعة إلى الحمام إسهال شديد والمسلم يقول : الحمد لله فقال له السجان : **على إيش تحمد الله ؟ على أن ربطك مع هذا النصراني يقودك إلى الحمام في اليوم كذا كذا مرة ؟** فقال : أحمد الله الذي جعلني مسلماً ولم يجعلني نصرانياً .

وتعرفون قصة عبد الله بن الزبير الصابر المحتسب لما قطعت رجله كان فيها آكلة قالوا : نجعل لك بنجاً قال : لا أريد أن أفتر عن ذكر الله قالوا : وكيف ؟ قال : إذا رأيتموني دخلت في الصلاة واستجمعت فدونكم رجلي يقول : فما شعرت إلا وهم في العظم فأغشي عليه وبينما هم يجررون له هذه العملية قطع الرجل قتل أحد أولاده اسمه محمد فقال بعضهم : والله ما حصل لعروة إلا بشيء عظيم قد اقترفه فأنشد قائلاً :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا دلني سمعي ولا بصري لها	ولا قادني رأي إليها ولا عقلي
وأعلم أنني لم تصبني مصيبة	من الله إلا قد أصابت فتى قبلي

<sup>١</sup> - التغبين ( ١١ ) .

<sup>٢</sup> - البيهقي في الشغب ( ٩٩٧٦ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٦٩٢٥ ) .

فبكى رحمه الله وتعرفون عروة بن الزبير اجتمع هو ومصعب وأخوه عبد الله وابن عمر كل واحد سأل سؤالاً بجانب الكعبة فلما كان دور سؤاله قال : اللهم انفعني بعلمي .  
عروة بن الزبير من المكثرين من العلماء الكبار رضي الله تعالى عنه وأرضاه فلقب بالصابر المحتسب .

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { اثنان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت } ( ١ ) .

قال : وفي صحيح مسلم ،  
ومسلم هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج .  
عن أبي هريرة الصحابي الجليل المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
{ اثنان في الناس هما بهم كفر . أي فيهم . الطعن في النسب { وقد تقدم لنا وهو عيب العيب في النسب أن يقال له : يا ابن القلفاء يا ابن فلان يا كذا يا جزار طعن في النسب { والنياحة على الميت { وهو التسخط وإظهار الويل والشبور هذه من عادات الجاهلية ولا يلزم من وجودها أن يكون من تلبس بها كافراً كما أن الكافر لو أن عنده بعض خصال الدين لا يكون بذلك مؤمناً لو أن كافر الآن ربي لحيته وأخذ السواك وأخذ مسبحة وجلس يصلي على رسول الله **هل ينفعه هذا ؟ لا ينفعه شيئاً ليش ؟** لأنه كافر لم يسلم وهكذا لا يلزم من وجود الكفر أن يكون الشخص كافراً ولا يلزم من وجود البدعة أن يكون صاحبها مبتدعاً ولا يلزم من وجود الفسق أن يكون صاحبه فاسقاً والشاهد النياحة على الميت لأن هذا . بارك الله فيكم . ينافي الصبر .

<sup>١</sup> - مسلم ( ٦٧ ) .

ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : { ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية } ( ١ ) .

ولهما أي للبخاري ومسلم عن ابن مسعود وهو عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم : { ليس منا { أي ليس هذا من هدينا ومن طريقتنا } من ضرب الخدود { سواء الخدود أو غيرها ولكن غالباً عند المصيبة يضرب الخد وإلا فأأي مكان من الوجه فهو محرم } وشق الجيوب { وهو الفتحة من جهة الرأس } ودعا بدعوى الجاهلية { يقول واجبلاه واعضداه واسندها هذا من عادات الجاهلية والنبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى إحدى بناته وابنها يجود بنفسه فرفعه ونفس الصبي تقعقع كأنها في شن فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له سعد بن عباد : **ما هذا ؟** فقال : { هذه رحمة أودعها الله في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء } ( ٢ ) ولما مات ابنه إبراهيم قال : { إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون } ( ٣ ) .

<sup>١</sup> - البخاري ( ١٢٣٢ ) ومسلم ( ١٠٣ ) .

<sup>٢</sup> - البخاري ( ١٢٢٤ ) ومسلم ( ٩٢٣ ) .

<sup>٣</sup> - مسلم ( ٢٣١٥ ) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة } ( ١ ) .

.....  
وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا } الحديث صحيح { وإذا أراد بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة } ( ٢ ) المراد بالعقوبة مؤاخذه المجرم بذنبه وسميت عقوبة لأنها تعقب الذنب يرتكب الذنب ثم يعاقب فليل عنها: عقوبة والعقوبة في الدنيا أهون من العقوبة في الآخرة ولما فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين قال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : { العقوبة في الدنيا أهون من الآخرة } ( ٣ ) بمعنى لو اعترف أحدهما فرجم فمات خير له من أن يبقى ذلك إلى الآخرة نسأل الله السلامة والعافية ويوم القيامة هو اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين وسمي بذلك لثلاثة أمور :

**الأمر الأول :** لقيام الناس من قبورهم كما قال سبحانه : (( يوم يقوم الناس لرب العالمين )) ( ٤ ) .

**الثاني :** لقيام الشهداء (( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الشهداء )) ( ٥ ) .

**والأمر الثالث :** لوجود العدل (( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين )) ( ٦ ) وقوله : { إذا أراد الله بعبد الشر } الله يريد الشر ولا ينسب إليه احتراماً وتنزيهاً وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { والشر ليس إليك } ( ٧ ) .

١ - صحيح : الترمذي (٢٣٩٦) والحاكم (٨٧٩٩) ومسند أبي يعلى (٤٢٥٤) انظر حديث رقم : ٣٠٨ في صحيح الجامع .  
٢ - صحيح : الترمذي (٢٣٩٦) والحاكم (٨٧٩٩) ومسند أبي يعلى (٤٢٥٤) انظر حديث رقم : ٣٠٨ في صحيح الجامع .  
٣ - مسلم (١٤٩٣) .  
٤ - المطففين ( ٦ ) .  
٥ - غافر ( ٥١ ) .  
٦ - الأنبياء ( ٤٧ ) .  
٧ - مسلم (٧٧١) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط } حسنه الترمذي ( ١ ) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية التغابن .

الثانية : أن هذا من الإيمان بالله .

الثالثة : الطعن في النسب .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير .

السادسة : علامة إرادة الله بعبده الشر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضا بالبلاء .

وقال صلى الله عليه وسلم : { إن أعظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا } أي أنه ربح { ومن سخط فله السخط } ( ٢ ) حسنه الترمذي الحديث صحيح وقد ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ( ١١٤٣ ) وسواء الشخص رضي أو سخط فلن يستطيع أن يغير من الواقع شيئاً فإن رضي بما قدره الله فالحمد لله حصل اتفاق رضي بما قدره الله وإن لم يرض فإنما ضر نفسه وكم من رجل لم يرض بما قدره الله فما زال به عقله وحزنه وبكاؤه ونحيبه حتى حصل له إما اختلال في العقل أو جنون أو هستيريا وبعضهم ربما يموت من كثرة التفكير وكان الأولى أن يرضى بما قسمه الله وبما قدره الله سبحانه وتعالى فإن الإنسان لا يعلم ولا يدري بما قدره الله في هذا

<sup>١</sup> - حسن : الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجه (٤٠٣١) والبيهقي في الشعب (٩٧٨٢) انظر حديث رقم : ٢١١٠ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - حسن : الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجه (٤٠٣١) والبيهقي في الشعب (٩٧٨٢) انظر حديث رقم : ٢١١٠ في صحيح الجامع .

الكون فإذا رأيت شيئاً عنوانه وظرفه الخارجي أنه شر عليك أن ترضى ربما كان من وراء ذلك خيراً كما حصل من اعتراض موسى على الخضر حينما قلع رأس الصبي وحينما خرق السفينة ولا يدري أن ذلك من أمر الله قال : (( وما فعلته عن أمري )) (( ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً )) ( ١ ) وهكذا أيضاً

(( وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون )) ( ٢ ) وتأمل في أمر الاستخارة لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخير يقول : { اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وأجله فيسر لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وآجله ويسمي حاجته فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به } ( ٣ ) أنت لا تدري يا عبد الله إنما الله هو الذي يدري وقد قيل : إن رجلاً كان يطوف حول البيت ويقول :

رب لا أدري وأنت الداري وكل شيء يجري على مقداري

كل شيء بقضاء وقدر وفي صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس } ( ٤ ) عني حتى النشاط والفتور كله بأمر من الله سبحانه وتعالى إذن يرضى الإنسان وبطيب نفساً طب نفساً وارض بما أراده الله سبحانه وتعالى ولا تستيق الأحداث ولا تستيق الأقدار وعش يومك ولا تنظر إلى غياهب الأمور يمكن يأتي يوم أنا أفقر أنا أجنن أنا يحصل لي كذا لا ما في داعي ولا تحدث نفسك يعني إرجاف لا ولكن عش يومك هذا وإن حاولت أن تنظر في غياهب الأمور فليكن تفاؤلاً متى تكون عالماً تقياً ورعاً مؤلفاً خطيباً قائداً تنفع الإسلام والمسلمين أما أن تنظر في مسألة الرزق في مسألة أمور الدنيا فهذه . بارك الله فيك . دعها فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { الدنيا لا ترن عند الله جناح بعوضة لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء } ( ٥ ) وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى وأخذ بنواصينا للبر والتقوى والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١ - الكهف ( ٨٢ ) .

٢ - البقرة ( ٢١٦ ) .

٣ - البخاري ( ١١٠٩ ) .

٤ - مسلم ( ٢٦٥٥ ) .

٥ - صحيح : الترمذي ( ٢٣٢٠ ) والحاكم ( ٧٨٤٧ ) والطبراني في الكبير ( ٥٨٤٠ ) انظر حديث رقم : ٥٢٩٢ في صحيح الجامع .

## باب ما جاء في الرياء

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

## باب ما جاء في الرياء

أي ما ورد من الوعيد الشديد في أمر الرياء الرياء يقابله الإخلاص وكذلك التوحيد الرياء مشتق من كلمة رأى يراني فهو مراني يعني عمل عملاً من أجل أن يراه الناس قال ابن حجر في فتح الباري : مشتق من الرؤية والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { من رأى رأى الله به ومن سمع سمع الله به } ( ١ ) فالرياء يكون في الفعّال والسمعة في الأقوال يخطب فيطنب ويطنب ويدع لا لله ولكن من أجل أن يقال فهذا من السمعة كما قيل :

وقصيدة تأتي الملوك غريبة قد قتلها ليقال من ذا قالها

وأما الرياء فهو من أجل أن يراه الناس والنبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل رياءاً ويقاتل حمية **أي ذلك في سبيل الله ؟** فأضرب النبي صلى الله عليه وسلم عن الألفاظ كلها وقال : { من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله } ( ٢ ) وهكذا أيضاً أول من تسعر بهم النار من فسدت نواياهم وشاب الرياء عباداتهم وتعرفون حديث أبي هريرة في صحيح مسلم بهذا اللفظ : { أول من تسعر بهم النار ثلاثة : مقرر للقرآن يؤتى به فيعرفه الله نعمته **ماذا فعلت ؟** قال : قرأت فيك القرآن وأقرأته قال : كذبت إنما قرأت ليقال قارئ ومجاهد يؤتى به يوم القيامة فيعرفه الله نعمته فيقول : **ما عملت بها ؟** فيقول : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت إنما قاتلت ليقال شجاع ثم متصدق يعرفه الله نعمته فيعرفها فيقول : **ماذا عملت بها ؟** فيقول : ما تركت من سبيل خير إلا أنفقت فيك قال : كذبت إنما أنفقت ليقال جواد فقد قيل فيؤمر بهم الثلاثة فيسحبون على وجوههم إلى النار } ( ٣ ) ما عملتم هذا العمل إلا من أجل أن يقال نسأل الله السلامة والعافية وهكذا أيضاً حديث أسامة في صحيح البخاري قال نبينا صلى الله عليه وسلم :

<sup>١</sup> - مسلم (٢٩٨٦) .  
<sup>٢</sup> - البخاري (٧٠٢٠) ومسلم (١٩٠٤) .  
<sup>٣</sup> - مسلم (١٩٠٥) .

{ يؤتى بالعالم فيلقى به من على شفير جهنم فتندلق أقتابه فيدور في النار كما يدور الحمار حول الرحى فيجتمع إليه أهل النار يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قال : بلى ولكن كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية { ( ١ ) ،

مواظظ الواعظ لن تقبلا حتى يعيها قلبه أولاً  
فما أعظمه يا قوم من واعظ  
قد خان ما قد قاله في الملا  
فهؤلاء كانوا في أشرف المنازل وأرفعها ولكن حينما فسدت النية صاروا عراة من الأجر كما قيل :  
ثوب الرياء يشف عما تحته فإذا اشتملت به فإنك عاري

الرياء خطر عظيم يفتك بصاحبه ولا بد حكمه أنه شرك أصغر لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قيل : وما هو ؟ قال : الرياء { ( ٢ ) وقد يصل إلى حد الشرك الأكبر فهو على حسب صاحبه فلذلك كان المنافقون كفاراً وما جاءهم النفاق إلا عن طريق الكذب والرياء حتى إن ابن القيم يقول : إن النفاق له قوتان تمده الكذب والرياء .

فمن كان عنده شيء من هذا يخشى أن يصير منافقاً أو عنده من الكذب يخشى أن يصير منافقاً (( إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً )) ( ٣ ) وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن نبينا صلى الله عليه وسلم قال : { إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لآتوهما ولو حبواً { ( ٤ ) فالرياء خطر على صاحبه نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعافينا وإياكم وجميع المسلمين من ذلك لكن هنا بعض التنبيهات :

**التنبيه الأول :** إذا كان الباعث على العمل هو الرياء فالعمل باطل لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (( ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك )) ( ٥ ) فالعمل باطل هذا إذا كان الباعث على العبادة هو الرياء شخص قام يصلي ليس من أجل الله ولكن فلان موجود في المسجد مديره له منه مصلحة يريد يتزوج ابنته المهم ما قام ليصلي لله وإنما صلى لأن فلاناً موجود هنا العبادة باطلة وهل يوجد من هؤلاء؟ نعم ،

صلى وصام لأمر كان يقصده فلما قضى الأمر لا صلى ولا صام

**التنبيه الثاني :** إذا قام العبد يصلي لله فطراً عليه الرياء كان يصلي فلحظ أن فلاناً ينظر إليه فأراد أن يزين الصلاة ثم جاهد نفسه فقهرها وغلبها فلم يستقر الرياء في قلبه فهذه العبادة صحيحة وهو مأجور لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا )) ( ٦ )

١ - مسلم ( ٢٩٨٩ ) .  
٢ - صحيح : أحمد ( ٢٣٦٨٠ ) والطبراني في الكبير ( ٤٣٠١ ) والبيهقي في الشعب ( ٦٨٣١ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٩٥١ ) .  
٣ - النساء ( ١٤٢ ) .  
٤ - البخاري ( ٦٢٦ ) ومسلم ( ٦٥١ ) .  
٥ - الزمر ( ٦٥ ) .  
٦ - العنكبوت ( ٦٩ ) .



والدليل على صحة العبادة أنه ليس بمؤاخذ ما جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم } ( ١ ) فهذا لم يستقر كما ذكرت لكم في مراتب القصد أنها ثلاث لا يستقر منها شيء ،

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخطا فحديث النفس فاستمعوا

هذه الخطا الهاجس حديث النفس لا تستقر وإنما يؤاخذ بما استقر بلغ هما أو عزيمة مراتب القصد خمس هاجس ذكروا

فخطا فحديث النفس فاستمعوا

يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

هذا تنبيه مهم جداً .

**ثالثاً :** إذا طرأ الرياء على العبادة وكانت العبادة لها اتصال أولها بأخرها فيكون ما أخلص فيه صحيحاً وما لم يخلص باطلاً وبعض أهل العلم يقول : هي كلها باطلة إن كان للعبادة ارتباط كالصلاة مثلاً إما إذا لم يكن لهذه العبادة ارتباط فيكون على حسب ما ذكر فيما أخلص صحت عبادته وبطلت العبادة فيما لم يخلص مثال ذلك :

رجل عنده مائة ريال فحملة إخلاصه وتقواه لله أن يعطي مسكيناً خمسين ريالاً لله

{ سبعة يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه } ( ٢ ) وأما بقية المبلغ الخمسين الأخرى حملة على التصديق الرياء فتكون الأولى صحيحة والثانية باطلة .

**التنبيه الرابع :** إن جاء الرياء أو شيء من الوسوسة بعد العبادة فهذا لا يؤثر ولا يلتفت إليه .

**التنبيه الخامس :** أن الفرح بالحسنة لا يعتبر من الرياء لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (( قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون )) ( ٣ ) ولا يحملك الفرح على الزهو والغرور وإنما تشرح وتنسبط حينما ترى أن قد حقق الله سبحانه شيئاً من الخير على يديك وإياك أن تغتر جاء حديث عمر عند الترمذي وهو حديث صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من سرته حسنته وساءته سيئته فهو المؤمن } ( ٤ ) .

**التنبيه الأخير :** أن الناس إذا مدحوا الشخص على خير فيه وهذا الخير محقق فهم يمدحونه فهذا ليس من الرياء لما جاء عند مسلم من حديث أبي ذر واسمه جندب بن جنادة رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن النبس صلى الله عليه وسلم سئل سأل رجل أو سئل عن الرجل يعمل العمل فيثني عليه الناس خيراً قال صلى الله عليه وسلم : { تلك عاجلة بشرى المؤمن } ( ٥ ) ( هو ما أراد من الناس أن يتحدثوا بهذا على أنه لو سمع الناس يتحدثون لما أعجبه هذا فقد كان الناس رحمهم الله في القديم يفرون من المدح بل جاء حديث : { إياكم والتماذج فإنه الذبح } ( ٦ ) وجاء حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وسلم أنه قال :

١ - البخاري (٤٩٦٨) ومسلم (١٢٧) .

٢ - تقدم تخريجه .

٣ - يونس ( ٥٨ ) .

٤ - صحيح : الترمذي ( ٢١٦٥ ) وأحمد ( ١١٤ ) وابن حبان ( ٦٧٢٨ ) والحاكم ( ٣٢ ) وانظر حديث رقم : ٢٥٤٦ في صحيح الجامع .

٥ - مسلم ( ٢٦٤٢ ) .

٦ - صحيح : ابن ماجه ( ٣٧٤٣ ) وأحمد ( ١٦٨٨٣ ) والطبراني في الكبير ( ٨١٥ ) انظر حديث رقم : ٢٦٧٤ في صحيح الجامع .

{ إذا رأيتم المداحين فاحتوا في وجوههم التراب } ( ١ ) وقد مدح رجل رجلاً فإذا بعمار يأخذ التراب ويحثو في وجهه ويقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم في رجل مدح أخاه : { قطعت عنقه أو قطعت ظهره } ( ٢ ) أو كما قال عليه الصلاة والسلام على أنه يجوز المدح بالوجه إذا لم يخش فتنة على الممدوح وعلى الشخص أن يوطن نفسه في أعماله ألا يطلب أجرها إلا من الله سبحانه وتعالى يروى أن عبد الله بن المبارك كان يجاهد عاماً ويحج عاماً وفي بعض الغزوات كان يجاهد جهاداً مستميتاً وهو ملثم فإذا بالأمرير يريد أن يعرف من هو هذا فكلف واحداً ينظر له الأمر فذهب وراءه حتى كشف اللثام بعد انتهاء المعركة قال : إياك أن تشنع علينا بمعنى إياك أن تخبر وكان رحمه الله إذا أخذ الناس مضجعهم قام يصلي ويقرأ القرآن في السفر فتابعه أحد أصحابه في السفر فنظر ما يعمل من العبادة والبكاء والطاعة فلما كانوا عند الإفطار قال له : هذه الليلة أنا لم أنم فعلم ابن المبارك أن الرجل قد تابع أعماله قال : فغضب فما زلت أعرف ذلك الغضب في وجهه حتى لحق بربه وكان أحد إخوانه مسجوناً فأرسل بمبلغ مع أحد الناس فأخرج من السجن فوجده ابن المبارك قال له : متى خرجت ؟ وكيف خرجت ؟ وهو الذي دفع المبلغ من أجل إخراجه هؤلاء يا إخوان كانوا يريدون بأموالهم وبأعمالهم وجه الله (( إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً )) ( ٣ ) وهكذا كان عليه الصلاة والسلام وهكذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم يكتمون الحسنة كما يكتُم أحدنا السيئة والله المستعان .

والعمل لا يكون مقبولاً إلا بإخلاص واتباع ومحبة وخوف ورجاء فإذا كان فيه شيء لغير الله كان العمل غير مقبول ))  
وقدمننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً )) ( ٤ ) يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة للمرائين : { إذهبوا إلى من كنتم تراؤونه في الدنيا هل تجدون عندهم من جزاء } ( ٥ ) رأيتم أيها الأخوة كيف كان الأمر في منتهى الخسران نسأل الله السلامة والعافية ، الإمام الغزالي في الإحياء يمثل المخلص بمن جاء براحلته في صباح اليوم فجعل عليها المتاع والطعام والشراب فسافر فلما أدركته القائلة وتعب أنزل ما على رحله ووجد أصناف الطعام والشراب والراحة فهذا مثال للمخلص الذي تزود بالطيبات وأما المرائي فيضرب مثلاً به فيمن جعل على راحلته تراباً وإذا به يمشي فلما أدركته القائلة والتعب والنصب وكان مسافراً فأنزل ما على الرجل فإذا به يجد تراباً أتعب نفسه و إلا فالتراب موجود في أي أرض توجهت إليها وكان بعضهم يقول : قولوا للمرائين لا يتعبوا أنفسهم ، وقال قائل : ما تعثر مخلص ، فمن وجد . بارك الله فيكم . في نفسه شيئاً من الضعف فليحاسب نفسه وليداوئها فإن السلف الصالح كانوا يدرسون هذه الأبواب دراسة أعني فقه النفوس وأمراض القلوب ألفوا في ذلك المؤلفات وكانوا يستفيدونها من علمائهم ومن مشايخهم لكن نحن لا حول ولا قوة إلا بالله كأن عندنا صك بأن أعمالنا مقبولة وأننا على خير وإذا قيل لأحدنا : اتق الله أخذته العزة بالإثم مع أنه مريض يحتاج إلى دواء والله المستعان .

١ - مسلم ( ٣٠٠٢ ) .

٢ - أحمد ( ٢٠٥٠٢ ) .

٣ - الإنسان ( ٩ ) .

٤ - الفرقان ( ٢٣ ) .

٥ - أحمد ( ٢٣٦٨٠ ) ( ٢٣٦٨٦ ) وشعب الإيمان ( ٦٨٣١ ) وانظر حديث رقم : ١٥٥٥ في صحيح الجامع .

وقول الله تعالى : (( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )) ( ١ ) .

ثم قال المؤلف بعد ما بوب هذا الباب قال : وقول الله تعالى : (( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي )) ( ٢ ) ، قل فعل أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول للأجيال : إنما أنا بشر أي أنه صلى الله عليه وسلم فيه الطابع البشري من الأكل والشرب والنوم والنكاح والتعب وما إلى ذلك فهو بشر وهكذا . بارك الله فيكم . جميع الأنبياء هم بشر وفي هذا رد على الذين يغالون في رسول الله صلى الله عليه وسلم كالصوفية مثلاً الذين أنزلوا النبي صلى الله عليه وسلم فوق منزلته والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

{ لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله } ( ٣ ) فبعضهم يقول : إنه عين الكون وأن الكون إنما وجد به هذا ليس بصحيح رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من هذا ولا يريد أن يسمع هذا صلى الله عليه وسلم حتى يقول البوصيري في تلك البردة التي تقرأ في الموالد يقولون :

يا أكرم الخلق مالي من ألود به	سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن آخذاً يوم المعاد يدي	فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

<sup>١</sup> - الكهف ( ١١٠ ) .

<sup>٢</sup> - الكهف ( ١١٠ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٣٢٦١ ) ( ٦٤٤٢ ) وأحمد ( ١٥٤ ) ( ١٦٤ ) ( ٣٣١ ) ( ٣٩١ ) والدارمي ( ٢٧٨٤ ) وابن حبان ( ٤١٣ ) ( ٤١٤ ) ( ٦٢٣٩ ) وغيرهم .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم بشر ولكن الفارق بيننا وبينه ما ذكره الله : (( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي )) ( ١ )  
**من الذي يسمح بهذا الوحي نزولاً إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ؟** هو الله سبحانه وتعالى بمعنى أن الوحي من الله عن طريق  
 جبريل عليه الصلاة والسلام كما قال ربنا : (( نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين )) ( ٢ ) (( إنما إلهكم  
 إله واحد )) ( ٣ ) في هذا تعريض للإخلاص وأن الشخص لا بد أن يكون مخلصاً في عمله (( فمن كان يرجو لقاء ربه  
 فليعمل عملاً صالحاً )) ( ٤ ) والعمل الصالح هو المتمثل بالإخلاص والاتباع والمحبة والخوف والرجاء وهو المتمثل  
 بالكتاب والسنة (( فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )) ( ٥ ) لا يشرك في هذه العبادة أحداً من الناس أحداً  
 من الجن من الملائكة من الأولياء من الأشجار أحداً يقول العلماء : نكرة في سياق النفي تفيد العموم ففي هذه الآية دليل  
 على أن أصل الدين الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا المرسلين من قبله أنه دين التوحيد ودين العبادة  
 الصحيحة وأن العمل إن صرف لله كان عملاً مقبولاً وإن صرف لغيره كان عملاً مردوداً لأنه مشوب بالشرك مشوب بالبدعة  
 فهذه الأعمال لا يقبلها الله وقد طال الوقت فبقي حديثان سيكون إن شاء الله درسنا في غد أسأل الله أن ينفع بما قلنا  
 وسمعنا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

**وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : { قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه } رواه مسلم ( ٦ ) .**

و.....

عن أبي هريرة رضي الله عنه ،

وأبو هريرة صحابي جليل اختلف في اسمه على ثلاثين قولاً وهو من حفاظ الصحابة كان يحفظ من الحديث خمسة آلاف  
 وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً وهو من اليمن لازم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات من عام خيبر إلى أن توفي عليه  
 الصلاة والسلام ولكن سبحانه الله فتح الله عليه في باب العلم لا سيما الحفظ .

قال : عن أبي هريرة مرفوعاً قال : قال الله تعالى ،

هذا يسمى حديثاً قدسياً مشتق من القدس وهو الطهر تقديس وتعظيم وما أضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله يقال له  
 : حديث قدسي وما كان من قوله صلى الله عليه وسلم يقال : حديث نبوي وبعض أهل العلم يقول : إن الفارق بين القدسي  
 والنبوي أن الحديث القدسي معناه ولفظه من الله سبحانه وتعالى وأن الحديث النبوي معناه من الله ولفظه من رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله والحديث النبوي لفظه من رسول الله ومعناه من الله هذا قول  
 لكن إن قلنا بهذا صار لا فرق بين القرآن وبين الحديث القدسي إذا كان الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله فكذلك  
 القرآن لفظه ومعناه من الله لكن الصحيح أن الحديث القدسي معناه من الله ولفظه من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 والحديث النبوي لفظه ومعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنهما يدخلان في إطار الوحي (( إن هو إلا وحي

<sup>١</sup> - الكهف ( ١١٠ ) .

<sup>٢</sup> - الشعراء ( ١٩٣ - ١٩٤ ) .

<sup>٣</sup> - الكهف ( ١١٠ ) .

<sup>٤</sup> - الكهف ( ١١٠ ) .

<sup>٥</sup> - الكهف ( ١١٠ ) .

<sup>٦</sup> - مسلم ( ٢٩٨٥ ) .

يوحى )) ( ١ ) هذا الفارق بين الحديث القدسي والحديث النبوي أما الفوارق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم فقد تقدمت لنا في درس أصول التفسير أو في مباحث في علوم القرآن في درس الظاهر وهي كثيرة وأهمها :

١. أنه يشترط في القرآن التواتر ولا يشترط في الحديث القدسي أن يكون متواتراً .
٢. أن القرآن أحكام وعقائد وعبادات بخلاف الأحاديث القدسية إنما هي في باب الآداب .
٣. أن القرآن تعبدنا بتلاوته وحصل فيه الإعجاز والتحدي بخلاف الحديث القدسي فلا يقرأ في الصلاة وليس فيه الإعجاز والتحدي .
٤. كذلك أيضاً القرآن الكريم لا يجوز أن يروى بالمعنى بخلاف الحديث القدسي فإنه يجوز روايته بالمعنى فوارق كثيرة هذه من أهمها .

يقول ربنا سبحانه وتعالى : { أنا أغنى الشركاء عن الشرك } الله سبحانه وتعالى غني عن عبادة العباد غني عن العباد وعن عبادتهم قال سبحانه : (( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد )) ( ٢ ) ويقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن أبي ذر : { يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني } ( ٣ ) فالله سبحانه وتعالى غني عن عبادة العباد وعن العباد وعن كل ما خلقه سبحانه وتعالى في هذا الكون فهو سبحانه وتعالى غني له الغنى المطلق كما أن من أسمائه سبحانه وتعالى الغني ثم قال جل وعلا : { من عمل عملاً } وعملاً هنا نكرة في سياق الشرط تفيد العموم أي عمل من الأعمال سري علني تعبدية عقائدية في باب الصلاة في باب الزكاة في أي باب من أبواب البر { من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري } كان للناس حظ من هذا العمل قال سبحانه : { تركته وشركه } يتركه يوم القيامة ولا يجازيه على هذا العمل وهكذا أيضاً تبطل أعماله كما قال ربنا في القرآن : (( وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً )) ( ٤ ) وهكذا في حديث ثوبان الذي رواه ابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات كأمثال جبال تهامة فيجعلها الله هباء منثوراً قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : أما إنهم لمنكم ويأخذون من الليل كما تأخذون لكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها } ( ٥ ) نسأل الله السلامة والعافية يعني كانت أعمالهم على غير إخلاص فها هي تحبط وتبطل لا حول ولا قوة إلا بالله الحديث رواه مسلم وصحيح مسلم هو من أصح الكتب بعد كتاب الله .

١ - النجم ( ٤ ) .

٢ - فاطر ( ١٥ ) .

٣ - مسلم ( ٢٥٧٧ ) وابن حبان ( ٦١٩ ) ومصنف عبد الرزاق ( ٢٠٢٧٢ ) وغيرهم .

٤ - الفرقان ( ٢٣ ) .

٥ - صحيح : ابن ماجة ( ٤٢٤٥ ) انظر حديث رقم : ٥٠٢٨ في صحيح الجامع .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : { ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال } قالوا : بلى ، قال : { الشرك الخفي : يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته ، لما يرى من نظر رجل } رواه أحمد ( ١ ) .  
فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن المرء يصلي لله ، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه .

قال : وعن أبي سعيد وهو سعد بن مالك بن سنان خزرجي أنصاري مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { ألا أخبركم } وألا أداة استفتاح وتنبيه يراد أن يقال انتبه حتى يكون السامع متيقظاً { ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ } المسيح رجل من بني آدم جعله الله سبحانه وتعالى فتنة للناس في آخر الزمان وما من نبي إلا حذر قومه منه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ما من نبي إلا حذر قومه منه وأنا أحذركم إنه أعور العين اليمنى وإن ربكم ليس بأعور } ( ٢ ) وسمي المسيح قيل : لأنه ممسوح العين اليمنى أي أعور وقيل : لمسحه الأرض أي لكثرة تحركه

<sup>١</sup> - حسن : ابن ماجه (٤٢٠٤) وأحمد (١١٢٧٠) وانظر حديث رقم : ٢٦٠٧ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - البخاري (٦٧١٢) ومسلم (٢٩٣٣) .

وسرعة تنقله من قطر إلى قطر والدجال صيغة مبالغة أي كثير الدجل والكذب والتمويه والإحتراز منه الإخلاص والعمل الصالح وقراءة عشر آيات من سورة الكهف كما جاء في بعض الأحاديث وأن تدعو الله سبحانه وتعالى أن يثبتك فإن له من الفتن ما يجعل بعض الناس المغفلين يؤمنون به في بعض الأحاديث أن له جنة وناراً فناره جنة وجنته نار ومن الإبتلاء أنه مزود بملكين فإذا قال للعبد هو ربه يقول للعبد : أنا ربك فيقول الملك : كذبت فلا يسمع المسلم قول الملك كذبت يسمع قول الملك الثاني للملك الأول : صدقت فيظن السامع أنه يقول للدجال : صدقت فتنة وابتلاء واختباراً وقد كان عليه الصلاة والسلام قبل أن ينتهي من صلاته يقول : { اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال } ( ١ ) وفي بعضها : { ومن شر فتنة المسيح الدجال } وفي زيادة في صحيح البخاري : { ومن المأثم والمغرم فقيل : ما أكثر ما تستعيد من المأثم والمغرم قال : إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف } ( ٢ ) نسأل الله السلامة والعافية .

قال : { ألا أخبركم بما هو أخوف عندي من المسيح الدجال ؟ } قالوا : بلى قال : الشرك الخفي يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل { رواه أحمد الدوسري يضعف هذا الحديث والشيخ الألباني رحمه الله تعالى يصححه أو يحسنه لكن قد جاء ما يغني عنه إن كان ضعيفاً فقد روى ابن خزيمة في صحيحه عن محمود بن لبيد قال : خرج علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : { يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر قالوا : يا رسول الله وما شرك السرائر ؟ قال : يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه فذلك شرك السرائر } ( ٣ ) والحديث في صحيح الترغيب والترهيب للمنذري بتحقيق الشيخ الألباني رحمة الله على الجميع فهذا الباب إخواني باب خطير في منتهى الخطورة وإن قلنا هو شرك أصغر لكنه يوصل إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله .

قال ابن القيم رحمه الله : وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك وما لي إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شرك أكبر بحسب حال قصده وحال قائله ومقصده . أ.هـ .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذلك المتابعة كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى : (( ليلوكم أيكم أحسن عملاً )) ( ٤ ) قال : أخلصه وأصوبه قيل : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ( ٥ ) فالخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة وفي الحديث من الفوائد : شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ونصحه لهم وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف على سادة الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم بغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أصغره وأكبره إلى هنا .

١ - مسلم ( ٥٨٨ ) .

٢ - البخاري ( ٧٩٨ ) ومسلم ( ٥٨٩ ) .

٣ - حسن : ابن خزيمة ( ٩٣٧ ) وابن أبي شيبة ( ٨٤٠٣ ) والبيهقي في الشعب ( ٣١٤١ ) وانظر صحيح الترغيب والترهيب ( ٣١ ) .

٤ - الملك ( ٢ ) .

٥ - حلية الأولياء ( ٨ / ٩٥ ) .

## باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

## باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

أما الباب لغة : فهو ما يدخل ويخرج منه إلى الشيء .

واصطلاحاً : هو اسم لجمله علمية مختصة من الكتاب ولك في إعرابه ثلاثة إعرابات :

يمكن أن تقدر له مبتدأ فيكون خبر لمبتدأ محذوف بتقدير هذا باب .

أما الوجه الثاني : فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره أعقد باباً .

ويمكن أن يكون بحرف جر محذوف أقرأ في باب أو أنظر في باب كذا .

وقوله : من هذه تسمى تبعيضية ، من الشرك : أي من بعض الشرك والمراد بالشرك لغة : مأخوذ من المشاركة وتعريفه شرعاً

: أن تجعل لله نداً وهو خلقك وينقسم إلى قسمين :

شركاً أصغر و أكبر فالأكبر مخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار ويحبط العمل كله ويبيح على صاحبه عرضاً ومالاً

ونفساً قال صلى الله عليه وسلم : { أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم

وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله } ( ١ ) أما الشرك الأصغر فهو يحبط نفس العمل ولا يخلد صاحبه في النار

<sup>١</sup> - البخاري (٢٥) ومسلم (٢١) .



وهو أكبر الكبائر ودون الشرك الأكبر وصاحبه على خطر وقوله : إرادة الإنسان بعمله الدنيا **هل هذا من الشرك الأكبر أو من الشرك الأصغر ؟** على تفصيل :

إن كان إنما يتحرك للدنيا ومن أجل الدنيا فيرضى إن أقبلت ويسخط إن أدبرت يعمل لها ويترك عمل الآخرة بسبب فقدانها هذا من الشرك الأكبر لمن قد استولت الدنيا على قلبه وكانت قد أخذت حيزاً واسعاً من قلبه فيكون هذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله (( إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار )) ( ١ ) أما إن كان عنده شيء من محبته وتعظيمه لهذه الدنيا شديد الحرص وينظر إليها بعين الإعظام والإجلال لكنها لم تحمله على أن يترك شيئاً من الواجبات فهنا يكون من الشرك الأصغر الذي صاحبه على خطر وهذه الدنيا عمل فيها الأنبياء وأتباع الأنبياء والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : (( المال والبنون زينة الحياة الدنيا )) ( ٢ ) وقال : (( وما أرسلنا من قبلك من نبي ولا رسول إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق )) ( ٣ ) فالدنيا لا تدم لذاتها فهي مزرعة الآخرة وإنما تدم حينما تكون مزاحمة للآخرة ولأوامر الله سبحانه وتعالى حينما يغتر الإنسان بها (( وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور )) ( ٤ ) (( وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون )) ( ٥ ) فالأنبياء وأتباعهم والصالحون عاشوا في هذه الدنيا لكنهم لم يجعلوها في قلوبهم ولا فوق رؤوسهم وإنما جعلوها في أيديهم جعلوها تحت أقدامهم لم يبالوا بها إن أقبلت قالوا : هذه فتنة نسأل الله أن يعيننا عليها وإن أدبرت لم يحزنوا كما قال الله : (( لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم )) ( ٦ ) .

وقوله : من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا كلمة الدنيا مفعول به لإرادة لأن إرادة مصدر أراد يريد إرادة مصدر مضاف إلى فاعله وإن أردت أن تعرف المصدر إن كان مضافاً إلى فاعله أو إلى مفعوله فحواله إلى فعل مضارع مقرون بأن مثلاً تقول : من الشرك أن يريد الإنسان بعمله الدنيا فالإنسان فاعل فيكون كلمة إرادة مصدر مضاف إلى فاعله من الشرك إرادة الإنسان من الشرك أن يريد الإنسان فهذا من المصدر المضاف إلى فاعله والدنيا مفعول به .

١ - المائدة ( ٧٢ ) .  
٢ - الكهف ( ٤٦ ) .  
٣ - الفرقان ( ٢٠ ) .  
٤ - آل عمران ( ١٨٥ ) والحديد ( ٢٠ ) .  
٥ - القصص ( ٦٠ ) .  
٦ - الحديد ( ٢٣ ) .

وقول الله تعالى : (( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها )) ( ١ ) .

وقول الله تعالى : (( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها )) ( ٢ ) أي من كان يريد البقاء فيها والتعمير وزينتها : زينة الحياة الدنيا معروفة مفسرة بقوله سبحانه : (( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب )) ( ٣ ) أي حسن المرجع هذه زينتها فإن أخذت بحق ومن وجه شرعي ولم تله عن الآخرة كان متاعاً زائداً مباحاً استعماله خير وإن أخذت بغير حق كانت شراً ووبالاً على صاحبها فتأمل إلى الكافر يتنعم والمؤمن يتنعم ولكن شتان بين مشرق ومغرب بل ربما كان الكافر فقيراً والمسلم غنياً ثرياً فهذا الأول في النار والثاني في الجنة رب كافر يأكل من القمامة وينام على الرصيف ولا يجد كسر الخبز اليابسة وهو من أهل النار وآخر أغناه الله في الدنيا أعطاه الله سبحانه وتعالى عز الدنيا والآخرة إن شاء الله وهو من أهل الجنة هذا لا يتنافى إن كان من حق أخذه بحق وصرفه في حق وتأملوا في نبي الله سليمان بن داوود إلى أبيه داوود حينما أعطاه الله سبحانه وتعالى الملك فلما رآه قال : (( هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر )) ( ٤ ) فتنة ولما أخرج فريضة من الفرائض (( فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردها علي فطفق مسحاً بالسوق

١ - هود ( ١٥ ) .

٢ - هود ( ١٥ ) .

٣ - آل عمران ( ١٤ ) .

٤ - النمل ( ٤٠ ) .

والأعناق)) (١) يعني نحرها وقطع سنامها حينما ألهته عن طاعة الله سبحانه وتعالى وهو ملك ، ملك الدنيا شرقاً وغرباً وهكذا الملك الإسكندر ذو القرنين ملك الدنيا شرقاً وغرباً فكان مؤمناً له خير في الدنيا وكذلك في الآخرة بخلاف النمرود وقارون وهامان وفرعون ومن ملكوا الدنيا وهم على كفر لذا جاء في كتب التاريخ أن يهودياً زياتاً كان يبيع الزيت وثيابه ملطخة بالزيت هجم على الحافظ ابن حجر وهو في مصر فقال له : يا شيخ الإسلام يا أبا الفضل رويتم عن نبيكم أنه قال : { الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر } (٢) **فأي جنة أنا فيها وأي سجن أنت فيه ؟** لأنه فقير والحافظ ابن حجر كان قاضي القضاة كان رجلاً ثرياً بسط الله عليه من أصناف المال فمر وهو راكب على بغلته وحوله الحشم والخدم فيقول له : **كيف هذا الكلام ؟ أي جنة أنا فيها وأي سجن أنت فيه ؟** وتعرف الحديث من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم فقال له الحافظ ابن حجر رحمه الله : أما بالنسبة لما أعده الله لك في الآخرة فأنت الآن في جنة وأما بالنسبة لما أعده الله لي في الآخرة فأنا هنا في سجن فأسلم هذا اليهودي من حسن عبارات شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى وذلك أن المؤمن في هذه الدنيا مسجون عن الشهوات وعن المحرمات عنده المال وعنده الملك وعنده الشرى وعنده السيارة وعنده مغريات الحياة كما يقال : يصنع المستحيل من الحرام ولكنه يخاف على حد قول القائلة :

فوالله لولا الله والخوف والرجا لحرك من هذا السرير جوانبه

خوف الله سبحانه وتعالى وأما الكافر فهو في جنة له أن يفعل ما يشاء من المحرمات لا يردده شيء من ذلك خوفاً أو خشية من الله سبحانه وتعالى فيقول الله : (( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم )) (٣) نوف بمعنى يعطاه كاملاً موفى وجملة نوفي هي جواب الشرط لقوله سبحانه : (( من كان )) فمن اسم شرط جازم يجزم فعلين ففعل الأول كان وفعل الثاني : (( نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون )) (٤) أي لا ينقصون كما قال سبحانه : (( من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب )) (٥) لكن اسمع ماذا بعدها قال جل وعلا : (( أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون )) (٦) على أن أن القول الصحيح في هذه الآية أنها في حق الكفار لكن من عمل بعمل الكفار كان كما يقول علماؤنا : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : من كان يريد الحياة الدنيا : أي ثوابها وزينتها أي مالها ، نوف : أي نوفر لهم ثواب أعمالهم من الصحة والسرور في المال والأهل والولد وهم فيها لا يبخسون أي لا يمسخون أي لا ينقصون تعرفون . بارك الله فيكم . حينما آلى النبي صلى الله عليه وسلم من نسائه شهراً أي حلف

تألى ابن أوس حلقة ليردني إلى نسوة كأنهن مثائد

فآلى من نسائه شهراً ثم أشاعوا أنه صلى الله عليه وسلم قد طلق نساءه شيع هذا الخبر وكان بعضهم قد أخذه بالقبول والتسليم وهنا فائدة أيضاً أنه لا ينبغي لنا أن نصدق الشائعات هذه إشاعة أشاعوها وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه

١ - ص ( ٣٢ - ٣٣ ) .  
٢ - مسلم ( ٢٩٥٦ ) .  
٣ - هود ( ١٥ ) .  
٤ - هود ( ١٥ ) .  
٥ - الشورى ( ٢٠ ) .  
٦ - هود ( ١٦ ) .

يأتي يوماً لسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم ويوماً يبقى في ذكاته ليعمل وكان شريكاً لأحد الأنصار فجاء يطرق عليه بعد العشاء بابه قال : **ما لك ؟ أقدمت غسان ؟** وكانوا ينتظرون غزواً من قبل ملك غسان قال : الأمر أشد من ذلك طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فحصل موقف عظيم لعمر فنام حتى أصبح وصلى الفجر ثم أخذ رداءه وانطلق إلى المسجد فجاء والناس في غاية من التساؤلات والحزن بعضهم يتحدث للآخر وبعض ينكت بالعصى وبعضهم يفكر وهو منكس رأسه فلم يجر خطاباً مع أحدهم قال لغلام أسود : استأذن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل الغلام فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فما تكلم بشيء فخرج الغلام قال : **أذن لي ؟** قال : ذكرتك فلم يرد علي شيئاً ثم جلس قليلاً فقال : استأذن لي فذكره فلم يأذن حاول حتى أذن له فدخل فلما دخل جلس عمر وهذا نستفيد منه : أنك إذا رأيت شخصاً مغضباً لا تبدأ تهاجمه في الأمر الذي أتيت من أجله نستفيد هذا من عشرة الصحابة وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته كان مغضباً فما حاوره بشيء وإنما تكلم عن شيء آخر نظر هكذا في حجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث طبعاً في البخاري ومسلم ونظر إلى جسد الرسول صلى الله عليه وسلم فكان قد أثر فيه الحصار ثم أجال النظر فلم ير إلا شيئاً معلقاً من الشعر فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال : يا رسول الله . وهذا موطن الشاهد . إن فارس والروم معهم من الدنيا كذا وكذا وأنت رسول الله تنام وقد أثر على جسدك الحصار فادعوا الله أن يوسع على أمتك فابتسم صلى الله عليه وسلم وقال : **أو في شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟** ( ١ ) فهذا هو موطن الشاهد . وتمة القصة من باب الفائدة أنه أيضاً ما هاجمه بعد هذه الإشارة وإنما حاول أن يداعب الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء من الخير قال : يا رسول الله إنا كنا قوماً نغلب نساءنا يعني في مكة فلما أتينا إلى قوم تغلبهم نساؤهم صارت نساؤنا يراجعننا فابتسم الرسول صلى الله عليه وسلم بسمة أشد من التي قبلها فهنا فرصة قال عمر : يا رسول الله **هل طلقت نساءك ؟** قال : لا فقال عمر : الله أكبر وخرج إلى المسجد وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه وعلى إثر ذلك أنزل الله : (( وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم )) ( ٢ ) ( ٣ ) فأخذ عمر الفاروق الكلام بسند عالٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي الحديث سيكون إن شاء الله درسنا في الغد والله أعلى وأعلم وأعز وأكرم .

١ - البخاري (٤٦٢٩) ومسلم (١٤٧٩) .

٢ - النساء (٨٣) .

٣ - مسلم (١٤٧٩) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقاة كان في الساقاة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع } ( ١ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : { تعس وانتكس } .

السادسة : قوله : { وإذا شيك فلا انتقش } .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

وفي الصحيح صحيح البخاري والمؤلف ليس له قاعدة مطردة في هذا فربما قال : في الصحيح وكان الحديث في الصحيحين وربما قال في الصحيح ويكون في البخاري وربما قال في الصحيح وهو في مسلم وربما قال في الصحيح

<sup>١</sup> - البخاري ( ٢٧٣٠ ) .

فيكون صحيحاً ليس في الصحيحين وصحيح البخاري هو أصح الكتب بعد القرآن الكريم وقع في هذا الإجماع قال : وفي الصحيح عن أبي هريرة وأبو هريرة حافظ الصحابة وشيخ الإسلام وحافظ الأمة من أهل اليمن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في عام خيبر فعاش مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات فحصل من العلم ما لم يتحصل عليه غيره **لماذا ؟** لتفرغه وحرصه .

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

يروى هذا الرجل العظيم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : { تعس عبد الدينار } تعس تقرأ بفتح العين وكسرهما لغتان مشهورتان بمعنى هلك وخاب وخسر وقوله : { عبد الدينار } أثبت ها هنا العبودية للدينار والدينار من حطام الدنيا والمراد بذلك أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالهلاك والخسارة والشقاوة والنكد على عبد الدينار أي من كان يفرح لمجيئه ويحزن لذهابه فلا يفرح إلا به ولا يعمل إلا له فكان هذا هو الجزء أن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عابد الدينار والمراد بالدينار الدينار الإسلامي الذهبي الذي يساوي أربعة جرامات ونصف قال :

{ تعس عبد الدرهم } والدرهم يكون أحد أجزاء الدينار فكل دينار مائة درهم { تعس عبد الخميصة } والخميصة ثوب من خز أو من صوف وهي أيضاً من الدنيا فهو يعظمها ويحترمها ويقدها أعظم من تقديس أمر الله ورسوله { تعس عبد الخميصة } والخميصة ثياب أيضاً ثوب له خمل ربما يكون فيه من النعومة حتى أنه الآن في بعض المعارض يقول لك : هذا مخمل **لماذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم على من كان هذا حاله ؟** تأمل قال صلى الله عليه وسلم : { تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس . أي انكب على وجهه . وإذا شيك فلا انتقش } أي إذا دخلت فيه شوكة يدعو عليه صلى الله عليه وسلم ألا تخرج منه هذه الشوكة ما دام هذا هو حاله هذا يعني قد ضاق قلبه إلا من الدنيا فهو متسع لها وهي همه ليلاً ونهاراً وقد جاء في الحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من كانت الدنيا أكبر همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة } ( ١ ) .

ها هنا كلام لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة رحمه الله تعالى ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال رحمه الله : قال : فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم وعبد القטיפه وعبد الخميصة وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله : تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذا حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن منع سخط كما قال تعالى :

(( ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون )) ( ٢ ) فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقاً منها برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي وإن لم يحصل سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته فما استرق

<sup>١</sup> - صحيح : الترمذي (٢٤٦٥) وابن ماجه (٤١٠٥) وانظر السلسلة الصحيحة (٩٤٩) .

<sup>٢</sup> - التوبة ( ٥٨ ) .

القلب واستعبده فهو عبده إلى أن قال رحمه الله : وهكذا أيضاً طالب المال فإن ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الأمور نوعان :

فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلب من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوهاً ومنها ما لا يحتاج إليه العبد فهذا ينبغي ألا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً ومعتمداً على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله : { تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميصة } وهذا هو من عبد هذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضي وإن منعه إياها سخط وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحبه الله ورسوله ويغض ما أبغضه الله ورسوله ويوالي أولياء الله ورسوله ويعادي أعداء الله ورسوله فهذا الذي استكمل الإيمان ، انتهى ملخصاً .

الإنسان . بارك الله فيكم . في أصل خلقته مجبول على حب الدنيا كما قال سبحانه :

(( وإنه لحب الخير لشديد )) ( ١ ) هو يحب الخير يحب المال ولكن يجب أن يكون حبه لهذا المال ألا يطغيه بأن ينسى ذكر الله وأن يكون عنده الميزان إن جاء المال فهو راض مطمئن وإن لم يأت هذا المال فعنده من الكرب والسخط بل ربما تجرأ على الله سبحانه وتعالى فهذا أنا أقول أنه رق المال استرقه المال أيما رق كما قال ابن القيم رحمه الله :

هربوا من الرق الذي خلقوا له فلبوا برق النفس والشيطان

وإلا فقد كان من الصحابة من عنده المال من عنده الخيل من عنده التجارة من التابعين أيضاً من أتباع التابعين من أتباع أتباع التابعين وهكذا إلى يومنا هذا هناك من عنده من المال الكثير وهو مقبل على عبادة الله وما استعبده المال وهناك ربما شخص لا يمتلك المال لكنه رقيق لهذا المال مستعد أن يبيع دينه كما في الحديث : { بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا } ( ٢ ) لا حول ولا قوة إلا بالله بعد هذا العرض الذي ذكره لنا الرسول صلى الله عليه وسلم استثنى جنساً وقسماً آخر من الناس هم سادة الأولياء قال عليه الصلاة والسلام : { طوبى لعبد { وعبد نكرة قد يكون عربياً أعجمياً لكنه عبد الله وطوبى اسم للجنة وقيل شجرة في الجنة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري ومسلم : { إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها } ( ٣ ) وهذا الحديث قال ابن كثير حديث متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول صلى الله عليه وسلم : { طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه } هذه الحالة ينفر منها الناس لكن هذا من سادة الأولياء عند الله كما في الحديث : { رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع

<sup>١</sup> - العاديات ( ٨ ) .

<sup>٢</sup> - مسلم ( ١١٨ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٣٠٧٩ ) ومسلم ( ٢٨٢٧ ) بدون لفظ : { يقال لها طوبى } .



في الأبواب لو أقسم على الله لأبره { ( ١ ) } حديث أبي هريرة في صحيح مسلم يقول نبينا صلى الله عليه وسلم : { إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم } ( ٢ ) **ما الفائدة من هذا ؟**

يقول صلى الله عليه وسلم : { طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه { تأمل تعليقه صلى الله عليه وسلم قال : { إن كان في الحراسة كان في الحراسة } يعني إن قال له أمير الجيش : أنت حارس احم حمى الجيش ابق طول الليل حارساً أو في النهار شرقاً أو غرباً ميمنة ميسرة كن حارساً قال : { إن كان في الحراسة كان في الحراسة } لا يهمله ذلك لأنه خرج في سبيل الله مثل حال خالد بن الوليد رضي الله عنه لما كان أميراً في زمن أبي بكر فلما تولى عمر أول شيء نازل خالداً من الإمرة فتنازل خالد بكل هدوء وطيب خاطر قال : [ أنا عبد الله وخارج في سبيل الله ما يعمل من أجل عمر ولا من أجل أبي بكر ] { وإن كان في الساقية كان في الساقية } المراد بالساقية مؤخرة الجيش يعني معنى الحديث : هو يتقلب في مصلحة الجيش على حسب ما يريده الأمير ما يقول : أنا أريد أن أكون رئيس جيش أمير قائد سرية قائد كتيبة لا يهمله ذلك قال : { إن استأذن لم يؤذن له } ليس عنده وجهة ولا شرف ربما إذا جاء إلى الأمير فلان يريد يدخل قال : لا أريد أن أقابله . طبعي جداً . **لماذا ؟** لأنه عبد الله ما فعل هذا لأجل أن يكون له منزلة وشرف { وإن شفع لم يشفع } تعرفون الشفاعة بمعنى التوسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة هذا في الإصطلاح وأما في اللغة فهي : جعل الوتر شفعاً فهذا إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع كما في الحديث الذي في الصحيحين كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر به رجل من فقراء المهاجرين فقال لهذا الذي جالس : { **ما تعدون هذا فيكم ؟** قالوا : هذا حري إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن استأذن ألا يؤذن له ثم مر رجل آخر من أهل الكبر قال : **ما تعدون هذا فيكم ؟** قال : هذا حري أي حق وجدير إن خطب أن ينكح وإن سأل أن يعطى وإن شفع أن يشفع وإن استأذن أن يؤذن له فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لذلك خير من ملئ الأرض مثل هذا { ( ٣ ) } **لماذا ؟**

لأن أواصر الود والقرب من الله عز وجل ليس بالأحساب ولا بالأنساب فنحن قربنا وبعدنا من الله على قدر الطاعة (( إن أكرمكم عند الله أتقاكم )) ( ٤ ) ويقول سبحانه :

(( وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون )) ( ٥ ) فهذا الرجل يتقلب في مصلحة الجيش في مصلحة الجهاد حسب ما تقتضيه المصلحة الحالية وهكذا في أمور كثيرة وهذا أمر مشاهد هناك لو في أمر خروج دعوة إلى الله هناك من الإخوان من نشاهدهم يركب في المؤخرة في المقدمة تقول له اذهب إلى المسجد الفلاني لا يبالي حيث ما توجهه توجهه وهناك من يأمر لا أنا لا أريد أن أمشي هناك أنا أريد أن أمشي كذا وإذا تأخرت السيارة أو حصل له شيء جاء يتنخفر ويتكلم بكلام عجيب جداً وكأنه خارج في سبيل هذا الذي أرسله ولا يدري هذا أنه خرج في سبيل الله سبحانه وتعالى .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى :

١ - مسلم ( ٢٦٢٢ ) .

٢ - مسلم ( ٢٥٦٤ ) .

٣ - البخاري ( ٤٨٠٣ ) .

٤ - الحجرات ( ١٣ ) .

٥ - سبأ ( ٣٧ ) .



قوله : { إن كان في الساقية كان في الساقية } أي في مؤخرة الجيش يقلب نفسه في مصالح الجهاد فكل مقام يقوم فيه إن كان ليلاً أو نهاراً رغبة في ثواب الله وطلباً لمرضاته ومحبة لطاعته قال ابن الجوزي رحمه الله : وهو حامل الذكر لا يقصد السمو يعني ما أحد يقول فلان كذا مش مشهور لا يقصد السمو دائماً في تواضع كما قال سبحانه : (( تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين )) ( ١ ) وكما قال سبحانه : (( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً )) ( ٢ ) هذا آخر الباب وخلاصته أن الناس على قسمين :

قسم يعمل للدنيا فقد استعملوا للدنيا قلوبهم وقسم يعمل للآخرة لا هم له إلا إرضاء الله سبحانه وتعالى

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبينى والعالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائته الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من عباد الصالحين وأن يرفع درجاتنا في المهديين وأن يرينا الحق حقاً فيرزقنا اتباعه والباطل باطلاً فيرزقنا اجتنابه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### باب من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

#### باب من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

أراد بذلك بالعلماء والأمرأ لأنهم . برك الله فيكم . أصل المجتمعات وبصلاح العلماء والأمرأ تصلح البلاد وتفسد أيضاً بفسادهما قال سبحانه : (( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها )) وفي قراءة : (( أمرنا مترفيها )) ( ٣ ) أي جعلناهم أئمة والعلماء هم جهة قضاء والأمرأ ينفذون ما قضى به العلماء وعلى ذلك فسر العلماء قول الله سبحانه وتعالى : (( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم )) ( ٤ ) فالعلماء هم الذين يصدر عن الفتوى في القصاص في القضاء في كل القضاء والأمرأ يتولون تنفيذ ذلك فمن أطاع هؤلاء في أمر فيه معصية لله يكون قد اتخذهم أرباباً من دون الله ويكون فيه مشابهة لأهل الكتاب الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .

قال : من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً والرب هو المتصرف المالك فهذا يعني رفعهم إلى مستوى الربوبية وهم بشر يخطئون ويصيبون ولست متعبداً برأي فلان أو علان وإنما أنت متعبد بأمر الله قال سبحانه : (( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله )) ( ٥ ) .

١ - القصص ( ٨٣ ) .  
٢ - الفرقان ( ٦٣ ) .  
٣ - الإسراء ( ١٦ ) .  
٤ - النساء ( ٥٩ ) .  
٥ - الشورى ( ٢١ ) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟

قال : وقال ابن عباس : [ يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أي عقوبة أقول : قال رسول الله وتقولون : قال أبو بكر وعمر ] هذا استنكار من ابن عباس في خير القرون وأشرفها وذلك أنهم كانوا في موسم الحج ابن عباس يقول للناس تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة إلى الحج لكن أبا بكر وعمر لا يريان ذلك فكان ابن عباس يحتج بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الناس لا يرى ذلك فكان بعضهم يتعصب لرأي أبي بكر وعمر وأبو بكر وعمر هما هما جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا } ( ١ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر } ( ٢ ) وأبو بكر كم له من الفضائل يكفي أن يكون ثاني اثنين إذ هما في الغار ويكفي عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم : { إنه كان فيمن قبلكم محدثون . أي ملهمون . فإن يكن في هذه الأمة فعمر } ( ٣ ) مزاي وفضائل لكن ابن عباس ينكر على يحتج برأي أبي بكر وعمر مطرحاً أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن :

<sup>١</sup> - مسلم ( ٦٨١ ) .  
<sup>٢</sup> - صحيح : ابن ماجه ( ٩٧ ) وأحمد ( ٢٣٣٢٤ ) وابن حبان ( ٦٩٠٢ ) وانظر صحيح ابن ماجه ( ٨٠ ) .  
<sup>٣</sup> - البخاري ( ٣٤٨٦ ) .

قوله : وقال ابن عباس رضي الله عنهما : [ يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر ] قال : يوشك بضم أوله وكسر الشين المعجمة أي يقرب ويسرع وهذا القول من ابن عباس جواب لمن قال له : إن أبا بكر وعمر لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج ويريان أن أفراد الحج أفضل أو ما هو معنى هذا كان ابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب ويقول : [ إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فقد حل من عمرته شاء أم أبى ] لحديث سراقه بن مالك حينما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة فقال سراقه : **يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد ؟** فقال : بل للأبد والحديث في الصحيحين وتعرفون أيضاً أمنية النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : { لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة ولما سقت الهدى } ( ١ ) أي تمنى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون متمتعاً وذلك أنه إذا جاء للعمرة يطوف ويسعى ثم يتحلل يقصر أو يحلق ثم يلبس المخيط فيبقى حلالاً إلى يوم التروية فإذا جاء يوم التروية لبس إحرامه وطلع مع الناس إلى منى فكان بعض الحاضرين يقول : لا وإنما يحج مفرداً أي أنه لا يعتمر وتعرفون العمرة . بارك الله فيكم . واجبة لهذا الحديث : { دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة } ( ٢ ) على القول الصحيح من أقوال أهل العلم فابن عباس رضي الله تعالى عنهما ينكر على قوم تعصبوا لرأي أبي بكر ولرأي عمر لم يتعصبوا لرأي أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو سفيان أو رجل من المسلمين لا تعصبوا و استدلووا برأي سيدي كهول أهل الجنة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الأول الذين مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهما ومع ذلك ابن عباس ينكر أن يكون التعصب لهذين بل لا بد أن يكون الأمر على ما كان عليه زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم **فماذا نقول لحال زماننا وللناس في هذا الزمان ؟** يتعصب لقوم بدون دليل ويا ليتة يحصر ذلك على نفسه بل مقلد ومتعصب ومجتهد في نفس الوقت وهذه آفة والله آفة تفوق كل آفة يوم أن تكون مقلداً متعصباً ومع ذلك تدعو باستماتة إلى هذا الرأي الذي هو لغيرك وليس معك دليل من القرآن من السنة من آثار الصحابة نسأل الله السلامة والعافية .

<sup>١</sup> - البخاري ( ١٥٦٨ ) ومسلم ( ١٢١٦ ) .  
<sup>٢</sup> - مسلم ( ١٢١٨ ) .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : عجت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول : (( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )) ( ١ ) أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك .

ثم ذكر المؤلف قول الإمام أحمد بن حنبل الشيباني وهو أمام أهل السنة رحمه الله تعالى وكان هذا الإمام يضرب به المثل في الإتيان والإقتداء حتى إنه رحمه الله كان يكتب إلى الإمام الشافعي ويقول : لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا تقلد الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا يقول هذا للشافعي رحمه الله تعالى هذا الإمام الجليل يقول : عجت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان ،

العجب يقول العلماء بأنه يأتي بمعنيين الأول : بمعنى الإستحسان عجت من كذا أي استحسنت كذا كما في حديث عائشة في الصحيحين قالت :

{ كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن أو التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله } ( ٢ ) ويأتي التعجب أو العجب بمعنى الإنكار كما في قراءة : (( بل عجت ويسخرون )) ( ٣ ) والمراد بذلك الإنكار فالإمام أحمد ينكر يقول : عجت لقوم عرفوا الإسناد ،

والإسناد : هو سلسلة الحديث أو الرجال التي توصل بالمتن .

كان الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول : الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، وكان الثوري يقول : الإسناد سلاح المؤمن ، وحدث الزهري بحديث مسند فقال له تلميذه ابن عيينة : هات الحديث بلا سند فقال : **أترقى من**

١ - النور ( ٦٣ ) .  
٢ - البخاري ( ١٦٦ ) ومسلم ( ٢٦٨ ) .  
٣ - الصافات ( ١٢ ) .

**غير سلم ؟** وفي قول الله تعالى : (( أو أثارة من علم )) ( ١ ) قال جمع من أهل العلم : المراد بالأثارة الإسناد فهذه الأمة أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم امتازت بالإسناد سلسلة الرجال قافلة الصدق معدن الصدق من الراوي من صاحب الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك في أمة سواها لا في أمة اليهود ولا في أمة النصارى لا يمتلكون أسانيد توصلهم إلى عيسى بل ولا إلى أحبارهم المتبعين لا يصلهم إلى أحد من الحواريين وهكذا أمة اليهود ليس لهم ما يوصلهم إلى موسى بل ولا إلى عزيز ولا إلى واحد من أنبيائهم أو من علمائهم المتبعين فلذلك كان اليهود مغضوب عليهم وكان النصارى ضالين أي يتعبدون لله سبحانه وتعالى بالجهل .

فحفظ الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة دينها وهذا مصداق قول الله عز وجل :

(( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )) ( ٢ ) فالإمام أحمد ينكر على علماء بلده وعلى أهل زمانه يقول : عجبت لقوم عرفوا الإسناد يعني عندك الحديث بسنده وتستطيع أن تصحح أو تضعف قال : ويذهبون إلى رأي سفيان ، وسفيان قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب : ثقة ثبت عدل حجة حافظ إمام ستة ألقاظ عالم كبير من علماء المسلمين رحمه الله رحمة الأبرار كان سفيان الثوري مضرب مثل في الحفظ والزهد والعبادة رحمه الله وهناك رسالة جامعية تناولت ترجمة هذا الإمام الجليل العظيم أعني أبا عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري رحمه الله فالإمام أحمد ينكر على من أخذ برأي سفيان مطرحاً الكتاب والسنة وراء ظهره برأي إمام صوابه أكثر من خطئه ثم قال أحمد رحمه الله والله تعالى يقول :

(( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )) ( ٣ ) **أتدري ما الفتنة ؟** الفتنة الشرك والشرك هو أم المصائب هو أم الفتن وأعلاها وأعظمها وإلا فالفتنة نكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق (( فليحذر الذين يخالفون عن أمره )) ( ٤ ) أي عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تصيبهم فتنة شرك مرض ابتلاءات شيء من الفتن التي أرادها الله سبحانه وتعالى (( أو يصيبهم عذاب أليم )) ( ٥ ) فتنة في الدنيا وعذاب أليم في الآخرة نسأل الله السلامة والعافية .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائناً من كان هذا في زمن عبد الرحمن بن حسن زمن العلماء بل جهابذة العلماء من المسلمين بل من طلبة العلم اليوم من لا يقرأ ولا يطلع ولا يبحث بل يأخذ فكر غيره واجتهاد غيره ويصدر فتاوى ويتعصب لآراء هو عنها أو عن دلائل أصحابها بمعزل فإذا قلت له : الله يقول كذا النبي صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا تستدل عليه بقواعد فقهية أصولية قال : بل قد قال بعضهم قال هكذا قال لنا المشايخ وقلدهم الله ولذمتهم **طيب أفلا حصرت هذا على نفسك ؟ فكيف تكون مقلداً وتكون أيضاً مجتهداً في آن واحد ؟** إن هذا من التناقض بمكان فيقول الشيخ : يجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائناً من كان ونصوص الأئمة على هذا وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الإجتهد التي لا دليل فيها يرجع إليه من كتاب ولا سنة فهذا الذي عناه بعض العلماء بقوله : لا إنكار في مسائل الإجتهد وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب

١ - الأحقاف ( ٤ ) .  
٢ - الحجر ( ٩ ) .  
٣ - النور ( ٦٣ ) .  
٤ - النور ( ٦٣ ) .  
٥ - النور ( ٦٣ ) .

الرد عليه كما قال ابن عباس والشافعي ومالك وأحمد وذلك مجمع عليه كما تقدم في كلام الشافعي رحمه الله الإمام الشافعي كان يقول : إذا وجدت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي عرض الحائط وفي رواية قال : إعلموا أنني قد جنت أو بهذا المعنى وبعض السلف كان يقول : إذا وجدت قولي يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عليه أي لا تجعل قولي يتعارض مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا . بارك الله فيكم . الإمام أبو حنيفة والله در ابن الأمير الصنعاني رحمه الله حينما قال :

على ما جعلتم أيها الناس ديننا	لأربعة لا شك في فضلهم عندي
همو علماء الناس شرقاً ومغرباً	ونور عيون الفضل والحق والزهد
ولكنهم كالناس ليس كلامهم	دليل فيستهدي به كل من يهدي
ولا زعموا حاشاهموا أن قولهم	دليل فيستهدي به كل من يهدي
بل صرحوا أنا نقابل قولهم	إذا خالف المنصوص بالقدح والرد

هذا كلام العلماء قاطبة ما كانوا يسمحون لأحد أن يقلدهم بل كانوا يطالبون الناس أن يأخذوا بما جاء عن الله تعالى أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يربطون الناس بالله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لماذا ؟  
لأنهم يربطونهم بالعصمة فالكتاب والسنة دأمان أبد الدهر بخلافك أيها العالم طالب العلم فأنت أنما أنت أيام كلما ذهب يومك ذهب بعضك .



الحديث : { لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله } ( ١ ) أما اليهود فإنهم اتهموا عيسى بأنه ولد زنا كما قال الله حاكياً عنهم حينما قالوا :

(( يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً )) ( ٢ ) اليهود عليهم لعائن الله يتهمون مريم البتول العذراء بالزنا ويتهمون عيسى بأنه ولد زنا والحق في ذلك أنه عبد الله كما جاء في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل } ( ٣ ) فتأملوا فيما يحكيه نبينا صلى الله عليه وسلم عن أمة النصارى قال عدي بن حاتم رضي الله عنه : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقرأ :

(( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون )) ( ٤ ) وكلمة سبحانه مفعول مطلق تقديره يسبح سبحانه والتسبيح بمعنى التقديس أي إنما أمروا أن يسبحوا الله وأن ينزهوه من النقائص كما قال ربنا في كتابه الكريم :

(( سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين )) ( ٥ ) فقال عدي بن حاتم : فقلت : إنا لسنا نعبدكم قال : { أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ } فقلت : بلى قال : { تلك عبادتهم } الحديث رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني في غاية المرام وهو حديث صحيح بعض أهل العلم يضعفه لبعض أسانيده ولكن بالجملة الحديث يصل إلى رتبة الحسن لذاته لأنه جاء له طرق قوية أوصلته إلى هذه الدرجة درجة الحسن .

فوجد في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أثبت عبادة للأحبار والرهبان للعلماء للأمراء حينما طأوعهم العامة على تحليل محرم أو تحریم حلال فكانت هذه عبادة .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :

وفي هذا الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لقوله تعالى في آخر الآية :

(( وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون )) ( ٦ ) ونظير ذلك قوله تعالى : (( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون )) ( ٧ ) وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من قلدهم لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلد وهو من هذا الشرك ومنهم من يغلو في ذلك ويعتقد أن الأخذ بالدليل والحالة هذه يكره أو يحرم فعظمت الفتنة ويقول : هم أعلم منا بالأدلة ولا يأخذ بالدليل إلا المجتهد وربما تفوهوا بدم من يعمل بالدليل ولا ريب أن هذا من غربة الإسلام قال : كما قال شيخنا رحمه الله في المسائل ولعل المراد بشيخه المؤلف قال : فتغيرت الأحوال وآلت إلى هذه الغاية فصارت عند الأكثر

<sup>١</sup> - البخاري (٣٢٦١) وأحمد (٦٤٤٢) (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم .

<sup>٢</sup> - مريم ( ٢٨ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري (٣٢٥٢) ومسلم (٢٨) وأحمد (٢٢٧٢٧) وابن حبان (٢٠٧) وسنن النسائي الكبرى (١٠٩٧٠) (١١١٣٢) .

<sup>٤</sup> - التوبة ( ٣١ ) .

<sup>٥</sup> - الصافات ( ١٨٠ - ١٨١ ) .

<sup>٦</sup> - التوبة ( ٣١ ) .

<sup>٧</sup> - الأنعام ( ١٢١ ) .



عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال يسمونها ولاية وعبادة الأحرار هي العلم والفقه ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله فقد عمت بها البلوى قديماً وحديثاً في أكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا وقد قال تعالى : (( فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين )) (١) هنا مسألة يذكرها العلماء : **ما حكم من أخذ بما حكم به العلماء علماء السلطان الذين يوافقون ويصححون ما أرادته الحاكم بحق أو بباطل ؟ وما حكم إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى ؟** وحيث أن هذه المسألة من أعظم المسائل في باب المعتقد والناس لهم فيها كلام كثير جداً فحتى لا يحصل شطط أو خطأ أحببت أن أقرأ على مسامعكم ما سطره الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله الذين رسخت أقدامهم في باب العلم وهكذا أيضاً كلام للشيخ محمد بن إبراهيم المفتي للملكة العربية السعودية سابقاً قبل الشيخ ابن باز وهو كلام في منتهى القوة ولكون الوقت لا يتسع فإن شاء الله سبحانه وتعالى نرجؤه إلى يوم آخر عسى الله سبحانه وتعالى أن ييسر والله أعلم وأعز وأكرم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### تفصيل فيمن حكم بغير ما أنزل الله

وهذه القضية من القضايا الكبار التي لا يجوز أن يخوض فيها إلا الكبار لأنها مسألة لها صلة بالعقيدة وينبغي عليها الحكم بإيمان الشخص أو بكفره ولأهمية هذه المسألة فصلها العلماء أيما تفصيل فقد كرر شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله في الجزء السابع صفحة سبعين من كتابه المعروف بمجموع الفتاوى قال رحمه الله :

هؤلاء الذين اتخذوا أحرارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين :

**أحدهما :** أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل قال : فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء .

**الثاني :** أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : { إنما الطاعة بالمعروف } (٢) وهناك رسالة للشيخ الفاضل محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي العام للملكة العربية السعودية في زمانه قبل زمان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى بل هو يعتبر شيخه كان عالماً كبيراً وله طلاب ومن ضمن الآخذين عنه الموجودون في هذا الزمان كالقوزان والعثيمين ابن باز وكان ضريحاً رحمه الله له رسالة بعنوان :

" تحكيم القوانين " وهي رسالة صغيرة لكنها علم خالص مركز من كلام الله ومن كلام رسوله والفهم والنظر الصحيح قال رحمه الله كما في صفحة خمسة إلى ثمانية :

١ - القصص ( ٥٠ ) .  
٢ - البخاري ( ٦٧٢٦ ) ومسلم ( ١٨٤٠ ) .

فانظر كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسوق هذا أخذه من قول الله سبحانه : (( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )) ( ١ ) (( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون )) ( ٢ ) (( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون )) ( ٣ ) قال : ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ولا يكون كافراً بل هو كافر مطلقاً إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة وإما كفر عمل لا ينقله عن الملة ابن عباس الأثر ثابت إليه لا كما يقول أخونا عقيل المقطري أنه منقطع السند الأثر ثابت إلى ابن عباس وتناقله العلماء جيلاً بعد جيل في تفسير قول الله : (( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )) ( ٤ ) قال : كفر دون كفر .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم :

أما الأول : وهو كفر الاعتقاد وهو أنواع فيه تفصيل وأنى لطالب علم أن يفصل هذا التفصيل ما جاء من فراغ هذا جاء من عصارة أفهام وخلاصة نصوص قال :

**أحدها :** أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهذا مما لا نزاع فيه بين أهل العلم فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بين أهل العلم أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجتمعاً عليه أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قطعياً فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة هذا النوع الأول من كفر الاعتقاد .

**الثاني :** ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً لكن اعتقد أن حكم غير الرسول أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقاً أو بالنسبة لما استجد من الحوادث قال : وهذا لا ريب فيه أنه كفر كما يقول بعضهم : قطع يد السارق تشويه فإن كان قد جحد النص الوارد في ذلك : (( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله )) ( ٥ ) يكون كافر كفر أكبر مخرج من الملة أيضاً لو قال هذا تشويه وكوننا نجعل عليه عقوبة مالية يسجن ويعدين يدفع قليل من المال يسمى تأديب هذا أحسن من القطع أيضاً يكفر .

**الثالث :** ألا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله لكنه اعتقد أنه مثله قال : فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافراً الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق .

**الرابع :** ألا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مثل حكم الله ورسوله لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهذا كالذي قبله لا اعتقاد جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه .

**الخامس :** وهو أعظمها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقه لله ورسوله ومضاهاة للمحاكم الشرعية إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملق من شرائع شتى وقوانين كثيرة

١ - المائدة ( ٤٤ ) .

٢ - المائدة ( ٤٥ ) .

٣ - المائدة ( ٤٧ ) .

٤ - المائدة ( ٤٤ ) .

٥ - المائدة ( ٣٨ ) .

كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني وغيرها من القوانين فأى كفر فوق هذا الكفر وأي معصية وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة .

**السادس :** ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها سلومهم ونحن في اليمن نسميها أسلاف وأعراف من ضمنها الهجر والدية يسمونها المحدثشة أحد عشر دية ما أنزل الله بذلك من سلطان يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به عند التنازع إبقاء على أحكام الجاهلية وإعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله فهذه . بارك الله فيكم . ستة أنواع للكفر الإعتقادي كفر اعتقادي فيمن حكم بغير ما أنزل الله وهذا مرجعه إلى القلب فتأمل إلى العالم البصير كيف حقق المسألة ودقق فيها وأخرجها بهذه الصورة المبسطة الموضحة فلله دره ورحمة الله عليه .

**قال :** وأما القسم الثاني : من قسمي الحكم بغير ما أنزل الله وهو الذي لا يخرج من الملة فقد تقدم أن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقول الله عز وجل في قوله رضي الله عنهما كفر دون كفر وذلك بأن تحمله شهوته يعني إما قرابة أو مجاملة أو أعطي مالا قال : بأن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق واعتراف على نفسه بالخطأ ومجانبة الهوى وهذا وإن لم يخرج كفره عن الملة فإنه معصية عظيمة أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة فإن معصية سماها الله كفراً أعظم من معصية لم يسمها كفراً ، هذا ما قاله الشيخ بهذا الاختصار والتبسيط وإلا فكتابه قد ذكر كلاماً كثيراً جداً لكن هذا خلاصته رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

بعد أن ذكرنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكلام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى نذكر كلاماً للشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى كما في كتابه القول المفيد شرح كتاب التوحيد قال رحمه الله : ويستفاد من الحديث يعني حديث عدي بن حاتم الطائي قال : لسنا نعبدهم يا رسول الله قال : { **أليس إذا حرموا عليكم شيئاً حرمتهم وإذا أحلوا لكم شيئاً استحلتهموه ؟** قال : بلى قال : فذلك عبادتكم إياهم } قال : يستفاد من الحديث أن الطاعة بمعنى العبادة عبودية مقيدة .

**ثانياً :** أن الطاعة في مخالفة شرع الله من عبادة المطاع أما في عبادة الله فهي عبادة لله .

**ثالثاً :** أن اتباع العلماء والعباد في مخالفة شرع الله من اتخاذهم أرباباً واعلم أن اتباع العلماء والأمرء في تحليل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

**القسم الأول :** أن يتابعهم في ذلك راضياً بقولهم مقدماً له ساخطاً لحكم الله ورسوله فهذا كفر لأنه كره ما أنزل الله قال : فهو كافر لأنه كره ما أنزل الله فأحبط الله عمله ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر فكل من كره ما أنزل الله فهو كافر .

**الثاني :** أن يتابعهم في ذلك راضياً في حكم الله وعالمه بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد ولكن لهوى في نفسه اختاره كأن يريد مثلاً وظيفة فهذا لا يكفر ولكنه فاسق وله حكم غيره من العصاة عاصي حمله على ذلك شهوة وظيفة مال مجاملة .

**الثالث :** أن يتابعهم جاهلاً فيظن أن ذلك حكم الله فيقسم إلى قسمين :

**هذا الأول** إذا كان راضياً بكفر راضياً ساخطاً لحكم الله كفر بالإجماع ما في أي مشكلة .

**ثانياً :** يتابعهم في ذلك راضياً لكنه يعتقد أن الأفضل والأحسن حكم الله مثل بعض المسلمين اليوم يقول لك : صحيح القرآن والإسلام وحكم الله ورسوله ولكن نحن مجبورين مضطرين مقهورين تقول له : **من الذي حمل البندقية على رأسك إما أن تحكم بكذا وإلا قتلتك ؟** حتى يقال عنك مضطر أو يقال عنك مكره لكن هنا يخاف على الوظيفة يخاف على المنصب يريد أن يرضي من فوقه من ولادة الأمر على أنه لا يجوز له أن يحايي ولا أن يدهن في دين الله لكن هذا ليس بكافر هو على خطر لكن من حيث الميزان الشرعي لا يكفر يكون على معصية .

قال : **الثالث :** أن يتابعهم جاهلاً يظن أن ذلك حكم الله هذا الجاهل ينقسم أمره إلى قسمين :

**الأول :** أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه فهو مفرط أو مقصر فهو آثم لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم .

**ثانياً :** ألا يكون عالماً ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليداً ويظن أن هذا هو الحق فهذا لا شيء عليه لأنه فعل ما أمر به وكان معذوراً بذلك ولذلك ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : { من أفتي بغير علم فإنما إثمه على من أفتاه } ( ١ ) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ووافقه على ذلك الذهبي قال : لو قلنا بإثمته بخطأ غيره للزم من ذلك الحرج والمشقة ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه قال : فإن قال : **لماذا لا يكفر أهل القسم الثاني ؟** أجيب : أننا لو قلنا بكفرهم لزم من ذلك تكفير كل صاحب معصية يعرف أنه عاصٍ لله ويعلم أنه حكم الله .

قال الشيخ العثيمين :

**فائدة :** وصف الله الحاكمين بغير ما أنزل الله بثلاثة أوصاف قال تعالى :

(( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )) ( ٢ ) (( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون )) ( ٣ ) (( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون )) ( ٤ ) واختلف أهل العلم في ذلك فقليل إن هذه الأوصاف لموصوف واحد لأن الكافر ظالم لقول الله تعالى :

(( والكافرون هم الظالمون )) ( ٥ ) وفاسق لقوله تعالى : (( وأما الذين فسقوا فمأواهم النار )) ( ٦ ) أي كفروا .

وقيل : إنها لموصوفين متعددين وأنها على حسب الحكم وهذا هو الراجح بمعنى إن حكم معتقداً أن هذا الحكم أفضل من حكم الله أو مثل حكم الله وسخط على حكم الله فهذا كافر فإن حكم لشهوة لمال لمنصب هنا فسق وظلم قال فيكون كافراً في ثلاثة أحوال هذا أيضاً على ما قاله الشيخ محمد بن إبراهيم فيكون كافراً في ثلاثة أحوال إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله بدليل قوله تعالى : (( أفحكم الجاهلية يبغون )) ( ٧ ) فكل ما خالف حكم الله فهو من حكم الجاهلية بدليل إجماع قطعي أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله فالمحل له والمبيح للحكم بغير ما أنزل الله مخالف لإجماع المسلمين القطعي وهذا كافر مرتد وذلك كمن اعتقد حل الزنا أو الخمر أو تحريم الخبز أو اللبن .

١ - حسن : أبو داود (٣٦٥٧) وابن ماجه (٥٣) وأحمد (٨٧٦١) انظر حديث رقم : ٦٠٦٨ في صحيح الجامع .

٢ - المائدة ( ٤٤ ) .

٣ - المائدة ( ٤٥ ) .

٤ - المائدة ( ٤٧ ) .

٥ - البقرة ( ٢٥٤ ) .

٦ - السجدة ( ٢٠ ) .

٧ - المائدة ( ٥٠ ) .

**ثالثاً :** إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله بدليل قول الله تعالى :

(( ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون )) ( ١ ) فتضمنت الآية أن حكم الله أحسن الأحكام بدليل قول الله تعالى مقررّاً ذلك : (( أليس الله بأحكم الحاكمين )) ( ٢ ) فإذا كان الله أحسن الحاكمين أحكاماً فهو أحكم الحاكمين فمن ادعى أن حكم غير الله مثل حكم الله أو أحسن فهو كافر لأنه مكذب للقرآن ويكون ظالماً إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله أحسن الأحكام وأنه أنفع للعباد والبلاد وأنه الواجب تطبيقه ولكن البغض والحقد للمحكوم عليه حتى حكم بغير ما أنزل الله فهو ظالم .

ويكون فاسقاً إذا كان حكمه بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه مع اعتقاده أن حكم الله هو الحق لكن حكم بغيره لهوى في نفسه أي محبة لما حكم به لا كراهية لحكم الله ولا يضر أحداً به مثل أن يحكم لشخص لرشوة رشي إياها أو لكونه قريباً أو صديقاً أو يطلب من ورائه حاجة وما أشبه ذلك مع اعتقاده بأن حكم الله هو الواجب والأمثل والواجب اتباعه فهذا فاسق وإن كان أيضاً ظالماً لكن وصف الفسق في حقه أولى من وصف الظلم .

قال رحمه الله : وأما بالنسبة لمن وضع قوانين تشريعية مع علمه بحكم الله ومخالفة هذه القوانين لحكم الله فهذا قد بدل الشريعة بهذه القوانين فهو كافر لأنه لم يرغب بهذه القوانين عن شريعة الله إلا وهو يعتقد أنها خير للبلاد من شريعة الله وعندما نقول بأنه كافر فنعني بذلك أن هذا الفعل يوصل إلى الكفر ولكنه قد يكون الواضع له معذوراً مثل أن يغرر به كأن يقال : إن هذا لا يخالف الإسلام أو هذا من المصالح المرسلة أو هذا مما رده الإسلام إلى الناس .

بهذا القدر . بارك الله فيكم . نكتفي وأظن المقصود قد حصل إن شاء الله فهذا هو القول الصحيح في هذه المسألة في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله على هذا التفصيل الذي ذكره العلماء وهذه المسألة ابتلي بها أكثر المسلمين وكذلك أيضاً صغار طلاب العلم المبتدئين ربما يحفظ آية من القرآن الكريم فينزلها على كل حاكم على كل رئيس غير مبال بآثر ابن عباس ولا بفهم العلماء الكبار يريد أن يطبق هذه الآية حسبما علم هذه الآية بعينها كمثال قول الله سبحانه وتعالى : (( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )) ( ٣ ) (( الظالمون )) ( ٤ ) (( الفاسقون )) ( ٥ ) على أنه لو رجع للتفصيل للتفصيل الذي ذكره لكان قد سلم وأيضاً سلم غيره لأن الكفر تكفير الناس ليس راجع إلينا إلى ذوات أنفسنا إنما لا نكفر إلا من كفره الله أو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه مزلة خطيرة وهوة سحيقة انزلق فيها كثير من الناس بسبب عدم رجوعهم إلى الفهم الصحيح من فهم العلماء المتقدمين والمتأخرين الذين لم يدعوا شيئاً من مسائل الدين إلا أفتوا فيها وقالوا فيها والله المستعان والله أعلى وأعلم وأعز وأكرم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١ - المائدة ( ٥٠ ) .

٢ - التين ( ٨ ) .

٣ - المائدة ( ٤٤ ) .

٤ - المائدة ( ٤٥ ) .

٥ - المائدة ( ٤٧ ) .

## باب قول الله تعالى :

(( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً )) ( ١ ) .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

باب قول الله تعالى : (( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً )) ( ٢ ) ،

معنى قول المؤلف : باب قول الله : يعني ما جاء في تفسير هذه الآيات من كلام أهل العلم فهو بوب بالآية المباركة أو بالآيات الموجودة في هذا الباب هذا . بارك الله فيكم . من الترتيب الحسن وهو أن الباب الذي قبل هذا باب " من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله " وهذا الباب فيه الإنكار على من تحاكم إلى غير كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيبينهما التصاق واقتراب وثيق فهنا يستدل المؤلف على هذا الباب بهذه الآية المباركة وما يأتي بعدها من الآيات (( ألم تر )) هذا يسمى استفهام تقرير في الإنكار والتعجب من حال المذكورين (( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك )) الزعم لفظة زعم تستعمل فيمن ادعى دعوى كاذبة لا أساس لها من الصحة ومن البرهان العملي الصحيح كما قيل :

والدعاوي إذا لم تقيموا عليها

بينات أبنائها أدياء

وكلا يدعي وصلاً بليلي

وليلي لا تقر لهم بذاك

فإذا تشابكت دموع في حدود

علم من بكى ممن تباكى

هذا مجرد زعم (( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك )) ( ٣ ) فريق من الناس أجمع أهل التفسير أن هذه الآية وما شابهها نزلت في حق المنافقين . عياداً بالله . يقولون :

<sup>١</sup> - النساء ( ٦٠ ) .

<sup>٢</sup> - النساء ( ٦٠ ) .

<sup>٣</sup> - النساء ( ٦٠ ) .



(( أمنا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك )) عياداً بالله هكذا يقولون لكن عند الواقع العملي هم بخلاف ذلك تماماً (( وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم )) أي إلى أصحابهم وإلى أضرابهم (( قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون )) ( ١ ) قال سبحانه : (( الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين )) ( ٢ ) هؤلاء هم المنافقون حتى أنه جاء في كتب السيرة أن عبد الله بن أبي ريس المنافقين كان يقوم بعد مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خطابة الرسول يقوم ويقول : نحمد الله بعث الله إليكم نبياً وأرسل إليكم رسولاً وأنزل عليكم كتاباً ويمدح في الرسول صلى الله عليه وسلم نفاقاً والله سبحانه وتعالى قد أخبر نبيه بما يحمل هؤلاء من الخبث ومن فساد الطوية

مهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وهذا سببه الحسد والكبر والكذب إذا حسد الرجل إذا بغى الرجل إذا رأى إذا كذب وصل به ذلك والعياذ بالله إلى النفاق عياداً بالله فالله سبحانه وتعالى يقول :

(( ألم تر )) يا محمد (( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا )) هم يقولون هكذا : آمنا بما أنزل إليك من القرآن والأحكام والشرع المبارك (( بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك )) أي على أنبياء بني إسرائيل قال سبحانه : (( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت )) يريدون هؤلاء أن يتحاكموا إلى الطاغوت هذا يتناقض مناقضة جذرية مع ما يقولونه ويزعمونه كيف يقولون آمنا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ثم بعد ذلك يتحاكمون في أمورهم إلى الطاغوت إنه تناقض واضح لا خفاس فيه والطاغوت صيغة مبالغة مشتقة من الطغيان ففيه اعتداء وبغي أيضاً والمراد أنهم لا يريدون أن يتحاكموا إلى كتاب الله ولا إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ثم قال بعدها سبحانه : (( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً )) حتى بين الله سبحانه وتعالى ما المراد بالطاغوت : (( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات )) ( ٣ ) هؤلاء يريدون التحاكم إلى الطاغوت ورأس الطواغيت الشيطان الشيطان هو رأس الطواغيت والطواغيت كثيرة قال العلامة ابن القيم في عبارة جامعة مانعة كما قاله علماء التوحيد والعقيدة : حداثا الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، من معبود كالأصنام ما عبد من غير الله أو متبوع كالأمراء أو مطاع كالعلماء أو متبوع كالعلماء و مطاع كالأمراء فيكون هذا من الطاغوت التحاكم إلى الأسلاف والأعراف والقوانين الوضعية من التحاكم إلى الطاغوت لماذا ؟

لأن هذه القوانين إنما هي من وضع البشر فكان الرد الشديد والإنكار الأكيد من الله تبارك وتعالى على هؤلاء مدعي الإيمان بأن إيمانهم باطل بدليل : (( ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً )) .

١ - البقرة ( ١٤ ) .  
٢ - البقرة ( ١٥ - ١٦ ) .  
٣ - البقرة ( ٢٥٧ ) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في قوله : (( ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً )) يبين تعالى في هذه الآية أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله وأكدته بالمصدر ووصفه بالبعد فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى قال ففي هذه الآية أربعة أمور :

**الأول :** أنه من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى .

**الثاني :** أنه ضلال .

**الثالث :** تأكيده بالمصدر .

**الرابع :** وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى .

قال : فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وما أبلغه وما أدله على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم وبلغه عبده الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وهنا كلام طيب للشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله تعالى أردت أن أقرأه على مسامعكم لما فيه من عمق النظر وقوة الكلام قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان :

فالتحاكم إلى ما أنزل الله داخل في التوحيد والتحاكم إلى غيره من أنواع الشرك لأن من معنى لا إله إلا الله ومقتضاها ومدلولها التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله فإنه قد أدخل بكلمة التوحيد فأخل بمقتضى لا إله إلا الله محمد رسول الله قال : فمدلول الشهادتين أن نتحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله في جميع أمورنا ليس المراد التحاكم في المنازعات فقط بل التحاكم في المقولات والإجتهادات الفقهية أيضاً فلا بد أن نحكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في أقوال المجتهدين ونأخذ منها ما دل عليه الدليل ونترك ما لم يدل عليه دليل ولا نتعصب لرأي فلان أو للإمام فلان فمن تعصب لم يكن متحكماً إلى ما أنزل الله وإلى رسوله وإنما نتحاكم إلى هذا الشخص الذي تعصب له وجمد على رأيه مع مخالفته وهو اجتهد اجتهد فيه لكن إذا خالف الدليل فلا يجوز لنا نتعصب لرأي إمام أو لرأي عالم أو لرأي مفت من المفتين ونحن نعلم أنه مخالف للدليل لكن ذلك العالم معذور لأنه مجتهد ولكنه لم يصادف الدليل فهو معذور وله أجر على ذلك لأن هذا منتهى اجتهداه أما من تبين له أن هذا الاجتهاد غير مطابق للدليل فلا يسعه أن يأخذ بهذه الاجتهاد ولا يجوز له والأئمة ينهاون عن ذلك ينهاوننا أن نأخذ بأرائهم دون نظر إلى مستندها من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا كنا كما سبق في الباب الذي قبل هذا: طاعة العلماء والأمر في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله .

قال : وكذلك التحاكم في المناهج التي يسمونها الآن مناهج الدعوة ومناهج الجماعات هي من هذا الباب يجب أن نحكم فيها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما كان منها متمشياً مع الكتاب والسنة فهو منهج صحيح يجب السير عليه وما كان مخالف لكتاب الله وسنة رسوله يجب أن نرفضه وأن نبتعد عنه ولا نتعصب لجماعة أو حزب أو منهج دعوي ونحن نرى أنه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فالدعاة منهم من هو داعية ضلال فالذي يقصر هذا التحاكم إلى الكتاب والسنة على المحاكم الشرعية فقط غلط لأن المراد التحاكم في جميع الأمور وجميع المنازعات في الخصومات وفي الحقوق المالية وغيرها وفي أقوال المجتهدين وأقوال الفقهاء وفي المناهج الدعوية والمناهج الجماعية



لأن الله تعالى يقول : (( وما اختلفتم فيه من شيء )) ( ١ ) وشيء نكرة في سياق الشرط فتعم كل نزاع وكل خلاف في شيء سواء في الخصومات أو في المذاهب أو في المناهج أو في أقوال الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والقدرية يجب أن نعرف هذا لأن بعض الناس وبعض المنتسبين إلى الدعوة يقصر هذا على التحاكم في المنازعات والخصومات في المحاكم الشرعية ويقول : يجب تحكيم الشريعة ونبذ القوانين نعم يجب هذا ولكن لا يجوز الاقتصار عليه بل لا بد أن يتعدى إلى الأمور الأخرى إلى تحكيم الشريعة في كل ما فيه نزاع سواء كان هذا النزاع بين دول أو كان هذا النزاع بين جماعات أو كان هذا النزاع بين أفراد أو كان هذا النزاع بين مذاهب واتجاهات لا بد من تحكيم الكتاب والسنة نحن نطالب بهذا في كل هذه الأمور أما أن نقصره على ناحية ونسكت على الناحية الأخرى فنقول : النواحي الأخرى دعوا الناس إلى رغباتهم دعوا الناس كل يختار له مذهباً وكل يختار له منهجاً نقول : هذا قصور عظيم لأنه يجب أن نحكم الشريعة في المحاكم ونحكمها في المذاهب الفقهية ونحكمها في المناهج الدعوية لا بد من هذا فلا يجوز لنا أن نقصر كلام الله ورسوله على ناحية ونترك النواحي الأخرى لأن هذا إما جهل وإما هوى كثير من الناس اليوم ينادون بتحكيم الشريعة في المحاكم وهذا حق ولكن هم متنازعون ومختلفون في مناهجهم ومذاهبهم ولا يريدون أن يحكموا الشريعة في هذه الأمور بل يقولون : اتركوا الناس على ما هم عليه لا تتعرضوا لعقائدهم لا تتعرضوا لمصطلحاتهم لا تتعرضوا لمناهجهم اتركوهم على ما هم عليه وهذا ضلال بل هذا من الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر مثل قوله تعالى :

(( أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب )) ( ٢ ) فهذا أمر يجب التنبيه له لأن هذه مسألة عظيمة غفل عنها الآن الكثيرون فالذين ينادون بتحكيم الشريعة إنما يريدون تحكيمها في المخاصمات في الأموال في الأعراض والخلافات بين الناس والأمور الدنيوية دون العقائد والمذاهب ومناسبة عقد هذا الباب في كتاب التوحيد أن التحاكم إلى ما أنزل الله هو من التوحيد والتحاكم إلى غيره شرك بالله عز وجل شرك في الحكم والتشريع ثم قال رحمه الله : . لا بأس أن نتصرف ببعض كلامه وأنا أحاول أنقل المهم منه انتقلت بكلامه من صفحة ١٢٠ من كتابه الجزء الثاني إلى صفحة ١٢٢ . قوله :

(( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت )) قال : الطاغوت مشتق من الطغيان وهو : مجاوزة الحد قال الشيخ الإمام ابن القيم : الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع إلى معصية الله والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة : إبليس لعنه الله ومن عبد وهو راض ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ومن حكم بغير ما أنزل الله ومن ادعى علم الغيب وهذه الخمسة ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة صغيرة قال : هؤلاء رؤوس الطواغيت ومنهم من حكم بغير ما أنزل الله الذي هو موضوع هذا الباب وهم الذين يحكمون ويتحاكمون بغير شريعة الله من القوانين والأنظمة والعادات والتقاليد وأمور الجاهلية والقبلية لأن هناك قوانين وضعية وضعها البشر وهناك عادات وتقاليد في المجتمعات يمشي بعض الناس عليها وهناك أعراف جاهلية بين القبائل يسمونها السلوم وشيوخ القبائل والعوارف كل قبيلة لها عارفة يحكم بينهم إما كاهن وإما ساحر وإما رجل عادي وهذا كله منبوذ وكله مطروح بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ويجب الرجوع إلى كتاب الله

١ - الشورى ( ١٠ ) .

٢ - البقرة ( ٨٥ ) .

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من حكم بغير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مستحلاً لذلك فإنه طاغوت يجب الكفر به ولهذا قال تعالى : (( وقد أمروا أن يكفروا به )) كذلك في قوله :

(( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم )) ( ١ ) فالإيمان بالله لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت فالكفر بالطاغوت ركن الإيمان فلا يصح أن يجمع بين الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت لأن هذا جمع بين نقيضين والله قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله وهذا معنى لا إله إلا الله لأن لا إله إلا الله إيمان بالله وكفر بالطاغوت فقولنا لا إله هذا نفي ينفي جميع المعبودات والطواغيت وقولنا إلا الله هذا إيمان بالله تعالى وحده هذا ما أردت أن أنقله من كتاب الشيخ صالح الفوزان بخصوص هذه الآية المباركة من سورة النساء وهو كلام جيد قوي في بابه لا نزيد عليه على أنه . بارك الله فيكم . كما قال الشيخ هناك من يدعو ويندد وربما أطلق عليه مجاهد يخاطب الناس أن يحكموا شريعة الله سبحانه وتعالى لكنهم فيما يتعلق في باب العقائد والمناهج وهكذا في باب السلوكيات تجدهم في غاية من التفلت في غاية من الابتعاد عن كتاب الله وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم على أن الآية عامة شاملة في كل شيء والواجب على المؤمن الذي هو مؤمن بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر أن يكون محكماً كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في أموره كلها لا يفرق بين حكم وآخر وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وقد ذكر الشيخ محمد جميل زينو في بعض كتبه أن أحد هؤلاء الذين كانوا يدعون إلى تحكيم الكتاب والسنة في المحاكم الشرعية قال :

زرت في بيته فإذا بعمة يعني عم الرجل هذا الذي الرجل متزوج على ابنته قال له : إن الشيخ غضب وتزاعل مع أهله وأخذ الكأس مملوءة بالشاي ورمى امرأته على وجهها حتى إنه عورها عواراً بيناً واضحاً فهذا أيضاً حقيقة مما لا ينبغي إلا أن يكون من باب الخطأ وهو معترف بخطئه والنبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الضرب في الوجه فما بالك بما هو أشد من ذلك وهكذا فيما يتعلق بتربية الأولاد ومناهج التعليم وهكذا أمور السلوكيات والنظر إلى التلفاز وأمر كثيرة جداً جداً الآية عامة شاملة يقول تبارك وتعالى : (( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً )) ( ٢ ) كما أن الآية الثانية يقول سبحانه وتعالى : (( وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً )) ( ٣ ) .

وقوله تعالى :

(( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون )) ( ٤ ) وهذه كلها دعوات باطلة لا أساس لها من الصحة إذ لو كانوا كذلك لما كانوا ينادون ويعرضون عن تحكيم ما أراه الله به من الخير الكثير الذي بعث به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هذا شرح مختصر للآية الأولى وسوف يتبع شرح للآية الثانية وما بعدها يوم غد إن شاء الله وبهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

١ - البقرة ( ٢٥٦ ) .  
٢ - النساء ( ٦٠ ) .  
٣ - النساء ( ٦١ ) .  
٤ - البقرة ( ١١ ) .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في قول ربنا تبارك وتعالى : (( وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً

وتوفيقاً )) ( ١ ) هذه الآية هي تبع للآية السابقة التي بوب المؤلف بهما هذا الفصل واستدل لهذا الباب بآيات هذه هي الآية الثانية وذلك فيما يتعلق بأمر الحكم وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى في القليل والكثير فإن الله سبحانه وتعالى أمر بذلك فيقول جل وعلا : (( وإذا قيل لهم )) أي للمنافقين (( تعالوا إلى ما أنزل الله )) والذي أنزله الله هو القرآن (( وإلى الرسول )) أي إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وهو القائل صلى الله عليه وسلم :

{ أوتيت القرآن ومثله معه } ( ٢ ) ورسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغ من ربه كما قال جل وعلا : (( إن هو إلا وحي يوحى )) ( ٣ ) فكان الناس في هذا فريقين : أما فريق أهل الإيمان والإسلام والإتباع فهم يستجيبون مدعين أي منقادين كما قال الله جل وعلا : (( إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون )) ( ٤ ) وهكذا آيات كثيرة تثبت ذلك (( سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير )) ( ٥ ) استجابة لله ولأمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذا أمر شائع ذائع منقول بالتواتر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمتبعين لهم إلى يوم الدين .

أما الطائفة الأخرى فهم هؤلاء الذين عناهم الله بهذه الآية

(( وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين )) وهذا ليس في ذلك الزمان بل في ذلك الزمان وفيما قد أتى وسيأتي من الأزمان إلى قيام الساعة (( رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً )) والمنافقون جمع منافق قالوا : إنه مشتق من نافقاء وهو أحد منافذ اليربوع وتعريفه اصطلاحاً : من أظهر الإسلام وأبطن الكفر أظهر الإسلام من أجل أن يحقن دمه وماله لكنه أبطن الكفر في قلبه فلذلك كان أخطر من الكافرين الذين أظهروا كفرهم صراحة فلذلك أنزل الله سورة بعنوان سورة المنافقون هذه السورة تحكي ما كان عند هؤلاء من الباطل وفساد الطوية (( إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله )) وهم كذابين (( والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون )) أعوذ بالله

(( اتخذوا أيمانهم جنة )) ( ٦ ) يتستروا بالإيمان والله ما أردنا إلا الحق إلا الخير عياداً بالله

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

يلقاك يحلف أنه بك واثق وإذا توارى عنك فهو العقرب

لا خير في ود امرئ متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب

هؤلاء أظهروا الإسلام لما رأوا قوة الإسلام وما استطاعوا له معارضة ما استطاعوا لهذا الإسلام معارضة واضحة لقللة الناصر ولضعفهم لجئوا إلى الحيلة فعاشوا بين أظهر المسلمين وهم أعداء كما قال الله تعالى : (( ويترصد بكم الدوائر )) ( ١ )

١ - النساء ( ٦١ - ٦٢ ) .

٢ - صحيح : أحمد ( ١٧٢١٣ ) وانظر صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم صفحة ١٧١ .

٣ - النجم ( ٤ ) .

٤ - النور ( ٥١ ) .

٥ - البقرة ( ٢٨٥ ) .

٦ - المنافقون ( ١ - ٢ ) .

وقال : (( لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً )) ( ٢ ) أي فساداً هذا الصنف من الناس صنف خبيث والعياذ بالله لا يخلو منهم زمان حتى أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فيما جاء أنه سمع رجلاً يقول : اللهم أهلك المنافقين بجانب الكعبة فقال له حذيفة : غفر الله لك يا ابن أخي لو أهلك الله المنافقين لاستوحشنا من قلة الصادقين أو من قلة المخلصين فهذا الصنف من الناس يضرب في الإسلام وفي صميم الإسلام من داخله يأمر بالفساد يحب الفساد يود الفساد لكنه يظهر أمام الناس بمظهر الصلاح والخير (( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما مصلحون )) ( ٣ ) هذه دعوى كاذبة لا أساس لها من الصحة وهكذا قال سبحانه : (( فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم )) قال بعض المفسرين : إما مصيبة دنيوية أو مصيبة شرعية إذا حصلت لهم مصيبة دنيوية من الفقر أو الجذب أو مصيبة شرعية كأن علم بهم بعض الناس أو أخبر الله نبيه ببعض ما يخفونه من الباطل (( فكيف إذا أصابتهم مصيبة )) وهذا استفهام يراد به التعجب (( بما قدمت أيديهم )) أي بسبب ما عندهم من الباطل (( ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً )) ما أردنا إلا الخير ما أردنا إلا النصرة هكذا ولكنهم مفضوحون إلى يوم القيامة فمهما تستروا كما قيل :

مهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

عياداً بالله وعلى المؤمن أن يكون مستجيباً كل الاستجابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإلا كان فيه خصلة من خصال النفاق قال ابن القيم رحمه الله :

هذا دليل على أن من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى لا بد أو قال إنه من المنافقين هذا القرآن هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيأبى كل الإباء هذا يخشى أن يكون في قلبه والعياذ بالله مرض النفاق وقد عاش المنافقون زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ينزل صباحاً ومساءً ليلاً ونهاراً ومع ذلك ما اتعظوا ولا اعتبروا **لماذا؟**

لأن الله سبحانه وتعالى علم أنه لا خيرية فيهم ، المؤمن ظهر بإيمانه ، الكافر ظهر بكفره علانية وهذا جبان ما استطاع أن يظهر بمظهر الإيمان الصحيح ولا بمظهر الكفر الواضح ما استطاع فكان والعياذ بالله يتحرق قلبه حينما ينتصر الإسلام أو ينهزم الكفار يتألم قلبه ويفرح إذا أصيب المسلمون أو انتصر الكفار على المسلمين يفرحون عياداً بالله نسأل الله السلامة والعافية .

<sup>١</sup> - التوبة ( ٩٨ ) .

<sup>٢</sup> - التوبة ( ٤٧ ) .

<sup>٣</sup> - البقرة ( ١١ ) .

وقوله : (( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون )) ( ١ ) .

ثم قال المؤلف : وقوله تعالى : (( وإذا قيل لهم لا تفسدوا )) هؤلاء المنافقون أيضاً قد يفسدون والإفساد أيضاً قد يكون حسياً ومعنوياً فالإفساد الحسي كهدم البيوت وقطع الطرقات والسرقة والمعنوي بالمعاصي والذنوب والإلحاد هذا فساد أيضاً (( ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون )) ( ٢ ) هذا أيضاً من الفساد (( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون )) ( ٣ ) قال سبحانه : (( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون )) ( ٤ ) يحكم الله تبارك وتعالى بأنهم أهل فساد وإن قالوا أهل صلاح فمن ادعى دعوى باطلة لا أساس لها من الأحقية كذبة واقعة ومن السهل أن يدعي مدع ما ليس له أو ما ليس فيه لكن سرعان ما يفضح ومن تزيا بغير زيه فضحته شواهد الإمتحان .

١ - البقرة ( ١١ ) .  
٢ - الروم ( ٤١ ) .  
٣ - البقرة ( ١١ ) .  
٤ - البقرة ( ١٢ ) .

وقوله : (( ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها )) ( ١ ) .

وقوله : (( أفحكم الجاهلية يبغون )) ( ٢ ) .

وقوله سبحانه : (( ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها )) على حسب ما تقدم في الإفساد (( وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين )) ( ٣ ) وقوله سبحانه : (( أفحكم الجاهلية يبغون )) ( ٤ ) هذا استفهام أيضاً توبيخي يقول الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء : (( أفحكم الجاهلية يبغون )) ( ٥ ) استفهام يبغي هؤلاء حكم الجاهلية يتحاكمون إلى الطواغيت وإلى الأسلاف والأعراف والسلوم ومعارف القبائل وقد أنزل الله سبحانه وتعالى قرآناً وسنة وهكذا أيضاً في هذا رد على من يريد التحاكم إلى الطواغيت إلى القوانين التي هي من صنع البشر

إن القوانين فوق الناس تحكمهم والله أنزل قرآناً هجرناه

أيضاً هذه من أحكام الجاهلية والجاهلية هي الحالة التي كان الناس عليها قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فهي الجهل والسفه والكفر والاختلال العقائدي المنهجي هي الحياة الفوضوية المليئة بكل ظلم وضلال وباطل فالله ينكر يقول يستفهم :

(( أفحكم الجاهلية يبغون )) ( ٦ ) كيف يريدون حكم الجاهلية وقد بعثنا نبياً وأنزلنا كتاباً وأنقذناكم من الضلالة إلى الهداية كما قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (( وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها )) ( ٧ ) **بماذا الإنقاذ ؟**

١ - الأعراف ( ٥٦ ) .  
٢ - المائدة ( ٥٠ ) .  
٣ - الأعراف ( ٥٦ ) .  
٤ - المائدة ( ٥٠ ) .  
٥ - المائدة ( ٥٠ ) .  
٦ - المائدة ( ٥٠ ) .  
٧ - آل عمران ( ١٠٣ ) .

بالوحي بالقرآن بالسنة قال جل وعلا: (( ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون )) ( ١ ) لا أحد فالله أحكم الحاكمين (( أليس الله بأحكم الحاكمين )) ( ٢ ) حكم سبحانه فعدل وقال فصدق لا ظلم ولا جور بل هو عين العدل عدل في العقيدة في الأحكام في رجم الزاني في جلده في قطع يد السارق في العقوبات الشرعية كلها هذا عين العدل لأنه تبارك وتعالى علم أنه لا حياة سعيدة ولا حياة طيبة إلا بهذه الأحكام (( ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير )) ( ٣ ) وقال تبارك وتعالى في كتابه الكريم على سبيل التفصيل :

(( ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون )) ( ٤ ) أحكام كثيرة جداً كان فيها عين العدل والشفقة والرحمة حينما يرمي الزاني ويجلد الخمار وتقطع يد السارق ويعزر المرتشي ويؤخذ على يد السفيف وتقام المحاكم الشرعية يقرب أهل الصلاح وينبذ أهل الفساد ينبذ الشرك وتنبد البدعة وتنبد المعصية ويقرب أهل الدين والخير والتوحيد هذا كله من الإصلاح في البلاد هذا كله صلاح علم تبارك وتعالى أنه لا صلاح للبلاد والعباد إلا بهذه الأحكام التشريعية وهنا كلام للحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حول هذه الآية من سورة المائدة وهي رقم ٥٠ من سورة المائدة قال رحمه الله تعالى عند هذه الآية : (( أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون )) ( ٥ ) قال :

ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الأهواء والآراء والإصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات كما يضعونها بأيديهم وآرائهم وأهوائهم كما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى : (( أفحكم الجاهلية يبغون )) ( ٦ ) أي يتبعون ويريدون وعن حكم الله يعدلون (( ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون )) ( ٧ ) أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي قال حدثنا هلال بن فياض قال حدثنا أبو عبيدة الناجي قال سمعت الحسن يقول : من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية .

قال : وأخبرنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال : كان طاووس إذا سأله رجل : **أفضل بين ولدي في النحل ؟** قرأ : (( أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون )) ( ٨ ) .

١ - المائدة ( ٥٠ ) .  
٢ - التين ( ٨ ) .  
٣ - الملك ( ١٤ ) .  
٤ - البقرة ( ١٧٩ ) .  
٥ - المائدة ( ٥٠ ) .  
٦ - المائدة ( ٥٠ ) .  
٧ - المائدة ( ٥٠ ) .  
٨ - المائدة ( ٥٠ ) .



وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الخوطي قال حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن حسين عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { أبغض الناس إلى الله من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه } ( ١ ) الحديث في البخاري .

قال : وروى البخاري عن أبي اليمان بإسناده نحوه بزيادة ، الحديث . برك الله فيكم . في صحيح البخاري في البخاري عن ابن عباس عن أبي اليمان بإسناده نحوه بزيادة وتعليق أيضاً للشيخ علي بن سنان قال : ومثل هذا وشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال يقدمونها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به } قال النووي : حديث صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح ( ٢ ) .

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد ، عرف أنه لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود لعلهم يأخذون الرشوة فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه فنزلت : (( ألم تر إلى الذين يزعمون ... )) ( ٣ ) الآية .

وقيل : الآية نزلت في رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت .

الثانية : تفسير آية البقرة : (( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ... )) ( ٤ ) .

الثالثة : تفسير آية الأعراف : (( ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها )) ( ٥ ) .

الرابعة : تفسير : (( أفحكم الجاهلية يبغون )) ( ٦ ) .

الخامسة : ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الإيمان الصادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

١ - البخاري ( ٦٤٨٨ ) .

٢ - قال الألباني في مشكاة المصابيح برقم ( ١٦٧ ) : إسناده ضعيف .

٣ - النساء ( ٦٠ ) .

٤ - البقرة ( ١١ ) .

٥ - الأعراف ( ٥٦ ) .

٦ - المائدة ( ٥٠ ) .



الثامنة : كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال : وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به } قال النووي حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

الصحيح أن الحديث ضعيف في سنده نعيم بن حماد وهو ضعيف في الحديث ولكن المعنى صحيح { لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به } حتى يكون هواه أي ما يهواه وتتجه إليه نفسه وتصبو وتميل إليه من حيث المعنى صحيح .

وقال الشعبي ، وهو عامر بن شراحيل عالم أهل زمانه وكان حافظاً كبيراً وهو الذي تنسب إليه القولة المشهورة :

[ ما كتبت سوداء في بيضاء ] وذلك لشدة حفظه كان حافظاً كبيراً وكان صاحب دعاة رحمه الله قال :

كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود لعلهم يأخذون الرشوة فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحكما إليه فنزلت : (( ألم تر إلى الذين يزعمون )) ( ١ ) وقيل : نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما : نترافع إلى النبي وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله : **أكذلك** ؟ قال : نعم فضربه بالسيف فقتله .

هذا السبب لم يثبت كما نبه عليه الواحدي في كتابه أسباب النزول ليس هذا . بارك الله فيكم . بصحيح لكن بالنسبة للآية (( ألم تر إلى الذين يزعمون )) ( ٢ ) فإنها تتناول من تحاكم إلى الطواغيت إلى القوانين إلى اليهود إلى الكهنة إلى القوانين الوضعية إلى الأعراف والأسلاف فهي عامة شاملة في كل من رغب عن التحاكم إلى ما أنزل الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وبهذا القدر نكتفي والله أعلم .

قال هنا المحقق لكتاب التوحيد وهو محمد العلاوي قال :

صح في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره والطبراني في معجمه والواحدي في أسباب النزول من طريق أبي اليمان صفوان بن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس به وكان أبو برزة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله عز وجل :

(( ألم تر إلى الذين يزعمون ... الآية )) ( ٣ ) قال : وإسناده صحيح وصححه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند من أسباب النزول أما بالنسبة لما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فهو ضعيف بل موضوع قال : علقه البغوي في تفسيره والواحدي والحافظ من طريق الكلبي والكلبي متهم بالكذب وأبو صالح متروك ولم يسمع من ابن عباس هذا . بارك الله فيكم . هو الذي ثبت في سبب هذه الآية وكما تقدم أنها عامة شاملة في كل من صرف التحاكم إلى غير الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

<sup>١</sup> - النساء ( ٦٠ ) .

<sup>٢</sup> - النساء ( ٦٠ ) .

<sup>٣</sup> - النساء ( ٦٠ ) .

**باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات وقول الله تعالى :  
(( وهم يكفرون بالرحمن )) ( ١ ) .**

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :  
باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات وقول الله تعالى : (( وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب )) ( ٢ ) .

هذا الباب من أبواب التوحيد وهو القسم الثالث من أقسامها فقد كان المؤلف رحمه الله تعالى من بداية الكتاب يعقد فصولاً وأبواباً في توحيد الربوبية وهو إفراد الله بخلقه وتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة أو بأفعال العباد فالقسم الأول يسمى توحيد الربوبية والثاني يسمى توحيد الألوهية أو توحيد العبادة وهذا القسم والقسم الثالث يسمى بتوحيد الأسماء والصفات ومعناه : أن لا نصف الله ولا نسويه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله ولا نسويه إلا بما سمي به نفسه أو سماه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل على حد قوله سبحانه : (( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )) ( ٣ ) وهذا القسم من التوحيد حصل فيه خلاف شديد بين أهل الحق وأهل الباطل أعني بأهل الحق المتبعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذين ارتضعوا من وحي الكتاب والسنة الصحيحة وهم العلماء الأفاضل من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر واحد منهم كما قال صلى الله عليه وسلم : { لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة } ( ٤ ) وشذ عن هذا الحق شواذ جانبوا طريقة الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح في باب الأسماء والصفات كالجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي والمعتزلة أتباع

<sup>١</sup> - الرعد ( ٣٠ ) .

<sup>٢</sup> - الرعد ( ٣٠ ) .

<sup>٣</sup> - الشورى ( ١١ ) .

<sup>٤</sup> - البخاري ( ٣٤٤٢ ) ومسلم ( ١٩٢٠ ) .

واصل بن عطاء الغزار والأشاعرة ومن جرى مجرى هؤلاء لكن ذكرت هذه الطوائف الثلاث لكثرتها ولكثرة ضلالها في هذا الباب في باب الأسماء والصفات .

فالجهمية جحدوا الأسماء والصفات والمعتزلة أثبتوا أسماء مجردة عن أوصافها والأشاعرة أثبتوا سبع صفات ونفوا ما سواها وأما أهل السنة والجماعة فهم أحظى الناس وخير الناس وأشرف الناس في هذا المقام فقد أثبتوا لله ما أثبتته لنفسه ونفوا عن الله ما لا يليق بجلاله أو ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم **لماذا ؟** لأنهم مشوا على طريقة القرآن الكريم وعلى فهم السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم جميعاً . فبين المؤلف بهذه الترجمة هذا القسم من أقسام التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات .

فقوله : من جحد ،

الجحد يأتي بمعنى الإنكار جحدني فلان أي أنكرني وهو نوعان :

**بمعنى التكذيب** وهذا كفر جحود بمعنى التكذيب وهذا كفر مخرج من الملة بالإجماع كما إذا قال : ليس لله يد أو ليس مستوياً على عرشه أو أنكر شيئاً من الأسماء أو الصفات حاله كحال من أنكر القرآن كله أو سورة أو آية أو حرفاً يكون كافراً كفاً أكبر مخرجاً من الملة .

**القسم الثاني :** الجحود بمعنى التأويل هذا القسم من أقسام الجحود على فقرتين :

**الفقرة الأولى :** أن يكون لهذا المؤول مسوغ في اللغة العربية هذا المسوغ يتشبه به فهنا لا يكفر لوجود الشبهة أما إذا لم يكن هناك مسوغ وإنما تعمد التأويل وجانب الصواب جانب المعقول والمنقول والعرف واللغة فهذا التأويل يردي بصاحبه إلى الهاوية والعياذ بالله .

فيقول : من جحد شيئاً من الأسماء ،

الأسماء مفرداً اسم وقد اختلف أهل العلم في اشتقاقه فقال قائل : مشتق من السمو بمعنى العلو والإرتفاع وقال قائل : مشتق من السمة بمعنى العلامة والراجح أنه مشتق منهما مشتق من السمة ومن العلامة .

قال : من جحد شيئاً من الأسماء والصفات ،

يعني يريد أن يقول **ما حكم ذلك في شرع الله ؟** فقد تقدم أن من جحد شيئاً من الأسماء ومن الصفات وكان جحوده ناتجاً عن تكذيب فإنه يكون كافراً وإن كان جحوده ناتجاً عن تأويل له مسوغ في لغة العرب يتشبه به فلا يكفر فإذا لم يكن لهذا التأويل مسوغ لغوي أو غيره مما يتعلق به المؤول فهنا يكون هذا التأويل كافراً والعياذ بالله .

ثم استدلل المؤلف رحمه الله وهذا دليل على فقهه استدلل لهذه الترجمة كالدليل للترجمة قال : وقول الله : (( وهم يكفرون بالرحمن )) ( ١ ) هذه الآية تدل على أن من كفر بالرحمن بذاته أو باسمه أو بوصفه فيكون كافراً إن كان كفره ناتجاً عن جحود عن تكذيب عن تأويل ليس له مسوغ فيقول سبحانه : (( وهم يكفرون )) والضمير يعود على كفار قريش (( وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب )) ( ٢ ) وذلك أن المشركين كانوا لا يؤمنون باسم الرحمن على أنه كان اسماً معروفاً في الجاهلية قال الشاعر العربي :

<sup>١</sup> - الرعد ( ٣٠ ) .

<sup>٢</sup> - الرعد ( ٣٠ ) .

فإن يشأ الرحمن يعفو ويطلق

الدليل على ذلك أيضاً ما جاء في صحيح البخاري في صلح الحديبية في العام السادس من الهجرة النبوية أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة معتمراً فاعترضته قريش في مكان يسمى الآن بالشميسي وهو قريب من مكة الأعلام تدل عليه إلى يومنا هذا فتفاوضوا معه على أن لا يتم دخوله هذا العام فقرروا وجاء سهيل بن عمرو الدوسي لكتابة الصلح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو : لا نعرف هذا ، وهذا هو الشاهد ولكن اكتب باسمك اللهم والحديث ثابت في صحيح البخاري من حديث سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه فإن هذا الرجل كان على الشرك في صلح الحديبية لكنه بعد ذلك أسلم وحسن إسلامه وهو الذي ثبت الله به أهل مكة من الردة حينما ارتدت العرب إلا من شاء الله ثباته فقام سهيل بن عمرو خطيباً وكان خطيباً مفوهاً فقال : يا أهل البلدة يا أهل مكة لا تكونوا آخر من آمن من العرب وأول من كفر فثبت الله سبحانه وتعالى أهل وادي مكة بهذه الكلمات اليسيرة فنفع الله به تلك البلاد فرضي الله تعالى عنه وأرضاه فيقول سبحانه :

(( وهم يكفرون بالرحمن )) قال سبحانه : (( قل هو ربي )) يعني هذا من أسماء الرب سبحانه وتعالى (( لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب )) ( ١ ) التوكل بمعنى التفويض وشرعاً : هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنفعة ودفع المضرة ولا ينافي الأخذ بالأسباب .  
قال : (( وإليه متاب )) أصلها متابي بإثبات الياء لكن حذفت تخفيفاً والمتاب بمعنى التوبة أي إليه توبتي كما قال سبحانه :

(( وإنني لغفار لمن تاب )) ( ٢ ) ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده )) ( ٣ ) وهكذا يقول سبحانه : (( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيأ ما تدعوا فله الأسماء الحسنی )) ( ٤ ) واسم الرحمن اسم من أسماء الله الحسنی يقول العلماء : إنه عام الفعل خاص الاسم فلا يتسمى به إلا الله سبحانه وتعالى وأما من حيث الفعل فهو أكثر رحمة من الرحيم إذ أن رحمن صيغة مبالغة على وزن فعلان .

١ - الرعد ( ٣٠ ) .  
٢ - طه ( ٨٢ ) .  
٣ - الشورى ( ٢٥ ) .  
٤ - الإسراء ( ١١٠ ) .

وفي صحيح البخاري : قال علي رضي الله عنه : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ ( ١ ) .

قال : وفي صحيح البخاري قال علي رضي الله عنه : [ حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ ] ، أراد المؤلف بهذا في هذا الباب ألا يحدث الناس بأمور لا تدركها عقولهم كأن تتحدث مع الناس مثلاً بالنزول التنزل الإلهي فالعامي لا يدرك هذا ربما ظن أنه بالنزول الإلهي كانت السماوات فوق الله والله يقول : (( وهو القاهر )) ( ٢ ) ويقول : (( سبح اسم ربك الأعلى )) ( ٣ ) فلا يدرك أن النزول إنما يكون بكيفية يعلمها هو سبحانه وتعالى بل قد حصل من الناس حينما سئل عن هذا عن التنزل الإلهي آخر الليل فقال : فكيف حينما يكون النهار في منطقة وبعد ذلك يكون الليل في منطقة أخرى ثم يعود الليل في المنطقة الأولى والنهار في المنطقة الثانية فكيف يكون هذا هذه تحدث للإنسان بليلة لا يستطيعون أن يفهموها وليس معنى ذلك أننا لا نحدث الناس بما لا يعرفونه يعني لا ينبغي أن تدع الناس جهالاً متمسكين بهذا الأثر [ حدثوا الناس بما يعرفون ] لا تحدثهم إلا بما يعرفون أما ما لا يعرفون فلا ، الناس الأصل فيهم الجهل (( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً )) ( ٤ ) فليس هكذا المراد وإنما المراد أننا نعلم الناس بأشياء نمهد لها ونأخذهم بها رويداً رويداً ونترفق بهم حتى تتقبل نفوسهم هذا الحق قال سبحانه : (( فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك )) ( ٥ ) وهكذا ابن مسعود يقول كما في صحيح مسلم قال ابن مسعود : [ ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ] ( ٦ ) فالناس بحاجة إلى تعليم بل واجب يقول صلى الله عليه وسلم : { طلب العلم فريضة على كل مسلم } ( ٧ ) فلا بد أن يتعلم الناس أمر العقيدة وهو أصل الأصول لا بد أن نعلم لكن كيف ؟ ما هو الأسلوب ما هي الطريقة ؟ ومن الذي يعلم الناس ؟ من الذي يشرح للناس ؟

١ - البخاري ( ١٢٧ ) .

٢ - الأنعام ( ١٨ ) ، ( ٦١ ) .

٣ - الأعلى ( ١ ) .

٤ - النحل ( ٧٨ ) .

٥ - آل عمران ( ١٥٩ ) .

٦ - مسلم ( ٥ ) .

٧ - صحيح : ابن ماجه ( ٢٢٤ ) والطبراني في الكبير ( ١٠٤٣٩ ) انظر حديث رقم : ٣٩١٣ في صحيح الجامع .

إنهم أهل العلم الذين يتبصرون وعندهم من القوة ومن الحجة ما يوصل المعلومة إلى قلب العامي مع سلامة فطرته وعقيدته التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها وهذا القسم من أقسام العقيدة أو التوحيد توحيد الأسماء والصفات ذكر العلماء قواعد في هذا الباب لكثرة الخلاف عند المتأخرين جعلوا في ذلك قواعد منها ينطلق طالب العلم كأمر متفق عليه من هذه القواعد وهو كله مأخوذ من كتاب الله ومن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم .

**القاعدة الأولى :** أن أسماء الله سبحانه وتعالى ليست محصورة بعدد معين هذه قاعدة احفظوها أن أسماء الله ليست محصورة بعدد معين الدليل على ذلك حديث ابن مسعود في مسند أحمد قال النبي صلى الله عليه وسلم : { ما أصاب عبدا هم ولا غم ثم قال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء همي وذهاب حزني قالوا : **أفلا نتعلمهن ؟** قال : بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها وأن يعلم من أراد أن يتعلمها } ( ١ ) والشاهد : { أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك } وكذلك أيضاً حديث الشفاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { فأخر تحت العرش ساجداً فيقول الله محمد إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع قال فيفتح الله علي بمحمد لم أكن أعلمها من قبل } ( ٢ ) أما حديث أبي هريرة في صحيح مسلم : { إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة } ( ٣ ) فهي لا تدل على الحصر بدلالة وهي أنه ما أراد الحصر لو أراد الحصر لقال : إن أسماء الله لكن حينما قال : إن لله هو بمثابة قول الشخص : إن لي ألف دينار أو ألف درهم أعددتها للحج أو للصدقة أو أن لي عشرة من الإبل أريد أن أسافر بها لا يمنع أن يكون عنده غيرها .

**القاعدة الثانية :** أن أسماء الله مترادفة متباينة مترادفة لفظاً متباينة معنى مترادفة لفظاً بمعنى إذا قلنا الله هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر أو قلنا السميع البصير القهار الكبير المتعال هذه أسماء مترادفة لذات واحدة وهو الله سبحانه وتعالى أسماؤه مترادفة من حيث اللفظ لكنها متباينة من حيث المعنى فالسميع يدل على غير ما يدل عليه الحكيم واسم الحكيم يدل على خلاف ما يدل عليه الكبير أو العظيم أو الخلاق أو القوي هذا أمر في حق الله وممكن أيضاً في حق المخلوق على أن المؤولة يمنعون مثل هذا على أنك ممكن تقول : زيد كاتب شاعر سائق ألقا مترادفة لمسمى واحد مع أنها تتباين في المعنى والله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى .

**القاعدة الثالثة :** أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف فليست أعلاماً محضة بخلاف البشر فربما كانت الأسماء محضة وربما كانت على غير ذلك كأن يتسمى رجل بصالح وهو ليس كذلك أو بعلي وهو ليس كذلك أو صادق وهو ليس كذلك فأسماء الله أعلام من جهة دلالتها على الذات وأوصاف من جهة دلالتها على الصفات وأي اسم من الأسماء يدل على الذات وعلى الصفات أيضاً فكل اسم يدل دلالة مطابقة ودلالة تضمن ودلالة التزام فدلالة المطابقة أن يفسر الاسم بجميع معناه وسيأتي ودلالة التضمن أن يفسر الاسم بجزء من معناه ودلالة الالتزام أن يفسر الاسم بعامل خارجي فإذا قلنا مثلاً :

<sup>١</sup> - صحيح : أحمد (٣٧١٢) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢) وانظر السلسلة الصحيحة (١٩٩) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٦٩٧٥) ومسلم (١٩٣) .

<sup>٣</sup> - البخاري (٢٥٨٥) ومسلم (٢٦٧٧) .

الخالق إن أردنا أن نفسرها بدلالة المطابقة فالخالق علم على الذات الإلهية ويدل على صفة الخلق ويدل بالالتزام على أن هذا الخالق قادر لو لم يكن قادراً لما استطاع أن يخلق وعلى أنه عظيم وعلى أنه كبير وعلى أنه سميع وبصير أيضاً وإلا فكيف يكون له هذه المنزلة الشريفة فهذا معنى دلالة التضمن والمطابقة والالتزام .

قال الشيخ العثيمين : وهذه القاعدة من أنفع العلوم لمن فهمها فربما استنبط من النص فوائد كثيرة حينما نقول مثلاً : العزيز : اسم علم على الله بدلالة المطابقة ويدل على صفة العزة بدلالة التضمن ويدل بدلالة الالتزام وهو عامل خارجي بأنه عظيم وكبير دلالة التزام هذه من أنفع القواعد يفهم أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته . من حيث الصفات تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

**صفات ذاتية :** وهي التي لا تنفك عن الذات الإلهية مثل السميع البصير القدرة القوة .

**صفات فعلية :** وهي التي لها تعلق بالمشيئة والإرادة مثل الاستواء النزول هذه لها اتصال بمشيئة الله سبحانه وتعالى متى شاء فعلها .

**وصفات خبرية :** إذن أقسام الصفات ثلاثة صفة ذاتية وصفة فعلية وصفة خبرية الصفة الخبرية يقول عنها العلماء : هي التي بالنسبة لنا أجزاء وأبعاد مثل الوجه الساق اليد العين ومعنى خبرية أي أنها تثبت عن طريق الخبر وهو الخبر السمعي لا الخبر العقلي من القرآن أو من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القواعد يجب على طالب العلم معرفتها .

**آخر شيء من القواعد :** يقول العلماء : أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء لماذا؟

لأن كل اسم يتضمن صفة وليس كل صفة تتضمن اسماً والصفات كثيرة مثل الاستواء الإرادة الكلام فلا يقال عن الله المريد المتكلم المستوي لا يقال عنه هذا فهذه صفات قواعد في أسماء الله وصفاته وينبغي في مثل هذا أن ينقل الناس عبارات العلماء الكبار للناس لأن باب التوحيد وباب العقيدة لا ينبغي أن يتكلم عنه إلا من فقهه لأنه يتكلم عن أمر من أعظم الأمور ومن أهمها فإذا سمعت كلاماً مدلولاً عليه وفقهته جاز لك أن تبلغه للناس وإلا فالسلامة في السكوت .

وروى عبد الرزاق عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكاراً لذلك ، فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقعة عند محكمة ، ويهلكون عند متشابهه . انتهى ( ١ ) .

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك ، فأنزل الله فيهم : (( وهم يكفرون بالرحمن )) ( ٢ ) .

فيه مسائل :

الأولى : عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك الحديث بما لا يفهم السامع .

الرابعة : ذكر العلة ، أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يتعمد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس رضي الله عنهما لمن استنكر شيئاً من ذلك ، وأنه أهلكه .

قال : وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات ومعنى انتفض أي اهتز جسمه استنكاراً لذلك فقال ابن عباس : [ ما فرق هؤلاء يجدون رقعة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه ] المراد بالمحكم هو ما احتمل معنى واحداً وأما المتشابه فهو ما احتمل عدة معان ووجب على طالب العلم على المسلم أن يأخذ بالمحكم وما اشتبه عليه شيء أعاد علمه إلى الله سبحانه وتعالى ولا ينبغي له أن يتكلف كما قال ربنا : (( قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين )) ( ٣ ) وهذا الأثر . بارك الله فيكم . أخرجه ابن أبي عاصم وذكره الشيخ الألباني في تخريج السنة حديث صحيح أثر صحيح عن ابن عباس .

<sup>١</sup> - مصنف عبد الرزاق ( ٢٠٨٩٥ ) .

<sup>٢</sup> - الرعد ( ٣٠ ) .

<sup>٣</sup> - ص ( ٨٦ ) .



قال : ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله سبحانه وتعالى : (( وهم يكفرون بالرحمن )) ( ١ ) هذا من قول مجاهد وهو مرسل فحكمه الضعف والضعيف لا نشرحه كما هي طريقتنا في التدريس وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### باب قول الله تعالى :

(( يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها )) ( ٢ ) .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى :

باب قول الله تعالى : (( يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثروهم الكافرون )) ( ٣ ) .

بمعنى باب تفسير قول الله أو ما جاء من كلام العلماء حول هذه الآية ما شاء الله هذا من توفيق الله تعالى لهذا الرجل ولتأليفاته يعني يعضد تبويباته بالقرآن أو بحديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا مصداق قوله تبارك وتعالى : (( فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون )) ( ٤ ) .

فيقول : باب قول الله تعالى : (( يعرفون نعمة الله )) ( ٥ ) أي أنهم يعلمونها ويعرفونها حق المعرفة ونعمة يقول العلماء : هذا من إضافة المفرد الذي يفيد العموم نعمة الله نعمة نكرة لكن حينما أضيفت أفادت العموم إذن النعمة ها هنا عامة شاملة الآية هذه هي من سورة النحل وسورة النحل تسمى بسورة النعم عدد الله فيها نعمة البعثة النبوية : (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي )) ( ٦ ) ونعمة خلق الإنسان والنعمة التي من الله بها على عباده من الحيوانات الحليب اللحوم الأوبار فهي سورة ضمنها الله سبحانه وتعالى هذه النعم فكثير من العلماء أخذوا بأن المراد بالنعمة هنا الإسلام وبعضهم يقول : بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبعضهم يقول : النعم التي ذكرت قبلها وكون حصل إضافة إلى كلمة نعمة فهي تدل على العموم فتفسر هذه النعمة بنعمة الإسلام ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم بجميع النعم التي أسداها الله سبحانه وتعالى علينا (( فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً

١ - الرعد ( ٣٠ ) .  
٢ - النحل ( ٨٣ ) .  
٣ - النحل ( ٨٣ ) .  
٤ - الجاثية ( ٦ ) .  
٥ - النحل ( ٨٣ ) .  
٦ - المائدة ( ٣ ) .

وزيتوناً ونخلًا)) ( ١ ) (( يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ))  
 ( ٢ ) نعم كثيرة فالله تبارك وتعالى ينكر على قوم من الناس عرفوا النعمة لكنهم والعياذ بالله ينكرونها ويضيفونها لغير الله  
 تبارك وتعالى الله هو الذي أنعم وهو الذي من وأنت تجعل معه شريكاً في ربوبيته أو في ألوهيته فتضيف النعمة لغير الله هذا  
 من الجحود ومن النكران ومن الكفر أيضاً إذا كان قد أسدى الله تبارك وتعالى عليك نعمة ثم أنت تضيفها إلى غيره هذا  
 تنقص وسوء أدب لو أن أباً من الآباء أعطى لابنه قلماً على أن الأب يعطي لابنه أكثر من ذلك لكن الابن ما شكر أباه على  
 القلم شكر أخاه أو أمه على القلم أو شكر شخصاً آخر **لماذا ؟** لأن الوالد أرسل به مع فلان فهو شكر هذا الرسول الذي  
 أوصل القلم وما شكر الذي منحه القلم هذه نعمة جزئية والله سبحانه وتعالى تفضل بها على هذا فهكذا كم يغضب الأب  
 وربما يدعو على ابنه بشر فكيف إذا كان الله تبارك وتعالى هو الذي خلق وهو الذي رزق وهو الذي أعطى عباده النعم  
 الكبيرة ثم بعد ذلك جعلوا له شركاء وأنداداً يشركونهم في عبادة الله قال تبارك وتعالى : (( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي  
 خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من  
 الثمرات رزقاً فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون )) ( ٣ ) .

١ - عيس ( ٢٤ - ٢٩ ) .

٢ - الإنفطار ( ٦ - ٨ ) .

٣ - البقرة ( ٢١ - ٢٢ ) .

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي .

وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا .

وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا .

ثم قال المؤلف : قول مجاهد ما معناه ومجاهد هو شيخ أهل التفسير الإمام الرباني مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي قال الفضل بن فيمون سمعت مجاهداً يقول : عرضت المصحف على ابن عباس مرات أوقفه على كل آية أو عند كل آية أسأله فيم **نزلت وكيف نزلت ومعناها ؟** وقال سفيان : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وهو مدرسة التفسير في مكة وزيد بن أسلم كان مفسراً لأهل المدينة ومجاهد بن جبر كان من تلامذة ابن عباس وابن عباس كان في مكة وكذا في الطائف هذا الرجل قال بعض العلماء في ترجمته : نقل عن بعض التابعين قال : كنت إذا نظرت إليه فكأنه حمال أسود وجلف فإذا تكلم فكأن الدر يتناثر من بين يديه أو من بين ثنيتيه ورفعته الله تبارك وتعالى بالعلم

رأيت العلم صاحبه شريف وإن ولدته آباء كرام

وليس يزال يرفعه إلى أن يعظم قوله القوم الكرام

ويحمل قوله في كل أفق ومن يك عالماً فهو الإمام

فبالعلم النجاة من المخازي وبالجهد المذلة والرغام

هو الهادي الدليل إلى المعالي ومصباح يضاء به الظلام

رفعه الله بعلمه وتعرفون تلك القصة التي فيها :

ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى عن الزهري أن الإمام محمد بن مسلم الزهري المعروف بالإمام الكبير قال : قدمت على

عبد الملك بن مروان فقال : **من أين قدمت يا زهري ؟** قال : قدمت من مكة قال : **من خلفت على أهل مكة ؟**

قال : قلت : عطاء بن أبي رباح فكان يسأله : **أهو من العرب أم من الموالي ؟** سأله عن بلد كثير في آخر سؤال ذكر واحد أو اثنين من العرب فقال عبد الملك بن مروان لما ذكر له واحد أو اثنين فرجت عني يا زهري والله لتسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها قال : قلت : يا أمير المؤمنين . وهذا موطن الشاهد . إنما هو دين الله من حفظه ساد ومن ضيعه سقط هذه عبارة تكتب بماء الذهب هذا الإمام الجليل كثير العلم رفيع القدر يفسر هذا قال :

هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي رجل ورث عن أبيه عن عمه عن أحد أسرته الذين يرث منهم فريضة أو تعصياً أو بالولاء أو بالرحم يقول : هذا ما ورثته عن آبائي .

مراد مجاهد بن جبر أنه يقول هذا معتقداً أنه من فلان أو بسبب فلان العلماء لهم كلام في هذا وكلامهم من وجهين يعني بالتفصيل : قالوا إن كان هذا الكلام عن طريق الخبر وكان هذا محققاً فلا بأس أن يقول هذا أورثته من آبائي وكما قال عون بن عبد الله يقولون : لولا فلان لم يكن كذا لولا الكلب لأتانا اللصوص لولا السلاح لتقدم منا العدو إن كان عن طريق الإخبار ويعتقد أن المؤثر هو الله سبحانه وتعالى لا حرج في ذلك وهذا مثل ما سأل العباس النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله كان عمك أبو طالب يحوطك بنصحه فهل نفعته بشيء قال : { هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار } ( ١ ) الحديث رواه مسلم وهذا مثل قول الدارقطني : لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا أتى وقول تلك المرأة أظنها الخنساء لما قالت :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

وكذلك ما ذكره ابن القيم مدحاً في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قال رحمه الله تعالى :

أولئك أتباع النبي وحزبه ولولا هموا ما كان في الأرض مسلم

ولولا هموا كادت تميد بأهلها ولكن رواسيها وأوتادها هموا

ولولا هموا كانت ظلاماً بأهلها ولكن هموا فيها بدور وأنجم

فإذا كان من هذا القبيل يعني لولا الدكتور فلان كانت تأخرت العملية لولا فلان ساعدني في المعاملة يعني كذا لا بأس إن كان عن طريق الإخبار وكان الخبر محققاً صدقاً فلا بأس به على أن المؤثر هو الله أما إذا كان هذا الشيء يضاف إلى السبب وتجعل السبب هو المسيطر والمؤثر فهذا يكون من الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة وهو مثل قول المشركين : هذا بشفاعه آلهتنا كان المشركون إذا نزلت الأمطار يقولون أنزلتها العزى أو الشعري أو مناة فهذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله فلو قال : لولا حذاقة الدكتور وكان يعتقد أن الدكتور هو الكل في الكل هو المؤثر وهو المتسبب وهو المتفضل وهو الذي به تم كل شيء كفر فلو قال : لولا الدكتور حظر وكذا فكان سبب بعد الله سبحانه وتعالى ويعتقد أن الله هو المؤثر وهو النافع وهو الضار وهو على كل شيء قدير الكلام سليم مائة في المائة ما في أي غبار عليه .

<sup>١</sup> - البخاري (٣٦٧٠) ومسلم (٢٠٩) .

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : { أن الله تعالى قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر } ( ١ )  
الحديث . وقد تقدم : وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به .  
قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً ، ونحو ذلك مما هو جار على السنة كثير .  
فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جار على السنة كثير .

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة .

الرابعة : اجتماع الضدين في القلب .

وقال أبو العباس أبو العباس تعرفونه علم والعلم لا يعرف أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله بعد حديث زيد بن خالد  
وهذا الحديث مر بنا كثيراً في البخاري قطعه البخاري في أكثر من باب حديث زيد بن خالد الجهني { أن الله تبارك وتعالى  
قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر } الحديث وقد تقدم .  
وهكذا من عادات المحدثين أنهم يقطعون الحديث أي إلى آخره { أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر من قال مطرنا بفضل  
الله وبرحمته قال الله فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب } إذا كان  
يعتقد أن الكوكب هو المؤثر على أنه قد تقدم لنا أنه إذا كان النجم عبارة عن علامة وأماراة لا أن النجوم هي التي تؤثر  
بذاتها فلا بأس من هذا القول أما إذا نسب وأضيف الخير المطر الغيث الرحمة إلى هذا الكوكب فهذا يتناول الحديث  
بلفظه { كافر بي ومؤمن بالكوكب } كفر أكبر مخرج من الملة .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٩٩١ ) ومسلم ( ٧١ ) .

قال : وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف أنعامه إلى غيره ويشرك به وقال بعض السلف :  
والسلف لغة من تقدمك من آبائك موتاً كما في حديث عائشة : { أنتم لنا سلفاً ونحن لكم خلفاً } واصطلاحاً : هم  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة ويصح إطلاق هذا اللفظ على كل من التزم  
مذهب السلف ولا بأس أن تقول أنا من السلف قال ابن تيمية : ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتز  
به .

قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً هذا في البحر كانت الريح هادئة والملاح سمي ملاحاً  
لملازمته المياه المالحة لأن ماء البحر مالح فيسمونهم ملاحاً قال : هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً ونحو  
ذلك مما هو جار على ألسنة الكثير والواجب في مثل هذا أن يقولوا أن يضيفوا السلامة والنجاة لله أن يقولوا مثلاً : هو  
الذي سخر لنا هذا هو الذي جعل الريح طيبة وسخر الله لنا بهذا القائد الطيب المحنك الله هو الذي سخر وهو الذي هيأ  
فهنا لا حرج أما أن تضاف هذه إلى المخلوق ناسياً أو متناسياً الخالق تبارك وتعالى فإن الإنسان قد يؤاخذ من خلال كلامه  
العاري عن التوحيد أو الهاشم لركن التوحيد وهكذا . بارك الله فيكم . يجب على العباد أن يكونوا دائماً متلمسين رضا الله  
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على مثل هذا قال صحابي : ما شاء الله وشئت قال : { أجعلتي لله نداً ؟  
قل ما شاء الله وحده } ( ١ ) وقالت جارية : وفيما رسول الله يعلم ما في غد قال : { لا قلولي كما كنت تقولين من قبل } ( ٢ )  
وهكذا ما شاء الله وشاء محمد قال :

{ قولوا ما شاء الله وحده } ( ٣ ) عبارات كثيرة جداً النبي صلى الله عليه وسلم يقوم اعوجاج أصحابه في حياته ويحافظ  
ويحمي حمى التوحيد لأنه . بارك الله فيكم . من أصل الأصول ومن أعظم الأمور أن يكون الشخص موحداً لله سبحانه  
وتعالى على أن العوام مساكين فلو سمعت واحداً يقول مثل هذه الألفاظ حاول أن تترفق به وأن تبين له أن هذا لا يجوز  
لأن العوام مساكين في قلوبهم تعظيم الله سبحانه وتعالى وكونهم يأتون ببعض الأشياء ببعض الخرف والبدع والخرافات إنما  
الإثم على من أفتاهم فهم أتباع كل ناعق مساكين فلا بد أن تكونوا رحماء بهم مش تسمع واحد من هؤلاء  
يقول : لولا الله وفلان أنا ما معي إلا الله وأنت وتنزل عليه الآيات والأحاديث التي فيها إعلان الحرب على من كفر بالله  
تبارك وتعالى مثل هذا ترفق به وعلمه وكن رحمة أهل السنة هم أرحم الناس بالخلق كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ويذكر  
الله تبارك وتعالى عن سيدنا الخضر عليه السلام قال : (( آتينا رحمة من عندنا )) ( ٤ ) فلا بد أن يكون الدعاة من طلاب  
العلم في قلوبهم رحمة ولا تنزع الرحمة إلا من شقي فإذا عرف العامي هذا أنك تخاف عليه من النار والله لاستجاب لك  
وانقاد لك وعلم أيضاً أنك تدعوه الله لا تريد منه جزاء ولا شكوراً والله إنه يدعك لك وهذا أمر مجرب قال تعالى : (( اتبعوا  
من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون )) ( ٥ ) فإذا كنت لا تسأل فيه شيئاً وعلم أنك إنما تدعوه الله تبارك وتعالى اقتنع بدعوتك

١ - صحيح : سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٤) وانظر تحذير الساجد صفحة ٩٠ .

٢ - البخاري (٣٧٧٩) .

٣ - الحاكم (٥٩٤٥) والطيالسي (٤٣٠) وعبد الرزاق (١٩٨١٣) .

٤ - الكهف ( ٦٥ ) .

٥ - يس ( ٢١ ) .

واستجاب لما تدعوه إليه من الخير وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وأخذ بنواصينا جميعاً للبر والتقوى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### باب قول الله تعالى :

(( فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون )) ( ١ ) .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

باب قول الله تعالى : (( فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون )) ( ٢ ) .

بمعنى أنه يذكر ما فسر العلماء به هذه الآية المباركة من سورة البقرة وأولها بقول المولى تبارك وتعالى : (( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون )) ( ٣ ) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (( فلا تجعلوا لله أنداداً )) ( ٤ ) قال : أي عدلاء وشركاء وهذا هو المراد بقوله أنداداً وأما لا فهي تعتبر لا الناهية التي تجزم الفعل المضارع ومعنى الآية : أن الله تبارك وتعالى نهى وحرم على العباد أن يتخذوا أنداداً والأنداد جمع ند وهو الشبيه والنظير فلا تجعلوا له أنداداً في ربوبيته تسونه بالله يخلق كخلق الله ولا في ألوهيته تصرفون له شيئاً من العبادة ولا في أسمائه وصفاته تعطونه من الأسماء والصفات التي لا تليق إلا بالمولى جل وعلا هذا هو معنى الآية المباركة وهذه الآية وما شابهها في هذا الباب هي من أهم أنواع التوحيد التي ينبغي للعبد المسلم أن يحرص عليها وهو أن يعرف أن التوحيد بأقسامه الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات لا يكون هذا إلا حقاً لله سبحانه وتعالى ربوبية وألوهية وتمجيداً وتعظيماً في باب الأسماء والصفات .

١ - البقرة ( ٢٢ ) .

٢ - البقرة ( ٢٢ ) .

٣ - البقرة ( ٢١ - ٢٢ ) .

٤ - البقرة ( ٢٢ ) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية : الأنداد : هو الشرك ، أخفى من ديب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلاناً ، هذا كله به شرك ، رواه ابن أبي حاتم ( ١ ) .

ثم قال المؤلف: قال ابن عباس في الآية: [ الأنداد هو الشرك ] ، وقد تقدم لكم إيش المراد بذلك جمع ند وهو الشبيه والنظير فهذا من الشرك إذا اتخذ العبد هؤلاء الأنداد من دون الله كان مشركاً إذا دعا غير الله أو صرف شيئاً من العبادة لغير الله إذا اعتقد أن فلان يستطيع أن يخلق أو يرزق أو يمنع أو يمنح أو يعطي يكون هذا شركاً والعياذ بالله .

قال : الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل بمعنى أن الشرك قد يكون خفياً وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : { اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفر لك لما أعلمه } فالشرك قد يكون خفياً لا يدركه العبد قد لا يدركه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يطلب من ربه المغفرة إن كان قد حصل منه شيء من الشرك مع أنه صلى الله عليه وسلم هو رسول رب العالمين هو الذي دعا الناس إلى عبادة الله وترك ما يعبدون من دون الله سبحانه وتعالى حاشاه أن يقع منه شرك .

ثم بين ابن عباس المراد بذلك قال : هو أن تقول : والله وحياتك يا فلان هنا قسم بغير الله لأن الواو هذه واو القسم الواو والباء والتاء من حروف القسم وتمتاز الواو أنها أكثر استعمالاً من الباء والتاء .

<sup>١</sup> - ابن أبي حاتم ( ٢٣٠ ) .



قال : وقوله : وحياتي ومن الشرك الخفي أيضاً قوله : لولا كليله هذا لأتانا اللصوص والكلية تصغير كلبة وقد تقدم لنا قبل درسين المراد بقوله : لولا فإن كان المراد بذلك الإخبار الصحيح الموافق للواقع فلا بأس من استخدامه واستعماله كما قال الدارقطني : لولا البخاري لما جاء مسلم ولا ذهب وهكذا أيضاً لما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق عمه أبي طالب : { لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار } ( ١ ) وهكذا قول تلك المرأة وهي تنعى إختها وهي الخنساء حينما قالت :

فلولا كثرة الباكين حولي

على إخوانهم لقتلت نفسي

وابن القيم ذكر مدحاً في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :

فلولا هموا ما كان في الأرض مسلم

ومن هذا القبيل فإن كان هذا إنما يريد به الخبر وكان الخبر حقاً فلا بأس من استخدامه أما إذا كان يستخدم هذا اللفظ ويعتقد أن فلان هو الذي سبب وهو الذي أوجد بحذاقته ومهارته وشجاعته ولا يسند الأمور إلى الله تعالى فهذا باب من أبواب الشرك الخطيرة فلا بأس أن تقول : لولا الكلب أو الإضاءة الكبيرة التي على الباب وإلا جاءنا اللص جاءنا السرق من الشر ، إن كنت تخبر بأمر واقع لا بأس باستخدامه أما إذا كنت تعني بذلك أنها هي التي منعت وهي التي صرفت ونفيت ذلك عن الله تبارك وتعالى فهذا يوقعك في الشرك عياداً بالله ومثله أيضاً لولا البسط في الدار لأتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت هذا من الشرك لأن الواو هذه تقتضي المشاركة والمساواة لكن النبي صلى الله عليه وسلم علمنا أن نقول : ما شاء الله ثم شئت لأن ثم تفيد الترتيب والتراخي بخلاف الواو فإنها تقتضي المساواة والمشاركة . قال : وقول الرجل : لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلاناً هذا كله ذي شرك رواه ابن أبي حاتم وهو عبد الرحمن والحديث حسن أفاد ذلك الدوسري في النهج السديد برقم ( ٢٢٢ ) .

فهذا الذي ذكره المؤلف عن ابن عباس كله يتضمن معنى قوله تبارك وتعالى :

(( فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون )) ( ٢ ) لا تجعلوا له من يكافؤه أو يماثله أو يضارعه أو يشابهه والواجب أن تعيد هذا كله لله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فنواصي العباد كلها بيد الله الوحوش الأسود لا تتصرف هذه إلا بإرادة الله البحر لا يغرق السكين لا تذبج السيف لا يقطع السم لا يضر إلا بإذن من الله الواحد الأحد .

(( والله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً )) ( ٣ ) في كتب التاريخ أن بعض الأمراء غضب على رجل من

الصالحين فكتب إلى السيف ورقة فيها كلمة واحدة

وهي : يقتل والسيف يعرف كيف يتخاطب مع هذه العبارة إن كتبها الأمير نفذت فأراد أن يكتب يقتل فكتب يطلق فأعادوا الورقة إلى الأمير فأراد أن يكتب يقتل فكتب يطلق وهكذا ثالثاً ورابعاً فقال الأمير : والله ما أردت إلا قتله ولكنه يطلق رغم أنفي .

١ - البخاري ( ٣٦٧٠ ) ومسلم ( ٢٠٩ ) .

٢ - البقرة ( ٢٢ ) .

٣ - الفتح ( ٧ ) .

وهكذا ما عمله دعاة الخيانة والماسونية الخفية حينما قرروا في سبعة وعشرين رمضان أن يقتلوا علياً وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان في تلك الليلة خرج معاوية للصلاة في الليل فأراد أن يقتله من أرسل إليه فأخطأ الضربة فجاء في مكان لم يصب بكثير أذى إلا أنه قطع منه عرق الإنجاب فقال : حسبي أن يكون عندي اليزيد وأما علي رضي الله عنه فقتل قتله عبد الرحمن بن ملجم وأما عمرو بن العاص فإنه أصيب في تلك الليلة بإسهال فما خرج فخرج مولاه خارجة للصلاة فقال أولئك : أردنا عمرواً وأراد الله خارجة وكان مثلاً إلى الآن في كتب التاريخ : أردنا عمرواً وأراد الله خارجة **من الذي تصرف بهذا ؟** إنه الله تبارك وتعالى وهكذا ما كان من شأن فرعون وما أراد به من الكيد والمكر بموسى وما أراد كفار قريش من الفتك برسول الله ولكنهم لم يستطيعوا لأن الله يقول : (( والله يعصمك من الناس )) ( ١ ) وهكذا ما فعله الكفار من إحراق إبراهيم وما استطاعوا وقصة الغلام الولي الذي أعيا ذلك الملك أن يقتله قال له : إنك لست بقاتلي حتى تعمل ما أمرك به تصلبني في جذع شجرة ثم تأخذ سهماً من كنانتي ثم تضع السهم في كبد القوس ثم تقول : بسم الله رب الغلام فإنك إن فعلت ذلك قتلتي فإذا بالملك بعد أن أعياه قتله أرسله مع جنود إلى قمة جبل ومع ذلك يكفيه الله شر أولئك القوم بما شاء فيعود ماشياً إلى الملك قتل وكانت قتلته شهادة وضحي بنفسه من أجل حياة أمة أسلم الناس لأن الملك لم يقل باسمه وإنما باسم رب الغلام وكان الناس يعرفون أن للغلام رباً عظيماً قادراً قاهراً غير هذا الملك الذي يزعم أنه رب وهو دجال من الدجاجة ليس برب ولا إله فهذا إن دل إنما يدل على أن الأمور لا بد أن تسند إلى الله تبارك وتعالى أولاً وآخراً وأن يكون العبد مع قدر الله تبرك وتعالى يضيف كل شيء إلى الله كما قيل :

وكل مقدور فما منه مفر

وكل شيء بالقضاء والقدر

واتبع سبيل الناسكين العلماء

فكن له مسلماً كي تسلماً

فما أحوج المسلمين في هذا الزمان وفي غيره أن يسندوا أمورهم كلها لله تبارك وتعالى إن كثيراً من المسلمين صار خوفه من أمريكا وسياسة أمريكا وقوة أمريكا ودهاء أمريكا وإسرائيل وأهل الكفر يعني صار في قلبه الرعب والخوف أعظم من خوفه من الله تبارك وتعالى وكان الأولى أن يقول : الله على كل شيء قدير هو الذي زلزل فرعون واثمود وعاد وهامان وقارون والنمرود ومزق سبأ شر ممزق فهو قادر على كل شيء لا يعجزه أحد من خلقه أمريكا مخلوقة من مخلوقات الله يصابون بالأمراض والأوباء ويصابون أيضاً بالإعصارات والزلازل والفيضانات والجمرة الخبيثة والإيدز والزهرى والسيلان وعندهم من الطامات الكبرى **فلماذا يكون الخوف من أمريكا أعظم من الخوف من الله تبارك وتعالى ؟** كان الواجب أن يكون إسناد الأمر لله تبارك وتعالى وأن يكون الإرضاء لله سبحانه وتعالى لا للبشر لا سيما إن كان البشر هم أعداء الله كأمریکا مثلاً هم نصارى يكفرون بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وإن دعوا إلى التعايش السلمي أو السلام العالمي وما شابه ذلك من الكلام الباطل الكاذب فهم حاقدون على الإسلام وعلى الدين ويودون أن يكونوا هم الموجدون على الكرة الأرضية يطئون بأقدامهم على المسلمين بل وعلى كل الديانات عياداً بالله .

<sup>١</sup> - المائدة ( ٦٧ ) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك } رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم ( ١ ) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً ( ٢ ) .

وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان } رواه أبو داود بسند صحيح ( ٣ ) .

وجاء عن إبراهيم النخعي : أنه يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك قال : ويقول : لولا الله ثم فلان ، ولا تقولوا لولا الله وفلان ( ٤ ) .

ثم روى المؤلف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

{ من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك } الحديث عند الترمذي والحاكم وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأيضاً هو في سنن أبي داود وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع .

وهنا أثر عن ابن مسعود قال : { لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً } وهذا الأثر صحيح رواه الطبراني قال الشيخ عبد الرحمن بن سنان : إسناده صحيح .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان } رواه أبو داود بسند صحيح هذا الحديث صحيح وقد تقدم لنا شرحه لكن فيه فائدة فيه بيان يسر الشريعة وأن الله تبارك وتعالى إذا حرم شيئاً أباح وأحل ما يكافؤه من الحلال وفيه توجيه للعلماء والدعاة

١ - صحيح : الترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٦٠٧٢) والحاكم (٧٨١٤) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥٢) .

٢ - صحيح : الطبراني في الكبير (٨٩٠٢) وعبد الرزاق في المصنف (١٥٩٢٩) وابن أبي شيبة (١٢٢٨١) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥٣)

٣ - صحيح : أبو داود (٤٩٨٠) وأحمد (٢٣٣١٣) وابن أبي شيبة (٢٦٦٩٠) انظر حديث رقم : ٧٤٠٦ في صحيح الجامع .

٤ - رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الصمت صفحة ( ١٩٣ ) .

أن إذا منعوا الناس من شيء وكان هناك من الحلال الطيب أن ينيهوا عليه وهو من باب قوله تعالى : (( لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا )) ( ١ ) عبارة بدل تلك العبارة وهكذا هناك لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان .

قال : وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره : أعوذ بالله وبك .  
والأولى أن يقول أعوذ بالله دون أن يشرك ويجوز أن يقول بالله ثم بك خروجاً من الخلاف يقول : أعوذ بالله.  
قال : ويقول : لولا الله ولا تقولوا لولا الله ثم فلان .

#### فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد .
- الثانية : أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر .
- الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .
- الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس .
- الخامسة : الفرق بين ( الواو ) و ( ثم ) في اللفظ .

#### قال : فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد وقد تقدم وهي قوله :  
(( فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون )) ( ٢ ) .
- الثانية : أن الصحابة فسروا الآية نازلة في الشرك الأكبر وأنها تعم الأصغر وعلى هذا تفسير ابن عباس الذي تقدم لنا بالسند الحسن عند ابن أبي حاتم.
- الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك كما في الحديث المتقدم.
- الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس ولو كان صادقاً .
- الخامسة : الفرق بين الواو و ثم في اللفظ الواو تقتضي المساواة والمشاركة وإن ثم تفيد الترتيب مع التراخي وهذا ما يحصل إلا عند الجهال بعقيدة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس للجهال دواء غير العلم الصحيح المنبثق من الكتاب والسنة كما قال العلامة ابن القيم في نونيته :

أمران في التركيب متفقان

والجهل داء قاتل وشفأؤه

١ - البقرة ( ١٠٤ ) .  
٢ - البقرة ( ٢٢ ) .

نص من القرآن أو من سنة	وطيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث ما لها	من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله	وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه	وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي	جاءت على المبعوث بالقرآن
والله ما قال امرؤ متحذلق	بسواهما إلا من الهذيان

فمن سلك طريق العلم عرف التوحيد من الشرك وعرف السنة من البدعة والطاعة من المعصية والحق من الباطل وتبين له الخير ويجنب الشر لكن الجاهل يمر على هذه الأخطاء فلا يدرك أنها أخطاء والله المستعان وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

### باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

فكلمة باب تتكرر معنا كثيراً وهي في اللغة معناها : هو ما يكون نافذاً من شيء إلى آخر وأما في الاصطلاح والمراد بالاصطلاح : اصطلاح الكتاب والمؤلفين في أي مجال من مجالات العلوم فيريدون بذلك الجملة العلمية المختصة من الكتاب فهو عبارة عن باب من أبواب العلم متكامل .

كما كان علي بن المديني يقول: إن الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه، نقلت هذه العبارة عن أبي الحسن علي بن المديني شيخ الإمام البخاري رحمة الله على الجميع.

وقوله : ما جاء ، ما هاهنا موصولة أي الذي ورد من الأدلة من القرآن أو من السنة أو يراد به الحكم ، باب ما جاء فيمن ، أي ما حكمه ؟ وماذا له أو عليه ؟ فهاهنا يكون المعنى : أي من الإثم ومن النقص في كمال توحيد فيكون معنى الباب : ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله أي من امتنع وأبى أن يقنع فيمن حلف له بالله سبحانه وتعالى قد أكد ذلك بالقسم المؤكدة يكون عند هذا الآخر إخلال في توحيد فيكون توحيد ناقص لأن هذا يناقض كمال التوحيد لما سوف يذكره المؤلف من الدليل لهذه الترجمة والحالف بالله لا يخلو من أمرين اثنين :

**الأمر الأول :** من الناحية الشرعية فإنه يجب الرضا بالحلف بالله بمقتضى الحكم الشرعي من حلف لك بالله رضيت بذلك كما سيأتي في حديث الترجمة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { لا تحلفوا بآبائكم فمن حلف له بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله } رواه ابن ماجه قال المؤلف : بسند صحيح أو سند حسن وحسنه أيضاً الحافظ ابن حجر كما في فتح الباري في الجزء الحادي عشر صفحة ٥٣٦ وصححه الشيخ الألباني كما في إرواء الغليل وصحيح الجامع فهذا هو الأمر الأول أن من حلف لك بالله رضيت

إرض بذلك فإن كان صادقاً فالحمد لله وإن كان غير ذلك فسوف تأخذ حقك رغم أنه يوم القيامة قال النبي صلى الله عليه وسلم لأخيه فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم وإنما هي الحسنات والسيئات نسأل الله السلامة والعافية .

**أما من الناحية الحسية** وذلك ما يكون ظاهراً للمحلو له من الحالف فإن كان الحالف موضع ثقة فوجب عليه أن يرضى فيكون موافقاً للحالة الأولى فإن لم يكن كذلك كأن يكون الحالف ليس موطن وموضع ثقة فهنا المحلو له بالخيار فإما أن يرضى ويحمله ذلك فيصبر ويحتسب وإما أن يرفض هذه اليمين يقول : أنا لا أرضى بها والإسلام يقره والدليل على ذلك حديث القسامي والمراد بذلك أن يوجد قتل لا يدري من قاتله فيدعي عليه رجل أو جماعة فالحكم الشرعي في هذا أن يحلف أهل الدعوى خمسين يميناً فيقبل الطرف الآخر فيدفعون الدية وإما أن يرضى الأولياء بخمسين يميناً من المدعى عليهم فيرضون بذلك هذا ما ذكره الفقهاء في حد القسامي ونحن ليس بصدد هذا الأمر وإنما فيما يتعلق بالرضا وعدمها فبين يدي صحيح البخاري المعروف بفتح الباري شرح صحيح البخاري في هذا الباب ، قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا محمد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار مولى الأنصار عن رافع بن خديج وسهل بن أبي حنيفة أنهما حدثاه أن عبد الله بن سهل ومحبيصة بن مسعود أتيا خبيراً فتنفقا في النخل فقتل عبد الله بن سهل فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحبيصة أبناء مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتكلموا في أمر صاحبهم وكان الذين في خبير هم يهود فبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كبر كبر يريد بذلك أن يبدأ بالكلام الكبير وهذا ما ترجح لدينا أنه في حال الكلام والإشارة أن يكون من قبل الكبير في المجلس إن كان المجلس الجماعة مرتين يكون الكلام من الأسن من الأكبر سناً أو علماً وهكذا فيما يتعلق بأمر الإستشارة أما في مسألة توزيع الشراب أو المياه وكذلك أيضاً السواك يبدأ بالكبير كما في حديث : { كبر كبر } ( ١ ) لكن في مسألة أمور توزيع أمور حسية ماء طعام شراب وغير ذلك فلا بد أن يبدأ بالأيمن فالأيمن كما في حديث : { الأيمن فالأيمن } ( ٢ ) وحديث الأعرابي لما ناول النبي صلى الله عليه وسلم الغلام وكان عن يمينه والأشياخ عن يساره فترك الأشياخ باعتبار أنهم عن يساره وبدأ بالأيمن هنا بدأ عبد الرحمن بن سهل أخو المقتول الذي قتل عبد الله بن سهل لا يدري من قاتله فقال صلى الله عليه وسلم : { كبر كبر } يعني قال يجي ليلى الكلام الأكبر فتكلموا في أمر صاحبهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ أتستحقون صاحبكم أو نبيكم بأيمان خمسين منكم } يعني تحلفون خمسين يميناً وتأخذون دية صاحبكم قالوا : يا رسول الله أمر لم نره وهذا شأن المؤمن وإن كان الأمر أمامه يعني مهياً مائة في المائة لصالحه لكن عنده عدل وإنصاف وما شهدنا إلا بما علمنا قالوا : يا رسول الله أمر لم نره فقال : فترئكم يهود في أيمان خمسين منهم قالوا : يا رسول الله قوم كفار فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله ( ٣ ) .

فهنا أقر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله أو عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحبيصة أبناء مسعود على عدم رضاهم بيمين الحالف وهذا موجود إلى الآن في بعض القبائل يقول لك : خمسين حلاف أو أربعين حلاف وبعدين هذا اليمين إن

١ - البخاري (٣٠٠٢) ومسلم (١٦٦٩) .

٢ - البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢٠٢٩) .

٣ - البخاري (٥٧٩١) .

كان كاذباً كما في الحديث : { يدع الديار بلاقع } ( ١ ) إن كان يميناً فاجراً يمين غموس تغمس صاحبها في الإثم وقيل في النار كما في الحديث الصحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم : { واليمين الغموس التي تدع الديار بلاقع } أي أنها تخرب الديار وتقصر الأعمار فاليمين الفاجرة يعني خطيرة كل الخطر على صاحبها .

حدثنا أن رجلين اشتركا في بقالة وكان الزبائن يكثرون حتى توسعت هذه البقالة وكان لها من الأرصدة الكثيرة ليست في هذه البلدة ولكن في السعودية ثم جحد أحد الشريكين صاحبه وكان الصاحب يمني ليس بيده ورقة ولا شيء وكل شيء باسم الآخر فقال له : ليس لك في البقالة شيء فتوسط عند أصدقاء صاحبه فتشفعوا له وقالوا : مكث معك فترة وكذا فوافق على مضض أن يعطيه مائة ألف ريال سعودي فقال بعد أن أخذ المائة قال : أريد منه اليمين أنه ليس لي شيء معه ولست شريكاً له فقال : احلف فحلف الرجل الآخر حلف له يميناً مغلفة **فماذا كان ؟** أخذ الرجل المائة الألف وانطلق بها وأما الذي حلف على أن البقالة ملكه أصيبت في اليوم الثاني بشرت كهربائي فصارت كالليل الأسود البهيم انتقام الله من الظالمين (( ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون )) ( ٢ ) انتقام الله سبحانه وتعالى ممن ظلم عباده فعلى هذا . بارك الله فيكم . التفصيل يكون تصديق اليمين أو إلغاؤها فإن كان الشخص موضع ثقة إن كان الرجل موضع ثقة وجب عليك أن ترضى وإن لم يكن كذلك فأنت بالخيار فإن كان الأمر واضحاً كل الوضوح وجب عليك أن ترفض كأن يأتي رجل ويحلف أن الحقيبة التي أمامه مثلاً من الخشب وهي من الجلد فهنا لا تصدق لا ينتزل هذا الحديث { ومن حلف له بالله فليرض { شخص فاجر يكسر من الأيمان في السلعة مثلاً والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : { ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم المسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الفاجر أو الحلف الكاذب } ( ٣ ) يحلف أنها بمائة وهي في الخارج بثمانين مثلاً لا تصدقه ولا ترض بهذه اليمين والله تبارك وتعالى يقول :

(( ولا تطع كل حلاف مهين همار مشاء بنميم )) ( ٤ ) وعلى المرء المسلم أن يحفظ يمينه لأن الله يقول : (( واحفظوا أيمانكم )) ( ٥ ) وحفظ اليمين إما أنك لا تحلف أو لا تكسر أو إن حلفت وجب عليك أن تكون صادقاً وإما إن حلفت وحنثت وجب عليك أن تكفر فإنه من حفظ الأيمان .

١ - صحيح : الطبراني في الأوسط (١٠٩٢) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٢٣١) والبيهقي في الشعب (٧٩٧١) انظر حديث رقم : ٥٣٩١ في صحيح الجامع  
٢ - إبراهيم ( ٤٢ ) .  
٣ - مسلم ( ١٠٦ ) .  
٤ - القلم ( ١٠ - ١١ ) .  
٥ - المائدة ( ٨٩ ) .



عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله } رواه ابن ماجة بسند حسن ( ١ ) .

قال المؤلف : وعن ابن عمر ،

وهو عبد الله بن عمر الصحابي الجليل .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا تحلفوا بآبائكم } ،

ولا هاهنا ناهية ولا الناهية هي التي تجزم الفعل المضارع والفعل المضارع هنا تحلفوا مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل آبائكم ، المراد بالآباء جمع أب ويشمل الأب والجد فما فوق وكان الناس على هذا في الجاهلية فجاء الإسلام فأبطلها قال عمر بن الخطاب : أدركني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أحلف وأقول : وأبي فقال صلى الله عليه وسلم : { لا تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت } ( ٢ ) .

قال عمر : والله ما حلفت بذلك استجاب لأمر الله سبحانه وتعالى وما أكثر المسلمين اليوم الذين يقولون : ورأس ابني ورأس أبي هذه كلها عادات جاهلية قضى عليها الإسلام قال صلى الله عليه وسلم : { لا تحلفوا بآبائكم من حلف له بالله فليصدق أو ليكن صادقاً في يمينه } والصدق مطابقة الخبر للواقع كما أن الكذب عكسه والله سبحانه وتعالى يقول : (( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين )) ( ٣ ) ويقول سبحانه : (( فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم )) ( ٤ ) .

والوقت والعمر قصير جداً والواجب على المرء المسلم أن يبنى حياته على الإخلاص وعلى الصدق وأن يكون صادقاً مع الله ومع سنة رسول الله ومع نفسه حتى لا يكذب على نفسه ومع أولاده ومع أهل بيته ومع إخوانه وفي الحديث : { إن

<sup>١</sup> - صحيح : ابن ماجة ( ٢١٠١ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٢٠٥١٢ ) انظر حديث رقم : ٧٢٤٧ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - البخاري ( ٥٧٥٧ ) ومسلم ( ١٦٤٦ ) .

<sup>٣</sup> - التوبة ( ١١٩ ) .

<sup>٤</sup> - محمد ( ٢١ ) .



الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً { ( ١ ) وعلى المرء أن يتساءل مع نفسه **من هو عند الله ؟ أهو من الصادقين أو من الكاذبين ؟** تستطيع أنت من قبل نفسك أن تجيب على هذا السؤال جواباً صحيحاً تعطى عليه الدرجة النهائية لأنك أنت أدري لك أن تسأل فتجيب بأنك مكتوب عند الله صادقاً أو بأنك مكتوب عند الله كاذب **كيف ذلك ؟** أنت أدري إن كنت صادقاً في التزامك حضراً وسفراً خلوة وعلانية تصدق مع الناس في حديثك فاكذب صادقاً وإن كان ليس كذلك فاكذب كاذب أن يحرم الصدق ويدخل في حيل الكذب عياداً بالله كما وضع ذلك العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله .

قال : ومن حلف له بالله فليرض على حسب التفصيل السابق إما أن يرضى وإن حصل منه غلبة الظن ليس يقيناً يرضى ويفوض أمره إلى الله مثل ذلك الأعرابي الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم : { خذ هذا فتصدق به } قال : والله يا رسول الله ما بين لابتها أفقر رجل مني ( ٢ ) ، وحديث الرجل والمرأة الذين تلاعنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قال : { الله يعلم أن أحكما لكاذب **فهل منكم من تائب ؟** } ( ٣ ) قبل النبي صلى الله عليه وسلم ووكل سرائرهم إلى الله سبحانه وتعالى فلك أن ترضى وتأخذ العوض من الله تبارك وتعالى ولك أن ترفض كما رفض عبد الرحمن بن سهل أخو المقتول وحويسة ومحيسة أبناء مسعود رفضوا أيمان اليهود قالوا : قوم كفار **كيف نقبل أيمانهم ؟** فلك أن لا ترضى قال : { ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله } المقام مقام تهديد ووعد ليس من الله سبحانه وتعالى .

وهنا كلام للشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى قال :

أما إذا لم يكن بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه فلا ريب أنه يجب عليه الرضى وأما إذا كان مما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك فهذا من حق المسلم على المسلم أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً متبرئاً من تهمة ومن حقه عليه وأن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه كما في الأثر عن عمر [ ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً ] هو لم يشرح هذه العبارة { فليس من الله في شيء } ولكن معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى تبرأ من هذا ويكون هذا من كبائر الذنوب والآثام أن رجلاً قدوة صادقاً ما علمت عنه كذبة فحلف لك على أمر من الأمور والله والذي نفسي بيده أو قال : أقسم بالله على أمر من الأمور فهنا إذا لم ترض والرجل كما سمع موضع ثقة فلست من الله في شيء أي أن الله تبارك وتعالى يتبرأ ممن كان هذا حاله يتبرأ الله سبحانه وتعالى منه ويكون آثم لأنه رفض يمين يغلب عليها الصدق .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٥٧٤٣ ) ومسلم ( ٢٦٠٧ ) .

<sup>٢</sup> - مسلم ( ١١١١ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٤٤٧٠ ) ومسلم ( ١٤٩٣ ) .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الحلف بالآباء .

الثانية : الأمر للمحلف له بالله أن يرضى .

الثالثة : وعيد من لم يرض .

قال الشيخ : فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الحلف بالآباء وهذا النهي للتحريم كما تقدم .

الثانية : الأمر للمحلف له بالله أن يرضى وهذا على حسب التفصيل .

الثالثة : وعيد من لم يرض وكان الحالف له صادقاً يكون هذا قد أوقع نفسه في باب من أبواب الشر ولا ينبغي للشخص أن يحلف على يمين وهو يرى أنه كاذب ثم بعد ذلك يعني كما يقال : لص محترف يأتي بهذا الحديث ويقول : يا أخي اتق الله النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { من حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله في شيء } وهو يعلم من قرارة نفسه أنه كذاب أشر هذا يجني على نفسه إي والله أنه يجني على نفسه

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلن يهنها وأوهى قرنه الوعل

فالصدق الصدق والإخلاص والإخلاص والمراقبة لله سبحانه وتعالى أمور الدنيا هذه سهلة الدنيا هذه أمرها سهل لكن هناك بين يدي الله سبحانه وتعالى (( يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون )) ( ١ ) نسأل الله السلامة والعافية .

<sup>١</sup> - المجادلة ( ١٨ )

### باب قول ما شاء الله وشئت

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

### باب قول ما شاء الله وشئت

بمعنى ما حكم قول هذه اللفظة ؟

مناسبة هذا الباب أن قول الرجل أو المرأة ما شاء الله وشئت هكذا بالواو التي تقتضي المساواة والمماثلة يعتبر من الشرك الأصغر إذا لم يعتقد المساواة والمشاركة وإذا اعتقد المساواة والمشاركة بهذه الواو فإنه يكون قد أتى باباً من أبواب الشرك الأكبر فهي على حسب نية صاحبها فإن كان ينوي بذلك المساواة والمشاركة من كل وجه بين الخالق والمخلوق ما شاء الله وفلان زيد عمرو من الناس هذا قد أشرك بالله شركاً أكبر مخرجاً من الملة وإن قال : ما شاء الله وشئت وهو لا يريد بذلك المشاركة والمساواة فلا يصل إلى هذا الحد لكنه على خطر إذ أن الشرك الأصغر وسيلة إلى الشرك الأكبر .

عن قتيبة : أن يهودياً أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : { ورب الكعبة ، وأن يقولون : ما شاء الله ثم شئت } رواه النسائي وصححه ( ١ ) .

قال : عن قتيبة ،

وهي صحابية صغيرة اسمها قتيبة بنت صيفي الأنصارية وهي من المهاجرات من مكة إلى المدينة .  
أن يهودياً ،

واليهود هم المنتسبون إلى شريعة موسى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو مأخوذ من قوله : (( إنا هدنا إليك )) ( ٢ ) أي رجعنا أو لأن جدهم الأعلى اسمه هوذا بن يعقوب ثلاثة احتمالات لتسمية اليهود بهذا الاسم .  
أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت ،

وهذا فيه دليل على أن اليهود يعلمون شيئاً من الحق بل على مستوى الشرك الأصغر يدركونه فهذا اليهودي يقول : إنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت وتقولون : والكعبة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت ، رواه النسائي وصححه وهو كذلك حديث صحيح ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ( ١٣٦ ) نستفيد قضايا كثيرة منها :

أن اليهود يفقهون أشياء من الحق ومنها استجابة النبي صلى الله عليه وسلم للناصح وإن كان على غير الملة الإسلامية ما دام أنه قد قال كلمة حق وهذه القاعدة يذكرها العلماء وهو أن ينظر إلى القول لا إلى القائل فبغض النظر عن القائل أهم شيء القول أهو صحيح إن كان القول صحيحاً فيجب الأخذ به بغض النظر عن القائل أو عن الناصح فقد يكون عالماً أو جاهلاً مستقيماً غير مستقيم لكن يقبل قوله على أية حال ودلوا لهذه القاعدة يقول الله تبارك وتعالى حينما قالت ملكة سبأ : (( إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة )) قال الله : (( وكذلك يفعلون )) ( ٣ ) صدق هذه المرأة

<sup>١</sup> - النسائي (٣٧٧٣) والحاكم (٧٨١٥) والطبراني في الكبير (٧) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٤٤٧٠) ومسلم (١٤٩٣) .

<sup>٣</sup> - النمل (٣٤) .

على مقولتها هذه لأنها كلمة حق على أنها كانت كافرة ما كانت قد أسلمت لكنها بعد ذلك أسلمت لله رب العالمين مع سليمان عليه الصلاة والسلام .

**ثالثاً :** أن النبي صلى الله عليه وسلم عدل هذا اللفظ بأخصر ما يكون فلم يقل إذا حلفت إذا أردتم أن تحلفوا فقولوا كذا وإنما أمرهم أن يحلفوا ورب الكعبة .

وفيه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : أن الله تعالى إذا حرم شيئاً أحل ما يكافؤه من الحلال ومن الخير فبدلاً بالشرك يأتي بالتوحيد وبدلاً ما يزيني يأتي بالنكاح الشرعي وبدلاً ما يشرب الحرام أو يأكل حرام أباح الله من الحلال الطيب ما يفوق ذلك الحرام .

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت فقال : { أجعلني لله نداً ، بل ما شاء الله وحده } ( ١ ) .

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمرها رضي الله عنهما قال : رأيت كأنني أتيت على نفر من اليهود قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : عزيز ابن الله قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرتها بها من أخبرتها ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال : { هل أخبرتها بها أحداً ؟ } قلت : نعم قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : { أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان يميني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده } ( ٢ ) .

قال : وله أيضاً أي للنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت فقال : { أجعلني لله نداً ؟ بل قل ما شاء الله وحده } الحديث صحيح كما في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني وقد تقدم لنا مخرجاً مشروحاً .

قال : ولابن ماجه وهو محمد بن يزيد القزويني ويكنى بأبي عبد الله عن الطفيل أخي عائشة لأمرها وهو الطفيل بن سخرية الأزدي قال : رأيت كأنني أتيت على نفر من اليهود . رأى رؤيا منامية والرؤيا حق والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ذهبت النبوة ولم يبق إلا المبشرات } ( ٣ ) { ورؤيا المؤمن جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة } ( ٤ ) { وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً } ( ٥ ) يعني صدق الرؤيا معتمدة على صدق اللسان قال : والرؤيا ثلاث : فرؤيا صالحة بشرى من الله رؤية خير ورؤيا تحزين من الشيطان كما قال سبحانه :

١ - سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٥) .  
٢ - صحيح : أحمد (٢٠٧١٣) والطبراني في الكبير (٨٢١٤) وابن ماجه (٢١١٨) وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٣٨) .  
٣ - صحيح : ابن ماجه (٣٨٩٦) وأحمد (٢٧١٨٥) وابن حبان (٦٠٤٧) انظر حديث رقم : ٣٤٣٩ في صحيح الجامع .  
٤ - صحيح : ابن ماجه (٣٨٩٦) وأحمد (٢٧١٨٥) وابن حبان (٦٠٤٧) انظر حديث رقم : ٣٤٣٩ في صحيح الجامع .  
٥ - البخاري (٦٥٨٦) ومسلم (٢٢٦٣) .

(( إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا )) ( ١ ) ورؤيا مما تحدث المرء نفسه وقت اليقظة الإنسان له طموح آمنيات وأعمال وتفكيرات يفكر بها أو يباشرها فربما نام وهو يفكر بها فتأتيه في المنام .

قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود وقد تقدم لنا تعريف اليهود أما أن يكون مأخوذ من قوله تبارك وتعالى : (( إنا هدنا إليك )) ( ٢ ) أي رجعنا وأما أن تكون نسبتهم إلى هوذا بن يعقوب عليه الصلاة والسلام ، والثالثة : أنهم المنتسبون إلى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام قال : قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزيز بن الله . وعزيز هذا قيل : نبي وقيل : رجل صالح وقيل : من علماء بني إسرائيل والله تبارك وتعالى يقول : (( وقالت اليهود عزيز بن الله )) ( ٣ ) وهو عبد من عباد الله وليس لله ابن فالله تبارك وتعالى يقول :

(( قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد )) ( ٤ ) وقال سبحانه : (( وقالوا اتخذ الله ولداً لقد جئتم شيئاً إداً )) ( ٥ ) أي عظيماً .

قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى والنصارى هم أتباع عيسى سموا بذلك إما لأنهم منتسبون إلى بلدة في فلسطين تسمى الناصرة وقيل : لأنه مشتق من قولهم :

(( من أنصاري إلى الله )) ( ٦ ) أو (( نحن أنصار الله )) ( ٧ ) كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله الله قال الحواريون نحن أنصار الله )) ( ٨ ) فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله . والمسيح عيسى بن مريم ليس بابن الله وإنما هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال :

{ **هل أخبرت بها أحداً؟** } قلت : نعم قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : { أما بعد فإن طفلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يميني كذا وكذا وأنهاكم عنها فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا : ما شاء الله وحده } الحديث رواه ابن ماجة وهو في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني برقم : ( ١٣٨ ) وهو تبعاً لما تقدم من أحاديث في هذا الباب .

١ - المجادلة ( ١٠ ) .  
٢ - الأعراف ( ١٥٦ ) .  
٣ - التوبة ( ٣٠ ) .  
٤ - سورة الإخلاص .  
٥ - مريم ( ٨٨ - ٨٩ ) .  
٦ - آل عمران ( ٥٢ ) والصف ( ١٤ ) .  
٧ - آل عمران ( ٥٢ ) والصف ( ١٤ ) .  
٨ - الصف ( ١٤ ) .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر .

الثانية : فهم الإنسان إذا كان له هوى .

الثالثة : قوله صلى الله عليه وسلم : { أجعلتني لله نداً } ( ١ ) فكيف بمن قال :

ما لي من ألوذ به سواك

والبيتين بعده .

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله : يمنعني كذا وكذا .

الخامسة : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي .

السادسة : أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام .

قال المؤلف : فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر لكنهم يجحدون ذلك .

الثانية : فهم الإنسان إذا كان له هوى .

الثالثة : قوله : { أجعلتني لله نداً ؟ } ( ٢ ) فكيف بمن قال :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر لماذا ؟

لأنه قال : { يمنعني كذا وكذا } دل على أنه من الشرك الأصغر إذ لو كان من الشرك الأكبر لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به مباشرة لأنه يخرج من الملة ولا يصح إسلام المرء إلا بترك الشرك جملة .

الخامسة : أن الرؤية الصالحة من أقسام الوحي لحديث : { الرؤية الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة } ( ١ )

وهل يبنى عليها حكماً شرعياً ؟

<sup>١</sup> - سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٥) .

<sup>٢</sup> - سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٥) .

الجواب : بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لا لا يبنى على الرؤية الصالحة حكماً شرعياً لو قال مثلاً واحد : أنا رأيت في المنام أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لي : صل بعد الظهر ست ركعات تقول له : هذا ليس بصحيح لأن الله تبارك وتعالى يقول : (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي )) ( ٢ ) وما كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته سيخالف ما قرره في حياته فلا يبنى على الرؤية حكماً شرعياً أبداً .

ولو رأى إنسان مثلاً في المنام أنه تزوج بنت فلان فمن الصباح يكرر يشارع في المحاكم **ما لك ؟** قال : رأى في المنام أنه تزوج من فلان وما رضي يرد له أهله هذا هذا مجنون أو أن أموال فلان قد جاءت إليه أشياء كثيرة جداً فبعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ليس للرؤيا أي اعتبار من حيث تقرير الأحكام الشرعية زيادة أو نقصاناً أو نسخاً إثباتاً أو تركاً هذا أمر غير جائز ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ذهبت النبوة ولم يبق إلا المبشرات } ( ٣ ) فهي بشرى وهذا أحد تفسير قول الله عز وجل :

(( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى )) ( ٤ ) فالبشرى قيل : الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له والله المستعان وبهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - تقدم تخريجه .

<sup>٢</sup> - المائدة ( ٣ ) .

<sup>٣</sup> - تقدم تخريجه .

<sup>٤</sup> - يونس ( ٦٢ - ٦٤ ) .



## باب من سب الدهر فقد آذى الله

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

## باب من سب الدهر فقد آذى الله

من ها هنا موصولية وأما أن تكون شرطية اسم شرط جازم ففعلها الأول سب والثاني الفاء واقعة في جواب الشرط والمراد بالسب الشتم واللعن والذم وهذه الأصبع تسمى السبابة لأنهم كانوا في الجاهلية أن سب أحدهم الآخر أشار بها هكذا فلما جاء الإسلام وبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين انتقلت من ذلك الوضع السيء إلى مقام الخير والذكرى والموعظة

فقم خاطب الدنيا بنيرتك التي      ملأت قلوب الأهل بالأشواق  
فمنابر الخير من خطابها      ومنابر العلياء للخطاب

والمراد بالدهر الزمان والوقت ومعنى آذى الله بمعنى أنه تنقص إليه بذلك تنقص الله وتجراً على ذاته وإلا فهذا السب لا يؤثر على الله فليس كل من سب من شتم من لعن من ذم أنه بذلك يوصل أذاه إلى من أراد تنقصه فالله تبارك وتعالى لا يتضرر بذلك فهو آذى ولكن من غير ضرر يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : { يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتتفعوني ولن تبلغوا ضري فتتضروني } ( ١ ) ويقول الله سبحانه وتعالى : (( إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة )) ( ٢ ) فمهما سب السابون وغير المعيرين وتنقص المتنقصون فلا يستطيعون بذلك إلحاق الضرر به تبارك وتعالى لأنه تبارك وتعالى القوي القهار الكبير المتعال ذو الجلال والإكرام وإنما يضر العبد بذلك نفسه كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل .

١ - مسلم ( ٢٥٧٧ ) .  
٢ - الأحزاب ( ٥٧ ) .

وقول الله تعالى : (( وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر )) ( ١ ) .

قال : وقول الله يعني أراد في هذه الآية شرحاً للترجمة (( وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون )) ( ٢ ) هذا إخبار من الله تبارك وتعالى عن طائفة ضالة منحلة منحرفة تسمى بالدهرية أو الدهرية ويسمون بالشيوعية أولئك القوم الذين يجحدون أن يكون لهذا الكون صانع وموجد وهو الله تبارك وتعالى فيقولون : إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وهؤلاء حقيقة خالفوا المنقول عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فالله تبارك وتعالى يقول : (( قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون )) ( ٣ ) ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

(( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً )) ( ٤ ) ويقول سبحانه : (( كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين )) ( ٥ ) ويقول تبارك وتعالى في كتابه الكريم حاكياً عن البعث : (( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بل يلى وربى لتبعثن )) ( ٦ ) ويقول سبحانه : (( قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم )) ( ٧ ) فالله تبارك وتعالى هو الذي خلق ورزق وهو الذي أحيا وهو الذي يميت (( سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى )) ( ٨ ) في كثير من الآيات تثبت هذا هؤلاء ينسبون هذا الأمر أعني بذلك الخلق أو الموت إلى الدهر (( وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر )) ( ٩ ) خالفوا بذلك المنقول وخالفوا بذلك المعقول أيضاً فنحن نرى أن من الناس من يموت صغيراً ومنهم من يموت في وسط عمره ومنهم من ينكس إلى آخر العمر ورب ثري مات في ريعان شبابه ورب مريض عاش حيناً من الدهر فكم من صحيح مات من غير علة وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

١ - الجاثية ( ٢٤ ) .  
٢ - الجاثية ( ٢٤ ) .  
٣ - السجدة ( ١١ ) .  
٤ - الملك ( ٢ - ١ ) .  
٥ - الأنبياء ( ١٠٤ ) .  
٦ - التغابن ( ٧ ) .  
٧ - الجمعة ( ٨ ) .  
٨ - الأعلى ( ١ - ٥ ) .  
٩ - الجاثية ( ٢٤ ) .

وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم في ليلة القدر

فنشاهد أن هذا أمر ليس باستطاعة الزمان وليس باستطاعة الليالي والأيام أن تتصرف فيها إذ لو كان كذلك لاستطاع الرئيس أو الشري أو من له وجاهة أن يدفع عن نفسه شيئاً لكنه أمر الله تبارك وتعالى هو الذي يقول للشيء كن فيكون فهؤلاء قوم كفار ينسبون ذلك إلى الدهر ويريدون بذلك الدهر يعني أن المتصرف في هذا الكون هو الدهر قال تبارك وتعالى : (( وما لهم بذلك من علم )) ( ١ ) كاذبون ليسوا على علم قال : (( إن هم إلا يظنون )) ( ٢ ) إن هنا بمعنى ما ما هم إلا يظنون يظنون والظن هنا بمعنى الوهم يتوهمون وقد يأتي الظن بمعنى اليقين كما قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (( الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون )) ( ٣ ) .

١ - الجاثية ( ٢٤ ) .  
٢ - الجاثية ( ٢٤ ) .  
٣ - البقرة ( ٤٦ ) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار } ( ١ ) .  
وفي رواية : { لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر } ( ٢ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الدهر .

الثانية : تسميته أذى لله .

الثالثة : التأمل في قوله : { فإن الله هو الدهر } .

الرابعة : أنه قد يكون ساباً ولو لم يقصده بقلبه .

قال رحمه الله : وفي الصحيح ،

والمراد بالصحيح صحيح البخاري ومسلم .

عن أبي هريرة ،

أبو هريرة اختلف في اسمه على ثلاثين قولاً أشهرها عبد الرحمن بن صخر وهو يماني دوسي حافظ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يحفظ من الأحاديث خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً هذا الصحابي الجليل يروي عن النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : { قال الله تعالى : ومعنى تعالى : أي تعاضم وهذا الحديث يسمى بالحديث القدسي أو الإلهي والرباني لأنه مضاف إلى الله سبحانه وتعالى { قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم } والمراد بابن آدم رجالهم وإنائهم ولكن الحديث خرج مخرج الغالب وينتسبون إلى آدم بدلالة حديث : { الناس ولد آدم وآدم من تراب } ( ٣ ) فينسب الإنسان البشري إلى الأصل وأصلنا هو أبونا آدم عليه الصلاة والسلام .

قال : { يؤذيني ابن آدم } ،

فيه إثبات الأذية ولكن من غير ضرر أذية من غير ضرر أرأيت من يتلفظ بألفاظ وسخة قدرة مقدعة أنت تنطوي من هذه الألفاظ على أنك لا تتضرر بها هو يطلقها على آخرين وهكذا حال المحدث بجانبك أنت تتأذى من غير أن تتضرر وهكذا

<sup>١</sup> - البخاري (٤٥٤٩) ومسلم (٢٢٤٦) .

<sup>٢</sup> - مسلم (٢٢٤٦) .

<sup>٣</sup> - حسن : الترمذي (٣٩٥٦) وأحمد (٨٧٢١) والبيهقي في الشعب (٥١٢٧) وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٠٩) .

الملائكة كما في الحديث : { فإنهم يتأذون مما يتأذى منه ابن آدم من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً فلا يقربن مساجدنا فإن الملائكة تتأذى } ( ١ ) وهذا أذى من غير ضرر .

قال : { يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار } ،

دل ذلك على أن المقلب غير المقلب فالمقلب بفتح اللام هو الدهر والمقلب بكسر اللام هو الله والقول الصحيح أن الدهر ليس من أسماء الله الحسنى خلافاً للظاهرية ومن شابههم فإن الدهر اسم جامد وأسماء الله كلها مشتقة ولذلك كانت بالغة في الحسن غايته (( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها )) ( ٢ ) فالقول الصحيح على أن الدهر ليس من أسماء الله سبحانه وتعالى وأن في الحديث بيان لذلك وفي حديث آخر أيضاً { بيدي الأمر أقلب الليل والنهار } وهذه كانت عادة في الجاهلية إذا نزلت بهم نازلة ألصقوها بالدهر وجعلوا الدهر هو المؤاخذ على خلاف معتقداتهم وعلى هذا قال العلماء في من سب الدهر يعني : **ما حكم من سب الدهر ؟**

والجواب على ذلك ، قبل أن نجيب على هذا السؤال إن كان هناك إخبار عن الدهر عن يوم عن ليلة من باب الإخبار أنها ليلة سوء أو يوم سوء أو هذا يوم بارد أو تعبنا من حر هذا اليوم أو حر هذه الليلة من باب الإخبار هذا أمر جائز لا شيء فيه كما أخبر الله عن سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام حينما قال : (( هذا يوم عصيب )) ( ٣ ) أي يوم شديد فمن أخبر عن شيء من ذلك عندنا شدة عندنا يعني هذه الليلة أصبنا بسوء فلا بأس بذلك أما من سب الدهر معتقداً أنه هو المؤثر بنفسه وهو الخالق الرازق المقدر المدبر فهذا شرك أكبر مخرج من الملة إن كان يعتقد أن الدهر هو الذي يأتي بالمصائب والنكبات والأفراح والأحزان أما من سبه قاصداً بذلك الحوادث لا يقصد بذلك الحوادث ربما يلعب هذه السنة أو هذا الشهر أو يوم الأربعاء أو صفر فهذا آثم يكون آثماً ولا ينبغي له أن يسب الليالي والأيام لأنها من فعل الله

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

ونهجوا ذا الزمان بغير حق ولو نطق الزمان لنا هجانا

وكان بعض الأعراب إذا نزلت به المصيبة يقول بعضهم : يا دهر ،

يا دهر ويحك ما أبقيت من ولدي وأنت والد سوء تأكل الولد

وقال آخر :

قبحاً لوجهك يا زمان كأنه وجه له من كل قبح برقع

يشعرون على الدهر ويضيفون إليه المصائب والنكبات والله تعالى يقول : (( هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً )) ( ٤ ) فبين أن المراد بالدهر الليالي والأيام إذن يكون على حسب هذا التفصيل أو التفاصيل الثلاثة : من أخبر عن سوء حاصل له في يوم ما أمر جائز ، من سب الدهر معتقداً أنه المؤثر بذاته وأنه هو المقدم والمؤخر وجعله في مقام الربوبية والألوهية أشرك شركاً أكبر ومن سبه قاصداً بذلك الحوادث الحاصلة في الدهر فيكون بذلك آثماً شارباً أيضاً للأعراب الذين كانوا قبل الإسلام في الجاهلية الجهلاء وفي الوثنية العمياء يرجعون إلى الدهر فيسبونونه وهكذا في

١ - مسلم ( ٥٦٤ ) .

٢ - الأعراف ( ١٨٠ ) .

٣ - هود ( ٧٧ ) .

٤ - الإنسان ( ١ ) .

عصرنا هذا هناك من يسب الدهر واحد يقول : يا ذا الزمان الردي ، جعل هذا الزمان رديناً الله المستعان زمان رديء أعوذ بالله يقول :

يا ذا الزمان الردي أكثر ودادك مر

أضاف ذلك إلى الزمان وأنه هو المتصرف أو أنه سب بذلك الليالي والأيام فالله أعلم ولو تتبعنا لوجدنا كثيراً من هذا ولكن حسبنا فيما ذكرناه والله أعلى وأعلم وهو أعز وأكرم وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

### باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

### باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

أما كلمة باب فمعنى ذلك أنه اسم لما يدخل منه ويخرج إلى الشيء واصطلاحاً أي : باصطلاح المؤلفين : اسم لجملية علمية مختصة من الكتاب والتسمي مأخوذة من الإسم والاسم مشتق من أمرين وكلاهما صحيح إما من السمة بمعنى العلامة وإما من السمو بمعنى العلو .

قوله : بقاضي القضاة ،

القاضي بمعنى الحاكم قضى بكذا أي حكم بكذا والقضاة جمع قاض فتقول قاض والقاضي اسم منقوص لأن آخره ياء لازمه القاضي تظهر الفتحة لخفتها وأما الكسرة والضمة فتقدر لثقلها جاء القاضي ومررت بالقاضي ورأيت القاضي ويجوز أن تقول : ورأيت قاضياً تخفيفاً .

قوله : ونحوه ،

أي نحو هذه التسمية قاضي القضاة ملك الأملاك رئيس الرؤساء أمير الأمراء سلطان السلاطين يريد المؤلف أن يقول : ما

**حكم من تسمى بهذه الأسماء ؟ يعني : ما حكم من تسمى بهذا ؟**

أما من حيث الحكم الشرعي فاختلفت كلمة أهل العلم في ذلك فمنهم من ذهب إلى المنع والتحريم مطلقاً عملاً بحديث الباب الذي سوف يأتي وهو حديث أبي هريرة في الصحيحين وقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن أخنع اسم عند الله عز وجل رجل تسمى ملك الأملاك ولا مالك إلا الله } ومن باب سد الذرائع ومن باب سد الشبهات هذا القول الأول المنع مطلقاً وهو القول الصحيح الذي ارتضيته أنا .

**القول الثاني :** أنه يجوز التسمي بقاضي القضاة أو بملك الأملاك إن كان ذلك حقيقة ولكن ليس من باب الإطلاق وإنما يقيد كأن يقول قاضي قضاة القطر المصري ، اليمني ، العراقي ، الشامي ، النجدي وهكذا تقييداً هذا القول الثاني .

**القول الثالث :** إن الأمر راجع إلى القصد والنية فإن نوى الملك العام المطلق فحرام وإن نوى الملك الجزئي فجائز لكن القول الصحيح هو ما سمعتموه وهو القول الأول لماذا ؟

لأن في هذا تزكية للنفوس ملك الملوك قاضي القضاة رئيس الرؤساء سيد السادات سلطان السلاطين هذا يحمل صاحبه على الكبر والإعجاب والغرور وكل شيء يدعو إلى التعظيم والتفخيم والكبرياء لا يجوز قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار { إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد } ( ١ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { وما تواضع أحد لله إلا رفعه } ( ٢ ) تواضع

تواضع وكن كالنجم لاح لناظر  
على صفحات الماء وهو رفيع  
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه  
إلى طبقات الجو وهو ضيع

فمثل هذا يدعو إلى الكبر أن يتسمى سلطان السلاطين ومن هذا القليل فالله سبحانه وتعالى هذه الصفة إنما تكون له قال الله عز وجل : (( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير )) ( ٣ ) والمراد بالقضاء ها هنا القضاء الشرعي إذ أن القضاء الكوني من اختصاص الله سبحانه وتعالى والقضاء ينقسم إلى قسمين :

**قضاء كوني** : وهو المراد بقول الله سبحانه : (( وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين )) ( ٤ ) وهو ما كان في اللوح المحفوظ وإذا اجتمعت كلمة القضاء والقدر دلت كل واحدة لنفسها فالقدر علم الله السابق والقضاء تنفيذ ذلك القدر وإذا افترقتا شملت كل واحدة منهما الأخرى إذا قلت : هذا قضاء فهو قدر وإذا قلت : هذا قدر فهو قضاء وهكذا يجب على العبد أن يسلم في باب القضاء والقدر لأي شيء نزل به كما قيل :

وكل شيء بالقضاء والقدر  
وكل مقدور فما منه حذر  
فكن له مسلماً كي تسلم  
واتبع سبيل الناسكين العلما

وأما دليل القضاء الشرعي قال سبحانه : (( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه )) ( ٥ ) الآيات والأحاديث والأوامر والنواهي أفضية شرعية فالمراد بهذا القضاء الشرعي لا القضاء الكوني والفرق بينهما :  
أن القضاء الكوني واجب الوقوع بخلاف القضاء الشرعي فقد يمثلله الناس وقد لا يمثلونه .

١ - مسلم ( ٢٨٦٥ ) .

٢ - مسلم ( ٢٥٨٨ ) .

٣ - آل عمران ( ٢٦ ) .

٤ - الإسراء ( ٤ ) .

٥ - الإسراء ( ٢٣ ) .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى : ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله } قال سفيان : مثل شاهان شاه ( ١ ) .  
وفي رواية : { أغبط رجل على الله يوم القيامة وأخبثه } ( ٢ ) ، قوله : { أخنع } يعني : أوضع .  
فيه مسائل :

الأولى : النهي عن التسمي بملك الأملاك .

الثانية : أن ما في معناه مثله كما قال سفيان .

الثالثة : التفتن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه .

الرابعة : التفتن أن هذا لأجل الله سبحانه .

قال المؤلف : وفي الصحيح ،

وهو صحيح البخاري ومسلم وقد تقدم لكم اصطلاح المؤلف بهذه العبارة .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن أخنع } ومعنى أخنع أي أوضع { اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله } قال سفيان : مثل شاه شاه هذه عند العجم بمعنى ملك الأملاك وهي فارسية مثل آية الله الخميني وهكذا ألفاظ مثلها مثل حجة الإسلام آية الله العظمى لكن **هل يجوز التسمي بشيخ الإسلام ؟** أن يقال : شيخ الإسلام ابن تيمية شيخ الإسلام ابن القيم شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز إن كان للرجل أثر وفائدة ودعوة وأقوال ومنافحات ومنازلات وآراء شرعية مدلل عليها من الكتاب والسنة وله قدم صدق في الإسلام فلا بأس أن يسمى بشيخ الإسلام لكن ليست المشيخة المطلقة وإنما شيخ الإسلام عنده من علوم الإسلام لا أنه حاز علماً بالإسلام كله وإلا فأبو بكر الصديق فهو أفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ومع ذلك ما قيل عنه شيخ الإسلام على أنه هو أرفع من هذا اللفظ هو الصديق

(( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين )) ( ٣ ) منزلة رفيعة لكن لا بأس أن يكون جزئياً يعني شيخ الإسلام عنده أكثر معاني الإسلام أو علوم الإسلام فلا بأس أن يطلق هذا اللفظ عليه أما كلمة إمام

١ - مسلم ( ٢١٤٣ ) .

٢ - مسلم ( ٢١٤٣ ) .

٣ - النساء ( ٦٩ ) .



فهي أدنى من لفظة شيخ الإسلام ولكن هذه الكلمة أيضاً لا يجوز إطلاقها على أي شخص لا تطلق إلا على من كان له أقوال ورجال يأخذون بأقواله كالإمام أحمد والإمام الشافعي وسفيان الثوري والأوزاعي وابن عثيمين والألباني وابن باز والنووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وهؤلاء أئمة البخاري ومسلم لهم أقوال ولهم أتباع يأخذون بهذه الأقوال فحتى يبقى هذا اللفظ معظماً ومحترماً لا ينبغي أن يطلق على أي رجل كان وإن كان قليل البضاعة في العلم الآن تحصل بعض الناس ربما رجل يقيم الموالد وكذا وكذا يقولون عنه الإمام وهكذا الشيعة يتوسعون في هذا الباب أيما توسع ولكن الأئمة في القرآن على قسمين قال الله سبحانه وتعالى :

(( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون )) ( ١ ) هؤلاء أئمة الجنة وعندنا أئمة الضلال ))  
 (( وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار )) ( ٢ ) عياداً بالله . قال : وفي رواية : { إن أخنع رجل عند الله يوم القيامة وأخبثه من تسمى ملك الأملاك } قوله : أخنع يعني أوضع بهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

١ - السجدة ( ٢٤ ) .  
 ٢ - القصص ( ٤١ ) .

### باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

#### باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

الإحترام بمعنى الإجلال والإعظام والإكرام والتقدير احترام فلان أي أجله وقدره وميزه وأسماء الله جمع اسم اسم اسمان أسماء وأسماء الله تعالى أعلام و أوصاف بخلاف أسمائنا فهي أسماء لذوات مجردة هذا خالد وليس بخالد وهذا صالح وقد لا يكون صالحاً وهذا صادق وقد لا يكون صادقاً وهذا ماجد وقد لا يكون ماجداً وهذا محمد وقد لا يكون محموداً وهذا علي وهو ليس بعلي وهكذا بخلاف أسماء الله فإنها تدل على المطابقة والتضمن والإلتزام لها ثلاث دلالات فأسماء الله سبحانه و تعالى أعلام بالنسبة للذات وأوصاف من حيث دلالتها على المعنى فإذا قلت الرحمن فهذا اسم علم على الذات الإلهية وتشتق منه صفة الرحمة ومن التلازم أن يكون سميعاً بصيراً قريباً مجيباً فإنه لا يمكن أن يكون ذا رحمة إلا أن يكون بهذه المواصفات وغيرها .

وليست أسماء الله محصورة بعدد معين كما في حديث ابن مسعود : { اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك } ( ١ ) والصحيح في أسماء الله أنها مشتقة ليست جامدة وكذلك أسماء الله هي مترادفة متباينة مترادفة من حيث دلالتها على الذات متباينة من حيث دلالتها على الصفات فإذا قلت : الله الرحمن الرحيم السميع البصير اللطيف الواحد الأحد هذه أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى فحينما كانت دالة على الذات فهي مترادفة مثل ما تقول : هذا مسجد جامع مصلى ، هذا رجل مهندس كهربائي حداد نجار سائق عدة أسماء فهي مترادفة من حيث دلالتها على الذات متباينة من حيث دلالتها على الصفات فالخلاق الصفة التي تشتق منه غير الصفة التي تشتق من السميع أو البصير أو اللطيف أو الرحيم وهلم جرا .

قال : احترام أسماء الله ،

والله علم على الذات الإلهية معناه الإله المعبود الذي تأله القلوب محبة وتعظيماً الله سبحانه وتعالى وهو أعرف المعارف يروى أنه رؤي سيويه في المنام فقيل له : **كيف حالك ؟** قال : غفر الله لي وأدخلني الجنة فقيل : **بم ؟** قال : لأني في باب المعارف قلت : الله أعرف المعارف . ويقول بعض العلماء : إن دفع طفل لامرأة صماء بكماء فرضعته وربته لبدأ أول ما

<sup>١</sup> - أحمد (٣٧١٢) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) وانظر السلسلة الصحيحة (١٩٩) .

ينطق به الله وهو من أعظم أسماء الله والقول الصحيح أنه مشتق ليس بجامد كما رجع ذلك سبويه وغيره من أله ياله ألوهية وتعالى بمعنى تعظم ومعنى تغيير أي تبديل الاسم أي المضاف إلى المخلوق فالله أولى به منه إن كان لهذا الاسم الذي في المخلوق بعض الصفات التي لا تليق إلا أن تكون لله سبحانه وتعالى كما سيأتي في حديث الترجمة .

عن أبي شريح رضي الله عنه أنه كان يكنى : أبا الحكم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :  
 { إن الله هو الحكم وإليه الحكم } فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين ، فقال : { ما أحسن هذا فما لك من الولد ؟ } قلت : شريح ومسلم وعبد الله ، قال : { فمن أكبرهم ؟ } قلت : شريح ، قال : { فأنت أبو شريح } رواه أبو داود وغيره ( ١ ) .

ذ.....  
 كر المؤلف عن أبي شريح وهو هاني بن يزيد الكندي أبو صحابي جليل عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم ، يكنى والكنية ما صدرت بأب أو أم أبو بكر أبو حفص أبو عبد الله أم الخير أم حبيبة هذه الكنية ما صدرت بأب أو أم أبو فلان وأم فلان ، كان يكنى بأبي الحكم هكذا كانت كنيته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الله هو الحكم } من أسماء الله الصحيحة الحكم أي أنه يحكم بالعدل (( فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول )) ( ٢ ) .

<sup>١</sup> - إسناده جيد : أبو داود (٤٩٥٥) والنسائي (٥٣٨٧) وابن حبان (٥٠٤) والحاكم (٦٢) وانظر مشكاة المصابيح (٤٧٦٦) .  
<sup>٢</sup> - النساء (٥٩) .

{ وإليه الحكم } فقال : { إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الطرفين فقال : ما أحسن هذا { وهذا توفيق من الله تبارك وتعالى وقد يكون هذا صلحا لكن على العبد أن يدعو الله تبارك وتعالى أن يجعله مفتاحا للخير مغلقا للشر فقال : { ما أحسن هذا { هذا صحابي جليل ، في هذا الزمان من بلغ هذه المرتبة كالشيخ ابن باز مثلاً كان إذا اختلف الدعاة إلى الله في أي صقع من أصقاع الأرض فكتبوا لابن باز أوجاءت توجيهات ابن باز خلاص أخذ كلامه لأنه ممتاز وتصدير الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فيرضى كلا الطرفين فقال : { ما أحسن هذا **فمالك من الولد ؟** قال : شريح ومسلم وعبد الله قال : **فمن أكبرهم ؟** قلت : شريح قال : فأنت أبو شريح { الحديث رواه أبو داود وقد ذكره الشيخ الألباني في الإرواء برقم (٢٦١٥) وهو موجود في صحيح الجامع وذكره شيخنا مقبل أيضا في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين وهذا موطن الشاهد قال : { فأنت أبو شريح { كان يكنى بأبي الحكم فالنبي صلى الله عليه وسلم غير كنيته من أبي الحكم إلى أبي شريح ، وفيه . بارك الله فيكم . أن الكنية تكون بأكبر الأولاد ويستفاد منه أن أهل الوعظ والإرشاد من العلماء والدعاة وطلاب العلم إذا أغلقوا على الناس بابا من أبواب الحرام فتحوا لهم بابا من أبواب المباحات من أبواب الحلال ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إن الله إذا حرم شيئا أحل من الخير أو من الطيب ما يكافؤه .

فيه مسائل :

الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ، ولو لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية .

قال الإمام : فيه مسائل :

**الأولى :** احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناها والأسماء التي لله أو لرسوله توقيفية فما سمي الله به نفسه أو سماه رسوله سميناه وما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وصفناه بذلك يعني وإن كان هذا كني بأبي الحكم وهو لا يريد بذلك أن حكمه كحكم الله أو ينافس بذلك حكم الله سبحانه وتعالى وهذا من باب سد الذرائع .

**الثانية :** تغيير الاسم لذلك يعني لهذا الأمر .

**الثالثة :** اختيار أكبر الأبناء للكنية وقد تقدم هذا فلو أنه تكنى قبل ذلك بكنية ثم جاء اسم الولد على خلاف ذلك فلا يضر إن شاء الله ولكن ما دام أنه حكم شرعي فلا بد أن يقال وقد كان من العلماء في القديم من يتكنى بأكثر من ولد أبو فلان وأبو فلان فلا يضر هذا والله المستعان وهذا . بارك الله فيكم . إن دل على شيء إنما يدل على عظم التوحيد فلهذا أدخل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى هذا الباب في كتابه كتاب التوحيد وذلك نظرا لأهميته ، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى وأخذ بنواصي الجميع للبر والتقوى واعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

## باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم

المراد بالهزل اللعب وهو عكس الجد ومما يشهد لهذا المعنى قول نبينا صلى الله عليه وسلم : { ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة } ( ١ ) فهذه لا هزل فيها من قال : زوجتك خلاص حصل التزويج وإن لعب الرجل فقال لامرأته : طلقتك فهو جد وقع وإن قال لغلामه : أعتقتك أو أنت حر خلاص وقع التحرير وإن قال : كنت ألعب لا عبرة بقوله الذي أراد أن يعتذر فالهزل هو بمعنى السخرية أو الإستهزاء وكله حرام وهو ناقض من نواقض الإسلام المشهورة المعروفة بالإستهزاء أو السخرية بأمر الله أو بأمر رسوله أو بذات الله أو بذات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بالقرآن أو بالسنة فإن من هزل بشيء هو على خطر عظيم وإن كان لاعبا فإنه يؤخذ بقوله هذا وتنزل عليه الأحكام الشرعية في هذا الباب فهنا مسألتان هامتان :

## أما المسألة الأولى : فما حكم من هزأ أو سخر أو استهزأ أو سب الله الذات الإلهية ما حكم ذلك ؟

اختلف أهل العلم في ذلك فيمن سب الله أو استهزأ به أو بشيء من أمره اختلفوا فيما يتعلق بقبول توبته إن أراد أن يتوب وإلا فهم مجمعون على كفره أجمع أهل العلم أن من استهزأ أو سخر أو سب الله فإنه يكفر بذلك عياذا بالله لكن حصل خلاف فيما يتعلق بقبول توبته

**فكثير من أهل العلم يذهبون** إلى أن من سب الله أو استهزأ بأمره أو بشيء من آياته أنه كافر ولا تقبل له توبة إن تاب بل يقتل مرتدا وهذا قول مشهور في مذهب الإمام أحمد رحمه الله لا بد أن تفهم هذا القول وهو القول الأول في المسألة أن من سب الله أو استهزأ به أو بشيء من شرعه فإنه يكفر بل وقع الإجماع على كفره لكن حصل خلاف في قبول توبته فمذهب الحنابلة أن توبته غير مقبولة وأنه يقتل مرتدا وإذا قتل مرتد فيكون كافر والمرتد في الشريعة الإسلامية لا يرث أهله لحديث أسامة بن زيد في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم } ( ٢ ) هذا من الخاسرين (( ولا تتردوا على أديباركم فتقلبوا خاسرين )) ( ٣ ) هذا خسر (( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين )) ( ٤ ) هذا قول مشهور في مذهب أحمد وعليه كثير من العلماء .

**القول الثاني :** أنه إن أراد أن يتوب توبة نصوحة قبلت توبته إن كانت توبته معتبر اعتبرها العلماء فهي توبة مقبولة لعموم الأدلة كقوله سبحانه وتعالى حينما ذكر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة قال سبحانه وتعالى : (( أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم )) ( ٥ ) وكقوله سبحانه :

(( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله )) ( ٦ ) وقوله تبارك وتعالى : (( وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى )) ( ٧ ) آيات كثيرة في هذا الباب هذا إذا كان الإستهزاء أو الشتم والسب عياذا بالله للذات الإلهية مع أنه على خطر كبير **كيف تسب الله وهو الذي خلقك ؟** (( يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي

١ - حسن : أبو داود (٢١٩٤) والترمذي (١١٨٤) وابن ماجه (٢٠٣٩) والحاكم (٢٨٠٠) انظر حديث رقم : ٣٠٢٧ في صحيح الجامع .

٢ - البخاري (٦٣٨٣) ومسلم (١٦١٤) .

٣ - المائدة (٢١) .

٤ - آل عمران (٨٥) .

٥ - المائدة (٧٤) .

٦ - الزمر (٥٣) .

٧ - طه (٨٢) .

خلقت فسواك فعدلك)) (١) ويقول سبحانه : (( فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا )) (٢) **كيف تسب المتفضل عليك بالنعمة الذي أخرجك و أوجدك من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين ؟**

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

**فوا عجباً كيف يعصى الإله ؟ أم كيف يجحده الجاحد ؟**

إن هذا والعياذ بالله يعني هو الجحود في حد ذاته وهو الجهل في حد ذاته يوم أن تنكر وتجحد من أمدك بالنعمة ومن أعطاك الخير كله ومن إذا أطعته أدخلك جنات تجري من تحتها الأنهار هذا فيمن هزأ بشيء من أمر الله .

هناك **مسألة ثانية** في هذا الباب وجعلت هاتين المسألتين مقدمتين على الدرس حتى نأخذ الدرس وكان له شيء من التمهيد والتوطئة والفهم **ما حكم من سب رسول الله ؟**

الجواب من سب رسول الله فهو كمن سب الله يكفر بإجماع المسلمين وبظواهر نصوص الكتاب والسنة يقول تبارك وتعالى : (( قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم )) (٣) لا نقاش ولا جدال في هذا الباب حصل الكفر لكن إن أراد أن يتوب هذا الساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكثير من أهل العلم يذهبون إلى أنه لا توبة له إن أراد أن يتوب لا توبة له إذ أنه قد جاء بمكفر وأيضا ترتب على سبه حد فلا بد من أن يقام عليه هذا الحد وهو حد القتل أما إن تاب فبينه وبين الله تبارك وتعالى قد يقول قائل :

**كيف يكون هذا أعظم ممن سب الله ؟**

الجواب : أن حقوق الله مبنية على التسامح والعفو وإن الله قد أخبر أنه أسقط حقه بالتوبة (( وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى )) (٤) أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان حيا بين ظهرانينا فسمع هذا الساب فإن أراد أن يعفو عنه عفا لكنه صلى الله عليه وسلم ميت كما قال تبارك وتعالى : (( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن ماتت أو قتل )) (٥) وكما قال سبحانه : (( إنك ميت وإنهم ميتون )) (٦) فمن سب الرسول كفر فإن أراد أن يتوب فالتوبة بينه وبين الله ويترتب عليه الحد في ذلك فقد كان رجل من المسلمين أعمى له امرأة تتودد إليه وله منها ولدان كاللؤلؤتين فالت من عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاها فلم تنته فأخذ المعول فوضعه في بطنها حتى قتلها فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قال : { ألا اشهدوا أن دمها هدر } (٧) أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دم تلك المرأة التي سبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالت منه .

لكن التائب هو أحسن حالا ممن لم يتب فلو تاب بينه وبين الله يترتب عليه الحد وهو القتل ثم بعد ذلك يغسل ويكفن ويقبر في مقابر المسلمين كما حقق ذلك شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة رحمه الله في كتابه الصارم

١ - الإنفطار (٦ - ٧) .

٢ - عبس (٢٤ - ٣١) .

٣ - التوبة (٦٥ - ٦٦) .

٤ - طه (٨٢) .

٥ - آل عمران (١٤٤) .

٦ - الزمر (٣٠) .

٧ - صحيح : أبو داود (٤٣٦١) والنسائي (٤٠٧٠) والحاكم (٨٠٤٤) والدارقطني (١٠٢) وانظر إرواء الغلیل (٩٢ / ٥) .

المسلول في الرد على شاتم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه مسألة خطيرة هي و الله من الأهمية بمكان ، كم من المسلمين اليوم إذا قيل له : الرسول قال : دعنا أو ربما ينكت أو يستهزئ بشيء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا يا إخوان كله بسبب الجهل المطبق الذي نزل بالمسلمين نسأل الله السلامة والعافية ولكن بعد هذا إن شاء الله يكون كل واحد على معرفة تامة بهذا الأمر فمن سمعه يسب الرسول صلى الله عليه وسلم أو يستهزئ بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فعليه أن ينصح ولكن ليختار الوقت المناسب للنصيحة فإن الله تعالى يقول : (( فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك )) ( ١ ) ويقول تبارك وتعالى : (( فذكر إن نفعت الذكرى )) ( ٢ ) فإن هاهنا يذكر أهل العلم بأنها بمعنى حيث أي في المواضع التي تكون الذكرى فيها نافعة فخذ هذا الذي سب وانصحه وأقم عليه الحجة الشرعية في هذا الباب وعلى ولاية أمر المسلمين من رؤساء وملوك وحكام وقضاة وعلماء أن يقيموا الحدود على من تجرأ على سب الله أو سب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم جهة ضبط وجهة تنفيذ وبأيديهم أزمة الحكم وإقامة الحدود فهذا الأمر راجع لهم ليس راجعا لنا نحن إنما نبين ونصدر الفتوى وهم الذين يطبقون هذه الفتاوى وإلا فهم مسؤولون عن حقوق الله وعن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )) ( ٣ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة الذين يعدلون في أهليهم وما ولوا } ( ٤ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته } ( ٥ ) فهم المسؤولون عن رعاياهم يوم القيامة و الله الموفق .

**وقول الله تعالى : (( ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون )) ( ٦ ) .**

ثم قال المؤلف : وقوله تعالى : (( ولئن سألتهم )) هذا الضمير سألتهم سألت أنت يا محمد سألتهم يعني أولئك القوم المذكورين وذلك أن هذه الآية لها سبب نزول سوف يأتي الآن يا محمد إن سألت المنافقين الذين تكلموا عن الله وعن

١ - آل عمران ( ١٥٩ ) .

٢ - الأعلى ( ٩ ) .

٣ - المائدة ( ٤٤ ) .

٤ - مسلم ( ١٨٢٧ ) .

٥ - البخاري ( ٨٥٣ ) ومسلم ( ١٨٢٩ ) .

٦ - التوبة ( ٦٥ ) .



رسول الله صلى الله عليه وسلم استنقاصا واستهزاء ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب يعني نقضي أوقاتنا نلعب قال : (( قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون )) تتمتها (( لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين )) .

وعن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم وقتادة . دخل حديث بعضهم في بعض . أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء ، فقال له عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب ، نقطع به عنا الطريق . قال ابن عمر : كأني

أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الحجارة تنكب رجله ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون )) ( ١ ) ما يلتفت إليه وما يزيده عليه ( ٢ ) .

فيه مسائل :

الأولى : وهي العظيمة ، أن من هزل بهذا : فإنه كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان .

الثالثة : الفرق بين النيمة وبين النصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة : أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل .

قال : وعن ابن عمر وهو عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم هذان تابعيان وقتادة من التابعين دخل حديث بعضهم في بعض إذ أن المعنى واحد والألفاظ متقاربة أنه قال رجل في غزوة تبوك ، والرجل هذا من المنافقين و تبوك غزوة كانت في العام التاسع من الهجرة في شهر رجب وكانت في أطراف الشام وكان الجيش الإسلامي قوامه قرابة ثلاثين ألف مسلماً والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخبر بغزوة بيانا واضحاً سواها لبعد المسافة حتى إنها سمي جيشها بجيش العسرة قال النبي صلى الله عليه وسلم : { من يجهز جيش العسرة وهو رفيقي في الجنة أو وله الجنة } ( ٣ ) فجهزه عثمان فأنفق رضي الله تعالى عنه وأرضاه أموالاً جزلة من أجل غزوة تبوك فكانت في وقت الحر حينما طابت الثمار كانت ابتلاء واختباراً فالمنافقون اعتذروا كما قال سبحانه :

(( ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا )) ( ٤ ) وبعضهم يقول : (( لا تنفروا في الحر )) ( ٥ ) وبعضهم وبعضهم يقول : يخشى من بنات الأصفر كثير من الاعتذارات التي لا محل لها من الصحة ومن الواقع قال رجل في غزوة تبوك يعني من الذين خرجوا : ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء ، انظر عبارة عن كلام سهل في منظرنا لكنه عظيم عند الله ، والمراد بقرائهم الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة الكرام قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة . أرغب بطونا أي يأكلون كثير . وأكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء هذه الأوصاف حقيقة لو أردنا أن نطبقها لكانت وصفاً لائقاً بالمنافقين إذ أنهم كذلك أكذب ألسنة وأجبن عند اللقاء وأرغب بطونا ولكن هكذا كما قيل :

رمتني بدائها وانسلت .

١ - التوبة ( ٦٥ ) .

٢ - رواه ابن جرير عند تفسيره هذه الآية .

٣ - البخاري ( ٢٦٢٦ ) .

٤ - التوبة ( ٤٩ ) .

٥ - التوبة ( ٨١ ) .

فتأمل في هؤلاء القوم ما الذي يهتمون به الرسول وأصحابه بالكذب وبالجن وبأنهم غير زاهدين أعوذ بالله نسأل الله السلامة والعافية هذا هو النفاق وهذا هو الكذب وهذا هو الفجور في حد ذاته ثم لنكون على يقظة أنك أنت إذا قدفت وقدحت أخاك المسلم بمثل هذا لا تسلم أيضا من الإثم حينما تتكلم بما ليس في أخيك ولكن اتهاما .

قال فقال له عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل . أل هذه تسمى الذكيرة . إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونحدث حديث الركب يعني نقطع الطريق فقط قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسعة الحزام الذي يربط به الرجل متاعه فهذا المنافق متعلق بهذا الشيء بالحزام قال : وإن الحجارة تنكب رجله دليل على أنه رجل قليل حياء أولا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتعلق بنسعة الناقة يريد أن يخرج من سخطة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم :

{ (( أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم )) ( ١ ) } وقوله : أبا الله الاستفهام للإنكار والتعجب من عظيم الجريمة التي جاءوا بها قال : ما يلتفت إليه وما يزيده عليه .

قوله : ما يلتفت إليه في هذا احتقارا له ولشأنه لا يستطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينظر إلى من كانت هذه سجيته وهذه أخباره كذب منافق مفترى على عباد الله وبإلته قال : أنا تبت وأبت ورجعت ، لا القرآن قد نزل يخبر عما في قلبه بل إن سورة التوبة تسمى بسورة الفاضحة وهي التي فضحت المنافقين وبينت أمرهم وهتكت أستارهم و الله المستعان وهكذا كما قيل :

مهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فهؤلاء كانوا يظنون أن الأمر سهل وكذا ولكنهم فضحوا وعليه أيها الأخوة فينبغي أن نصلح أنفسنا وأحوالنا وأن نخشى على أنفسنا من النفاق قال ابن أبي مليكة رضي الله عنه : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه والحديث في البخاري وهكذا عمر الفاروق الذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم :

{ دخلت الجنة وإذا بقصر وامرأة تتوضأ بجانبه فقلت : **هذا لمن ؟** قالوا : لرجل من قريش لعمر بن الخطاب { ( ٢ ) } وفي حديث آخر يركي النبي صلى الله عليه وسلم عمر بأنه في الجنة ومع ذلك يسأل حذيفة بن اليمان : **هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين ؟** . الله المستعان . فبكي حذيفة وقال : لا والله ما سماك ولن أركي أحدا بعدك لن أخبر أحدا بعدك يبكي حذيفة إذا كان عمر يعني من المنافقين **فمن هم الصادقون ؟** عمر بن الخطاب معدن الصدق والخير والتقوى وهو الشهيد في سبيل الله ولكن هكذا كانوا يزدرون بأنفسهم

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

والله أعلم وأعز وأكرم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - التوبة ( ٦٥ - ٦٦ ) .

<sup>٢</sup> - ابن حبان ( ٦٨٨٨ ) و البخاري ( ٦٦٢١ ) بدون ذكر الوضوء .

باب ما جاء في قول الله تعالى :

(( ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي )) ( ١ ) .

قال مجاهد : هذا بعلمي وأنا محقق به .

وقال ابن عباس : يريد من عندي .

---

<sup>١</sup> - فصلت ( ٥٠ ) .

وقوله : (( قال إنما أوتيته على علم عندي )) ( ١ ) قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب .  
وقال آخرون : على علم من الله أنني له أهل .  
وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :  
باب ما جاء في قول الله تعالى : (( ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلنبتن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ )) ( ٢ ) .  
أما قوله : باب فكلمة باب تستخدم حسيا للشيء الذي يدخل منه ويخرج باب المسجد والمدرسة والبيت وما إلى ذلك ويستخدم أيضا بابا معنويا للجملة المختصة من الكتاب يقال : باب الصدق باب التوبة باب قول الله تعالى كذا باب في البيوع في الصلاة في الطهارة وما شابهها وهو أقل شأنًا من الكتاب وأرفع شأنًا من الفصل ذكر المؤلف هذه الآية الكريمة والمناسبة من ذكره لهذه الآية وإدخالها في كتاب التوحيد قال ربنا جل وعلا : (( ولئن أذقناه )) يعني الإنسان (( رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى )) المناسبة أن الإنسان إذا أضاف النعمة إلى عمله وكسبه ففي هذا نوع إشراك في توحيد الربوبية وذلك واضح بجلاء من قوله :  
(( ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي )) هذا أنا أستحقه بل أرفع من هذا وسيأتي تفسير مثالي من قبل كثير من العلماء بل الأئمة قال مجاهد بن جبر وهو أبو الحجاج المكي من تلامذة ابن عباس كان سفيان الثوري وابن عيينة يقول : إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به ، قال : هذا بعلمي وأنا محقق به أنا لا أعطى هذا إلا لأنني أستحقه وهذا كلام غير صحيح إن أنعم الله عليك بالنعمة فهي ابتلاء واستدراج وإن ابتليت بالفقر أيضا ابتلاء واستدراج قال سبحانه : (( وبلوناهم بالحسنات والسيئات )) ( ٣ ) وقال سبحانه : (( ونبلوكم بالشر والخير فتنة )) ( ٤ ) وقال سبحانه : (( وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه )) ( ٥ ) فهذا كله ابتلاء وهكذا في قوله سبحانه : (( فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه )) أي ضيق عليه رزقه (( فيقول ربي أهانن )) ( ٦ ) قال الله : (( كلا )) ( ٧ ) ليس هذا ميزان عندنا ليس هذا الميزان معمول به عند الله ليس كل من أعطيناه رضيانا عنه وقربناه ولا كل من جعلناه فقيرا معنى ذلك أننا أهاناه وأقصيناه (( كلا )) وفي آية أخرى توضح هذه الآية قال سبحانه وتعالى : (( وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون )) ( ٨ ) وقال ابن عباس في قوله :

١ - القصص ( ٧٨ ) .  
٢ - فصلت ( ٥٠ ) .  
٣ - الأعراف ( ١٦٨ ) .  
٤ - الأنبياء ( ٣٥ ) .  
٥ - الجن ( ١٦ - ١٧ ) .  
٦ - الفجر ( ١٥ - ١٦ ) .  
٧ - الفجر ( ١٧ ) .  
٨ - سبأ ( ٣٧ ) .

(( هذا لي )) ( ١ ) يريد من عندي ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن وقوله : (( إنما أوتيته على علم عندي )) ( ٢ ) قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب وهذا قاله قارون على علم واطلاع كما يقول كثير من الناس اليوم : فلان شاطر بشطارته وبقوته وبجدارته لا ، كل شيء من الفضل والخير هو بتوفيق من الله سبحانه وتعالى لعبده فعلى العبد أن يضيف النعمة إلى الله وأن يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة شكرا صحيحا لا أن يقول فقط : أحمد الله وأشكره وإنما يشكر الله شكر اعتراف أولا بالقلب ثانيا شكر ثناء باللسان ثالثا شكر عمل بالجوارح كما قال العربي :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجب

من حديث أنس في صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الله ليرضى عن العبد إذا أكل الأكلة أن يحمدہ عليها وإذا شرب الشربة أن يحمدہ عليها } ( ٣ ) وكان الإمام أحمد إذا نزع دلو من بئر له في بيته قال : الحمد لله ونزع الدلو الثاني قال : الحمد لله وهكذا فقال ابنه صالح : يا أبت ما أكثر ما تحمد الله قال : رأيته قول الله : (( قل رأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين )) ( ٤ ) من منا اليوم يحمد الله إن لبس عمامة جديدة قال : الحمد لله إن أكل أكلة وإن كانت يسيرة كسر الخبز اليابسة حمد الله بعضهم ربما تقال هذا قال : **ويش أكلنا أين الموائد وابن الذبح والقدر**

**والسفر هذه ويش هي ؟ ابن الوردي أو أبو العتاهية القائل :**

وكون ماء بارد تشربه من صافية رغيف خبز يابس تأكله في زاوية  
ومصحف تدرسه معتمدا لسارية خير من السكنى بظلات القصور العالية  
من بعد ذلك كله تصلى بنار حامية

**إيش الفائدة ؟** ولو كان قليلا من طعام قليل من شراب تحمد الله و الله تبارك وتعالى يطالبنا أن نطلب منه الأطعمة والأشربة وقد كان بعض السلف يقول : ينبغي للعبد أن يطلب البصلة والزيت من الله ، من منا اليوم و الله تبارك وتعالى يقول في الحديث القدسي : { يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم } ( ٥ ) نحن الآن معتمدون على ما في الشنطة على ما في الجيب على ما في البنك على ما في المحل ما في بصل هذه مائة قيمة بصل ما في طماط هذه مائة قيمة بصل ما في غدا روحوا أتوا بغداء لكن قبل ذلك هل سأل ذلك من الله والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ليسأل أحدكم ربه شسع نعله } ( ٦ ) يعني الشيء الحقيقير شراك النعل يسأله من الله سبحانه وتعالى فما بالك بما هو أرفع منه .  
{ يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته } ( ٧ ) إذا كنت تريد ثوبا تريد عمامة تريد نعال أي شيء من الملابس لك ولأولادك تطلبها من الله سبحانه وتعالى اعترافا منك بالنعمة لله وحده لا شريك له فهذه نعمة في حد ذاتها كونك توفق للسؤال من الله وتوفق بشكرها لله هذه نعمة في حد ذاتها قال الناظم :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر

١ - فصلت ( ٥٠ ) .

٢ - القصص ( ٧٨ ) .

٣ - مسلم ( ٢٧٣٤ ) .

٤ - الملك ( ٣٠ ) .

٥ - مسلم ( ٢٥٧٧ ) .

٦ - حسن : ابن حبان ( ٨٦٦ ) والطبراني في الأوسط ( ٥٥٩٥ ) وأبو يعلى ( ٣٤٠٣ ) والبيهقي في الشعب ( ١١١٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٢٢٥١ ) .

٧ - مسلم ( ٢٥٧٧ ) .

وكيف بلوغ الأمر إلا بفضل

وإن طالت الأعوام واتصل العمر

إن أعطيت صوتاً حسناً من الله هذه نعمة أعترف بذلك بأنه من الله فتواضع له إن أعطيت شخصية كأن تكون جميل اللحية صبيح الوجه شخصية أو عندك أسلوب تستطيع أن تسحر بها الناس { إن من البيان لسحراً } ( ١ ) تسحر به قلوب الناس سحر حلال فمن الله إن أعطيت ولداً صالحاً أحمد الله امرأةً سالحة جميلة أحمد الله وإياك أن تقول : أنا بحثت وأنا دورت لا تقل هذا، هذه أسباب **لكن من الذي أعطاك ؟** الله سبحانه وتعالى كن مع وإلى الله

إليك وإلا لا تشد الركائب

ومنك وإلا فالمؤمل خائب

وفيك وإلا فالغرام مضيع

وعنك وإلا فالمحدث كاذب

هاتان بيتان للألوسي العراقي قيل أنهما أحسن ثناء ومدح في حق الباري جل ذكره وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل وهذا كله تفسير مثالي كما تقدم قال : وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قدرني الناس به ، قال : فمسحه ، فذهب عنه قدره فأعطني لوناً حسناً وجلداً حسناً قال : فأني المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر . شك إسحاق . فأعطي ناقه عشراء ، فقال : بارك الله لك فيها .

١ - البخاري ( ٤٨٥١ ) .

قال : فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عني الذي قد قدرني الناس به ، فمسحه ، فذهب عنه وأعطني شعراً حسناً فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل فأعطني بقرة حاملاً فقال : بارك الله لك فيها .

فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره قال : فأني المال أحب إليك ؟ قال : الغنم فأعطني شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم .

قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال له : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله المال ؟

فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت قال : وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، قال : وأتى الأعمى في صورته فقال : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال : قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتكم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبك { أخرجاه ( ١ ) } .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى قوله : (( ليقولن هذا لي )) .

الثالثة : ما معنى قوله : (( إنما أوتيته على علم عندي )) .

الرابعة : ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إن ثلاثة من بني إسرائيل { ثلاثة أنفار وليس ثلاثة أجناس وبني إسرائيل هم أولاد يعقوب بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومعنى إسرائيل عبد الله قال : { إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى { وهذا البياض الذي يكون في الجسد فيشوه منظره وليس له دواء فلذلك كالمعجزة لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام جعل الله له معجزة لكثرة انتشار الطب في ذلك الزمان فكان إذا مسح على جلد الأبرص يعود جسمه مثلما كان فالتب البشري عاجز أن يعالج هذا البهاق أو البرص الذي يغير منظر الإنسان ذكراً أو أنثى أبرص وأقرع والأقرع هو الذي لا شعر له على رأسه فيكون منظره أيضاً تتقرز منه النفوس وتشمئز منه فيشوه المنظر وأعمى

<sup>١</sup> - البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (٢٩٦٤) .



والمراد بالأعمى فاقد البصر أي أنه لا يبصر وهذه كلها نعم أنت لست أبرص ولا أقرع ولا أعمى فاحمد الله من الناس من هو أبرص وآخر أقرع وآخر أعمى قال :

{ فأراد الله أن يتليهم } وجاء في رواية : { بدا لله أن يتليهم } وهذه عقيدة عند الرافضة تسمى بعقيدة البدا والبدا مستحيل في حق الله فإن الله يعلم ما كان وما سيكون فهذه الرواية نبه عليها الشيخ الألباني رحمه الله قال : كأنها رويت بالمعنى فإن البدا يستحال في حق الله تبارك وتعالى قال : فأراد الله الإرادة هاهنا المراد بذلك المشيئة والله سبحانه وتعالى إرادة وله مشيئة إرادة كونية وإرادة شرعية ومشيئة كونية ومشيئة شرعية فالمشيئة الكونية واجب الوقوع والتنفيذ وقد يحبه الله وقد لا يحبه هذه المشيئة الكونية وأما المشيئة الشرعية فقد تقع وقد لا تقع لكن الله يحبها كما قال سبحانه : (( ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم )) ( ١ ) بمعنى أن الله أراد كفر فرعون كونا وقدرا ولكنه أباه شرعا وديننا وهكذا هامان وهكذا النمروذ وهكذا قارون أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء إلى هؤلاء بالمشيئة الشرعية والإرادة الشرعية لما استقر في علم الله سبحانه وتعالى أن فرعون لن يستقيم ولن يؤمن وهكذا ما شاكله من أهل الكفر الضلال قال : فأراد الله بمعنى شاء الله سبحانه وتعالى أن يختبر هؤلاء فبعث إليهم ملكا من السماء ابتلاء واختبارا مثل قوله سبحانه وتعالى : (( وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه )) ( ٢ ) ابتلاء واختبارا فأتى الأبرص أتى هذا الملك إلى الأبرص والملك بمعنى الرسول فإن الألوكة بمعنى الرسالة وعالم الملائكة هم مخلوقات نورانية خلقها الله من نور قابلة للتشكيل فقال : **أي شيء أحب إليك ؟** الملك يقول لهذا الأبرص : **أي شيء أحب إليك ؟** قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني هذا الذي قدرني الناس به قال : فمسحه فذهب عنه قدره هذه أول نعمة فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا قال : **فأي المال أحب إليك ؟** قال : الإبل أو البقر شك إسحاق فأعطي ناقه عشراء قيل : عشراء حامل مطلقا وقيل : بلغت ثمانية أشهر قال : بارك الله لك فيها دعا له بالبركة والبركة مجمع الخير دعاء من ملك خلاص قصته توقفت هنا ثم سيعاد إليها قال : فأتى الأقرع هذا الذي ليس عنده شعر فقال : **أي شيء أحب إليك ؟** ولعل هناك شيء لم يذكر كأن يقول له : طببت أو السلام عليكم قد يكون هذا قال : شعر حسن أيضا طلب شعرا جميلا ويذهب عني هذا الذي قدرني الناس به فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرا حسنا فقال : **أي المال أحب إليك ؟** قال : البقر أو الإبل فأعطي بقرة حاملا قال : بارك الله لك فيها فأتى الأعمى فقال : **أي شيء أحب إليك ؟** قال : أن يرد الله إلي بصري ما قال بصرا حسنا لم يشترط في هذا دليل على أنه كان زاهدا تقيا ورعا وعليه أيضا سكينه فإنه طلب الغنم فإن الغنم تكسب صاحبها من طباعها وهكذا الإبل لذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الكبير والخيلاء في أهل الإبل الفدادين والسكينة والوقار في أهل الغنم } ( ٣ ) وتأمل أنت إلى بعير مقبلا أو مدبرا تراه ينظر هكذا وأما الغنمة تنظر إليها وهي تنظر إلى أمامها يعني قد تواضعت لله سبحانه وتعالى في مشيتها فالجمل يكسب صاحبه من طبعه وهكذا الغنم تكسب صاحبها من طباعها قال : يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره قال : **فأي المال أحب إليك ؟** قال : الغنم فأعطي شاة والدا قيل : قرية الولادة فأتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل

١ - الزمر ( ٧ ) .

٢ - البقرة ( ١٠٢ ) .

٣ - صحيح : أحمد ( ١١٣٩٨ ) والطبراني في الأوسط ( ١٧٣٨ ) انظر حديث رقم : ٤٢٨١ في صحيح الجامع .

ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ما شاء الله نعمة قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته يعني جاء الأبرص بصورة أبرص **شوف كيف الإبتلاء والإختبار ؟** ابتلاء واختبارا ابن العثيمين استفاد من هذا قال : فيه جواز التمثيل إن كان لمصلحة أن يلبس الرجل ثياب بأنه لا يعرف لمصلحة المهم أنه لمصلحة قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال المراد بالحبال الطريق في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك تأمل إلى التوحيد ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا بمعنى أعطني بعيرا أتبلغ به في سفري فقال : الحقوق كثيرة هذا الروفلي الأبرص هذا قال : الحقوق كثيرة هذا موطن الشاهد بمعنى أنه لم يضاف ذلك لله سبحانه وتعالى وإنما قال : الحقوق كثيرة وهذا المال يعني ذلك أنه ورثه فقال : كأني أعرفك **ألم تكن أبرص يقدرك الناس فقيرا فأعطاك الله عز وجل المال ؟** فقال : إنما ورثت هذا المال كائنا عن كابر فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت الله المستعان شوفوا يا إخوان الفاشل أعوذ بالله .

وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثلما رد عليه هذا فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت حصل عندهم فشل ديني وهو أعظم من الفشل الكلوي هذا من أعظم الفشل أن تكون فاشلا في الدين لا حول ولا قوة إلا بالله قال : وأتى الأعمى في صورته فقال : رجل مسكين وابن سبيل يعني الملك مثل أنه مسكين وجاء بصورة أعمى قال : وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت دليل أن عنده زهد في الدنيا فوالله لا أجهدك اليوم بمعنى لا أتعبك اليوم بشيء أخذته لله فقال : أمسك مالك انتبه قع رجال على حقل خذ المال هذا وانتبه له يعني خذ المال وهو لك قال : أمسك مالك فإنما ابتليتكم فقد رضي الله عنك إثبات صفة الرضا لله تبارك وتعالى رضا يليق بجلاله وسخط إثبات صفة السخط لله عز وجل صفة مقابلة سخط على صاحبيك { أخرجاه .

يعني في الصحيحين هذه قصة قصها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأخذ منها العبرة والعظة فما الذي صار للأبرص والأقرع اللذين جحدا النعمة ولم يضيفاها إلى المنعم بها سبحانه وتعالى وكيف كان الرضا والخير كله والسؤدد والشرف للأعمى يوم أن اعترف بالنعمة فقال : خذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم على شيء أخذته الله سبحانه وتعالى يعني خلاص أمسك عليك مالك وأنتم ابتليتكم فقد رضي الله عنك وسخط عن صاحبيك وفي هذا درس للدعاة إلى الله والعلماء وطلاب العلم صغارا وكبارا ذكورا وإناثا أن يفتحوا باب القصة باب الموعظة باب الخوف والرجاء ضرب المثل (( وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون )) ( ١ ) إن كان في القصة ضرب مثل إن كان في هذا المثل عبرة وعظة فاذكره للناس فربما صلحت قلوبهم فقد كان ذكر القصص القرآني قصص الأنبياء تثبيتا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وهو من هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ينزل عليه صباحا ومساء قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( كذلك نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك )) ( ٢ ) تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر القصص وأساليبها مثل قصة الهدهد ملكة سبأ قصة سليمان مع النملة سليمان مع الجن قصة داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث قصة موسى وفرعون قصة النمرود وإبراهيم قصة الطيور التي قطعها إبراهيم قصة قتيل بني إسرائيل الذي ضربوه

١ - العنكبوت ( ٤٣ ) .

٢ - هود ( ١٢٠ ) .

بعض البقرة ثم قام فقال : قتلني فلان بن فلان كل هذا من أجل تثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن و الله بحاجة ماسة إلى أن تثبت قلوبنا بذكر الأمثلة والقصص التي تدخل على قلوبنا السرور والتثبيت أيضا وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى وأخذ بنواصينا للبر والتقوى صلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

باب قول الله تعالى :

(( فلما آتاها صالِحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها )) ( ١ ) .

<sup>١</sup> - الأعراف ( ١٩٠ ) .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد :

فيقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

**باب قول الله تعالى : (( فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون )) ( ١ ) .**

هذه الآية رقم ( ١٩٠ ) من سورة الأعراف وقبلها يقول المولى تبارك وتعالى : (( هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون )) ( ٢ ) والمقصود من هذا الباب أن تعبيد الأسماء لغير الله سبحانه وتعالى شرك ينافي كمال التوحيد كما سوف يأتي بيانه فيمن تسمى بعبد الحسين أو عبد النبي أو عبد الكعبة وما شابه ذلك .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب . وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال : لما تغشاها آدم حملت ، فأتاهما إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أبل فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن . يخوفهما . سمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت فأتاهما فذكر

<sup>١</sup> - الأعراف ( ١٩٠ ) .

<sup>٢</sup> - الأعراف ( ١٨٩ - ١٩٠ ) .

لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث ، فذلك قوله : (( جعلاً له شركاء فيما آتاها )) ( ١ ) رواه ابن أبي حاتم .

وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته .

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : (( لئن آتينا صالحاً )) ( ٢ ) قال : أشفقاً أن لا يكون إنساناً .

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله .

الثانية : تفسير الآية .

الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد التسمية لم تقصد حقيقتها .

الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم .

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة .

قال ابن حزم وهو عالم الأندلس أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري صاحب كتاب المحلى وله الملل والنحل وله مراتب الإجماع وأجمعها وأعظمها نفعا المحلى بالآثار وهذا الإمام كثير العلم رفيع القدر وقد آتاه الله سبحانه وتعالى علماً كثيراً إلا أنه أخذت عليه بعض الأخطاء الشنيعة كمخالفته لجمهور العلماء في باب الإجماع والقياس وأخذه بظاهر النصوص وعدم فقهها وتنزيلها حسب ما فهمه السلف عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك كان سليط اللسان على المخالف وبالجملة هو عالم خدم الإسلام والمسلمين وكتبه تشهد له بذلك وله أتباع في مذهبه فرحمه الله رحمة واسعة وما من أحد إلا وله زلة فلو رد كل إمام بزلته فما بقي لنا أحد من العلماء

من ذا الذي ترضى سجايه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معاييه

هذا الإمام العظيم يقول : اتفقوا أي أجمعوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما شابه ذلك قال : حاشا عبد المطلب يعني هذا استثناء يريد بذلك أنه لا بأس أن يتسمى به الشخص على أنه يدخل في جملة التعبيد لغير الله ثم ذكر أثراً عن ابن عباس في الآية قال : فلما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعنني أو لأجعل له قرني إبل فيخرج من بطنك فيشققه ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما سمياه عبد الحارث فأبياً أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبياً أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله : (( جعلاً له شركاء فيما آتاها )) ( ٣ ) رواه ابن أبي حاتم .

هذا الأثر غير صحيح في سنده شريك بن عبد الله القاضي وهو ضعيف وفي سنده خفيف وقد ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة برقم ( ٣٤٢ ) وكذلك ضعفه الدوسري في النهج السديد فهو أثر لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه

١ - الأعراف ( ١٩٠ ) .

٢ - الأعراف ( ١٨٩ ) .

٣ - الأعراف ( ١٩٠ ) .

وسلم وإنما هو من الإسرائيليات والإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية من سورة الأعراف لما ذكر هذه الآية وهي قول ربنا سبحانه : (( هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهاما صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاهاما فتعالى الله عما يشركون )) ( ١ ) قال :

ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه الصلاة والسلام وأنه خلق منه زوجه حواء ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى : (( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم )) ( ٢ ) وقال تعالى :

(( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء )) ( ٣ ) الآية وقال في هذه الآية الكريمة : (( وجعل منها زوجها ليسكن إليها )) ( ٤ ) أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى :

(( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة )) ( ٥ ) فلا ألفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيدته إلى التفرقة بين المراء وزوجه فلما تغشاها أي وطئها حملت حملا خفيفا وذلك أول الحمل فلا تجد المرأة له ألما إنما هي نطفة ثم العلقة ثم المضغة قوله : فمرت به قال مجاهد : استمرت بحمله وروى عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي ونحوه قال ميمون بن مهران عن أبيه استخففته وقال أيوب : سألت الحسن عن قوله : فمرت به قال : لو كنت رجلا عربيا لعرفت ما هي إنما هي فاستمرت فاستمرت به قال قتادة : فمرت به استبان حملها قال ابن جرير : معناه استمرت بالماء قامت به وقعدت وقال العوفي : عن ابن عباس : استمرت به فشكت أحملت أم لا فلما أثقلت أي صارت ذات ثقل بحملها قال السدي : كبر الولد في بطنها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا أي بشرا سويا كما قال الضحاك عن ابن عباس أشفقا أن يكون بهيمة وكذلك قال أبو البخري و أبو مالك أشفقا أن لا يكون إنسانا قال الحسن البصري : لئن آتيتنا غلاما لنكونن من الشاكرين فلما آتاهاما صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاهاما فتعالى الله عما يشركون ذكر المفسرون هاهنا آثارا وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عمر بن إبراهيم قال حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : { لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال : سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره { ( ٦ ) وهذا من الإسرائيليات وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بنادر عن عبد الصمد عن عبد الوارث به ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن مثنى عن عبد الصمد به وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد لم يرفعه ورواه الحاكم في المستدرک من حديث عبد الصمد مرفوعا ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه الإمام محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعا

١ - الأعراف ( ١٨٩ - ١٩٠ ) .

٢ - الحجرات ( ١٣ ) .

٣ - النساء ( ١ ) .

٤ - الأعراف ( ١٨٩ ) .

٥ - الروم ( ٢١ ) .

٦ - ضعيف : الترمذي ( ٣٠٧٧ ) وأحمد ( ٢٠١٢٩ ) انظر حديث رقم ٤٧٦٩ في ضعيف الجامع .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعا قلت : وهذا شاذ وشاذ هذا هو هلال وشاذ لقبه والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه :

**أحدها** : أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن بن سمرة مرفوعا والله أعلم .

**الثاني** : أنه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير حدثنا عبد بن عبد الأعلى قال حدثنا المعتمر عن أبيه قال حدثنا بكر بن عبد الله بن سليمان التميمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال : سمى آدم ابنه عبد الحارث .

**الثالث** : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه قال ابن جل حدثنا ابن وكيع قال حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن : جعلنا له شركاء فيما آتاهما قال : كان هذا في بعض الملل ولم يكن في آدم قال : وحدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال الحسن عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني جعلنا له شركاء فيما آتاهما قال : وحدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية وهذا رأي ابن كثير وهو الرأي الصحيح أن قوله سبحانه وتعالى : (( فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاهما )) ( ١ ) فقد كان العلماء لهم قولان في تفسير الآية فمنهم من جعل ذلك في آدم وذريته وأن الله سبحانه وتعالى قد تاب على آدم وحوى بسبب ذلك وكثير من العلماء وهو القول الصحيح يحملون الآية على أهل الملل من بعد آدم عليه الصلاة والسلام وهم من ذرية آدم فإن عني بالخطاب الإثنين فإنما أراد به الجماعة وهذا أسلوب من أساليب اللغة العربية كما قال ربنا سبحانه وتعالى : (( ألقيا في جهنم كل كفار عنيد )) ( ٢ ) والمراد بذلك ألقوا وكان الحجاج بن يوسف إذا أراد أن يضرب عنق شخص يقول : يا حرسى اضربا عنقه كما ذكر ذلك ابن كثير عند تفسير هذه الآية من سورة ق وهي أولى المفصل .

قال : وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله لما عدل عنه هو ولا غيره لا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب ووهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم قال : فأما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كانت حوى تلد لآدم أولادا فيعبدهم الله ويسميههم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال : إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميان به لعاش قال : فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث ففيه أنزل الله يقول : (( هو الذي خلقكم من نفس واحدة ..... إلى قوله : جعلنا له شركاء فيما آتاهما )) ( ٣ )

<sup>١</sup> - الأعراف ( ١٨٩ - ١٩٠ ) .

<sup>٢</sup> - ق ( ٢٤ ) .

<sup>٣</sup> - الأعراف ( ١٨٩ - ١٩٠ ) .



إلى آخر الآية وقال العوفي عن ابن عباس قوله : في آدم هو الذي خلقكم من نفس واحدة إلى قوله : فمرت به شكت أحملت أم لا فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فأتاهما الشيطان فقال : **هل تدريان ما يولد لكما أم هل تدريان أيكون بهيمة أم لا ؟** وزين لهما الباطل إنه غوي مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الأول فسميا ولدتهما عبد الحارث فذلك قوله :

(( فلما آتاها صالحا جعل له شركاء فيما آتاها ... )) الآية ( ١ ) .

قال عبد الله بن المبارك عن شريك وشريك ضعيف عن خفيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : (( فلما آتاها صالحا جعل له شركاء فيما آتاها )) ( ٢ ) قال : قال تعالى : (( هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها )) ( ٣ ) فلما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس لعنه الله فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة وفي النفس من هذا شيء كيف يعترف إبليس وهو كاذب يقول : الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعني أو لأجعلن قرني له إبل فيخرج من بطنك فيشقها ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما فسمياه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثانية فأتاهما أيضا فقال : أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن أو لأفعلن يخوفهما فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما فأدركما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله : (( جعل له شركاء فيما آتاها )) ( ٤ ) ( رواه ابن أبي حاتم قال : قد تلقى هذا كلام ابن كثير هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكأنه و الله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم قال : حدثنا أبي قال حدثنا أبو الجماهر قال حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : حملت حواء فأتاهما الشيطان فقال : أطيعني ويسلم لك ولدك سمي عبد الحارث فلم تفعل فولدت فمات ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ثم حملت الثالثة فجاء إليها فقال : إن تطيعني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة قال : فهاباه فطاعاه وهذه الآثار يظهر عليها و الله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : { إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم } ( ٥ ) ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام :

١. فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢. ومنها ما علمنا كذبه مما دل على خلافه الكتاب والسنة أيضا .

٣. ومنها ما هو مسكوت عنه ففيه المأذون في روايته بقوله : { حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج } ( ٦ ) وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله : { لا تصدقوهم ولا تكذبوهم } وهذا الأثر هل هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر فأما من

١ - الأعراف ( ١٩٠ ) .

٢ - الأعراف ( ١٩٠ ) .

٣ - الأعراف ( ١٨٩ ) .

٤ - الأعراف ( ١٩٠ ) .

٥ - صحيح : أبو داود ( ٣٦٤٤ ) وأحمد ( ١٧٢٦٤ ) وابن حبان ( ٦٢٥٧ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٢٨٠٠ ) .

٦ - البخاري ( ٣٢٧٤ ) .



حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا و الله أعلم .

وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته وهذا مذهب الحسن البصري وجماعة من السلف وأما المتأخرون فكلهم أخذوا بهذا الرأي الثاني وذلك أنهم يبرئون آدم عليه الصلاة والسلام وذريته أيضا وكذلك أيضا حواء من أن يكونا مشركين بالله سبحانه وتعالى وأما هذه الآثار فهي صحيحة عن من نسبت إليهم كقتادة رحمه الله حينما قال : شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته وهذا تفسير عمومي للآية المباركة قال : وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : (( لئن آتيتنا صالحا )) ( ١ ) قال : أشفقا أن لا يكون إنسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

على أية حال : القول الصحيح في الآية أن هذا حصل في بعض أهل الملل من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام وليس ذلك من آدم مباشرة هذا الذي نعتقد وندين الله سبحانه وتعالى به وهناك قصص كثيرة جدا في هذا الباب في حق كثير من الأنبياء إما في باب التوحيد أو في غيره طعنا في جنابهم وكان الأولى تبرئة الأنبياء من هذا الطعن فإنه حاشا أن يكون عندهم من الإشراك أو من سوء المعتقد أو من بعض السلوك السيئة التي نسبتها بعض الروايات الإسرائيلية نسأل الله أن يوفق وصلى الله على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### باب قول الله تعالى :

(( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه )) ( ٢ ) .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد :

<sup>١</sup> - الأعراف ( ١٨٩ ) .

<sup>٢</sup> - الأعراف ( ١٨٠ ) .

فيقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

### باب قول الله تعالى :

(( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون )) ( ١ ) .

هذا الباب عقده المؤلف من أجل إثبات توحيد الأسماء والصفات لأن التوحيد على ثلاثة أقسام:

**توحيد الربوبية :** وهو إفراد الله بما يختص به من الأفعال بأنه هو الخالق الرازق الموجد المعين لا شريك له في الخلق .

**ثانيا : توحيد الألوهية :** وهو إفراد الله بما يختص به من العبادة فلا يدعى غيره ولا يستغاث بغيره (( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا )) ( ٢ ) .

**وتوحيد الأسماء والصفات :** وهو إفراد الله تعالى بما ثبت له من الأسماء الحسنى والصفات العليا وألا نصفه ولا نسميه إلا بما وصف به نفسه ووصفه أو سماه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم هذا توحيد الأسماء والصفات وهو باب من أبواب العقيدة والتوحيد والفقه والسلوك أيضا فيمن فهمه وتأمله فإن الأسماء الحسنى تدل دلالة مطابقة وهو تفسير الاسم بجميع معناه ودلالة تضمن وهو تفسير الاسم ببعض معناه ودلالة التزام وهو أن يفسر الاسم بعامل خارجي وهنا قواعد قد أكثرنا من ذكرها في دروس تقدمت :

**القاعدة الأولى :** أسماء الله أعلام وأوصاف فهي تدل على الذات لكونها علم الله السميع البصير الغفور الرحيم وأوصاف أيضا لأنه ما من اسم إلا وله صفة فكل اسم تنشق منه صفة لله سبحانه وتعالى بخلاف أسمائنا فإنها أسماء مجردة عن الأوصاف فربما سمي الرجل عبد العزيز وهو ليس كذلك وعبد الغفور وهو ليس عبدا للغفور وربما سمي محمود وهو مذموم وربما سمي جميل وهو قبيح وربما سمي صالح وهو ليس كذلك .

**ثانيا :** أسماء الله مترادفة متباينة فمن حيث دلالتها على الذات فهي مترادفة الله العزيز الرحيم الغفور مترادفة ثم متباينة من حيث المعنى فدلالة اسم الغفور غير دلالة اسم الرحيم ودلالة اسم الرحيم غير دلالة اسم السميع وهكذا .

**ثالثا :** أسماء الله توقيفية لا يجوز أن يزداد عليها ولا أن ينقص منها كما سيأتي توضيحه في قوله : (( وذروا الذين يلحدون في أسمائه )) ( ٣ ) .

**رابعا :** أسماء الله غير محصورة بعدد معين أما قوله صلى الله عليه وآله وسلم : { إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا } ( ٤ ) لا يدل على حصرها فهو بمثابة قول الشخص : إن لي مائة ريال أعدتها للصدقة فلا يمنع أن يكون عنده غيرها وأما ما ورد من ذكرها في حديث رواه الترمذي فهذا الحديث ضعفه أهل المعرفة بصناعة الحديث ورجاله يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى الجزء الثاني والعشرين صفحة خمسمائة وثمانية وثلاثين : إن التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة وحفاظ الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث الحديث هذا ضعيف لا تصح نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك قد جاء حديث يوضح هذا

١ - الأعراف ( ١٨٠ ) .

٢ - الجن ( ١٨ ) .

٣ - الأعراف ( ١٨٠ ) .

٤ - البخاري ( ٢٥٨٥ ) ومسلم ( ٢٦٧٧ ) .

حديث ابن مسعود في مسند أحمد فيما يتعلق بدعاء الهم والحزن قال النبي صلى الله عليه وسلم : { ما من مسلم يصاب بهم أو حزن فيقول : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي } ( ١ ) الشاهد { أو استأثرت به في علم الغيب عندك } وما جاء في البخاري أيضا أن الناس يذهبون باحثين عن من يشفع لهم يوم القيامة فيأتون آدم فيعتذر ثم إبراهيم فيعتذر نوح فيعتذر إبراهيم فيعتذر موسى فيعتذر فإذا ما جاءوا إلى البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم يقول : { أنا لها فيخر تحت العرش ساجدا قال : فأحمد ربي بمحامد لم أكن أعلمها من قبل } ( ٢ ) بمعنى أن هناك ثناء وأسماء ما علمها قبل أن يتحدث بهذا الحديث محمد صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على أن أسماء الله غير محصورة بعدد معين أما حديث أبي هريرة { إن لله تسعة وتسعين اسما { بمعنى من أسماء الله تسعة وتسعين فإذا أنت حفظتها كان لك ذلك الجزاء الذي علق النبي صلى الله عليه وسلم عليه دخول الجنة { من أحصاها دخل الجنة { ومعنى إحصائها : حفظ لفظها وعرف معناها وعمل بمقتضاها من أسمائه التواب إذن لا بد تتوب ومن أسمائه الغفور إذن لا بد تبحث عن مغفرة الله ومن أسمائه السميع إذن إياك أن تقول شيئا حتى لا يؤخذك به السميع ومن أسمائه العليم فإياك أن تعمل شيئا في السر يعلمه العليم فيحاسبك به وهكذا دروس مسلكية تترتب آثارها من خلال دراستك لأسماء الله تعالى وصفاته وقوله سبحانه وتعالى : (( والله الأسماء الحسنى )) ( ٣ ) يقول العلماء : إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر فهنا قدم الجار والمجرور ليكون خبرا مقدما والأسماء مبتدأ مؤخر تقدير الكلام : الأسماء الحسنى لله أي كائنة لله فدل ذلك على اختصاص الله سبحانه وتعالى بالأسماء الحسنى ومعنى الحسنى هي التي بلغت الحسن غاية من الجمال والكمال .

قوله : (( فادعوه بها )) ( ٤ ) المراد بذلك السؤال بها الدعاء بمعنى السؤال **فتسأل من ؟** ربك سبحانه وتعالى

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

وكان بعض السلف يقول : ليسأل أحدكم ربه البصلة والزيت ، وفي حديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { ليسأل أحدكم ربه شسع نعله } ( ٥ ) فنحن بحاجة إلى اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى في كل أمورنا إذا ما شعرت بالجوع قلت : اللهم أطعمني على أن الطعام موجود في البيت تواضع لربك { يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعكم } ( ٦ ) قبل ما تشتري الكيس الطحين إسأله من ربك وهكذا البطاط والبصل والكزبرة وما إلى ذلك من الخضروات وما شابهها سلها من ربك وإذا أردت ثوبا فسله من ربك أيضا { يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم } ( ٧ ) ورب أولادك على هذا إن أراد الكساء قل له : اطلبها من الله سبحانه وتعالى قل : يا رب أسألك أن تكسوني هو الذي يكسيك قال سبحانه وتعالى : (( يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى

١ - صحيح : أحمد (٣٧١٢) (٤٣١٨) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) والبزار (١٩٩٤) وابن أبي شيبة (٢٩٣١٨) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٩٩) .

٢ - البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٣) (١٩٤) والترمذي (٢٤٣٤) وأحمد (٩٦٢١) وغيرهم .

٣ - الأعراف ( ١٨٠ ) .

٤ - الأعراف ( ١٨٠ ) .

٥ - حسن : ابن حبان (٨٦٦) والطبراني في الأوسط ( ٥٥٩٥ ) وأبو يعلى (٣٤٠٣) والبيهقي في الشعب (١١١٦) وانظر مشكاة المصابيح (٢٢٥١) .

٦ - مسلم ( ٢٥٧٧ ) .

٧ - مسلم ( ٢٥٧٧ ) .

ذلك خير )) ( ١ ) وهكذا ما امتن الله عز وجل به من أصواف الحيوانات ليكون في ذلك متاعا لعباده يتمتعون به حتى حين فالدعاء على قسمين :

**دعاء عبادة :** وهو أن تتعبد لله بمقتضى الأسماء والصفات .

**دعاء المسألة :** وهو أن تقدم اسما بين يدي دعائك فإن أردت المغفرة قلت : يا غفور وإن أردت العزة قلت : يا عزيز وإن أردت الرحمة قلت : يا رحيم وهكذا تعطي لكل اسم ما يناسبه فلا ينبغي مثلا إذا أردت من الله سبحانه وتعالى المغفرة أن تقول : يا عزيز أو يا شديد الانتقام أو يا حكيم وإنما أتت باسم يناسب ذلك المقام فهذا ما يتعلق بأقسام الدعاء ومعناه .  
وأما قوله سبحانه وتعالى : (( وذروا الذين يلحدون في أسمائه )) ( ٢ ) فالإلحاد بمعنى الميل ومن ذلك سمي اللحد لحداد وهو الشق الذي يكون في القبر قال النبي صلى الله عليه وسلم : { اللحد لنا والشق لغيرنا } ( ٣ ) فاللحد يكون إلى جهة جهة القبلة هكذا وأما الشق يكون إلى الأسفل مباشرة فالإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عما يجب فيها وهو أقسام :

١. إما أن ينكرها كإنكار الجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي الذين جحدوا الأسماء والصفات وحكم العلماء على هؤلاء بالكفر طبعاً بعد إقامة الحجة عليهم تتممة الشروط وانتفاء الموانع .

٢. وهناك من أثبت الأسماء مجردة عن الأوصاف كالمعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزال أثبتوا الأسماء مجردة عن الأوصاف قالوا : عليم بلا علم وقدير بلا قدرة وهذا هو قلة أدب مع أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته .

٣. ومن الإلحاد التشبيه أتباع هشام بن الحكم والطريقة الكلابية الذين شبهوا الله سبحانه وتعالى بخلقه له يد كيدها وقدم كقدمنا وسمع كسمعنا وهذا لا يجوز فالله سبحانه وتعالى خالق وما دونه مخلوق فإذا كانت الفوارق توجد بين المخلوقات مثلا رجل البعير ليست كرجل النملة والنحلة والطير فما بالك بالفرق بين الخالق والمخلوق فالله سبحانه وتعالى الكبير المتعال وهو القاهر فوق عباده لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وسع كرسيه السماوات والأرض وإلا فالمخلوق هو مخلوق ضعيف يحتاج إلى ربه سبحانه وتعالى في كل طرفة وحين .

٤. من الإلحاد أن يسمى الله بأسماء لم ترد لا في القرآن ولا في السنة بعض الفلاسفة يسمون أرحم الراحمين بالعلة الفاعلة أو مهندس الكون ومبرمج الكون بعضهم هكذا يسميه مهندس الكون ومبرمج الكون وهذا لا يجوز وإنما نسمي الله تعالى بما سمي به نفسه فتأمل إلى اللفظ ما أحسن كلمة الله الرحمن الرحيم السميع العليم فنثبت ما أثبت الله تعالى لنفسه وكفى .

٥. كذلك حصل عند المشركين أن اشتقوا لآلهتهم أسماء من أسماء الله كالكالات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان هذا أيضا من الإلحاد في أسماء الله وصفاته والواجب تحكيم كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كما أن التحكيم يحصل في باب العبادة فهكذا في باب العقيدة والتوحيد فما كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعامل به في باب الدين والعقيدة فهكذا ولا ينبغي أن نخوض في أمور ما خاضها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

١ - الأعراف ( ٢٦ ) .

٢ - الأعراف ( ١٨٠ ) .

٣ - صحيح : أبو داود ( ٣٢٠٨ ) والترمذي ( ١٠٤٥ ) والنسائي ( ٢٠٠٩ ) وابن ماجه ( ١٥٥٤ ) وأحمد ( ١٩١٨١ ) انظر حديث رقم : ٥٤٨٩ في صحيح الجامع .

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما : (( يلحدون في أسمائه )) ( <sup>١</sup> ) يشركون .  
وعنه رضي الله عنه : سموا اللات من الإله والعزى من العزيز .  
وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها .

<sup>١</sup> - الأعراف ( ١٨٠ ) .

ثم قال الشيخ : ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : (( يلحدون في أسمائه )) ( ١ ) قال : يشركون وعنه : سموا اللات من الإله والعزى من العزيز .  
وعن الأعمش قال : يدخلون فيها ما ليس منها هذا تفسير صحيح لكن هذه الآثار لا تثبت فكلها ضعيفة إذ أنها سلسلة بالعوفيين عن ابن عباس كما أفاد ذلك غير واحد من العلماء .

فيه مسائل :

الأولى : إثبات الأسماء .

الثانية : كونها حسنى .

الثالثة : الأمر بدعائه بها .

١ - الأعراف ( ١٨٠ ) .

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

الخامسة : تفسير الإلحاد فيها .

السادسة : وعيد من ألحد .

قال : فيه مسائل :

**الأولى :** إثبات الأسماء وهذا من قوله تعالى : (( والله الأسماء الحسنى )) ( ١ ) .

**الثانية :** كونها حسنى أي بلغت في الحسن غاية من الكمال والجمال .

**الثالثة :** الأمر بدعائه بها (( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها )) ( ٢ ) إذا أردت من ربك شيئاً فقل : يا الله يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والإكرام وتذكر أسماء تليق بالمقام الذي أنت فيه لتسأل ربك سبحانه وتعالى وهذا من الدعاء الذي لا يرد .

**الرابعة :** ترك من عارض من الجاهلين الملحدين الذين اشتقوا لآلهتهم أسماء من أسماء الله .

**الخامسة :** تفسير الإلحاد فيها وهذا من قوله : (( وذروا الذين يلحدون )) ( ٣ ) والمراد بالإلحاد الميل وكل من مال بأسماء الله وصفاته بشيء من الزيادة أو النقص إلى قيام الساعة يستدل عليه بهذه الآية أنك أنت ألحدت في أسماء الله و الله تبارك وتعالى قد تهدد الذين يلحدون في أسمائه .

**السادسة :** وعيد من ألحد (( وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون )) ( ٤ ) المقام مقام تهديد بمعنى أننا سنحاسبهم إن رجعوا إلينا نجازيهم على هذا الصنيع الذي فعلوه في حقنا وذلك التنقص للذات الإلهية أنت لو اسمك مثلاً : علي أو إبراهيم فجاء واحد يقول لك : يا قاسم أو يا نجيب أو اسمك محمد فيقول : يا سعد أو يا سعيد تزعل أنت من هذا و الله إنك تزعل أو أنت تكنى مثلاً بأبي صالح فيأتي يقول لك مثلاً : يا أبا أحمد أو يا أبا محمد وأنت إنما أنت مشهور بهذه الكنية يعرفها القاضي والداني أنت تغضب فما بالك بالله سبحانه وتعالى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى الله سبحانه وتعالى الذي أمرنا بتوحيده وتمجيده وتوقيره قال سبحانه وتعالى : (( مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً )) ( ٥ ) أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم تعظيمه في السر والعلانية .

يقول المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

(( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها )) ( ٦ ) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة } متفق عليه ( ٧ ) .

<sup>١</sup> - الأعراف ( ١٨٠ ) .

<sup>٢</sup> - الأعراف ( ١٨٠ ) .

<sup>٣</sup> - الأعراف ( ١٨٠ ) .

<sup>٤</sup> - الأعراف ( ١٨٠ ) .

<sup>٥</sup> - نوح ( ١٣ - ١٤ ) .

<sup>٦</sup> - الأعراف ( ١٨٠ ) .

<sup>٧</sup> - البخاري ( ٢٥٨٥ ) ومسلم ( ٢٦٧٧ ) .

ومعنى إحصائها حفظ لفظها ومعرفة معناها والعمل بمقتضاها وهذه الأسماء وردت في حديث رواه الترمذي لكنه ضعيف عند أهل المعرفة لوجود الوليد بن مسلم وهو مدلس تدليس التسوية قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : لم يرد ذلك في حديث صحيح عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لكن العلماء تتبعوها من القرآن ومن السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام فأوصلوها إلى تسعة وتسعين اسما من أجل هذه الفضيلة معرفة الأسماء الحسنى وقد نظمتها إحدى الداعيات بل العالمات وهي كاملة الكواري جزاها الله خيرا وحفظها الله في أبيات بلغت تسعة عشر بيتا ففي مطلع هذا النظم ابتدأت بالاسم الأعظم وبالاسم العظيم لله سبحانه وتعالى وهو الله

يا الله يا رحمن يا رحيم	أنت الحليم العالم العليم
أنت الحفيظ الحافظ الأعلى العلي	أنت المليك المالك المولى الولي
الأكرم الكريم والرزاق	والبارئ الخالق والخالق
القادر المقتدر القدير	المؤمن السميع والبصير
يا حي يا قيوم يا وهاب	يا بر يا لطيف يا تواب
أنت العفو الشاكر الشكور	الطيب الغفار والغفور
أنت المتين القاهر القهار	أنت الكبير الواسع الجبار
المتكبر السلام والحميد	والمتعالي والمحيط والشهيد
والحكم الحكيم والحسيب	والحق والمقيت والرقيب
والأحد القدوس والخبير	والواحد السبوح والنصير
والأول العظيم والقوي	والآخر المبين والغني
والظاهر الإله والحفي	والباطن الودود والحيي
والباسط المنان والمصور	والقابض المقدم المؤخر
والوارث الفتاح والمهيمن	أنت العزيز والمجيد المحسن
والشافي والرفيق والوكيل	والمعطي والجواد والجميل
أنت القريب والمجيب الصمد	والوتر والرب الرؤوف السيد
ندعوك ربي بالأسماء الحسنى	وما حوته من جمال المعنى
لنعطينا أكمل المرامي	ولتمحو عنا جملة الآثام
ورقنا في درجات الخير	وجنبنا دركات الضير .

هذا تبع للدرس السابق .

### باب لا يقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :



{ لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام } ( ١ ) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام .

الثانية : أنه تحية .

الثالثة : أنها لا تصلح لله .

الرابعة : العلة في ذلك .

الخامسة : تعليمهم التحية التي تصلح لله .

وأما في هذا المجلس فيقول الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي المشرفي النجدي رحمه الله:

### باب لا يقال : السلام على الله

مناسبة هذا الباب وهذه الترجمة لكتاب التوحيد أن هذا القول باطل لا يقال : السلام على الله لأن ذلك معناه طلب السلامة للمدعو وهو الله سبحانه وتعالى و الله تعالى لا يطلب السلامة له وإنما يطلب السلامة منه لكماله سبحانه وتعالى . فكان هذا القول منهيًا عنه حرام أن يقول القائل : السلام على الله لأنه كيف يدعى للسلام بالسلام لأن الله هو السلام )) هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام (( ( ٢ ) ) والسلام معناه السالم من النقائص والآفات وإن شئت أن تقول : هو السالم في نفسه المسلم لغيره فلذلك كان دعوى الأنبياء يوم القيامة لهول المطلع : اللهم سلم سلم .

قال رحمه الله : لا يقال السلام على الله وفي الصحيح والمراد به البخاري ومسلم عن ابن مسعود وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود صحابي جليل وعلامة كبير أخذ اثنتين وسبعين سورة من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي لنا هذا الصحابي قال : كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام على الله من قبل عباده السلام على فلان وفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام } فكيف تطلب للسلام سلاما ؟ وهو أصلا المسلم هو السالم والمسلم لغيره السالم من النقائص والآفات والعيوب لكماله وجماله وكبريائه وغناه عن خلقه وهكذا في التحية الإسلامية السلام عليكم معنى ذلك أنك تذكر اسما من أسماء الله ويعتبر في نفس الوقت تحية السلام عليكم تحية تحييه بهذه التحية الشرعية وأيضا تدعو له بالسلامة كأنك تقول : أسأل الله أن يسلمك من الفواحش والفتن من السوء من الحر من الجوع من البرد من الشهوات من النار دعاء عام شامل لو فقه المسلمون هذا لعلموا أن هذه شعيرة لا ينبغي أن يتساهلوا بها فبعض الناس الآن ربما يستهزئ بالسلام وربما يستبدل بغيره مثل صباح الخير ومساء النور وربما من قبل اليهود والنصارى ألفاظ من ألفاظهم وربما أيضا يشير بالكف مكتفيا بذلك والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف } ( ٣ ) أو كما قال عليه الصلاة والسلام والمسلم يقول : السلام عليكم انظر ما أحسنها فلك عشر حسنات فلو

<sup>١</sup> - البخاري (٨٠٠) .

<sup>٢</sup> - الحشر (٢٣) .

<sup>٣</sup> - حسن : الترمذي (٢٦٩٥) انظر حديث رقم : ٥٤٣٤ في صحيح الجامع .

قلت : السلام عليكم ورحمة الله لك عشرون حسنة نقد فإذا قلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثلاثون حسنة تستلمها نقدا وقد كان عبد الله بن عمر يخرج إلى السوق فقال له أحد التابعين : يا أبا عبد الرحمن أنت تخرج الأسواق ولا تساوم في السلع فقال له : يا أبا بطن إنما أخرج لأسلم على الناس من أجل أن يصيب الأجر كونك تقول لمسلم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تدعو له بالسلامة والرحمة والبركة من الله سبحانه وتعالى وتستلم لهذا اللفظ ثلاثين حسنة سبحان الله انظروا يا إخوان ما أوسع أبواب الخير وما أكثرها وما أعظمها وما أقل الاهتمام بها وعزوف الناس عنها الآن لو أن المسألة . برك الله فيكم . فلوس وحطام دنيا لرأيت الناس يتنافسون ولو كان على تمر رديء مسوس تراهم زرافات يتسابقون لكن على هذه الأجور إلا ما رحم الله الله المستعان وبعضهم صار في آخر الزمان لا يسلم إلا للمعرفة بل قد حصل من الإخوة الذين هم طلاب علم يعني في بعض الأحيان أمشي أنا وبعض الإخوان نجد بعض الناس نسلم السلام عليكم فيقول :

**من أين تعرفه ؟** قلت : صدق النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال : { لا تقوم الساعة حتى يكون السلام للمعرفة } ( ١ ) من عرفته سلمت عليه ومن لم تعرفه فلا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { وأن تلقى السلام على من عرفت ومن لا تعرف } ( ٢ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم } ( ٣ ) بلغوا السلام هذا فيما بينكم فسلم على الناس وسلم على أهللك وأولادك وادع لهم بالسلامة فإنك مأجور ومستفيد من إلقائك لهذا وكان هذا في بداية أمر الصلاة فقد كان أحدهم يقول : السلام على الله فالنبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن ذلك ولم ينههم عن أن يقولوا : السلام على جبريل وعلى ميكائيل فقد جاء في الحديث { السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان وفلان } ( ٤ ) وذلك أنه يجوز فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : { هذا جبريل يقرئ عليك السلام فقالت : وعليه السلام } ( ٥ ) لا بأس بذلك وهكذا في الصلاة { التحيات لله والصلوات الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين } من كان من عباد الله صالحا أصابته هذه الدعوة التي يهتف بها المسلمون صباحا ومساء وبين ذلك في مشارق الأرض ومغاربها يدعو بعضهم لبعض { السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين } قال النبي صلى الله عليه وسلم : { فإنكم إن فعلتم ذلك أصبتم كل عبد صالح في السماء والأرض } ( ٦ ) والمقصود من دخول هذا الباب أو إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد ما تقدم أن هذا القول لا يجوز إطلاقه على الله سبحانه وتعالى لأنه هو السلام السالم في نفسه المسلم لغيره فلا يجوز القول سلم السلام لأنه هو أصلا سالم في نفسه مسلم لغيره سلم من النقائص والعيوب والآفات لكمال وجهه وسؤدده وعلو شأنه تبارك الله وتعالى وتقدس أسمائه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### باب قول اللهم اغفر لي إن شئت

١ - صحيح : أحمد ( ٣٨٤٨ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٦٤٨ ) .  
٢ - البخاري ( ١٢ ) ومسلم ( ٣٩ ) .  
٣ - مسلم ( ٥٤ ) .  
٤ - البخاري ( ٥٨٧٦ ) .  
٥ - البخاري ( ٣٥٥٧ ) .  
٦ - البخاري ( ٧٩٧ ) ومسلم ( ٤٠٢ ) .

يقول الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

### باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت

هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله ليبين أن من دعا الله تبارك وتعالى يجب أن يعزم في دعائه وأن لا يعلقه بالمشيئة لأنه إذا علقه بالمشيئة دل ذلك على فتوره وعدم اهتمامه وكأنه غني عن الله سبحانه وتعالى بخلاف العبد الملحاح الذي يسأل الله سبحانه وتعالى حاجاته كلها ويعلم أنه لا قضاء لهذه الحاجات إلا من الله سبحانه وتعالى وقد جاء عند الترمذي من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { من نزلت به فاقة فأنزلها بالله أو شك الله له برزق عاجل أو آجل ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته } ( ١ ) .

قوله : اللهم معنى ذلك يا الله ولكن لكثرة الاستعمال حذفت يا النداء وعوض عنها الميم فقيل : هذه الميم ميم التعظيم أو تفيد التعظيم .

وأما قوله : اغفر لي المغفرة المراد بها ستر الذنب ومحوه والتجاوز عنه والمغفرة مشتقة من المغفر والمغفر هو ما يستر به الرأس للوقاية من السهام وغيرها وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر فكأن العبد يلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى أن يستره سترا شاملا مما جنته يدها اللهم اغفر لي و الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي يقول : { يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم } ( ٢ ) ويقول سبحانه في القرآن : (( وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى )) ( ٣ ) .

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود (١٦٤٥) والترمذي (٢٣٢٦) وأحمد (٣٨٦٩) والطبراني في الكبير (٩٧٨٥) انظر حديث رقم : ٦٥٦٦ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - تقدم تخريجه .

<sup>٣</sup> - طه ( ٨٢ ) .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة ، فإن الله لا مكروه له } ( ١ ) .  
ولمسلم : { وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه } ( ٢ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الاستثناء في الدعاء .

الثانية : بيان العلة في ذلك .

الثالثة : قوله : { ليعزم المسألة } ( ٣ ) .

الرابعة : إعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

قال : وفي الصحيح المراد بذلك صحيح البخاري ومسلم والمؤلف ليست له قاعدة في هذا فرب حديث قال : في الصحيح وهو ليس في الصحيحين وقد يقول : في الصحيح وهو في البخاري ويقول : في الصحيح وهو في مسلم ويقول : في الصحيح وهو في الصحيحين كهذا الحديث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا يقل أحدكم } ولا هاهنا ناهية نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول أحدنا ما سيذكره عليه الصلاة والسلام قال : { لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت } بمعنى إن شئت أن تغفر لي إن هاهنا شرطية بمعنى إن شئت أن تغفر لي فاغفر وإن شئت فلا في هذا . بارك الله فيكم . تنقص للذات الإلهية وذلك كأنه و الله أعلم يظن أن في ذلك كلفة أو أن الله يعمل الشيء وهو كالكاره الله سبحانه وتعالى ليس كالمخلوق المخلوق قد يعطيك وهو كاره محرج وقد يعطيك لقوتك خوفا منك أو يرجو شيئا عندك وقد يعطيك الله سبحانه وتعالى (( إنما نطعمكم لوجه الله )) ( ٤ ) لكن الله سبحانه وتعالى خزائنه مالاى { يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر } ( ٥ ) وجاء في حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { يمين الله مالاى لا يغيظها نفقة } بمعنى لا ينقصها نفقة { سحاء الليل والنهار رأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغط ما في يمينه وفي يده الأخرى القسط يخفضه ويرفعه } ( ٦ ) ويقول سبحانه : (( وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم )) ( ٧ ) ويقول جل وعلا :

١ - البخاري (٥٩٨٠) ومسلم (٢٦٧٩) .

٢ - مسلم (٢٦٧٩) .

٣ - البخاري (٥٩٨٠) ومسلم (٢٦٧٩) .

٤ - الإنسان ( ٩ ) .

٥ - تقدم تخريجه .

٦ - البخاري (٤٤٠٧) ومسلم (٩٩٣) .

٧ - الحجر ( ٢١ ) .

(( ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء )) ( ١ ) ويقول جل وعلا في كتابه الكريم : (( أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات )) ( ٢ ) فهو سبحانه وتعالى الغني القوي المعطي الرافع الخافض ما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل إن أعطى فبقوته وقهره وغناه وإن منع فكذلك لحكمته وحلمه ورحمته بالعبد جاء في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله يحمي عبده من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام } ( ٣ ) فكأن الله سبحانه وتعالى يحمي المؤمن من الدنيا حتى لا يلهو بها عن آخرته فهو سبحانه وتعالى عظيم **من الذي أعطى لقارون الملك وإن مفاتيحه لتتوء بالعصبة أولي القوة ؟ ومن الذي سخر لسليمان الجن والإنس ؟** (( وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها )) ( ٤ ) سمع كلام النملة نملة يسمع سليمان حديثها حينما قام إلى النوق وإلى الخيول التي لهته عن صلاة العصر فجز سنامها ثم عقروها لله سبحانه وتعالى عوضه الله سبحانه وتعالى البساط الريح تنقله من مكان إلى آخر من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه هذا الحديث في مسند أحمد أحد الأعراب قال : أتيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فظل يعلمني مما علمه الله ثم قال : { إنك لن تترك شيئا اتقاء لله جل وعز إلا عوضك الله خيرا منه } ( ٥ ) فإذا سأل أحد منا ربه فليسأل بعزيمة وبهمة وبهمة ونشاط وليعلم أن الله يعطي يقول عمر رضي الله عنه : [ والله إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء ] كم من فترات تمر علينا ونحن لا ندعو الله سبحانه وتعالى وإذا دعا الواحد يدعو وهو مشغول الله يعلم فين وإذا دعا ربما يدعو يعني إن صلح وإلا مش مبالي وإذا دعا اختار الأمور الكبيرة ونسي الصغيرة لا ، اسأل من ربك حتى الصغيرة قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ ليسأل أحدكم ربه شسع نعله } ( ٦ ) كان بعض السلف يسأل من ربه الزيت والبصل سله من الله سبحانه وتعالى { يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم } ( ٧ ) اطلب ذلك من الله سبحانه وتعالى ووطن نفسك أن الله سبحانه وتعالى يستجيب دعائك ويمنحك على هذا الدعاء خيرا إما أن يعجل وإما أن يؤخر وإما أن يصرف عنك من السوء مثلها وهذا مصداق حديث النبي صلى الله عليه وسلم فالواجب على المسلم أن يكون شديد الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى يلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى في الأمور كلها في عسرها ويسرها كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو : { اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض } ( ٨ ) يعني يتملق الله سبحانه وتعالى ويقول : { اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الإخلاص في الغضب والرضى والقصد في

١ - الشورى ( ٢٧ ) .

٢ - الزخرف ( ٣٢ ) .

٣ - صحيح : أحمد ( ٢٣٦٧١ ) والحاكم ( ٧٤٦٥ ) والبيهقي في الشعب ( ١٠٤٥٠ ) انظر حديث رقم : ١٨١٤ في صحيح الجامع .

٤ - النمل ( ١٧ - ١٩ ) .

٥ - مسند الحارث ( ١١٠١ ) .

٦ - تقدم تخريجه .

٧ - تقدم تخريجه .

٨ - مسلم ( ٧٧٠ ) .

الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا ينقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة { (١) } .

وبعض السلف يموت حمارة فيسأل من ربه أن يحييه حتى امتدح شاعر تلك القبيلة يفتخر على قبيلة أخرى قال :

ومنا الذي أحيا إله حمارة وقد مات منه كل عضو ومفصل

وهذه شاهده في القرآن (( أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي الله هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير )) (٢) .

الحمار ميت وتعود إليه النفس وعلى طول تدب النفس في هذا الحمار ويقوم الحمار ينهق ويجري ويذهب ويأتي فرحا مسرورا وقد مات الحمار مائة سنة وأصحاب الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا .

وهكذا فيما يتعلق بقصة عيسى بن مريم وما يتعلق بالطير (( وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا )) (٣) آيات عظام تدل على عظمة قدرة الله سبحانه وتعالى وهذا ربما كان من المستحيل ولكن ما كان ذلك عندهم فيه استحالة إذ أنهم يدعون الله سبحانه وتعالى .

وهكذا فيما يتعلق في قصة العلاء بن الحضرمي حينما صلى ركعتين ومشى على ظهر الماء وهكذا يقال : أن رجلا احتقر الإمام البخاري فدعا عليه فمات .

وهكذا في قصة الحسن حينما احتقره رجل وآذاه فدعا الله عليه فاستجاب دعاءه فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السلف رضي الله تعالى عنهم كانوا يعرفون أهمية الدعاء وقدره ولكن نحن لا حول ولا قوة إلا بالله ربما يجعل الطلب من الله آخر ما يكون يبدأ يفعل الأشياء الحسية وهنا وهناك وبعدين في النهاية يعود إلى ربه سبحانه وتعالى وكان الأولى أن يبدأ به في كل شيء تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة في كل موطن ادعوه سبحانه وتعالى فإنه يستجيب لدعائك ولكن ربما كانت هناك موانع أكل الحرام لبس الحرام شرب الحرام نكاح الحرام التغذي بالحرام المعاصي قطع الأرحام يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم } (٤) ليس فيها إثم بمعنى لا يكون العبد متلبس بإثم ولا فيها قطع رحم فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب والإمام النووي وغيره من العلماء يذكرون أن العبد إذا صادف ساعة إجابة وتملق الله بأسمائه الحسنى وابتهل وتضرع وافتقر ومجد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دخل على الله سبحانه وتعالى ملحا قال : لا يكاد هذا الدعاء يرد بمعنى يقبله الله سبحانه وتعالى والموفق من وفقه الله والمخذول من خذله الله لما في قلبه من الدغل نسأل الله السلامة .

<sup>١</sup> - صحيح : النسائي (١٣٠٦) وابن حبان (١٩٧١) والبخاري (١٣٩٢) وانظر شرح العقيدة الطحاوية للألباني صفحة (١٠١) .

<sup>٢</sup> - البقرة (٢٥٩) .

<sup>٣</sup> - البقرة (٢٦٠) .

<sup>٤</sup> - صحيح : الطبراني في الأوسط (٤٣٦٨) وابن أبي شيبة (٢٩١٧٠) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٣) .

قال : { لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ليعزم المسألة فإن الله لا مكروه له } وهكذا قال : ولمسلم : { وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه } وذلك أن الشخص إذا طلب من الله سبحانه وتعالى شيئاً لا يقول : أنا لا أريد أن أكثر على الله الله سبحانه وتعالى أكثر<sup>١</sup> العبد يقول : لا تكثر على فلان يرجع يرفض لنا الكل يعني إذا أردت أن تستلف منه ألف تستلف مش تريد منه ألف بس وتعيدها في وقتها يقول لك شخص : أنا أرى أنك لو طلبت ألف ربما ما يرضى ولكن خلها خمسمائة الله سبحانه وتعالى يطالبك يا مسلم أن تستكثر إذا سأل أحدكم ربه فليكثر وهكذا في قصة آخر رجل يدخل الجنة حينما كان وجهه متلفت إلى النار فيسأل الله سبحانه وتعالى ويدعوه ويستجير به أن يحول وجهه من النار ثم ينظر إلى الجنة فإذا نظر إلى الجنة يظل يتوسل وكذا وكذا حتى يقدمه الله إلى قرب شجرة فإذا ما قرب إليها يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى ويتملقه حتى يأتيه إلى باب الجنة فإذا جاء إلى باب الجنة يتملق الله ويسأله حتى يدخله الجنة هذا آخر رجل جاء في رواية البخاري أن الله سبحانه وتعالى يقول له :

{ اذهب فادخل الجنة فيذهب إلى الجنة فيخيل إليه أنها ملاء فيقول لربه : **أتهزأ بي فقد وجدتها ملاء ؟** فيضحك الله سبحانه وتعالى منه ثم بعد ذلك يقول له : اذهب فادخل الجنة **أتريد أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟** يقول : رضيت ربي يقول : **أتريد أن يكون لك مثل الدنيا ؟** يقول : رضيت ربي يقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله وفي رواية : وعشر أمثاله وفي رواية : وإن الله ليذكره { (١) } بمعنى أنه يتمنى أريد كذا وكذا وكذا و الله سبحانه وتعالى يذكره يقول : بقي معنا كذا باقي كذا تريد عد باقي كذا تريد نعطيك من هذا فالله سبحانه وتعالى غني ونحن فقراء كريم يعطي لأن خزائن السماوات والأرض هو المتصرف فيها سبحانه وتعالى (( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير )) (٢) هذا سالم بن عبد الله كان يطوف حول الكعبة فجاءه أحد الخلفاء قال له : يا سالم سلني حاجتك قال : أكره أن أطلبها منك وأنا بجوار بيته قال : فإن خرجت قال : إن شاء الله فلما خرج تبع الخليفة سالما سالم هذا أحد العلماء السبعة أحد الفقهاء السبعة الذين كانوا إذا أجمعوا على شيء لا ترد فتواهم فلما أدركه خارج الكعبة قال له : الآن يا سالم سلني حاجتك قال : **من حوائج الدنيا أم الآخرة ؟** قال : من حوائج الدنيا قال : ما سألتها ممن يمتلكها فكيف أسألها ممن لا يمتلكها وهكذا يخرج بعزة نفس وما سأل الخليفة شيئاً فسنأل الله سبحانه وتعالى يا إخوان أن يرزقنا الرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى وأن يكون همنا الأول والأخير هو سبحانه وتعالى ليس غيره وهكذا آخرته لحديث : { من أصبح والآخرة همه جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن أصبح والدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب له } (٣) .

و الله أعلى وأعلم وأعز وأكرم وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

<sup>١</sup> - البخاري (٦٢٠٢) ومسلم (١٨٦) .

<sup>٢</sup> - آل عمران (٢٦) .

<sup>٣</sup> - صحيح : الترمذي (٢٤٦٥) وابن ماجه (٤١٠٥) وانظر السلسلة الصحيحة (٩٤٩) .



## باب لا يقول عبدي وأمتي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد :

فيقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي المشرفي النجدي رحمه الله :

## باب لا يقول : عبدي وأمتي

قوله باب الباب يطلق لأمرين أو لقسمين أو لاثنيين لأمر حسي وهو ما يدخل ويخرج منه ومعنوي وهو الباب من العلم في كتاب من الكتب المؤلفة فهو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب .

قوله : لا يقول لا هاهنا نافية أراد بها النفي المحض الذي لا يجوز ذكره وستأتي بالحديث على أنها ناهية قوله : لا يقول أي لا يقول الإنسان ابن آدم وبت آدم كذلك لأن المرأة أيضا قد يكون لها عبد وقد يكون لها أمة لذلك كانت وارثة بالعصوبة كما قالوا :

وليس في النساء طرا عصبة إلا التي منت بعثق الرقبة .

قوله : عبدي المراد به العبد المعروف الذي قام به عجز حكمي بسبب الكفر والقتال الحاصل بين المسلمين والكفار فاستؤسر والمراد بالأمة العبدية وهي أيضا الجارية وحكمها حكمه وهو أنواع:

١. القن ويسمى العبد الخالص .

٢. المدبر وهو الذي علقت حريته بموت سيده .

٣. المبعض وهو الذي نصفه حر ونصفه عبد وهذا الباب له أحكام باب الرقيق له أحكام تخصه .



في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا يقل أحدكم : أطمع ربك ، وضئ ربك ، وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم : عبي وأمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي } ( ١ ) .

قال : وفي الصحيح المراد بالصحيح صحيح البخاري ومسلم وقبل هذا . بارك الله فيكم . عقد المؤلف رحمه الله تعالى هذا الباب كالإمام الذي قبله فيما يتعلق باحترام أسماء الله وصفاته ومن أجل سد الطرق التي تفضي إلى الشرك وحماية جناب التوحيد وذلك يتجنب الألفاظ الموهمة ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حامي حمى التوحيد فسيأتي . بارك الله فيكم . ما يوضح هذا الكلام الذي ترجم المؤلف هذه الترجمة لأجله وهذا من دقة فقهه رحمه الله تعالى .

قوله : في الصحيح المراد بذلك البخاري ومسلم وليس له قاعدة في هذا فربما قال : في الصحيح وهو يعني البخاري وربما قال : في الصحيح ويعني مسلم وربما قال : في الصحيح وهو يعنيهما وربما قال : في الصحيح وهو خارج الصحيحين .

قال : في الصحيح عن أبي هريرة وهو الصحابي الجليل المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ورسول الله هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف رسول الله بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين فصولات ربنا وسلامه عليه تترى .

قال : { لا يقل } لا هاهنا ناهية والفرق بين اللاتين أعني الناهية والنافية أن لا الناهية تجزم الفعل المضارع (( يا أبت لا تعبد الشيطان )) ( ٢ ) (( ولا تمنن تستكثر )) ( ٣ ) ولا النافية لا تؤثر شيئاً في الأفعال ولا في الأسماء تقول : لا زيد جاء ولا عمرو وتقول : لا يأكل محمد ولا علي ولا جاء زيد ولا عمرو فهي إنما يحكى بها الكلام فلا تؤثر فيه شيئاً إلا إن نوى بذلك أنها نافية للجنس تعمل عمل إن أو نافية للوحدة تعمل عمل ليس أما لا الناهية فكلما واحدة تجزم الفعل المضارع .

قوله : لا يقل المراد بذلك النهي والنهي تفيد التحريم بمعنى لا يجوز هذا الفعل الذي سوف يذكره نبينا صلى الله عليه وسلم .

{ لا يقل أحدكم أطمع ربك } ومعنى أطمع أي ناوله الطعام { وضئ ربك } بمعنى ناوله الوضوء لا يجوز استخدام هذا لأنه لفظ موهم وذلك أن العباد معبدون لله سبحانه وتعالى عبودية عامة وعبودية خاصة أما دليل العبودية العامة قول ربنا سبحانه :

(( إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا )) ( ٤ ) وقال سبحانه : (( وإن من شيء إلا يسبح بحمده )) ( ٥ ) وقال تبارك وتعالى في الحديث القدسي : { خلقت عبادي كلهم حنفاء فاجتاتهم الشياطين فاجتاتهم } ( ٦ ) ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (( يا أيها الإنسان ))

<sup>١</sup> - البخاري (٢٤١٤) ومسلم (٢٢٤٩) .

<sup>٢</sup> - مريم (٤٤) .

<sup>٣</sup> - المدثر (٦) .

<sup>٤</sup> - مريم (٩٣ - ٩٥) .

<sup>٥</sup> - الإسراء (٤٤) .

<sup>٦</sup> - مسلم (٢٨٦٥) .

المراد بذلك كل إنسان (( ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك )) ( ١ ) هذه عبودية عامة وهناك عبودية خاصة حظي بها أهل الإيمان والإسلام قال ربنا الرحمن حاكيا عن هؤلاء :

(( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله )) ( ٢ ) المراد بذلك أهل الإيمان وقال سبحانه :

(( فيشرع عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه )) ( ٣ ) وقال سبحانه (( يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون )) ( ٤ ) فهذه عبودية خاصة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهلها

ومما زادني شرفا وفخرا وكدت بأخمصي أطأ الثريا  
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

فهذا اللفظ فيه إيهام { لا يقل أحدكم أطعم ربك } أي لهذا المولى ولا وضئ ربك أي ناوله الطعام ناوله الوضوء وليقل سيدي أعطيت سيدي وأعطيت مولاي هذا لا بأس به

لفظ واضح قال : { ولا يقل أحدكم عبادي وأمتي } أولا خطاب للأرقاء بعد ذلك خطاب للساداة قال : { لا يقل عبادي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي } هذه الألفاظ موهمة فنهى عنها الشارع الحكيم حتى لا يحصل في ذلك خدش ونيل من التوحيد الذي أراده الله سبحانه وتعالى منا (( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم )) أي توحيدهم بشرك (( أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )) ( ٥ ) .

١ - الإنفطار ( ٦ - ٨ ) .  
٢ - الزمر ( ٥٣ ) .  
٣ - الزمر ( ١٧ - ١٨ ) .  
٤ - الزخرف ( ٦٨ ) .  
٥ - الأنعام ( ٨٢ ) .

فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن قول عبدي وأمتي .
- الثانية : لا يقول العبد : ربي ولا يقال له : أطعم ربك .
- الثالثة : تعليم الأول قول : فتاي وفتاتي وغلامي .
- الرابعة : تعليم الثاني قول : سيدي ومولاي .
- الخامسة : التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ .

قال الشيخ : فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن قول عبدي وأمتي وقد سمعتم ما فيها من الإيهام .
- الثانية : لا يقول العبد : ربي ولا يقول له : أطعم ربك .
- الثالثة : تعليم الأول قول فتاي وفتاتي وغلامي تعليم الثاني قول سيدي ومولاي الأول للسادة والثاني للأرقاء .
- الرابعة : التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ هناك بعض العبارات تطلق مثلاً هناك شجرة تسمى بعباد الشمس اسمها المتعارف عليه عباد الشمس كره كثير من العلماء هذه التسمية قالوا : لا بد أن تسمى دوار الشمس لأنها تدور على جهة الشمس في حال الشروق وكذلك في وقت الغروب هنا مسألة ذكرها الشيخ الفوزان رحمه الله قال : القاعدة المعروفة هي سد الذرائع التي تفضي إلى المحذور كل ذريعة ووسيلة تفضي إلى محذور فإنها ممنوعة وهي قاعدة عظيمة تسمى عند الأصوليين قاعدة سد الذرائع قد تكلم عليها بإسهاب الإمام ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين وإغاثة اللهفان وذكر لها تسعة وتسعين مثلاً .
- المسألة الرابعة : في الحديث دليل على أن من نهى عن شيء وله بديل صالح فإنه يأتي بالبديل لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى عن قول عبدي وأمتي قال : { وليقل فتاي وفتاتي وغلامي } هذا البديل الصالح الذي لا محذور فيه فإذا كان هناك بديل يقوم مقام هذا المنهي عنه فإنه يأتي بالبديل الذي لا محذور فيه مهما أمكن ذلك .

## باب لا يرد من سأل بالله

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد :

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب المشرفي التميمي النجدي رحمه الله :

## باب لا يرد من سأل بالله

عقد المؤلف هذا الباب من أجل تعظيم الله سبحانه وتعالى وذلك يدل على كمال التوحيد عند المسؤول فيما إذا سئل بالله أو باسم من أسمائه الأخرى أن يعظم هذا الاسم لأن أسماء الله عظيمة ولا بد أن تستعظمها القلوب فهي من الشعائر التي عنها الله سبحانه وتعالى بقوله :

(( ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب )) ( ١ ) .

وقوله : لا المراد بها لا النافية وتقدم لنا بالأمر أن لا النافية لا تؤثر في الأفعال ولا في الأسماء فهذه لا النافية بدلالة رفع الفعل المضارع بعدها .

والسؤال بالله مباح أن تسأل بالله أو باسم من أسمائه وقد جاء في حديث الثلاثة الأقرع والأعمى والأبرص حينما جاء الملك بصورة أحدهم حينما كان أبرص وأقرع وأعمى فقال للأبرص : أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن بعيرا أتبلغ به وهكذا قال للأقرع : أسألك بالذي أعطاك الشعر الحسن بقرة أتبلغ بها وقال للأعمى : أسألك بالذي رد عليك بصرك غنمة أتبلغ بها أو شاة أتبلغ بها وفي قوله سبحانه وتعالى دلالة أيضا : (( واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام )) ( ٢ ) ومن أراد أن يسأل الأولى أن يسأل ربه سبحانه وتعالى مباشرة إذا سألت فاسأل الله ولا ينبغي للشخص أن يسأل لأن السؤال فيه مذلة للسائل ولكن عند الاضطرار أو إن كنت محقوقا في أمر فربما وجب عليك السؤال إذا كان المسؤول ملكا أو تسأل من بيت مال المسلمين فمن حقتك أن ترزأ أمثال هؤلاء وهكذا فيما يتعلق بسؤال العلم ربما يكون أمرا واجبا كما قال سبحانه :

(( فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون )) ( ٣ ) .

<sup>١</sup> - الحج ( ٣٢ ) .

<sup>٢</sup> - النساء ( ١ ) .

<sup>٣</sup> - النحل ( ٤٣ ) والأنبياء ( ٧ ) .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { من سأل بالله فأعطوه ، ومن استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه } رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح ( ١ ) .

فيه مسائل :

الأولى : إعادة من استعاذ بالله .

الثانية : إعطاء من سأل بالله .

الثالثة : إجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنعة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه .

السادسة : قوله : { حتى تروا أنكم قد كافأتموه } .

ساق المؤلف حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { من سأل بالله فأعطوه } ومن سأل أي قال : أسألك بالله أو أسألك بالعظيم أو أسألك بالرحيم أن تعطيني كذا الأمر يدل على الوجوب لكن فيما لا يترتب عليه ضرر على المسؤول وكذلك إثما فلو سألك سائل مثلاً قال : أسألك بالله أن تعطيني مائة ريال لأشتري بها دخان أو من أجل أن أشتري بها بطة أو باصرة أو من هذه الأشياء الملهيات هنا لا ينفذ له سؤاله أو قال لك قائل : أسألك بالله أن تحدثني بما يدور في خاطرك هنا يترتب ضرر أو بما تفعله في بيتك مع أهلِكَ هذه أمور لا يجب على المسؤول أن ينفذها لكن لو سألك عن شيء أنت تستحقه أنت قائم على بيت المال فقال : أسألك بالله أن تعطيني ألف أو ألفين أو أنك تستطيع أسألك بالله أن تعطيني عشرة ريالات وبمقدورك أن تعطيه لا سيما إذا كان فقيراً فربما تعين الوجوب ولو رأيت أنه لا يستحق أيضاً لا يتعين وإنما هو فقط من باب الاستحباب فلا ينبغي لأحد أن يستغل هذا الحديث وأمثاله لإحراج المسلمين رأى عليك عمامة جديدة فقال : أسألك بالله أن تعطيني هذه العمامة رأى عليك نعال جميلة أو ثوبا حسنا أو قلما قال : أسألك بالله أن تعطيني هذا أو كتابا لا يجوز وإنما فيما لا بد منه فيما لا يترتب على ذلك ضرر ولا إثما ولا يترتب إحراجا بحيث أنك تلجئه إلى البخل أو إلى كراهيتك لأن بعض الناس إذا لمحت عليه ربما يكرهك ويمقتك

وأوا رجلا عن موطن الذل أحجما

يقولون لي فيك انقباض وإنما

ومن أكرمته عزة النفس أكرما

أرى الناس من داناها هان عندهم

فيقول عليه الصلاة والسلام : { من سأل بالله فأعطوه } بمعنى فيما كان بمقدورك أو سأل شيئا هو يستحقه هو يستحق ذلك الشيء { ومن استعاذ بالله فأعيذوه } من قال : أعذني من فلان أعذني من كذا بمقدورك هذا فوجب عليك أن تعيذه

<sup>١</sup> - البخاري (٤٩٥٥) .

وقد جاء في البخاري من حديث عائشة أن بنت الجون لما دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قالت : أعوذ بالله منك قال : { لقد عذت بعظيم أو بمعاذ فالحقي بأهلك } ( ١ ) وتزوجت في عهد عمر بن الخطاب فاستدعاها عمر وأراد أن يعزرها قالت له : يا أمير المؤمنين إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكشف عني شيئا فسمح لها أن تتزوج وهكذا في مسألة العوذ أيضا مثل السؤال بالله فيكون على حسب الحال .

قوله : { ومن دعاكم فأجيبوه } دعاءك إلى طعام وليمة إلى طعام وليمة عرس أو وليمة عادية هذه من حقوق المسلمين بعضهم لبعض التي توجب المحبة فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

{ حق المسلم على المسلم ست ومنها إجابة الدعوة } ( ٢ ) ويقول صلى الله عليه وسلم : { من لم يجب الدعوة فقد عصى أبا القاسم } ( ٣ ) لكن لو ترتب في هذه الإجابة ضرر كأن يكون في هناك تصاوير وخلاعة ورقص و أغاني ومزامير وإهدار للأوقات والأموال ويفرض عليك ولست أنت الذي تفرض فهنا لا يجب بل لا يجوز لك أن تحضر لأنه منكر لكن لو كان هذا المنكر موجودا وأنت قادر على تغييره ربما تعين عليك الحضور كأن يكون مثلاً ابنك وأنت قادر في بيت ابنك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أو بيت ابن عمك أو ابن عمك يحترمك أو واحد من هؤلاء يقول : هذا فلان يلقي كلمة وهناك آخرون لا يقدرّون هذا الذي أمرهم بالإنصات لكلامك فهنا يتعين الوجوب وجوب حضور هذه الوليمة لأنك سوف تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أما إذا كنت ترى أنك لن تستطيع أن تغير فبقاؤك في بيتك و الله خير من إجابتك لهذه الدعوة التي يترتب عليها ضرر على دينك وعلمك وربما كان في حضورك دليل للآخرين هذا فلان قد حضر فالأولى أن تتقي الله سبحانه وتعالى في نفسك وفي دعوتك وقوله صلى الله عليه وسلم :

{ ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه } أي معروف من الخير لأن المعروف عكسه المنكر فصنع لك معروفا إما أعطاك مالا أو كساء أو طعاما أو شفاعا أو تركية أو أخذت منه علما أو أعطاك نصيحة فكافئه كافئه أولى لك أن تكافئه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكافئ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف منعه قريش من الدخول فوافق المطعم بن عدي أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم بجواره فدخل النبي صلى الله عليه وسلم في حلف المطعم بن عدي فطاف والمطعم بن عدي وأولاده يحرسونه بأسلحتهم فلما كان يوم بدر وقد أعز الله الإسلام والنبي والمسلمين قال :

{ لو كان المطعم بن عدي حيا فسألني هؤلاء الأسرى لو هبّتهم له } ( ٤ ) أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم العاص أو أبو العاص كان من ضمن الأسرى فأرسلت زينب بقلادة كانت تلبسها خديجة أمها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم رق لتلك القلادة رقة شديدة ثم قال : { أطلقوا لها أسيرها } ( ٥ ) وهكذا كانت هالة بنت خويلد إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم يسمع صوتها يقول :

١ - النحل ( ٤٣ ) والأنبياء ( ٧ ) .

٢ - مسلم ( ٢١٦٢ ) .

٣ - أبو يعلى ( ٥٨٩١ ) .

٤ - البخاري ( ٢٩٧٠ ) .

٥ - حسن : أبو داود ( ٢٦٩٢ ) وأحمد ( ٢٦٤٠٥ ) والحاكم ( ٥٠٣٨ ) والطبراني في الكبير ( ١٠٥٠ ) وانظر صحيح أبي داود ( ٢٣٤١ ) .

{ اللهم هالة } ( ١ ) وكانت عائشة تغار شديدا من قوله من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لحق خديجة وهذا فيه معنى قول الله سبحانه وتعالى : (( ولا تنسوا الفضل بينكم )) ( ٢ ) فهذه أيادي يكافؤها النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا فيما يتعلق بأبي بكر قال : { ما نفعني مال أحد غير مال أبي بكر } ( ٣ ) وكان يثني ويطنب في مدح أبي بكر رضي الله تعالى عنه ولما تخاصم أبو بكر مع عمر يعني قال : { هل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ } إن أبا بكر وإساني حينما حرمتوني وصدقني إذ كذبتوني { ( ٤ ) فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم مكافآت كثيرة لأبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

{ من صنع إليكم معروفا فكافئوه } كافئه إن كنت تستطيع بالمثل أو بأكثر من ذلك هذا ليس من باب الربا أن تكافئه بأكثر مما أعطاك لكن لو كان ملكا أو رئيسا أو رجلا أرفع منك منزلة بالأمر الديني

فتكافؤه بالدعاء والاحترام والتقدير والدعاء بظهر الغيب أولى من أن يكون له يد عليك كافئه بها مباشرة فإذا لم تجد ما تكافؤه به فادع له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : { فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه } يعني حتى تعلموا أو يغلب على ظنك أنك قد كافأت هذا كافئه بالدعاء .

كيف إذا أنت أحسنت إلى لئيم أنت لا ترجو منه مكافأة لأنك إذا أكرمت الكريم ملكته وإذا أكرمت اللئيم تمردا فالناس على قسمين :

هناك كريم يعرف الفضل لأهله وهناك لئيم بمجرد قضاء حاجته ووطره منك قلب لك ظهر المجن قدم جماعة من رعل وذكوان فاستوحمو المدينة بمعنى أصيبوا بالحمى والأوجاع فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح من إبل الصدقة يشربون من أبوالها وألبانها من أجل أن يصحوا فشربوا حتى صحوا فقتلوا الراعي واستاقوا الذود والحديث في البخاري فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم فجاء بهم فسملت أعينهم في حرة الشمس وطبق فيهم حد الحرابة (( إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم )) ( ٥ ) .

فتأملوا كيف كان مقابل هؤلاء الإحسان كيف قابلوا وكيف واجهوا الإحسان يعني اتق شر من أحسنت إليه أحسن إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن والعباد بالله

كعاصر الزيت في ذنب الكلب

ومن صنع المعروف في غير أهله

أعوذ بالله فبدلا من أن لا عاد يكافئوه وإنما فقط لا يفسدوا وهكذا بعضهم أنت لا تنتظر منه مكافأة ولا ترد منه دعاء أيضا لأنه ليس أهلا لذلك لأنه لئيم عياذا بالله لكن يقلب لك ظهر المجن ويتنكر لك وربما يرميك بأبشع الألقاب والألفاظ

**لماذا ؟ لأنه لئيم**

١ - البخاري (٣٦١٠) ومسلم (٢٤٣٧) .

٢ - البقرة ( ٢٣٧ ) .

٣ - صحيح : الترمذي (٣٦٦١) وأحمد (٧٤٣٩) وابن حبان (٦٨٥٨) وأبو يعلى (٤٤١٨) انظر حديث رقم : ٥٨٠٨ في صحيح الجامع .

٤ - البخاري (٣٤٦١) .

٥ - المائدة ( ٣٣ ) .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا

فليوطن الشخص نفسه أن يكون عمله لله سبحانه وتعالى إن عملت فله وإن شفعت فله وإن أعطيت فله وإن منعت لله الناس لا يرضيهم هذا لكن

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

فلو أن الشخص أَرْضَى الله سبحانه وتعالى على أنه لا يسلم من النقد وهذه سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه فقديمًا قالوا :

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا

وجاء في إثر إسرائيلي من باب : { وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج } ( ١ ) أن ربنا سبحانه طلب من موسى أن يعطيه شيئًا فقال : رب امنع كلام الناس عني فقال له : يا موسى ما اتخذت ذلك لنفسني .

فالأنبياء تكلم فيهم وفي أعراضهم وفريت أعراضهم فربا وهكذا الصحابة والصالحون والعلماء والمرشدون وأهل الخير والإحسان وأنت من أنت إذا تكلم فيك وفي عرضك فأنت ما تكلم فيك إلا لأنك مهم لو كنت غير مهم ما تكلموا فيك ما يتكلم الناس على من يخرج المزابل التي بعد الأبقار والأغنام يخرجها من الإصطبلات بالأكياس إلى المزارع أو الذي ينقل ماء أو إلى آخره .

أو الذي يشتغل في البيارات والمجاري لا يتكلم على هؤلاء لأنهم ليسوا بمهمين فإذا ما تكلم الناس عن رجل وكان خيرا فتلك سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه فإنهم يتكلمون على الكرام والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل وإنما يتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء } ( ٢ ) الحديث صححه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة ورواه أبو داود والنسائي وإسناده كما تقدم لكم أنه صحيح ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا وإياكم على العمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - البخاري (٣٢٧٤) .

<sup>٢</sup> - صحيح : الحاكم ( ١٢٠ ) والطبائسي ( ٢١٥ ) والبيهقي في الشعب ( ٩٧٧٥ ) وانظر حديث رقم : ٩٩٢ في صحيح الجامع .



## باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا يسأل بوجه الله إلا الجنة } رواه أبو داود ( ١ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب .

الثانية : إثبات صفة الوجه .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد :  
قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

## باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

قال : عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { لا يسأل بوجه الله إلا الجنة } رواه أبو داود .  
هذا الحديث ضعيف لضعف معاذ بن سليمان بن قرب التميمي وهذا الرجل قد تكلم عليه غير واحد وضعف الحديث يحيى بن سعيد القطان والألباني والأرنؤوط فالحديث ضعيف ولكن يغني عن هذا الحديث حديث أبي موسى عند الطبراني وغيره وحسنه العراقي كما في فيض القدير للمناوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
{ ملعون ثلاثا من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا } يعني ما لم يسأل فحشا .  
وجاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ من سألكم بالله أو بوجه الله فأعطوه } ( ٢ ) رواه أحمد وحسنه الدوسري رحمه الله كما في تحقيقه على كتاب التوحيد  
وهذان الحديثان يغنيان عن هذا الحديث الضعيف الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى .

وهاهنا كلام للشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله تعالى أحببت أن أقرأه كاملا حتى لا يفوتني منه شيئا لأن هناك ارتباط  
بأول الكلام وآخره فهذا هو الجزء الثالث من القول المفيد شرح كتاب التوحيد ص ١٤٤ قال أبو عبد الله محمد بن صالح  
العثيمين :

اختلف في المراد بذلك على قولين يعني بقوله : { لا يسأل بوجه الله إلا الجنة } :

**القول الأول :** أن المراد لا تسألوا من المخلوقين بوجه الله لا تسألوا أحدا من المخلوقين بوجه الله فإذا أردت أن تسأل  
أحدا من المخلوقين فلا تسأل بوجه الله لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة وذلك لعظم وجه الله و لعظم هذه المسألة والخلق  
لا يقدر على إعطاء الجنة فإذا لا يسألون بوجه الله مطلقا ويظهر أن المؤلف يرى هذا الرأي في شرح الحديث ولذلك  
أعقبه بقوله : باب لا يرد من سأل بالله هذا الباب الذي قد تقدم لنا .

<sup>١</sup> - ضعيف : أبو داود (١٦٧١) انظر حديث رقم : ٦٣٥١ في ضعيف الجامع .

<sup>٢</sup> - صحيح : أبو داود (٥١٠٨) والنسائي (٢٥٦٧) وأحمد (٥٣٦٥) وابن حبان (٣٤٠٨) انظر حديث رقم : ٦٠٢١ في صحيح الجامع .

**القول الثاني :** أنك إذا سألت الله فإن سألت الجنة وما يستلزم دخولها فلا حرج أن تسأله بوجه الله وإن سألت شيئا من أمور الدنيا فلا تسأله بوجه الله لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به الشيء من أمور الدنيا فأمور الآخرة تسأل بوجه الله كقولك مثلا : أسألك بوجهك أن تنجيني من النار والنبى صلى الله عليه وسلم استعاذ بوجه الله لما نزل قوله تعالى : (( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم )) ( ١ ) فقال : { أعوذ بوجهك قال : (( أو من تحت أرجلكم )) قال : أعوذ بوجهك قال : (( أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض )) قال : هذا أهون أو هذا أيسر { ( ٢ ) عن جابر في البخاري ولو قيل : إنه يشمل المعنيين جميعا قال : لكان له وجه أن لا تسأل أحدا من المخلوقين وأنك إذا سألت بوجه الله من الله لا تسأله إلا الجنة فلا يصرف إلى غير الجنة .

وقوله : بوجه الله قال : فيه إثبات الوجه لله عز وجل وهو ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف ففي القرآن قوله تعالى : (( كل شيء هالك إلا وجهه )) ( ٣ ) وقوله تعالى : (( والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم )) ( ٤ ) والآيات كثيرة .

والسنة كما جاء في الحديث السابق : { أعوذ بوجهك } وكذلك أيضا حديث أبي موسى في صحيح مسلم قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم فينا بخمس كلمات فقال : { إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام بيده القسط يخفضه ويرفعه حجاب به النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصر أحد من خلقه { ( ٥ ) .

قال : واختلفوا في هذا الوجه الذي أضافه الله إلى نفسه هل هو وجه حقيقي أم وجه يعبر عن الذات وليس لله وجه بل له ذات أو أنه يعبر به عن الشيء الذي يراد به وجهه وليس هو الوجه الحقيقي أو أنه يعبر به عن الجهة أو أنه يعبر به عن الثواب فيه خلاف لكن هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فقالوا : إنه وجه حقيقي وهؤلاء هم جمهور أهل السنة والجماعة من زمن الرسول والصحابة إلى يومنا هذا أن الله تعالى قال :

(( ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام )) ( ٦ ) ولما أراد غير ذاته قال :

(( تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام )) ( ٧ ) فذي صفة لرب وليست صفة لاسم وذو صفة لوجه وليست صفة لرب فإذا كان الوجه موصوفا بالجلال والإكرام فلا يمكن أن يراد به الثواب أو الجهة أو الذات وحدها لأن الوجه غير الذات .

قال أهل التعطيل الجهمية وما شابهها : إن الوجه عبارة عن الذات أو الجهة أو الثواب قالوا : لو أثبتنا لله وجهها حقيقيا للزم أن يكون جسما والأجسام متماثلة ويلزم من ذلك إثبات المثل لله عز وجل و الله سبحانه وتعالى يقول : (( ليس كمثله شيء )) ( ٨ ) وإثبات المثل تكذيب للقرآن وأنتم يا أهل السنة تقولون : أن من اعتقد أن لله مثيلا فيما يختص به فهو كافر فنقول لهم :

**أولا :** ما تعنون بالجسم الذي فررت منه أتعنون به المركب من عظام وأعصاب ولحم ودم بحيث يفتقر كل جزء منه إلى الآخر إن أردتم ذلك فنحن نوافقكم أن الله ليس على هذا الوجه ولا يمكن أن يكون كذلك وإن أردتم بالجسم الذات

١ - الأنعام ( ٦٥ ) .

٢ - البخاري ( ٤٣٥٢ ) .

٣ - القصص ( ٨٨ ) .

٤ - الرعد ( ٢٢ ) .

٥ - مسلم ( ١٧٩ ) وابن ماجه ( ١٩٥ ) ( ١٩٦ ) وابن حبان ( ٢٦٦ ) ومسنند أبي يعلى ( ٧٢٦٢ ) .

٦ - الرحمن ( ٢٧ ) .

٧ - الرحمن ( ٧٨ ) .

٨ - الشورى ( ١١ ) .

الحقيقية المتصفة بصفات الكمال فلا محذور في ذلك و الله تعالى وصف نفسه بأنه أحد صمد قال تعالى : (( قل هو الله أحد الله الصمد )) ( ١ ) قال ابن عباس رضي الله عنهما :  
[ الصمد الذي لا جوف له ] .

**ثانيا :** قولكم : إن الأجسام متماثلة قضية من أكذب القضايا فهل جسم الدب مثل جسم النملة فيبينهما تباين عظيم في الحجم والرفقة واللين وغير ذلك .

فإذا بطلت هذه الحجة بطلت النتيجة وهي استلزام مماثلة الله لخلقه ونحن نشاهد البشر لا يتفقون في الوجوه فلا تجد اثنين متماثلين من كل وجه ولو كانا توأمين بل قالوا : إن عروق الرجل واليد غير متماثلة من شخص لآخر ويلاحظ أن التعبير بنفي المماثلة أولى من التعبير بنفي المشابهة لأن اللفظ الذي جاء به القرآن ولأنه ما من شيئين موجودان إلا ويشتهان من وجه ويفترقان من وجه آخر فنفي مطلق المشابهة لا يصح وقد تقدم .

أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله خلق آدم على صورته } ( ٢ ) ووجه الله الله لا يماثل أوجه المخلوقين فيجيب عنه :

**أولا :** أنه لا يراد به صورة تماثل صورة الرب عز وجل بإجماع المسلمين والعقلاء لأن الله عز وجل وسع كرسيه السماوات والأرض والسماوات والأرض كلها للكرسي موضع القدمين كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة فما ظنك برب العالمين فلا أحد يحيط به وصفا ولا تخيلا ومن هذا وصفه لا يمكن أن يكون على صورة آدم ستون ذراعا وإنما يراد به أحد معنيين :

**الأول :** أن الله تعالى خلق آدم على صورة اختارها وجعلها أحسن صورة في الوجه وعلى هذا فلا ينبغي أن يقبح أو يضرب لأنه لما أضافه لنفسه اقتضى من الإكرام ما لا ينبغي معه أن يقبح أو يضرب .

**الثاني :** أن الله خلق آدم على صورة الله عز وجل لا يلزم من ذلك المماثلة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : { إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أضواء كوكب في السماء } ( ٣ ) لا يلزم أن يكون على صورة نفس القمر لأن القمر أكبر من أهل الجنة وأهل الجنة يدخلونها طول أحدهم ستون ذراعا وعرضه سبعة أذرع كما في بعض الأحاديث .

قال بعض أهل العلم : على صورته أي على صورة آدم أي أن خلق آدم أول أمره على هذه الصورة وليس كنيه يتدرج في الإنشاء نطفة ثم علقة ثم مضغة لكن الإمام أحمد رحمه الله أنكر هذا التأويل وقال : هذا تأويل الجهمية ، ولأنه يفقد الحديث معناه وأيضا يعارضه اللفظ الآخر المفسر للضمير وهو بلفظ { على صورة الرحمن } ( ٤ ) .

كلام الإمام أحمد رحمه الله تعالى هذا يعني أخذه من غير تأويل ومن غير نظر فيما قاله غيره من أهل العلم لكن أيضا . بارك الله فيكم . لا نهمل بقية النصوص التي نطق بها ربنا ونطق بها نبينا صلى الله عليه وسلم مثل :

١ - الإخلاص ( ١ - ٢ ) .

٢ - مسلم ( ٢٦١٢ ) .

٣ - البخاري ( ٣٠٧٤ ) ومسلم ( ٢٨٣٤ ) .

٤ - ضعيف : الطبراني في الكبير ( ١٣٥٨٠ ) والحاثر ( ٨٧٢ ) وانظر السلسلة الضعيفة ( ١١٧٦ ) .

(( ليس كمثله شيء )) ( ١ ) والفوارق . بارك الله فيكم . بين الخالق والمخلوق فهي حاصلة بين المخلوقات فما بالك بين الخالق وبين عباده الذين خلقهم فيكون . بارك الله فيكم . وإن قلنا بذلك فلا ينبغي لنا أن نقطع أو أن نعتقد المماثلة والمشابهة ولكن نقول : آمنا بما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يعدو ذلك بتأويل بتمثيل أو اختلاط أو تشبيه فنعوذ بالله مما قاله الممثلون .

---

<sup>١</sup> - الشورى ( ١١ ) .

## باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : (( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا )) ( ١ ) .  
 وقوله : (( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا )) ( ٢ ) .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد :  
 يقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

## باب ما جاء في اللو

قوله : ما هاهنا موصولية وجاء فعل ماض بمعنى ما ورد ما ثبت من الآيات والأحاديث أو ما حكم الشرع في استخدام كلمة لو والألف واللام في قوله اللو زائدة وليست تعريفا لأن لو يسميه علماء النحو حرف امتناع لامتناع تقول : لو جاءني زيد أكرمته فالمجيء علة للإكرام وإذا امتنع المجيء امتنع الإكرام والعرب قد تزيد حرفا لا للتعريف وإنما تزيده تزيينا إضافة لغير علة كقول الناظم :

رأيت الوليد بن يزيد مباركا شديدا بأعباء الخلافة كاهله

والألف واللام إنما هي تعرف الاسم كما قال ابن مالك في ألفيته :

بالجر والتنوين والندا وأل ومسند للاسم تمييز حصل

وقوله : ما جاء في اللو ترك الترجمة مفتوحة لم يقطع بشيء هل استعمال كلمة لو حلال حرام منهي عنه ماذا ؟  
 ترد لو على ستة أوجه :

**الوجه الأول :** تستعمل للاعتراض على شرع الله وعلى قدر الله كقول ربنا سبحانه وتعالى :

(( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا )) ( ٣ ) أو (( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا )) ( ٤ )  
 هذا فيه اعتراض على الشرع .

الذين قالوا المراد بالضمير هاهنا يعود الضمير هاهنا على المنافقين (( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا )) ( ٥ ) وذلك أن المسلمين لما أقبلت جحافل الشرك والكبرياء والغطرسة من مكة يريدون الانتقام لما حصل لكبرائهم يوم بدر خيموا خارج المدينة في منطقة قريبة من جبل أحد فكان النبي صلى الله عليه وسلم يهوى أن يبقى في المدينة فإذا ما أقبل هؤلاء تصدى الرجال للدفاع عن دينهم ووطنهم وساعدتهم النساء من على قمم البيوت وهكذا اختار

١ - آل عمران ( ١٥٤ ) .  
 ٢ - آل عمران ( ١٦٨ ) .  
 ٣ - آل عمران ( ١٥٤ ) .  
 ٤ - آل عمران ( ١٦٨ ) .  
 ٥ - آل عمران ( ١٦٨ ) .

بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاختيار وكذلك أيضا من المنافقين لا سيما زعيمهم عبد الله بن أبي المنافق الكبير كان يشتهي هذا الرأي فإذا ببعض الصحابة الذين لم يحضروا موقعة بدر كانوا يشتهون أن يناجزوا عدوهم ويلتقون بهم حتى يحكم الله سبحانه وتعالى بينهم وبين عدوهم وذلك أنهم حرموا من وقعة بدر ومن الاستشهاد في سبيل الله فهم خرجوا أو أرادوا الخروج من أجل أن يكرمهم الله سبحانه وتعالى إما بالنصر وإما بالشهادة فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأقوال مضطربة دخل النبي صلى الله عليه وسلم بيته وحينما دخل لبس لأتمته أي آلة الحرب ثم خرج وقد ارتدى ملابس الحرب والجهاد فأراد بعضهم الرأي قال :

{ ما كان لنبي أن يضع لأمته بعد أن لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه } ( ١ ) فيخرج النبي صلى الله عليه وسلم ويخرج معه أصحابه والمنافقون خرجوا فلما كانوا بمنتصف الطريق انحنس عبد الله بن أبي بقرابة ثلث الجيش وقال : **على ما يقاتل هؤلاء؟** لا ندري على ماذا يقاتلون فلما حصل في نهاية المعركة من الترية والتأديب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيما كان معناه عند المشركين نصرا لهم وليس نصرا فهو هزيمة للمشركين في أحد ولكنه درس تربوي لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال لهم النبي قال للذين على قمة الجبل :

{ إن رأيتمونا انتصرنا أو انهزمنا فلا تبحروا عن أماكنكم } ( ٢ ) فاجتهد واحد وأربعون نفرا وقالوا : نزل فنزلوا فيأتي الكفار من خلفهم فيحدثون بالصحابة فيموت من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قرابة السبعين منهم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله يقتله وحشي الحبشي وهكذا حصلت معركة حامية الوطيس يوم شديد على النبي وعلى أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم **فما الذي حصل ؟**

قال عبد الله بن أبي وأصحابه في نهاية الأمر : (( لو أطاعونا ما قتلوا )) ( ٣ ) لو أطاعنا هؤلاء الصحابة ما قتلوا هذا فيه اعتراض على شرع الله .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج وابن أبي يريد الطاعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله بل إنه قد قال لأصحابه في بداية الأمر قال : يطيع غيري ويعصيني فكان والعياذ بالله يتربص بالمسلمين الدوائر فاستعمال لو هاهنا محرم وفيما شابهها حرم الله الزنى تقول : لو كان يباح بعضه حرم الله الخمر تقول : أوجب الله صلاة الفجر عند طلوع الفجر الصادق فتقول : لو تأخرت قليلا حتى ينام الناس هذا اعتراض على الشرع فاستخدام لو هاهنا محرم ولا يجوز .

**الصورة الثانية :** أن تستعمل لو للاعتراض على القدر ويستدل لهذا بقوله تبارك وتعالى حاكيا عن المنافقين أيضا : (( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا )) ( ٤ ) يعني في أحد فرد الله سبحانه وتعالى عليهم قال سبحانه : (( قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين )) ( ٥ ) وهذا جواب مفحم وملزم أنتم سواء خرجتم أو بقيتم لما حصل لكم إلا ما كتبه الله

١ - صحيح : سنن البيهقي الكبرى ( ١٣٠٦١ ) وانظر تحقيق فقه السيرة للألباني صفحة ٢٥٠ .

٢ - الأحاد والمثاني ( ٢٠٠٩ ) .

٣ - آل عمران ( ١٦٨ ) .

٤ - آل عمران ( ١٥٤ ) .

٥ - آل عمران ( ١٥٤ ) .

وكل مقدور فما منه مفر

وكل شيء بالقضاء والقدر

ليس منه مفر ما قضاه الله سبحانه وتعالى فلا بد أن يكون كان شخص في بيته قال : أريد أن أخرج للنزهة إلى الحديقة أو إلى البر كذا فحصل له حادث أو لبعض أولاده فلا ينبغي أن يقول : لو كنت ما خرجت كنت نجيت كنت سلمت ما حصل لي هذا ، غامرت في مشروع تجاري خسرت تقول : و الله لو ما دخلت كنت كذا أو فلان قال لك كذا فاستجبت وأنت بسمك وبصرك واختيارك فترجع تقول : أنت السبب لا إنه قضاء الله وقدره

ولا تبتن إلا خالي البال

دع المقادير تجري في أعنتها

والعبد يستريح حينما يفوض أمره لله الواحد القهار وإذا هو لم يفوض ربما يصاب بالهموم والأحزان والوساويس وربما بالجنون ربما بالنوبة القلبية بجلطة بكثير من الأمراض الناجمة من عدم تفويض الأمر لله عز وجل فاستعمال لو محرم وكما سيأتي في الحديث : { ولا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان } .  
والعوام يقولون : لو كان ما تفتح دكان .

استخدامها للاعتراض على القدر محرم استعمالها للاعتراض على الشرع محرم .

**الصورة الثالثة :** تستخدم لو للندم والتحسر وهذا أيضا لا يجوز ودليل هذه النقطة الثالثة قول النبي صلى الله عليه وسلم : { فلا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان } لو فعلت كذا كان كذا وكذا فإن لو تفتح عمل الشيطان استعمالها محرم .

**رابعا :** تستعمل للاحتجاج بالقدر على المعصية **ليش سرق يا فلان ؟**

قضاء الله وقدره **ليش زيت ؟** قال : قدر الله علي **ليش تسمع الأغاني ؟** قال : قضاء وقدر **ليش تأخذ حقوق الناس ؟** قضاء وقدر يقول هذا وهو متلطخ بالذنوب وعنده إصرار الله تبارك وتعالى يقول عن هؤلاء حكى الله عن المشركين أنهم قالوا : (( لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا )) ( ١ ) وهكذا : (( لو شاء الرحمن ما عبدناهم )) ( ٢ ) أما أنك تحتج بالقدر بعد أن تنزع عن المعصية وتتوب إلى الله فلا بأس كما { احتج آدم على ابنه موسى لما قال له موسى : أنت أبونا أخرجتنا من الجنة أشقيتنا ونفسك قال : يا موسى تلومني على شيء قدره الله علي قبل أن يخلق السماوات والأرض بأربعين ألف عام } قال النبي صلى الله عليه وسلم : { فحج آدم موسى } ( ٣ ) غلبه بالحجة فلا بأس حينئذ من الاحتجاج بالقدر وهكذا لما قال فرعون لموسى :

(( وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها إذن وأنا من الضالين )) ( ٤ ) على أن فرعون أبو الفعائل ولكن تأمل إلى الرد قال : فعلتها ولكن كنت في حال ضلال وليس معنى هذا أنه كان تائها ضائعا ضالا لا وإنما كان يجهل مثل هذه الأحكام كما قال الله سبحانه وتعالى عن نبينا صلى الله عليه وسلم : (( ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى )) ( ٥ ) أي عن معرفة الشرع .

١ - الأنعام ( ١٤٨ ) .

٢ - الزخرف ( ٢٠ ) .

٣ - البخاري ( ٦٢٤٠ ) ومسلم ( ٢٦٥٢ ) .

٤ - الشعراء ( ١٩ - ٢٠ ) .

٥ - الضحى ( ٦ - ٧ ) .

وهكذا أيضا تستعمل للتمني هذه **المرحلة الخامسة** في لو للتمني وهي على حسب أمنية الشخص إن كانت أمنيته خيرا فخير وإن كانت أمنيته شرا فشر لما جاء في مسند أحمد من حديث أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه وأرضاه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ وإنما الدنيا لأربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فسلط علمه على ماله فأنفقه في الخير ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيرى صاحب المال يستخدمه فيما أحب الله فيقول : لو أن لي مالا لأكون مثل فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما في الأجر سواء } ( ١ ) هذا استخدم كلمة لو في الخير لو عندي خمسة ألف مثلا لأعتقت رقبة لأطعمت الفقراء والمساكين لعمرت مسجدا لو كان لي من المال لأنفقت لفعلت أمني خيرا { وأما الثالث أعطي المال ولم يعط العلم فما ترك من سبيل شر إلا أنفق فيه أما الرابع فلم يعط شيئا فيرى صاحب المال ينفقه في الحرام يقول : لو أن لي مالا لأكون مثل فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما في الوزر سواء } ( ٢ ) فالحالة هذه على حسب المتمني على حسب ما تمنيت وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

**سادسا :** تستعمل لو للخير المحض أخبار محضة خبرة واستدلوا لهذا ما جاء في الصحيحين من حديث جابر في حجة النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع حينما ساق الهدى وأصحابه بعضهم ساقوا الهدى وبعضهم لم يسوقوه فالذين لم يسوقوا الهدى أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحللوا وأن يمتنعوا بالعمرة إلى الحج فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة ولما سقت الهدى } ( ٣ ) فهنا خبر محض أشبه ما تقول : لو عندي مال لأبني مسجدا لو عندي مال لذهبت للحج والعمرة أو صليت من التراويح أربعا وغيرك صلاها كلها فقلت : لو استقبلت من أمري ما استدبرت لصليت كلها فاتتك العمرة فاتك الحج فاتك حفظ القرآن فات كذا فأنت تستخدم لو للأمر المستقبلية الخيرة فلا شيء في ذلك .

فيقول المؤلف رحمه الله : باب ما جاء في اللغو وقول الله تعالى : (( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا )) ( ٤ ) هؤلاء هم المنافقون يقول بعضهم لبعض : ما قتلنا والمراد بذلك ما قتل من أصحابنا قتل : من أصحابنا في النسب وقيل : في الدين لأن المنافقين أسلموا ظاهرا وقيل : يراد به هذا وهذا فهذا كما تقدم لكم أنه اعتراض على الشرع ولا يجوز أبدا وقوله سبحانه :

(( الذين قالوا لإخوانهم )) ( ٥ ) أيضا الضمير يعود على المنافقين والمراد بإخوانهم الصحابة فقليل : أخوة الدين وقيل : أخوة النسب ولا بأس من احتمال الأمرين لأن المنافقين أسلموا ظاهرا ولم يسلموا باطنا فقليل عنهم : منافقون يظهرون الإسلام زندقة ومصلحة ويبطنون الكفر والزندقة ويظهرون الدين من أجل مصالحهم ومن أجل أن يندسوا في صفوف المسلمين

١ - صحيح : الترمذي (٢٣٢٥) وأحمد (١٨٠٦٠) انظر حديث رقم : ٣٠٢٤ في صحيح الجامع .

٢ - صحيح : الترمذي (٢٣٢٥) وأحمد (١٨٠٦٠) انظر حديث رقم : ٣٠٢٤ في صحيح الجامع .

٣ - مسلم (١٢١٨) .

٤ - آل عمران ( ١٥٤ ) .

٥ - آل عمران ( ١٦٨ ) .



(( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا )) ( ١ ) هذا يقول بعضهم لبعض : لو أطاعنا هؤلاء ما حصل لهم ما حصل وقد حصل . بارك الله فيكم . رد من الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء قال سبحانه وتعالى : (( قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين )) ( ٢ ) فالله تبارك وتعالى رد على هؤلاء كما تقدم وقد ذكر الحافظ ابن كثير كلاما طيبا حول هذه الآية قال رحمه الله : (( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا )) ( ٣ ) أي لو سمعوا مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل قال الله تعالى : (( قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين )) ( ٤ ) أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي لكم ألا تموتوا والموت لا بد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه يعني أنه هو الذي قال ذلك .

قال : وأخرج البيهقي عن أنس أن أبا طلحة قال : غشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فجعل يسقط سيفي وآخذه ويسقط وآخذه قال : والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية إنما هم أهل ريب وشك بالله عز وجل .

هنا يصور الله سبحانه وتعالى ما كان من هؤلاء قال جل وعلا : (( إذ تصعدون ولا تلوون على أحد )) ( ٥ ) وهذا في غزوة أحد تصعدون تطلعون على الجبل والرسول صلى الله عليه وسلم يناديهم الرجوع قال سبحانه : (( إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم )) ( ٦ ) آخر المعركة (( فأتابكم غما بغم لكي لا تحزنوا )) ( ٧ ) هذا أرسله الله أرسل النعاس على هؤلاء طمأنينة

(( فأتابكم غما بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم و الله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم )) ( ٨ ) هؤلاء المنافقون يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قال الله : (( قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم )) ( ٩ )

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

يعني لو ما خرج هؤلاء الذين قتلوا في أحد لو ما خرجوا لجاءهم الموت إلى مضاجعهم كما حصل في قصة الرجل الذي أراد أن يسافر في رحلة جوية فخافت عليه أمه وأخبات جواز السفر خباته ثم بعد ذلك يدخل غرفة فيحتجز نفسه فيها ثم تأتي الأخبار أن الطائرة التي أقلعت في الساعة الفلانية متجهة للبلاد الفلانية تفجرت في الأجواء فذهبت تريد أن تبشر ابنها حتى يذهب عنه الحزن ويرضى عنها فدقت باب الغرفة فما فتح لها ابنها فتحاملوا على الباب وكسروه فوجدوا الابن

١ - آل عمران ( ١٦٨ ) .

٢ - آل عمران ( ١٦٨ ) .

٣ - آل عمران ( ١٦٨ ) .

٤ - آل عمران ( ١٦٨ ) .

٥ - آل عمران ( ١٥٣ ) .

٦ - آل عمران ( ١٥٣ ) .

٧ - آل عمران ( ١٥٣ ) .

٨ - آل عمران ( ١٥٣ - ١٥٤ ) .

٩ - آل عمران ( ١٥٤ ) .

ميتا هو كان سيموت مع الذين ماتوا فوق في الفضاء ولكن أراد الله عز وجل أن يميت في البيت في تلك اللحظات التي حصل فيها تفجير الطائرة في الفضاء لا بد الشخص أن يكون عنده هذه العقيدة في قلبه قال : (( قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم و الله عليم بذات الصدور إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض وكانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم و الله يحي ويميت و الله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون )) ( ١ ) ثم بعد ذلك يذكر الله سبحانه وتعالى فيما حصل في نهاية المعركة قال : (( أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها )) ( ٢ ) يعني في أحد (( قتلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم )) هذا عتاب للرماة (( إن الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيأذن الله وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم )) ( ٣ )

هذا عبد الله بن أبي قال لهم : ارجعوا إيش معهم هؤلاء (( قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم )) ( ٤ ) قال سبحانه : (( هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم و الله أعلم بما يكتُمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين )) ( ٥ ) ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على السبعين الذين قتلوا تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الذين أصيبوا بإخوانهم وأبنائهم وآبائهم وكذلك تسلياً لنفوسهم لنسائهم قال سبحانه : (( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين )) ( ٦ ) ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أعاد الكلام إلى ما حصل بعد انتهاء المعركة وهو وصول الصحابة إلى المدينة ثم جاءهم الندب للخروج مرة أخرى إلى حمراء الأسد لأن أبا سفيان وأصحابه أبو سفيان قبل أن يسلم كان يقول : لا بد من الرجوع حتى نستأصل شأفة المسلمين قال سبحانه :

(( الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح )) ( ٧ ) والمراد بالقرح القتل الجروح الآلام (( الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء )) ( ٨ ) وذلك أن

١ - آل عمران ( ١٥٣ - ١٦٠ ) .  
٢ - آل عمران ( ١٦٥ ) .  
٣ - آل عمران ( ١٦٥ - ١٦٧ ) .  
٤ - آل عمران ( ١٦٧ ) .  
٥ - آل عمران ( ١٦٧ - ١٦٨ ) .  
٦ - آل عمران ( ١٦٩ - ١٧١ ) .  
٧ - آل عمران ( ١٧٢ ) .  
٨ - آل عمران ( ١٧٢ - ١٧٤ ) .

أصحاب قريش رجعوا خافوا لما يعني قال لهم ذلك الرجل لقد خرج محمد بجيش لا قوام لكم به (( فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله و الله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم )) ( ١ ) عمت المشركين وكذلك أيضاً المنافقين ثم قال سبحانه :

(( إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم ولا يحسن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين )) ( ٢ ) ثم بين حقيقة المنافقين قال : (( ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه )) ( ٣ ) وهذا من فوائد غزوة أحد كما ذكر ابن القيم في زاد المعاد (( ما كان الله ليذر المؤمنين المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلکم أجر عظيم )) ( ٤ ) ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين ساهموا في هذا الخروج قال سبحانه : (( ولا يحسن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث السماوات والأرض و الله بما تعملون خبير )) ( ٥ ) وذلك أن بعضهم سخرى وقدم وبعضهم شح وبخل فالله المستعان فهذا تصوير قرآني بديع لما حصل في العام الثالث من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد تلك الغزوة العظيمة التي ابتلى الله عز وجل فيه أوليائه ابتلاء حسناً حتى قالت عائشة : يا رسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد . يوم تاريخي لا ينسى . فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : { نعم } تتعجب عائشة **ويش اليوم الذي جاء أشد من يوم أحد ؟** فقال لها : { يوم أن عرضت نفسي على بني عبد يا ليل } ( ٦ ) وذلك هذا في العهد المكي خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الطائف يعرض نفسه على بني عبد يا ليل قبيلة هذه من أجل أن يسلموا فاستقبلوه بالعكس سلطوا سفهاءهم وأطفالهم فرموا النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وأخرجوه مطروداً من الطائف استفاد العلماء من هذا أن الآلام النفسية أشد من الآلام البدنية فالنبي صلى الله عليه وسلم أذى بدني وأذى حسي فكان الأول هو أشد و الله المستعان .

١ - آل عمران ( ١٧٤ - ١٧٦ ) .  
٢ - آل عمران ( ١٧٧ - ١٧٨ ) .  
٣ - آل عمران ( ١٧٩ ) .  
٤ - آل عمران ( ١٧٩ ) .  
٥ - آل عمران ( ١٨٠ ) .  
٦ - مسلم ( ١٧٩٥ ) .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان } ( ١ ) .

ثم قال الشيخ : وفي الصحيح والمراد بذلك صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن } .

قوله : احرص هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم وأمره صلى الله عليه وسلم عام لنا جميعا أن نحرص على ما ينفعك دنيا ودين وآخرة والحرص المبالغة في طلب الشيء والمعنى أنك تبذل وسعك في تحصيله فإن حصل ما لم يكن لك بحسبان ففوض أمرك إلى الله ولكن أنت احرص قال : { احرص على ما ينفعك واستعن بالله } مع حرصك وبذلك الوسع في ذلك استعن بالله اطلب الإعانة من الله تبارك وتعالى إذا استعنت فاستعن بالله وفي الآية : (( إياك نعبد وإياك نستعين )) ( ٢ ) .

قال : { ولا تعجزن } بفتح الزاي وهذا لا ناهية وتعجز فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة ولا تعجزن والعجز معناه الكسل والإهمال وعدم المبالاة وليس معناه لا تعجزن أن المراد بذلك العجز البدني العجز البدني ليس بمقدورك فالشخص لا يلام إذا لم يستطع أن يحمل كيس من البر أو كيس من الأسمت لا يستطيع (( لا يكلف الله نفسا إلا وسعها )) ( ٣ ) ولكنه يلام حينما يعجز عجز قلبي يعني كما يقال : المرعى أخضر ولكن العنز مريضة يعني موجود الخير وكذا ولكن عنده والعياذ بالله من الكسل ما لو وزع على قرية لصاروا كلهم كسالى لو وزع كسل هذا على هؤلاء الذين في القرية لصار كل واحد عنده من الكسل ما يكفيه ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الكسل إذا أصبح وإذا أمسى كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود وهكذا { اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل } ( ٤ ) فإذا الشخص فرط في أمر كان من السهل أن يقوم به ثم بعد ذلك أهمله فهنا والله المستعان خالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال : { ولا تعجزن } قال :

١ - مسلم ( ٢٦٦٤ ) .

٢ - الفاتحة ( ٥ ) .

٣ - البقرة ( ٢٨٦ ) .

٤ - البخاري ( ٢٧٣٦ ) .

{ وإن أصابك شيء } وشيء هنا نكرة أي شيء أي شيء من الآفات يعني شيء مما تكرهه وقد بذلت الجهد في وسعك فيما يعود عليك بالنفع واستعنت بالله سبحانه وتعالى قال :

{ فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا } .

اشترت سيارة ثم تعطلت قرحت احترقت حصل لها شيء تزوجت امرأة بمائتين ألف ماتت في اليوم الثاني اليوم روحها عروسة بكرة ماتت فيأش هي روح والحمد لله صحيحة ولا فيها شيء تروح تشارع تقول لهم : ماتت المرأة خلاص قد الله وما شاء فعل .

قال : { وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا } لو اتزوجت فلانة و الله هذيك فلانة ما ماتت أنها كانت أحسن هنا ما يجوز وهكذا في أي شيء تعيد الأمر إلى الله سبحانه وتعالى .

{ وإن أصابك شيء فلا تقل . لا نهى . لو أني فعلت كذا وكذا } قال : { ولكن قل قدر الله { قضاء الله وقدره قل هذا قضاء الله وقدره قدر الله يعني هذا تقدير الله مقادير هذه مقادير الله

(( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير )) ( ١ ) .

هذا علم الله خلقه كتابته مشيئته يحصل عندك الطمأنينة إي و الله و الله الذي لا يحلف إلا به تجد الطمأنينة أي شيء تبذل وسعك فيه الله سبحانه وتعالى يعينك إذا استعنت به

فما انقادت الآمال إلا لصابر

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى

فإذا جاءك معترض فوض الأمر إلى الله ما شاء الله ، يقال : أن الكسائي كان لا يفهم النحو الكسائي قيل : ما كان يفهم من النحو شيئاً فنام مرة تحت شجرة فرأى نملة موقرة بالطعام ويش سيكون طعام النملة حبة أو وكانت تتسلق على جذع الشجرة فكلما تسلقت سقطت المهم وهي تحاول تطلع وبعدين تسقط وبعدين تطلع وقد عشقت الدبل كما يقال وطلعت شديدة الرجل يشاهد الموقف قيل : غلبته عيناه فنام فاستيقظ وإذا بالنملة قد حاولت وقد عشقت الدبل كما يقال وطلعت تعجب فقال : لأطلبن النحو فطلب النحو فصار إماماً في النحو صار إمام .

وهكذا لو أردت تحفظ جزء من القرآن يأتي الشيطان ويقول : متى ستحفظ وكذا لكن لا تعجز احرص احفظ وراجع ويكون عندك حرص وتطبيق وصدق واستعن بالله استعن بالله سبحانه وتعالى ما تدري بعد فترة إلا وقد حفظت القرآن كله

فما انقادت الآمال إلا لصابر

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى

ومن طلب العلا سهر الليالي

بقدر الكد تكتسب المعالي

أضاع العمر في طلب المحال

ومن طلب العلو بغير كد

يغاص البحر في طلب اللآلي

تروم العز ثم تنام ليلاً

أما العاجز هو عاجز يريد تريد يا أخي تكون عالم تريد تكون سواق سيارة نعم اتعلم السواقة لا أشتي كذا أكون سواق تريد أولاد إي نعم و الله أشتي عشرة أولاد ذكور وعشر إناث قال : و الله تعب وكذا ما يشتيش يتزوج وهكذا قس على ذلك كله

لا بد من الجِد والاجتهاد والاستعانة بالله سبحانه وتعالى أولاً وآخرًا هذا شرع الله سبحانه وتعالى العلماء الكبار ما جاءتهم العلوم يعني هكذا فجأة وإنما يعني بالجِد والاجتهاد

لا تحسبن المجد تمرا أنت آكله      لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

قال : { وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان } لو تفتح عمل الشيطان والشيطان يدخلك في مهاوي الردى والتفاكير وربما تسيء الظن بالله سبحانه وتعالى ولا ينبغي لك أن تسيء الظن بالله وإنما سئ الظن بنفسك وبشيطانك  
فلا تظنن بربك غير سوء      فإن الله أولى بالجميل .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران .

الثانية : النهي الصريح عن قول ( لو ) إذا أصابك شيء .

الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

الرابعة : الإرشاد إلى الكلام الحسن .

الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعاذة بالله .

السادسة : النهي عن ضد ذلك ، وهو العجز .

قال : فيه مسائل :

**الأولى :** تفسير الآيتين من سورة آل عمران الأولى : (( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا )) ( ١ ) وقد بينا أن هذا فيه اعتراض على شرع الله حصل من قبل عبد الله بن أبي والثانية أيضا فيها الاعتراض على القدر : (( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا )) ( ٢ ) فرد الله عليهم : (( قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين )) ( ٣ ) .

**ثانيا :** النهي الصريح عن قوله : لو ، إذا أصابك شيء هنا تعتبر محرم لأنه اعتراض على القدر .

**الثالثة :** تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان فيدخل منه فربما تتنكر لصاحبك تسيء الظن بربك تحسن الظن بالشيطان ربما يعني تصاب بأمراض كثيرة جدا فالأولى أن تفوض أمرك إلى الله وهذا إرشاد من نبينا صلى الله عليه وسلم و الله تبارك وتعالى يقول : (( وإن تطيعوه تهتدوا )) ( ٤ ) .

**الرابعة :** الإرشاد إلى الكلام الحسن قل : قدر الله وما شاء فعل .

**الخامسة :** الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعاذة بالله وهنا تنبيه مهم جدا لا ينبغي للشخص أن تكون على لسانه في كل شيء **ليش ما عملتش كذا ؟** قدر الله وما شاء فعل هو كسلان أصلا **ليش تأخرت عن كذا؟** قال : قدر الله وما شاء فعل **ليش**

١ - آل عمران ( ١٥٤ ) .

٢ - آل عمران ( ١٦٨ ) .

٣ - آل عمران ( ١٦٨ ) .

٤ - النور ( ٥٤ ) .

**صلحت كذا ؟** قدر الله وما شاء فعل طيب **ليش ما تهمل نفسك ؟** يعني اهمل حق الغير وقدر الله وما شاء فعل ولم يهمل حق نفسه حتى يقول : قدر الله وما شاء فعل لا هنا أنت عاجز كسلان لكن قل : قدر الله وما شاء فعل متى ما بذلت وحرصت وحاولت وتابعت وبعدين في النهاية قل قدر الله وما شاء فعل أما أنك نائم تحت الفراش وبعدين ليش ما صلحت هذه وليش ما فعلت كذا تأتي تحتج بالقدر قدر الله وما شاء فعل وهو صحيح قدر الله وما شاء فعل لكن هذا يسمى أيضا عجزا وكسلا .

**السادسة :** النهي عن ضد ذلك وهو العجز وهذا مرض . بارك الله فيكم . عضال نعوذ بالله منه أن يكون الشخص . بارك الله فيكم . عاجزا كسلان تائه بليد حائر إخوانه يحفظون ويتعلمون ويدعون إلى الله وعندهم من النشاط والحماس وهو . بارك الله فيكم . كسلان أو حتى بعد الفجر إخوانه يحفظون القرآن ويراجعون وهو تحت الفراش يغط غطيظا نوم نوم وإخوانه يقرءون

وا حسرتاه تقضى العمر وانصرفت      ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد      ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

شخص نزل تحت البطانية ما بين فخ وبخ وآخر يقرأ قرآن قل لهم تعالوا الساعة تسعة **إيش معك إيش حصتك ؟** كل واحد يجيب تقرير الأول : راجعت نصف سورة وحفظت ورقة وصليت ركعتي الضحي جلست في المسجد جبت الأذكار أنت طلع التقرير ويش يكتب بالتقرير يكتب نوم استلمنا التقرير الساعة تسعة نوم نوم الله المستعان .

يوم الأول تقريره ما شاء الله أبيض والثاني : تقريره نوم الأول تقريره آيات وأحاديث ونشاط وأذكار وصلاة ضحي وما شاء الله يستقبل يومه بالخير لأنه يكون أول اليوم كالشباب وآخره كالشيبوت شوف ابن التسعين كيف تجده كيف تجد قد تغير وجهه وحالته كذا هذا ابن تسعين هذا آخر اليوم وقت المغرب مثلا والشباب تجدهم ما شاء الله مفتول العضلات وصبيح الوجه ما شاء الله فأول اليوم مثل الشباب وآخره مثل الشيبة فانتبه لنفسك ما استطعت إلى ذلك سبيلا عل الله سبحانه وتعالى أن يكرمنا وإياك من فضله نسأل الله سبحانه وتعالى أن يأخذ بأيدينا إلى كل خير وأن يجنبنا كل ضير ونعوذ بالله من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضيع الدين وغلبة الرجال وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين .



## باب النهي عن سب الريح

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد :

فيقول المؤلف وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

## باب النهي عن سب الريح

عقد المؤلف هذا الباب وهذه الترجمة في كتاب التوحيد والمراد بذلك أن الريح وجمعها الرياح لما كانت مخلوقة ومسخرة ومدبرة أيضا دبرها الله سبحانه وتعالى فسب المخلوق لها هو سب للخالق فكان المنع من هذا السب والشتم والعيب والقدح لأن هذا يفضي إلى نقص الإيمان وإلى ضعف التوحيد في قلب العبد ولم يبين المؤلف الحكم الشرعي فيمن سب هذه الرياح وهذه الترجمة شبيهة بترجمة أخرى مرت بنا وهي النهي عن سب الدهر وحكم سب الريح إن كان هذا الساب والشتام لهذه الرياح بناء على أن هذه الرياح هي التي تجلب الخير والشر بنفسها فيكون هذا شركا أكبر مخرجاً من الملة ، أما إذا كان سبه لها لأنها محل الحوادث التي يكرهها وأن الله هو المدبر فهذه معصية ومحرم وعلى أية حال فلا بد من سد هذا الباب ومن الانقياد لشرع الله وقدره فشرع الله النهي وقدره هو الذي جاء بهذه الرياح قال الله تبارك وتعالى : (( وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء )) ( ١ ) وهذه الرياح جند من جنود الله { لا تسبوا الريح فإنها من روح الله } ( ٢ ) نصر الله عز وجل بها أوليائه ودمر الرحمن بها أعداءه قال النبي صلى الله عليه وسلم : { نصرت بالصبا } ( ٣ ) وهي الريح الشمالية هذه الرياح ذكرها الشيخ العثيمين قال :

قوله : الريح هو الهواء الذي يصرفه الله عز وجل وجمعه رياح وأصولها أربعة الشمال والجنوب والشرق والغرب وما بينهما يسمى النكباء لأنها ناكبة عن الاستقامة في الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب وتصريفها من آيات الله عز وجل فأحيانا تكون شديدة تقلع الأشجار وتهدم البيوت وتدفن الزروع ويحصل معها فيضانات عظيمة وأحيانا تكون هادئة وأحيانا تكون باردة وأحيانا تكون حارة وأحيانا تكون عالية وأحيانا تكون نازلة كل هذا بقضاء الله وقدره ولو أن الخلق كلهم اجتمعوا على أن يصرفوا الريح عن جهتها التي جعلها الله عليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ولو اجتمعت جميع المكنات العالمية النفائت لتوجد هذه الريح الشديدة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ولكن الله عز وجل بقدرته يصرفها كيف يشاء وعلى ما يريد

<sup>١</sup> - الأعراف ( ٥٧ ) .

<sup>٢</sup> - صحيح : ابن ماجه ( ٣٧٢٧ ) وأحمد ( ٢١١٧٧ ) وابن أبي شيبة ( ٢٦٣١١ ) انظر حديث رقم : ٧٣١٦ في صحيح الجامع .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٩٨٨ ) ومسلم ( ٩٠٠ ) .

**فهل يحق للمسلم أن يسب هذه الرياح ؟** الجواب لا لأن هذه الرياح مسخرة مدبره كما أن الشمس أحيانا تضر بإحراقها بعض الأشجار ومع ذلك لا يجوز لأحد أن يسبها فكذلك الرياح ولهذا قال : { لا تسبوا الرياح } فالرياح وغيرها دلالة على عظمة الله وعلى وجوده

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

**فيا عجا كيف يعصى الإله ؟**

**أم كيف يجحده الجاحد ؟**

وقوله : باب النهي قد تقدم لنا التفصيل إن كان المراد بذلك أن الساب لها يعتقد أنها هي المدبرة هذا كفر شرك أكبر مخرج من الملة وإذا كان يعتقد أن ذلك بتقدير من الله وأنها محط الحوادث والكوارث فيكون عاص ولا يجوز له السب لا في الأولى ولا في الأخرى ولكن المرحلة الأولى أشد وأخطر من الثانية .  
قوله : عن سب السب هو الشتم والعيب والقدح قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
{ سباب المسلم فسوق } ( ١ ) والرياح جمعها رياح .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٤٨ ) ومسلم ( ٦٤ ) .

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا تسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به } صححه الترمذي ( ١ ) .

قال : عن أبي بن كعب ، وأبي بن كعب هو أبو المنذر هذه كنيته وهو خزرجي أنصاري وكان مشهورا بجودة القراءة فقد جمع عمر بن الخطاب الناس في صلاة التراويح على قراءته ولقيه النبي صلى الله عليه وسلم مرة قال : { يا أبي أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : الله ورسوله أعلم قال : أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : قلت : (( الله لا إله إلا هو الحي القيوم )) قال : فضرب على صدري وقال : ليهنك العلم أبا المنذر { ( ٢ ) } والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { خذوا القرآن عن أربعة ومنهم أبي بن كعب } ( ٣ ) صحابي جليل يروي هذا الصحابي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { لا تسبوا } لا هاهنا ناهية جزم الفعل المضارع بعدها وعلامة الجزم حذف النون لا تسبوا وقد تقدم لكم أن السب بمعنى الشتم والعيب قال : { لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح } في هذا إثبات على أن هذه الريح فيها خير فاسأل الله من خيره وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا وجد الريح تقول عائشة : دخل وخرج وتغير لونه تقول له عائشة : الناس إذا رأوا الريح استبشروا قال : { وما يدريني لعلها تكون كما قال سبحانه وتعالى : (( فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين )) { ( ٤ ) } فهذه كانت عذاب أيضا وانتقام يرسله الله سبحانه وتعالى لمن شاء من خلقه كأمة عاد الذين كان رسولهم هود عليه الصلاة والسلام قال سبحانه : (( وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم )) ( ٥ ) وقال سبحانه : (( سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية )) ( ٦ ) دمرتهم وبهذلتهم فهي جندي من جنود الله والآن في كثير من العالم الغربي وغيره يصابون بمثل هذه الرياح والفيضانات فيفسرون ذلك بأنه براكين زلازل طبيعية براكين طبيعية لا والله إنما هو انتقام سماوي من الله سبحانه وتعالى ولكن هكذا يفسرون بتفاسير مادية والله المستعان .

١ - صحيح : الترمذي (٢٢٥٢) وأحمد (٢١١٧٦) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٩) انظر حديث رقم : ٧٣١٥ في صحيح الجامع .

٢ - مسلم (٨١٠) .

٣ - البخاري (٣٥٩٧) ومسلم (٢٤٦٤) .

٤ - البخاري (٣٠٣٤) ومسلم (٨٩٩) .

٥ - الذاريات (٤١ - ٤٢) .

٦ - الحاقة (٧) .

قال { فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الرياح { لأنه لا قدرة لهم بدفعها } وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شر هذه الرياح وشر ما فيها وشر ما أمرت به { فالواجب على العبد هو هذا ولا يعترض كثير من المسلمين اليوم ربما إذا وجد الرياح وكانت شديدة يعني قعقت عليه الأبواب والنوافذ وأخذت عليه بعض الزروع أو بعض الملابس أو حتى أخذت عمامته من على رأسه ربما يسب لهذه الرياح هذا أمر لا يجوز الاعتراض عليه لأنه أمر الله سبحانه وتعالى وإيمانك بهذا هو إيمان بالله سبحانه وتعالى لأن الذي أرسلها هو سبحانه وتعالى ولو تأملت في هذه الرياح أنت لا تراها هو جندي خفي تجده على جسدك لكنك لا تشاهده فهذا أيضا من الإيمان بالغيب الذي هو أبلغ من هذا كالجنة والنار والملائكة والجن أنت تسلم بالرياح على أنها موجودة على أنك لا تراها هناك أيضا مخلوقات أنت لا تراها وجب عليك أن تؤمن بها فقد قال سبحانه وتعالى : (( ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب )) ( ١ ) فمن إيمانك بالغيب أن تؤمن بما قاله الله وبما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : صححه الترمذي ، الحديث ذكره الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع ويقول : هو صحيح بشواهده وغيره كذلك كالدوسري في تحقيقه على هذا الكتاب كتاب التوحيد يصححه .

---

١ - البقرة ( ٢ - ٣ ) .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الريح .

الثانية : الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره .

الثالثة : الإرشاد إلى أنها مأمورة .

الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر .

ثم قال المؤلف : فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الريح وقد تقدم التفصيل في ذلك .

الثانية : الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى إنسان ما يكره إذا رأيت ما تكره استعذ بالله من شره وهذا يحصل كثيرا في بعض الأحيان تقدم السفرة وتضع عليها الطعام تأتي الريح وعندك ضيوف تأتي الريح تأخذ السفرة وتكفأ عليك الآنية وفيها الطعام والشراب وعندك ضيوف **إيش مصيرك في مثل هذا ؟** الصبر والتسليم سلم أمرك لله لا تعترض على الشرع ولا تعترض على القدر .

الثالثة : الإرشاد إلى أنها مأمورة **من الذي أمرها ؟** هو الله سبحانه وتعالى الله أراد هذا الحمد لله إذا كان الله يريد هذا فالحمد لله (( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم )) ( ١ ) ويقول سبحانه : (( و ربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة )) ( ٢ ) .

الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر وأنت إنسان ضعيف لا تدري ما الذي يصير في معركة تبوك قال : والحديث في صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه :

{ ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا ينظرون إليها أحد منكم } فالتزم العسكر كله معسكر النبي صلى الله عليه وسلم التزم كله إلا واحدا قال : لأنظرون ما الله صانع فلما جاءت الرياح رفع رداءه لينظرها فأخذته وألقته في جبل من جبال اليمن ( ٣ ) قالوا : جبل من جبال طيء في بلاد اليمن عقوبة حينما اعترض على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أخذته الرياح و الله المستعان لو التزم أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما حصل له شيء من ذلك ولكن هكذا بسبب المخالفة نسأل الله

<sup>١</sup> - الأحزاب ( ٣٦ ) .

<sup>٢</sup> - القصص ( ٦٨ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ١٤١١ ) ومسلم ( ١٣٩٢ ) .

السلامة والعافية فلا ينبغي الرد وكذلك لا ينبغي الاعتراض فإن الذي قال هذا هو رسول الله ورسول الله مبلغ عن ربه سبحانه وتعالى وهذا الذي في السماء وفي الأرض من العوالم هذه ما من شيء إلا لله سبحانه وتعالى حكمة قد تعرف أنت هذه الحكمة وقد لا تعرفها فإن أدركتها وعرفتها فاحمد الله وإن لم تعرفها قل : هناك حكمة لكني أنا لا أعرفها فالعلم تكله إلى عالمه وهو الله سبحانه وتعالى وفقني الله وإياكم إلى ما يحببه ويرضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### باب قول الله تعالى :

(( يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله )) الآية ( ١ ) .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد :  
فيقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

### باب قول الله تعالى :

(( يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ )) ( ٢ ) .

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن سوء الظن بالله سبحانه وتعالى ينافي التوحيد بأقسامه الثلاثة ربوبية وألوهية و أسماء وصفات فحكى الله سبحانه وتعالى عن قوم أظهروا الإسلام بأفواههم ولم تسلم قلوبهم ولم تخضع لبارئها وفاطرها سبحانه وتعالى هؤلاء هم المنافقون وصور الله سبحانه وتعالى شيئا من سوء طويتهم ومن خبث سرائرهم في معركة كبرى من معارك المسلمين العظيمة وهي غزوة أحد وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بداية أمره يرغب أن يبقى في المدينة من أجل أن يحكم الله بينه وبين عدوه لكن كثيرا من الصحابة حثوا وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم الخروج كي يكرمهم الله سبحانه وتعالى بالشهادة في سبيل الله ولا يهتمهم أهم ما يتمنونه أن يقتلوا في سبيل الله سواء كان خارج الديار أو داخلها لكن شاء الله عز وجل مشيئة كونية قدرية ربانية أزلية أن يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الغر الكرام الميامين خرجوا من المدينة إلى القرب من جبل أحد وكان عبد الله بن أبي رأس المنافقين يرغب في القتال أو في البقاء في المدينة وهم الجبناء الخونة الغشاشون لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن هكذا يتربصون ويتصيدون العثرات يصطادون هذه العثرات عياذا بالله فلما خرج الرسول متيمما ذلك المكان يقول ابن أبي : هذا محمد يطيع الشبان والصغار ويعصيني أنا فما كان منه إلا أن ينخنس بثلاث الجيش ويقول : لا ندري إيش مع هؤلاء وعلى ماذا نقاتل ؟

ولم يعلموا أنه عصيان لله ولرسول الله وخذلان للمسلمين فهذا . بارك الله فيكم . هو الظن السيء الظن السيء الذي ظنوه بالله ورسول الله وبدين الله (( يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية )) ( ١ ) فلا زالت الجاهلية بأوساخها وأدرانها وأنجاسها

<sup>١</sup> - آل عمران ( ١٥٤ ) .

<sup>٢</sup> - آل عمران ( ١٥٤ ) .

لا زالت قلوب هؤلاء متسخة بهذه الأوساخ والأدران فالله سبحانه وتعالى حكى عن هؤلاء وما قالوه فعد ذلك من ظن الجاهلية قال سبحانه : (( يقولون هل لنا من الأمر من شيء )) ( ٢ ) بمعنى **لماذا لا يكون لنا رأي ولا يكون لنا مشورة ولماذا لا يأخذ برأينا ؟** فكان الرد من قبل الله : (( قل إن الأمر كله لله )) ( ٣ ) قال الله سبحانه وتعالى مبينا حقيقتهم : (( يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا )) ( ٤ ) لو أنك يا محمد و أنتم يا أيها الصحابة استمعتكم الكلام و أطعتم الرأي ونظرتم إلى ما عندنا من الصواب ومن السداد ما حصل لنا هذا القتال فتأمل الآن إلى الرد العظيم من الله سبحانه وتعالى قال :

(( قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم )) ( ٥ ) لو أنكم لم تخرجوا إلى موقعة أحد لن يحصل لكم إلا ما كتبه الله سبحانه وتعالى من القتل عليكم أو على من قتلوا في ذلك المكان لأن الكتابة ركن من أركان القدر الذي قضاه الله سبحانه وتعالى فإن القدر له أربعة أركان : العلم والكتابة والمشئة والخلق . والكتابة على قسمين :

**كتابة شرعية :** وهذه قد تقع وقد لا تقع كقوله سبحانه وتعالى : (( إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا )) ( ٦ )

وكقوله سبحانه وتعالى : (( كتب عليكم الصيام )) ( ٧ ) هذه كتابة شرعية .

**وهناك كتابة كونية** واجبة الوقوع كقوله سبحانه : (( كتب الله لأغلبن أنا ورسلي )) ( ٨ ) (( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون )) ( ٩ ) آيات كثيرة في هذا الباب فالله سبحانه وتعالى يقول : يا محمد قل لابن أبي وأصحابه وأمثاله إلى قيام الساعة ولمن حملوا الأوساخ القذرة من النوايا والطوايا والظنون السيئة بالله عز وجل : (( قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم )) ( ١٠ ) يعني هو قضاؤنا وأمرنا هو قضاؤنا وقد رنا وهو أمرنا بين الكاف والنون لا يستطيع أحد أن يقدمه ولا يستطيع أحد أن يؤخره وكل شيء بالقضاء والقدر وكل مقدور فما منه مفر

وقال آخر :

١ - آل عمران ( ١٥٤ ) .  
٢ - آل عمران ( ١٥٤ ) .  
٣ - آل عمران ( ١٥٤ ) .  
٤ - آل عمران ( ١٥٤ ) .  
٥ - آل عمران ( ١٥٤ ) .  
٦ - النساء ( ١٠٣ ) .  
٧ - البقرة ( ١٨٣ ) .  
٨ - المجادلة ( ٢١ ) .  
٩ - الأنبياء ( ١٠٥ ) .  
١٠ - آل عمران ( ١٥٤ ) .

إن الأمور التي في اللوح قد كتبت

إن أتتكم يا فتى وإلا فتأتوها

بمعنى اعلّموا أنما حصل لكم من القتل والتدمير والإصابات الدامية في غزوة أحد شيء كتبه الله سواء خرجتم أو جلستم هو أمر الله (( وكان أمر الله قدرا مقدورا )) ( ١ ) ثم سلى الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان قال : (( وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم و الله عليم بذات الصدور )) ( ٢ ) حصل في هذا تمحيص وتصفية حتى يتبين أهل القلوب الصافية من أهل القلوب المريضة فإنه من أعظم الحكم والمنافع التي حصلت للمسلمين في غزوة أحد علموا أن هناك عدوا في صفهم ألا وهم المنافقون الذين همهم المال والغنيمة والدنيا

ويلبس للسياسة كل لبس

يدور مع الزجاجة حيث دارت

ويأخذ سهمه من كل خمس

فعند المسلمين يعد منهم

وعن ماركس يأخذ كل درس

وعند الملحدين يعد منهم

وفي باريس محسوب فرنسي

وعند الإنجليز يعد منهم

هذا يتقلب ويتلون على حسب التشكيلات والتلونات وهو الحية الرقطاء عياذا بالله وتسمع منه كلاما معسولا ولكن يحمل الخبث الدفين في قلبه والعياذ بالله كما قيل :

عند الثقلب في أنيابها العطب

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها

والظن في لسان الفقهاء بمعنى الاحتمال الراجح إذا قالوا المسألة ظنية احتمال راجح وقد يطلق الظن ويراد به اليقين كما قال سبحانه وتعالى : (( الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم و أنهم إليه راجعون )) ( ٣ ) فالمراد بذلك الظن اليقين .

١ - الأحزاب ( ٣٨ ) .

٢ - آل عمران ( ١٥٤ ) .

٣ - البقرة ( ٤٦ ) .



وقوله : (( الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء )) الآية ( ١ ) .

وقوله سبحانه : (( الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء )) ( ٢ ) وهؤلاء هم الآن المنافقون ويدخل في ذلك أيضا المشركون .

١ - الفتح ( ٦ ) .  
٢ - الفتح ( ٦ ) .

قال ابن القيم في الآية الأولى : فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل وأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله .

وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح ، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعدته الصادق فمن ظن أنه يدلل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشئته مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده ، فليعتن اللبيب الناصح بهذا وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك هل أنت سالم ؟

وإلا فإني لا أخالك ناجياً

فإن تنج منها تنج من ذي عظمة

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر .

الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه .

ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن ابن القيم قال : قال ابن القيم وهو محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي الدمشقي أحد تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية الكبار وهو مؤلف زاد المعاد وشفاء العليل وطريق الهجرتين والرسالة التبوكية ومؤلف أيضاً الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي وكتاب الفوائد وبدائع الفوائد وله رسائل كثيرة نفع الله به الإسلام

والمسلمين لا سيما في باب العقيدة والتوحيد هذا هو ابن القيم ويكنى بأبي عبد الله وهو غير ابن الجوزي فابن الجوزي متقدم وابن الجوزي صاحب كتاب زاد المسير ويكنى بأبي الفرج ويسمى عبد الرحمن وهو بغدادى وهذا إنما هو دمشقى فيفرق بينهما من حيث الكنية ومن حيث اللقب أيضا فهذا شمس الدين وذاك جمال الدين ومن حيث النسبة هذا دمشقى وذاك بغدادى ومن حيث السن هذا متأخر وذاك متقدم ومن حيث الاعتقاد كان هذا على مذهب أهل السنة والجماعة وذاك على مذهب أهل السنة والجماعة ولكن عنده شيء من التمشعر دخل عليه و الله يغفر لنا وله .

قال ابن القيم في الآية الأولى التي هي : (( يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية )) ( ١ ) قال : فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل هذا . بارك الله فيكم . ما كان من يقين في قلوب المنافقين هؤلاء الإسلام سيضرب مرجف مرجف عياذا بالله وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره الله على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح وإنما كان هذا ظن سوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعد الصديق فمن ظن أنه يدب الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق أو أنكر أن يكون ما جرى بقضاء الله وقدره أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشئمة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وهذا حال كثير من المسلمين اليوم إلا من رحم الله ربما ينظرون إلى اللحن وإلى أهل الدين والصالح يقول : خلاص ما في داعي احلقوا لحاكم الآن أمريكا الآن كذا وكأنه والعياذ بالله يعني أمريكا هي المتصرفة بالقضاء والقدر وهي بلدة من بلاد الله في أرض الله الواسعة يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

{ لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء } ( ٢ ) والأمر بيد الله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد على أن أمريكا الآن تعاني ما تعانيه عساكرها وجنودها وأموالها مفرقة في جميع دول العالم وهكذا عندهم من الأعاصير ومن الفيضانات ما لا يصرحون به هم لا يصرحون بذلك حتى لا يظهر عجزهم أمام الدول وتأثيرهم أيضا مساعدات من كثير من الدول ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله حينما ترك المسلمون دينهم سلط الله العدو فدب الذل والمهابة في قلوب المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح يقول :

{ يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل } ( ٣ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إذا اشتغلت بالزرع وأخذتم بأذنان البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم } ( ٤ ) فهذا الذل الحاصل هو نحن سببه سببه نحن حينما ركننا إلى الدنيا ونظرنا إلى الكفار بعين الإعظام والإجلال وربما بعضهم عياذا بالله يقول : الإسلام ربما أيضا من هذا الباب ومن هذا الركن ومن هذه الزاوية يدخل عليك يقول : تدعون إلى كذا الآن الأمر كذا تطور صحيح لكن ليس معنى هذا أن الإسلام قد انتهى مفعوله وقد انتهى أمره الإسلام لا زال في قوته وإن حصل شيء من الإدالة إدالة الباطل على الحق في بعض الأحيان وإنما هو ابتلاء واختبار وتلك سنة الله في خلقه قال سبحانه : (( أحسب

١ - آل عمران ( ١٥٤ ) .

٢ - صحيح : الترمذي ( ٢٣٢٠ ) والحاكم ( ٧٨٤٧ ) والطبراني في الكبير ( ٥٨٤٠ ) انظر حديث رقم : ٥٢٩٢ في صحيح الجامع .

٣ - صحيح : أبو داود ( ٤٢٩٧ ) وأحمد ( ٢٢٤٥٠ ) والطبراني ( ٩٩٢ ) والبيهقي في الشعب ( ١٠٣٧٢ ) انظر حديث رقم : ٨١٨٣ في صحيح الجامع .

٤ - صحيح : أبو داود ( ٣٤٦٢ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٠٤٨٤ ) انظر حديث رقم : ٤٢٣ في صحيح الجامع .

الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (( <sup>١</sup> ) فهو ابتلاء و اختبار للمؤمنين فلا ينبغي للمسلم أن يضعف بدينه أو يجبن برأيه الرأي المأخوذ من كتاب ربه أو من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ولكن السوء كل السوء يوم أن تقدم تنازلات وربما اتهمت الإسلام عيادا بالله وهذا كله من جراء الذنوب والمعاصي فإن الذنوب والمعاصي والعياد بالله ربما جعلت القبيح خيرا وطيبا في نظرك وكان الطيب والخير قبيحا في نظرك نعم ما يكون قبيحا تجعله طيبا وما كان طيبا تجعله قبيحا هذا بسبب الذنوب والمعاصي وهذا من الظن السيئ ولكن على المسلم أن يقول : نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه وتحاول أن تنصر أنت دينك بقدر استطاعتك تحمي قلبك من الفتن تحمي جوارحك تحمي أسرتك من ولاك الله عز وجل عليهم قال الله تبارك وتعالى : (( قوا أنفسكم وأهليكم نارا )) ( <sup>٢</sup> ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :

{ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته } ( <sup>٣</sup> ) وهكذا أيضا يقول سبحانه :

(( إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم )) ( <sup>٤</sup> ) ويقول سبحانه : (( ولينصرن الله من ينصره )) ( <sup>٥</sup> ) فانصر دين الله لا يريد منك أن تقاتل الأعداء وأنت لا تستطيع ولا يريد الله منك أن تحفظ السماء والأرض وإنما انصر دين الله في نفسك كما نصرته آسية بنت مزاحم يوم أن ثبتت وصبرت على ما جاءها من قبل فرعون من العذاب والنكال (( وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين )) ( <sup>٦</sup> ) فمن أراد طريق النجاح في الدنيا والآخرة فليظن بالله ظنا حسنا ظنا جميلا

فلا تظن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : { أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله } ( <sup>٧</sup> ) فتفادل بكل خير تفادل بأن هذا الظلام سوف ينقشع وهذا الكفر والإلحاد والخمر والغناء وما إلى ذلك هذا كله يزول

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فهذا هو عبارة عن ليل والليل لا بد أن يكون بعده إصباح سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه فمن كان يظن أن تعود مكة على حالتها وقد كان حولها ثلاثمائة وستون صنما يذبحون لهم ويعطون لهم القرابين والأموال وما إلى ذلك ويذهب ذلك كله (( وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا )) ( <sup>٨</sup> ) فدوام الحال من المحال فلا يدوم لصاحب الغنى غناه ولا يدوم لصاحب الملك ملكه ولا يدوم لصاحب العز عزه ولا يدوم للدولة قوتها هكذا لا بد من ابتلاءات

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الحياة كما شاهدها دول من سره زمن ساءته أزمان

<sup>١</sup> - العنكبوت ( ٢ - ٣ ) .

<sup>٢</sup> - التحريم ( ٦ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري ( ٨٥٣ ) ومسلم ( ١٨٢٩ ) .

<sup>٤</sup> - محمد ( ٧ ) .

<sup>٥</sup> - الحج ( ٤٠ ) .

<sup>٦</sup> - التحريم ( ١١ ) .

<sup>٧</sup> - صحيح : ابن حبان ( ٦٣٩ ) والطبراني في الكبير ( ٢٠٩ ) والأوسط ( ٤٠١ ) وانظر حديث رقم : ٤٣١٥ في صحيح الجامع .

<sup>٨</sup> - الإسراء ( ٨١ ) .

روسيا كانت دولة كبرى الآن لا تعد شيئاً قبل ذلك بريطانيا وفرنسا أرادت أن تعتدي على كثير من الدول من أجل أن تكون في بوتقتها وما تم لها ذلك وهكذا لو تقرأ في التاريخ لرأيت عجباً عجباً وما هو اليوم موجود لا يعد شيئاً بالنسبة لما قد مضى

إذا علم الإنسان أخبار من مضى توهّمته قد عاش من أول الدهر

وقال آخر :

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

فإذا قرأت التاريخ وتأمّلت اتسعت مداركك وأدركت ما لا يدركه غيرك من الجهال فالظن الحسن بالله سبحانه وتعالى هو أن تعمل لدينك وأن تثبت على دينك وأن تعتقد بالله عز وجل كل جميل وكل خير في باب العقيدة في باب المنهج في باب السلوك والعبادة والأخلاق وإياك أن تظن به ظناً سيئاً فتتهزم وتتقهقر وتقدم تنازلات أمام هذه المغريات مغريات الحياة كأس وبنّت وغانية ومرقص وملهى عياداً بالله هذه . بارك الله فيكم . قد نبذت في عقر دارها وهي في بلاد المسلمين يعني وإن كانت باذلة لكن هناك عند كثير من المسلمين صار عندهم صحوة وصار عندهم إدراك والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : { لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة } ( ١ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الخير في أمتي كالغيث لا يدرى في أوله أو في آخره } ( ٢ ) فالخير موجود والدين موجود والصالح موجود وإن كان غيره موجود لكن لا ينظر إلى الغير جانب الانهزام وكذا ويترك جانب الخير الموجود في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم واصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب كلام الشيخ ابن القيم قال : وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرض الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده فليعتن اللبيب الناصح بنفسه بهذا وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر ففتش نفسك هل أنت سالم ؟

فإن تنج منها تنج من ذي عزيمة وإلا فإنني لا أخالك ناجياً

الله المستعان وكما قلت . بارك الله فيكم . ينبغي للشخص إذا أراد النجاة أن يظن الظن الحسن بالله سبحانه وتعالى وهذا من خلال دراستك للقرآن ولأسماء الله وصفاته وهنا يقول بعض الشعراء :

فلا تظن بربك ظن سوء	فإن الله أولى بالجميل
ولا تظن بنفسك قط خيراً	فكيف بظالم جان جهول
وقل يا نفس مأوى كل سوء	أترجو الخير من ميت بخيل
وظن بنفسك السوء تجدها	كذاك وخيرها كالمستحيل
وما بك من تقى فيها وخير	فتلك مواهب الرب الجليل
وليس لها ولا منها ولكن	من الرحمن فاشكر للدليل

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - البخاري ( ٦٨٨١ ) ومسلم ( ١٩٢٠ ) .

<sup>٢</sup> - صحيح : الترمذي ( ٢٨٦٩ ) وأحمد ( ١٢٣٤٩ ) وابن حبان ( ٧٢٢٦ ) انظر حديث رقم : ٥٨٥٤ في صحيح الجامع .

## باب ما جاء في منكري القدر

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد :

فيقول الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

## باب ما جاء في منكري القدر

قوله : باب المراد بكلمة باب فهو اسم لجملية علمية مختصة من الكتاب هذا من حيث اصطلاح المؤلفين وأما من حيث اللغة العربية فالباب عند العرب لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء وهنا الباب معنوي وليس بحسي فالأبواب الحسية هي باب المسجد الديوان المدرسة وما شابهها .

قوله : ما أي الذي فما هاهنا موصولية .

وجاء أي ما ورد ما ثبت ما أتى من الأدلة من القرآن من السنة من الآثار في هذه المسألة .

وقوله : في منكري أي في من جحد القدر .

وقوله : منكري ولم يقل منكبين حذف النون للإضافة كما قيل :

فأني تراني لا تحل مكاني

كأني تنوين وأنت إضافة

فهنا حذفت النون وهذا الحذف سببه الإضافة .

وقوله : القدر القدر مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره ومعناه في الشرع : هو إحاطة الله تبارك وتعالى بالأشياء وعلمه بها قبل كونها كما قال ربنا : (( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير )) ( ١ ) فالله تبارك وتعالى علم ما كان وما سيكون من حديث عبادة بن الصامت عند أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن الله أول ما خلق خلق القلم فقال : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : ما كان إلى قيام الساعة وما سيكون إلى قيام الساعة } ( ٢ ) وفي رواية : { إلى أبد الأبد } و حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيح مسلم يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء } ( ٣ ) والقدر له أركان وله مراتب سوف تأتي .

<sup>١</sup> - الحديد ( ٢٢ ) .

<sup>٢</sup> - أبو داود ( ٤٧٠٠ ) .

<sup>٣</sup> - مسلم ( ٢٦٥٣ ) .

وقوله : منكري القدر هذه الترجمة وهذا الباب عقده الشيخ رحمه الله ليبين أن الإيمان بالقدر هو من توحيد الربوبية ومن أنكر القدر فقد أشرك في توحيد ربوبية الله تبارك وتعالى والناس في القدر طرفان ووسط :

**فالطرف الأول :** هم القدرية الذين يقول فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : { لكل أمة مجوس و مجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم و إن ماتوا فلا تشهدوهم } ( ١ ) هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود وحسنه الشيخ الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم رقم : ( ٣٢٩ ) هؤلاء هم الطرف الأول وهم الذين يقولون : لا قدر ينفون علم الله السابق .

**والطرف الثاني** غلاة في إثباته الطرف الأول غلاة في نفيه قالوا : لا قدر نفوا علم الله وهذا والعياذ بالله من ظن الجاهلية الأولى هذا سوء ظن بالله تبارك وتعالى .

الطائفة الثانية عاكست هؤلاء تماماً فقالوا بالإثبات وهؤلاء هم الجبرية غلاة في إثباته أثبتوا القدر لله سبحانه وتعالى لكنهم عطلوا قدرة العبد ومشيتته فجعلوا العبد هذا كريحة في مهب الريح تميلها الرياح يمنة ويسرة لا حركة له ولا قدرة واستدلوا بقوله سبحانه وتعالى : (( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى )) ( ٢ ) وأولئك يقولون : (( لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا )) ( ٣ ) يعني سلبوا قدرة الله أو علم الله السابق .

**والوسط** هم أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا قدرة الله وقدر الله وآمنوا بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تبارك وتعالى فهم الموفقون في هذا الباب وهاهنا بحث نفيس عندي خلاصته لكنني آثرت قراءته من كتاب الشيخ موسوعة الإسلام محمد الصالح العثيمين رحمه الله تعالى من أجل الإيضاح قال رحمه الله :

والناس في القدر ثلاث طوائف :

**الأولى :** الجبرية ( هم طائفة من الجهمية ) أثبتوا قدر الله تعالى وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته وقالوا : ليس للعبد اختيار ولا قدرة فيما يفعله أو يتركه فأكله وشربه ونومه ويقظته وطاعته ومعصيته كلها بغير اختيار منه ولا قدرة ولا فرق بين أن ينزل من السطح عبر الدرج مختاراً وبين أن يلقي من السطح مكرها هؤلاء هم الجبرية ، العبد سرق قالوا : مجبور على السرقة مجبور وإيش نصلح له تعطيل لأحكام الله ، رجل قتل قالوا : إيش نصلح له هو مجبور على ذلك شوف السوء والعياذ بالله والشر لما يدخل على الشخص .

الطائفة الثانية : القدرية المعتزلة أثبتوا للعبد اختياراً وقدرة في عمله وغلوا في ذلك حتى نفوا أن يكون لله تعالى في عمل العبد مشيئة أو خلق ونفى غلاتهم علم الله به قبل وقوعه فأكل العبد وشربه ونومه ويقظته وطاعته ومعصيته كلها واقعة باختياره التام وقدرته التامة وليس لله تعالى في ذلك مشيئة ولا خلق بل ولا علم قبل وقوعه عند غلاتهم هذه الطائفة الثانية الأولى الجبرية الذين سلبوا عن العبد والثانية القدرية الذين أثبتوه للعبد ونفوه عن الله سبحانه وتعالى ولا عبرة بهؤلاء هم شاذون ، استدل الأولون الجبرية بقوله تبارك وتعالى : (( الله خالق كل شيء )) ( ٤ ) والعبد وفعله من الأشياء وبقوله تعالى

١ - حسن : أحمد ( ٥٥٨٤ ) انظر حديث رقم : ٥١٦٣ في صحيح الجامع .

٢ - الأنفال ( ١٧ ) .

٣ - الأنعام ( ١٤٨ ) .

٤ - الزمر ( ٦٢ ) .

: (( والله خلقكم وما تعملون )) ( ١ ) ويقول تعالى : (( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى )) ( ٢ ) فنفى الله الرمي عن نبيه حين رمى وأثبتته لنفسه ويقول تعالى : (( سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء )) ( ٣ ) ولهم شبه أخرى تركناها خوف الإطالة .

قال : والرّد على شبهاتهم بما يلي :

أما قوله تعالى : (( الله خالق كل شيء )) ( ٤ ) فاستدلّ لهم بها معارض بالنصوص الكثيرة التي فيها إثبات إرادة العبد وإضافة عمله إليه وإثباته عليه كرامة أو إهانة وكلها من عند الله ولو كان مجبراً عليها ما كان لإضافة عمله إليه وإثباته عليه فائدة .

وأما قوله تعالى : (( والله خلقكم وما تعملون )) ( ٥ ) فهو حجة عليهم لأنه أضاف العمل إليهم وأما كونه تعالى خالقه فلا أن عمل العبد حاصل بإرادته الجازمة وقدرته التامة والإرادة والقدرة مخلوقان لله عز وجل فكان الحاصل بهما مخلوق لله .  
وأما قوله تعالى : (( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى )) ( ٦ ) فهو حجة عليهم لأن الله تعالى أضاف الرمي إلى نبيه لكن الرمي في الآية له معنيان :

**أحدهما :** حذف المرمي وهو فعل النبي صلى الله عليه وسلم إذ أضافه الله إليه .

**الثاني :** إيصال المرمي إلى عين الكفار الذين رماهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتراب يوم بدر فأصاب عين كل واحد منهم وهذا من فعل الله إذ ليس بمقدور النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصل التراب إلى عين كل واحد منهم .  
وأما قوله تعالى : (( سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء )) ( ٧ ) فلعمري الله إنه لحجة على هؤلاء الجبرية فقد أبطل الله حجة هؤلاء المشركين الذين احتجوا بالقدر على شركهم حين قال في الآية نفسها : (( كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا )) ( ٨ ) وما كان الله ليذيقهم بأسه وهم على حق فيما احتجوا به .  
ثم نقول القول بالجبر باطل بالكتاب والسنة والعقل والحس وإجماع السلف ولا يقول به من قدر الله حق قدره وعرف مقتضى حكمته ورحمته :

**فمن أدلة الكتاب :**

قوله تعالى : (( منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة )) ( ٩ ) هذا الآن رد عليهم إذ أن العبد له إرادة فأثبت الله للعبد إرادة .

وقال تعالى : (( يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم )) ( ١٠ ) يعني أن لهم إرادة يترجمون بها .

١ - الصافات ( ٩٦ ) .

٢ - الأنفال ( ١٧ ) .

٣ - الأنعام ( ١٤٨ ) .

٤ - الزمر ( ٦٢ ) .

٥ - الصافات ( ٩٦ ) .

٦ - الأنفال ( ١٧ ) .

٧ - الأنعام ( ١٤٨ ) .

٨ - الأنعام ( ١٤٨ ) .

٩ - آل عمران ( ١٥٨ ) .

١٠ - آل عمران ( ١٦٧ ) .



وقال : (( إنه خير بما تفعلون )) ( ١ ) بمعنى أن للعبد فعل (( والله خير بما تعملون )) ( ٢ ) فأثبت للعبد إرادة وقولا وفعلًا وعملا فهذا يبطل دليل ومعتقد الجبرية الذين سلبوا القدرة والإرادة والمشئنة من العبد وجعلوه مجبورا على كل شيء وهؤلاء طائفة من الجهمية .

### ومن أدلة السنة :

قول النبي صلى الله عليه وسلم : { إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى } ( ٣ ) .  
وقوله : { ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم } ( ٤ ) .  
ولهذا إذا أكره العبد على قول أو فعل وقلبه مطمئن بخلاف ما أكره عليه لم يكن لقوله أو فعله الذي أكره عليه حكم فاعله اختيارا .

وأما إجماع السلف على بطلان القول بالجبر فلم ينقل عن أحد منهم أنه قال به بل رد من أدرك منهم بدعته موروث معلوم معنى أنهم ردوها .

### وأما دلالة العقل على بطلانه :

فلأنه لو كان العبد مجبرا على عمله لكانت عقوبة العصي ظلما ومثوبة الطائع عبثا ، والله تعالى منزّه عن هذا وهذا ولأنه لو كان العبد مجبرا على عمله لم تقم الحجة بإرسال الرسل لأن القدر باق مع إرسال الرسل وما كان الله ليقوم على العباد حجة مع انتفاء كونها حجة .

### وأما دلالة الحس على بطلانه :

فإن الإنسان يدرك الفرق بين ما فعله باختياره كأكله وشربه وقيامه وقعوده وبين ما فعله بغير اختياره كارتعاشه من البرد والخوف ونحو ذلك .

يعني رجل طائع أطاع الله تبارك وتعالى ستين سنة إخلاص خوف مراقبة التجاء ابتغال تضرع أعمال قدمها لله سبحانه وتعالى وآخر عرييد يمشي في الحرام وكذا على مذهب الجبرية . بارك الله فيكم . أن هذا مجبور وهذا مجبور لا هذا له حق طاعته ولا للآخر يؤخذ بقدر معصيته أعوذ بالله هذا والله إنه الضلال في حد ذاته والله تبارك وتعالى يقول :

(( أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون )) ( ٥ ) هذا . بارك الله فيكم . حكم باطل أن يعطى العصي من الخير ما يعطاه الطائع هذا . بارك الله فيكم . استدلال القول القائلين بالجبر وحتى لا يضرب الكلام بعضه ببعض يعني يؤخر الدرس إن شاء الله سبحانه وتعالى وعسى أن تكونوا قد فهمتم هذا وهو أن المؤلف رحمه الله تعالى وبارك بعلمه وجزاه عن الإسلام خيرا ذكر بعض الشبه الجبرية التي يستدلون بها على إثبات القدر له تبارك وتعالى ونفيه عن البشر وسلبه منهم تماما حتى إن العبد إذا عمل عملا محرما إنما هو مجبور على ذلك نفى ذلك كله بدلالة القرآن والسنة والعقل والحس

١ - النمل ( ٨٨ ) .

٢ - آل عمران ( ١٥٣ ) والتوبة ( ١٦ ) والمجادلة ( ١٣ ) والمنافقون ( ١١ ) .

٣ - البخاري ( ١ ) ( ٥٤ ) ( ٢٣٩٢ ) ( ٣٦٨٥ ) ( ٤٧٨٣ ) ( ٦٣١١ ) ( ٦٥٥٣ ) ومسلم ( ١٩٠٧ ) وأبو داود ( ٢٢٠١ ) والترمذي ( ١٦٤٧ ) والنسائي ( ٧٥ )

وغيرهم .

٤ - مسلم ( ١٣٣٧ ) .

٥ - القلم ( ٣٥ - ٣٦ ) .

ويجتمع السلف فأرجو أن يكون قد فهم هذا وستأتي بعض الردود مع الأدلة على الطائفة الثانية التي هي القدرية والله المستعان .

عرفنا أن الناس كانوا في هذا الباب طرفان ووسط أما الطرف الأول فهم الجبرية الجهمية طائفة يقولون بأن المرء مجبور على الخير والشر ومعنى هذا تعطيل الشريعة الإسلامية وافتئات على الله تبارك وتعالى وقد سمعنا بعض شبههم والرد عليها قرأنا ذلك نقلاً عن الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله تعالى الطائفة الثانية أيضاً مثلها نظرت إلى النصوص بعين عوراء وشذت في هذا الباب فهم القدرية وهي طائفة من المعتزلة من أصحاب واصل بن عطاء أثبتوا للعبد اختياراً ونفوه عن الله يعني كما يقال : طرفي نقيض القدرية المعتزلة والجبرية الجهمية وكلاهما على شر

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

**الطائفة الثانية :** قال الشيخ العثيمين استدلت الطائفة الثانية القدرية بقوله تعالى :

(( منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة )) ( ١ ) يعني أثبتوا جعلوا للعبد الإرادة قال : فأثبت للعبد إرادة ويقول : (( من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها )) ( ٢ ) ونحوها من النصوص القرآنية والنبوية الدالة على أن للعبد إرادة وأنه هو العامل الكاسب الراكع الساجد ونحو ذلك .

نظروا إلى هذه فجعلوها حجة ناسين أو متناسين الآيات التي تثبت إرادة ومشية أرحم الراحمين مثل جماعة التكفير والهجرة أخذوا آيات الوعيد نسوا آيات الرجاء أعوذ بالله قال الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله : والرد عليهم من وجوه :

**الأول :** إن الآيات والأحاديث التي استدلو بها نوعان نوع مقيد لعمل العبد وإرادته أنه بمشيئة الله كقوله تعالى : (( لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين )) ( ٣ ) وقوله : (( إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً )) ( ٤ ) وكقوله تعالى في العمل : (( ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد )) ( ٥ ) هذا المقيد أما المطلق فكقوله تعالى : (( فأتوا حرثكم أنى شئتم )) ( ٦ ) يعني أثبت المشيئة للعبد وقوله :

(( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )) ( ٧ ) وكقوله : (( من كان يريد العاجلة )) وإلى قوله : (( من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً )) ( ٨ ) .

قال : وهذا النوع المطلق يحمل على المقيد كما هو معلوم عند أهل العلم انتهى الإشكال .

**قاعدة أصولية :**

١ - آل عمران ( ١٥٢ ) .  
٢ - فصلت ( ٤٦ ) والجاثية ( ١٥ ) .  
٣ - التكويد ( ٢٨ - ٢٩ ) .  
٤ - الإنسان ( ٢٩ - ٣٠ ) .  
٥ - البقرة ( ٢٥٣ ) .  
٦ - البقرة ( ٢٢٣ ) .  
٧ - الكهف ( ٢٩ ) .  
٨ - الإسراء ( ١٨ - ١٩ ) .

أن المطلق يحمل على المقيد وأن العام يحمل على الخاص وأن المجمل يحمل على المبين فإذا جاء مطلق لا يعمل حتى يقيد وإذا جاء عام لا يعمل به حتى يخصص وإذا جاء مجمل لا يعمل به حتى يبين وهكذا درج العلماء على هذه القواعد .  
**الثاني :** إن إثبات استقراء العبد بعمله مع كونه مملوكا لله يقتضي إثبات شيء في ملك الله لا يريده الله وهذا نوع إشراك به ولهذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الأمة يعني لو كان الأمر كما يزعم هؤلاء لكان للعبد هذا أن يعمل ما يريد وهذا غير صحيح ليس للعبد أن يعمل ما يريد حتى المال الذي وهبه الله من شاء من عباده وإن كان قد قال الله عز وجل :

(( أو ما ملكتم مفاتيحه )) ( ١ ) (( أو ما ملكت أيمانكم )) ( ٢ ) إثبات الملكية للعبد لكن هو في الحقيقة ملك لله عز وجل ليس له أن يتصرف فيه إلا على ما يريد الله ليس له أن يزني بهذا المال ولا أن يستأجر أناسا من أجل الإيقاع بمسلم ولا يجوز له أن يتعامل بالربا بنصوص كثيرة جدا .

**الثالث :** أن نقول لهم : **هل تقررون بأن الله تعالى عالم بما سيقع من أفعال العباد ؟** فسيقول غير الغلاة منهم : نعم يعني القدرية منهم غلاة ونهم قدرية خفاف فالغلاة انقضوا كما قال النووي رحمه الله من بدري وهم الذين نفوا علم الله السابق تماما لكن جاء من بعدهم أناس يقولون : إن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات أو أن الله يعلم الأمر أنف وهي كلها ضلال .

قال : فإن قالوا : نعم نقر بذلك فنقول : هل وقع فعله على وفق علم الله أو على خلافه فإن قالوا : على وفق علم الله قلنا : إذن قد أَرَادَهُ اللهُ وإن قالوا : على خلافه فقد أنكروا علمه .

وقد قال الأئمة رحمهم الله في القدرية : ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا المراد بالعلم علم الله .  
 يعني أنت يا أيها القدرية **هل تقر بأن الله يعلم ؟** إن قال : نعم انتهى الإشكال خلاص أنت نسخت معتقدك وما تقرره وإن قال : لا نقول لا حول ولا قوة إلا بالله بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع كفرت بالله لأنك نفيت علمه .

قال رحمه الله : وهاتان الطائفتان القدرية والجبرية ضالتان طريق الحق لأنهما بين مفرط غال ومفرط مقصر فالجبرية غلوا في إثبات القدر وقصروا في إرادة العبد وقدرته والقدرية غلوا في إثبات إرادة العبد وقدرته وقصروا في القدر ولهذا كان الأسعد بالدليل والأوفق للحكمة والتعليل هم الطائفة الثالثة .

أنا قلت لكم : أنهم طرفان ووسط قدرية معتزلة وجبرية جهمية .

**والطرف الثالث :** هم أهل السنة والجماعة وهم الذين توسطوا فجمعوا بين النصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بإرادة الله وإرادة عبده وهكذا .

قال : الطائفة الثالثة هم أهل السنة والجماعة الطائفة الوسط الذين جمعوا بين الأدلة وسلكوا في طريقهم خير ملة فآمنوا بقضاء الله وقدره وبأن للعبد اختيارا وقدرة فكل ما كان في الكون من حركة أو سكون أو عدم فإنه كائن بعلم الله تعالى ومشيتته وكل ما كان في الكون مخلوق لله تعالى لا خالق إلا الله ولا مدبر للخلق إلا الله عز وجل وآمنوا بأن للعبد مشيئة وقدرة لكن مشيئته مربوطة بمشيئة الله العبد له مشيئة هو شاء أن يذهب وقت صلاة العصر لشراء مقاضي نقول : لا مشيئة

<sup>١</sup> - النور ( ٦١ ) .

<sup>٢</sup> - النساء ( ٣ ) .

الله الشرعية أنك تأتي تصلي بعدين المقاضي فأنت لك مشيئة لا نبطلها لكن مشيئتك مرتبطة بمشيئة الله أذن الفجر قال : والله أنا في نوم بارقد كذا شوية وأقوم أصلي بعدين لا نقول له : لا مشيئة الله أن تصلي في وقتها هذه المشيئة الشرعية . المشيئة القدريّة اصل لا يستطيع أحد أن يعاكسها شخص قال : أنا أروح أشترى مقاضي ضروري الآن ، والله إني رائج أشترى مقاضي خرج فإذا بسيارة تصدمه صدمته سيارة وهو لا يزال بجانب بيته بل ربما اكتعضت رجله وهو ينزل السلم ما قد خرج من البيت مشيئة الله ما يستطيع أن تخاصمها أو أن تنافياها ما يستطيع وتأمل إلى فرعون لما كان يقول لأهل مصر :

(( أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري تحتي )) ( ١ ) فأرسل الله تعالى عليهم آيات القمل والضفادع والدم أرسل الله عليهم القمل شكوا إلى فرعون القمل فإذا بفرعون هو مصاب بالقمل أصلا الضفادع يعني يفتحون التناير مليئة بالضفادع الصحون مليئة بالضفادع أفواههم الضفادع تصعد إلى وجوههم يا فرعون غير علينا أنت الرب أنت كذا الضفادع تعيث أمام فرعون ما يستطيع يردها الدم يشربون الماء فإذا به دم عقاب وعذاب ما يستطيعون رده وهكذا النمرود بن كنعان الذي ناظر إبراهيم وقال : (( فإن الله يأتي بالشمس من المشرق )) ( ٢ ) (( قال أنا أحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين )) ( ٣ ) .

فالعبد له مشيئة لكن ليست مشيئة مطلقة وإنما هي مشيئة مقيدة بعلم الله بقدرته الله بمشيئة الله وإرادته كما قال تعالى : (( لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين )) ( ٤ ) فإذا شاء العبد شيئاً وفعله علمنا أن مشيئة الله تعالى قد سبقت تلك المشيئة وكم من رجل حرص على أن يتزوج بفلانة مثلاً جاء شخص ولفها من قدامه وكم علمنا أن شخص حرص على أن يشتري شيئاً فما وفق بذلك لأن الله ما أراد فالمؤمن يقول : قدر الله وما شاء فعل وانتهى الإشكال هو أراد شيئاً لكن الله ما أراد قال الإمام ابن القيم :

قاعدة جلية أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والله تبارك وتعالى يقول : (( لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم )) ( ٥ ) فإذا فوض المؤمن مثل هذا استراح والله استراح مرة يعني أصيب بظمأئينة وخير وإذا هو تحسر وتندم أصيب بالقلق والأمراض النفسية الكثيرة .

قال : هؤلاء هم الذين جمعوا بين الدليل المنقول والمعقول فأدلتهم على إثبات القدر هي أدلة المثبتين له من جبرية لكنهم استدلوا بها على وجه العدل والجمع بينها وبين الأدلة التي استدل بها نفاة القدر وأدلتهم على إثبات مشيئة العبد وقدرته أدلة المثبتين لذلك من القدريّة لكنهم استدلوا بها على وجه العدل والجمع بينها وبين أدلة الذين استدلوا بها نفاة مشيئة العبد وقدرته وبهذا نعرف أن كلا من الجبرية والقدريّة نظروا إلى النصوص بعين الأعور الذي لا يبصر إلا من جانب واحد فهدى الله أهل السنة والجماعة لما اختلف فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

١ - الزخرف ( ٥١ ) .

٢ - البقرة ( ٢٥٨ ) .

٣ - البقرة ( ٢٥٨ ) .

٤ - التكوين ( ٢٨ - ٢٩ ) .

٥ - الحديد ( ٢٣ ) .

**حكاية :** هذه قصة جرت لاثنتين من الجبرية من القدرية المعتزلة مع واحد من أهل السنة قال : مما يحكى أن القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي دخل على صاحب بن عباد وكان معتزليا أيضا ابن عباد وهذا الهمداني وكان عنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني هذا من أهل السنة فقال عبد الجبار على الفور : سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال أبو إسحاق فورا : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء فقال عبد الجبار وفهم أنه قد عرف مراده : **أريد ربنا أن يعصى ؟** فقال أبو إسحاق : **أعصى ربنا قهرا ؟** فقال عبد الجبار : **أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن إلي أم أساء ؟** فقال له أبو إسحاق : إن كان منعك ما هو لك فقد أساء وإن كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء فانصرف الحاضرون وهم يقولون : والله ليس عن هذا جواب .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن السنة والجماعة وسط بين فرق المبتدعة في خمسة أصول ذكرها في العقيدة الواسطية فلترجع هناك وذلك أن بعض هؤلاء دخلوا في باب يعني أنت تقول أن الله . هذا معتقد أهل السنة . أراد الكفر من الكافر كونا وقدرنا وأباه شرعا وديننا فالله أراد قدرا أن يكون فرعون هو فرعون وأراد كونا وقدرنا أن موسى هو موسى النبي المجتبي والرسول المصطفى فلا يجوز لمسلم أن يقول : **ليش ؟** المشكلة عند القدرية أنهم قالوا : **ليش لماذا ؟** الله سبحانه وتعالى يقول : (( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون )) ( ١ ) فعلم الله تبارك وتعالى أنه لا خيرية في فرعون ولا خيرية في أبي جهل ولا في أبي لهب علم الله أن هناك خيرية في موسى في محمد في أبي بكر في عمر في فلان علم الله في الأزل فلا ينبغي محاجة الله تبارك وتعالى في خلقه أو فيما أراده لخلقه وعلى المؤمن أن يعلم أن يؤمن بالقضاء والقدر وأن يعلم أن له أربع مراتب :

التقدير الأزلي والتقدير العمري والتقدير السنوي والتقدير اليومي .

**أما التقدير الأزلي** فدليله قوله سبحانه : (( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير )) ( ٢ ) وقوله تبارك وتعالى : (( قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى )) ( ٣ ) وحديث النبي صلى الله عليه وسلم :

{ إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي } ( ٤ ) هذا تقدير أزلي لا يغير ولا يبدل وحديث : { إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء } ( ٥ ) وحديث وحديث : { واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك رفعت الأقلام وجفت الصحف } ( ٦ ) خلاص جف القلم ما فيش كتابة بعد وطويت الصحيفة لا تفتح مقادير

إما أتتلك يا فتى وإلا فتأتيتها

هي المقادير التي في اللوح قد كتبت

١ - الأنبياء ( ٢٣ ) .

٢ - الحديد ( ٢٢ ) .

٣ - طه ( ٥١ - ٥٢ ) .

٤ - البخاري ( ٣٠٢٢ ) .

٥ - مسلم ( ٢٦٥٣ ) والترمذي ( ٢١٥٦ ) وأحمد ( ٦٥٧٩ ) .

٦ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .

دع المقادير تجري في أعنتها

ولا تبين إلا خالي البال

وكل شيء بالقضاء والقدر

وكل مقدور فما منه مفر

خلاص قضاء وقدر هذه المرتبة الأولى .

**المرتبة الثانية :** التقدير العمري وهذا والجنين في بطن أمه له مائة وعشرون يوما كما في حديث ابن مسعود في الصحيحين قال : { ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد } ( ١ ) يكتب كل شيء وأنت في بطن أمك فعلى إيش الحسرة وعلى إيش الوسواس وقد كتب ما كان وما سيكون لو كان الله المستعان .

**أما المرتبة الثالثة :** فهو التقدير السنوي وهذا في ليلة القدر كما قال سبحانه : (( فيها يفرق كل أمر حكيم )) ( ٢ ) وقال سبحانه : (( إنا أنزلناه في ليلة القدر )) ( ٣ ) وليلة القدر سميت بذلك قال بعض المفسرين : ليلة القدر من الشرف تقول : هذا رجل ذو قدر أي ذو شرف فهي ليلة شريفة ، الملائكة تحفها وتنزل من السماء وقيل : من التقدير قال بعض المفسرين : أي لإعطاء أناس وحرمان آخرين وإحياء أناس وإماتة آخرين تقدير لمدة سنة .

**وتقدير يومي :** (( كل يوم هو في شأن )) ( ٤ ) و { ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط ممسكا تلفا ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا } ( ٥ ) قالوا : وهذا فيمن كان يقدر على أن ينفق على أهله ولكن يشح ، عنده المال ولكن ما ينفق على أهله فالملائكة تقول : اللهم أعط ممسكا تلفا وملائكة آخرون يقولون : اللهم أعط منفقا خلفا .

هذه أربع مراتب وله أربعة أركان :

العلم والكتابة والمشية والخلق

علم كتابة مولانا مشيئته وخلق هو إيجاد وتكوين

هذه أركانه وقد تقدم لكم دليل العلم أن الله يعلم ما كان وما سيكون وكذلك أيضا الخلق وكذلك أيضا الكتابة حديث القلم والشافعي رحمه الله تعالى كان يتمثل دائما بقوله :

وما شئت إن لم تشأ لم يكن	ما شئت كان وإن لم أشأ
ففي العلم جرى الفتى والمسن	خلقت العباد على ما علمت
وهذا أعنت وذا لم تعن	على ذا مننت وهذا خذلت
ومنهم قبيح ومنهم حسن	ومنهم شقي ومنهم سعيد

ذكر ذلك الاللاكاني في شرح معتقد أهل السنة عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، هذا شرح موجز للمقدمة وللتبويب وهو قول المؤلف : باب ما جاء في منكري القدر .

١ - البخاري (٣٠٣٦) ومسلم (٢٦٤٣) .

٢ - الدخان ( ٤ ) .

٣ - القدر ( ١ ) .

٤ - الرحمن ( ٢٩ ) .

٥ - البخاري (١٣٧٤) ومسلم (١٠١٠) .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : والذي نفس ابن عمر بيده ، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره } رواه مسلم ( ١ ) .

ثم قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : وقال ابن عمر : [ والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ] ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره } رواه مسلم .

هذا الحديث له قصة وذلك أول ما ظهر القول بالقدر في البصرة ظهر به رجل يسمى معبد الجهني أخذ هذه العقيدة عن رجل نصراني يسمى سوسن فكان من أهل السنة رجلاً حميد بن عبد الرحمن الحميري قال : القصة هنا بطولها ما في قال يحيى بن يعمر الذي يروي الحديث قال : كان أول من تكلم بالقدر في البصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر وهؤلاء كانوا مهتمين بأمر العقيدة قال : فوق الله تعالى لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد فاكنتفته أنا وصاحبي فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي ظننت وما هو حريص لكن صاحبه لو قال له : اتفضل بايقول له : عندك إما أنه كبير سن أو كثير علم ولا يكون الشخص حريصاً على الكلام إذا كان هناك من هو أعلم منه أو أكبر منه سناً فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم قال : يتقفرون يتبعون أي يتطلبونه يزعمون ألا قدر يتقفرون العلم يعني يبحث لك عن أشياء غريبة ويمكن ما تطل على الزمان إلى قيام الساعة وهو يأتي يتقفرها ويريد أن يعلمها الناس وهم ليسوا بحاجة إليها لو تفرغ ليعلمهم الصلاة والوضوء كان أحسن قال : يزعمون ألا قدر وأن الأمر أنف يعني الله ما يعلم إلا بعد وقوعه عياداً بالله فقال : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أي بريء منهم وأنهم مني براء والذي يحلف به

١ - مسلم ( ٨ ) .



عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه **لماذا ؟** لأن العمل لا يقبل إلا بالاعتقاد الصحيح على أنه يقول : فأنفقه لو كان له مثل أحد ذهباً جبل من ذهب والنفقة لها قدر عند الله سبحانه وتعالى عظيم شأنها عند الله سبحانه وتعالى ولكن لا يقبل منه حتى يكون على عقيدة صحيحة قال : حتى يؤمن بالقدر ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام قال : { الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال : صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : فأخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت قال : فأخبرني عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال : فأخبرني عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال : فانطلق فلبثت ثلاثاً وفي رواية ملياً قال : **يا عمر أتدري من السائل ؟** قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم { فحضر النبي صلى الله عليه وسلم الدين في هذه المراتب الثلاث وهذا . بارك الله فيكم . يحتاج إلى شرح يحتاج إلى أن نشرح الإيمان ونشرح كذلك الملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر فهذا حديث ابن عمر الذي في صحيح الإمام مسلم راويته يحيى بن يعمر وحמיד بن عبد الرحمن أيضاً في سبب سؤال ابن عمر عن طائفة القدرية ثم قال لهم عبد الله بن عمر :

[ والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ]  
والقدر مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره فكأنه من التقدير والله تبارك وتعالى أحاط بالبرية علماً قال سبحانه وتعالى حاكياً عن موسى ومن قال له :

(( فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى )) ( ١ ) وقال : (( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في نفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير )) ( ٢ ) .

ثم استدل عبد الله بن عمر بقوله : { وتؤمن بالقدر خيره وشره } الإيمان مشتق من الأمن وهو لغة بمعنى التصديق وشرعاً : نطق باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وقد وقع الإجماع على أن من اعتقد هذه المراتب الثلاث برئ من عقيدة الإرجاء جملة وتفصيلاً .

فقولهم : نطق باللسان وذلك أن تقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله هذا من الإيمان .  
اعتقاد بالجنان أي بالقلب وقد جمع حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم هذه المراتب الثلاث قوله صلى الله عليه وسلم :

{ الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله { هذا فيه دلالة على النطق باللسان فهو من الإيمان { أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق { هذا عمل بالجوارح ، تزويجها من الطريق ،

١ - طه ( ٥١ - ٥٢ ) .

٢ - الحديد ( ٢٢ ) .



{ والحياء شعبة من شعب الإيمان } ( ١ ) فالحياء هو عمل قلبي لا دخل للسان به ولا للجوارح ، لكن الجوارح واللسان تترجم عما في القلب

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه      ولا خير في وجه امرئ قل ماؤه  
إذا لم تخش عاقبة الليالي      ولم تستح فاصنع ما تشاء  
فلا والله ما في العيش خير      ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

فهذا الإيمان بمراتبه الثلاث وأما كونه يزداد وينقص فعندنا حديث : { من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلمه } ( ٢ ) فربما يحصل الضعف فهنا حصل كذلك قوله سبحانه :  
( ( ويزداد الذين آمنوا إيمانا ) ) ( ٣ ) بمعنى أن إيمانكم كان ناقصا وفي حديث يحسنه الشيخ الألباني أو يصححه قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى : أن يجدد الإيمان في قلوبكم } ( ٤ ) فالإيمان يزداد وينقص يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية فكلما أكثر العبد طاعة ازداد إيمانه وإذا تلطخ ببعض المعاصي الله المستعان ضعف إيمانه .

قال : { الإيمان أن تؤمن بالله { والإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته أن تؤمن بالله يعني بهذه المراتب الأربع .  
{ وملائكته { الملائكة .

قبل ذلك الإيمان بالله يتضمن ما قلناه وما جاء عن الله في الكتاب والسنة وما جاء عن الله في الكتاب والسنة يتضمن من آمن بالله لزم أن يؤمن بكل ما قاله الله وبكل ما حكى به الله سبحانه وتعالى .

أما الملائكة لغة : مشتقة من الألوكة بمعنى الرسالة وشرعا : هم مخلوقات نورانية قابلة للتشكيل خلقهم الله من نور كما في صحيح البخاري من حديث عائشة في كتاب الخلق قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الله خلق الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم } ( ٥ ) أي من تراب .

والملائكة أعدادها هائلة لا يعلم بعددها إلا الله قال سبحانه : ( ( يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ) ) ( ٦ ) وقال سبحانه : ( ( فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ) ) ( ٧ ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ أظن السماء وحق لها أن تنط ما فيها موضع شبر إلا ومليك ساجد أو قائم أو ساجد يدعو الله سبحانه وتعالى إلى يوم القيامة } ( ٨ ) ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم البيت المعمور في السماء السابعة قال : { يدخل فيه كل يوم سبعون

١ - مسلم ( ٣٥ ) .

٢ - مسلم ( ٤٩ ) .

٣ - المدثر ( ٣١ ) .

٤ - صحيح : الحاكم ( ٥ ) وانظر حديث رقم : ١٥٩٠ في صحيح الجامع .

٥ - مسلم ( ٢٩٩٦ ) .

٦ - النحل ( ٥٠ ) .

٧ - فصلت ( ٣٨ ) .

٨ - الترمذي ( ٢٣١٢ ) وأحمد ( ٢١٥٥٥ ) والحاكم ( ٣٨٨٣ ) انظر حديث رقم : ٢٤٤٩ في صحيح الجامع .

ألف ملك ثم لا يعودون إلى قيام الساعة { ( ١ ) } ولهم وظائف فهناك من هو موكل بقبض الأرواح (( قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم )) ( ٢ ) وهناك من هو موكل بتسجيل الحسنات والسيئات (( ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد عتيد )) ( ٣ ) (( وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون )) ( ٤ ) وهناك من هو موكل بالقطر والنبات والعذاب والعذاب ولهم وظائف كثيرة فوجب علينا أن نؤمن بهؤلاء الملائكة كلهم من سمي لنا ومن لم يسم لنا كجبريل وميكائيل وإسرافيل وخازن الجنة وخازن النار وهكذا ما جاء عاما في القرآن والسنة وجب الإيمان بذلك كله فمن الإيمان بالله أن تؤمن بملائكته منهم أيضا حملة العرش (( ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية )) ( ٥ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { أذن لي أن أتحدث عن ملك من حملة العرش ما بين منكبه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام } ( ٦ ) .

وأیضا من الإيمان بالله أن تؤمن بكتبه بالكتب المنزلة الصحف التي أنزلت على إبراهيم وموسى ، التوراة التي أنزلت على موسى خطها الله بيده ، والزبور الذي أنزل على داود ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى بن مريم والقرآن الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو خاتم الكتب قال سبحانه : (( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين )) ( ٧ ) فوجب أن تؤمن بهذه الكتب كلها ، لكن هل بقي منها شيء ينفع ؟ لا خلاص نسخت كلها بالقرآن الكريم جاء في مسند أحمد بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى صحيفة مع عمر بن الخطاب قال : { ما هذه ؟ قال : مررت على رجل يقرأها فأخذتها منه أعجبني فأخذتها منه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أنتهوك أنت يا ابن الخطاب ؟ . يعني أمتشكك أنت . لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا أن يتبعني } ( ٨ ) وقال سبحانه :

(( ومن يتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين )) ( ٩ ) وهكذا الإيمان بالرسول من أولهم إلى آخرهم قرابة مائة وأربعة وعشرين ألف نبي رسولا ذكر القرآن منهم خمسة وعشرون نبيا رسولا وهناك أنبياء ورسول لم يذكروا لكن تؤمن بهم إجمالا فتؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأيضا باليوم الآخر وهو آخر يوم من أيام الدنيا الآخر بكسر الخاء آخر يوم من أيام الدنيا لكن الآخر بفتح الخاء معناه شيء آخر تقول : أنا أريد شيئا آخر يعني شيء غير هذا الذي أعطيتني إياه لكن لما تقول : آخر الشيء بمعنى انتهاه فهذا اليوم هو آخر أيام الدنيا ليس بعده يوم أبدا فيه الفصل فريق في الجنة وفريق في السعير .

ومن إيمانك باليوم الآخر أن تؤمن بكل ما فيه أن تؤمن بعذاب القبر ونعيمه وبالفتان الفتان في القبر : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ وأن تؤمن بالبعث والحشر والنشر والصراط والميزان وأن تؤمن بنزول الله تبارك وتعالى للفصل بين العباد وأن تؤمن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة الرسل وشفاعة النبيين وشفاعة الملائكة المقربين وشفاعة رب العالمين وأن

١ - البخاري (٣٠٣٥) ومسلم (١٦٤) .

٢ - السجدة ( ١١ ) .

٣ - ق ( ١٨ ) .

٤ - الإنفطار ( ١٠ - ١٢ ) .

٥ - الحاقة ( ١٧ ) .

٦ - صحيح : أبو داود (٤٧٢٧) انظر حديث رقم : ٨٥٤ في صحيح الجامع .

٧ - الأحزاب ( ٤٠ ) .

٨ - صحيح : أحمد (١٥١٩٥) وانظر إرواء الغليل ( ٦ / ٣٤ ) .

٩ - آل عمران ( ٨٥ ) .

تؤمن بكل ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب كلها لأن هذا مقتضى الإيمان بالغيب (( الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون )) ( ١ ) .

ثم قال : { وتؤمن بالقدر خيره وشره } وقد تقدم لكم معنى ذلك القدر لغة : مشتق من التقدير وشرعا : هو علم الله السابق علم الله الأزلي وكان الإمام أحمد يقول لما سئل : **ما هو القدر ؟** قال : القدر قدرة الله تبارك وتعالى .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب فقال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة } يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { من مات على غير هذا فليس مني } ( ٢ ) .

وفي رواية لأحمد :

{ إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له : اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة } ( ٣ ) .

وفي رواية لابن وهب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار } .

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمى قال : أتيت أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت له : في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار قال : فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه ( ٤ ) .

قال : وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إن الله أول ما خلق الله القلم } وقد تقدم لكم هذا ، هذا في المرتبة الأولى من مراتب القدر وهو التقدير الأزلي { فقال له : اكتب فقال : **ربي وماذا أكتب ؟** قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة } يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { من مات على غير هذا فليس مني } بمعنى أنه لا بد من صحة الاعتقاد وإلا كانت الأعمال فاسدة لا تقبل ، العمل لا يقبل إلا بشرطين اثنين :

١ - البقرة ( ٣ ) .

٢ - أبو داود ( ٤٧٠٠ ) .

٣ - أحمد ( ٢٢٧٥٧ ) .

٤ - صحيح : أبو داود ( ٤٦٩٩ ) وابن حبان ( ٧٢٧ ) والبيهقي في الشعب ( ١٨٢ ) وأحمد ( ٢١٦٥١ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ١١٥ ) .

الإخلاص صحة المعتقد ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي رواية لأحمد { إن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة } وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار } وفي المسند والسنن عن ابن الديلمى قال : أتيت أبي بن كعب فقلت : في نفسي شيء من هذا القدر فحدثني لعل الله يذهب من قلبي ، يعني ما يخرج هذه الشبهة إلا بالدليل الساطع القاطع بالعلم يعني فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لكنك من أهل النار } قال : فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه .

فيه مسائل :

- الأولى : بيان فرض الإيمان بالقدر .
- الثانية : بيان كيفية الإيمان به .
- الثالثة : إحباط عمل من لم يؤمن به .
- الرابعة : الإخبار أن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به .
- الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .
- السادسة : أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة .
- السابعة : براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به .
- الثامنة : عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء .
- التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته ، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط .

قال هنا المؤلف : فيه مسائل :

- الأولى : بيان فرض الإيمان بالقدر معنى أنه واجب .
  - الثانية : بيان كيفية الإيمان بمعنى أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك .
  - الثالثة : إحباط عمل من لم يؤمن بالقدر كما قال ابن عمر : [ لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبل من أحد منهم ] .
  - الرابعة : الإخبار أن أحداً لن يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به كما في الحديث الذي سمعناه .
  - الخامسة : ذكر أول ما خلق الله وهو القلم .
  - السادسة : أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة هذا ما نعتقد وندين الله به
- إن المقادير التي في اللوح قد كتبت  
إن أتتك يا فتى وإلا فتأتيتها

وحديث ابن عباس : { رفعت الأقلام وجفت الصحف } ( ١ ) .

**السابعة :** براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به كما شهد بذلك ابن عمر .

**الثامنة :** عادة السلف بإزالة الشبهة بسؤال العلماء ، هذا مأخوذ من هذا الذي هو ابن الديلمي لما قال : أتيت أبي بن كعب فقال : إن في نفسي شيء من القدر فأزاحه الله سبحانه وتعالى بالعلم .

**التاسعة :** أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته وذلك أنهم نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مصداق قوله تبارك وتعالى : (( فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون )) ( ٢ ) فمن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله ومن لم يكفه محمد صلى الله عليه وسلم فلا كفاية له أبداً فإنما كفايتنا في كتاب ربنا وفي سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو القاسم الجنيد وهو من الصوفية المعتدلة قال : تقع الشبهة في قلبي من القوم فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل المراد بذلك الكتاب والسنة ونكون قد انتهينا من هذا الدرس وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

### باب ما جاء في المصورين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه  
قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

### باب ما جاء في المصورين

قوله : باب المراد به التويب المعنوي وهو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب .  
وقوله : ما ، ما هاهنا موصولة .

وجاء أي ما ورد من الأدلة أو ما ورد من التحذير أو ما ورد من الإثم في المصورين أي في الذين يصورون يصنعون التصاوير .

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : أن في التصوير خلقاً وإبداعاً يكون فيه المصور مشاركاً لله في ذلك الخلق والإبداع وربما تكون هذه الصور وسيلة من وسائل الشرك كما حصل في زمن كما حصل لقوم نوح عليه الصلاة والسلام فأوحى الشيطان إليهم أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين فخبئوا تلك الصور حتى جاء أناس بعدهم فعبدوا هذه التصاوير من دون الله ، هذه هي المناسبة من إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد .

<sup>١</sup> - تقدم تخريجه .  
<sup>٢</sup> - الجاثية ( ٦ ) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة } أخرجاه ( ١ ) .

قوله : ما جاء في المصورين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { قال الله تعالى . هذا حديث قدسي . : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة } أخرجاه .  
قوله : { ومن أظلم } أي أن هذا في منتهى الظلم أو في أشده أو في منتهى الأظلمية .  
وقوله : من اسم استفهام والمراد به النفي ومن أظلم أي لا أحد { أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي } وذلك أنه يصور والتصوير المراد به التشكيل ولكن الخلق المنسوب إلى البشر إنما هو التحويل تحويل الشيء من شيء إلى شيء آخر بخلاف خلق الله فإنه الإيجاد من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين .  
وقوله : { من أظلم } يقول العلماء إذا جاء النفي بصيغة الإستفهام يكون أبلغ من النفي المحض يقولون : لأنه يشرب بالتحدي والإعجاز وذلك إذا كان نفي بصيغة استفهام الآن هنا قال : ومن أظلم كان من الممكن أن يقال هل أظلم لكن نفي وبصيغة استفهام يكون أقوى من النفي المحض لأنه حينئذ يشرب بمعنى التحدي والإعجاز .  
قال : ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة والمراد به الذرة واحدة النمل الصغار ورسول الله خاطب العرب بلغتها وليس المراد به الذرة النووية التي يقول عنها المتأخرون لا ذرة معروفة  
{ ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة } هذا الذي يصور ويشكل قل له : يخلق ذرة صغيرة لا يستطيع ، والخلق بمعنى التقدير قال الشاعر :

ولأنت تفري ما خلقت      وبعض الناس يخلق ثم لا يفري

قوله : { أو ليخلقوا حبة } أيضا هذا يراد به التحدي يخلق حبة شام ذرة أو إيش ما كان أو ليخلقوا شعيرة .

<sup>١</sup> - البخاري (٧١٢٠) ومسلم (٢١١١) .

والمنهي عنه من التصوير ذوات الأرواح أي تصوير ذوات الأرواح وهذا عموماً لا يجوز تصوير ذوات الأرواح سواء كان إنساناً طيراً حيواناً أما ما لم يكن بذات روح فلا بأس كالجبال و الزراعة والأشجار كما في الحديث :  
 { إلا رقماً في ثوب } ( ١ ) والرقم هو الشيء الذي لا رأس له لا روح له جبل أي شيء يتعارف الناس عليه في هذه الملابس .

ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله } ( ٢ ) .

قال : ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله } ومعنى يضاهئون أي يماثلون والأشدية هذه تفيد أن هذا محرم وأن الله سبحانه وتعالى يسخط عليه وهو يفيد ما أفاده الحديث الأول من تحريم صور ذوات الأرواح إلا ما كان ضرورة كالبطاقة و رخصة القيادة أشياء أنت ملزم بها من قبل المسؤولين يحتاجون رخصة في كذا في الجواز في البطاقة في رخص أشياء كثيرة فأنت مجبور على ذلك أما الصور التي للذكرى تعلق على الجدران هذه لا تجوز والمصور الذي في السوق إن جاء إليه من يتصور للذكرى فهو آثم المصور والمصور كلاهما آثمان ، لو جاء شخص قال : صورني للبطاقة صورني للجواز ليسا بآثمين ، أما من أجل الذكرى من أجل إرسالها من أجل الناس ينظرونها هذا لا يجوز ، وبعض الناس يصور مثل يتصور رب الأسرة ويجعلون صورته في البيت يتذكرونه إذا سافر إذا مات إذا كذا يوقعون أنفسهم في آثام كثيرة حرمة الصورة الملائكة تطرد وتحل الشياطين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة } ( ٣ ) .

**ثالثاً :** أنه ربما يموت هذا الرجل فالصورة هذه تذكرهم به فيكون والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { إن الميت يعذب ببكاء أهله } ( ٤ ) يعني يتألم في قبره ببكاء أهله نعم وكلنا سنموت ومن ذا الذي سيعمر فالذي تصور والذي لم يتصور كلهم إلى الفناء .

<sup>١</sup> - البخاري (٥٦١٣) ومسلم (٢١٠٦) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٥٦١٠) ومسلم (٢١٠٧) .

<sup>٣</sup> - البخاري (٣٠٥٣) ومسلم (٢١٠٦) .

<sup>٤</sup> - البخاري (١٢٢٦) ومسلم (٩٢٨) .

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم } ( ١ ) .  
ولهما عنه مرفوعاً : { من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ } ( ٢ ) .  
ولمسلم عن أبي الهياج قال : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعتك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
{ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرا مشرفاً إلا سويته } ( ٣ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : التغليظ الشديد في المصورين .

الثانية : التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله : { ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي } .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله : { فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة } .

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً .

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها المصور في جهنم .

السادسة : أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح .

السابعة : الأمر بطمسها إذا وجدت .

قال : ولهما أي للبخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها روحا يعذب بها في جهنم } ولهما عنه مرفوعاً : { من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ } وهذا تحدي انفخ فيها الروح هذه الصورة التي شكلتها انفخ فيها الروح لن تستطيع ، أي صورة لكن كما قلت لكم استثنى

<sup>١</sup> - مسلم ( ٢١١٠ ) .  
<sup>٢</sup> - البخاري ( ٦٦٣٥ ) ومسلم ( ٢١١٠ ) .  
<sup>٣</sup> - مسلم ( ٩٦٩ ) .



العلماء ما كان ضرورة ، ولمسلم في صحيحه عن أبي الهياج وهو الأسدي تابعي جليل قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : **ألا أبئك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟** { يعني رسول الله أرسلني من أجل إيش ؟ } ألا تدع صورة إلا طمستها { أي صورة على بطانية على طراحة على الجدران على أي شيء دخل النبي صلى الله عليه وسلم بيت عائشة وعندها ستارة الحديث معروف ستارة فاغتاظ النبي صلى الله عليه وسلم اشتطاط غضبا قالت عائشة : **أستغفر الله ماذا فعلت ؟** فقال : { أما علمت أن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون فأخذت الستائر وشططتها عائشة رضي الله عنها } ( ١ ) يعني انطمس منها الرأس أنت يكفي أن تطمس الرأس إذا قطع الرأس كما في الحديث فلا صورة وهذه الصور حقيقة مما عمت به البلوى فتجد المفتاح فيه صورة الصلصة فيها صورة الفلوس فيها صورة ما من شيء إلا وقد غزوه بالتصاوير أعوذ بالله غزوا كل شيء بالتصاوير ربما بعض البضائع لا تمشي إلا إذا كان فيها تصاوير وهناك بعض البضائع لجودتها تمشي من غير صور يعني تأملوا بعض البضائع الذي كذا مثلا يعرفها الناس من قبل عشرين ثلاثين سنة يشترونها من غير أن يكون عليها صورة ولكن نحن الآن في زمن لا حول ولا قوة إلا بالله الجشع والطمع عند بعض التجار ، وهكذا أيضا اليهود والنصارى غزوا بهذه الصور المسلمين إلى عقر دارهم نسأل الله السلامة والعافية فالإنسان يعني يطمس ما استطاع ما استطاع طمسه طمسه وما لم يستطع لا يكلف الله نفسا إلا وسعها يعني أنت لست مطالب كلما رأيت صورة بالشارع أن تذهب تطمسها وربما كان حق الناس بعض الناس ربما يشوف لماذا . بارك الله فيك . صورة ليست لك لا يجوز لك أن تطمسها قد حصل في بعض السجون سجن بعض الناس ورأى صورة للرئيس فقام يطمسها هذا مغفل الآن يقولوا : أنك تحتقر الرئيس ولو كان حتى غير الرئيس لو دخلت مجلس في صورة غنمة والمجلس ليس مجلسك تقوم أنت تقطعها ولو رأيت حتى صورة خلاعة قل : يا أخي أنا والله أستاذ أن أخرج أما أن تقوم تقل حياءك وتقوم هذا ما يصلح هذا لا بد من الاستئذان رأيت مع شخص قلم فيه صورة أو تلفون فيه صورة انصحه قل له : لا يليق بك كذا وأنت رجل كذا ولك أولاد ولك زوجة لك بنات اتق الله خاف الله هذا حرام ، الله يقول كذا والرسول يقول كذا أما أنك على طول تقطع أخبرنا أنه في حرب الأفغان الذي كان مع روسيا رسم بعض الشباب صورة غربتشوف هذا الذي كان رئيس روسيا يعني رسمه كذا ما بين صورة كلب وقرود وصورة غربتشوف يعني جمعه ثلاثا ثم أعطاها أحد العرب المجاهدين وهذا يظن الآن أنه قد قدم جمالة لما شوه بالرجال في صورته قال له : اتفضل فذاك بمجرد ما نظر هكذا قال : الصور حرام أخذها وقطعها ذاك مش فاهم يعني قال له : أنت شيوعي هذا الأفغاني الآن قال له : أنت ما غضبت الآن المهم فظل يشرح له أنه ما غضب ليش عمل هذا وإنما الصور حرام قال : ستقول لي : الصور حرام أما أنك تمزقها لا ، فالإنسان له كرامة إلا أن يكون ابنك بنتك مرتك هذا يختلف الوضع طالبك تلميذك فيها احتمال لكن شخص مثلك شخص أكبر منك أنت دخلت بيت إنسان ركب في سيارة إنسان لا حتى فيما يتعلق بالأغاني إذا ركب في سيارة فيها أغاني انصح بالتى هي أحسن لا يكون الحال كما حصل يعني ركب واحد في سيارة مشوا أغاني فإذا به أول ما بدأ المسجلة تتغني بجانبه خطها خط المسجلة لما كسرهما وبعدين قاموا تضاربوا هو وصاحب السيارة وبعد قام الناس تعصبوا مع صاحب السيارة وانقسموا إلى فريقين (( فريق في الجنة وفريق في السعير )) ( ٢ ) نسأل الله السلامة والعافية ، لا ، لا بد من الفرق ولا بد من فقه الدعوة إلى الله ولكن

<sup>١</sup> - البخاري (٥٦١٠) ومسلم (٢١٠٧) .

<sup>٢</sup> - الشورى (٧) .

قل : يا جماعة اتقوا الله خافوا الله الأغاني في حولها كلام الله يقول كذا والرسول يقول كذا لما الناس أنت تتكلم بكلام طيب الناس كلهم يقومون معك لكن لما تبدأ تتقارح من بداية الأمر الناس يغضبون انتبه وبعدين بعضهم مش فاهم بعض الناس مش فاهم بعضهم الآن يتصل علينا في رمضان من أجل أشياء يسأل عنها يظنها من المفطرات يقول لك يعني مثلا : **يجوز له ينظر إلى زوجته في رمضان ؟ أو لا يجوز ؟ هل يجوز أن يرقد مع زوجته في فراش واحد في رمضان ؟ أو لا يجوز ؟** يعني في رمضان يقول لك : أنا إذا خرجت في الصباح من البيت لشراء المقاضي أو كذا فبعدين مثلا نسي ما شعر إلا وقد أكل من هذه الأغراض شيء وربما يزعجك على هذا على أنه مثلا ما يفطر بذلك لكنهم يجهلون مثل هذا الشيء عن حسن نية فالناس في اليمن مسلمين في السعودية مسلمين في العراق مسلمين الدول العربية بشكل عام مسلمين فأنت تخاطبهم بالفطرة التي وهبهم الله سبحانه وتعالى إياها فعلي بن أبي طالب يقول لأبي الهياج : **ألا أبعثك على ما بعثني عليه النبي صلى الله عليه وسلم ؟** { ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته } أي قبر مرتفع ، لأن الأضرحة هذه هي دليل الشرك والعياذ بالله فما خرج من القبر من التراب يعاد إليه هذا هو ولا يزداد على ذلك إطلاقاً ، والله المستعان .

### باب ما جاء في كثرة الحلف

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً  
قال المؤلف رحمه الله تعالى :

### باب ما جاء في كثرة الحلف

الباب لغة : يطلق ويراد به الباب الحسي الذي يدخل الناس ويخرجون منه كذلك وأرادوا به الباب المعنوي في كتب الفقه والحديث وما شابهها فهذا مصطلح درج عليه المؤلفون في كتبهم ويعنون بذلك الجملة العلمية المختصة من الكتاب وهو دون الكتاب وفوق الفصل لأن الفصل : عبارة عن مسائل تشبه بعضها البعض .  
قوله : ما جاء أي ما ورد ما ثبت ما أتى .

في كثرة الحلف أي من التشديد أو من الترهيب أو من الآيات والأحاديث في هذا الباب ما جاء في كثرة الحلف .  
المناسبة : مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن الاستهانة بشأن الحلف ينقص التوحيد والله سبحانه وتعالى قد ذم الذين يكثر الأيمان فقال سبحانه : (( ولا تطع كل حلاف مهين )) ( ١ ) حلاف على وزن فعال كثرة حلف ويقول سبحانه عن المنافقين : (( اتخذوا أيمانهم جنة )) ( ٢ ) أي وقاية سترة يستترون بها فما يتكلم إلا والله والله والله والله فالمؤمن لا ينبغي له أن يحلف إلا لأمر محقق أو إذا طلب منه وهو يعلم مصداقية ذلك والحلف : هو اليمين أو القسم وهو تأكيد الشيء بذكر معظم بصيغة بصورة مخصوصة بحرف من حروف القسم والله وبالله وتالله ولا يجوز القسم إلا بالله أما بغير الله فلا يجوز لا تقسم بالجاه ولا برأس أولادك ولا بالعيش والملح ولا بالزمانة ولا بالصدقة ولا بشرفك ولا بوليك الذي تعتقده وإنما :

<sup>١</sup> - القلم ( ١٠ ) .  
<sup>٢</sup> - المنافقون ( ٢ ) .

{ من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت } ( ١ ) يعني يسكت والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق } ( ٢ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من حلف بالأمانة فليس منا } ( ٣ ) وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم عمر وهو يقول : وأبي قال : { إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم } قال : فوالله ما عاد عمر لها ذاكرا ( ٤ ) ، أي ما زاد يحلف بأبيه وإنما يحلف بالله .

**وقول الله تعالى : (( واحفظوا أيمانكم )) ( ٥ ) .**

قال : وقول الله تعالى : (( واحفظوا أيمانكم )) ( ٦ ) هذا أمر من الله سبحانه وتعالى بأن يحفظ المسلم يمينه وحفظ اليمين له ثلاثة مراتب :

**المرتبة الأولى :** مرتبة الإبتداء وذلك بعدم الحلف لا تحلف بدل ما تتعب نفسك لا تحلف هذا أحد تفسير حفظ اليمين وهو عدم حلفك .

**المرتبة الوسطى :** وذلك بعدم الحنث ، حلفت فحنثت بمعنى حلفت على أمر مستقبل والله مثلا لا أزور فلان فراجعت نفسك ونظرت إلى الشريعة أنه لا بد من أن تزوره وهو أخوك هنا تكفر عن يمينك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { وإنني إن شاء الله لن أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها فأتى الذي هو خير وأكفر عن يميني } ( ٧ ) .

**المرتبة الثالثة :** مرتبة الإنتهاء انتهاء الشيء وهو أحد أوجه حفظ اليمين وذلك يكون بالكفارة وكفارة اليمين ذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه في سورة المائدة قال سبحانه :

(( لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم )) ( ٨ ) بقي معنا أن الأيمان ثلاثة أيضا :

**يمين لاغية :** وهو ما يجري على اللسان وما عقدته على القلب والله وبالله وتالله خذ هذا والله اتفضل عندنا والله هذا لا يحسب .

**واليمين المعقودة :** وهي التي حديثنا حولها .

١ - البخاري (٢٥٣٣) ومسلم (١٦٤٦) .

٢ - البخاري (٤٥٧٩) .

٣ - صحيح : أبو داود (٣٢٥٣) وأحمد (٢٣٠٣٠) وابن حبان (٤٣٦٣) والبيهقي في الشعب (١١١٦) انظر حديث رقم : ٦٢٠٣ في صحيح الجامع .

٤ - البخاري (٦٢٧١) ومسلم (١٦٤٦) .

٥ - المائدة (٨٩) .

٦ - المائدة (٨٩) .

٧ - البخاري (٦٢٤٩) ومسلم (١٦٤٩) .

٨ - البقرة (٢٢٥) والمائدة (٨٩) .

**واليمين الغموس :** وهي اليمين الباقية الفاجرة قال النبي صلى الله عليه وسلم : { من حلف على يمين فاجرة ليقطع بها مال امرئ مسلم أو حق مسلم لقي الله وهو عليه غضبان } ( ١ ) هذه اليمين سميت غموس لأنها تغمس صاحبها ، قيل : في النار وقيل : في الإثم ولا يستبعد الأمران فالله سبحانه وتعالى يقول في الكفارة : (( لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان )) ( ٢ ) انعقد في القلب قصدته قصدت هذا اليمين قال سبحانه : (( فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون به أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون )) ( ٣ ) والإمام الشافعي رحمه الله يقول : والله ما حلفت بالله صادقا ولا كاذبا .

والمأمل في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحلف قال : كان يقول : { لا ومقلب القلوب } ( ٤ ) ويقول : { والذي نفسي بيده لو فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها } ( ٥ ) يقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أحلف بغيره صادقا ( ٦ ) . وعلى أية حال ينبغي للمؤمن أن يكون صادقا في قوله وفي يمينه وفي أموره كلها قال سبحانه وتعالى : (( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين )) ( ٧ ) .

الإمام ابن جرير الطبري يعلق على قوله سبحانه وتعالى : (( واحفظوا أيمانكم )) ( ٨ ) قال : أي لا تتركوها بغير تكفير وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس قال : يريد لا تحلفوا وقال آخرون : احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس فإن القولين متلازمان فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف وعدم التعظيم لله وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه .

١ - البخاري (٢٢٢٩) ومسلم (١٣٨) .  
٢ - المائدة (٨٩) .  
٣ - المائدة (٨٩) .  
٤ - البخاري (٦٢٤٣) .  
٥ - البخاري (٤٠٥٣) ومسلم (١٦٨٨) .  
٦ - صحيح : الطبراني في الكبير (٨٩٠٢) وعبد الرزاق في المصنف (١٥٩٢٩) وابن أبي شيبة (١٢٢٨١) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥٣) (٢٩٥٣)  
٧ - التوبة (١١٩) .  
٨ - المائدة (٨٩) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب } أخرجاه ( ١ ) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { الحلف منفقة } وجاء في بعض الروايات : { منفقة للسلعة ممحقة للكسب } أخرجاه أي في الصحيحين . الحلف منفقة بمعنى أن الحلف يجعل رواجاً لهذه السلعة والمراد بالحلف الحلف الكاذب كما بينته رواية صحيحة في مسند أحمد فيأتي بالسلعة يقسم أنها أصلية أو من المصنع الفلاني أو أنه اشتراها بكذا وكذا أو أنها موديل كذا وهي ليس كذلك فالناس يغترون بهذا اليمين فينخدعون ومن خدعنا بالله انخدعنا له لكن الجزاء من جنس العمل هو يحلف من أجل ينفق سلعته ثم هذا المال الذي اكتسبه يكون وبالاً على المكسب الذي اكتسبه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ممحقة } أي متلفة { للكسب } والله المستعان فهو إن ربح من جهة خسر من جهات كثيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله وعلى التاجر البائع أن يكون صادقاً دون أن يحلف يميناً ما في داعي لحلف الأيمان الله سبحانه وتعالى يقول : (( وأحل الله البيع وحرم الربا )) ( ٢ ) وجاء من حديث حكيم بن حزام في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يفترقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما } ( ٣ ) قل له : هذا الحاصل الذي تراه أمامك إن كنت تريد شراؤه وإلا فدعه حتى أن الناس الآن صاروا لا يصدقون الحلاف أو الثرثار الذي يعتدي إلى الشارع فيدخل الناس محله ويعدين ينزل ويقلب ويمسك الناس يفرون من هذا المحل لأن هذا يريد أن يمشي بضاعته بالإحراج ، وهكذا بعضهم صار

<sup>١</sup> - البخاري (١٩٨١) ومسلم (١٦٠٦) .

<sup>٢</sup> - البقرة ( ٢٧٥ ) .

<sup>٣</sup> - البخاري (١٩٧٣) ومسلم (١٥٣٢) .

الآن يستخدم حيل أخرى يأتي ببنات فيضعن على أنفسهن الأصبغة والتلاوين وما إلى ذلك من أجل أن يكون هذا رواج للسلع وعلى المسلم أن يكون بعيدا من هذه المحلات ولا ينبغي له أن يكون رقيق الدين فيدخل المحل الذي فيه بنت في محل اتصالات مثلا أو بنت في محل بيع ومشتريات إلا للضرورة كأن تدخل مكان مرفق حكومي ومعاملتك في هذا المحل فهنا أنت مضطر

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها .

وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيمط زان وعائل مستكبر ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه }  
رواه الطبراني بسند صحيح ( ١ ) .

قال : وعن سلمان ، هو الفارسي أبو عبد الله قيل : تعمر مائتين وسبعين وقيل ثلاثمائة وسبعين سنة اختلفوا في المائة الثالثة رضي الله عن سلمان ، سلمان الخير كان أبوه مجوسيا وهو خرج يبحث عن الحقيقة فتنقل من راهب إلى راهب حتى وجد الحقيقة وهو نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه حق وجده بعد أن تعب كثيرا ولكن هكذا من جد وجد ومن سار على الدرب وصل حتى وجد النبي صلى الله عليه وسلم فرضي الله عن سلمان . يروي هذا الصحابي الجليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { ثلاثة لا يكلمهم الله } ، ثلاثة هنا نكرة ولكن جاز الابتداء بها كما قال بعض الشراح : لأنها أفادت التقسيم ، وجملة { لا يكلمهم } هي الخبر { ثلاثة لا يكلمهم الله } ثلاثة أجناس والتكليم هو الاسماع إسماع القول بحرف وصوت مسموع هذا هو الكلام عند الإطلاق وهل ما يكون في النفس يسمى كلاما على وجه الإطلاق لا لكن على وجه التقييد فقد يكون كلاما أو يسمى قولاً كما قال الله سبحانه وتعالى عن المنافقين :

(( ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول )) ( ١ ) وجاء في البخاري أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كانوا مجتمعين في سقيفة بني ساعدة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ورسول الله لا زال مسجى بيرده قبل أن يدفن

<sup>١</sup> - صحيح : الطبراني في الكبير ( ٦١١١ ) والصغير ( ٨٢١ ) انظر حديث رقم : ٣٠٧٢ في صحيح الجامع .

فقام فاجتمع الصحابة فقال بعض الأنصار : منا أمير ومنكم أمير وقال بعضهم : منكم الأمراء ومنا الوزراء قال عمر : فزورت كلاما في قلبي ، في نفسي يعني حضرته قدرته جمعته ثم قام أبو بكر فتكلم قال عمر : فما ترك شيئا أردته إلا أتى به توفيق من الله عز وجل ثبتهم الله والمؤمن دائما مثبت (( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء )) ( ٢ ) .

قال : { ثلاثة لا يكلمهم الله } لا يكلمهم الله أي كلام رحمة كلام إكرام لا يكلمهم الله كما أنه حجب المنافقين عن رؤيته كما قال سبحانه : (( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم )) ( ٣ ) هؤلاء لا ينظر الله إليهم نظر رحمة وهؤلاء لا يكلمهم الله كلام رحمة وكلام شفقة . ويؤخذ من هذا أيضا إثبات صفة الكلام وهذه عقيدتنا في كلام ربنا سبحانه أنه يتكلم بكلام أزلي حادث متى شاء وكيف شاء وبما شاء يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إذا أحب الله فلانا نادى جبريل : يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم يوضع له القبول في الأرض } ( ٤ ) وهكذا ما من ليلة إذ بقي الثلث الآخر ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ فالله يتكلم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة بخلاف عقيدة الأشاعرة الذين يقولون : كلام الله نفساني أو الجهمية الذين أبطلوا صفة الكلام أو المعتزلة الذين يقولون : كلام الله مخلوق ونحن نقول : الله له خلق وله أمر فالكلام من أوامره ولا ينبغي لنا أن نعتقد أن الله يتكلم بآلة كآلتنا فلا ندري لكنه يتكلم حسبنا أن نقول إنه يتكلم .

قال : { ثلاثة لا يكلمهم الله } نفى عنهم هذه الكرامة .

{ ولا يزيهم } التزكية هي التعديل والتوثيق هؤلاء لا يوثقهم الله ولا يكلمهم ولهم عذاب أليم أي عذاب مؤلم موجه شوف لا حول ولا قوة إلا بالله لا يكلمهم ولا يزيهم ولهم عذاب أليم . من هم هؤلاء ؟

قال : { أشيمط زان } أصلها زاني ولكن حذفت الياء للتخفيف وأشيمط هو من اختلط شعره بالبياض وقال : أشيمط تصغير تحقير لشأنها أشيمط يعني رجل كبير شبية ولكن أعوذ بالله مدبر زاني وهو كبير السن وهل الزنا حلال ؟

حرام قال سبحانه : (( ولا تقرّبوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا )) ( ٥ ) أي ساء طريقا مصائب الزنا كثيرة أمراض ، اختلاط أنساب ، توريث من ليس بوارث ، ادخال على محارم الناس من ليس منهم ، بلاوي ، شتات نسأل الله السلامة والعافية ولماذا كانت هذه العقوبات ؟ لأن هذا الرجل كبير السن من شأنه أنه عاقل ومن شأنه برود شهوته بخلاف الشاب فإنه عنده شيء من النزوة الشاب عنده ثوران شهوة فربما قادته إلى الحرام فيرجع يتوب ويستغفر لكن هذا ضعيف المقتضى وما زنا إلا لشر متأصل في قلبه أَلَفَ هذا الباب باب الحرام أعوذ بالله

لو كنت حرا من سلالة ماجد      ما كنت نهاكا لحرمة مسلم  
إن الزنا دين فإن أقرضته      كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

١ - المجادلة ( ٨ ) .

٢ - إبراهيم ( ٢٧ ) .

٣ - المطففين ( ١٥ - ١٦ ) .

٤ - البخاري ( ٣٠٣٧ ) ومسلم ( ٢٦٣٧ ) .

٥ - الإسراء ( ٣٢ ) .

هذا هو الأول : لا يكلمه الله ولا يزكّيه وله عذاب أليم .

قال : { وعائل مستكبر } فقير من شأنه أن يتواضع ليس من شأنه أن يتكبر والكبر يفسره النبي صلى الله عليه وسلم بأمرين قال : { الكبر بطل الحق وغمط الناس } ( ١ ) رد الحق ودفعه على قائله ، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم فمن شأن هذا الفقير أن يتواضع الفقير والغني مطالبين بالتواضع لكن لما كان عنده ضعف مقتضى فكانت العقوبة شديدة .

**الثالث :** { ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه } الحديث رواه الطبراني بسند صحيح وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع نسأل الله السلامة .

فلا يبيع شيئاً إلا أقسم اليمين سواء كان هذا اليمين حقا أو باطلا فاجرة لا يبالي فكانت هذه العقوبة الشديدة لهؤلاء الثلاثة عياذا بالله .

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم } قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً : { ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن } ( ٢ ) .

<sup>١</sup> - مسلم (٩١) .  
<sup>٢</sup> - البخاري (٢٥٠٨) ومسلم (٢٥٣٥) .



قال : وفي الصحيح عن عمران بن حصين ويكنى بأبي نجيذ رضي الله عنه ، هذا عمران بن حصين كانت الملائكة تسلم عليه تقول له : السلام عليك يا عمران فلما اكتوى تركت الملائكة التسليم عليه .

يروى هذا الصحابي الجليل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { خير أمتي قرني } القرن الجليل وقيل بمعنى الطائفة يطلق على الزمان ويطلق على المقدار قيل : قدره ثمانون عام وقيل : أربعون وقيل : مائة وقيل : مائة وعشرين . وقوله : { خير أمتي } الخيرية لأمته أمة الإجابة لأن أمته أمتان أمة دعوة وأمة الإجابة أمة الإجابة هم المسلمون وأمة الدعوة هم اليهود والنصارى ومن لم يؤمنوا .

وأفضلية النبي صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين وكذلك أفضلية أمته على سائر الأمم ثم أفضلية أصحابه وخيريتهم على بقية القرون إلى قيام الساعة .

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم ضربوا أروع الأمثلة في كل الأبواب

أولئك آبائي فجئنا بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع

قال : { خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم } القرن الثاني { ثم الذين يلونهم } قال بعض أهل العلم : للإخلاص والجهاد والعلم والتربية والتزكية والأمانة صفات كثيرة جدا فازوا بها قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا وقد جاء زيادة رابعة ولكنها لم تصح كما أفاد ذلك ابن حجر .

قال : { ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون ولا يأتى بالشهادة يشهدون ولا يستشهدون وذلك لقلّة دينهم وضعف إسلامهم وقلة ورعهم فهو يشهد هكذا زورا ولا يبالي بأمر الشهادة ويخونون ، والخيانة المراد بها الغدر وهي من خصائص المنافقين المنافق إذا خاصم فجر وإذا أوّتمن خان سواء خان علمه كان عنده علم فخان هذا العلم العلم يحرم عليه النظر يحرم عليه كذا وهو يخالف أو أعطيته أمانة فخانها أعطيته سر أيضا خانك في سر الحديث عام

إذا ما المرء أخطأه ثلاث فبعه ولو بكف من رماد

سلامة صدر والصدق منه وكتمان السرائر في الفؤاد

فهؤلاء يخونون ولا يؤتمنون والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لابن عمر : { أربع إن كن فيك لا تبالي على ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وأداء الأمانة وعفة الطعمة وحسن الخلق } ( ١ ) رواه أحمد وصححه الشيخ الألباني .

قال : { وينذرون ولا يوفون } النذر لغة بمعنى الإلزام واصطلاحا : إلزام الشخص نفسه بطاعة الله وهي ليست واجبة عليه وذهب كثير من الفقهاء بل كل العلماء إلى كراهيته وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وكثير من العلماء معه إلى تحريره ، محرم لأن المرء ألزم نفسه بهذا النذر ما أحد ألزمه لكن إذا ألزمت نفسك فعليك الوفاء قال سبحانه وتعالى :

(( يوفون بالنذر )) ( ٢ ) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { من نذر أن يطيع الله فليطعه } ( ٣ ) واجب عليك أن تطيع الله سبحانه وتعالى .

<sup>١</sup> - صحيح : أحمد (٦٦٥٢) والحاكم (٧٨٧٦) والبيهقي في الشعب (٤٨٠١) انظر حديث رقم : ٨٧٣ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - الإنسان ( ٧ ) .  
<sup>٣</sup> - البخاري (٦٣١٨) (٦٣٢٢) وأبو داود (٣٢٨٩) والترمذي (١٥٢٦) والنسائي (٣٨٠٦) وابن ماجه (٢١٢٦) وأحمد (٢٥٩١٩) .

وبعض الناس ينذر وبعدين يعجز وبعدين يرجع يدور على مخارج كيف افعل أكفر دلوني هو ألزم نفسه وذلك لقلّة الدين وإلا يفكر ثم أيضا جاء في بعض الأحاديث :

{ أن النذر لا يدفع حذرا ولا يجلب نفعاً } النذر إنما تضل به وإلا فلا يرد المقدور إذا نزل أمر الله فلا يرد بشيء وكان أمر الله قدرا مقدورا أمر الله لا يندفع بهذا النذر قال : إن شفى مريض قد يشفى وقد لا يشفى رجل كما يقال نذر لحماره ثلاث أيام أو عشرة أيام فيصوم العشر الأيام كمل العشر الأيام مات الحمار اليوم العاشر مات الحمار حقه وهو أحق فكان يقول : والله لأخصمها من رمضان ، هو الذي ألزم نفسه بهذا وإلا فما أراد الله كان وما لم يشأ لم يكن لا تنذر ادع الله باب الدعاء (( كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا ولم أكن بدعائك ربي شقيا )) ( ١ ) بعدين إيش حصلك أعطاه الله يحيي على الكبر فعليك أن تفتتح باب الدعاء والرجاء

أتهزأ بالدعاء وتزدرية ولم تدر ما فعل الدعاء  
جنوح الليل لا يبقي ولكن له أمد وللأمد انقضاء

قال : { ويظهر فيهم السمن } هذا دليل على الرفاهية وعلى الغرور بالدنيا ونسيان الآخرة فمن جاءه السمن وفيه هذه الصفات يشهد ولا يستشهد يخون ولا يؤتمن ينذر ولا يوفي فهو يشمل هذا الحديث ومن كان قصده وجه الله وهو يشهد شهادة حق وإذا نذر وفي وإذا أوتمن كان أمينا ثم سمن فهذا شيء من الله عز وجل جاء اتفاقا فالله سبحانه وتعالى هو الذي بيده القوة والضعف وقد كان من الصحابة من هو سمين ووكيع بن الجراح رحمه الله لما وصل من العراق كان سمينا قالوا له : **زاهد العراق بهذا الجسم ؟** فكان يمزح قال : هذا من فرحي بالإسلام .

<sup>١</sup> - مريم ( ١ - ٤ ) .

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم } ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته { ( ١ ) } .  
وقال إبراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار ( ٢ ) .  
فيه مسائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان .

الثانية : الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد لمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

قال : وفيه ، أي في البخاري عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
{ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته } .  
قال إبراهيم النخعي من التابعين : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار ، يعني كان السلف يضربون أبناءهم إذا شهدوا زور وهذا يدل على فقهه علم السلف وكذلك أيضا يؤخذ منه تربية الصغير على الشهادة ويؤخذ منه جواز قبول شهادة الصغار بعضهم على بعض لأن الكبار ينذر وجودهم مع الصغار فالصغير إذا جاء إلى الحاكم يشهد وتقبل شهادته فيما إذا كان بينهم البين صغير رمى فريم سيارة رمى بيت فلان انكسر الزجاج رمى فلان انخرقت عينه انكسر رأسه قضايا كبيرة جدا فالسلف كانوا يضربون أبناءهم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
{ علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه لهم أدب } ( ٣ ) ويقول : { مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر } ( ٤ ) وليس كما يقول بعضهم : أنها وحشية ، لا يكون الضرب ولكن برفق بشرط أن يكون الابن يدري لماذا أنت ضربه أما تضربه وهو لا يدري فهذه بلية والصغار أمانة في أعناق الكبار فعلى الآباء أن يتقوا الله سبحانه وتعالى في أبناءهم والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - البخاري (٢٥٠٩) ومسلم (٢٥٣٣) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٣٤٥١) .

<sup>٣</sup> - حسن : الطبراني في الكبير (١٠٦٧١) انظر حديث رقم : ٤٠٢٢ في صحيح الجامع .

<sup>٤</sup> - صحيح : أبو داود (٤٩٥) وأحمد (٦٧٥٦) والدارقطني (٢) وانظر صحيح أبي داود (٤٦٦) .

## باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً :  
يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

## باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قوله : باب المراد به الباب المعنوي وهو الاسم للجملة العلمية المختصة من الكتاب ويطلق ويراد به الباب الحسي أيضا كباب المسجد والمدرسة وما إلى ذلك فتلك أبواب حسية وهذه أبواب معنوية ودرج العلماء فيما مضى وحاليا في التبويبات باب من أبواب العلم بخلاف الكتاب فإنه اسم جنس كأن تقول حب يشمل كثير من الحبوب أما باب فكأنه يشمل نوعا واحدا من الحبوب .

قوله : ما جاء ، ما هاهنا موصولية بمعنى الذي ما جاء أي ما ورد من الآيات من الأحاديث من الأحكام من الترهيب من الترغيب فهو على حسب ما ترجم له .

قوله : ما جاء في ذمة الله ، الذمة بمعنى العهد وسمي بذلك لأنه يلتزم به كما يلتزم صاحب الدين بالوفاء بدينه وإلا كان مؤاخذه به من حديث ثوبان في مسند أحمد قال النبي صلى الله عليه وسلم : { من مات وهو بريء من ثلاث دخل الجنة : الكبر والدين والغلول } ( ١ ) فهو بمعنى الالتزام (( وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا )) ( ٢ ) (( وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم )) ( ٣ ) .

<sup>١</sup> - صحيح : الترمذي (١٥٧٢) وسنن البيهقي الكبرى (١٧٩٨٧) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٩٢) .

<sup>٢</sup> - الإسراء ( ٣٤ ) .

<sup>٣</sup> - النحل ( ٩١ ) .

وقوله تعالى : (( وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها )) ( ١ ) .

قال : وقوله تعالى : (( وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا )) ( ٢ ) .  
مناسبة إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد :

أن نقض العهود فيه نقص في جناب التوحيد لأنه يدل على عدم احترام عهد الله ومن لم يحترم عهد الله نقص توحيده كأن يقول : أنزل أنت لك عهد الله كذا وبعدين تغدر والمنافق إذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر فالعهد بمعنى اليمين بل ربما كان أكبر من اليمين وتعرفون . بارك الله فيكم . اليمين شأنها عظيم فما بالك بالعهد فهو أبلغ ، الأيمان ثلاثة لغو اليمين وهو ما يجري على الألسن كقول العبد : لا والله وبلى والله وليس لها هذه كفارة كما قال الله سبحانه وتعالى :

(( لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم )) ( ٣ ) ويتبع اللغو أيضا في اليمين من حلف على شيء يظن أنه كذا فتبين خلافه يقول : والله إن زيدا قدم باعتبار غلبة الظن أنه قال : أنا سأتي في الساعة الفلانية وكذا ثم لم يأت ليس عليه كفارة ويمين تسمى يمين فاجرة وتسمى أيضا بالغموس وهذه اليمين كاذبة يحلف صاحبها ويدري بأنه كاذب قال النبي صلى الله عليه وسلم : { من حلف على يمين يرى أنه فيها كاذب لقي الله وهو عليه غضبان } ( ٤ ) فهذه ليس لها كفارة أيضا ولكن لها توبة بشروطها الستة : الإخلاص والصدق والإقلاع والندم والعزم وإن كان هناك حق لآدمي أرجعه لا بد من هذا ، ويمين معقودة وتعريفها : أن يحلف على معنى معقودة أي مقصودة من القلب أقسم بالله أن الأمر على كذا وكذا هذه يمين معقودة أو يحلف على شيء يريد أن يعمل فيعجز يقسم مثلا أنه سيعطي زيدا كذا ثم ما استطاع أو ألا يعطي زيدا كذا ثم لم يستطع ثم راجعته نفسه فيعطيه فهنا يكفر قال النبي صلى الله عليه وسلم : { وإنني إن شاء الله لن أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني } ( ٥ ) فعهد الله شأنه كبير وعظيم والإنسان مؤاخذ به (( وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا )) ( ٦ ) وعليه فإن باب العهود أوسع من باب البيعات فالبيعة الشرعية هي لإمام المسلمين بيعة بايع في كذا وهناك بيعة تكون في أوقات ضيقة وحرجة كما حصل من عكرمة بن أبي جهل لما تباع مع بعض الصحابة في بعض الغزوات على الموت حتى ماتوا بخلاف العهد فإن أبوابها واسعة وكثير من الجماعات الإسلامية تأتي بالعهد يقول لك : عاهد أنك تنصر هذه الجماعة ما يقولون هكذا بداية يقولون : عاهدنا على أن نعمل بالكتاب و السنة ونتناصر وكذا وبعدين وأن ألزم هذه الجماعة وأن أنصر هذه الجماعة أنت لما تقول : أنا أعاهد الله على أن أعمل بالكتاب والسنة يعني بعد لحظات أنت سوف تخرج من هذا العهد مرت من جانبك امرأة نظرت إليها خلاص هنا ما وفيت بالعهد كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فليش تلزم نفسك وتقيّد نفسك وتحصر نفسك أنت مسكين

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

١ - النحل ( ٩١ ) .

٢ - النحل ( ٩١ ) .

٣ - البقرة ( ٢٢٥ ) والمائدة ( ٨٩ ) .

٤ - البخاري ( ٢٢٢٩ ) ومسلم ( ١٣٨ ) .

٥ - البخاري ( ٦٢٤٩ ) ومسلم ( ١٦٤٩ ) .

٦ - الإسراء ( ٣٤ ) .

فلا ينبغي للشخص أن يقبل مثل هذا لكن اشترك رجلان في عمل في مشروع تجاري فخشي أحدهما أن يخونه الآخر قال : عاهدني قال : عاهدني ما في هذا شيء عاهدني على كذا فإن خان أحدهما فهو آثم نقض العهد بعض الناس يأتي إليك بغية ونميمة ويأخذ عليك العهد قبلها إن في قلبي كلام وأريد أفرغه إليك ولكن عاهدني أنك ما تخرجوش وهو كذاب يريد يحبك بهذا الكلام ويفعل بينك وبين فلان وحشة قل له : لا أنا ما ألتزم معك كلام تقوله مستعد تواجه وإلا اتركني من هذه القلقة والبليلة لا أريد أن أسمعها إطلاقاً يا الله مع السلامة .

بل يقول بعض أهل العلم في قول الله سبحانه وتعالى : (( إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا )) ( ١ ) أن هذا يعتبر فاسق وإن كان ثقة لأنه نقل كلام بقصد الإفساد والمؤمن عذار والمنافق عثار المنافق همه أن يفرق لا أن يجمع فالله سبحانه وتعالى يقول :

(( وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم )) ( ٢ ) وهذا فعل أمر (( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها )) ( ٣ ) بعد أن تؤكد اليمين فلا ينبغي لك أن تنقضه قال : (( وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً )) ( ٤ ) يعني الكفيل هو الله ومن خدعنا بالله انخدعنا به جاء في صحيح البخاري أن رجلاً كان في غير بلده احتاج من رجل ألف دينار مبلغ كبير قال : **من الشهيد ؟** قال : كفى بالله شهيداً قال : **من الكفيل ؟** قال : كفى بالله كفيلاً فأعطاه والوعد شهر ثم أراد بعد ذلك أن يرسل بالمبلغ في اليوم المحدد فلم يجد مركباً رأى خشبة أخذها فرجعها قطعها ونحتها ووضع في وسطها المبلغ وزججها وكتب : اللهم يا رب إن صاحب هذا المال طلب الكفيل فقلت : أنت الكفيل وطلب الشهيد فقلت : أنت الشهيد اللهم فأدأها إليه كان الناس عندهم يقين ثم رماها البحر خرج صاحب المال ينتظر هل يصل مركب من أجل يستلم مبلغ لم ير إلا تلك الخشبة تلعب بها الأمواج قذفها الموج فقال الرجل : يأخذها حطبا فلما أراد أن ينحتها وجد المبلغ والورقة وجده بعد فترة يريد أن يعطيه المال يظن قد راح في البحر قال له : لا إن الكفيل والشهيد قد أدى عنك وصلت الخشبة بما فيها ( ٥ ) كان عند الناس يقين .

في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم تعرفون هذا من العباد كان من أولاد الوزراء وكان عنده لهو وطرب فخرج مرة إلى الصيد يلعب فهتف به هاتف من الجن أو من الملائكة قال : كفى يا إبراهيم إلى متى لهو فترك الوزارة والإمارة وخرج تقشفا فكان من الأولياء ويضرب به المثل في الولاية قيل : إنه كان على جبل فقال : إن من عباد الله من لو أمر الجبال أن تتحرك لتحركت فأراد الجبل أن يتحرك فركضه برجله وقال : إنما ضربت بك مثل .

الشاهد من ذكرى لهذا أنه كان مرة في سفينة فاضطربت الأمواج ولعبت بالسفينة فقال بعض الملاحين : هاهنا أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم كلموه يدعو الله أن يوقفها فجاءوا وهو نائم في مؤخرتها قد انعطفت عنقه فقالوا : **يا أبا إسحاق ألا تدري ما بلغ به الناس ؟** فاستيقظ والصياح مرتفعة في السفينة فقال : اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك بكلمتين فهدأت السفينة وهذا ليس بالشخصيات لا يبلغ الشخص هذا المستوى ولا بالعبارة ولا بالأدب ولا بالملك والمال وإنما يا إخوان بالإخلاص والصدق مع الله

١ - الحجرات ( ٦ ) .

٢ - النحل ( ٩١ ) .

٣ - النحل ( ٩١ ) .

٤ - النحل ( ٩١ ) .

٥ - البخاري ( ٢١٦٩ ) .

لا تهيء كفني يا عاذلي إن لي مع الليل مواعيد وعهد

هنا كلام طيب للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي يوضح هذه الآية قال ربنا سبحانه وتعالى : (( وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما ييلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون )) ( ١ ) قال :

وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات والنذور والأيمان سبحانه الله التي عقدها إذا كان بها برا ويشمل أيضا ما تعاهد عليه هو وغيره كالعهود بين المتعاقدين .

(( وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين )) ( ٢ ) إبراهيم طلب المقام له ولذريته ونحن من ذريته قال الله : (( لا ينال عهدي الظالمين )) الظالم الذي ظلم نفسه بالزنا بالشهوات بالغيبة بالنميمة بكذا (( لا ينال عهدي الظالمين )) المسألة ما هي سهلة .

قال : وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكد على نفسه فعله في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة ولكن هنا وقفة لا ينبغي للشخص أن يخرج أخاه المسلم حتى يضطره إلى الكذب أو إلى إخلاف الوعد شخص أراد أن يستلف من شخص خمسين ألف قال : والله يا أخي الأمور كذا وهو عنده أدب ما يريد أن يقول له : ما أعطيك أو ما عندي ولكن يقول : أسأل الله أن ييسر أمرك وكذا فذاك يلح عليه يعطيه رسائل جوال المهم يضطره إلى أن يخلف الوعد مثل ما جاء في البخاري من حديث جعفر في قصة جعفر بن أبي طالب لما مات ذهب رجل إلى رسول الله وقال : يا رسول الله إن نساء جعفر ينحن يبكين على جعفر مات فנסاؤه تبكي عليه ، أي شيء في هذا هذا أمر قدره الله والشيخ العثيمين يقول : إذا رأيت المرأة أو الطفل يبكي دعه من شأن يفرج عن نفسه ، ويقول ابن القيم : إن البكاء للطفل أيضا يوسع مجاري الحلق وينشط الدماغ الرطبة في المخ فماذا ؟ قال : { مرهن فليسكن فذهب فأمرهن وما سكتن رجع إلى رسول الله مرة ثانية فذهب ولم يفعلن ثم رجع حتى أوغر قلب النبي صلى الله عليه وسلم في الثالثة أو الرابعة قال له :

{ مرهن أن يسكنن أو فاحثن في وجوههن التراب فذهب الرجل ليأخذ ترابا ويحثو في وجوههن قالت له عائشة : والله لن تفعل فإنك ما زلت به حتى قال ما قال { ( ٣ ) فالإلحاح لا ينبغي حتى توقعه في إخلاف الوعد .

أو تخرج معنا إلى صنعاء قال لك : يا شوف كذا مش راضي فتحاول أنت كذا وتأخذه غصبا ليش خل الأمر طبعي إلا من كان ابنك بنتك زوجتك ابن ابنك مسئولته بيدك أما دع الناس الناس أحرار في مثل هذه فلا ينبغي للشخص أن يضطر الغير وأن يؤثمه ولكن إن رأيت عنده تفاعلا فكررت عليه وإذا لم فلا ينبغي قال : فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة شوف مع القدرة بمعنى إذا لم تكن القدرة فهو لا لوم عليه ولهذا نهى الله عن نقضها فقال : (( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها )) ( ٤ ) بعقدها على اسم الله تعالى (( وقد جعلتم الله عليكم كفيلا )) ( ٥ ) أيها المتعاقدون فلا يحل لكم

١ - النحل ( ٩١ - ٩٢ ) .

٢ - البقرة ( ١٢٤ ) .

٣ - البخاري ( ٤٠١٥ ) ومسلم ( ٩٣٥ ) .

٤ - النحل ( ٩١ ) .

٥ - النحل ( ٩١ ) .



ألا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلا فيكون ذلك ترك تعظيم الله واستهانة به وقد رضي الآخر منك باليمين والتوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلا وهكذا من حلف له بالله فليرض وفي بعض الأحاديث { من حلف له بالله فليرض } ( ١ ) وإن كان كاذبا لا تظن (( ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون )) ( ٢ ) .

اشترك رجلان في بقالة في السعودية فجحد أحدهما الآخر قال : ما عندي لك شيء لأن الأوراق باسم واحد منهم فقط أنا أعطيتك من عندي هكذا عيش وملح وجبر خاطر مائة ألف وذاك عرف أنه لو وقف في أي محكمة أنه با يغلبه لأنه كما يقال : أنا ابن البلد يا بوي فقال : أنا آخذ منك هذا ولكن أمام ناس قال : يا أخي أعطني اليمين وربك الله فأخذ المائة الألف وزجف له ذاك يمين في اليوم الثاني مباشرة أصيبت البقالة بشرت كهرباء حتى صارت كالصريم حرق كل ما فيها وصار في عداد الشحاذين والآخر صاحب المائة الألف السعودي نفع الله سبحانه وتعالى بها فلا تظن كلمة والله والله وبعض الناس قد يحلف كذاب وبعدين الله سبحانه وتعالى ما يأخذوش وبعدين يحلف يظن أن الله سبحانه وتعالى غافل يغالط أرحم الراحمين لا .

ذكروا في ترجمة الربيع بن خثيم أن امرأة دعت إلى رذيلة فقال لها : يا أمة الله إن الله يستر ويستر ثم يغضب غضبة فيهلك فلا ينبغي للشخص أن يغتر بستر الله حلفت اليوم وبكرة وكذا وكذا هذه مخبات لك على شان كما يقال عندنا في بلاد الأعروك : يعني يجعل لك الصلح فطيرة .

قال : الذي جعلت الله فيه كفيلا فكما ائتمنتك وأحسن ظنه فيك فلتف له بما قلته وأكدته إن الله يعلم ما تفعلون فيجازي كل عامل بعمله على حسب نيته ومقصده ولا تكونوا في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدلها على صفة متعاطيها وذلك كالتى تغزل غزلا قويا فإذا استحكم وتم ما أراد ما أريد منه نقضت غزلها من بعد قوة فجعلته أنكاثا فتعبت على الغزل ثم على النقض ولم تستفد سوى الخيبة والعنا وسفاهة العقل ونقص الرأي فكذاك من نقض ما عاهد عليه فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة .

وقوله : (( تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة )) ( ٣ ) أي لا تنبغي هذه الحالة منكم تعقدون الأيمان المؤكدة وتنتظرون فيها الفرص فإذا كان العاقد لها ضعيفا غير قادر على الآخر أتمها لا لتعظيم العقد واليمين بل لعجزه وإن كان قويا يرى مصلحته الدنيوية في نقضها نقضها غير مبال بعهد الله ويمينه كل ذلك دورانا مع أهوية النفوس وتقديما لها على مراد الله منكم وعلى المروءة الإنسانية والأخلاق المرضية لأجل أن تكون أمة أكثر عدد وقوة من الأخرى وهذا إنما يبلوكم الله به امتحانا حيث قبض لعباده من أسباب المحن ما يمتحن به الصادق الوفي من الفاجر الشقي وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فيجازي كلا بعمله ويخزي الغادر .

<sup>١</sup> - صحيح : ابن ماجه ( ٢١٠١ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ٢٠٥١٢ ) انظر حديث رقم : ٧٢٤٧ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - إبراهيم ( ٤٢ ) .

<sup>٣</sup> - النحل ( ٩٢ ) .



عن بريدة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً فقال : { اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنمة والفبيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فاسألهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه . وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا { رواه مسلم ( ١ ) .

بقي علينا حديث بريدة بن الحصين الثابت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً ،

وكان هذه تفيد الماضي وأيضاً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الاستمرار إذا كانت هذه عادته وسجيته .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً أمر سرية أمير سفر على جيش أو سرية يقول : ، أو هذه ليس للشك وإنما هي للتنويع لأن الجيش ما زاد على أربعمئة رجل والسرية ما كان دون ذلك فهنا إذا أمر أميراً على جيش أو سرية دون ذلك أوصاه والوصية العهد بالشيء إلى غيره على وجه الاهتمام بذلك يوصيه بتقوى الله بمعنى هذه وصية للأمير والأمير هذا سيتعدى هذه الوصية إلى جنده وإلى من ولاه الله تبارك وتعالى أمرهم فالتقوى معناها فعل المأمور وترك المحذور امتثال أوامر الله وأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم والتحرز من الذنوب والمعاصي ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

رب معصية سببت له فشل كلوي رب معصية سببت هزيمة نسأل الله السلامة ربما هزيمة نفسية العاصي قليل التوفيق في قلبه وحشة العاصي ولا حول ولا قوة إلا بالله يشتكي آهات وآلام وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال : { وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري { ( ٢ ) ويقول سبحانه وتعالى : (( إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ))

<sup>١</sup> - مسلم (١٧٣١) .

<sup>٢</sup> - أحمد (٥١١٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٩٤٠١) والطبراني في مسند الشاميين (٢١٦) .

(١) فمن حادد الله فمن شاققه فهو دائما في ذلة والله سبحانه وتعالى رفع مقام الأتقياء في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فالأمن والضمان والمخارج من كل ضيق (( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب )) (٢) وفي الآخرة فوق الناس كلهم (( زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب )) (٣) .

قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، وخيرا هنا عام في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة أما في أمور الدنيا فعلى هذا الجندي على هذا الأمير أن يراعي مصالح هذا الجيش مثلا إن كان عندهم إبل يسلك بهم الطريق الأسهل الأحصب الأفضل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وإذا كان مثل الآن سيارات لا يسرع بهم ولا يطالبهم بأشياء فوق طاقتهم فالمهم يأمره أن يكون على خير مع أصحابه يأمره بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا في كل شيء فقال بعدما ينصحه ويوجهه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { اغزوا باسم الله { أي مستعينين بالله { في سبيل الله { في هذا تنويه إلى الإخلاص وإلى أن يكون جهادهم لإعلاء كلمة الله وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي موسى قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقا تل حمية ويقا تل رياء **أي ذلك في سبيل الله ؟** قال : { من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله { (٤) ولو جاهد من أجل وطنه الإسلامي وحفظه من الكفار ومن الدخلاء ومن الغزو الفكري والغزو العسكري رد الناس عن وطنه هو أيضا شهيد يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

{ من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد { (٥) فهذا قتل دون وطنه ولا نعني بالوطنية التقديس للوطن وإن كان هذا الوطن غير إسلامي أو غير شرعي يعني بذلك أن يكون الوطن وطنا إسلاميا فيه المسلمون والمسلمات فيكون هذا إن شاء الله في سبيل الله .

فيقول : { اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله { هذا هو المقصد من هذه الغزوة أن يقاتلوا من كفر بالله من

المشركين كما قال سبحانه : (( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله )) (٦) . ثم يقول : { أغز ولا تغل { والمراد بالغلول الخيانة في الغنيمة قبل قسمتها { ولا تغدروا { وهذا هو موطن الشاهد والمراد بالغدر الخيانة لا تغدروا مع هؤلاء الكفار سبحانه الله شوف لا فين يعني عزة الإسلام وعظمة الإسلام ورحمة الإسلام لا يكون بينك وبين هؤلاء غدر إلا أن يكون من باب الحرب خدعة فللعلماء في ذلك كلام ذكر الشيخ العثيمين فائدة عند هذه اللفظة في قوله : { لا تغدروا { قال : الغدر الخيانة وهذا هو الشاهد من الحديث وإذا عاهدنا فإنه يحرم الغدر أما الغدر بلا عهد فلنا ذلك لأن الحرب خدعة وقد ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج إليه رجل من المشركين

١ - المجادلة (٢٠) .

٢ - الطلاق (٣ - ٢) .

٣ - البقرة (٢١٢) .

٤ - البخاري (٧٠٢٠) ومسلم (١٩٠٤) .

٥ - صحيح : أبو داود (٤٧٧٢) والترمذي (١٤٢١) والنسائي (٤٠٩٥) وأحمد (١٦٥٢) انظر حديث رقم : ٦٤٤٥ في صحيح الجامع .

٦ - التوبة (٢٩) .

ليبارزه فلما أقبل الرجل على علي صاح به علي : ما خرجت لأبارز رجلين فالتفت المشرك يظن أنه جاء أحد من أصحابه جاء ليساعده فقتله علي رضي الله عنه .

قال : وليعلم أن لنا مع المشركين ثلاث حالات :

**الحالة الأولى :** ألا يكون بيننا وبينهم عهد فيجب قتالهم بعد دعوتهم إلى الإسلام وإبائهم عنه وعن بذل الجزية بشرط قدرتنا على ذلك .

**الحالة الثانية :** أن يكون بيننا وبينهم عهد محفوظ يستقيمون فيه فهنا يجب الوفاء لهم بعهدهم لقوله تعالى : (( فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين )) ( ١ ) وقوله : (( فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم )) ( ٢ ) .

**الحالة الثالثة :** أن يكون بيننا وبينهم عهد نخاف خيانتهم فيه فهنا يجب أن نبذ إليهم العهد ونخبرهم أنه لا عهد بيننا وبينهم لقوله تعالى : (( وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين )) ( ٣ ) ثم يقول نبينا صلى الله عليه وسلم : { ولا تمثلوا } التمثيل هو التشويه لا يذهب المسلمون يأخذون أحد هؤلاء الكفار يقطعون أنفه أو لسانه أو أذنه أو يشوهوا به في مواضع أخرى لا يجوز حرم علينا هذا إسلامنا .

قال : { ولا تقتلوا وليدا } يعني لا تقتلوا طفلا صغيرا ما ذنب هؤلاء وفي بعض الروايات { ولا تقتلوا امرأة } ( ٤ ) وقد وجد في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء من حديث ابن عمر في الصحيحين وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم فأنكر قتل النساء والصبيان وفي بعض الروايات : { والشيخ ومن كان في صومعة } ، لا يقتل لأنه لا مشاركة له في ذلك .

قال : { وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام } ويدخل في ذلك الإيمان فإن الإسلام إذا أطلق وحده شمل الإيمان { فإن أجابوك فاقبل منهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين } الظاهر أن هذا فيما إذا كان العدو في القرى في البدو في الأعراب يتحولون إلى المدينة الحاضرة من أجل يتعلمون العلم ويحضرون صلاة الجماعة وغالبا تجد الناس في القرى فيهم جهل أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : { من بدا جفا } ( ٥ ) فغالبا أن المدن فيها خير لكثرة من يرتادها من العلماء وطلاب وطالب العلماء { وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين } يعني من الأحكام الظاهرة في الأحكام الشرعية في البيوع والمعاملات فيعاملون معاملة المسلمين تماما هذا إذا تحولوا { فإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعزب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى في كل شيء } إن قتل أحدهم قتل إن سرق قطعت يده إن زنى رجم وهكذا { ولا يكون لهم في الغنيمة والفبيء شيء } .

والغنيمة ما أخذ من أموال الكفار بقتل أو غيره قال النبي صلى الله عليه وسلم :

<sup>١</sup> - التوبة ( ٧ ) .

<sup>٢</sup> - التوبة ( ٤ ) .

<sup>٣</sup> - الأنفال ( ٥٨ ) .

<sup>٤</sup> - سنن البيهقي الكبرى ( ١٧٩٣٥ ) .

<sup>٥</sup> - صحيح : أحمد ( ٨٨٢٣ ) والطبراني في الأوسط ( ٥٥٦ ) وأبو يعلى ( ١٦٥٤ ) انظر حديث رقم : ٦١٢٣ في صحيح الجامع .

{ من قتل كافرا فله سلبه } ( ١ ) وأما الفبيء فهو ما يصرف لبيت مال المسلمين كخمس الغنينة بدون قتال { يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنينة والفبيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين } فإن جاهدوا مع المسلمين لهم حظ في الغنينة وفي الفبيء { فإن هم أبوا فاسألهم الجزية } الجزية بمعنى الجزاء ضريبة قال سبحانه : (( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد )) قيل : عن قوة (( وهم صاغرون )) ( ٢ ) أي أذلاء .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال :

قوله : فإن هم أبوا فاسألهم الجزية فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربي كان أو غيره كتابي كان أو غيره وذهب أبو حنيفة أنها تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم وقال الشافعي : لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجماء وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه وتؤخذ من المجوس قال : قلت : لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها منهم وقال : { سنوا بهم سنة أهل الكتاب } ( ٣ ) الحديث صحيح وقد اختلفوا في القدر المفروض من الجزية فقال مالك : أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل الورق وهل يتقصى منها الضعيف أو لا قولان : قال الشافعي : فيه دينار على الغني والفقير وهذا الصحيح وقال أبو حنيفة رحمه الله والكوفيون : على الغني ثمانية وأربعون درهما والوسط أربعة وعشرون درهما والفقير اثنا عشر درهما وهو قول أحمد رحمه الله وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار والبالغين العقلاء دون غيرهم وأنها تؤخذ ممن كانت تحت قهر المسلمين لا ممن تأتي بداره ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين أو حربهم وهذه تؤخذ مقابل حماية المسلمين لهم فإن هؤلاء في بلاد المسلمين وأيضا مقابل كونهم يعيشون في أوساط المسلمين من أجل أن يتأثروا بأخلاق المسلمين بدين المسلمين فيسلموا فالإسلام له نظرة طيبة فيما يتعلق بأخذ الجزية من أهل الذمة الذين هم مقيمون في بلاد المسلمين هذا تعريف للجزية وإن كان قد تقدم بعضها .

قال : الجزية من جزأت الشيء إذا قسمته ثم سهلت الهمزة وقيل : من الجزاء لأنها جزاء تركهم ببلاد الإسلام أو من الإجزاء لأنها تكفي من توضع عليه عصمة دمه .

قال العلماء : الحكمة في وضع الجزية أن الذل يلحقهم يحملهم على الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الإطلاع على محاسن الإسلام قيل : شرعت سنة سنة ثمان وقيل سنة تسع والجزية ما يؤخذ من أهل الكفر الذمة جزاء على تأمينهم وهي مشتقة من الجزاء وهو المقابلة لأنهم قابلوا الأمان بما أعطوه من المال فقابلناه بالأمان والجمع الجزئي مثل الحية الحيي وسميت جزية لأنها تجزي عن القتل أي تعصم وقيل : مال يجلبه الإمام على الكافر الذكر الحر المكلف القادر المخالط لأهل الذمة ولو منعزل بنيتة يصح أسره جزاء تأمينه على نفسه وماله بغير الحجاز واليمن وقيل : تطلق على العقد وعلى المال الملزم به وهي مأخوذ من المجاوزة لكفنا عنهم هذا معجم المصطلحات الفقهية في مادة جزاء وهذا الحديث فيما يتعلق بتقديرها فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوضح ذلك فيما رواه الثلاثة وهم الترمذي والنسائي وأبو

<sup>١</sup> - البخاري (٢٩٧٣) ومسلم (١٧٥١) .

<sup>٢</sup> - التوبة ( ٢٩ ) .

<sup>٣</sup> - ضعيف : مالك ( ٦١٦ ) والبخاري ( ١٠٥٦ ) وعبد الرزاق ( ١٩٢٥٣ ) وانظر غايه المرام ( ٤٣ ) .

داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فأمرني أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معايريا ( ١ ) والمعايري الثياب الثياب اليمنية أخرجه الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى .

قال ابن الأمير الصنعاني : والحديث دليل على تقدير الجزية بالدينار من الذهب على كل حالم أي بالغ وفي رواية محتلم وظاهره إطلاق سواء كان غنيا أو فقيرا والمراد أنه يؤخذ دينار ممن ذكر في السنة وإليها ذهب الشافعي فقال : أقل ما يؤخذ من أهل الذمة دينار على كل حالم من بلغ الحلم وبه قال أحمد وقال : الجزية دينار أو عدله من المعايري لا يزداد عليه ولا ينقص إلا أن الشافعي جعل ذلك حدا في جانب القلة والدينار الإسلامي يقدر الآن من الذهب بأربعة جرامات وربيع يعني في كل سنة يؤخذ من كل حالم من اليهود أو النصارى أو المجوس المقيمين في بلاد المسلمين هذا وهذه أحكام لا ينبغي لنا أن نعطلها باعتبار أنه صار الآن للكفار صولة وجولة وصار عند بعض جهلة المسلمين اتقاء لهؤلاء الكفار فلا نذكر مثل هذه ، هذه هي من ديننا وإذا لم يكن هذا في هذا الزمان ربما تأتي أزمئة أخرى يعيش الكفار أمريكيان أو بريطانيون أو ما شابههم تحت وطأة أهل الدين تحت الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل أفصحت بهذا سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فالمستقبل للإسلام ولا بد .

قال : { فإن هم أبوا فاسألهم الجزية } يعني إما إسلام وإما الجزاء { فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم } إذا قالوا : سيدفعون الجزية خلاص يكف عنهم { فإن هم أبوا اطلب المعونة من الله سبحانه وتعالى وقاتلهم } .

قال : { وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله أي عهد الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك } التعليل : { فإنكم إن تخفروا أي تغدروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه } استنبط بعض أهل العلم من هذا على أنه في كل الأحكام الشرعية لا ينبغي أن تقول : هذا حكم الله قد تصيبه وقد لا تصيبه ولكن قل : هذا حكم الله فيما أرى أو فيما ظهر لي وكان بعض طلبة العلم إذا سئل عن سؤال إذا سئل : ما رأيك في كذا ؟ يقول : لا تقل : ما رأيك في كذا ؟ قل : ما حكم الإسلام ؟ هذا غلط الصحيح ما رأيك في كذا ؟ يعني إيش الذي توصل إليه اجتهادك في هذا الباب ؟ ذكر هذا الشيخ العثيمين وغيره .

قال : { وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ولكن انزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا } . رواه مسلم .

١ - صحيح : الترمذي ( ٦٢٣ ) والنسائي ( ٢٤٥٠ ) وأحمد ( ٢٢٠٦٦ ) وانظر إرواء الغليل ( ٩٥ / ٥ ) .

فيه مسائل :

- الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .
- الثانية : الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً .
- الثالثة : قوله : { اغزوا باسم الله في سبيل الله } .
- الرابعة : قوله : { قاتلوا من كفر بالله } .
- الخامسة : قوله : { استعن بالله وقاتلهم } .
- السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .
- السابعة : في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا .

قال : فيه مسائل :

١. الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .
٢. الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً وذلك أخذه من القاعدة هذه ارتكاب أخف الضررين .
٣. قوله : { اغزوا باسم الله في سبيل الله } أي مستعينا بالله وفي هذا تنويه إلى الإخلاص وإصلاح النية فإن الغزاة لهم مقاصد أطماع دنيوية وما إلى ذلك .
٤. يكون المقاتلة إلا بعد أن تستعين بالله سبحانه وتعالى .
٥. الفرق بين حكم الله وحكم العلماء وذلك أن حكم الله يعني الصواب بخلاف حكم العالم فإنه قد يكون صواباً وقد لا يكون .
٦. في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا وتعرفون حديث :  
{ إذا حكم الحاكم فاجتهد إذا اجتهد الحاكم فأصاب له أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد } ( ١ ) هنا قوله في هذه الأخيرة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء قال :  
وفيه فرقان :
١. أن حكم الله يصيب بلا شك وحكم العلماء قد يصيب وقد لا يصيب .

<sup>١</sup> - البخاري (٦٩١٩) ومسلم (١٧١٦) .

٢. تنزيل أهل الحصن على حكم الله ممنوع إما في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقط أو مطلقاً وأما على حكم العلماء ونحوه فهو جائز وذلك من باب الصلح .

ثم قال الشيخ العثيمين : هنا فائدة لا ينبغي أن يقال لمفت : **ما حكم الإسلام في كذا ؟ أو ما رأي الإسلام في كذا ؟** فإنه قد يخطئ فلا يصيب حكم الإسلام ولا يقول مفت : حكم الإسلام كذا لأنه قد يخطئ ولكن يقيد فيقول : حكم الإسلام فيما أرى كذا وكذا إلا فيما هو نص واضح صريح فلا بأس مثل أن يقول : **ما حكم الإسلام في أكل الميتة ؟** فيقول : حكم الإسلام في أكل الميتة حرام .

٧. هذا ليس خاصاً بالصحابة بل حتى من بعدهم فإن له أن يحكم بما يرى أنه حكم عند الحاجة .

## باب ما جاء في الإقسام على الله

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

## باب ما جاء في الإقسام على الله

قوله : ما جاء ، ما هاهنا موصولية وجاء بمعنى أتى وهي صلة الموصول والعائد هو لأن الاسم الموصول هو المفتقر إلى الصلة والعائد هذا فيما يتعلق بعلم النحو .

وقوله : في الإقسام ، الإقسام بمعنى الحلف بمعنى اليمين بمعنى الألية (( ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة )) ( ١ ) (( للذين يؤلون من نسائهم )) ( ٢ ) وقول الشاعر :

تأل ابن أوس حلقة ليردني إلى نسوة كأنهن مقائد

هذا اليمين وأقسامه من حيث الألفاظ المترادفة لغة : حلف ويمين وقسم وألية .

وقوله : ما جاء في الإقسام على الله أي الحلف على الله الإقسام على الله تعالى ثلاثة أنواع :

**الأول :** أن يقسم على ما أخبر الله به من إثبات أو نفي تقسم على ما أخبر الله به لأن الله صادق ومن أصدق من الله قيلا لك أن تقول : كل كافر في النار وتقسم أقسم بالله أن كل مشرك في النار كل مشرك مات على الشرك في النار لأن عندك نصوص من القرآن على ذلك (( إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة )) ( ٣ ) تقسم بالله إن الميتة حرام جائز وهناك كتاب بعنوان المسائل التي أقسم عليها الإمام أحمد ولك أن تقول وتقسم أن كل مؤمن موحد في الجنة جائز أن تقسم على ما أخبر الله به أو ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تقسم مثلاً كما في حديث الشفاعة تقسم بالله أن الناس يوم القيامة يبحثون عن الشفيع ويكون صاحب الشفاعة هو محمد صلى الله عليه وسلم لأن هناك أدلة (( ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً )) ( ٤ ) والمقام المحمود الشفاعة العظمى .

**ثانياً :** أن تقسم على الله تعالى لقوة الرجاء وحسن الظن بالله لك أن تقسم على الله لقوة رجائك وحسن ظنك بالله سبحانه وتعالى .

١ - النور ( ٢٢ ) .  
٢ - البقرة ( ٢٢٦ ) .  
٣ - المائدة ( ٧٢ ) .  
٤ - الإسراء ( ٧٩ ) .



جاء في صحيح البخاري ومسلم أن الربيع بنت النضر كسرت ثنية جارية من الأنصار فرفع الأنصار القضية إلى أستاذ العدل محمد صلى الله عليه وسلم فرسول الله عنده قرآن (( وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن )) ( ١ ) ما في مراجعة ولا في شفاعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { كتاب الله القصاص { فقال أخوها أنس بن النضر : ، وتعرفون أنس بن النضر هذا رجل يعني ما هو سهل عملاق لقوة رجائه وحسن ظنه بربه قال : **يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع ؟** والله لا تكسر وليس معنى ذلك أنه يعترض على القرآن لأن رسول الله قال : { كتاب الله القصاص { فهذا قال : لا والله لا تكسر فهذا قال :

{ يا أنس كتاب الله القصاص { قال : والله لا تكسر فقال رسول الله : { يا أنس كتاب الله القصاص { قال : لا والله لا تكسر يحلف أيمان مغلظة فسخر الله سبحانه وتعالى أولياء المكسور ثنية ابنتهم فعفوا عن القصاص ورضوا بالدية فقال النبي صلى الله عليه وسلم على إثر ذلك :

{ إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره { ( ٢ ) أبر الله سبحانه وتعالى أنس بن النضر وهذا الإقسام ما جاء من فراغ لا هذا جاء من قوة إيمان وحسن ظن بالله سبحانه وتعالى جاء في البخاري أن أنس بن النضر جاء يوم أحد فرأى الصحابة قد تفرقوا فقالوا له : مات رسول الله قال : ولو مات قوموا فقاتلوا حتى تقتلوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لقي سعد بن معاذ قال : **إلى أين يا أنس ؟** قال : إني لأجد ريح الجنة دون أحد فذهب وقاتل قتالا مستميتا حتى قالت أخته : وجدنا به بضعا وثمانين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وقد مثل به المشركون فما عرفته إلا أخته ببنانه رجل عملاق أبر الله سبحانه وتعالى قسمه إذن عرفنا النوع الأول وهذا هو النوع الثاني .

**والنوع الثالث :** أن يقسم على الله ويكون الحامل الكبير العجب الجهل فهذا حرام يكون عنده غيرة لكن في غير محلها مثل غيرة الخوارج ما عنده حسن ظن ولا عنده أيضا معرفة بكيفية النصح هذا محرم والباب الذي وضعه المؤلف من أجل هذا النوع فالمناسبة لهذا الباب في كتاب التوحيد : أن من تألى على الله فقد أساء الأدب معه وتحجر فضله وأساء الظن بالله وكل هذا ينافي أصل التوحيد .

١ - المائدة ( ٤٥ ) .  
٢ - البخاري ( ٢٥٥٦ ) .

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان ؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك } رواه مسلم ( ١ ) .  
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن القائل رجل عابد قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته ( ٢ ) .

اسمع قال : وعن جندب بن عبد الله البجلي من أهل اليمن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان } شوف هنا المشكلة يعني ما عنده حسن ظن ما عنده أيضا معرفة بكيفية النصح مثل ذاك الذي مر وقت الصلاة على رجل جزار يقطع اللحم فيريد ينصحه قال له : صل يا حمار هذا المطوع ينصح الذي يقطع اللحم فأخذ الجزار الساطورة حق اللحم وبعده ولو أدركه لقصه نصين مش كلام هذا تنصح الناس بمثل هذه النصائح هذه وفرها لنفسك وكذلك الخوارج يكفرون ويخرجون الناس من ملة الإسلام إلى ملة الكفر ويكفرون نساءهم وأنفسهم في اليوم مرات وكرات جهل شنيع والعياذ بالله فهذا الرجل قال : والله لا يغفر الله لفلان شوف يا فلان والله ما يغفر لكش الله فقال الله عز وجل : { من ذا الذي يتألى عليّ ؟ } { من ذا الذي يحلف عليّ ألا أغفر لفلان ؟ } إني قد غفرت له وأحبطت عملك } رواه مسلم .

اسمع إلى القصة بالتفصيل :

قال : صح من حديث أبي هريرة قال البغوي في شرح السنة وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار قال : دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ قال : يا يمامي تعال وما أعرفه فقال : لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الجنة قلت : من أنت يرحمك الله قال : أبو هريرة فقلت : إن هذه كلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخدامه قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كأنه يقول مذنب فجعل يقول : اقصر عما أنت فيه الطائع يقول للمذنب : اقصر ينصحه قال : فيقول : خلني وربي قال : فوجده يوما على ذنب استعظمه فقال : اقصر قال : خلني وربي أبعثت علي رقيبا { أشبه ما يكون بأصحاب الهجر نسأل الله السلامة يعني مراقب لك حذو القذة بالقذة لو خرجت في سفر وإلا كذا ما تستطيع تتنفس ولا تقول كلمة ربما يذهب يستخرج عليها أشياء ويضيف عليها أشياء ويدعك ويهجرك نسأل الله السلامة والعافية .

<sup>١</sup> - مسلم ( ٢٦٢١ ) .  
<sup>٢</sup> - صحيح : أبو داود ( ٤٩٠١ ) وانظر شرح العقيدة الطحاوية للألباني صفحة ( ٣٥٧ ) .

{ فقال : والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبدا قال : فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر : **أنتستطيع أن تحضر على عهدي رحمتي ؟** قال : لا يا رب قال : اذهبوا به إلى النار { قال أبو هريرة : والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته .

هذا هو محط الشاهد قال : والله لا يغفر الله لك أي لا يستر ذنبك ولا يغفر هذا الذنب إطلاقا تألى على الله وحلف على الله والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { إذا سأل أحدكم ربه فليكثر فإن الله لا مكره له { **من ذا الذي يكره الله ؟** صلح أو لا تصلح هذه في الدنيا شفاعات ووساطات شفاعات باطلة أما يوم القيامة فلا الأحكام الشرعية وما علق الله به دخول الناس الجنة والنار هذا بيد الله (( يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما )) ( ١ ) رب ذنب أدخل صاحبه الجنة ورب طاعة أدخلت صاحبها النار ربما ذنب فعله وجلس يستغفر ويتوب دخل الجنة رحمه الله فأدخله الجنة ورب طاعة أصيب صاحبها بالإعجاب مثل حديث الثلاثة الذين أول ما تسعر بهم النار عالم متفاسح بعلمه رياء ومجاهد أيضا شجاعة ومنفق من أجل أن يقال فأول من تسعر بهم النار ثلاثة يسحبون على مناخرهم فتأملوا إلى كلمة يسيرة جدا ضيقت مستقبله كما في الحديث :

{ وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا فيزول بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب { ( ٢ ) وهكذا أيضا في غزوة تبوك أطلق بعض المنافقين ثلاث كلمات فحكم الله عليهم بالكفر والردة قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء . يعني الرسول وأصحابه . أرغب بطونا . أكذب ألسنة . أجبن عند اللقاء فنزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم بكفر هؤلاء أصحاب المقالة هذه قالوا : يا رسول الله إنما هو حديث الركب يعني نجزع وقتنا في السفر ورسول الله لا يزيد عليهم : (( قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين )) ( ٣ ) فكان رسول الله يقول لهم : (( لا تعتذروا قد كفرتم )) ( ٤ ) ولا يزيد أن يقول على هذه .

ثلاث كلمات حكم الله عليهم بالكفر والردة وهكذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما قال له : **أو إنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله ؟** قال : { ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم { ( ٥ ) فعند المنكر يجب على الشخص أن يتحلى بالحلم وأن لا تأخذه الغيرة حتى تخرجه عن طور الاعتدال إذا أردت أن تنكر فأنكر برفق (( فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك )) ( ٦ ) لا تذهب تنكر المنكر وتحدث منكر فوقه مثل الآن بعضهم هؤلاء الذين يفجرون الذين يقومون بالتفجيرات والاعتيالات يريدون أن يغيروا المنكر فيأتون بمنكرات أشد منها يقتلون الأبرياء النساء وأطفال وشيوخ وبرءاء بحاجة أنهم يريدون يفجروا بمكان خمر وإلا مكان فيه يهودي وهكذا . بارك الله فيك . من ترك طريقة العلماء زل فلا ينبغي للشخص أن ينفرد برأيه فلا بد أن تسأل أهل العلم الراسخين في العلم ولا ينبغي للشخص أن يكون استقلاليا في مثل هذه الأمور . قال : وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد قال أبو هريرة : لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته .

١ - الإنسان ( ٣١ ) .

٢ - البخاري ( ٦١١٢ ) ومسلم ( ٢٩٨٨ ) .

٣ - التوبة ( ٦٥ - ٦٦ ) .

٤ - التوبة ( ٦٦ ) .

٥ - صحيح : الترمذي ( ٢٦١٦ ) وأحمد ( ٢٢٠٦٩ ) والطبراني في الكبير ( ٢٠٠ ) انظر حديث رقم : ٥١٣٦ في صحيح الجامع .

٦ - آل عمران ( ١٥٩ ) .

فيه مسائل :

الأولى : التحذير من التآلي على الله .

الثانية : كون النار أقرب إلى أحدنا من شرك نعله .

الثالثة : أن الجنة مثل ذلك .

الرابعة : فيه شاهد لقوله صلى الله عليه وسلم : { إن الرجل ليتكلم بالكلمة ..... { إلى آخره ( ١ ) .

الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه .

قال : فيه مسائل :

١. الأولى : التحذير من التآلي على الله انتبه تقول لواحد : أنت حطب جهنم أنت والله ما يغفر لكش الله أو تقول : فلان

تاب تقول : هذا ما يتوب لو تاب هذا لتاب حمار أهل الخطاب قلوب العباد بيد الله أرج من الناس خيرا أرج للناس خيرا .

٢. الثانية : كون النار أقرب إلى أحدنا من شرك نعله كما في بعض الأحاديث : { النار أقرب إلى أحدكم من شرك نعله

والجنة مثل ذلك { ( ٢ ) .

٣. الثالثة : أن الجنة مثل ذلك .

٤. الرابعة : فيه شاهد لقوله : { إن الرجل ليتكلم بالكلمة { الرجل أو المرأة لكن الحديث خرج مخرج الغالب : { إن

الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا فيزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب { .

٥. الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه وذلك أن نواصي العباد بيد الله سبحانه وتعالى ولا ينبغي

للشخص أن يكون نقادا من ذا الذي ليس له هفوات ؟ بعض الناس لا حول ولا قوة إلا بالله ملبس بالمصائب وتجده ينتقد

أخطاء يسيرة جدا وطوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس وكما في الحديث : { إن الرجل يبصر القذى في عين أخيه

وينسى الجذع في عينه { ( ٣ ) هذه مشكلة يقال إن المعز التي هي ما عندها إلية تغطي بها سوائها ضحكت حينما

شاهدت الشاة يوما بان دبرها وهي مفتوح باستمرار على الطاقة الشمسية على طول عادي عندها عادي وذيك يعني

مرة قفزت على الجدار فارتفعت ثربتها فكانت تضحك وتعقد اللقاءات وتجيب الضحك والنكت وهي لا حول ولا قوة إلا

<sup>١</sup> - البخاري (٦١١٢) ومسلم (٢٩٨٨) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٦١٢٣) وأحمد (٣٦٦٧) (٣٩٢٣) وابن حبان (٦٦١) ومسنند أبي يعلى (٥٢٨٠) ومسنند البزار (١٦٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان

(١٠٢٤٣) .

<sup>٣</sup> - صحيح : مسند الشهاب (٦١٠) انظر حديث رقم : ٨٠١٣ في صحيح الجامع .

بالله وهكذا فرعون يعني فعل ما فعل قتل بني إسرائيل استحقا نساءهم قتل أبناءهم فعل الأفاعيل ويقول لموسى : (( وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين )) ( ١ ) أعوذ بالله فينبغي للشخص أن يبصر عيوبه وأن يبصر ذنوبه فإن وجد عند الآخرين عيوب حاول أن يستر حاول أن ينصح { فمن ستر مسلما في الدنيا . كما في الحديث . ستره الله في الدنيا والآخرة } ( ٢ ) فالمؤمن عذار والمنافق عثار المنافق يدور عثرات

**لماذا ؟** لأن قلبه خبيث

وعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدي المساويا

أذكر رجل كان يلحن لحنا فاحشا وينتقد على بعض اللحن من بعض الإخوان وهو كلامه كله لحن لا ينبغي . بارك الله فيكم . أن يكون هذه سجية أحدنا فإذا رأى من الناس منكرا أو شيء يدعو الله بهداية هؤلاء انصحهم بين على منبر الجمعة بالأسلوب الحسن حتى تكون متابعا للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا كل الحرص في إيصال الحق إلى أهله بالحكمة والموعظة الحسنة وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وأخذ بنواصينا جميعا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

<sup>١</sup> - الشعراء ( ١٩ ) .  
<sup>٢</sup> - مسلم ( ٢٦٩٩ ) .

## باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلك الأموال فاستسق لنا ربك ، فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { سبحان الله سبحان الله } فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال : { ويحك أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه } وذكر الحديث ، رواه أبو داود ( ١ ) .

فيه مسائل :

الأولى : إنكاره على من قال : نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغييره تغييراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة .

الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : نستشفع بك على الله .

الرابعة : التنبيه على تفسير سبحان الله .

الخامسة : أن المسلمين يسألونه صلى الله عليه وسلم الاستسقاء .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً :  
قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

## باب لا يستشفع بالله على خلقه

الإستشفاع بالشيء أي جعله شافعاً له وفي الغالب أن يكون الشافع أعلى مرتبة من المشفوع له وعلى هذا فالإستشفاع بالله على الخلق محرم لأن فيه تنقصاً للذات الإلهية وهذا أو هذه هي مناسبة التبويب لكتاب التوحيد لأن الذي يشفع يكون في الغالب أدنى مرتبة من المشفوع له هذه ترجمة المؤلف ثم أردفها كدليل حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلك الأموال فاستسق لنا ربك فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { سبحان الله سبحان الله } فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال : ويحك أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع بالله على أحد { رواه أبو داود هذا الحديث ضعيف ضعفه صاحب كتاب النهج السديد الدوسري رحمه الله وذلك أن فيه عننة ابن إسحاق

<sup>١</sup> - ضعيف : أبو داود (٤٧٢٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٧٢٧) وضعيف أبي داود (١٠١٧) .

وهو مدلس وفيه جهالة جبير بن محمد لم يوثقه غير ابن حبان وابن حبان رحمه الله تعالى كان يوثق المجاهيل فالحديث .  
بارك الله فيكم . ضعيف وإن الله سبحانه وتعالى لم يتبعنا بالأحاديث الضعيفة لكن من حيث ترجمة الباب وتبويب المؤلف  
لا يجوز أن نقول : يا الله إنا نستشفع بك على فلان فإن شأن الله سبحانه وتعالى عظيم أو نستشفع بفلان على الله سبحانه  
وتعالى ولكن من أراد شيئاً فلا يحجبه إلا معصيته أو ذنبه عن مطالبه يقول سبحانه : (( وإذا سألك عبادي عني فإني قريب  
أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون )) ( ١ ) وفي الحديث :  
{ من لم يسأل الله يغضب عليه } ( ٢ ) والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : { إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن  
بالله } ( ٣ ) ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : { من دعا الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا استجيب له إحدى  
ثلاث إما أن تعجل له في الدنيا أو يدخر له في الآخرة أو يصرف عنه من السوء مثلها } ( ٤ ) فالعبد مطالب بأن يدعو الله  
وأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول : [ اللهم إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء ]  
فإذا ألهم العبد الدعاء كانت الإجابة فالله سبحانه وتعالى يستجيب لا سيما دعاء المضطر والضعفاء قال سبحانه : (( أمن  
يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلاً ما تذكرون )) ( ٥ ) وبهذا القدر نكتفي  
و الله أعلى وأعلم .

١ - البقرة ( ١٨٦ ) .

٢ - حسن : الترمذي ( ٣٣٧٣ ) وانظر صحيح الترمذي ( ٢٦٨٦ ) .

٣ - صحيح : الترمذي ( ٢٥١٦ ) وأحمد ( ٢٦٦٩ ) والمعجم الكبير ( ١١٤١٦ ) ومسند أبي يعلى ( ٢٥٥٦ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ٥٣٠٢ ) .

٤ - صحيح : الطبراني في الأوسط ( ٤٣٦٨ ) وابن أبي شيبة ( ٢٩١٧٠ ) وانظر صحيح الترغيب والترهيب ( ١٦٣٣ ) .

٥ - النمل ( ٦٢ ) .

### باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً  
أما بعد :

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

#### باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

قوله : ما جاء أي من الأحاديث من أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم في حماية جناب التوحيد والشيخ الفوزان رحمه الله تعالى له شرح طيب على هذه الترجمة أحببت أن أقرأه من كتابه مباشرة قال حفظه الله :  
سبق باب يشبه هذا وهو قول الشيخ هناك باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب ، هذا ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وذاك جناب التوحيد فاسمعوا إلى الفرق قال : سبق باب يشبه هذا وهو قول الشيخ رحمه الله هناك باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك **فما الفرق بين البابين ؟** ذاك جناب وهذا حمى الفرق بين البابين أن جناب التوحيد معناه جانب التوحيد وهنا حمى التوحيد وفرق بين الجانب وبين الحمى لأن الجانب بعض الشيء وأما الحمى فهو ما حول الشيء فهناك أراد المصنف رحمه الله أن يبين حماية النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد نفسه من أن يقع فيه شرك وهنا أراد أن يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى ما حول التوحيد بعد حمايته التوحيد وهذا من باب العناية التامة بشأن التوحيد قوله : باب ما جاء أي من الأحاديث في حماية النبي صلى الله عليه وسلم .

الحماية معناها المنع أي منع النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد أي ما حول التوحيد أشبه ما يكون بالحوش الذي هو حمى المنزل قال : وسده طرق الشرك الطرق هي الأشياء التي توصل إلى الشيء فالنبي صلى الله عليه وسلم سد الوسائل والأسباب التي تؤدي إلى الشرك وإن لم تكن هي من الشرك لكن لما كانت تؤدي إلى الشرك منع منها النبي صلى الله عليه وسلم احتياطاً للتوحيد فقد يكون الشيء مباحاً في نفسه ولكن إذا كان هذا المباح يفضي إلى محرم فإن هذا المباح يصبح حراماً لأن الوسائل لها أحكام الغايات فالوسيلة إلى المحرم تكون حراماً وهذا ما يسمى عند الأصوليين بقاعدة سد الذرائع فكل ذريعة توصل إلى محذور وإلى حرام فإن الشارع منع منها وحرّمها وهذا كثير في الشريعة وقاعدة قريبة منها يعني : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب فهو قريب أيضاً من هذا .



عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا فقال : { السيد الله تبارك وتعالى } قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال : { قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان } رواه أبو داود بسند جيد ( ١ ) .

ثم قال رحمه الله : وعن عبد الله بن الشخير وهو عبد الله بن كعب بن عامر العامري من بني عامر رضي الله عنه قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا ، وهذه العبارة ما فيها شيء النبي صلى الله عليه وسلم يقول للخزرج : { قوموا إلى سيدكم فأنزلوه } ( ٢ ) كان على حمار وكان مريضاً سعد بن معاذ فقلنا : أنت سيدنا فقال : { السيد الله تبارك وتعالى } يعني من حيث السيادة المطلقة قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً ، الطول بمعنى الشرف والغنى فقال : { قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان } من الإجتراح رواه أبو داود بإسناد جيد وهذه مرحلة بين الحسن والصحة كما قد تكرر وهذا الحديث قال ابن مفلح في الآداب الشرعية : إسناده جيد وقال الحافظ في الفتح : رجاله رجال الصحيح أوجاله ثقات وصححه أيضاً صاحب عون المعبود والدوسري كما في النهج السديد وهنا كلام حول هذا للشيخ العثيمين استحسنته فأحببت أن أنقله لكم برمته فيقول الشيخ رحمه الله : قوله : أنت سيدنا السيد ذو السؤدد والشرف والسؤدد معناه العظمة والفخر وما أشبهه قال : وسيد صفة مشبهة على وزن فعيل فعل أو فيعل لأن الياء الأولى زائدة قوله : { السيد الله } لم يقل صلى الله عليه وسلم : سيدكم كما هو المتوقع حيث إنه رد على قولهم سيدنا لوجهين :

**الوجه الأول :** إرادة العموم المستفاد من ال لأن ال للعموم والمعنى أن الذي له السيادة المطلقة هو الله عز وجل ولكن السيد المضاف يكون سيداً باعتبار المضاف إليه مثل سيد بني فلان سيد البشر وما أشبه ذلك .

**الوجه الثاني :** لئلا يتوهم أنه من جنس المضاف إليه لأن سيد كل شيء من جنسه هذا فقط فيه بحث **لماذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : { السيد هو الله } على أنهم قالوا : أنت سيدنا ؟** ما قال : سيدكم هو الله وهذا من فقه العثيمين فقد كان غواصاً في المعاني .

قال : والسيد من أسماء الله تعالى وهي من معاني الصمد كما فسر ابن عباس الصمد بأنه الكامل في علمه وحلمه وسؤدده وما أشبه ذلك ولم ينههم صلى الله عليه وسلم عن قولهم : أنت سيدنا بل أذن لهم بذلك وهذا من فقهه أيضاً أصل الكلام

<sup>١</sup> - صحيح : أبو داود (٤٨٠٦) والبخاري في الأدب المفرد (٢١١) وانظر مشكاة المصابيح (٤٩٠٠) .

<sup>٢</sup> - البخاري (٢٨٧٨) ومسلم (١٧٦٨) .

صحيح ولكن خشي النبي صلى الله عليه وسلم من الإطراء والمبالغة التي ربما تفضي إلى إعطائه بعض صفات الرب سبحانه وتعالى وقد جاء في حديث صحيح واضح في هذا قال :

{ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله } ( ١ ) .

قال : ولم ينههم صلى الله عليه وسلم عن قولهم أنت سيدنا بل أذن لهم بذلك فقال :

{ قولوا بقولكم أو بعض قولكم } لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان فيترقوا من السيادة الخاصة إلى السيادة العامة المطلقة لأن سيدنا سيادة خاصة مضافة والسيد سيدة مطلقة عامة غير مضافة ورسول الله سيادته مقيدة أيضا فهو سيد البشر على الإطلاق كما في حديث : { أنا سيد ولد آدم ولا فخر **أندرون ماذا ؟** } ( ٢ ) وذكر حديث الشفاعة الطويل . قوله : تبارك أي كثرت بركاته وخيراته ولهذا يقال : إن هذا الفعل لا يوصف به إلا الله فلا يقال : تبارك فلان لأن هذا الوصف خاص بالله الله تبارك وتعالى .

قال : { السيد الله تبارك } وقول العامة : أنت تباركت علينا لا يريدون بهذا ما يريدون بالنسبة إلى الله عز وجل وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك والبركة يصح إضافته إلى الإنسان إن كان أهلا لذلك قال أسيد بن حضير حين نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة الذي ضاع : ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر .

يعني إذا زارك ضيف عنده علم تقى ورع من الأولياء لا بأس أن تقول : زارتنا البركة أو حلت البركة في بيتنا إذا كانت حقيقة أما مجاملة فلا يجوز .

قوله : وأفضلنا أي فضلك أفضل من فضلنا .

قوله : أعظمنا طولا أي أعظمنا شرفا وغنى والطول الغنى قال تعالى :

(( ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات )) ( ٣ ) ويكون بمعنى العظمة قال تعالى : (( غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول )) ( ٤ ) أي ذي العظمة والغنى .

قوله : { قولوا بقولكم أو بعض قولكم } الأمر للإباحة والإذن كما سبق .

قوله : { قولوا بقولكم } يعني قولهم : أنت سيدنا وأنت أفضلنا وما أشبه ذلك لا بأس ولكن إياكم أن تترقوا إلى السيادة المطلقة وهذا . بارك الله فيكم . هو موطن الشاهد وهو باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد يعني كل هذا الآن عبارة عن موانع وحضر حتى لا يوصل بهم الحد إلى الخدش بجانب التوحيد ومثل ذلك حينما قالت الجارية :

أعد لها كبشا في المربد

قالت الأخرى :

وفينا رسول الله يعلم ما في غد .

قال : { لا ، لا يعلم ما في غد إلا الله قلبي كما كنت تقولين } ( ١ ) والشخص الذي قال : ما شاء الله وشئت قال :

<sup>١</sup> - البخاري (٣٢٦١) وأحمد (٦٤٤٢) (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم .

<sup>٢</sup> - البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٣) (١٩٤) والترمذي (٢٤٣٤) وأحمد (٩٦٢١) وغيرهم .

<sup>٣</sup> - النساء (٢٥) .

<sup>٤</sup> - غافر (٣) .

{ أ جعلتني لله ندا قولوا ما شاء الله وحده } ( ٢ ) .

قوله : { أو بعض قولكم } يحتمل أن يكون شكا من الراوي أو أن يكون من لفظ الحديث أو اقتصرنا على بعضه .  
قوله : { ولا يستجرنكم الشيطان } استجراه بمعنى جذبته وجعله يجري معه أي لا يستميلنكم الشيطان ويجذبكم إلى أن تقولوا قولاً منكراً فأرشدكم صلى الله عليه وسلم إلى ما ينبغي أن يفعل ونهاهم عن الأمر الذي لا ينبغي أن يفعل حماية للتوحيد من النقص أو النقص .  
وقال في النهاية : لا يستجرنكم الشيطان أي لا يستغلبنكم فيخذلكم جرياً أي رسولا ووكيلا والنهاية هذه في غريب الحديث لابن الأثير الجزري .

قال : وعلى التفسيرين فمراد النبي صلى الله عليه وسلم حماية التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك والحماية من المنكر تعظم كل ما كان المنكر أعظم وأكبر أو كان الداعي إليه في النفوس أشد يعني أشبه ما يكون مثلاً بقوله سبحانه : (( ولا تقربوا الزنا )) ( ٣ ) قالوا قال : ولا تقربوا ولم يقل : ولا تزنوا لماذا ؟ لأنه نهى عن الزنا ونهى عن مقدماته النظرة الغمزة الضحكة الكلمة الخلوة أشياء كثيرة .

قال : ولهذا تجد أن باب الشرك حماه النبي صلى الله عليه وسلم حماية بالغة حتى سد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إليه لأنه أعظم الذنوب وأيضاً باب الزنا حمى حماية عظيمة حتى منعت المرأة من التبرج وكشف الوجه وخلوتها بالرجل بلا محرم وما أشبه ذلك حتى يقول فقهاء الشافعية : أن المرأة الغنية إذا لم تجد محرم فليس الحج في حقها واجب يعني سقط عنها فرض الحج لماذا ؟ لأنه يشترط المحرمية وذلك كله صيانة للأعراض قال : لئلا يكون ذلك ذريعة للزنا لأن النفوس تطلبه وفي باب الربا حمى الربا بحماية عظيمة حتى إن الرجل ليعطي الرجل صاعاً طيباً من البر بصاعين قيمتها واحدة ويكون ذلك ربا محرماً لا يجوز ولو كان بنفس المستوى أو بأقل يعني أحدهما رديء والآخر طيب لا يجوز ويكون ذلك ربا محرماً مع أنه ليس فيه ظلم فالشرك قد يكون من الأمور التي لا تدعو إليه النفوس كثيراً لكنه أعظم الظلم فالشيطان يحرص على أن يوصل ابن آدم إلى الشرك بكل وسيلة فحماه النبي صلى الله عليه وسلم حماية تامة محكمة حتى لا يدخل الإنسان فيه من حيث لا يشعر وهذا هو معنى الباب الذي ذكره المؤلف .  
قال : تنبيه :

جاء شرح الحديث على أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن قول : سيدنا فحاولوا الجمع بين هذا الحديث وبين قوله صلى الله عليه وسلم : { إنا سيد ولد آدم } ( ٤ ) وحديث : { قوموا إلى سيدكم } ( ٥ ) وقوله في الرقيق : { وليقل سيدي ومولاي } ( ٦ ) بواحد من ثلاثة أوجه :

**الأول :** أن النهي على سبيل الكراهة والأدب والإباحة لا سبيل الجواز .

**الثاني :** أن النهي حيث يخشى منه المفسدة وهي التدرج إلى القلوب والإباحة إذا لم يكن هناك محذور .

١ - المعجم الأوسط ( ٣٤٠١ ) والمعجم الصغير ( ٣٤٣ ) وسنن البيهقي الكبرى ( ١٤٤٦٦ ) ( ١٤٤٦٧ ) وانظر آداب الزفاف للألباني ( ١٠٩ - ١١٠ ) .

٢ - صحيح : سنن النسائي الكبرى ( ١٠٨٢٤ ) وانظر تحذير الساجد صفحة ٩٠ .

٣ - الإسراء ( ٣٢ ) .

٤ - تقدم تخريجه .

٥ - تقدم تخريجه .

٦ - تقدم تخريجه .

**الثالث :** أن النهي في الخطاب أي أن تخاطب غيرك بقولك : أنت سيدي أو سيدنا بخلاف الغائب لأن المخاطب ربما يكون في نفسه عجب وغلو وترفع ثم إن فيه شيء آخر وهو خضوع المتسيد له وإذلال نفسه له بخلاف ما إذا جاء من الغير مثل : قوموا إلى سيديكم أو على سبيل الغيبة كقول العبد : قال سيدي ونحو ذلك لكن هذا يراد عليه صلى الله عليه وآله وسلم إباحته للرقيق أن يقول لمالكه : سيدي .

ثم قال الشيخ : والذي يظهر لي أن لا تعارض أصلاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لهم أن يقولوا بقولهم لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان بالغلو مثل السيد لأن السيد المطلق هو الله عز وجل وعلى هذا فيجوز أن يقال : سيدنا وسيد بني فلان ونحوه ولكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلاً لذلك وجاء أن رجلاً مر بأهل البصرة قال : **من سيديكم يا أهل البصرة ؟** قالوا : الحسن وقال : **بم سادكم ؟** قالوا : رغب هو عن دنيا الناس واحتاج الناس إلى علمه ، فالسيادة بالعلم أو بالجاه وكذلك الآن ربما بالمال والملك والمشیخة .

قال : أما إذا لم يكن أهلاً للكمال أو كان فاسقاً أو زنديقاً الآن هو هذا تجد في بعض الفواتير أو سند قبض أو كذا يقولون : استلمنا من السيد الفلاني كأنها والله أعلم عبارة دخيلة على المسلمين ساروا يطلقونها لا سيما المصريون أنت يا سيد وهكذا .

قال : فلا يقال له حتى ولو فرض أنه أعلى منه مرتبة أو جاها وقد جاء في الحديث : { لا تقولوا للمنافق سيد فإنكم إذا قلتم ذلك أغضبتم الله } ( ١ ) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد قال النووي في رياض الصالحين : أخرجه أبو داود داود وسنده صحيح .

فإذا كان أهلاً لذلك وليس هناك محذور فلا بأس وأما إن خشي المحذور أو كان غير أهل فلا يجوز والمحذور هو الخشية من الغلو فيه .

<sup>١</sup> - صحيح : الترمذي (٤٩٧٧) وأحمد (٢٢٩٨٩) والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٠) انظر حديث رقم : ٧٤٠٥ في صحيح الجامع .

وعن أنس رضي الله عنه أن أناساً قالوا : يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال : { يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل } رواه النسائي بسند جيد ( ١ ) .

فيه مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الغلو .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا .

الثالثة : قوله : { لا يستجربنكم الشيطان } مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

الرابعة : قوله : { ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي } .

ثم قال الشيخ : وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناساً قالوا : يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال : { يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل } رواه النسائي بسند جيد الحديث صححه الدوسري وهو أيضا في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين لشيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى وهو كالحديث الذي قبله .

لكن بقيت فائدة ذكرها الدكتور صالح بن فوزان رحمه الله تعالى قال الشيخ صالح حفظه الله :

فهذان الحديثان يستفاد منهما فوائد عظيمة :

**الفائدة الأولى :** فيه التحذير من الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم وإذا كان الغلو في حقه فغيره من باب أولى عن طريق المديح والمدح يا إخوان القتل والذبح لا ينبغي أن نتعوده أبدا قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما مدحت رجلا فرفعته فوق منزلته إلا وضعني الله بقدر رفعي إياه .

لأن هذا ظلم لما ترفع واحد وتقول فلان الكذا الكذا هذا لا ينبغي ينبغي أن يكون المدح صحيحا وأنه صلى الله عليه وسلم إنما يوصف بصفاته التي أعطاه الله إياها العبودية والرسالة أما أن يغلى في حقه فيوصف بأنه يفرج الكروب ويغفر الذنوب وأنه يستغاث به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته كما وقع فيه كثير من المخرفين اليوم فيما يسمونه بالمدائح النبوية في أشعارهم كالبردة للبوصيري وما قيل على نسجها من المخرفين فهذا غلو أوقع في الشرك كما قال البوصيري :

يا أكرم الخلق مالي من ألود به سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

قال بعض الشراح : ما أبقي الله سبحانه وتعالى شيئا فهذا غلو والعياذ بالله أفضى إلى الكفر والشرك حتى لم يترك لله شيئا كل شيء جعله للرسول في الدنيا والآخرة علم اللوح والقلم للرسول لا ينقذ من العذاب يوم القيامة إلا الرسول إذن **ما بقي لله عز وجل ؟** وهذا من قصيدة يتناقلونها ويحفظونها وينشدونها في الموالد وكذلك غيرها من الأشعار الكفرية الشركية

<sup>١</sup> - صحيح : أحمد (١٢٥٧٣) والبيهقي في الشعب (٤٨٧١) وسنن النسائي الكبرى (١٠٠٧٧) وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٩٧) .

خصوصا ما ينشد في الموالد المبتدعة من الأناشيد الشركية كل هذا سببه الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم وأما مدحه صلى الله عليه وسلم بما وصفه الله به بأنه عبد ورسول وأنه أفضل الخلق فهذا لا بأس به كما جاء في أشعار الصحابة الذين مدحوه كشعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير حسان بن ثابت يقول :

لعرض محمد منكم وقاء	فإن أبي ووالده وعرضي
وعند الله في ذاك الجزاء	هجوت محمدا فأجبت عنه
رسول الله شيمته الوفاء	هجوت محمدا برا تقيا
لعرض محمد منكم وقاء	فإن أبي ووالده وعرضي
تثير النقع في كنفي كراء	ثكلت بنيتي إن لم تروها
على أكتافها الاسل النساء	يبارين الأعنة مصعدات
وكان الفتح وانكشف الغطاء	فإن أعرضتم عنا اعتمرنا
يعز الله فيه من يشاء	ولا فاصبروا لقتال يوم
يقول الحق ليس به خفاء	وقال الله قد أرسلت عبدا
هم الأنصار عرضها اللقاء	وقال الله قد يسرت جندا
قتال أو سباب أو هجاء	لنا في كل يوم من معد
ويمدحه وينصره سواء	فمن يهجو رسول الله منكم
وروح القدس ليس به كفء .	وجبريل رسول الوحي فينا

قال : كشعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة فهذه أشعار نزيهة طيبة مثل شعر عبد الله بن رواحة كما في البخاري :

وينا رسول الله يتلو كتابه	إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقنات أن ما قال واقع

قال : قد سمعها النبي صلى الله عليه وسلم وأقرها لأن ليس فيها شيء من الغلو وإنما فيها ذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم .

**الفائدة الثانية :** في الحديث النهي عن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيد وهذا فيه إشكال عند أهل العلم حيث أنه أنكر على من قال : أنت سيدنا وقال : { السيد الله } بينما جاءت أحاديث أخرى فيها إطلاق السيد عليه صلى الله عليه وسلم وعلى غيره فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : { أنا سيد ولد آدم ولا فخر } <sup>(١)</sup> وقال في الحسن بن علي : { إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين } <sup>(٢)</sup> وقال : { الحسن والحسين سيدا

<sup>١</sup> - تقدم تخريجه .  
<sup>٢</sup> - البخاري (٢٥٥٧) .

شباب أهل الجنة { (١) } وقال في أبي بكر وعمر : { سيدا كهول أهل الجنة } { (٢) } ولما جاء بسعد بن معاذ عام الخندق قال صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : { قوموا إلى سيدكم } { (٣) } فالعلماء اختلفوا في الجواب على ثلاثة أقوال :

**القول الأول :** تحريم إطلاق لفظ السيد على المخلوق فلا يقال السيد إلا في حق الله كم جاء في هذين الحديثين { السيد الله } وهذا مروي عن الإمام مالك رحمه الله وأجابوا عن الأحاديث المخالفة بأنها أحاديث متقدمة وحديث : { السيد الله } متأخر لأنه في عام الوفود من السنة التاسعة فيكون ناسخاً للأحاديث التي تدل على جواز إطلاق لفظ السيد على المخلوق .

**القول الثاني :** جواز إطلاق السيد على المخلوق عملاً بالأحاديث التي فيها ذلك { أنا سيد ولد آدم } { إن ابني هذا سيد } { قوموا إلى سيدكم } فيجوز إطلاق لفظ السيد على المخلوق كما في هذه الأحاديث وأجابوا على حديث المنع بأنه محمول على كراهة تنزيه فيكون النهي للتنزيه .

**القول الثالث :** القول بالجواز مطلقاً بلا كراهة إلا إذا خيف من الغلو فإن النبي صلى الله عليه وسلم خاف عليه من الغلو كما في الحديثين المذكورين فإذا خيف على الإنسان من الغلو ينهي من ذلك أما إذا لم يخف عليه من الغلو فلا بأس عملاً بالأحاديث الكثيرة التي جاء فيها إطلاق لفظ السيد على المخلوق .

وهناك قول رابع ألمح إليه الشارح وهو أنه لا يجوز إطلاق السيد على الشخص في حضوره ومواجهته ويجوز إطلاقه عليه وهو غائب لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما استنكر هذا لما وجهوه إليه فيمنع مواجهة الإنسان بقوله : أنت السيد أنت سيدنا وما أشبه ذلك خوفاً عليه من الإعجاب بنفسه كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم من مدح الإنسان في حال حضوره .

هذا حاصل الأقوال في هذه المسألة وما ذكره الشيخ العثيمين هو الذي نذهب إليه وهو المنع من إطلاق لفظة السيد بألف ولام لأنها تفيد السيادة المطلقة وهذا لله سبحانه وتعالى فإطلاق كلمة سيد بالتقييد جائز سيد البشر ، سيد ولد آدم ، سيد بني مثلاً القرية الفلانية ، بني فلان .

**تنبيه :** الآن لفظ سيد صار يطلق على من يعتقد فيه النفع والضرر مثل الذين يسمونهم السادة من أهل البيت والسادة من الصوفية بعضهم يقول : أنا با روح عند السيد وبيت السيد وصار يصحب هذا القول اعتقاد في الأشخاص وهذا لا شك فيه تحريمه فإذا أطلق السيد على مثل هؤلاء فإنه محرم لأنه ينبئ عن اعتقاد باطل وشرك بالله عز وجل وأن هؤلاء ينفعون ويضررون وتحل البركة فيهم .

**المسألة الثالثة :** فيه ما عقد المصنف هذا الباب من أجله وهو حمايته صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده الطرق التي تفضي إلى الشرك حيث أنه منع من وصفه صلى الله عليه وسلم بالسيادة وبالفضل وبالطول من أجل سد الوسيلة إلى الغلو وإلى الشرك ففيه شاهد للترجمة .

<sup>١</sup> - صحيح : الترمذي (٣٧٦٨) وابن ماجه (١١٨) وأحمد (١١٠١٢) وابن حبان (٦٩٥٩) انظر حديث رقم : ٤٧ في صحيح الجامع .

<sup>٢</sup> - صحيح : الترمذي (٣٦٦٥) وابن ماجه (٩٥) وأحمد (٦٠٢) وابن حبان (٦٩٠٤) انظر حديث رقم : ٥١ في صحيح الجامع .

<sup>٣</sup> - تقدم تخريجه .

**الفائدة الرابعة :** فيه المنع من الغلو من مدحه صلى الله عليه وسلم سواء في النثر أو في الشعر والشعر أشد لأن الشعر يحفظ ويرغب فيه أكثر من النثر وبعضهم إذا جاء لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم يقف ويدعو النبي صلى الله عليه وسلم ويستغفر ويقول : جئتك تائباً يا رسول الله وما أشبه ذلك من الغلو لأن التوبة إلى الله وليس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .



باب ما جاء في قول الله تعالى :

(( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة )) ( ١ ) .

يقول المؤلف رحمه الله تعالى :

باب ما جاء في قول الله تعالى :

(( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات

مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون )) ( ٢ ) .

هذا الباب هو آخر باب من أبواب كتاب التوحيد ختم به المؤلف هذا الكتاب لما اشتمل من توحيد الأسماء والصفات والكتاب من أوله فيما يتعلق بتوحيد الألوهية وإن كان توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية ومن أقسام التوحيد الثلاثة : توحيد الأسماء والصفات وهو أن لا تصف الله أو تسميه إلا بما سمي نفسه أو وصف نفسه أو وصفه رسوله أو سماه رسوله صلى الله عليه وسلم وكثر النزاع والخلاف في هذا الباب فالجهمية جحدوا الأسماء والصفات والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن أوصافها والأشاعرة جحدوا الأسماء والصفات إلا سبع صفات أثبتوها على أن عقيدتهم في باب القرآن من أسوأ أهل النحل المنحرفة ويعيش المرء حائراً تائها حينما يخرج عن طور الذكر الحكيم الذي قال الله فيه : (( ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين )) ( ٣ ) وقوله سبحانه : (( ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة أعمى )) ( ٤ ) فمن خرج عما جاء به القرآن وعما جاء به رسول القرآن محمد صلى الله عليه وسلم لا شك أنه يضيع يقول الشهرستاني في الملل والنحل :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها  
وصيرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر إلا واضعا كف حائر  
على ذقن أو قارعا سن نادم

فقال له بعض أهل السنة : يا أستاذ

لعلك أهملت الطواف بمعهد  
الرسول ومن والاه من كل عالم  
فما حار من يهدي بهدي محمد  
ولست تراه قارعا سن نادم

فأهل الكلام حينما دخلوا في هذا الباب تبلدوا وضاعوا وتاهوا وحاروا ومن جملتهم صاحب مختار الصحاح الفخر الرازي في آخر أيامه ترك تلك النحلة قال : ومن جرب مثل مجربتي عرف مثل معرفتي قال في قصيدة له :

نهاية إقدام العقول عقل  
وغيابة سعي العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جسومنا  
وغيابة دنيانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا  
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

١ - الزمر ( ٦٧ ) .

٢ - الزمر ( ٦٧ ) .

٣ - الزخرف ( ٣٦ ) .

٤ - طه ( ١٢٤ ) .

فيقول : لقد تأملت الطرق الكلامية والمبادئ الفلسفية فما رأيتها تروي غليلا ولا تشفي عليلا إلا طريقة الكتاب والسنة اقرأ في الإثبات : (( الرحمن على العرش استوى )) ( ١ ) اقرأ في النفي : (( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )) ( ٢ ) وأنا على عقيدة الأستاذ الكبير أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله ويقال : أنه مات وقد وضع على صدره صحيح البخاري منوها إلى أن العقيدة إنما هي من القرآن ومن الصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فنحن سالمون كل السلامة يوم أن نأخذ الخير يوم أن نأخذ المعتقد والمنهج والسلوك والآداب والخير الذي يقربنا من الله تبارك وتعالى ومن جنة عرضها السماوات والأرض من القرآن لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله } ( ٣ ) وزاد مالك في الموطأ : { وسنتي } ( ٤ ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : { أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قالوا : بلى قال : فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فلا تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا } ( ٥ ) ويقول الله تبارك وتعالى : (( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى )) ( ٦ ) ويقول سبحانه : (( إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم )) ( ٧ ) ويقول سبحانه : (( إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم )) ( ٨ ) فالله سبحانه وتعالى حفظ هذا القرآن حفظه من التبديل والتغيير كما قال : (( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه )) ( ٩ ) وقال سبحانه : (( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )) ( ١٠ ) وقال سبحانه : (( في رق منشور )) ( ١١ ) وقال سبحانه : (( في لوح محفوظ )) ( ١٢ ) فهذا القرآن محفوظ بحفظ الله يحفظ الله به سبحانه وتعالى من شاء من عباده بتمسكهم وهكذا المصدر الثاني من مصادر التشريع سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهي صمام أمان قال النبي صلى الله عليه وسلم : { كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى } ( ١٣ )

لبانا له قد در من ثديي وحيه

ومن لا يريه الرسول ويسقه

ولن يتعدى طور أبناء جنسه

فذاك لقيط ماله شبهة الولاء

فيقول ربنا تبارك وتعالى : (( وما قدروا الله )) ( ١٤ ) والضمير هاهنا الواو يعود على المشركين (( ما قدروا الله حق قدره )) ( ١٥ ) والقدر بمعنى التعظيم كما قال ربنا : (( ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا )) ( ١٦ ) وذلك أن المشركين ما عظموا الله حق تعظيمه إذ أنهم دعوا الأصنام هبل ومناة والشعري وهكذا أيضا الذين يقولون : يا ابن علوان ويا

١ - طه ( ٥ ) .

٢ - الشورى ( ١١ ) .

٣ - مسلم ( ١٢١٨ ) .

٤ - حسن : مالك ( ١٥٩٤ ) وانظر مشكاة المصابيح ( ١٨٦ ) .

٥ - صحيح : ابن حبان ( ١٢٢ ) والطبراني في الكبير ( ١٥٣٩ ) والبيهقي في الشعب ( ٢٠١٣ ) وانظر السلسلة الصحيحة ( ٧١٣ ) .

٦ - طه ( ٢ ) .

٧ - الإسراء ( ٩ ) .

٨ - التكوين ( ٢٧ - ٢٨ ) .

٩ - فصلت ( ٤٢ ) .

١٠ - الحجر ( ٩ ) .

١١ - الطور ( ٣ ) .

١٢ - البروج ( ٢٢ ) .

١٣ - البخاري ( ٦٨٥١ ) والحاكم ( ٧٦٢٦ ) .

١٤ - الزمر ( ٦٧ ) .

١٥ - الزمر ( ٦٧ ) .

١٦ - نوح ( ١٣ - ١٤ ) .

خمسة ويا هادياه ويا جناه هؤلاء ما قدروا الله حق قدره إذ أنهم تنقصوا أرحم الراحمين وهذا دليل على خفة عقولهم فهؤلاء الذين تدعونهم هم مخلوقين إما أشجار أو أحجار أو أتربة أو تمر أو صمغ أو شجر أو من بني آدم ، الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقهم كيف تدعونهم من دون الله وهم مخلوقون مربوبون لا يملكون شيئاً من النفع ولا يستطيعون أن يدرؤوا عنكم شيئاً من الضر قال سبحانه : (( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين )) ( ١ ) فهؤلاء الذين يدعون يعادون أولئك الذين كانوا يهتفون بأسمائهم في هذه الدنيا .

(( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة )) ( ٢ ) قبضة الله كما قال سبحانه وتعالى : (( يوم نطوي

السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين )) ( ٣ ) وهذا دليل على عظمة الله وقوته وقهره لخلقه والأرض جميعا قبضته الأرض بما فيها من الجبال والأتربة والبحار بما فيها من كل شيء (( والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون )) ( ٤ ) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه ورفع من شأنه جل وعلا بقوله : سبحانه وتعالى عما يشرك هؤلاء الظالمون الذين يدعون غيره وهو الذي خلق العالمين أجمعين .

١ - الأحقاف ( ٥ - ٦ ) .

٢ - الزمر ( ٦٧ ) .

٣ - الأنبياء ( ١٠٤ ) .

٤ - الزمر ( ٦٧ ) .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر من الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول : أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ : (( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة )) ( ١ ) .

وفي رواية لمسلم : والجبال والشجر على إصبع ثم يهزهن فيقول : أنا الملك أنا الله ( ٢ ) .

وفي رواية البخاري : ويجعل السماوات على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ، أخرجاه ( ٣ ) .

ولمسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : { يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ } ( ٤ ) .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم .

وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثني أبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس } قال : وقال أبو ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلا من الأرض } ( ٥ ) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ، ورواه بنحوه المسعودي ، عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قال : وله طرق .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكشف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم } أخرجه أبو داود وغيره ( ٦ ) .

ثم روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر والحبر هو العالم الكثير العلم يقال له : حبر ويقال له : بحر المعنى متقارب قال : جاء حبر من الأخبار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد . لأنه كافر وليس بمؤمن وإلا فلا

<sup>١</sup> - البخاري (٤٥٣٣) ومسلم (٢٧٨٦) .

<sup>٢</sup> - مسلم (٢٧٨٦) .

<sup>٣</sup> - البخاري (٤٥٣٣) .

<sup>٤</sup> - مسلم (٢٧٨٨) .

<sup>٥</sup> - تفسير الطبري (٦ / ٣) .

<sup>٦</sup> - ضعيف : أحمد (١٧٧٠) والحاكم (٣٤٢٨) انظر حديث رقم : ٦٠٩٣ في ضعيف الجامع .

يجوز أن يدعى رسول الله باسمه مجردا قال سبحانه : (( لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا )) ( ١ ) لا بد أن يدعى يا رسول الله يا نبي الله أو يا خليل الله فقال : يا محمد إنا نجد أي في التوراة أن الله يجعل السماوات على أصبع . فيه إثبات الأصبع لله سبحانه وتعالى وقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء } ( ٢ ) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : { اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك } ( ٣ ) { اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك } ( ٤ ) والأصبع واحدة الأصابع وهي مثلثة الأولى والثالثة أي الهمزة والباء ففيها تسع لغات كما قال الناظم :

وهزمة أنملة ثلث وثالثة التسع في أصبع واختم بأصبع .

فقال : إنا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع والأرضين . يعني السبع الله خلق سبع سماوات طباقا ومن الأرض مثلهن ، ومن اقتطع شبرا من الأرض طوقه إلى سبع أرضين والأرضين كلها يعني على أصبع . والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على أصبع

(( له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى )) ( ٥ ) وسائر الخلق على أصبع فيقول : أنا الملك . والمراد بالملك ذو السلطان المتصرف بالملك كله سبحانه وتعالى (( والله ملك السماوات والأرض )) ( ٦ ) وقال سبحانه سبحانه : (( تبارك الذي بيده الملك )) ( ٧ ) ملك مطلق كما قال سبحانه : (( يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم )) ( ٨ ) فيجيب الله نفسه بنفسه : (( الله الواحد القهار )) ( ٩ ) سبحانه .

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم موافقة لما قاله هذا وما كذبه ولا قال له : أنت يهودي لا يقبل منك هذا ، هذا حق والفضل ما شهدت به الأعداء والإنسان يأخذ الحق ممن أتى به ولو من الشيطان الرجيم وقد قبل أبو هريرة النصيحة من الشيطان فضحك النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الخطبة الموجزة التي حصل فيها الموافقة لما عند النبي صلى الله عليه وسلم من الاعتقاد ومن الوحي الصحيح حتى بدت نواجذه أي ظهرت أسنانه والنواجذ الأسنان التي في أقصى الحلق أقصى الأضراس تصديقا لقول الحبر ثم قرأ : (( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة )) ( ١٠ ) يعني أنت يا عالم اليهود حينما تقول هذا وتعتقد هذا ونلقى هذا على النبي صلى الله عليه وسلم هل لا كنت أحق الناس باعتقاده هل لا كنت أنت أولى الناس أن تعمل بهذا الخير وتوحد الله سبحانه وتعالى دون أن تثبت له الشريك والند والمثيل ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا من باب الاستغراب والاستعجاب قال :

(( وما قدروا الله حق قدره )) ( ١١ ) .

١ - النور ( ٦٣ ) .  
٢ - صحيح : أبو يعلى ( ٣٦٨٨ ) وعبد الرزاق ( ١٩٦٤٦ ) انظر حديث رقم : ١٦٨٥ في صحيح الجامع .  
٣ - الحاكم ( ١٩٢٦ ) .  
٤ - مسلم ( ٢٦٥٤ ) .  
٥ - طه ( ٦ ) .  
٦ - آل عمران ( ١٨٩ ) والمائدة ( ١٧ ) ( ١٨ ) والنور ( ٤٢ ) والجاثية ( ٢٧ ) والفتح ( ١٤ ) .  
٧ - الملك ( ١ ) .  
٨ - غافر ( ١٦ ) .  
٩ - غافر ( ١٦ ) .  
١٠ - الزمر ( ٦٧ ) .  
١١ - الزمر ( ٦٧ ) .

وفي رواية لمسلم : والجبال والشجر على أصبع ثم يهذهن فيقول : أنا الملك أنا الله .  
وفي رواية للبخاري : يجعل السماوات على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ، أخرجاه يعني في الصحيحين .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا : { يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك **أين الجبارون أين المتكبرون ؟** ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله } لفظة بشماله هذه شاذة تفرد بها عمر بن حمزة وهو ضعيف .

وروى عن ابن عباس قال : [ ما السماوات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم ] وهذا ضعيف كما أفاده الدوسري في النهج السديد .

وقال ابن جرير وهو محمد بن جرير العالم الكبير قال حدثني ابن يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني أبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ما السماوات السبع والكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس } وقال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض } وهذا صححه الشيخ الألباني كما في الصحيحة .

وعن ابن مسعود قال : [ بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم ] أخرجه ابن مهدي يعني عبد الرحمن عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله يعني ابن مسعود والحديث يقول محمد بن عبد الوهاب قال : ورواه بنحو المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال الذهبي رحمه الله : وله طرق ، والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى كما في مختصر العلو وكذلك أيضا صححه ابن القيم كما في اجتماع الجيوش الإسلامية وكذلك أيضا صححه الدوسري كما في النهج السديد أسأل الله تعالى بمنه وكرمه وبأسمائيه الحسنی وصفاته العلی أن یمیتنا علی التوحید وأن یجعلنا من الذین یستمعون القول فیتبعون أحسنه وأن یجعل القرآن حجة لنا لا علينا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير قوله : (( والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة )) ( ١ ) .
  - الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم لم ينكروها ولم يتأولوها .
  - الثالثة : أن الحبر لما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم صدقه ، ونزل القرآن بتقرير ذلك .
  - الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم .
  - الخامسة : التصريح بذكر اليدين وأن السماوات في اليد اليمنى والأرضين في الأخرى .
  - السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .
  - السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .
  - الثامنة : قوله : { كخردلة في يد أحدكم } .
  - التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء .
  - العاشرة : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي .
  - الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء .
  - الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء .
  - الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي .
  - الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء .
  - الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .
  - السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .
  - السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .
  - الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .
  - التاسعة عشرة : أن البحر الذي فوق السماوات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة .
- والله أعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

<sup>١</sup> - الزمر ( ٦٧ ) .

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
• كتاب التوحيد .....	
• باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب .....	
• باب من حقق التوحيد دخل الجنة .....	
• باب الخوف من الشرك .....	
• باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله .....	
• باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله .....	
• باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع .....	
• باب ما جاء في الرقى والتمايم .....	
• باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما .....	
• باب ما جاء في الذبح لغير الله .....	
• باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله .....	
• باب من الشرك النذر لغير الله .....	
• باب من الشرك الاستعاذة بغير الله .....	
• باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره .....	
• باب قول الله تعالى : (( أيشركون ما لا يخلق )) .....	
• باب قول الله : (( حتى إذا فرغ عن قلوبهم .. )) .....	
• باب الشفاعة .....	
• باب قول الله : (( إنك لا تهدي من أحببت )) .....	
• باب ما جاء أن سب كفر بني آدم وتركهم دينه .....	
• باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند .....	
• باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها .....	
• باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد .....	
• باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان .....	
• باب ما جاء في السحر .....	
• باب بيان شيء من أنواع السحر .....	
• باب ما جاء في الكهان ونحوهم .....	



- باب ما جاء في النشرة .....
- باب ما جاء في التطير .....
- باب ما جاء في التنجيم .....
- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء .....
- باب قول الله : (( ومن الناس من يتخذ .. )) .....
- باب قول الله : (( إنما ذلكم الشيطان يخوف ... )) .....
- باب قول الله تعالى : (( وعلى الله فتوكلوا .. )) .....
- باب قول الله تعالى : (( أفأمنوا مكر الله فلا يأمن .. )) .....
- باب من الإيمان بالله الصبر على قدر الله .....
- باب ما جاء في الرياء .....
- باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا .....
- باب من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله .....
- باب قول الله : (( ألم تر إلى الذين يزعمون .. )) .....
- باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات .....
- باب قول الله : (( يعرفون نعمة الله ثم )) .....
- باب قول الله تعالى : (( فلا تجعلوا لله أنداداً )) .....
- باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله .....
- باب قول : ما شاء الله وشئت .....
- باب من سب الدهر فقد آذى الله .....
- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه .....
- باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك .....
- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم .....
- باب ما جاء في قول الله : (( ولئن أذقناه رحمة .. )) .....
- باب قول الله : (( فلما آتاها صالحاً جعلاً )) .....
- باب قول الله : (( والله الأسماء الحسنی .. )) .....
- باب لا يقال : السلام على الله .....
- باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت .....
- باب لا يقول : عبدي وأمتي .....
- باب لا يرد من سأل بالله .....

- باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة .....
- باب ما جاء في اللو .....
- باب النهي عن سب الريح .....
- باب قول الله تعالى : (( يظنون بالله غير الحق )) .....
- باب ما جاء في منكري القدر .....
- باب ما جاء في المصورين .....
- باب ما جاء في كثرة الحلف .....
- باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم .....
- باب ما جاء في الإقسام على الله .....
- باب لا يستشفع بالله على خلقه .....
- باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد .....
- باب ما جاء في قول الله : (( وما قدروا الله حق قدره )) .....
- فهرس الموضوعات .....